

بدر الدين الشلاح

للتاريخ والذكرى

قصة جهد وعمر

دمشق ١٩٩٠

للتاريخ والذكرى

بدر الدين الشلاح

قصة جهد وعمر

دمشق – ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الى اولادي الأحباء الذين منحتهم رضائي ومنحوني برّهم .

الى دمشق الحبيبة التي عشت فيها ولها .

الى كل عالم مخلص افدت منه واهتديت بعلمه .

الى كل مسؤول او تاجر قدم لوطنه .

الى كل شريف ومواطن يتحلى بما في هذه الكلمة جاهد ويجاهد بنفسه وماله لإرضاء ربه وإسعاد امته .

الى كل انسان على وجه الأرض يسعى وهو يعمل او يكافح لتطلو البسمة على كل وجه وتعم السعادة الانسانية جمعاء .

اقدم هذه المذكرات

بدر الدين الشلاح

انغمست في الأعمال العامة ، وساهمت في المشاريع الخيرية ورافقت مجالس العلم والعلماء ، وصرت موجهاً وعنصراً فعالاً منتجاً ، وجعلت حياتك العطاء والتفاني في خدمة المجتمع والوطن .

عرفت فيك ياسيدي الوالد روح التسامح في المواضيع التي تخصك مع تشددك المعروف في الأمور التي تخص الآخرين او تمس بالمصلحة العامة . والذين لم يعرفوا عنك هذه الصفة ، يعتبرونها ظاهرة من القسوة والتصلب ؛ بينما هي في حقيقتها وجوهرها اعلى درجات المحبة والغيرة . ونحن اقرب المقربين اليك كنا نتفهم هذا المنطلق لعلمنا الاكيد بانك انت ذلك المناضل الذي لا يثنيه عن منهاجه شيء ، وكم كنا نحاول بين الحين والآخر ان نخفف من مدى اندفاعك لتعطي لنفسك وجسدك حقهما من الراحة .

ليس المطلوب من كل إنسان ان يغير مجرى التاريخ ، بل المفروض ان يعمل كل انسان ضمن امكانياته وجهده ، وان يساهم في خلق مكان افضل لغيره في هذا العالم ، وهذا ما فعلته انت .

اعوام طويلة من الكفاح والجهد والعطاء ، حملت خلالها المشعل واديت الواجب ، فأنرت الطريق للعديد من الملهوفين فاستحققت بذلك رضاء ربك واهلك ووطنك واصبحت لنا مصدراً للسعادة والفخر والاعتزاز .

ارفع يديّ ضارعاً الى الله تعالى ان يبارك بك وبامثالك ، وهنيئاً لك بهذه الروح السمحة حيث تنظر لنفسك بابتسامة فيها الرضا عن النفس وراحة الضمير ، وهذه هي سعادة الدارين الدنيا والآخرة .

د. راتب الشلاح

والــدي

بقلم : **الدكتور راتب الشلاح**

سيــدي الوالــد الكريــم

اسمح لي أن أدلي بدلوي في هذه المذكرات لأكتب في مقدمتها كلمة متواضعة عـن الانسان الذي أعتز وأتشرف بالانتمـاء اليــه كأب وموجـه وحكيم ورفيق . فقد كان لــه الفضل كل الفضل في حسن تربيتي وإخوتي وتثقيفنـا في مختلف مراحل التعليم والصقل فأنار لنـا طريق النجـاح والفـلاح .

والدي بدر الدين الشلاح ، هـذا الانسان الذي سهل لنـا سبـل تسلق درجات العلم والمعرفة بقناعة منــه أن طلب العلم من المهد الى اللحد فريضة مقدسة .

والدي بدر الدين الشلاح الذي أعطانا الحنان الأبوي مشفوعاً بأنجـع التجـارب العملية التي صادفها في حياته الزاخرة بالعمل والمبادرات فكان المعلم والموجه ، ويعود لــه الفضل فيما اكتسبناه من علـم وخبرة ودراية وخلق واخلاق .

سيــدي الوالــد

لقـد وجدنـا فيك ــ نحن أبنـاءك ــ نقـاء الموهبـة الشخصيـة ، والظـاهرة الانسانية التي رافقت مسيرة الحضارة مع كل ما صادفته من صعاب ، مـع المسؤولية التي حملت أعباءها الثقيلة في وقت مبكر من ربيع حياتك ، واستفدت من كل التجارب بإيمـان راسخ وتفاؤل مشرق ، وثقـة بالنفس ، وعزيمة صادقة .

كنت يا سيدي تتحدث إلينـا عـن ممارستك التجارة في ظروف بالغـة الصعوبة والحرج ، وكيف كافحت بحزم وثبـات حتى بلغت الهـدف الأسمى في الوصول الـى ما تصبو اليــه من تحقيق الآمال في الانشاء والتعمير .

سرت يا سيدي في طريق الانتـاج الزراعي والتصنيـع الـى جانب ممارستـك التجـارة ، مطبقاً أحدث أساليب الزراعـة الحديثـة والمشاريع البنـاءة ، فبلغـت الذروة ، وأنشأت المزرعة النموذجية على ارض جرداء قاحلة ، فكان عملك هـذا قدوة لتطوير اساليب الغرس والزرع والتنظيم والانتـاج .

رجـــل المسـؤوليـة والمبـــادرة

بقلم : **الأستاذ محمد عثمان الشحرور**(١)

خلال اربعين عاماً أو أقل بقليل من العلاقة الوثيقة وصلة القربى مع « أبي راتب » كنت ارقب حياته الزاخرة بالمبادرة والعمـل وتحمل المسـؤوليات والمشـاق والمتاعب والجهد المتواصل ، استخلص الكثير من العبر والأمثولات التي تحدد قواعد النجـاح ، وتؤكد على التزام الانسان بوطنه وبالافق الاخلاقي والانساني . ولقـد وجـدت فيـه الرجل الذي لا يكل من العمل ، ولا يفتأ يبحث عـن مجال جديد للانتاج والاستثمار ، ولا يضيع فرصة للمشاركة في البناء وعمل الخير . ووجدت في حياته نموذجا للصمود من بداية السلّم الى أعلى درجاته دون كلل او ملل أو انحراف او تردد ، وكان موضع ثقـة الجميع حيثما حل ، وفي اي مشروع أسهم فيه او اقدم عليه بمفرده .

مرّ أبو راتب بسلسلة من الظروف الساحقة التي احدقت بالبلاد منـذ نهـاية العهـد العثماني وعبر الحربـين العالميتـين الأولى والثانيـة ، مروراً بسائر الأحداث الحرجة ، وكان دائماً الرجل بعيد النظر القادر على استخلاص الحكمة والاستفادة من الأحداث ، والعمل بداب وجـد ومرونة في وجـه المصاعب والنكبات .

لقد اكتسب ثقة القاعدة التجارية دائماً ، فحملها امام الجهات المسؤولة ومـا زال هذا دابه في حل المشاكل بالخبرة الطويلة المكتسبة .

ولهذا كانت مذكراته سجلا لظروف البلد ، ووثيقـة شيقـة للحيـاة الاقتصادية والاجتماعية في مرحلة انتقال غير عادية ومجتمع يتطلع الى الحرية والنور والسلام .

محمد عثمـان شحرور

---

(١) الاستاذ محمد عثمان الشحرور صهر السيد بدر الدين الشـلاح ، وقد توفي عـام ١٩٨٨ بعد كتابة هذه المقدمة ، فتركناها تخليداً لذكراه .

جيــل نبــت من الارض الطيبــة

التقديم لسير الرجال ومذكراتهم مأثرة لا ينشأها إلا من وجـد في قلب من قـدم لـه محبته . واذا كان التقديم هـو التعريف ، فالمقـدَّم لـه لا يحتـاج الـى تعريف فهـو في احداث بلدي الاقتصادية كان وما يزال قطبا من اقطابهـا . لا يذكر التجـار إلا ويذكر شيخهم الذي قادهم في ظروف متغايرة ليرسو بهم في واحات العمل والأمان . انــه تاريخ قرن في رجـل ، وذاكرة الاحـداث التـي مرت بوطن ، وارادة الاستمرار والتكيف والتطـور .

عرفته رئيسـا لغرفـة تجـارة دمشق ورئيسـا لاتحاد الغرف السورية وتزاملنـا عشرين عاما كان فيها معينا لا ينضب من الحكمـة والتجارب وكـان دائما مخلصا في نصحـه وصادقا في رايه .

وهـو يمثل في سلوكه ذلـك الجيل من الرجـال الذي نبت من هذه الارض الطيبة فكانت لـه الأم الحنون ومصدر ثروته وغنـاه وفرحـه . لقد عقد هـذا الجيل مـع ارضـه رباطا مقدسا من المحبـة بالولاء والاخلاص وهـو ما شدني اليـه ، فهو مـع رجـال احببتهم مثلـه كانـوا لي المثل الذي اركن اليـه للتأكيد على القدرات الكامنة البنـاءة في شعبنا القادرة على البنـاء والعطاء وتحقيق المعجزات .

عركته الاحداث فصاغ حكمها انسا ومحبـة وملاطفة يدخل بهـا القلوب فيحقق الموافقـة على ما يريد ويحتفظ باحترام القريب والبعيد .

وعندما يتحدثون عن دمشق وعن صفاتها المتميزة عن اترابها ، في قدرتها المستمرة على تجـاوز احداث الزمن ، والانتصار دومـاً ، وكسب المحبة والولاء والبقاء موضـع الثقـة والاعتزاز ، يقولون بأن دمشق ليست ارضا فقط أو سماء ونجوما وانمـا هي ايضا رجـال ونسـاء صاغـوا الاحداث ، أوابد تشهد على القدرات الخاصة والصفات الذاتية التي يتمتع بهـا أبـاء هـذا الوطن ، وذكروا الحاج بدر الدين الشلاح وعمله الدؤوب من أجل تجارة حرة في وطن عربي كبـير .

أردت ان اقـدم لمذكرات الحاج بدر الدين الشلاح إلا اني لم اقرا منها إلا صاحبها .

محمـد العمـادي

[illegible] والشام

كلما ذكرت الشام ، ذكر ابو راتب . . . هما كالوردة وأريجها . . . اعطته الكثير من سحرها ، وأسرارها ، وتاريخها ، وحضارتها ، وقيمتها . . . وأعطاها الكثير من نبضات قلبه ، وعقله ، وجهده ، وعرقه . وكما علمته الحكمة ، والصبر والتسامح ، والكرم والمرونة ، قابلها بالحب والعمل والبناء والإخلاص والوفاء .

ـ الوردة الشامية الحمراء ، والطربوش الاحمر ، صارا رمزا للشام [illegible]

تراثها . وحب الشام بالنسبة لأبي راتب يمتد من حي العمارة في دمشق الى حي الكلاسة في حلب ، ومن حي الحاضر في حماه ، وباب السباع في حمص ، الى الشيخ ضاهر في اللاذقية ، والشراديق في دير الزور .

يحرص على تجارب الماضي واستيعاب حركة التاريخ ، ويحترم التقنية الحديثة ، ويسابق التطور ، ويعتبر العلم أساس تقدم المجتمع ، ويتمنى لو ترجع الأيام الماضية ليتلقى المزيد من العلم ، وحتى الآن يعد نفسه طالباً ، يتلقى كل يوم درسا جديدا ، ولا يضيره في هذا المجال إن يقر بأنه قد تعلم حتى من طفل صغير .

والعمل عنده هو الذي يعطي للحياة [illegible] ولكن

رسالة ، وعطاء مستمر ، وجهد متواصل ، وبناء دائم ، وانتاج مبدع . وأيا كان نوعه فهو شرف . أما العمل الذي يحبه ويدعو اليه بلا كلل فهو العمل في الحقل والمزرعة ، والمصنع والورشة ، والمتجر . . . فشهادات الدكتوراة في الاقتصاد أو الزراعة التي حصل عليها أبناؤه ، حفظها لهم في صندوق في مزرعته ، وحملهم بدلا عنها أدوات الزراعة ، أو معدات المصنع ، أو مستحضرات الورشة ، أو صناديق فاكهة ، أو أكياس سماد ، أو اسمنت ، أو ألواح خشب . . .

[illegible] فإن أولاده يقومون بايديهم بتلك الاعمال ، ولكن بالوسائل العلمية الحديثة وبالتقنية المتطورة [illegible]

. [illegible] صباحا [illegible] الا بعد أن يطمئن على أن ما قدمه لها كفاها .

سألت أبا راتب ذات يوم حينما كان يتجول لرعاية شتلات شجر تفاح غرسها قبل مدة وجيزة ، متى تتوقع أن تعطي الثمار ؟ فأجاب : لعل قصدك أن تتساءل هل آمل العيش إلى ذلك الحين ، وسأجيبك بأن مشيئة الله هي التي تحدد الأجل ، ولكن حبي للارض والشجرة والوطن يلازم وجودي . انا لا اغرس لنفسي ، وانما لاولادي واحفادي ، وبالنتيجة لوطني .

- والشجرة عنده هي العطاء ، والجمال ، وهو يدعو كل من يستطيع شراء ولو متر من الارض ليغرس شجرة ، فلا خير في امة تأكل ما لا تزرع وتلبس ما لا تصنع .

- والصناعة التي يرى ابو راتب وجوب اقامتها ودعمها هي الصناعات الزراعية اما التجارة ، فرغم انه رئيس غرفة التجارة لعقود مضت ، ومن ابرز التجار على المستويين العربي والاقليمي وترأس اتحاد الغرف التجارية العربية ، فانه يرى ان عمل التاجر يجب ان يتوازن فيصدر بقدر ما يستورد او اكثر .

- واما عن صفاته فالبساطة والتواضع يخفيان ذكاء حادا وذهنا وقادا وبصيرة نافذة ، وافقا واسعا حتى ليقرأ ما بين السطور وما خلف السطور .

يتمتع بحس مرهف ، وفراسة نادرة وحضور في البديهة وسرعة في الاستيعاب ، همته لا تشيخ وعزيمته لا تلين ، يملك نفسه عند الغضب لا تهزه الخطوب ولا تمزقه المحن . جريء ومبدع ومبتكر ، سديد الراي ، صادق وأمين ، مخلص لاهله ولاصدقائه ، مرن في تعامله دون أن تتأثر قناعاته ، فيقول كلمة الحق التي يقنع بها بطريقة تدخل الى القلب بلا استئذان . انيس المعشر ، جذاب وساحر ، محدث لبق ، ميال للنكتة ، وعندما يصمت ، يكون صمته معبرا . يحبه الناس ، كما يحب الناس ، ويسعى ان يكون بينهم ومعهم دائما ، يشاركهم في الافراح والاحزان والالام بحضور متميز .

- في اعماقه ايمان راسخ ، دون تزمت ، يقدم ما يستطيع بصمت وهدوء .

- فالمساجد والمستوصفات التي بناها او ساهم فيها ، والجمعيات الخيرية التي رعاها او قدم لها ، ودار الايتام بشكل خاص ، والاسر الفقيرة المحتاجة التي مد لها يد العون ، بالاموال او الاراضي التي تبرع بها لوجوه الخير ، والمساعدات التي قدمها لمن قصده سواء كانت مادية او معنوية ، تلك جميعها وغيرها شواهد تدل على ايمان ابي راتب وكرمه .

واني لارجو لأبي راتب طول العمر ودوام الصحة ومزيدا من العطاء .

خالد المالكي

عمي « الحاج بدر الدين » معلم كبير في مدرسة الحيـــاة

علمتني السنون أن مدرسة الحياة خير من أية جامعة وتجاربها تفضل أية درجـة مهما علت ، وان فيها معلمين يفوقون بعلمهم التجريبي وخبرتهم العمليـة معظم مـن علمني في المدارس والجامعات ، والحاج بدر الدين واحد من هؤلاء المعلمين الحكماء .

بدر الدين الشلاح أو من تعودت أن أسميه من صغري (عمو الحجي) قريبنا وكبير عائلتنا وإليه تعودنـا ان نلجأ في السراء والضراء لانـه المعين والناصح والأب الكبير . ولي معه حكايات مليئة بحكمته التي تعلمها من مدرسة الحياة فعلمها لطلابها وأنا منهم .

في عام ١٩٤٧ كنت في العاشرة من عمري تلميذا في مدرسة (البحصة) اذ نقلت اليها من « مدرسة الاميركان » في حارة قولي استجابة لنصيحة العلامة المرحوم سليم الجندي خوفا على عروبتي وديني . ومرّ علينا (عمو الحجي) في واحـدة من زياراته وكانـت سهرة حلوة في أرض ديار بيت جدّي لأمي في حارة الشالة بساروجة وهي آية للناظرين وسمعت (عمو الحجي) يستغرب نقلي ويقول : يا أخي ان تعلم اللغات مطلوب وبهـا يضمن ابنك مستقبله في الدراسة . وكان والدي يصغي بانتباه فبـادر يقـول لـه : يا ابـوراتب حصل ما حصل واعـادة الولـد الـى مدرسـة الاميركان غـير ممكنـة قـال ابو راتب : نرسلـه الـى (برمانـا) . كيف ، قـال والـدي ؟ هـل استطيع ان اتحمل نفقاته وانا الموظف الصغير في المالية ؟ وجلجل صوت عمي الحجي : يا ابو صبيح ومن كلفك أنت بشيء ؟ ابنك واحد من ابنائي وسأرسله مع ابني سليم فورا فهيئوا له اغراضه وسأرسل لآخذه ، ليذهبا معا في الاسبوع القادم .

كان فرح والدي ووالدتي غامرا فذهابي الى برمانا حلم أصبـح حقيقـة لأهلي . ومنها الى الجامعات العالمية . ولكن والديّ صعقا لما اجترأت وقلت أرفض أن ادرس على حساب احد غير والدي أو الدولة حتى لا اصبح عبداً له وانا لا اقبل العبودية لغير الله . ورغم مطواعيتي لوالدي اصررت على الرفض وتمسكت بموقفي .

وجاء ابو راتب وسأل عني ليرسلني مع سليم الى برمانا فحدثوه عن حجتي في رفض منحته الكريمة ، ولشدة دهشة الاهل كلهم ضحك (عمي الحجي) وقـال : اتركـوه ورأيه ، هادا ولد فيه خير وعنده كرامة . الله يوفقه وانا حاضر على كل حال .

تركت هذه الحادثة في نفسي أثراً كبيراً . فقد اصبح رفضي لمنحة (عمي الحجي) دافعا لي للتفوق في كل مراحل دراستي حتى الاجازة الجامعية التي نلتها بامتياز حصلت على أثرها على منحة من وزارة التربية للدراسة في الولايات المتحدة الاميركية لنيل درجتي الماجستير والدكتوراه في القانون الدولي لحساب جامعة دمشق . لكن احتجت كفالة ، فذهبت الى محله في شارع فيصل ، وما بدأت حديثي حتى قال : هيا يابني قبل أن تغلق دائرة كاتب العدل . وذهبت في بعثتي وعدت منها بعد اقل من خمس سنوات احمل الشهادتين المطلوبتين وأصطحب زوجا وطفلا . وكان أول من استقبلني في المطار عمو الحجي ، وعانقني بدمعة حب وشعور أعتزاز بالدكتور العائد ، وكأن احدا قبلي لم يسبقني الى هذا اللقب . وأنا أقر أنني لولا دعمه وكفالته لما تمكنت من الحصول على هذه الدكتوراه باليسر والسرعة اللتين حصلت بهما عليها. اذ كانت صورةعمي الحجي معي طيلةغربتي ورسائله الدائمة خير مرشد لي. وكنت اريد ان أفوز بالدرجات العلمية الواحدة تلو الاخرى وبتفوق حتى لا اخذل من علمني مبدأين جعلهما الله من مرتكزات ايمان المؤمن .

عدت من الايفاد والتحقت بالجامعة بعد معاناة ربحت على أثرها الجولة وعينت مدرسا في جامعة دمشق .

بعد مدة من ممارستي التدريس في الجامعة دخلت سلك المحاماة في العام ١٩٦٨ وهرعت الى عمي الحجي اعرض عليه خدماتي محبة ورداً لبعض جمائله ، فواجهني بدرس جديد ما تعلمته في الجامعة . قال : شوف يا دكتور ، علمنا والدي رحمه الله ان لا ندخل المحاكم مدّعين او مدعى علينا لاننا نعرف حقوقنا وحقوق الغير ومتى حصل هذا فلمَ الدعاوى ؟ وفي هذا درس معلّم تعلّم من الدنيا وافاد الآخرين بعلمه.

واليوم يا عمي الحجي ، حين علمت أنك تعد مذكراتك اردت أن اكون واحدا من كثيرين يقولون فيك بعض ما انت أهل له . اقول ما أقول لا ملقاً ولا زلفى ، ولكن لاني اقول الصدق والحق راجيا ان تقبلني واحدا من ابنائك المرضيين فقد كنت لي اباً رؤوفاً رحيما فاقبلني مع راتب وسليم ومحمد وغسان وامنحني ما تمنحهم من دعاء اكن لك اكثر شكرا وعرفانا . يحفظك الله ويديمك ذخرا لنا ولأمة ما اشد حاجتها لرجل مثلك.

دمشق ١٠ رمضان ١٤١٠ ـ ٥ نيسان ١٩٩٠

الدكتور محمد عزيز شكري

الرجل الذي ربط الماضي بالحاضر بالمستقبل

قليل جدا بين رجال هذا البلد البارزين من عمد الى تدوين مذكراته عن الاحداث الهامة التي شارك فيها او اتفق له بحكم مركزه الإطلاع على وقائعها ، مما حرم الجيل الناشيء من مراجع قيمة تعتبر روافد غزيرة لتاريخ تلك الفترة الغنية بالاحداث من حياة بلادنا وامتنا ، واعني بها الفترة التي بدأت مع اطلالة القرن الحالي واستمرت حتى ربعه الاخير ، والتي شهدت تطورا واسعا وعميقا شمل جميع نواحي الحياة القومية والاجتماعية والإقتصادية والعمرانية ، بدءا من الكيان السياسي وانظمة الحكم حتى العادات والتقاليد واساليب العيش ، ومرورا بالعلاقات الإجتماعية والعائلية والمفاهيم الإخلاقية ، مما ندر ان تعرض لمثلها قطر من الاقطار خلال مثل هذه الفترة المحدودة لذلك .

عندما ذكر لي الاخ الكبير السيد بدر الدين الشلاح عزمه على نشر مذكراته قدرت اي كنز ثمين سوف يتاح لنا الاطلاع عليه . ذلك ان صاحب هذه المذكرات ليس بالشخص العادي الذي تمر به الاحداث مرّ الكرام فلا يرى منها سوى الظواهر ولا تترك لديه من الاثر الا القليل ، ولا هو من الذين يقفون منها موقف المتفرج الصامت . ان الحاج بدر الدين دخل المعترك منذ البداية واختار موقعه في خضم تلك الاحداث والتطورات التي خضت قطاعات الحياة في بلادنا فسار معها لا بسير المدفوع مع سيلها وانما واعيا لإتجاهاتها متفاعلا معها وفاعلا في كل نواحيها .

ففي الحياة السياسية ، ان لم يكن من رجالها فانه لم يكن بعيدا عنهم ، وكان صديقا للجميع يبذل لهم النصح والتوجيه والدعم . وفي المجال الاقتصادي شمل نشاطه اعمال التجارة والصناعة والزراعة ، كما يشمل البناء والعمران ، يساعده على النجاح فيها حبه لعمله وحرصه على اتقانه ، ولا يقتصر هذا النشاط على اعماله الخاصة وانما يتعداها الى ما يمس مصلحة البلد واقتصاده وامورة العامة ، ويتوج هذا الاهتمام حاليا بادارته الحكيمة لغرفة تجارة دمشق وانطلاقا منها الى آفاق المنظمات والعلاقات الاقتصادية والتجارية العربية والدولية ، ومشاركته في الجمعيات الخيرية والانسانية .

وهو يستوحي في كل افكاره من نظرته الشاملة في الصراع الذي قام بين القديم والحديث ، والذي لا يزال مستمرا ، لم يتردد في الاخذ بما هو نافع وضروري من مستحدثات العصر ، والسير على طريق التقدم والتطور ، مع المحافظة على الاصالة في الاخلاق والعادات والحسنات العائلية ، والتمسك بقواعد الدين الحنيف بعيدا عن التزمت والتظاهر .

من هذه التجارب الغنية خرج الحاج بدر الدين بحصيلة ثمينة من الخبرة والمعرفة بالحياة والناس ، اكتسبها من مدرسة الحياة لا من من الكتب والمجلدات . فاصبحت مدرسة بحد ذاتها ، ساعده على الاحاطة بها ما يتمتع به من حس سليم يتيح له وزن الامور بداهة بمعاييرها الصحيحة ويخرج منها في كل موقف بكلمته الجريئة الصائبة يطلقها دون تردد او محاباة ، فاكتسب حب الناس وثقتهم وغدا المرجع الاول في هذا البلد يستعان برايه على كل المستويات ، من المؤسسات الرسمية والدوائر الحكومية الى الهيئات الشعبية والافراد ، والكل يلتمس لديه المشورة والارشاد او حل مشكلة او حتى التوفيق بين زوجين ، وكان لكل هؤلاء لدى الحاج بدر الدين الوقت والاهتمام والبذل .

ولقد انعم الله علي بان اكون جارا له في منطقة جاليا في الزبداني ، تلك الهضبة القائمة في حضن جبل بلودان والمطلة على السهل الفسيح ، والتي عمرت وازدهرت بفضل مبادرة وجهود الحاج بدر الدين باقامة مشروع زراعي وعمراني واسع فيها فتحولت من جرود جرداء الى جنان خضراء . وكثيرا ما جلسنا معا ، في هدوء ليالي الصيف المقمرة على شرفة دارته العامرة ، نتأمل مشاهد الانوار المتناثرة في السهل وعلى الجبال المحيطة بنا تحت قبة السماء الصافية ، واتمتع بالاستماع اليه يحدثنا احاديثه الشيقة : ذكريات ووقائع وحكايات من الماضي والحاضر تبدو لأول وهلة عادية ، ولكن ما أن يصل الى خاتمتها حتى يتبين ما هدف اليه خلالها من المغازي والعبر التي هي خلاصة من تجاربه وخبراته .

كم تمنيت لو امكن جمع هذه الوقائع ونشرها ليطلع عليها الناس . وها هي امنيتي تتحقق بهذا الكتاب الكبير في طريقها الى الصدور لتكون متعة للقارىء ومرجعا للباحث ومصدرا للمؤرخ ، وهدى وعبرة للاجيال القادمة .

المهندس خليل الفرا

شــاهد القــرن العشــرين

حين علمت أن المربي الكبير « بدر الدين الشلاح » قد دفع بمذكراته الىالمطبعة ، رغبت أن أقدم مساهمة متواضعة باطلاع القارىء على بعض جوانب شخصية من أستطيع أن أطلق عليه بلا مبالغة لقب « شاهد القرن العشرين » .

ان الاحداث التي عرفتها سورية منذ نهاية الحرب العالمية الاولى الى يومنا هذا ، حريٌ بنا أن نستعيد ذكراها وتواريخها بين الحين والآخر لتكون لنا عبرة ودرسا ونحن على أعتاب قرن جديد . ومن لنا اليوم كالحاج « بدر الدين الشلاح » ليشرح لنا جوانبها وخفاياها وتسلسلها وحقيقة أبعادها ، اذ عاشها وتفاعل معها وشارك فيها من موقعه كتاجر ومزارع ورجل أعمال .

لا اريد أن استعرض هذه الاحداث فهو أحرى بأن يتحفنا بما عنده ، ولكن أوجه الانتباه الى الجوانب التربوية في شخصية صاحب المذكرات . فأذكر احاديثه عن مقدار حبه للعلم وشغفه بالمطالعة وتقديره للمتعلمين والمثقفين ، وكيف ان الظروف التي عاشها والمصاعب التي عرفها قد حالت بينه وبين طلب العلم كما اعتدنا أن نطلبه في المدارس والجامعات ومعاهد التعليم العالي . وازاء هذا الحب الشديد للعلم والثقافة والحرص على رؤية العديد من أبناء الوطن ـ وفي مقدمتهم أولاده ـ وقد سلكوا مناهج العلم ينهلون من روافده ويقطفون ثماره وينعمون بخيراته، فتح الحاج قلبه لكل طالب علم وتبنى كل من قصرت امكانياته أو ضعفت موارده فمد له يد العون وشجع كل من لمس عنده القدرة والاستيعاب أو أحس لديه الميل والاستعداد . ولا ريب في أن العديد من أبناء سورية ـ وانا واحد منهم ـ يذكرون بكل وفاء واعتزاز ما قدمه الحاج بدر الدين ليكونوا فخرا لوطنهم وعزة ومنعة لأمتهم .

اسبغ الله عليه ثوب القوة والصحة والعافية وجزاه عن الوطن خير الجزاء .

ستراسبورغ في ٢٨ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ٢٣ آذار ١٩٩٠ م .

للدكتور محمد امين الميداني

ابــو راتب ، رجــل العمل الصادق

عرفت الاخ الاكبر ابا راتب منذ نحو خمسين سنة ، وانا في اول الشباب . اسمع به وبأبيه وأسرته من الناس الذين يحبون الخير ويقدرون اهله ، واسمع بهم من الذين يتمسكون بالاستقامة ويرونها جوهر الدين ، والتقيته أكثر من مرة في مناسبات عامـة وكانت علاقة من الطف العلاقات فيها الكثير من التفاهم : أي محاولة كل منا أن يفهـم الآخر . وعلى اختلاف ما كان بيننا من ظروف ، فقد كنـا نصل دائما الى النقطة ذاتها تقريبا ، وهي في صلب الصالح العام . وكنت دائما ارى أنه رجل مـن الشعب لا يميز نفسـه عن أي انسـان ، ويفتح قلبه ويده للجميع ، ويؤمن أنه في رحلة الحياة مكلف بأن يقول خيرا ويفعل خيراً وهـذا خير ما يتركه للنـاس .

وكنت أرى نباهته وذكاءه الحـاد ودربته العجيبة في أمـور الصناعة والتجـارة وتصديه للعمـل العـام ، فـلا أحس بالعجب ولكن أشـعر بالاعجاب . وكـان فيـه من والدي الشيء الكثير ، بل هما نفس واحد في نفسين ، وهمـة متماثلـة في العمل ، وحب متعادل للناس بدءا من الاقربين ثم لا تزال الدائرة تنداح وتتسع حتى تشمـل الناس جميعا ، الا الاشرار فهؤلاء لهم الرحمة لا المحبة .

فلما زرته ذات مرة وقال أنه سجل ذكرياته ، التقطت المناسبة على الطائر وقلت لـه : أنـا لهـا . وفرح بي لأنه كان يُسر من محادثاتنا وفرحت بقبوله لانه أتاح لي أن اقـدم للنـاس خدمـة كبـيرة بتيسـير اصدار هـذه المذكرات ، وتفرغت لهـا ، وما فعل ذلك غيري الا رجل واحد هو بدر الدين الشلاح الذي يقدم الآخرين على نفسه واتيح لي بذلك أن أكون أحـد القراء الاوائل لهذا الكتاب الرشيق . ولـم اترك لقلمي اي مجـال ليتدخل في أسلوبه الشيق الذي يجمع البساطة والعمق ، فالذين عرفـوه وسمعوه سيرون أنه في هذه المذكرات يكتب كما يتحدث ، وقد يسمعون صوته من خلال السطور . نعم ، فقد تركت كل شيء على عفويته ، وليس لي من فضل الا الاسراع في النشر ، ولقاءه حصدت زاداً كثيراً مـن المعرفـة والمحبـة والصدق والاخلاص .

نجــاة قصاب حسن

الباب الاول ـ ذكريات

الفصل الأول نشأتي

كاتب هذه السطور ، بدر الدين الشلاح ، فرد من اسرة كبيرة العدد تعود في نسبها الأعلى الى الدوحةالنبوية على ما قاله النسابون . وكان والدي المرحوم سليم بن رشيد الشلاح قد ولد في عام ١٨٦٦ وتوفي في ٤ تشرين الاول ١٩٤٧ رحمه الله .

ولدت عام ١٩٠٥ ميلادية في حي سوق ساروجه ، حارة قولي .وكنت الابن الثالث للتاجر المرحوم سليم الشلاح من أبنائه الستة وهم بالتوالي : محمد وزكية (حرم السيد محمد عيد سكر) وبدر الدين وأنور وشفيق ورشاد . ولي الآن من الاحفاد ثلاثة وثلاثون ومن أبناء الاحفاد ثلاثون ، حفظهم الله ووفقهم . وفي هذا الكتاب صورة تضمهم جميعا أخذت للذكرى .

وكان والدي من تجار الفواكه والمجففات (قمر الدين) ومال القبان ، يسوّقها بين دمشق ولبنان وفلسطين ومصر . وقد عرف بالأمانة والاستقامة في تعامله مع الناس ، وكان في الوقت نفسه حازماً في الاشراف على أولاده فلا يتسامح معهم بأي خطأ بل يبادر الى تأنيبهم ومعاقبتهم برفق . وكان يعطينا نفقاتنا بمقادير محدودة وقليلة في حين يغدق على الجمعيات الخيرية واعمال البر والاحسان بمبالغ كبيرة . واذكر ان خرجيتنا الاسبوعية في بعض الاوقات كانت ربع مجيدي . فلما زاد الغلاء ارجعنا الخرجية الى الوالد أملا بالزيادة ، ولكنه أخذ ما رددناه ووضعه في الصندوق ، وسكتنا لمدة اسبوعين ، ولما طالبناه بعد ذلك عاد فدفع لكل واحد منا ربع مجيدي، ولما قلنا له انه لا يكفي قال بل يكفي . فطالبناه بخرجية الاسبوعين السابقين فقال لنا : اذهبا . . ولم يدفع لنا عنهما شيئاً .

واذكر هنا انه كان من حظ شقيقيّ أنور ورشاد ان يتابعا دراستهما العليا في الخارج في حين انني وشقيقيّ محمد وشفيق تركنا مقاعد الدراسة لمعاونة والدنا في اعماله التجارية الواسعة رغم حداثة السن . وكان الناس يكتفون في تلك الايام بتعليم أولادهم القراءة والكتابة فقط ، والقرآن الكريم بوجه خاص ، ولذلك فان سبب عدم متابعتي الدراسة كما سيأتي كان الطاعة لوالدي والامتثال لأوامره التي لا مرد لها.

الختـــان

وقبـل ان امضي في قصة التعليم اقول انني كنت قـد بلغت الخامسة او السادسة دون ختـان . وخلافاً للعـادة السـائدة وهو ان يختن الاولاد في حفلة كبرى يدعى اليها العشرات من الاهل والاقارب ، فان والدي أرسلني أنـا وعمي نعيم مع صانعة كانت في دارنـا اسمها (سمره) الى دكان حلاق في الميدان السلطاني ونحن لا نعرف الغـاية من ارسالنا ، والخادمة كانت تقول لنـا ان هنـاك فرجة ظريفة . ولمـا دخلنا دكـان الحلاق لـم نشعر إلا وقد امسكوا بنـا واجروا الختـان وتدفق الدم وربطوا الجرح. وعدنـا مع الخادمة الى الدار فراتنـا والدتي وزوجة جدي أم نعيم فدهشتا لما رأتانا على هـذه الحال ولم تكونـا على علم بارسالنا فأقامتا النكير على الخادمة ولكن هـذه اعتذرت بأنهـا فعلت ذلـك بأمر رب العائلة ! . .

التعليـم عنـد الخجـا

ولمـا بلغت الخامسة من عمري ارسلني والدي رحمه الله الى الخجا كسائر اطفال ذلك الزمن ، والخجا هي المراة التي تعلم الاطفال من الجنسين معاً بلا تفريق ، ويقتصر تعليمها على القراءة والكتابة وعلى الأخص القرآن الكريم .

وكان مقرّ الخجا حيث يجري جمع الاولاد وتعليمهم عبارة عن غرفة من دار يجلس فيهـا الاطفال على الارض ، والخجا تحمل عصا طويلة تشير بها الى كل طفل يأتي دوره في القراءة كما تضرب بها من بعيد عند الاقتضاء ، وما اكثر ما كانت تضرب .

وكان لباس الاطفال القنباز المصنوع من القطن أو الحرير ، حسب حـال اهلهم ، وكان بعضهم يأتي بالملابس التي كان نائماً بهـا وينتعـل القبقـاب الواطىء الشبيـه بقبقاب (غـوار الطوشـة) الذي راينـاه فيما بعد في مسلسلات الفنان دريد لحام .

والطفل يحتاج حتى يختم القرآن الكريم الى دراسة لا تقل عـن السنتين ، ولكن والدي فحصني بعـد ثلاثة اشهر قرآني ختمته ، قراءة لا حفظاً غـير الآيات الصغيرة التي تقرأ بالصـلاة .

الكتـــاب

وبعد مرحلة الخجـا نقلني والدي الى الكتاب وهو مرحلة ارقى ، ومنــه انتقلت الى مدرسة المرحوم الشيخ عيـد السفرجلاني التي كانت قائمـة في مبنى المدرسـة الجقمقية جانب ضريح السلطان البطـل صلاح الدين الأيوبي ، وهـو يقـع قرب باب الكلاسة وهو الباب الشمالي للجامع الاموي الكبير . وقـد تخرج من هـذه المدرسة جيلان من الطلبة بينهم العالم والاديب والمدرس والقاضي واصحاب المناصب العليـا . وكانت مدارس دمشق في تلـك الايام قليلة العدد . منهـا المدرسة الكاملية في سوق البزورية قرب قصر العظم الأثري ، ومدرسة عنبر الرسمية في حي الخراب ، ومدرسة في حي العمارة تعرف باسم مدرسة الكردي ، وهذه الاخيرة كان تعلـم فيها والدي . واذكر من رفاق المدرسة المرحوم الشيخ احمد الدقر والمرحوم الدكتور رشدي العطار والسيدين هدى الطباع التاجر في الحريقة والمرحوم سليم ايلوش التاجر في خان اباشا والمرحوم عربي الخيمي من تجـار البزورية وآخرين .

وبعـد عامين نقلني والدي الى مدرسة (تربيـة افكار) التركية وكانت في سوق ساروجه حارة العبيد جانب قبر الشيخ عثمان ، فأمضيت فيهـا ستة اشهر . ثم انتقلت بعد ذلك الى مدرسة الملك الظاهر الحكومية فمدرسة انموذج المرجة .

ايـام الحرب العالمية الأولى والمجـاعة

واذكر انني في وقت اعلان الحرب العالمية الاولى عـام ١٩١٤ كنت فينحو العاشرة واذكر ان والدي رحمـه الله كان التزم تقديـم القمر الدين والنقـوع للجيش التركي وشاركه في هـذا الالتزام ستة من التجار . وكان إقدامه على قبول هـذا الالتزام مع انـه يكره التعامل مع الدولة انـه كان من الاشخاص المرموقين ذوي المكانة الاجتماعية وكانت الحكومة التركية لا تترك امثاله من أصحاب النفوذ إلا وتنفيهم . ولذلك كانت الدولة التركية تخترع الحجج لكي تجد عليهم ممسكاً يبرر لها ذلك .

ولذلك كان لا يمر يوم إلا ويطلب رجال الدولة من والدي مطالب مختلفة ليس لـه علاقـة بهـا . فحتى يخلص من شرهم اقدم علىالالتزام فرسا عليه تقديم القمر الدين والنقـوع . ولكن الاسعار ارتفعت فكان القمر الدين يباع رطله بأربعة قروش فبلـغ

سعره خمسة وعشرين قرشا وذلك لأن الناس اقبلوا على اكله بدلا من الخبز لأن الخبز ارتفع ثمنه حتى تراوح بين السبعين قرشا والمائة قرش ، فكان العامل يأكل اوقية قمر الدين وربع اوقية لبنة .

وكانت الافران توزع وتبيع الخبز بالوثيقة اي بالقسائم ، ولا يستطيع احد ان يحمل رغيفاً بيده او يظهره بالطريق من شدة مجاعة الناس ، واذا وجد الجائعون بيد احد المارة رغيفا او اكثر يهاجمه اشخاص لا يقلون عن عشرين شخصا ويخطفون الخبز من يده . كما اصبح من الصعب جدا ان يأكل احد المارة برتقالة في الطريق واذا فعل ذلك ورمى بقشرها على الارض تخاطف الجائعون القشر واكلوه . وهذا الغلاء الفاحش اضطر والدي وشركاءه الى التأخر بتسليم ما تعهدوا به ، فاعتقلوا جميعا وسيقوا الى سجن النظارة وكانت في دخلة الشرابي المتفرعة عن ساحة المرجة . وكان الخفير الذي يحرسهم يدعى زكي افندي وقد سمح لوالدي تعاطفاً معه بأن يغادر النظارة الى داره ليلا ليلتين في الاسبوع ، على ان والدي كان يعود الى النظارة في الصباح الباكر .

الى المنفى

ولما كان والدي ينام في سجن النظارة كنت انام معه في السجن وكنت احضر له دفاتر محله التجاري مساء للاطلاع عليها واعيدها صباحا فأسلمها الى المحل . وبعد ان قضى والدي اسبوعا في سجن النظارة صدر الامر ، وقت دخول صلاة العشاء ، بنقله مع رفاقه الى المحطة لنفيهم ، فرجعت الى الدار وانا ابكي . ولما وصلت الدار وجدت جدتي ووالدتي وقريباتي وهنّ يحملن المسابح الألفية ويذكرن اسم (اللطيف)، وحسب التعبير الدارج (يعملن اللطيفية) رجاء ان يلطف الله بالوالد وبالمسلمين . ولما وقع نظرهن عليّ سألنني هل تعرف المحطة ؟ فقلت نعم ، فلبسن ملاءاتهن وذهبت معهن الى المحطة . ولما وصلنا الى محطة الحجاز سألنا عن المنفيين فقالوا لنا انهم في محطة البرامكة وكنت لا اعرف محطة البرامكة لأني كنت اقصد في صحبة والدي محطة الحجاز يومياً لاستلام المشحونات التي تصل اليها باسم الوالد ، وهذه البضاعة هي من بطيخ وبرتقال وما ماثلها تصل من فلسطين وتباع في دمشق .

سالنا عن مكان محطة البرامكة فأرشدونا اليهــا ، فأخذنا نسـير ونسأل الى ان وصلنــا اليها فوجدنــا هنــاك جمهرة كبيرة من النســاء والرجال يبكون ورأينا المنفيين وبينهم الوالد وقد اوقفوا وراء حاجز وعهــد الى عدد من رجــال الشرطة بخفارتهم حتى لا تحدث احدهم نفســه بالفرار .

وصل القطار فأركبهم الشرطيون وصعدت الى القطار خالتي زوجة والدي لترافق الوالد في منفــاه وكان قد تزوجها على والدتي قبل اربع سنوات وكان عمرهــا عشرين عامــاً ، اما الوالد فكان بلغ الخامســة والاربعين .

قال لي الوالد بعد ان ركب في القطار سآخذك معي (لأنك تعرف كام كلمة تركي) وسأستعين بك في المنفى . فرجعت اقص ما قاله لي على والدتي وكانت الــى جانبها عمــة والدي وعمتي أم حسن فقالت لي إياك ان تســافر معــه لأن خالتك ستجعلك خادما لهــا . فرجعت لأعتذر لوالدي عن السفر فلما رآني وابتدأ القطــار بالصفـير امسكني من يدي ليرفعني الى القطــار فصرخت بأعلى صوتي فاضطر لتركي وســار القطار ورجعنــا الى الدار نبكي لفراقه .

بعــد ترحيله تسلم ادارة محله صهري محمد عيد سكر ليديره مدة غيابه . ولــم يطل النفي اكثر من ثلاثة اشهر فقد كان والي الولاية في الآستانة ، وهو صديق الوالد ؛ ولمــا عــاد من العاصمة سأل عن والدي فأخبروه انه نفي مــع زملائه وان سبب النفي مدير الشرطة فأبرق الى حلب طالباً ارجاع المنفيين ، لكن البرقيــة وصلت بعد ان كانوا غادروها الى اضنــه . فأبرق الى اضنــه وكانوا غادروها لمــا وصلت البرقيــة ، وتابعوا سفرهم مخفورين الى قونيــه ولما وصلوها امر الوالي باعادتهم فأعيدوا ولكن بعد وقت. واستدعى الوالي والدي بعــد وصوله من المنفى وسأله عن السبب فأعلمــه بارتفــاع الاسعار كما قدمت وانه لم يعد بالمستطاع تقديم ما تعهد به إلا بخسارة كبيرة جــداً ؛ فأمر الوالي بتعديل أسعار الالتزام تعديلا مناسبا واستبدل العملة الورقية العثمانية بالليرات الذهبيــة العثمانية ، وابدل تعهد النقوع بالزيتون . ولذلــك فبعــد أن كــان الملتزمون سيخسرون خســارة تكاد تقضي على ممتلكاتهم كلها صاروا يربحــون وقــد امنوا ارزاق الجيش التي بالتزاماتهم حتى نهاية الحرب .

عـودة الـى التعليـم

على انني بعد تقلبي في العمل مع والدي كما سيأتي وبعد زوال الحكم التركي عدت بعض الوقت الى المدرسة ودخلت في عام ١٩٢٢ مدرسة الملك الظاهر ثم مدرسة انموذج المرجة الواقعة الى جانب تكية السلطان سليم وكان مديرها المرحوم سعيد افندي مراد ومن أساتذتها توفيق افرام والشيخ زين العابدين ومن رفاقي فيها ثابت الحافظ (المهندس فيما بعد) ومنير شورى (الطبيب الجراح في المستقبل) واخوه نذير شورى واحمد المؤيد وآخرون . . . وقد بقيت فيها حتى آخر العام حيث اخذت الجلاء وعلاماتي في كل درس من الدروس عشرة وزائد الى ثلاثة زوائد حسب الاصطلاح المعروف في ذلك الوقت ، وما اخذت بدرس واحد عشرة بدون زائد ، وكلما دخل الاستاذ الى الصف وسأل سؤالا كنت ارفع يدي فيقول « بدّي واحد غيرك يرفع يده ! » .

وقد بقيت في المدرسة ثلاثة اشهر وتركتها بعد ان تغلب عليّ شقيقي الاكبر واسمه محمد وهو يقول لا تذهب الى المدرسة ساعدنا بالمحل ، ووالدي كان قلل من اشرافه على المحل لانشغاله في بناء وكالته الكائنة في خان الباشا واصبح العمل في المحل قليلا ، وصار فراغ بالسوق لأن كثيرين من الناس صاروا يدخلون تجارة الفواكه ويأخذون قسماً من عملاء محلنا ، وبما انني في تلك السن لم أكن أدرك قدر العلم كما لم يكن الكثيرون يهتمون بتحصيل العلوم ، فقد رضيت ان اترك المدرسة . واشتغلت بالمحل الى ان انتهت السنة وجاء موعد الفحوص فحضر لعند والدي مدير المدرسة سعيد افندي مراد واستاذ اللغة الفرنسية السيد توفيق افرام وقالا للوالد ان من الخطأ ان اترك المدرسة وانهما في هذا العام كانا يريدان ترفيعي من الصف الرابع الى السادس مباشرة ، واصرّا عليه ان يأمرني بحضور فحص آخر السنة على الرغم من تغيبي ثلثي مدة الدراسة متعهدين بنجاحي بالفحص . وما زلت اذكر بعض ما قالاه ومنه : « حرام عليك ان تترك هذا الولد بدون اتمام تحصيله لأنها خسارة كبيرة ليس فقط بالنسبة لك بل بالنسبة الى المجتمع » .

واذكر وانا في المدرسة ان مفتش المعارف مصطفى بك تمر كان اذا حضر للصف السادس للاطلاع على القاء الدروس وفحص الطلاب كان احد الاساتذة يدعوني من

الصف الرابع الى السادس ويوقفني أمام اللوح للاجابة على الاسئلة التي يلقيها المفتش حتى يبيض وجه المعلم تجاهه .

في اليوم الثاني لمقابلة الاستاذين مراد وافرام أمرني الوالد ان اعود للمدرسة . وعدت فعلا فدخلت غرفةالامتحان ووجدت فيها ثلاثة منالاساتذة الواحد منمدرستنا والاثنين الآخرين من مدارس اخرى . فسألوني مسائل عديدة وكان الفحص بدرس الحساب فاجبت ، ورايت من المعلمين المميزين التفاتاً لأني البس (القنباز) وهذا يخالف نظام المدرسة فقال لهم أستاذ مدرستنا لا تعجبوا لقد كان يبيض وجهنا أمام المفتش بعد ان نحضره الى صفوف اعلى من صفه ، وقد تغيب عن المدرسة خمسة اشهر .

ولما انتهيت إذنوا لي بالخروج فخرجت راساً الى باب المدرسة لأذهب الى الشغل، لكن الآذن منعني لأن نظام المدرسة لا يسمح بالخروج إلا مع باقي الطلاب . وعبثاً حاولت اقناعه بأني لست طالباً فلم يقتنع فاضطررت للهرب من خلف المدرسة بعد ان قفزت فوق الحائط الى جنينة النعنع ولم اعد للمدرسة في اليوم الثاني . وكان نصيبي ان ابقى متحسراً طول العمر على عدم اتمام دراستي .

عملي مع والدي في التجارة

قلت انني كنت اعمل دائماً مع والدي في تجارة الفواكه الطازجة والمجففة ومال القبان ، حتى حين كنت في صغري في الكتاب او المدرسة فاذهب بعدهما الى محله . وقد دفعتني النزعة التجارية التي تكونت عندي من صحبته الى ان اجرب العمل المنفرد وانا عنده ، فكنت اشتري كيساً من الخيار أو غيره فأبيعه امام المحل بالمفرق واحصل على ربح صاف يتراوح في ذلك الوقت بين نصف المجيدي والمجيدي وهما من عملة تلك الايام الفضية ولهما قوة شرائية كبيرة كما سبق الذكر . وبهذا الربح كنت اسدد ثمن ما يلزمني من كتب ودفاتر لأن والدي كان لا يزيد مخصصاته لنا عن الحد الادنى ، مع ان مركزه التجاري كان مرموقاً من الناحيتين التجارية والاجتماعية ، ولكنها كانت وجهة نظره في تربية الاعتماد على النفس .

مغامرات في سبيل التجارة

وقد حدث لي وأنا بعد في اول ايام الفتوة ، وفي نحو الرابعة عشرة ، ان دخلت الحياة التجارية من أصعب مسالكها . . .

فقد كان والدي « جرّاد » يدعى علي حلاوة من قرية حرستا ، يشتري لحسابه البطيخ والبرتقال من فلسطين ويشحنه بالقطار الى دمشق . وفي أحد الايام طلب والدي من عمي « نعيم » مرافقة شاحنات البطيخ من فلسطين ، فاعتذر بحجة مرض والدته ، وهنا أعربت لوالدي عن استعدادي سفر بدلا عنه ، فوافق فوراً ودفع لعلي حلاوة مبلغ (٢٥٠) جنيها مصريا لشراء البطيخ وذلك قبل طبع العملةالفلسطينية. وكان ثمن الجنيه يزيد على ثمن الليرة العثمانيه الذهب خمسة عشر قرشا ذهبيا. وقد طلب حلاوة من والدي ان يرسل معه شخصا يرافقه في السفر والتسويق الى فلسطين ثم يعود مع البضاعة المشحونة في القطار الى دمشق ، ويبقى الجرّاد في فلسطين للتسويق والشحن .

صباح اليوم الثاني سافرت مع علي حلاوة الى فلسطين بالقطار ولما وصلنا الى العفوله اشترى شاحنتين من البطيخ من احد تجار هذا الصنف وقال لي سافر معهما الى دمشق . واذكر ان طن البطيخ كان يباع في دمشق قبل سفري بثمانماية غرش فضة ولما عدت لدمشق باع والدي كل طن منه بألف ومائة وخمسين قرشا فضيا . وتمت الصفقة بعد يومين اثنين فأعطاني والدي مئتي جنيه مصري وامرني بالسفر في اليوم الثاني . فسافرت الى طول كرم وفيها اجتمعت مع حلاوة وبعد ايام عدت الى دمشق ومعي شاحنتان من البطيخ ، فلما وصلت الى درعا رايت القيامة قائمة وعلمت أن اهالي حوران ثاروا على الحكومة الفرنسية لانها احتلت البلاد وأخرجت الملك فيصل منها . ورأيت أن البعض ينهبون ما في المحطة من شاحنات وغيرها فتذكرت ان لوالدي صديقين في درعا هما الشيخ فاضل المحاميد شيخ درعا وآخر موظف بالجيش لم أعد أذكر اسمه . وحذراً من نهب الفواكه التي في شاحنتي الوالد سألت عن صديقيّ الوالد فاجتمعت بهما وقصصت عليهما القصة فحضرا حالا الى المحطة وكانت الجماهير تباشر فتح الشاحنات وبوصولهما ولما لهما من نفوذ حالا دون نهب ما في شاحناتنا . وفي المحطة وجدت مشترين جاؤوا الى درعا لشراء ما يرد من فلسطين

من فواكه فدفعوا لي بالطن ١٤٠٠ غرش بينما كان سعره قبل سفري من دمشق ١١٥٠ كما قدمت ، ولخبرتي التجارية امتنعت عن البيع وادركت أن الاسعار ارتفعت ولولا ذلك لما حضر هؤلاء الى درعا فطلبت بالطن ١٦٠٠ غرش فضة فرفضوا الشراء . وكانت الليرة العثمانية سعرها ١٥٦ غرش . فركبت في احدى الشاحنتين وسار بنا القطار الى دمشق فوصلناها ليلا وبالصباح استلمنا الفاكهة . وبالنظر لنهب الشاحنات الاخرى فقد باع والدي طن البطيخ بألف وتسعمائة قرش فضة ، وقد سرّ والدي لما قصصت عليه ما جرى في درعا .

وفي اليوم الثاني امرني والدي بالسفر فسافرت للمرة الثالثة ، وكان اليوم يوم الاثنين والقطار يسافر الى فلسطين في أيام السبت والاثنين والاربعاء من كل أسبوع. وما كاد القطار يصل المحطة في خربة الغزالة حتى وجدنا المحطة غاصة بجموع الحورانيين المسلحين . أوقف هؤلاء القطار أربع ساعات وفتشوا القطار والركاب ثم سمحوا للقطار بالسير فسافر بعد الغروب وسألت عن سبب ايقاف القطار وتفتيشه فأجبت ان حوران عصيانة على الحكومة والحورانيين يفتشون عن اشخاص ارسلتهم الحكومة الفرنسية بعد دخولها لسوريا .

وصلت طول كرم بعد منتصف الليل ووجدت علي حلاوة اشترى البطيخ فبعضه وضع في الشاحنتين وبعضه لم يرفع اليهما بعد . وثالث يوم وهو موعد سفر القطار فوجئنا بخبر مقتل عبد الرحمن باشا اليوسف في خربة الغزالة وبأن السكك الحديدية اقتلعت وانقطعت المواصلات مع دمشق فرأى علي حلاوة ان يأخذ الشاحنتين الى القطر المصري وقد نفذ عزمه وبقيت في طول كرم انام على اكوام البطيخ الباقية في الارض مدة عشرين يوما . وكان الحر شديدا وليس معي البسة اضافية حتى اغيّر البستي ، وطول الليل كنت اسمع زئير الوحوش حول اكوام البطيخ . وقد استطاع تجار البطيخ ان يشحنوا ما ابتاعوه ولم يبق في الارض غير اكوام البطيخ التي تخص الوالد . وبدأ البطيخ يفسد فأشار عليّ البعض أن أبيعه في القدس فنقلته الى شاحنة وركبت فيها وقصدت القدس وانا اعرف أن لوالدي عميلا من التجار يسمى مصطفى الجبشة ولما وصلت القدس شعرت بلسع القمل فنزلت من المحطة واذا بي امام جبانة فدخلتها وجلست بين القبور اتفلى والقي القمل على الارض .

ولما انتهت هـذه العملية المزعجة التي ما الفتها من قبـل قصدت الاسواق اسأل عن عميل والدي ولمـا وقع نظره عليّ بادرني بالسؤال « الست ابن سليـم الشلاح ؟ قلت نعم » واخذت ابكي بكاء حاراً ولا اعرف سبب بكائي ، فأخذ يطيب خاطري ويهدىء روعي واستلم مني أوراق بوالص الشحن وارسلني مـع ولده الى داره وقال لا تزعل يا ابني والدك اخونـا وانت ولدنـا . ذهبت الـى داره فأدخلوني الحمـام ونظفوني واحضروا لي ثيابا جديدة فبقيت في ضيافة الرجل يومين باع خلالها شاحنـة البطيخ بخمسة عشر جنيها تقريبا ودفع لي المبلغ فرجعت الى طول كرم فلم اجد حلاوه بـل فوجئت باثنين من رجال الشرطة قاداني الى المخفر ووجدت هناك فلاحين ادعـوا أن علي حلاوة لم يدفع قيمة البطيخ واخذوا مني الدراهم التي جئت بها من القدس ولم يبق معي غير الفراطة وهي تكفيني لدفع اجرة الطريق الى حيفا .

سافرت الى حيفا وسألت عن شخص اسمه محمد الحسن كـان عميـلا لوالدي ولمـا وقـع نظره عليّ قـال لي : « انك ابن سليم الشلاح وقـد تلقيت برقيـات من والدك يسأل عنك وما كنـا نعلـم اين مقرك حتى نعلمه ثـم ادخلوني لداره وادخلوني الحمام والبسوني ثيابا جديدة ونزلت ضيفا على السيد الحسن المشار اليـه وذهبت معه الى الجامع لأداء الصـلاة ، وهناك سأله عـدد من التجار عني فأخبرهـم باسمي وبقصتي فأذهشهم الخبر وتساءلوا كيف أهل الشام يتهاونون بأولادهم أو قالوا هل من المعقول أن يرسل ولد الى الغربة بهذا الشكل وهو لا يتجاوز من العمر ١٤ سنة .

كان الخط الحديدي لا يزال واقفا بسبب ثورة حوران وفي الصباح اركبني سيارة (لانسيه) تقل ثمانية ركاب الى بيروت عن طريق حيفا .

صعوبـات السـفر

لم تكن الطريق معبدة ولذا كانت السيارة تسير على الشاطىء فاذا اقتربت مـن المـاء اصابها الموج فاطفأ المحرك حتى ننزل فندفشها واذا ابتعدت عن الماء تغرز بالرمل فنضطر ايضا لدفشها . حتى وصلنا عكا وتابعنا سيرنا والطريق غـير معبد الى صور ولم نتجاوزها بنحو خمسـة أميال حتى ثقب الكاوتشوك فنزلنا في احدى الخانات ننتظر ورود سيارة ولكن دون جدوى . بتنـا بالخان تلـك الليلـة ولم يكن معي إلا بضعـة قروش مصرية لأنني خجلت ان آخذ دراهم من عميلنا قبل مغادرتي حيفا ، وثاني يوم

مرت سيارة ركب بهـا رفاقي وبقيت انتظر رجوع السائق من بيروت وكان قـد ذهب اليها ليحضر كاوتشوك وبقيت ثلاث ليال في ذلك الخان . آكل كل يوم رغيفا على قدر ما معي من الدراهم ، ولما حضر السائق ركبت السيارة حتىوصلنا بيروت وقتالغروب وانا عالم بأني سأقصد احـد عملائنا واذكر اسمـه الحـاج خضر الطرابلسي وبمجرد وصولي الى بيروت طلبت من السائق ان ينزلني عنـد سوق الخضرة ففعل ذلـك . وكان السوق في آخر شارع المعرض فدخلت السوق أسأل عن الحاج خضر الطرابلسي فقال من سألته : هذا سوق البيع بالمفرق اما الرجل فمحله قريب من النورية . ولما قلت لا اعرف سوق النورية وانا غريب ارسلوا معي ولداً دلني على محله لكن المحـل كان مقفلا ولكننا والحمد لله اجتمعنا به وهو واقف بعيدا عن الدكان ينتظر مرور الترام فلحقته وسلمت عليـه وبمجرد سلامي قال لي : ألست ابن سليم الشلاح قلت نعـم قال : أصلح الله امورك شغلت بالنا بهذه الغيبة وبكثرة سؤال والدك عنك وقد ابرقنـا مرارا الى حيفا نسأل عنك بنـاء على رغبة والدك .

ذهبت معـه الى الدار واغتسلت ولبست ثياب احد اولاده ونمت تلك الليلة وفي الصباح اخذني راساً الى المحطة واركبني القطار واوصى بي احد الركاب وهو عميـل يشتغل مع والدي اسمه خضر شاتيلا . وصلت محطة البرامكة وقت الغروب فوجدت احـد مستخدمي محل والدي بانتظاري ومعه كديش رهوان فركبت وراءه ووصلنـا الى الدار التي كانت العائلة انتقلت اليها اثنـاء غيابي وهي في السنجقدار وما أن دخلت الدار ووجدت عموم العائلة وطلبت يديّ والدي لاقبلهـا حتـى قا ل لي : الله لا كان جابك وبدأ بالبكاء .

كانت تلك الليلة ليلة سوداء لانها كلها تأنيب من والدي وطول السهرة يقول اما كان بامكانك ان ترسل تحريرا تذكر فيه ما جرى معك وبأي محل انت حتى نطمئن عنك ؟ لقد غبت عنـا شهراً كاملا دون ان نعلم اينمصيرك وبدانا نحسب معحادثة عبدالرحمن باشـا أنـه جرى لـك حادث .

هذه السفرة لهـا ذيول ما نسيها رحمة الله عليه حتى بعد عشـر سنوات حيث كان يقول كل مسـاء اكتب كام سطر لتحسـين خطك . فأقعد امامه لأبدأ الكتابة فيقول اكتب : (السيد محمد افندي بعد السلام عليكم نعرض واصلكم فركونين بطيخ ارقامها

كذا وكذا وبوالص شحنهم طيه نرجوكم اعطاء صافيهم الى ناقل الاحرف علي حلاوه وخذوا لنا بصافي القيمة شيك باسمنا وارسلوه بالبريد المضمون الى عنواننا الكائن في طول كرم رقم كذا . .) .

وما ان ينهي من كلامه حتى يقول الله لا يبارك لك اما كان بامكانك عندما اخذ حلاوه الفركونين البطيخ ان تكتب مثل هذا التحرير ؟ والسبب أن علي حلاوه اخذ ثمن شاحنتي البطيخ من مصر وبقي هناك وما عاد رجع بالمرة ، وكان الذي بذمته اكثر من ٢٥٠ جنيه مصري . والحقيقة ان الذنب ليس ذنبي لأن والدي هو الذي سلم المذكور الدراهم وائتمنه عليها وانا ما سافرت إلا لأرافق الشاحنات التي يشتريها وانني بمثل ذلك العمر لا اعرف اكتب مكتوبا ولا أعرف الاصول التجاري ولا يمكن لأحد في مثل عمري أن يقوم بمثل هذا العمل .

على ان والدي رحمه الله ما كان يمر يوم إلا ويذكر هذهالحادثة «ويعمل لي اللازم» من اجلها .

والــدي يمنحنــي ثقتـــه

غير أنني أحمد الله على توفيقي بأعمالي وفي حياتي الاجتماعية لأنها كلها مقرونة بفضله وكرمه بالتوفيق . ففي هذه الفترة من الاشغال بدأ والدي ينظر إليّ نظرة اعجاب وتقدير فقد لمس فرقا كبيرا بين خطتي وخطة شقيقي الاكبر محمد لأنه كان يتصرف كما يشاء دون استئذان ويشتري ما اراد لنفسه دون مشورته . أما انا فكنت على العكس من ذلك لا ادفع لأحد إلا بعد استشارته ولا اشتري لنفسي شيئا واكتفي بما يشتريه لي بيده . وكنت فطناً في البيع والشراء لانه كان لنا عملاء في بيروت يرسلون فواكه لبيعها لحسابهم كما يرسلون بضائعمنها لزملائنا لبيعها بالمصلحة، فكان الذي يبيع بالجملة عندنا موظف عند والدي اسمه أحمد دعدوش عمل عند والدي (٥٦) عاما . وقد كان رجلا بسيطا يبيع مثلا رطل البرتقال بستة قروش ونفس الصنف عند زملائنا يباع بزيادة قرش عنا ، ولما استلمت البيع والشراء كنت دائما ابيع زيادة عنهم مما اضطر العملاء لزيادة ما يوردونه لنا .

ما ان اطمئن والدي لمثابرتي على العمل ولجدي ونشاطي حتى سلمني مفاتيح

صندوق الحديد بعد أن كان يستلم مني ومن شقيقي قبلي الغلة التي نجمعها يومياً ويفحصها ويضعها في الصندوق . وكانت مهمتنا محصورة في جمع قيمة المبيعات من المشترين وتسليمها مساء كل يوم ولكن بعد أن سلمني مفاتيح الصندوق اصبح جميع القبض والصرف كثر أم قل بيدي ، ووالدي مشغول بالبناء والاشرافالجزئي على الاشغال . وبقي شقيقي المذكور يساعد والده واصبح عمل والدي التجاري بيدي ويآخر العام اجريت الجرد وكانت النتائج حسنة فقال والدي : عملت لك اجرة يومية قدرها مجيدي (أي ٢٥ غرش فضة) وكانت الليرة الذهبية تساوي ١٨٧ر٥ غرشا فضيا وسجل اسمي بيده في الدفتر كموظف وسجل عملي ابتداء من أول العام .

وفي احد الايام اضطررت لشراء حذاء وكانت قيمته مائة غرش وسجلت الثمن على حسابي فاطلع والدي على ذلك فقال : لماذا اشتريته ؟ اجبت لازم لي وقد قيدت الثمن على حسابي . قال أنا عملتلكذلك تشجيعا ، فقلت له أنا لا اريد اجرة ولا احتاج الى شيء ولن أشتري شيئا بدون مشورتك ، قلت هذا وشطبت اسمي من الدفتر . وبقيت على هذا الحال وكان ذلك في أواخر عام ١٩٢٣ .

زواجي المبكر

واذكر إننا في ذات مساء كان والدي جالسا ونحن حوله ومن الجملة خالتي زوجته ووالدتي فقال : بما أننا صار لنا مدة منتقلين الى هذه الدار فعلينا أن نعمل فرحاً بها .

قالت خالتي : زوّج ابنك بدر الدين . .

وقالت والدتي هذا عمره ١٤/١٥ عاما وبعده صغير الآن لا نزوجه يكفي زوّجنا شقيقه الاكبر محمد وهو صغير . وهنا انتهى الحديث بينهم .

وكانت الدار كبيرة جدا وقد اشتراها ونظفها واكمل بناءها وهي مؤلفة من (٢٢) محلا عدا فسحة كبيرة وليوان ، ويمر وسط الدار نهر ، وكان يريد أن يزوج جميع اولاده فيها ليكونوا تحت أنظاره عموماً . ولم تمض مدة قليلة حتى فاجأني في المحل بقوله : وكلني في عقد نكاحك ، فاحمر وجهي ولم أجب خجلا ، فأصر على الجواب

واضاف قل كما اقول وبدأ يردد : وكلني ان اعقد نكاحك على فلانة فوكلته . وفي المساء قصدت الدار ففهمت انهم خطبوا لي الآنسة اقبال ابنة الضابط المتقاعد امين بك التيناوي ، وعقدوا عقدة النكاح ودفع الوالد المهر وقدره (٥٠) ليرة عثمانية ذهبية ولم يمض وقت قليل حتى جرت حفلة الزفاف .

كانت حفلة التلبيسة كبيرة حضرها فريق من اعيان المدينة ووجوهها ومن جملتهم حمدي بك الشلق رئيس محكمة الاستئناف ويحيى بك الصواف رئيس البلدية وحمدي بك الجلاد مدير الشرطة وعبد الحميد باشا القلطقجي اللواء المتقاعد وغيرهم.

دهش الحاضرون لهذه المفاجأة وعجبوا كيف اقدم والدي على زواجي وانا في هذا العمر ؟ ومع ذلك ففي ثاني يوم الزفاف كنت على راس عملي قبل طلوع الشمس ذلك لأن العمل يتطلب منا الذهاب صباحا لبيع الخضار والفواكه التي لا تباع إلا في الصباح الباكر ، وهكذا مضى شهر العسل على راس العمل .

في السبعة الايام الاولى من شهر العسل اذكر اني كنت جالسا بالمحل وقد وصلتنا طلبية بزر قنب من احد زملائنا في حلب فقال لي والدي اذهب واشترها من مسجد الاقصاب واشحنها له وهذه عمولتها ليرتان ذهبية عسى أن نعوض قسماً مما دفعناه لكم من المهر .

ولم يمض بعد ذلك اسبوع إلا وحضر الى الدكان ومد يده الى جيبه وللحال شعرت بما يريد ، وانه يقصد مفاتيح الخزانة (صندوق الحديد) فقمت من وراء منضدة الكتابة التي بجانب الصندوق فجلس وراءها وطلب المفتاح متظاهرا انه يريد اخذ بعض الاوراق فقدمته له حالا وخرجت الى خارج المحل لحظة حتى لا يشعر بأني احسست بما يريد ثم رجعت فوجدته اقفل الصندوق ووضع المفتاح في جيبه فلم أسأله ولم اطلبه منه .

اخذ الوالد رحمه الله بعد ذلك في كل مساء يستلم الغلة كما كان يفعل في السابق دون ان يعلمني سبب اخذه المفاتيح ودون ان اسأله عن السبب غير انه صار يقول لي دائماً : يا ابني خذ شوية سكاكر ومعالج الى زوجتك . هذه ولد وتريد أن تتسلى او ادفع لها في الاسبوع مجيدي تفرح به فكنت اجيب دائماً : لا آخذ لها شيئا

ولا أدفع لها شيئا طالما أنها ساكنة بالدار ولها بسعر أسرة أهل الدار تأكل مما يأكلون وتلبس كما يلبسون . ولم يمض على ذلك غير شهرين حتى عاد فاعطاني المفاتيح ، ولم أساله عن سبب اخذها حتى ولا عن سبب ارجاعها الي . غير انني فسرت عمله بأنني تزوجت وانا صغير وسأدفع وسأشتري الى زوجتي ما تريد واتدهور ، وهذا لا يعرفه اذا لم يراقب الغلة ويستلمها ويستلم مفاتيح الصندوق فكان عمله امتحانا لي ..

كنت اقوم بالبيع والشراء وجمع الغلة وكتابة الحساب وجمع الصناديق الفارغة القريبة من محلنا فانقلها على كتفي والبعيدة انقلها على ظهر الدابة لاننا كنا ندور البلد يوميا من شرقها الى غربها ومن جنوبها الى شمالها نجمع الديون والصناديق الفارغة . وكنت أسمع من بعض ابناء زملائي : انظروا المعروف والده الميسور يجمع الصناديق ويحملها على كتفه وهذا شغل عامل ، وكنت أسمع هذا واتظاهر باني ما سمعت شيئاً .

التدخين

نشبت الثورة السورية فزادت اعمال محلنا زيادة كبيرة وتضاعفت أضعافا مضاعفة واخذ والدي يتردد على المحل أكثر مما كان يتردد وجدد نشاطه في عمله التجاري وكان لنا كثير من العملاء الفلاحين وكنت في صغري قبل ان استلم اعمل اتردد على المحل فيقول لي واحد منهم خذ تنباك وعبي نفس اركيله لفلان فأصدع بالامر واذا علت وانا احمل الاركيله أسحب شحطات منها فاعتدت على شرب التنباك ولكني ما كنت اتظاهر بشربه بل عندما يكون والدي خارج المحل ادخل الى مقهى صغير جانب المحل في الوكالة الجديدة التي بناها والدي وانتقلنا اليها عام ١٩٢٢ وأعمل نفس اركيله . وفي احد الايام ذهب والدي الى الغداء بالدار فدخلت المقهى وهيأت الاركيله وما أن قعدت وأمسكت النربيش بيدي حتى حضر والدي ، ولعله نسي غرضا فعاد ليأخذه ، فوقع نظره علي فأمسكني من يدي وبدأ يضربني بدون وعي اينما وقعت يده ويؤنبني ويقول : الله لا يكبرك مو ناقصك إلا اركيله ، احسن ما تشرب اركيله قوم نقل الدفاتر احسن ما نسهر لنصف الليالي واقعد حسن خطك الذي لا ينقبل .

التأنيب والقتل متواصلان والجيران مجتمعون ولم يقدر احد على منعه عني حتى حضر جار لنا يشتغل بالاخشاب اسمه أبو مصطفى ملص وهو رجل مسن ومحترم وكان يوميا يحضر لعندي يصرف ليرات ذهبية ليدفع لعماله وكان يسرّ مني وانا في هذا العمر وقائم بهذا العمل فأخذ والدي بالقوة الى جانب وقال : اما تخاف من الله يا أبو زكي ، ولدك وزوجته عيب ضربه أمام الناس .

هدأ روع والدي قليلا ثم عاد لتأنيبي ثانية وهو يقول : ما حرام عليك ؟ اقصد حسن خطك الذي هو مثل خربيش الدجاج . . . اليس لا تعرف تنشيء تحريراً ومن حق التاجر الذي تتعامل معه ان يضحك عليك وانت بهذا الانشاء وهذا الخط ؟

ثم تركني وانصرف الى الدار وهذا كان من حسن حظي لأني ابتدات اكتب يومياً ما لا يقل عن خمسين سطرا عندما اجد ان التحارير الواردة الينا من الخارج خطها حسن ، واستفدت من ذلك حيث تحسن خطي وانشائي نوعاً ما .

وبعد ذلك أبدلت الاركيلة بالسيكارة لانها اخف زحمة ولا يراها والدي . وثابرت على شرب السيكارة وكثيرا ما كان يحضر الوالد الى المحل وانا مشغول بالبيع ويرى السيكارة بيدي وهي في فمي فيقف بعيدا حتى تنتهي ثم يدخل ، واذا كنت جالساً في المكتبة كان قبل ان يدخل يسعل حتى اشعر بدخوله ، وكثيرا ما كنت افركها في يدي واضعها في جيبي وكثيرا ما احترقت جيبتي من ذلك .

وبمناسبة الاركيلة تذكرت حادثة وانا في السابعة من عمري فقد كان عندنا ضيف من الفلاحين واغلب الفلاحين الذي نتعامل معهم كانوا ينامون عند من يتعاملون معه لقلة الفنادق ، ولأن اللباقة ان لا يدع التاجر عميله الفلاح او التاجر ان ينزل في الفنادق .

كان ضيفنا العميل الفلاح يدخن اركيلة وكنت إمام الضيف فقال والدي قل لوالدتك ان تحضر الى ابو فارس اركيلة ، فأحضرتها وناولتني اياها وانا واقف على الدرج فأمسكتها من قلبها الخشبي فسقطت الزجاجة وانكسرت وسمع والدي صوت الكسر فضربني كفين ، قال هذه تمسك من الزجاجة وليس من القلب ، وكانت هذه الاركيلة عزيزة عليه لانها من زمن جدّي هي ورفيقتها من الجنس الممتاز الذي كان

يسمى (قلم طراش) من بين ثلاثين اركيلة موجودة عندنا بالـدار وهـي بمجموعتهـا تكفـي لمقهـى .

قبل أن ننتقل الى وكالتنا الجديدة التي بدأ في بنائها عـام ١٩٢٢ وانتهى بعضهـا عـام ١٩٢٣ نقل محلنـا الى الوكالة وبقي محلنا في خان الباشا فارغا وكان فروغ المحل في ذلك الوقت يساوي اكثر من (٥٠٠) ليرة عثمانية ذهبية فسلمه والدي الى رجـل يدعى محمود دعدوش بفروغ (١٠٠) ليرة فقط .

كان يشتغل عنـد والدي وكان نشيطا يعتمد عليـه والدي في كثير من الاشغـال ويحبـه حبا زائدا لأن والدي كان مغرما بالذكي النشيط وقد ترك محمود العمل مـن عنـد والدي واشتغل لوحده في دكان صغيرة ونجح بعمله .

سألت والدي ، كيف سلمت الدكان لمحمود واكتفيت بمائة ليرة فروغها ؟ فقـال هـذا زلمتنـا ونحن ربينـاه فنجاحه سرور لنـا .

ويوما من الايام وخلال الاسبوع الاول من استلام محمود الدكان وانا ابيـع رايت احـد زبائننا من فلاحي داريا فسألته اين البضاعة ؟ الم يبـدأ القطف ؟ قـال بلى . ولكني لا اعلم انكم انتقلتم فأنزلت بضاعتي في دكانكم القديم .

ثار غضبي من زلمتنـا الذي أراد والدي تنشيطه ومساعدته واراد هو ان يأخـذ زبائننا بدلا من أن يهديه الى محلنا الجديد ، فذهبت الى دكانه وأنا ثائر وعاتبته بلهجة قاسية فما كان منـه إلا ان شتمني وشتم والدي فرجعت الى المحل فرايت والـدي قد حضر فحكيت لـه ما جرى وقلت لـه انه شتمني وشتمك فكان جوابه : من الآن وصاعـداً إياك أن تنقـل لي شتيمـة تسمعهـا عني لأني مسامح كـل مـن يشتمني بحضـوري وبغيـابي .

نصـائح ابويـة مفيـدة

وقد علمني والدي اموراً عديدة منها ان لا اشتم احدا مهما كان السبب وان اتجنب الحدة في المناقشة واكون رقيقا في المعاملات التجارية ، إذ كنت حاد الطبع من صغري لا اريد ان يلعب عليّ احـد ولا احب ان العب على احـد وكـان بعض الزبائن يتلعبون

فكثير من المشترين يشتري كيس خيـار ويرجع بعـد ساعة وهو يريـد خصم بعض الثمن وهو يحمل سلاحا قويا لتنفيذ مأربه وهو : الشتم والكلام البذيء ، فاذا خصمنا لـه فهنـاك خمسون مثله من المشترين يريدون الخصم ، واما ان نتعالج معه ونسمع كلامـاً منـه غـير لائق .

فاذا كان والدي موجودا كانوا يخجلون من التمادي لما له من الوقار والمكانة .

في صباح يوم من رمضان وكان الحر شديدا والشغل كثيرا وكنت اشعر بضيـق صـدر لعـدم شرب السيكارة ، جاء أحد الزبائن واشترى ثلاثين صندوقا من الليمون الحامض وعـاد بعـد ساعة وأعـاد البضاعة فما قبلت ارجاعها لانه مضى وقت بيعها وستبقى الى اليوم التالي والوقت حر وليس هـاك برادات . تعالجت مـع الرجـل وتشاتمنا فحضر الوالد ونحن على هذه الحالة فـسأل أحد الجيران عن الشتائم ومـن ابتدأ بهـا فقال له : ابنك ، فقال للشاري ما دام ولدي البادىء فلك ملء الحق بشتمه وهذه كانت تربية لي من ذلك التاريخ بان لا اشتم احدا .

وفي يوم من الايام كانت عندنا طلبية ثوم الى عميل في بيروت اشتريتها من تاجرين من تجـار هذا الصنف ، الاول اشتريت منه بسعر ٦ر٥٠ والثاني بسعر ٧ ولم احضر فاتورة من البائعين بل أخذت الوزن على ورقة وحملت الثوم على سيارة وسجلت القيمة على العميل وقيدتها مجتمعة بسعر ٦ر٧٥ فـسألني والدي هـل احضرت الفاتورة ؟ قلت لا ، ولكنني احضرت الوزن . قال احضر الفاتورة فذهبت واحضرتها وحين اطلاع والدي عليها مزق الفاتورة التي عملتها الـى العميل طالب البضاعـة في بيروت وكـان عنوانه (خطيب وجارودي) حيث يتوجب ارفـاق الفاتورة مع السيارة حتى يعرف التاجر رأسماله ويصرف البضاعة على بينـة ولما سألته لماذا مزق الفاتورة والسيـارة منتظرة التحرير والفاتورة تحتمل ساعة عمل اخرى قال انـني صرفت جهـداً لأعمل اسما محترما وانت تريد خرابه بيوم واحد ؟ ودهشت وانـا أسأله : ما هـو العمل الذي عملتـه ؟ أفـاد ان الواجب يقضي عليك بأن تذكر بالفاتورة كل شروة من الثوم بوزنها وسعرها لوحدها . قلت لـه : ان الفرق بسيط لا يذكر ، قال ولو كـان غرشا واحـدا فاذا حضر يوما من الايام هـذا العميل وسألك من اي محل اشتريت البضاعة لـه البضاعة وذهب لسؤاله وكان الفرق غرشا واحدا فانه يدخل عليه الشك ولا يثق

في عملــك . وهــذه الحادثة كانت كافيــة لأن اكون دقيقاً في عملي وكانت هي واحدة من اسبــاب نجــاحي .

مضى عــام ونصف على زواجي من اقبال التيناوي وكانت صغيرة السن عمرهــا (١٢) سنة وعمري خمسة عشر عاما وكانت لا تحسن ارضــاء خالتي ووالدتي في آن واحــد خصوصا وان الدار كبيرة كما ذكرت تحوي على ٢٢ غرفة وتحتاج الى خدمة ، ولم تكن عندنا خادمة بل كان التعاون بين الجميع ومنهن زوجة أخي الكبير محمــد ، ولكن يظل يحصل شجار متواصل . ونبهت على زوجتي لكي تكون في معيــة والدتي اكثر من خالتي . وذهبت يوما الى دار والدها وكان لها خالة ايضا زوجةوالدها وهؤلاء الخالات اكثرهن من مسلك واحــد فأبقتها عندها بالدار ولم ترسلها في المساء وبقيت خمســة ايــام لم تحضر ولما سألنا عن السبب افادوا لا يمكن ارسال ابنتهم لتعيش بين هــذا الجمع . وبلــغ والدي ما قلت لهــا فاغتاظ والدي لخالتي ولم يمض شهر إلا وطلب اهل زوجتي الفراق وقد تم ذلك وحضروا الدار واستلموا جميع اغراضها حتى بعض اقمشة كانت مشتراة لها ولم تخيط وقبضوا المتأخر والبالغ خمســة وعشرين ليرة ذهبية ، وقال والدي ان الشرع يقضي بأن تستلم وتقبض جميع حقوقها . ولــم يمض شهر إلا وشعرت بالندامة على هــذا الفراق خصوصا بعد أن بلغني انها لحقت النســاء واصبحت على غاية من الطول والجمال وليس بامكاني مفاتحة والدي بهذا الأمر ممــا اضطرني لارسال والدتي لطلب ارجاعها ولكن مع الاسف رفضوا لانهــا كانــت مخطوبة الى رجل آخر متزوج ولــه اولاد . وهكذا انقطــع النصيب منهــا ولــم تكن تنجب اي ولد ومضى عام واصبح والدي يخشى تأخري في المحل مما دعــاه لأن يكلفهم بالخطوبة لي . وكان يوجد قريبة لخالتي وقريبــة الى والدي ايضــا احضروها الــى الدار لأجل ننظرهــا بدون أن تعلم وكان من العسير جدا أن يعرف الرجــل خطيبتــه ولا يمكن أن يسمح لــه برؤيتها خصوصا وكان الحجاب للمرأة عاماً . وكانت شقراء ذات بشرة بيضاء ، غير انني لم اقبلها لقرابتها من خالتي وحتى لا تكون معهــا وتترك والدتي لوحدها . وقــد سعت خالتي جهدها لاتمــام هــذا القران منهــا ولكن دون جدوى . وبعدها كان لها قريبة اخرى ولها بنت احضروها للدار وكانت طويلة وصحتها نحيفة واميل الى السمار من البياض وكانت لي جدة أم والدتي وهي امرأة من اهــل الصلاح وتعتقد على المشايخ اخذتني الى عند شيخ اسمه الفحل ، داره بسوق ساروجة

وطلبت منـــه عمل فال فأخذ اسم البنت ووالدتها واسمي ووالدي وبدأ يحسب على ورقـــة امامه ، وبعد ان انتهى كان جوابه أن هذا الزواج موفق من جميع النواحي . وهكذا تمت (الاستخارة) فقد طلبوها من والدتها ، فوافقت على شرط انهـا لا تأخـذ اي نقـد اسمــه المهر ، وعلينا ان نكسوها نحن ونشتري لهـا لوازمها الضرورية لأن حالة زوجها كانت متأخرة وليس بامكانهم أن يضعوا لهـا قرشا واحـدا . وكان لهـا شقيقة اكبر منها متزوجة من رجل يدعى حمدان عرفة في قطنا ، وعندما بلغها الخطوبة مانعت واخذتها الى قطنـا وابقتها ما ينوف على اكثر مــن شهر ووالدتها ترسل لهـا اخبـار لارسالها وهي تمانع والسبب في ذلك برايي حسدا منها حيث كان والدي لــه سمعة كبيرة بالشام فكيف يكون لهـا هـذا النصيب وهـذا الحظ ؟ وبعدهـا تمت الخطوبة وتم عقد القران والزواج بدون اية حفلــة حتى انني اذكر أنه لم يكن عنـدي البســة جديدة لتلك الليلة وقد استعرنا (قنبازاً) من اجل حفلة العرس .

عـودة الـى مسألـة تعليمنـا

قلت فيما مضى انني كنت في المدرسة من المتفوقين ، وكان شقيقي الاكبر محمـد قد حملني على ترك الدراسة والتفرغ للعمل بقوله ان المحل في حاجـة اليّ في حـين كان شقيقاي أنــور ورشاد مستمرين في تلقي العلوم ، وقد انتقلا الى مدرسة اللاييك الفرنسيـة التيكان مستوى التعليم فيها عالياً . وتحت الحاح شقيقي محمد تركت التعليم وهـذا هـو الشيء الوحيد الذي ندمت عليه ندما شديدا فيما بعد ، رغـم أن تمرسي في حياةالعمل اغناني عن الشهادات العالية . وقد كان دخول اخويّ الشقيقين الى مدرسة اللاييك وبتشجيع من احد اصدقاء والدي المرحـوم حمدي بـك الشلق الذي كان يشغل مناصب كبيرة في القضاء ، وكانت له شهرة كبيرة في الوسط الشعبي والحكومي لأن هذه المدرسة تأخذ اقساطا كبيرة .

وكانت لا زالت عند المسلمين فكرة بأن يكتفوا بتعليم ابنائهم القراءة والكتابة فقط وهذا اقصى ما يطلبونه لأنه مضت قرون على الشرق والعرب في تأخر من الحكمالتركي الذي كان في اواخر عهدهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين في تدهـور مستمر ، ولا يمضي وقت إلا ويقتطع جزء من اراضي الدولـة العثمانية الـى الدول الاخرى ، والملوك منغمسة بالعظمة والجواري . وكـان الغرب ينظـم شعوبه ويفتـح

الجامعات ويزيد منها في جميع العلوم ، وكنت اسمع من والدي انــه كان هنــاك كاتب يهودي يتجول في الاسواق التجارية بدمشق ويمسك دفاتر عدة محلات تجارية بسبب ما ذكرت من قلــة التعليم . وفي هــذا العام رسب شقيقي شفيق في الصف السابـع وقد اثــار زعل والدي وبعد رجــاء طويل قبل ارجاعه للمدرسة وكذلك قبل ادخاله بمدرسة اللاييك ، غير ان شقيقي لم يقبل دخوله المدرسة رغم كل محاولتي واقناعي له بعــد ان لمست غلطتي بتركي المدرســة وبعــد ان اصبحت ادرك بعض الشيء ضرورة العلم . وهكذا بقي هو الأخ الثالث الذي لم يكمل تحصيله .

شفيــق يلتحــق بالثــورة !

وكان شفيق في يوم من الايام يلعب الورق في مقهى صغير في وكالتنا الكائنة بشارع الملك فيصل وكان اسمه خان الباشا وهو الذي يحوي محلات بيع الخضر والفواكه ، ولما دخل والده المحل وشى عليه احدهم لوالده بأنه يلعب الورق بالمقهى فما كان من والده إلا ان سحبه من المقهى لينزل به ضربا ولكما بيديه وكراسي المقهى امام جمع غفــير من الناس . وفي صباح اليوم التالي لهذا الحادث كــان شفيق موفرا ليرتــين ذهب فأخذهما وترك الدار وذهب للفوطة ليلحق بالثوار وكان عمره لا يتجاوز ١٥ عاما. وقد اثار ذلك غضب والده ، واما والدته فكانت تلح وتندب لارجاعه ولكن كيف الوصول اليــه ؟ غير انه عندما دخل الى قيادة الثورة في احدى قرى الغوطة ظنوا انه جاسوس اولا ولما علموا بأنه ابن سليم الشلاح ارسلوا ورقة لوالده يطلبون مائة ليرة ذهبية لقاء ارجاعه وعندما استلم والده الورقة كان جوابه انني ادفع المبلغ عندما يأتيني خبره ولمن يحضر راســه . وكان لنــا صديق في برزة يدعى غازي ارسلت له خبرا وكان زعيم برزة للثوار رجل يدعى أبو محي الدين شعبان ، واشترينا له هدية وارسلناها مــع غــازي ولم يمض يوم بعد ارسال الهدية إلا وقد احضره الى برزة وهي قريبة من حي الاكراد وحضر للشام وادخلناه الدار دون ان نعلم والده بذلك ، ولما قلنا لوالده اننا سنحضر اخي شفيق قال ليس له دخول للدار مطلقا وقد سعينا كــل ما في وسعنــا لاقناعــه بالعفــو عنــه .

حريق السنجقدار

وفي هذا العام خطبوا له زوجته التي تكبره باكثر من خمسة اعوام دون ان يعلم ودون ان ياخذوا رايه ، وقد تم العقد والفرح ، ولم يمض وقت إلا وقد احترق حي السنجقدار بكامله رغم كل المساعي التي بذلت من قبل الجيش والاطفاء واحضار مصلحة اطفاء بيروت حيث كان البناء كله من خشب ودهان زياتي ، وكانت هذه المنطقة احسن منطقة في دمشق وكانت دارنا في هذه المنطقة ، وبما ان النار صارت قريبة منها فقد اضطررنا الى نقل جميع الموجودات في الدار بعد ان وضعنا جسرا خشبيا على نهر باناياس الذي يفصل الدار من الجهة الجنوبية عن شارع جمال باشا ومنها الى وكالتنا بخان الباشا . ومضى الليل بطوله والمطافىء تشتغل حتى وقفت النار عند دارنا وبدانا ثاني يوم بارجاع موجودات الدار ووجدنا بعض اشياء مفقودة مثل اراكيل قديمة كانت لجدنا المرحوم رشيد الشلاح وكذلك بعض الكازات التي كانوا يستعملونها قبل وجود التيار الكهربائي . وعندما اردت السؤال عنها وكان والدنا جالسا كان جواب خالتنا ان قالت انا بعتهم وسأبيع ما يطيب لي وليس لأحد منكم ان يتكلم . وكان كل منا مغتاظا من سلوكها مع والدتنا وسيطرتها على والدنا ، غير اننا لا نعلم اسباب سيطرتها . وكان جواب والدي اذا كنتم غير مسرورين منا فبامكانكم اخذ والدتكم لتسكنوا معها في دار كانت له واقعة في عين الكرش . وكان جوابنا بالقبول ، ولما طلبنا اليه ثاني يوم تنفيذ ذلك قال لا يمكنه ان يعطينا تلك الدار لانها كانت تؤجر سنويا بمبلغ خمسين ليرة ذهبية افرنسية وكان له دار اخرى واقعة في زقاق العناتبة ، وهي دار علوية مؤلفة من ثلاث غرف وبناؤها قديم والفارق كبير بينها وبين دار عين الكرش التي تحتوي على عدة محلات وحديقة كبيرة وكذلك بينها وبين الدار التي نقطنها في السنجقدار والمؤلفة من ٢٢ غرفة . ولكننا اتفقنا نحن الاخوة جميعا على ترك الدار الكبيرة وقبول السكن في دار صغيرة . ولما علم بموافقتنا كان زعلان كثيرا ، وارسلنا الحريم لتنظيف الدار واحتملت يومين ، ولما باشرنا نقل الاغراض كان واقفا ليرى كل شيء ينقل ، في الوقت الذي ما كان لنا شيء خصوصا وان زوجتي لا تملك سوى الفراش واللحاف اللذين ننام عليهما ، واخذنا سجادة صغيرة فما كان منه الا ان ارجعها وقال لا يمكنني ان افرغ داري ، ولكنه

اعطاتنا قطعة بساط قديم ، ولم يعطنا من أواني المطبخ سوى بضعة صحون مشكلة واغلبها منقورة ومكسرة وطبق مبخوش . وهكذا سكن اخي شفيق بغرفة مع زوجته وطقم كنبات عائد لها ، وانا في غرفة ووالدتي في غرفة ومعها ابنها رشاد ، وكان اخي انور يدرس في الجامعة الاميركية . واما شقيقي الاكبر محمد وبعد ان كان صاحب الفكرة بالسكنى لوحدنا فقد بقي عند والده لان زوجته لم تقبل معه .

تخصيصنا بمحل مستقل

ولم يمض على ذلك ثلاثة ايام حتى بدا والدي يجرد الدفاتر وطلب الينا ان نختار احد امرين الاول ان يترك راسمال للمحل الف ليرة ذهبية وتكون نتيجة الارباح مناصفة بيننا وبينه ، والثاني ان يترك لنا خمسمائة ليرة ذهبية والنتائج لنا خاصة على ان يسامحنا باجرة الدار والمحل لقاء مصروفنا على اخينا رشاد ووالدتنا ، وكان الحلان لا يوافقاننا لأن راسمال المحل كان ٤٨٢٦ ليرة ذهبية ونتائج الراسمال الجديد لا يعمل حركة بالعمل خصوصا وان مصلحتنا خزن اصناف الفواكه المجففة وتسليف الفلاحين للضمان . وبقينا ثلاثة ايام ونحن نرجوه تعديل ذلك فلم يقبل ولا بشكل من الاشكال مما اضطرني لمقابلة صديقه الحميم حمدي بك الشاق للتوسط ، وقد حضر رحمة الله عليه الى المحل واختلى معه في المحل وبعدها دخلت وكان الموقف لم يتبدل والجواب كالسابق ، وعند خروج حمدي بك من المحل قال لي اخطأتم في تركّكم والدكم لوحده في هذه الدار الكبيرة وان والدكم عندما قال اسكنوا وحدكم كان يمزح وما كان يتأمل ان تنفذوها ، وعندما دخلت على والدي وقلت له ان عموم الناس تأخذ رايك وترشدهم لكل خير ونحن اولادك ونريد ان تختار ما تريد فكان جوابه : انني اخترت لكم اخذ خمسمائة ليرة عثمانية ذهب راسمال وتشتغلون بها مستقلين بالخضر والفواكه وانا اختص بالاصناف المجففة فكان جوابي بالقبول . وانتقى قائمة من الديون على الفلاحين بلغت ٦١١ ليرة عثمانية ذهبية وعمل علينا سند دين بمبلغ خمسمائة ليرة عثمانية ووقعنا عليه انا وشقيقي شفيق وكان الشاهدان الاول خالي فهمي والثاني الحاج عبد الرحمن العريسي احد عملائنا القدامى في بيروت والصديق العزيز لوالدنا رحمهم الله . وبدانا نشتغل ولكن الشغل كان بطيئا لعدم وجود مواسم من ناحية ومن ناحية اخرى عدم توزيع دراهم على الفلاحين لعدم وجود نقدية ، لأن المبلغ الذي خصمه

لنـا كان ديونا وأغلبها هالكة ومن أصلها قيمة موجودات المحل من الميزان الكبير والبهيم والحمار والشوالات الفارغة والشلف والصناديق ومن أصل الرأسمال قيمة نجـاص مخزون وقد خسر أكثر من نصف القيمـة المقررة علينا . وعلى ظني انـه لـم يدخل علينـا من هـذا المبلغ اي من الراسمال البالغ ٥٠٠ ثلثـه والباقي كان هوالك . وكان تجمع لنـا قيمـة بضائع في بيروت مبلغ ومرادنا سحبه عن طريق البنك لكي نسـدد أصحاب البضاعة فطلبنـا منـه أن يوافق على الاذاعة التجارية لنتمكن مـن التوقيع فلم يقبل الا أن نسدده ١١١ ليرة عثمانية الزائدة عن الرأسمال المخصص ، فطلبنا اليه أخذ النجاص الذي خسر لحسابه أو اخذ بعض الديون فلم يقبل .

ان كل هـذه الشدة التي استعملها معنا أعطتني درسا لأن أكون طائعا لـه بـكل شيء ، وسددناه مطلوبه ومسك ورقة وكتب العبارة الآتية وهي بمثابة اذاعة تجارية : (بناء على رغبة والدنا سليم الشلاح فقد اسسنا محلا تجاريا لتعاطي أعمال التجـارة والكومسيون تحت عنوان بدر الدين وشفيق الشلاح فنرجو ان تمنحونا ثقتكم وبأدناه تواقيعنـا) وقال اطبعوها ووزعوها وهكذا تـم طبعها وتوزيعها وأصبـح لنـا اسـم مستقل ولكن أين شهرتنا من شهرة والدنـا ، ولم يمضي شهر إلا وعملنا تقويم وكـان الزائد معنـا أرباح ٣١ ليرة ذهبية مما شجعنا على النشاط وحضر والدنا وسألني هل وضحت حصتك من اخيك ؟ فقلت له اي حصة فالعمل شراكة وهي مناصفة . فقـال من الضروري أن تعمل الثلثين لك والثلث لأخيك (لأنه كان يعلم ان خبرتي في العمـل مضى عليها ٨ سنوات بينما لم يمض على خبرة شقيقي شفيق سوى سنة واحـدة) . ودهشت لقولـه وجاوبته وهل يكون فرق بين أخ واخيه ؟ وهل يجـوز لي ان اكـون أزوَد منـه ؟ فسكت وقال افعل ما تريد . وعـاد بعد ثلاثة أيـام وقال كيف سيكون مصروفكما ؟ فقلت لـه مناصفة وقال ان ذلك خطأ : وليكن مصروف الاكل شراكة وأما المصروف الخاص من كسوة وغيرها على أساس أن كل واحد يسجل مـا يستجره . ولكن كان جوابي ان كل شيء مناصفة وسوف نمشّي زوجاتنا بشكل واحد . اجـاب ان هـذا يأتي لكم بمتاعب ، فقلت لـه طالمـا النوايا طيبـة والاخلاص موجود ورضاك علينـا سوف لا يحصل شيء . وهكذا بقينـا الى يومنا هـذا ، فاذا كان الصنـدوق بيـد شقيقي فهو الذي يتولى الدفع الى زوجتي وزوجته وأنا لا أدفع شيئا واذا كـان الصندوق بيدي فأنـا ادفع وهو لا يدفع شيئا .

المساواة في كل شيء

وكان مضى على زواجي اكثر من خمس سنوات ولم انجب اولادا ولم يمض على زواج شقيقي شهر إلا وحملت زوجته وحملت ايضا زوجتي ورزقنا الله بنتين وذلك بشهر واحد وبعدها بعام ولدين هما موفق وراتب . وهكذا كلما يأتي له بولد يأتي لي مقابله واحد كان هناك اتفاقا روحيا . ولم يمض ستة أشهر الا وطلب أبي الدفاتر واخذها للدار وطلب مني عمل تقويم للمحل فكانت الارباح ما يقارب المائة ليرة عثمانية ذهبا وهذه نتيجة حسنة بالنسبة لتلك الظروف والتي كانت ابتداء للأزمة السورية المعروفة والتي كانت ازمة عالمية واستمرت منذ عام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٣٦ . وكان يود أن لا تكون هذه النتيجة بل يكون عكسها لكي نرجع عن فكرنا ونرجع لعنده للدار لأن خروجنا من الدار كانت صدمة له حيث بقي في هذه الدار الكبيرة وهي فارغة ، وسبق أن تحمل مشقة ثلاثة أعوام وهو يبني بها ومراده اسكان جميع اولاده معه وتزويجهم في هذه الدار ، ولم يكن يقصد من قوله أن نسكن لوحدنا سوى أن تسكن والدتنا او انها تسكن عند خالنا فهمي وكان يريد أن يتخلص منها من كثرة ما حصل له من تعب منها بمناسبة زواجه من خالتي .

وأراد أن يطلب اجرة للدكان التي نشغلها ولكن كيف يمكنه هذا الطلب مباشرة وهذا امر متفق عليه سلفا ؟ فما كان منه الا أن طلب اخلاء الدكان وكنت أفتكر انه يمزح ولكنه بقي مصرا وكل يوم يراجعنا عدة مرات بأن نسلمه الدكان التي هي ضمن وكالته ولا يوجد في السوق محل فارغ نستأجره ولا يمكن لأحد من السوق ان يقبل يترك محله حتى ولو كان فروغ المحل الف ليرة ذهبية وكلما نسأله كيف ذلك ؟ يقول لا اعرف . وبقينا على هذا الالحاح ما يقارب من عشرة ايام واصبحت ضائعا لا اعرف ماذا أصنع حيث لا يمكنني مجابهته برضائه وليس لي إلا أفش قلبي بالبكاء كلما تمكنت من الانفراد بنفسي . ثم قال بامكانكم الاتفاق مع احد المستأجرين عنده وسمى لنا رجلا يدعى ديب الواوي وكان محله سابقا في مأذنة الشحم فقلنا له كيف ذلك وهل تريد أن تضع اسم الشلاح مع اسم الواوي ؟ قال لا اعرف ، انا أطلب المحل . وفي يوم من الايام وجدني بالمحل ابكي بكاء شديدا ، قال لي لأي شيء هذا البكاء ؟ قلت له من طلبك الذي لا اتمكن من تنفيذه فاذا كان يرضيك ان نتفق مع

الواوي شراكة ونقرن اسمك باسمه فاننا مستعدان للتنفيذ ، واذا كان يرضيك نترك المحل فنحن مستعدان للتنفيذ وغاية ما نطلبه رضاك ، فما كان منه إلا أن قال ادفعوا لي خمسين ليرة ذهبية سنويا اجرة الدكان (وغايته كما قلت أن لا يتجمع معنا مال ونرجع لعنده) وكان جوابي على هذا الطلب الموافقة طالما هي ارادتك ، واصبح يقبض اجرة الدكان خمسين ليرة عثمانية بينما لا تساوي اكثر من خمس عشرة ليرة ذهبية مقارنة مع امثالها من المحلات المؤجرة للغير . وكان يسجل علينا جميع اجرة المحلات المؤجرة للغير وعلينا أن نحصلها منهم وبدون مقابل . وكذلك كانت اذا دخلت سيارة الوكالة تدفع ربع مجيدي دخولية فكان علينا تحصيلها وتسجيلها له واذا مضى آخر العام وكان مديناً لنا بمبالغ قيمة قمر الدين يشتريه منا نراه مسددا وزائدا علينا ، ونحن لا نراجعه في أي مسألة .

حادثة غريبة

وفي عام ١٩٣٠ على ما اذكر كانت هناك سيارة برتقال بالوكالة ليلا وكان ناطور الخاناتي جارنا سرق منها فما كان من ناطور الوكالة الا ان احضر الشرطة وامسكه وسلمه للشرطة وحكم عليه بسبعة ايام سجن . ولم تمض فترة الا وكان موسم الزيارة الى السيدة زينب في قرية الست ، وهذا الموسم يحضر الكثير من الشيعة من لبنان واكثرهم قرويون ينامون في الخان الذي بجوارنا وكانت سطوح الوكالة كلها اسمنت وسطوح الخان من طين والوقت حار وعموم القرويين ينامون على السطوح ونبهنا مرارا على ناطور الخان ان لا يدعهم ينامون على سطحنا حتى لا يخرب الاسمنت وتدلف المحلات ولكن في هذه الليلة كانوا كلهم نائمين على سطحنا مما دعانا ان نصرخ عليهم بالذهاب الى سطح الخان . وكنا في هذا العام نقلنا سكننا من دار العناتبة التي كانت شراكة فيما بين والدي وعماتي وبيعت الى خالنا فهمي الى دار يملكها الوالد وهي عبارة عن ٣ غرف مفروزة من الوكالة ولها باب من الوكالة وباب آخر من زقاق المغاني الذي كانت سمعته الادبية سيئة جدا ، وباب الوكالة ايضا كله مجمع للمتعيشة والقرويين . ولكن ماذا نعمل وليس بامكاننا مشترى دار وهذه هي ارادة والدنا .

ثم لم يتم صراخنا على من كان على سطح الوكالة الا وسقطت من ارتفاع طابقين امراة مسنة لا يقل عمرها عن ٧٥ عاما وماتت لفورها وكان الوقت بعد العشاء مما دعاني لأتوجه لعند والدي واقص عليه ما جرى وكان شقيقي أنور جالسا يقرأ احدى الصحف لوالده ، ولما همّ والدي بالذهاب معي قال له أنور انا سأذهب وليته لم يذهب فقد سبب ذلك ورطة له ولنا . فلما حضرنا الوكالة وجدنا الشرطة والطبيب الشرعي ، ودخل اخي يسأل عن الخبر فما كان من ناطور الخان جارنا إلا ان قال أولاد الشلاح رموها وهذا هو احدهم وشهد جميع من معها على ذلك وأمسكه الشرطة واخذوه للدائرة ورجعت اقص الخبر على والدي الذي زعل من تداخله وذهب ليلا الى عند حمدي بك الشلق الذي كان رئيسا لمحكمة الاستئناف بالعدلية لمشورته وكان جوابه ان أبقى انا متغيبا للصباح ، واذا القي القبض عليّ ان اعطي الافادة الصحيحة والتي بها النجاة لأن الصوت الذي صرخناه كان السبب في سقوط المراة والقانون يعاقب عليه غير انها تبقى جنحة بدلا من الجناية . وفي اليوم التالي مسكتني الشرطة وكانت تسمى دائرة البوليس من عهد الاتراك واحلنا الى العدلية التي قررت الجناية وحولتنا الى السجن بالقلعة ، وكان مراد الدركي وضع الغلّ بأيدينا ، غير ان اخي انور تشاجر معه ولم يقبل كيف ذلك وهو البريء ؟ وكان والدي بأعلى الدائرة وسمع صوت أخي انور ، وعندها نزل المدعي العام السيد خليل بك رفعت الذي كان له مركز كبير ويشغل منصب نائب عام في القضاء وطلب الى الدركي (حيث كانت تابعة للدرك) ان يأخذنا الى السجن بالعربة بدون غلّ وعلى مسؤوليته ووصلنا السجن . وكان مديرا له السيد حسام الدين الصلاحي الذي استقبلنا ببشاشة واجلسنا عنده في الغرفة يهدئنا ، وكان قد كلمه رئيس الدولة آنذاك المرحوم الشيخ تاج الدين الحسني والسيد خليل بك رفعت النائب العام بأن يضعنا في احدى الغرف التابعة للادارة . وبقينا ثلاثة أيام ونحن نتجول ضمن السجن الى ان تم استئناف القرار واعتبرت القضية جنحة ، وقد كان الفضل الى السيد توفيق بيضون الذي كان من وجوه الشيعة بدمشق وكان أخا ماسونيا لوالدي حيث دفع الى اهل المراة خمسا وسبعين ليرة ذهبية لكي يرجعوا عن افادتهم الاولى التي كانت بناء على طلب ناطور الخان ويتنازلوا عن حقهم الشخصي . وبعد مدة جرت المحاكمة وكان بعض الشهود الذين حضروا قالوا في شهاداتهم بانني مسكت يد قريبة المراة واخي انور هو الذي دفع

بها الى الارض ، وتأجلت المحاكمة وكان رئيس المحكمة الاستاذ صلاح الدين الخطيب وكان مشهورا بشدته ، وقابل حمدي بك الشلق وقال له ان هذه الدعوى جناية وسأحيلها للجنايات ، وبهذا لا يجوز لنا ان نكون طليقين لأن الدعوى الجنائية لا يقبل بها كفالة ، فأقنعه حمدي بك الشلق وقال اذا كان هذا الولد فعلا فعل ذلك فأكون انا الفاعل حتى قنع . وبالجلسة الاخيرة وبعد الاخذ والرد بين رئيس المحكمة وبين النائب العام خليل رفعت وحمدي الشلق تم الاتفاق على اصدار حكم علي ثلاثة اشهر وعلى اخي بالبراءة لانه لا يمكن براءتنا نحن الاثنين امام الرأي العام ، حيث اول يوم جرى الحادث بدات الصحف تنشر الخبر بالخط العريض وبالعنوان البارز (أبناء الشلاح يقتلون امراة . . .) .

وكان وكيلنا الاستاذ زكي الخطيب الذي شغل مناصب وزارية قد زار الاستاذ خليل رفعت ، وفي المقابلة قال له خليل بك : الحمد لله الذي تمت النتيجة في هذا الحكم ومدة الحبس ٣ اشهر بالامكان استبدالها بقرار من الرئيس الشيخ تاج الدين الحسني . إلا أن الوكيل الاستاذ زكي الخطيب لم يقبل الا ان يستأنف الحكم ، وكانت المحكمة برئاسة رامز الشريف وعضوية الاساتذة عبد الرزاق عابدين وجميل سنو ، وتعين موعد للمحاكمة وقدم الاستاذ زكي الخطيب دفاعا مطولا واتى على حادثة مماثلة في فرنسا حيث كانت الشهادات وهذا الاتهام لأخذ تعويض كبير طالما والدهم في هذا الفني وهذه السمعة . واختلت المحكمة بغرفة داخلية وخرجت وقرات القرار الذي قضى بالبراءة . حاولنا دفع مبلغ للمحامي المذكور ولكنه لم يقبل اي مبلغ رحمه الله ورحم الله تلك الصداقات كانت خالصة لوجه الله . وعندها حضر السيد حمدي الشلق لعند والدنا بالدار وقال لي احمد الله تعالى الذي جعلك ابن سليم الشلاح وبجاهه توفقنا للبراءة .

الفصل الثاني

الحياة بين الماضي والحاضر

(صور وتكاليف)

لا تكتمل صورة الزمان الـذي شهدته وتحدثت عنـه إلا اذا عدت فذكرت ملامح الحيـاة التي كنـا نعيشها بكل تفاصيلها ، وهذا يجعل هذه المذكرات تعطي ثمرتهـا المرجوة وهي المساهمة في تاريخ حيـاة بلادنا في هذه الحقبة او هذا القرن العشرين ، واعطاء الجيل الحاضر (أواخر الثمانينات) والأجيال التي بعده ، معلومات عن الحيـاة بتفاصيلها وتطورها منـذ مطلع هذا القرن . وانا أعرف ان آخرين نهضوا بهذا العبء كلاً حسب ما أتذكر ، وانا في هذه الذكريات اكمل الصورة حتى يستطيع المتتبـع في الحاضر والمستقبل ان يلم بكل اطراف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في هذا القطر ومنـذ بداية القرن العشرين . واذا كنت تحدثت وأتحدث في هذه المذكرات عن نفسي وعائلتي وطائفة من الأعمال التي قمت بها او شاركت فيها فان ذلـك نابع مـن الرغبة في ان اعطي صورة عن حياة رجل عربي دمشقي رافق القرن العشرين منذ بدايته ، ورأى تبدل الحكومات والعهود والاوضاع والطباع والعادات . واذا كنت قد أسهبت بعض الشيء في الاحاديث الشخصية والحميمة فلكي أعطي مثـالا على تفكير انسان في عمري تفاعل مع المحيط والمجتمع ولم يرفض التطور ، فهذا يفيـد الجيل الجديد والاجيال القادمة .

وكذلـك رسائلي التـي تبادلتهـا مـع النـاس والاقـارب فهـي مظهـر مـن التفاعل والتعاطي في هذه الفترة ، وكذلك الرحلات لأنهـا تمثـل صـورة عالم القرن العشرين في عين عربي لـه نمط معين من التفكير وهـو القائم على الاعتزاز بتاريخنـا وعقيدتنا مـع قبـول التطور والاستفادة من كل المستجدات .

اذن فهذه قصة التطور وصورته اتابعها بمقدار ما استطيعه من إيجاز يقودني اليه علمي بأن رجال هذه الأيام ليس عندهم الوقت للمطولات .

أما الخطابات والكتابات التي تشرح عقيدتي في الاقتصاد الوطني وتمثـل صـورة نشاطي في الحقل العام ، فلسوف اوردها بما أمكن من الاجتزاء المفيد والاختصار الوافي

بالغرض لتكـون المرآة لعملي في الشؤون الاقتصادية والمناصب التـي شرفني زملائي بتوليها ، جزاهم الله عني خير الجزاء وجعلني ممن ينفعون الناس .

كيـف كنـا وكيـف صرنـا

لو سأل سائل احد شبابنا اليوم : ماذا تعرف عن بلادنا كيف كانت وكيف صارت ، في حين تدور عجلة الزمان وتطوي السنين ؟ ربمـا اعوزه الجواب واعجزه .

اذن فيفيدنا ان نعـود الـى الوراء ، الى مطلـع القرن العشرين ونستعرض كيف كانت الحيـاة وكيف تطورت وما ادى اليه هذا التطور مـن انقراض عادات واختفـاء ثمـار وزروع .

ولنسرح مع الذكريات ، بأفراحها واشجانها ، الى أقصى ما نستطيـع ، لنقـارن الماضي مـع ما نراه الآن من رفـاه يتجاور مع الضيق والصعوبات ...
ولأترك هـذه الذاكـرة تمشي في منعرجـات المـاضي كمـا تريد ، والقـارىء يعيـد الترتيب ! ...

وصف حي مـن احيـاء دمشق

في عـام ١٩٢٠ ، وكـان عمري خمس عشرة ، اتذكر مدرسـة (نموذج المرجـه) كانت في جانب التكية السليمانية وجامع السلطان سليم ، وكان مديرهـا كمـا ذكرت المرحوم سعيد افندي مراد وكان فيها معلم اللغة الفرنسية الاستاذ توفيق افرام ومعلم للرياضة اسمه الاستاذ صلاح الدين ولا اذكر بقية الاسم ولكن اعرف انه مغربي الأصل وهـو كان حيـا الى عهد قريب .

وكان بنـاء المدرسة هو الذي تشغله الآن وزارة السياحة وقبلها مديرية التربيـة وقبلها كان داراً للمعلمين ومعهداً للحقوق ، واذكر ان احد طلاب معهد الحقوق الذين رايتهم وعرفتهم بحكم جوار المدرستين كان الاستاذ مصطفى الرحيباني الـذي تنقل في مناصب قضائية عالية فيما بعد ثم حين تقاعد مارس المحاماة وكان موضع الثقـة ، ومن مزاياه انه كان لا يقبل التوكل في دعوى إلا بعد قناعته بصدق الموكل الذي يقصده وانـه على حق ، رحمـه الله .

وكنا نخرج من المدرسة عند الانصراف لنجتاز طريق بردى على ضفته (ولم يكن قد غطي في ذلك الوقت) ونمر بمقهى العباسية الذي يقع على الزاوية بين شارع نهر بردى ومحطة الحجاز ، وسبب تسميته بمقهى العباسية أن الذي بناه كان لبنانياً اسمه ابو عباس طحينه . واذكر انه في عام ١٩٢٧ اقيم في هذا المقهى معرض للفاكهة السورية ، وكان وزير الزراعة في ذلك الوقت هو المرحوم نصوحي البخاري ، وكنت ووالدي من جملة العارضين للفواكه ونلنا عدة مداليات ، وكانت الجائزة الأولى كأساً مصنوعة من النحاس البرونزي مطعمة بالفضة وعليها عبارة مناسبة .

عربات الديليجانس

والآن هدم هذا المقهى وشيد مكانه بناء ضخم يملكه الخط الحديدي الحجازي لأن الأرض وقف اسلامي للخط الحجازي ، وفي هذا البناء الآن مسرح كبير وفندق سميراميس . ومن الطريف ان أذكر ان هذه الأرض كانت قبل ذلك مفرأ ومنطلقاً لعربات الديلجانس . والديلجانس كانت عربة تتسع لثمانية أشخاص تجرها ستة رؤوس من الخيل تنطلق من دمشق صباحاً وتصل الى بيروت مساء وتقف للاستراحة وتبديل الخيل في خانات على الطريق في الهامة وصحراء الديماس وميسلون ووادي القرن ووادي الحرير وهكذا . وكانت هي واسطة النقل الوحيدة قبل القطار .

أما الطريق النازل من محطة الحجاز حتى النهر فقد تم شقه في عام ١٩١٠ حين تم بناء محطة الحجاز ، ولم يكن قد اكتمل بل كانت تنقصه التسوية والتعبيد والأرصفة ، وهو يمتد من محطة الحجاز حتى الجسر القائم على النهر المسمى بجسر فكتوريا ، ولم تكن الأبنية الأخرى وهي المصرف وابنية الأوقاف والبريد والقدسي قد انشئت وانما بنيت في الثلاثينيات وما بعدها اي في وقت متأخر . وكان مكانها بساتين واشجار مثمرة ، وكانت الأرض وقفاً للمولوية .

الدراجات الأولى

وكانت الدراجة (البسكليت) من اول وسائل الركوب الخفيفة التي وصلت الى البلاد ، وكان الاولاد يستاجرونها من دكان في اول شارع النصر من جهة سوق الحميدية وكان صاحب الدكان يوسف حمصي ، اما في الطرف المقابل حيث يقوم

القصر العدلي الآن فكان يوجد بنـاء كبير اسمه المشيرية وتقيم فيـه أيام الفرنسيين دوائـر الأمن الفرنسـي ثـم احترق وهـدم وقـام مكانـه القصـر العدلي في اوائـل الخمسينيـات . . .

وكان من يستأجرون الدراجات أول عهدها يقطعون بهـا الطريق من أول محطـة الحجاز الى جسر فكتوريا ثـم يعودون ، والناس يقفون ليتفرجوا متعجبـين إذ كيف يعتلي شخص آلة تسير على عجلتين فقط ويوازن نفسه دون ان يقـع ، وكيف ينزل عنهـا ، وكان هـذا من المشاهد الغريبـة في تلـك الأيـام ، وكـل شيء يبهر الرائي في البداية ثـم يعتـاد الناس عليـه .

اول طـائرة في دمشــق

وتعي ذاكرتي مجيء أول طائرة الى سورية وكانت تتسع لشخصين فقط ، وقـد حطت في (مرج الحشيش) الذي يقوم عليه الآن معرض دمشق الدولي وكان يمتد من التكية السليمانية الى المكان الذي يسمى في ذلك الوقت (صدر البـاز) حيث تقـوم الآن ساحة الأمويين . وكان هذا المرج لا يزرع وتعج أرضه بالمياه وينبت فيه الحشيش تلقائيـاً لأن الميـاه تنصب عليه من فائض نهر بانياس الذي يعلو هذا المرج من ناحية الجنوب . وقيل ان هذا المرج أوقف ليكون مسرحاً للخيل الهرمة يتركونها فيه حيث ترعى حتى تموت ، وهذا من الأوقاف العجيبة واللطيفة في آن واحد .

ولمـا حطت الطائرة في هذا المرج الفسيح هرع أهل الشام الى مشاهدتها ، وكان الطياران ضابطين تركيين اسمهما أنور وفتحي . وقـد حدث هـذا الحادث العجيب في أيـام الحرب العالمية الأولى التي تسمى (بالسفر برلك) .

ولكن بعد ان نزل الضابطان المذكوران بالطيارة في هذا المرج عادا فاقلعا بها ، غـير انهـا سقطت بهما عند بحيرة طبريا ، وجيء بالجثتين فدفنتا جانب مقـام السلطـان صلاح الدين الأيوبي خلف المسجد الأموي . ومما يذكر ان هذا المقام تقع الى جانبـه مدرسة تسمى (الجقمقية) وكانت تدرس فيها العلوم واللغـة العربيـة والتجويد .

ثم فيها كانت مدرسة الشيخ عيد السفرجلاني الذي تخرج على يديه عـدد من كبـار التجـار يشكلون جيلين او اكثر ، وقد درست فيها عامين .

البيوت الدمشقية ـ ومـادة الكلس

لن اطيل الحديث عن البيوت الدمشقية فما يزال عـدد كبير منهـا قائماً ولو ان الحريق ذهب بأجملها عندما احترق حي سيدي عامود ، ومكانه الآن سوق كبير يعرف بين الناس باسم الحريقة نتيجة لضرب الفرنسيين له بالقنابل اثناء الثورة السورية ، ثم احراقه عمداً بصب البنزين على أرجائه ، وكذلك حين احترقت منطقة السنجقدار الجميلةالفنية ، وقد أتى حديث هذا الحريق حين اشرت الىسكننا قبل ان ننتقل منه.

ولكن اذكر هنـا تفصيلا ضرورياً وهو ان مادة الاسمنت لم تكن معروفة شائعة في بناء البيوت وطلائها ، وكان البديل عنهـا مادة الكلس . تقطع أحجار الكلس من الجبال ويؤتى بها فتوضع في أتون (في دمشق يسمونه ايتون) وهو بنـاء اسطواني ارتفاعـه بـين ثمانية امتـار وعشرة وقطره ستة امتـار . يوقـد مـن أسفله بجذور الشجر الكبيرة وبالحطب وكل وسائل الاشتعال المتوفرة ، وتبقى النيران مشتعلـة متأججـة سبعـة أيـام حتى اذا نضجت تلك الأحجار نقلت الى المستودعات وبيعتالىالبنائين. وحين يوضع حجر الكلس في الماء يتفاعل معـه ويذوب ولكن في أثنـاء ذلك يغلي المـاء الذي يوضع فيه الى أن يذوب فتصبح المـادة بيضاء ناصعة ناعمـة الملمس تستعمل في البنـاء ولا سيما في طلي الجدران . ويتم ذلك بعد أن تضاف اليهـا مـادة الكتكت وهي الياف القنب التي تفرم ناعمـة فاذا امتزجت بالكلس اعطته التماسك . كما أن الكلس يستخدم كمادة لالتصاقالحجارةواللبن ، وهو جميل قوي وأفضلمنالاسمنت.

وكانت مراكز صنع الكلس وبيعه تقع في شارع الملـك فيصل والعمارة ومسجـد الاقصاب والميـدان والشاغور وفي كـل مكان يمكن أن يبنى فيه الأتون (الايتون) . الـذي هـو مصنـع الكلس .

مواقـد النـار القديمـة

وبمناسبة الحديث عن المحروقات كان (الكانون) موقد النار الأساسي بل الوحيد فيما مضى من اجل الطبخ في البيوت . وهو يكون من حاجزين من الطرفين ارتفاعهما ٣٠ سنتمتراً يبنيان من الآجر ، وعليهما توضع قدور الطعام من حلل وطناجر ، وبين الحاجزين توقد النـار بالحطب وغيره من وسائل الاشتعال . اما سعة الكانون فتتبع

عند الناس الذين يأكلون من الطعام الذي يطبخ عليه وكبر القدور التي تستعمل . وفوق الكانون تكون مدخنة لتصريف الدخان المتصاعد . وتقوم ربة البيت باشعال الموقد بالحطب بمساعدة بناتها والكنائن وتراقب نضوج الطعام .

اما الحطب فتتمون به العائلات في فصل الصيف من الأشجار اليابسة التي شاخت او آن أوان تبديلها بغيرها ، وكان الحطب يأخذ حيزاً لا بأس به في المنازل الى جانب المواد التموينية الأخرى . وكان من المألوف ان يرى الناس الحطب تحمله الجمال ويمشي معه الحطابون الذين يكسرونه حسب الطلب بفؤوسهم ، واغلبهم من الارناؤوط وبعضهم من قرى الغوطة وجوبر وبيت سحم . وأحسن انواع الحطب الزيتون الذي يشتعل بنار اطول عمراً من أنواع الحطب الأخرى وأكثر حرارة ، ثم من بعده حطب المشمش . والحطب قليل الثمن والآن استعضنا عنه بالمازوت الذي ندفع ثمنه بالدولار ولا بد أن اضيف ان الحطب يستخدم لطهي الطعام ، كما استخدم للتدفئة حين صنعت مدافىء الحطب ، كما يستخدم للتنور والصاج اللذين يصنع عليهما الخبز .

التنـــور والصـــاج

ولما كان اكثر الناس اعتادوا على أكل الخبز الذي نسميه (البيتي) وأقلهم يأكلون الخبز (السوقي) الذي يصنع في الأفران ويباع ، فكان قسم منهم يعجن ويخبز على التنور اذا كان له متسع في الدار ، وقسم آخر يرسل العجين الى الفرن ليخبز فيه . وهذا النوع من الخبز يسمى (المشروح) وهو مستدير ورقيق وطبقة واحدة .

وما يزال التنور قائماً ومستعملا حتى الآن في القرى القريبة والبعيدة ، ولو ان استعماله كاد ينعدم ، فالفلاحون أنفسهم صاروا يشترون الخبز الحكومي بالربطة وهذا شيء غير معقول ومخالف للمنطق . وقد سمعنا بأن التنور صار يشغل في بعض الفنادق والمطاعم الحديثة لاشباع رغبة روادها الى خبز طيب ويذكرهم بالماضي .

ومثل ذلك يقال عن الصاج وهو وعاء محدب من الصفيح الصلب يوضع على الكانون أو على المنقل ويخبز عليه الخبز المرقوق ، وله شهرة لأن الخبز فيه يكون رقيقاً جداً وطيب المذاق ، وقد انتعش الخبز على الصاج وصار يباع جاهزاً في

الأسـواق لأنه أغلى ويربح أكثر ، ولكن بكميات ما تزال قليلة بسبب غلاء هــذا النــوع مــن الخبز بالمقارنة مــع الخبز الحكومي . ويسمى الخبز الــذي يخبز على الصــاج (بالمرقــوق) .

وعندما لا يكون في البيت تنور ولا صاج ـ وهما لا يكونان إلا في القرى أو البيوت الكبيرة ـ فان ربة الدار تعجن الخبز في الدار في وعــاء نحاسي كبير اسمــه المعجن ، ومتى اختمر ترسله الى الفرن ليخبزه ثم ينقله اجــير الفران مرة اخرى فيعيده الــى المنزل مخبوزاً ، وقد يتجاوز عدد الأرغفة المئــة ، ويتقاضى أجير الفران اكرامية على حمله (الخبزة) هي رغيف واحد مخبوز . وكانت الخبزة تصل الى ١٠ كيلو غرامات.

وكان الخبز في اغلبه يصنع من طحين القمح المسمى (راسه بعبه) أي الذي يحوي نخالته وهي مادة مغذية ونافعة ، وكان هذا الخبز طيباً ومع الأسف لم يبق إلا في ذاكرة القدامى كبار السن واستبدل الناس به أنــواع الخبز الســوقي الذي يخبز في الأفران من طحين لا يحوي النخالة (واحيانــاً يشتري المصابون بالسكري خبــز النخالة) . الا ما أطيب مذاق رغيف القمح البيتي وما اطيب رائحته ! .

التموين بالقمح والكندوش : ولذلك كان التموين بالقمح امراً اساسياً في البيوت ، فيقوم رب الأسرة بشراء القمح أيام الحصاد ويحفظ في الدار في وعــاءخشبي مستطيل وقد يكون مصفحاً بالتنك وله فتحة كبيرة من اعلاه واخرى صغيرة في اسفلــه لإخراج القمح كلمــا دعت الحاجة لطحنه وكان هذا الوعاء يسمى (كندوش) . ويرسل القمح الى مطحنة من المطاحن الكثيرة المنتشرة قديمــاً في دمشق وهي مطاحن مائية تحركها ميــاه الأنهر السبعة التي تسير في مختلف أرجاء دمشق قبل أن تصل الى الغوطــة ، وكانت وسيلة نقل القمح الى المطاحن واعادته منه هي الحمير .

القنب : اما وقــود الأفران فكان بعض الحطب وكمية أكبر من القنب . والقنب يشبه القصب الرفيع الذي ينبت على ضفاف الأنهار والسواقي ، ولكن يختلف عنــه بانه يزرع من بذار يسمى القنبز (الأنبش) ويصل طول الساق أحياناً الى مترين وتكون حول الساق قشرة ليفية . فاما القشرة فتؤخذ ليصنع منها الحبال والمرس وخيطان تسمى (المصيص) ، وتستخرج القشرة بعد نقع الأغصان في حفرة مــاء مــدة تتراوح بين عشرة أيــام وخمسة عشر . ومــن قشر القنب تؤخذ مــادة الكتكت التــي تمزج

بالكلس كما سبق القول . كما ان بذور القنب المسماة القنبز (الأنبش) وتقطف من رؤوس الاغصان تعتبر من احسن أنواع علف الطيور والدواجن ، واذا جرى تحميصها مع الملح استطابها الأطفال والأولاد وهي لذيذة الطعم .

والخلاصة فان القنب لا يهدر منه شيء على الاطلاق ، وقد انقرض الآن مع اليافه وبذاره وخسرنا بانقراضه مادة نحن في أشد الحاجة اليها وكنا نصدر منها الى فلسطين والأردن ولبنان ، ومن المؤسف أننا صرنا نستورد الخيطان النايلون الآن مكان خيطان القنب وحباله المتينة .

التدفئة المنزلية

وكانت وسائل التدفئة في الأيام السالفة تكون اما بالفحم أو بالحطب . فالفحم النباتي كان يستخرج من الأحراش ويصنع فيها ثم يباع في المدن ليحرق في أوعية اغلبها من النحاس وقد تكون من الحديد الرقيق ، ويسمى واحدها (المنقل) ، ويكون ممتلئاً بالرماد أو (الصفوة) التي تخلفها نيران الحطب والحفم . وتلتف العائلة حول المنقل في ليالي الشتاء الباردة للاستمتاع بالدفء ، وعليه يسخنون الخبز او يصنعون القهوة والشاي . ولكن له خطرٌ هو نشر غاز الفحم فاذا ترك في غرفة مقفلة فيها نائمون ربما اختنقوا بغاز الفحم ، ولكن الناس كانوا منتبهين والحوادث قليلة . وقد يستخدم في الاحتراق الفحم الناعم المسمى (الدقّ) ، والفحمة الكبيرة التي لا تشتعل جيداً تسمى (عرّاطة) ، واذا غطي الفحم المشتعل بالرماد وانطفأ صار اسمه (الطفي) .

ثم وجدت مدافىء الحطب ــ وأحياناً الفحم الحجري عند المترفين ــ وهي متصلة بأنابيب (بواري) تمتد الى الخارج عبر فتحات في الجدران أو السقوف ، وتدفئتها صحية لأنها تبدل الهواء في الغرف . وقد انقرضت هذه المدافىء تقريباً بسبب ندرة الحطب أمام تكاثر السكان ، وحلت محلها مدافىء المازوت . وقد صار استهلاك المازوت كثيراً جداً ومكلفاً للناس وللبلد ، فضلا عن تلويثه الجو .

اما المترفون فصاروا يستخدمون التدفئة المركزية التي تستهلك كميات كبيرة جدا من المازوت أو التدفئة الكهربائية . ولو قارنّا نفقات التدفئة القديمة حين كانت على

مناقل الفحم أو مدافىء الحطب بمـا ينفق الآن على ألتدفئـة المركزيـة أو التدفئـة الكهربائية لاتضح الفرق الكبير والآن ننفق على التدفئـة اضعاف الاضعاف ، وبدل ان يستفيد المزارعون من بيـع الحطب والعمال من قطعه ونقلـه صرنـا نستورد المازوت بالعملة الصعبة وندفع ثمنـه للخارج كما أن تلويثه للجو أكبر .

رحم الله أيام البساطة في العيش والاسرة الواحدة .

هذا وأقول بأن من جملـة وسائل الطهي والتدفئة (زيـت الـكاز) وهو الاسم الشائـع لمـادة (الكيروسين) . ويوضع في ببور الكاز وهو سهل النقل . وكـان الكاز قديمـاً يأتي في صفائح مختومة من رومانيا وكل صفيحتين تكونان في صندوق خشبي وفي كل صفيحة عشرون لترا ، وكان اول الوكلاء لزيت الكاز شركة طوطح وشحطوب اليهودية في سوق البزورية وخليل صيدح في وكالة الخضري الذي كان يقال له سوق التبن ، وهـو في أول شارع الملك فيصل . وقـد كانت بوابير الكاز تأتي من الخـارج وهي بحجوم وقـوة مختلفة ، ثم قـام معمل لصنع بوابير الكاز في يبرود اسمـه محمد كبور . وما زال (ببور الكاز) يستخدم حتى الآن ولو أن مادة البوتاغاز والمطابخ التي اساسها اشتعال هـذه المـادة قد صارت هي الاكثر شيوعا في الوقت الحاضر .

والخلاصـة أن الجديـد يجـاور القديم مـدة طويلة قبـل أن يزيحـه الجديد بصـورة نهـائية .

وحدات القياس القديمة وتطورها

لقد حصل تبدل كبير جدا في وحدات الوزن والكيل والقياس اجد معه من المفيد التذكير بما كان موجودا في الماضي ليعلم به الجيل الجديد والأمر لا يخلو من طرافة .

أول وحدات الوزن هي الرطل الدمشقي ويساوي ١٢ أوقية كل منها ٦٦٫٦ درهما فالرطل الدمشقي اذن ٨٠٠ درهم . ويعادل وزن بالغرامات ٢٥٦٠ غرام .

ثم الرطل الحلبي وهو ١٢ أوقية ايضا ولكن كل منهـا ٨٣٫٣ درهما ، فالرطل الحلبي اذن يساوي الف درهم او رطلا وربع بالنسبة للدمشقي . اما رطل حمص فهو ٣٠٠٠ غرام .

والقنطار مئة رطل ، والقنطار الدمشقي (٢٥٦) كيلو غرام والحلبي (٣٢٠) كيلوغرام ، وقد ظلت هذه الاوزان تستخدم حتى بداية الثلاثينات حيث فرضت السلطة الفرنسية المقاييس المترية في الوزن وهي الكيلو غرام وهو الف غرام ثم الطن وهو الف كيلو غرام . ولكن ظل الناس يستعملون كلمة أوقية لوزن قدره ٢٠٠ غرام باعتبار أن الكيلو غرام خمس اوقيات .

ومع ذلك ظل الناس مدة طويلة يتداولون الشراء بالرطل والقنطار او يستخدمونهما في التقدير عند الحديث عن الاوزان ـ ولا سيما الحطب . وكان عند الناس اعتقاد ببركة الرطل والقنطار .

ثانيا ـ الكيل :

أول الاوزان (المد) وهو يعادل عشرين كيلو غرام من الحبوب وضعفه (الجفت) وهو اربعون كيلو غرام . واجزاء المد هي نصف المد وربع المد والثمنية اي واحد من ثمانية من المد والعامة تحرف الاسم فتقول (تبنية) .

وكما في الوزن كذلك في الكيل ففي الجزيرة يستخدمون للكيل وحدة اخرى هي (الواجك) ويعادل ٢٥ كيلو غرام اي عشرة ارطال تقريبا .

ولـم تكن السـوائل تباع بالكيل وانمـا بالوزن ، واليوم صار بعضها يباع بالليتر . ان هـذا التغيير انهى الفوضى حيث كان بعض الباعـة يعملون وعـاء يكتالون به ممن يبيعهم وآخر اصغر يكيلون به للمشتري ، وذلك رغـم ملاحقة الدولـة وفحص الاوعيـة وختمها من قبل البلدية المشرفة على هذه المخالفات .

فقد جـاء وصف عملهم القبيح في القرآن الكريم حيث يقول تعالى (**ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . ألا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ، يـوم يقوم الناس لرب العالمين ؟**) .

ثالثا ـ عدانـات الميـاه :

ان مقاييس المياه المخصصة للسقاية المسمـاة (عـدان) يأتي في راسها (القيراط)، وهـو يختلف في كل قرية عن الاخرى غالبا .

فمثلا في **عربين** حيث تشرب ارضها من نهر تورا ، يكون القيراط ١٠/٢٥ قصاب
وفي **عربين** حيث تشرب من باب الثلث من ماء الريحان ، يكون ١٤/٥٠ قصبة
وفي ارض السلون والرحياليات حيث تشرب مـن ماصية الخرق وماصية السلق ١٥ قصبـة .

رابعا ـ مساحات بيـع الاراضي :

كانت الارض في دمشق تبـاع بوحدة اسمها (القصبة) وهي تعادل على الضبط ٢٣ر٧٥ مترا مربعا ولا يزال تعبير (القصبة) مستخدما في التقدير على ألسنة الناس ولكن المبايعات تحسب قانونا بالمتر المربع .

أما في الاراضي الزراعية ، ففي دوما كانت تباع الارض بـ (المدي) أو (المسحاية) ومساحته ستون قصبة اي ١٤٢٥ مترا مربعا أو نحو دونم ونصف .

وفي **الزبداني** تباع أرض العرق بالمصرية ومساحتها ٣٠٠ متر مربع .
وأرض البكري بالمصرية ومساحتها ٤٢٠ مترا مربعا .
وأرض النهر بالمصرية ومساحتها ٢٠٦ر٢٥ امتار مربعة .

وفي **المرج وباقي اراضي الغوطة** تبـاع **بالفدان الشامي** وهو ويعادل (٢٤٠) قصبة والقصبـة هي ٢٣ر٧٥ مترا مربعا فتكون مساحة الفدان الشامي ٥٧١٣ مترا مربعا .

أما الاراضي الكبيرة **مثل الدرخبية** فتبـاع **بالفدان الروماني** وهو ٢٤ فدانا شاميا اي ١٣٧١٧٠ متـرا مربعـا .

وفي حوران تبـاع الارض **بالربعـة وبالشجرة** اي بعـدد الاشجار . ومن الصعب ذكر جميع القواعد التي يعرفها ويتقنها المختصون في المناطق المختلفة .

ولكن بعـد استخدام المقاييس المترية صارت الاراضي الزراعية تحسب قانونـا بالأمتار المربعة وبالدونم وهـو ٩١٩ر٧١ مترا مربعا او ٩٥٠ مترا مربعا وقـد يحسب الف متر مربع اذا نص على أن الدونم الف متر .

العمـلات وتطـور اسعارهـا منـذ ١٩١٠

لقـد بدأت أعي العملات وأسعارها ، وأعني تلك التي كانت رائجة ومستعملة ، منـذ عـام ١٩١٢ تقريبـا .

العملة الذهبيـة : كانت هناك **ليرات ذهبية عثمانية** وهي نوعان **تجارية ورشاديـة** وسعر هـذه أعلى قليلا من التجارية .

وكانت الى جانبها **ليرات ذهبية انكليزية** وهي نوعان احدهما وجه الملكة والثانيـة عليهـا حصان وتسمى (أم حصان) .

وليرات ذهبية فرنسية وهي شائعة الاستعمال أكثر من الانكليزية .

العملـة الفضية والمعدنية : وتنقسم الليرة الذهبية الى اقسـام تمثلها العمـلات الفضية وهـذه الاقسام هي :

المجيـدي	=	٢٥ غرشا =	٤٠٠ مصرية =	١٠٠٠ بارة
نصف المجيدي	=	٥ر١٢ غرشا =	٢٠٠ مصرية =	٥٠٠ بارة
ربـع المجيدي	=	٢٥ر٦ غرشا =	١٠٠ مصرية =	٢٥٠ بارة
البشـلك	=	١٢٥ر٣ قرشا =	٥٠ مصرية =	١٢٥ بارة
ابـو الميـة	=	٥٠ر٢ غرشا =	٤٠ مصرية =	١٠٠ بارة
ابـو الخمسين	=	٢٥ر١ غرشا =	٢٠ مصرية =	٥٠ بارة
ابـو العشرة	=	١ =	١٦ مصرية =	٤٠ بارة
النحـاسة			= ٥ر٢ مصرية =	٢٥ر٦ بارة
ام الخمسـة			= ٥ مصاري =	٥٠ر١٢ بارة

وكانت الليرة الانكليزية سعرها الرائج ١٤٠ غرشا

والليرة العثمانية سعرها الرائج ١٣١ر٢٥ غرشا

والليرة الفرنسية سعرها الرائج ١١٩ غرشا

وكان اكثر التعامل بالعثمانية والفرنسية .

ومن هذا التقسيم ترون كم كانت قيمة العملة الشرائية مرتفعة اذ ان اصغر القطع المعدنية وهي النحاسة كانت تشتري شيئا من السوق .

وقد انقرضت النحاسة في عام ١٩١٠ وانقرضت ام الخمسة في عام ١٩١٢ وبقيت الاجزاء الاخرى في التداول حتى عام ١٩٣٢ حيث بطل التعامل بكل العملات إلا السورية من الناحية الرسمية .

واذكر انه بعد ان اعلنت الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ حصل غلاء ، وفي ١٩١٦ طبعت الحكومة العثمانية التركية عملة ورقية تدفع بها معاشات الموظفين وكانت كل ليرة تركية ورقية تعادل ليرة عثمانية ذهبية . غير ان البائعين لم يقبلوا العملة الورقية فبدات أسعارها تتنازل . وبينما كان سعرها الرسمي الاول ١٣١ر٢٥ غرشا كالذهبية ظلت تنزل حتى وصلت الى اقل من ٧٥ غرشا . وعندما انهارت الدولة العثمانية سقطت هذه النقود سقوطا كاملا .

ولما دخل الشريف فيصل بن الحسين الى الشام ودخل الانكليز بعده بدات العملة الفضية تتراجع في قيمتها امام الذهبية تدريجيا حتى ١٩٣٢ حيث صارت الليرة الذهبية تساوي ٥٥٠ غرشا سوريا بدلا من ١٣١ر٢٥ كما كانت في الماضي . ومع الفرنسيين ظهرت العملة السورية المرتبطة بالفرنك الفرنسي وكانت عملة ورقية ومعدنية وهي : الليرة ، ونصف الليرة ، وربع الليرة ، والعشرة غروش ، والفرنك، وهو خمسة غروش ، ونصف الفرنك اي غرشان ونصف ، ثم الفرش (الذي كان مثقوبا من نصفه) واخيرا نصف الغرش الذي يسمى النكلة . وتجاورت العملتان حتى ١٩٣٢ كما قلت ثم لم تبق إلا العملة السورية وصارت العملة الفضية تسحب ويستفاد من وزنها كمعدن فضي . اما الليرة الذهبية بأنواعها فبقيت مدة اطول .
مدة اطول ، ولا بد من القول هنا أن كلمة غرش أخذت من كلمة (غروشن) وهي عملة نمسوية صغيرة مثلما اخذت (الليرة) من الفرنسية والايطالية .

تطـور العملـة السورية في قيمتهـا

حين طرحت العملة السورية الورقيـة والمعدنيـة التي يصدرها المصرف السوري (وهو فرنسي في حقيقته بخلاف اسمه) في عام ١٩٢٢ كانت قيمـة الليرة السورية (ومثلها اللبنانية) تعـادل (٣٩ر٥٠ر٠) من الليرة العثمانية الذهبية .

في عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ صارت تعـادل (٢٢ر٠) من الليرة الذهبية .

في عـام ١٩٣٦ صارت تعادل (١٨ر٢ر٠) من الليرة العثمانية الذهبية .

في عـام ١٩٥٥ صارت تعـادل (٨٠ر١ر٠) من الليرة العثمانية الذهبية .

ومنـذ عـام ١٩٦٠ بطل التعامل بالذهب وصارت جميع البيوع بالليرة السورية.

كيف كانت تسعر المحصولات

ولما كانت اسعار العملـة في تبدل دائم اتفق تجـار الحبـوب أولا على تحديـد سعر الليـرة الذهبيـة بمـا يعـادل ٢٥٠ غرشا فضيا من العملة الرائجة . واتفـق تجـار مال القبان على تحديد هـذا السعر بمـا يعـادل ١٨٧ر٥٠ غرشا . امـا باقي الاصناف فتبـاع بالعملـة الفضيـة .

وكان التجـار في مساء كل يـوم يجمعون غلتهم من العملة الفضية التي يقبضونها ويذهبون الى الصيارف فيبيعونها بالسعر الرائج في ذلـك اليـوم ويأخذون مقابلهـا ليرات ذهبيـة يسلمونها الى المصارف لتحويلها الى الخارج من اجل الاستيراد . وكان ذلك يأخـذ وقتا طويلا وجهدا ، ويكفي لوصفه ان اقول ان العملة الفضية كانت تجمع حسب انواعها وتلف في ورق . فكل ٤٠ مجيديا ربطة اسطوانية الشـكل ، وكـل ٤٠ ابو الميـة ربطة ، وكـل ١٠٠ ابو الخمسين ربطة . وظل ذلـك الى ان الغيت العملات الفضيـة في عـام ١٩٣٢ كمـا سلف الذكر .

استمرار التعامل بالذهب في بعض البيـوع

وقد استمر التعامل بالذهب بعد ١٩٣٢ في بيـوع الاراضي والبيوت وفي القروض لأن الليرة السورية كانت تتعرض للهبوط والناس معتادون على الذهب . وكان يحصل اختلال ، فالاجور والمعاشات تدفـع بالليرة السورية بينما البيوع والايجارات بالذهب. فالمستأجر الذي كان يدفع ٢٠ ليرة عثمانية سنويا تعادل كل منها ٥٥٠ غرشا كما كانت بعـد ١٩٢٢ ، وجـد بعـد ١٩٣٦ انه صار يدفـع اكثر لأن العثمانية صارت تعـادل ١٤٠٠ غرش . وهنـا اصدر المفوض السامي الفرنسي القرار ٢٤٥ تاريخ ١٩٣٩/٩/٢١ (بعد بدء الحرب العالمية الثانية مباشرة) ومنع فيه التعامل بالذهب وحدد سعر الليرة الذهبيـة بالنسبـة للعقـود السابقة لصدوره بمبلغ ثابت هـو ١٤١٢ غرشا . ولكن سعر الذهب ظل يرتفع . ففي عـام ١٩٥٠ صارت الليـرة الذهبية العثمانية تعـادل ٢٩٥٠ ، وظلت العقود السابقة تدفع على اساس التسعيرة الرسمية وهي ١٤١٢ غرشا.

تطـور اسعـار الحبـوب بالجفت وهو ٢٠ كيلو غرام

العـام	الليرة الذهبية	الحنطة	الشعير	الحمص	العدس الاحمر	فول حبة كبيرة	فول صغير
١٩٢٥	٢٥٠ غرشا	١٤٢/١٣٠	٧٥/٧٠	١٢٥/١٠٦	١٠٣	٨٥/٨٢	٧٧/٧٥
١٩٢٨	« (نتيجة الثورة)	١٧٥/١٥٠	٩٠/٧٠	١٧٥/١٢٥	٢٠٠/١٦٢/١٥٠	٢٩٠/١٥٠/٢٠٠	١٠٠
١٩٣٠	»	٩٠/٨٠	٥٠/٤٠	١٠٠/٨٠	١٧٠/١٣٠	١٢٠	٩٠
١٩٣٢	٢٥٨	١٤٠/١٣٠	٧٥/٧٠	١٢٥/١٠٠	١٠٣	٨٥	٧٥

تطـور اسعـار مـال القبـان ـ بالرطل وهـو ٢٥٦٠ غرام
والليرة الذهبية حسب ما قرره التجار

العام	الليرة الذهبية	السكر	القهوة	سمن حديدي	سمن ديري	رز	زيت حلـو	سمسم	حبال	خيطان	صوف مغسول	صابون نابلسي
١٩٢٢	١٨٧ر٥٠	١٣ر٥٠	٤٢ر٥٠	٩٠/٨٥	—	١٣	٢٣	٢٢	٤٩	٨٥	٩٠	—
١٩٢٥	»	١٢	٧٢/٦٥	٩٠	٧٥	١١	٣٠	—	٤٠/٣٠	٥٠/٣٢	٧٠/٦٠	—
١٩٢٨	»	١٠ر٥٠	٦٣/٥٥	٨٠	٧٥	١٠ر٥٠	٣٣	—	—	—	—	٢٦
١٩٣٠	١٠٠	٤	٢٢/٢١	٢٥	٢٤	٥ر٥٠	٩ر٧٥	—	٤٠/٢٠	٧٠/٤٢	—	—

تطور اسعار الفواكه المجففة وما شابهها ـ الليرة الذهبية ٢٥٨ غرشا ـ وبالرطل

العام	الليرة الذهبية	القمردين	النقوع	جوز بقشره	جوز قلب	زبيب دربلي	بزر سلطي	زبيب أحمر	زبيب مشمش
١٩٢٢	٢٦٥	٢٥/٢٥	٣٥	٢٨	٩٠	٣٥	١٨	—	١٩
١٩٢٥	٢٦٥	٢٢/٢١	٤٢	١٩	٥٧	٢٧	١٦	—	—
١٩٢٨	٢٦٥	١٩/١٦	٣٥/٣٠	٢٢/٢٠	٧٥/٧٠	٣٥/٣٠	—	—	—
١٩٣٠	٣٨٣ ـ ٤٤٢	١٥/١٣	٣٧/٣٥	٢٦/٢٢	٧٥/٦٥	٣٠/٢٠	—	١٢/١٠	—

الفصل الثالث
الفاكهة السورية وأصنافها

كانت دمشق مشهورة بفاكهتها الجميلة واللذيذة الطعم وكانت قبل هذا التوسع الكبير الذي اجتاح البساتين والحدائق والشجر ، محاطة من الغرب والجنوب والشرق ببساتين غناء مشجرة وخاصة من الغرب من الجبل ؛ وتسمى منطقة النيرب وهي التي احتلها الآن حي ابو رمانة وغربي ابو رمانة والمالكي وغربي المالكي . هذه الاحياء الجديدة الحديثة كانت في أيام الماضي مزروعة بأحسن انواع الفاكهة . وكانت دافئة بالنسبة لاراضي غوطة دمشق ، ومحصولها يأتي باكرا قبل نضوج محصول الغوطة بخمسة عشر يوما . وكنا نصدر المشمش بأنواعه والجانرك والخوخ من محصول تلك المنطقة حتى يأتي محصول منطقة دمشق المعروفة ببساتين الشرقية والجنوبية وتسمى بساتين الشاغور والميدان وكفر سوسة ؛ ثم يأتي بعدها محصول منطقة جنوب دمشق وهي التي تسمى الغوطة الجنوبية . ونعاود التعبئة والتصدير بعدئذ من انتاج الغوطة الكبرى الحالية التي اشتهرت بأصناف متعددة من انواع المشمش بدءاً من النوع الوزري فالتدمري فالعجمي ؛ وكان يصدر الى فلسطين ولبنان والاردن بصناديق خشبية والى الاسكندرية ضمن اقفاص تأتي فوارغها من مدينة بور سعيد لتعاد معبأة بفاكهة الشام .

اصناف العنب

وكانت دمشق مشهورة بانتاج العنب والزبيب وتصدر العديد من أصناف العنب الى البلدان المجاورة وحتى الى مصر .

وكانت (داريا) التي تقع على مسافة سبعة كيلو مترات من دمشق تنتج الاصناف الممتازة من العنب الزيني والحلواني والبلدي للتصدير والاستهلاك المحلي . وكان النوع البلدي منه يصدر الى لبنان بواسطة القطار حيث ترسل عبواته الى محطة البرامكة عصراً ويوضع بالعربات ليسافر ليلا الى بيروت فيصلها في الصباح الباكر ليأخذ طريقه الى أسواق الخضار والفاكهة فيها .

واما التصدير الى فلسطين فكان عن طريق القطار ايضا من دمشق الى حيفا مارا بلدرعا فوادي خالد فالحمة فحيفا .

وعندما شـاع استعمال السيارات الشاحنة ، اصبح النقل بالسيارة ، وتحول الشحن الى السيارة حيث انها تأخذ العنب والفاكهة المختلفة من المزرعة مباشرة عدا الكميات المخصصة للاسكندرية فانها تشحن عن طريق بيروت بواسطة القطار . حيث تنقل راسا للباخرة التي تبحر الى الاسكندرية ليلا فتصلها صباحا وتفرغ حمولتها لتأخذ طريقها الى السوق فورا وكانت هناك شركات بحرية اذكر منها شركة ماساجيري ماريتم التي تعني بخط الاسكندرية بيروت البحري .

ولكن قرية داريا التي كانت تنتج احسن أصناف العنب اصبحت الآن حياً من احياء دمشق إذ تحول اكثر البساتين فيها الى عمارات سكنية وأحياء حديثة ، والاصناف المتعددة من العنب التي كانت تنتجها داريا هي الآن آخذة طريقها الى الانقراض ، وهذا أمر مؤسف ، في حين بدا زرع العنب في البقاع واصبحنا نستورده ونصدره الى القاهرة ، غير ان زراعة العنب في مناطق حوران وجبل العرب تمكننا الآن من استعادة النهضة في هذا المجال .

العنب والزبيب الدربلي :

وهناك أنواع أخرى من العنب منها العنب الدربلي الذي يصنع منه الزبيب المعروف بالدربلي واكثر انتاجه كان يصدر الى مصر . وقد انقرض الآن مع شديد الاسف إذ كان يزرع قسم منه في أراضي دوما والقسم الاكبر وهو الجيد في اراضي الرحيبة وجيرود . وهناك العنب الاحمر المعروف بالدوماني وهو من انتاج أراضي قضاء دوما على بعد ١٠ ـ ١٥ كيلو متر عن دمشق وقليل منه من اراضي حرستا الواقعة قبل دوما وهو لا يصلح للتصدير لانه سريع العطب فكان ما يزيد عن استهلاكه محليا يصنع منه الزبيب الاحمر وكميات كبيرة منه تصدر لفرنسا لصناعة الخمور والباقي تصنع منه مادة الدبس وبعضه تصنع منه الخمور في سورية .

العنب الجبلي :

وكان هناك انواع متعددة من العنب تغرس في الاراضي البعلية منها ما يصلح للدبس ، ومنها ما يصلح للأكل والاستهلاك المحلي ومنها للزبيب وصناعة الخمر المحلية او التصدير .

امـا الآن فقـد صرنـا نستورد العنب والفاكهة بكميات غير قليلة من لبنان بعـد أن كنـا نصدر الى لبنـان كل حاجياته من خضار وفاكهة والبان واجبان وبيض .

العنب في حـوران والجبـل :

وقـد لوحظ مؤخرا تطبيق الزراعة الحديثـة الخاصة بالعنب بواسطة العرائش وفق الاسـس الفنيـة الزراعيـة في منطقة محافظة حوران التـي صارت تعطي مردودا كبيرا ساهمت بتوسيع نطاقها في جميع اراضي المحافظة .

كمـا ان زراعة العنب انتشرت بشكل كبير في جبـل العرب محافظـة السويداء وتنتج عـدة اصناف ولكنها ينقصها التعبئة الفنية عند القطف والتسويق .

تفـاح الزبداني والـوادي والتفاح الاميركي

كـان تفـاح الزبداني ووادي بردى الـذي يضـم قرى (دير قانون ودير مقرن والحسينية ...) صغير الحجم لذيذ الطعم ، كما ان هذا النوع من التفاح يزرع على جوانب الكروم في قريتي داريا والكسوة ، وكان ما يفيض منـه عـن الاستهلاك المحلي يصـدر الى لبنـان . وهو ذو انـواع متعددة منه السكري والسكارجي وقد اشتهرت بهمـا بساتين الزبداني والوادي وهناك أنواع السكري النقي والفاطمي ومنها التلي ، وهـذان الصنفان يأتي انتاجهما متأخرا أي ينضجان في الخريف ، وهناك تفاح حامض الطعم كان يصدر الى فلسطين ويستهلكه اليهود للطبخ .

وفي الفترة الممتدة بين / ١٩٣٣ و ١٩٤٠ / انتشرت زراعة التفاح في مناطق جبـال طرابلس وقد اضيفت عليها في الزرع أصناف جديدة غير تجارية .

وفي عام / ١٩٤٠ / اشترى رجل أعمال ومتعهد كبير اسمه « ريشار عبد النور » خمسـة عشـر دونمـاً من الارض في منطقة المديرج في لبنـان على طريـق بـيروت شتورا ـ دمشق وذلك لأجل أعمال تعهداته الكبيرة . وقد استغل الارض فزرع تفاحا مـن نـوع الستاركن والكولدن استورده من أميركا وعلى مسـاحـة عشرة دونمـات من الارض ولأول مرة في لبنان ، وكان من قبل يزرع في اميركا فقط .

وفي عـام / ١٩٤٩ / بـدأ انتـاج ما زرعه هـذا الرجل فبلغ ضمان محصولـه

/١٤٠/ الف ليرة لبنانية فقد كان سعر الكيلو الواحد منه يومئذ /٢٥/ قرشا لبنانيا . ولـم تتدخل الدولة بتحديد الاسعار وكان هذا الصنف يصـدر اكثره الـى مصر . والمعروف ان سعر دونم الارض في تلـك المنطقـة كان لا يتجاوز الالف ليرة لبنانية ، وهـذا ما حمل التاجر والطبيب والمحامي والصيدلي وجميع القطاعات على الاتجـاه الى زراعـة التفـاح في مختلف المناطق اللبنانية مستعينين بالنظريات الزراعيةالحديثة مـع أن اكلاف تسوية هذه الاراضي تفوق اثمانها .

وفي عـام / ١٩٦٠ / وصل انتـاج التفاح في لبنان الى / ١٢ / مليـون صندوق تفـاح اي ما يعادل / ٢٤٠ / الف طن وذلك بفضل العناية وتطبيق احدث النظريات في عالم الزراعة والانتـاج والتسويق ، وحرية البيـع والتصدير ووجود مستلزمات الزراعـة مـن جميع الآلات والادويـة بالاضافة الـى الخبراء المختصـين بالتقليـم والمكافحة . وكان من الطبيعي بعـد ان بلـغ الانتـاج هـذا القدر الكبير ان يؤثر ذلك على اسعـاره في أسواقـه الداخلية والخارجية تطبيقا للقاعـدة التجارية المعروفـة (قاعـدة العرض والطلب) حيث نزل سعر الكيلو الى / ٥٠ / قرشا ثـم تدنى الـى / ٢٥ / قرشا لبنانيا اثر توقف مصر عـن استـيراد التفـاح . وعلى اثر ذلـك فكر المزارعون باقتـلاع شجر التفـاح والاستعاضة عنـه بالعنب مـن النـوع الحلواني القاسي ، غير أن هبوط اسعار التفاح شجع الناس على استهلاك المقادير الكبيرة منه ، وصـار يبـاع عصيرا ممـا حمل الزارع على العدول عـن فكـرة اقتـلاع اشجـار التفاح ، وما زال التفاح يعطي حتى يومنـا هذا (حين كتابـة هـذه السطور) انتاجا جيـدا من الناحيتين المادية والزراعية .

التفـاح وزراعتـه في سوريـا

امـا زراعـة التفـاح في القطر العربي السوري ، فقد كانت ابطـا ممـا كانـت عليـه في لبنـان ، رغـم وفرة الاراضي الواسعة والمرتفعات القابلة لزراعة عشـرات الانـواع والاصنـاف وهي لا تقل جـودة عن تربـة اراضي لبنـان التي نمـا فيهـا التفـاح وازدهر . وقـد قاربنـا الآن الاكتفـاء بالانتـاج المحلي من التفاح لا سيمـا بعـد أن تركت الدولـة بيعـه وتسعيره للعرض والطلب .

ولو ترك تسويق التفـاح حرا لكانت زيادة الانتاج هي التي تفرض السعر هبوطا

سيرا على قاعـدة المنافسـة الحرة . ثم على الدولة قبل كـل شيء تأمـين حاجيـات المواطن من المـواد الضرورية كالسكر والأرز والخبز واللحوم والسمن بأقل الاسعـار المعتدلـة ، لأن هـذه المـواد هي التي تعطي الانسـان الحريات الكافية كغذاء ضروري لـه ، قبل ان تلتفت الى حصر التفاح وتوزيعه .

تصـدير التفـاح والفواكـه والخضـار الى فلسطين

كانت سوريا في العقد الثاني والثالث وثلاثة ارباع العقـد الرابع من هـذا القرن تصدر يوميا الى فلسطين ما لا يقل وسطيا عن / ٥٠ / الى / ٧٠ / طنا مـن الفاكهـة والخضار حيث تبـاع منتجاتنـا في اسواق حيفـا والقدس ، كمـا كنـا نصدر الى لبنـان مـن / ٣٠ / الـى / ٤٠ / طنا فضـلا عـن صادراتنـا من المشمش والعنب والجانرك الـى مصـر ، ولـم يكن لنـا اسـواق في السعودية ودول الخليج لانعـدام المواصـلات حينـذاك بالاضافـة الى ضعف القـوة الشرائيـة في تلك البلاد حيث لم يكن البترول قـد اكتشـف فيهـا .

بدايـة التصـدير الـى السـعودية

وبعـد انتهـاء الحرب العالميـة الثانيـة باشرنا تصدير العنب والفاكهة والخضار الـى جـدة في المملكة العربيـة السعودية بواسطـة الطائرات التي كانت تنقل الحجاج بـين سوريـا والحجاز إذ بدلا من عودتها فارغـة عنـد انتهاء موسم الحج ورجـوع الناس من مكة المكرمة ، تشحن عليها الخضار والفاكهة بكميات محدودة .

محصـول القمـح والبطـاطـا بالسعودية

وفي ١٩٨٥/٢/٢٨ لفت نظري ما قرأت في مجلـة التجـارة التي تصـدر بالرياض عـن الاتحاد العـام للغرف التجارية والصناعية في المملكة العربية السعودية عن كميات المحصول الزراعي في السعودية لبعض الاصناف واذكر منها ما يلي :

محصـول القمـح :

في عـام ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١ م ١٣٠ الف طن
وفي عـام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٢ م ٤١٢ الف طن
وفي عـام ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٥ م ١٣٠٠ الف طن
وفي عـام ١٩٨٩ م ٣ر٢٠٠ الف طن

محصـول البنـدورة :

في عـام ١٣٩٨ هـ ــ ١٩٧٩ م ١٦٦ الف طن
وفي عـام ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٨٠ م ٢٢٢ الف طن

ومحصـول البطاطـا :

في عـام ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٨٠ م ٥٠٠٠ طن وبطبيعةالحالأزدادبعدذلككثيرا

ومحصـول الكوسـا :

في عـام ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٨٠ م ٢٣ الف طن
وفي عـام ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨١ م ٣٦ الف طن
وفي عـام ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨٢ م ٤١ الف طن

وقبل ذلـك كان استهلاك السعودية من الخضـار والبطاطا والبصـل تستورده من بور سعيد بواسطـة . وقد اصبحت الآن تصدر البندورة والبطيخ بكميات كبيرة جـدا وهـذا ما يجعلني اقـول ان علينـا أن نزيـد جهودنـا المبذولـة في نطـاق الزراعـة مستفيدين من المثالين اللذين ذكرتهما عـن زراعة التفاح في لبنان وانتـاج المحاصيل الزراعيـة في السعودية .

اصنـاف وأثمـار انقرضت

وخلاصـة القـول ان هنـاك اصنافا من الثمرات والزرع قـد انقرضت كالقنب واليافـه وبذاره المسمى الانبش (القنبز) والاجلجق ، وهـو ثمرة لذيذة الطعم يشبه طعمهـا طعم الكرز او الفريز ، وهـذه الثمرة كان يصنع منها المرملاد ولهـا نواة كنواة الزيتـون . كمـا انقرضت ثمـرة الزعبوب وهو وردي الشكل ثمرته مستديرة ذات نـواة تشبه حبـات البن قبـل تحميصها ، وشجرتها تشبـه شجرة الجانرك ، أما شجرة الاجلجق فتشبه شجرة التـوت بطـول ساقها وتفرع اغصانها .

وانقرض ايضـا او في طريق الانقراض التفاح القـديم بجميـع أنواعـه السكري والفاطمي وابو غبره والسكارجي وغيره . وعلى طريق الانقراض المشمش البلدي الذي يصنع منه النقوع والمشمش الحموي والسندياني والعربيني وجميعهـا نضوجها مبكر والمشمش الشحمي الاحمر .

اغـراس تــوت

وانني في سبيل المحافظة على ثمـرة التوت من الانقراض فقد غرست عشر غرسات في مطلـع عـام / ١٩٨٥ / للمحافظة على هـذه الثمرة مـن الانقراض الـذي جرف غيرهـا من الثمـار . وكانت هـذه الشجرة تزرع أكثرها على حـدود الارض ليبقى ثمرهـا خارج الحدود حتى يتمكن الاشخاص المارون من اكل التوت مجاناً .

وبهذه المناسبة اقـول أن أكثر البسـاتين كان أصحابها يضعون جرناً حجرياً واسعاً عنـد باب البسـتان ويضعون بـه كميـة من جميع الثمـار التـي في البسـتان لتأكل المـارة منـه مجاناً . وكان يوجـد في المهاجرين بستان تملكه عائلـة الأيوبي واسمـه بسـتـان الجرن .

فالفرق كبـير اذن بـين عامي / ١٩٤٨ و ١٩٨٣ / فنحـن لا ننكر زيادة الانتـاج في سوريا وإن تكن هـذه الزيادة ليست بالمستوى المطلوب وليست كزيادة الانتاج في السعودية ، ولذلك فهي غـير كافيـة لأن الاستهلاك اكثر بكثير بسبب زيـادة عـدد السكان وارتفـاع دخل الفرد حيث أصبح الناس يعتنون بطعامهم ولباسهم ممـا ادى الى الاعتمـاد على المـواد المستوردة لأن زيادة الانتـاج غير مكافئة لزيادة عدد السكان، وانتشار الوعي الثقـافي والغذائي والصحي .

وهـذا ما سبب وجـود السوق السوداء وادخـال مـواد غذائيـة كثـيرة الى القطر بالاضافة الى مـواد البنـاء .

اذن فهـذا التطور الاجتماعي الذي نشر المساواة بـين ابنـاء شعبنـا مـن حيث العناية بالصحـة العامـة يجب أن يرافقه زيادة في الانتاج الزراعي والصناعي .

ازمـــة الخضـــار والفواكـــه

وبهذه المناسبة فان ازمـة الخضار والفواكه التي نعانيها في هـذه الايام ، ونشكو بسببها من فقدان هـذه المـواد خـلال موسم الشتاء ، لو رجعنـا الى اسبابها لوجدنا اننـا ساهمنا مساهمـة كبيرة في خلقهـا بسبب الهدر الذي استولى على حياتنـا في المأكل والملبس والمشرب والمسكن والمظاهر ، فقـد اصيبت البـلاد بتخمـة المحـلات الاستهلاكية وتحول الريف وكل قرية فيـه ، الى مدينـة عامرة بالابنيـة الحديثـة

والحوانيت المخصصة للاستهلاك وليست للانتاج مع الاسف ، وتحولت أبنية عواصم المحافظات الى أسواق بيع وشراء وحتى الطوابق العليا ، صارت مراكز استيراد وتسويق بمختلف الوسائل وخاصة بمواد الكهرباء والفيديو والكماليات للمباهاة .

سورية التي كانت ينبوع الخضار والفواكه ، ومصدرا من اكبر مصادر افتتاح وتصدير هذه المواد الى لبنان والاردن وفلسطين ومصر ، اصبحت تشكو من فقدانها .

اليس من العار ان نرى ازمة خضار وفاكهة في بلد الخضار والفاكهة ، ومن المؤلم ان يتزاحم المواطنون بالعشرات والمئات على ابواب صالات البيع للحصول على هذه المواد في حالة لا تطاق بين دفش ورفس ... ونعر ، وينتظرون دورهم لشراء كيلو بندورة او كيلو كوسا ، او كيلو برتقال . . ؟ وقد يصادف ان تنفذ الكميات الموجودة عندما يصل الدور الى من قضى ساعة او اكثر بالانتظار ، فينصرف بدون ان يحصل حتى على خفي حنين ليعود في اليوم التالي .

ولو رجعنا الى التاريخ ، لوجدنا ان دمشق بالذات ارسلت الاغراس الى اسبانيا إبانَ الفتح الاسلامي ، اجلْ لقد ارسلت اغراس الزيتون والمشمش والبرتقال والكباد والنارنج الذي هو الآن في طريق الانقراض عندنا ، وكان كل ذلك يرسل بالمراكب الشراعية بحراً حين كان عدد سكان سورية آنذاك كبيرا جدا ، مع الاكتفاء الذاتي في المآكل والملبس ، وتصدير الفائض .

اما الآن فقد اصبحت سوريا مع الاسف تستورد الحبوب والاعلاف واللحوم والسمن والاجبان والسكر والفاكهة والخضار بجميع أنواعها ، وهي التي كانت تموّن لبنان وفلسطين والعراق والحجاز بها الى وقت قريب .

وانني اذكر ، وقد يتذكر معي بعض الاخوة الزملاء ، اننا كنا منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى والى وقت قريب نصدر العنب والخوخ والكمثرى والتفاح والمشمش الى لبنان وفلسطين بما يعادل ست عربات سكة حديد يومياً ، ونصدر الى الاسكندرية بالبواخر ، وبعد استخدام السيارة للنقل ، صرنا نصدر لفلسطين من ١٠ ــ ١٢ سيارة يوميا ، ومن ٦ ــ ٨ سيارات فاكهة وخضار الى لبنان .

فهل يجوز الآن لسوريا التي تبلغ مساحتها / ١٨١٫٠٠٠ / كيلو متر مربع ، ان تستورد التفاح والكمثرى والعنب وحتى البصل والبطاطا ، من لبنان وتركيا وقبرص ؟ هذا ما لا يصدقه عقل ، ولا يقبله منطق سليم .

هناك حاجز ضد زيادة الانتاج ، اننا نطالب بتشكيل لجنة ترشيد للوصول الى كسر هذا الحاجز لأنه من المستحيل ان يزيد الانتاج بدون كسر الحواجز وتخطيها، ولا يجوز لسوريا البلد الزراعي الخير ، ان تعيش على استيراد المواد التي كانت تصدرها من خضار وفاكهة وأجبان وسمن ولحوم وبيض .

قد نحتاج في فصل الشتاء الى استيراد بعض المواد من الجارة الاردن ، كالكوسا والبندورة والباذنجان ، بسبب طبيعة طقس الأغوار الحار ، وذلك خلال مدة لا تزيد على شهرين الى ثلاثة اشهر .

إننا نطالب بتطبيق وتنفيذ ما جاء في خطاب رئيس جمهوريتنا الرئيس حافظ الأسد الذي القاه بتاريخ ١٩٨٥/٣/١٢ في مجلس الشعب ، بمناسبة تجديد رئاسته الثالثة والذي جاء فيه :

« سنعمل على تنمية القطاع العام وتشجيع القطاع المشترك وسوف نشجع القطاع الخاص ونساعد في تحويل اهتمامه نحو الانتاج .

سنعمل بكل ما نستطيع في المرحلة المقبلة للتوسع في التنمية اقتصاديا واجتماعيا، زراعيا وصناعيا وثقافيا ، وعلى مستوى حس المسؤولية الذي نملك يتوقف الكثير من امكان نجاح خططنا بهذا الشأن .

إن حس المسؤولية يجب أن يتجلى في سلوكنا اليومي وممارستنا اليومية ، اينما كان موقعنا ، وايا كانت أعمالنا فجميع العاملين في اي من الوزارات والمؤسسات والمعامل والمدارس ، يجب أن يشعروا بمسؤوليتهم مجتمعين ومنفردين عن ابقاء النور مضاء عندما لا تدعو ضرورة العمل الى ذلك ، وأ ن يبادر كل منهم بالتالي الى اطفاء هذا النور توفيراً للكهرباء . ويجب أن يشعروا بمسؤوليتهم عند ابقاء صنبور الماء مفتوحاً وتسيل المياه دون أن تكون حاجة لذلك ، وان يبادر كل منهم لاغلاق الحنفية أو اصلاحها اذا كانت معطلة .

يجب ان يشعروا بمسؤوليتهم عندما يرون باب مكتب مكسوراً ، جزئيا او كليا ، وان يسارعوا الى اصلاحه ، ولا يجوز ان يقول كل منهم ان هذا ليس من عملي بل من عمل الآخرين . وإلا ستبقى الأزمة آخذة بازدياد والاختناق » .

واضيف انا : لله در من قال : ويل لأمة تأكل مما لا تزرع ، وتلبس مما لا تصنع .

زراعـــة الجـــوز

زراعــة الجوز في سورية قديمة جداً ، واكثرها في دمشق ، وهو لا يزرع في بقيــة المحافظات إلا بنسبة ضئيلة لا تتجاوز الواحد في المئـــة . والجوز يستعمل في الأكــل كغــيره من انواع النقــل كالفستق واللوز وغيرهما ، كما يدخل في صناعة الحلويات . وهــو للذيذ ودسم اكثر من الفستق وارخص سعراً من الفستق . وكان اهالي بيروت يفضلونه في الحلويات على الفستق واللوز . كما انه يستعمل في المكدوس .

ولتفسير المكدوس اقول ان اهل سورية كانوا ياكلون الخضار في الصيف ، فاذا جاء الشتــاء لم تعد هنــاك خضار وفواكه طازجة . ولذلك كان الناس يعمدون الى حفظها بطرق مختلفــة ووضعهــا في غرفة موجودة في كــل دار تسمى غرفــة (المونـــة) اي المؤونة ، وهي مخزن للأغذية فيـــه الخوابي الكبيرة والوسطى والصغيرة المصنوعة من الفخــار (اي من الطين الفخاري) . وهذه الخوابي معــدة لحفظ الزيت والعــدس والفول اليابس والحنطــة والبرغل وغيرها ، كما كانت توضع فيهــا انــواع اخرى . فالبندورة تعصر في موسمها ويغلى العصير على النار او يجفف في حرارة الشمس ثم توضع في اوعية زجاجية (قطرميزات) لاستعمالها في الشتاء . والباذنجان والباميــة يجففــان ويحفظان . والكوسا يشرش اي يحفظ في المــاء والملح الى الشتــاء . امــا الفاصولية فتجفف حبوبها ، وكذلك الجوز يحفظ الى حين استعماله في سائر الفصول. ولنشرح المكدوس نقول ان الناس يسلقون الباذنجان في موسمه بالماء الحار ، ثم بعد ان يصفى من المــاء يفتح قلب كل باذنجانة ويحشى بمزيج معين من الجوز المكسر والملح والثــوم ، ثــم يوضع الباذنجان المحشو ــ بعد ان يترك قليلا ليحمض بعض الشيء ــ يوضع في الزيت ويؤكل طــول العام ولا سيما في الصباح . وكــان رب البيت بذلــك

لا يفتح كيسه للصرف إلا في المواسم للتمون ، أما في الوقت الحاضر فهو ملزم بالصرف في كل يوم .

أعود الى الجوز فأقول انه كان يصدر منه الى كل البلاد العربية إما بقشره وإما بعد نزع القشر عنه ، وكنا نصدر منه بقشره الى انكلترا وهولندا ومصر وباقي البلاد العربية . ومن الجدير بالذكر انه كان يزرع على جوانب الارض التي يملكها كل مزارع ولا يزرع في وسطها لأن ظل شجرة الجوز واسع وكبير وتأخذ شجرة الجوز مساحة كبيرة فزراعته على اطراف الارض من ناحية الطرقات تخفف اكثر من نصف ظله . ونظرا لغلاء اسعار الجوز وغلاء اسعار خشبه فان زراعته مربحة . ذلك ان خشبه أغلى من كل الاخشاب إذ يستعمل في صناعة الاثاث واسعار هذا الخشب تعادل خمسة أضعاف باقي الاخشاب . ومن الامور التي يجب التنويه بها أن شجرة الجوز تعمر أكثر من مئة وخمسين عاما ؛ كما أن جميع الاراضي تصلح له . ومن المؤسف أنه لما بدأ قانون الاصلاح الزراعي بالتطبيق (القانون ١٦١ لعام ١٩٥٨) اخذ كثير من الملاكين يقطعون أشجار الجوز خوفاً من الاستيلاء ورغبة في ثمنه لأن قيمة شجر الجوز الموجود في الارض أكبر من نصف قيمة الارض؛ لذلك لم يبق من اشجار الجوز عند الملاكين إلا العدد القليل .

وأذكر هذه الحادثة فقد جاء إليّ مزارع كبير يملك الاراضي في قرية زبدين في غوطة دمشق وكانت توجد على اطراف أراضيه اشجار جوز وقد وزعها على أولاده في حياته تهرباً من ضريبة التركات . وفي أحد الايام زار الاراضي فوجد أشجار الجوز في احدى قطع الاراضي وقد قطعت فغضب وجاء الى محلي وهو يغلي غضباً وقال لي انه قضى في زراعتها واستثمارها وصحبتها سبعين عاما فلما راى اشجاره مقطوعة تساءل من سيزرعها ثانية ؟ وهل لم يكن على ولده أن يشاوره في امرها ؟ وكان هذا الابن الذي قطع الاشجار صيدلياً معروفاً .

وقد احجم الناس عن زراعة الجوز بعد ذلك خشية من تأثيره على ملكية الارض المسموح باستبقائها للمالك الواحد . وكذلك لأن غرسة الجوز غالية وثمنها أكثر ثلاث مرات من ثمن غرسة المشمش والدراق وانتاجها يتأخر فلا تعطي إلا بعد خمس عشرة سنة من غرسها بينما شجرة المشمش تعطي الثمر بعد اربع سنوات أو خمس . ومع

هذا فان شجرة الجوز ضرورية بسبب الحاجة الشديدة الى ثمارهـا وارتفاع أسعار

هـذه الثمار ، ولأن هذا النقصان في انتاجها ترافق مع ازدياد استهلاك المـادة وقـد بلـغ سعر الجوز الحب في عامنا هـذا / ١٩٨٩ / ٧٥ ل.س ، والجـوز القلب ٢٧٠ ليرة سورية . ولسوف يزداد الطلب على الجوز في حين يتناقص الانتاج . وقـد افاق المزارعون على هـذه الحقيقة ولكن بدأت صعوبة الحصـول على الاغراس ، ولذلـك فزيادة العناية في المشاتل بهذه الاغراس ضرورية جدا .

اما نحن وكنـا قـد هيأنا أرضا لزراعتها بشجر الجوز عند صدور قانون الاصلاح الزراعي ، فقد أصررنا على اتمـام زراعتها بالجوز غـير آبهين بنتائج ذلـك أي حتـى ولو كان سيأخذها الاصلاح الزراعي . وقـد تمت زراعتهـا وهي الآن تعطي ثمارهـا وتعـد الآن ذات مردود عال ونموذجي بالنسبة الى سواها .

ولقد كانت سورية في عـام ١٩٣٨ قد صدّرت من الجوز الحب والقلب ما زنتـه ١٢٨٠ طن بينمـا انعدم تصديره في الوقت الحاضر لعـدم وجـود انتـاج كاف حتى للاستهلاك المحلي ، فاستوردنـا في عـام ١٩٨١ كميـة وزنها ٢٨٣١ طن مـن الجـوز الحب و ٥٤٧ طن من الجوز القلب وهي تعادل أكثر من ١٥٠٠ طن مـن الجوز بقشره اي بلـغ مجموع استيرادنـا منـه ٤٣٣٩ طن . وبذلك كنـا نصدر فصرنا نستورد ! .
ولعل هـذا ما ينبـه القائمين على الزراعة ! .

الفصل الرابع

قصة المشمش في سورية

أنواع المشمش الذي كان يزرع في بساتين دمشق وغوطتها الخضراء

بمناسبة انقراض انواع من المشمش اردت ان اسجل هنا وفي هذه العجالة انواعه المختلفة التي كانت تنتج في بساتين دمشق وغوطتها ، آخذاً بعين الاعتبار مواعيد نضجه وقطفه .

كان النوع الذي يبدا بالنضج هو **المشمش العربيني** ولونه غامق وحجم حبته من النوع المتوسط وبزرته مرة ، وكان يقطف بين اليوم العشرين واليوم الخامس والعشرين من شهر ايار ، وكميته قليلة جداً . وكان يزرع في البساتين المجاورة للمدينة . وباعتبار نزوله المبكر فان اسعاره تكون عالية .

والنوع الثاني الذي ينضج بعد المشمش العربيني هو المعروف باسم **السندياني** ولونه فاتح وحبته تشبه حبة المشمش الحموي وهي اكبر واصغر من المشمش الوزري ، غير انه ليس له طعم ، وهو قليل جدا واوسع مزرعة لا تحوي منه اكثر من شجرتين او ثلاث شجرات . وبزرته حلوة وينضج في اواخر شهر ايار واوائل شهر حزيران .

ثم ياتي المشمش الحموي ، وهو لذيذ المأكل نظرا لحلاوته ونكهته الطيبة ، وباستطاعة الانسان ان يأكل منه ما زنته كيلو غرام دفعة واحدة . وهذا النوع لا يحتمل البقاء على الشجر اكثر من يوم واحد بعد نضجه لذلك فان موسمه قصير لا يمتد اكثر من اربعة ايام ، وزراعته قليلة جدا . وهو يزرع في البساتين القريبة من المدينة لانه لا يتحمل التأخير ويجب ان يقطف ويستهلك بسرعة وذلك بسبب سرعة نضجه كما أسلفت . وفي المدة الاخيرة صار يزرع في القرى البعيدة مثل المليحا وجرمانا والحتيتة وبالا بعد ان اصبحت المواصلات سهلة وميسرة بالنسبة للقرى المذكورة .

وكان المرحوم شكري القوتلي يفتخر بهذا النوع من المشمش لانه محصول

دمشق ولا يزرع في غيرها ، وكان يكلفني عند نضج المشمش الحموي أن أعبىء اربعين أو خمسين صندوقا منه يوميا لارسالها هدايا الى الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية والى الملك فاروق ملك مصر والى رئيس وزراء العراق نوري السعيد ، وغيرهم ، وذلك خلال ثلاثة أيام . وكنت أعرف البساتين التي يوجد فيها هذا النوع ، وكان الصندوق يزن ستة كيلو غرامات ، وكانت الصناديق تؤخذ الى مطار المزة بعد أن تعبأ تعبئة جيدة لتأخذ طريقها بواسطة الجو الى الملوك والرؤساء العرب المرسلة اليهم ، وكان رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه يفتخر بهذه الهدية .

وقد غرست في مزرعتنا (المعدل) كمية من أشجار المشمش الحموي في قطعة أرض ، ثم بعت هذه القطعة ولكن المشتري قلع تلك الاشجار ، وأنا الآن أجدد زراعة هذا الصنف الممتاز من مشمش بلادنا .

وبعده يأتي **المشمش الوزري** . حجمه وسط بين الصغير والكبير . لونه غامق وبزرته حلوة ، لذيذ الطعم يتحمل السفر والنقل الى مسافات بعيدة . وكان يزرع في المزارع الكبيرة والصغيرة على السواء . وكان يصدر الى لبنان والمدن السورية وفلسطين بواسطة القطار ، كما كان يصدر الى مصر عن طريق البحر من بيروت الى الاسكندرية وتقوم بنقله باخرتان فرنسيتان هما شامبوليون وبروفيدانس ، وتقلع الواحدة منهما من ميناء بيروت مساء فتصل صباحا الى الاسكندرية حيث تنزل ويباع المشمش في الوقت المناسب دون أن يصاب بأي ضرر ، مثله في ذلك مثل المشمش الذي يباع في أسواق مدينة دمشق ، ينزل مساء فيباع صباحا ، أي كان المشمش المقطوف من بساتين الغوطة يصل الى المستهلك المصري والمستهلك السوري في وقت واحد .

ثم يأتي المشمش المعروف باسم **المشمش التدمري** وحجمه اكبر من حجم المشمش الوزري وبزرته حلوة ويتحمل السفر والنقل اكثر من المشمش الوزري المار ذكره ، وله مواصفات الوزري ذاتها ، وكان يصدر بعد انتهاء موسم الوزري .

وبعده **المشمش البلدي** ابن البلد المدلل . بزرته حلوة وطعمه لذيذ ونكهته

جيـدة جدا ولا يوجد لطعمه نظير في انـواع المشمش جميعها في كـل العـالم . غير أنـه لا يتحمل السفر والنقل . وهـو اقوى من الوزري ، ويستعمل للمعقود اي يغلى في القطر ويحفظ لاستهلاكه في فصـل الشتاء ، كما تصنع منـه مربيـات تعبأ بعلب وتقـدم هدايا في المناسبات المختلفة . كمـا كان يجفف ويصنـع منه النقوع (مشمش مجفف) . وهـذه التسمية نشأت من كونه ينقـع في المـاء مـع السكر ويؤكل كمـا يؤكل (الخشـاف) . وكان المشمش البلدي يزرع في المنـاطق البعيـدة مثـل الحتيته وبالا ، والآن وبعد أن توسـع الناس في زراعـة الانـواع الجديدة من المشمش مثـل **المشمش الفرنساوي** والمشمش **الأمريكاني** و **الولسن** ، صـار المشمش البلدي قليلا جـدا . ومـن الضروري أن تعتني وزارة الزراعـة بمـا بقي منـه وتنشط زراعته حتى لا ينقرض .

ثـم يأتي **المشمش العجمي** وهو ناصع البياض حبتـه كبـيرة وبزرته حلـوة وتنفصل عـن اللب بسهولة . طعمه سكري وحلاوته زائدة ، يتحمل السفر والنقل، لذلك فهـو يصدر الى البـلاد المجـاورة كأمثاله من الانواع التي تتحمل النقل ، إلا ان زراعتـه قليلـة جـدا لتأثره بالصقيع في بعض السنين . وهذا لا يعني أن الانواع الاخرى لا تتأثر بالصقيـع فهـو عندما يكون شديـدا يقضي على موسـم المشمش كلـه .

انـواع اخـرى مـن المشمش

ويمكن ان نتحدث عن نوع آخر من انواع المشمش هو المشمش الشحمي الذي كان يزرع في غوطة دمشق ، وهـذا المشمش لونه اصفر ومورّد وحبـه مكوّرة وحجمه متوسط ، واكثر مـا يستعمل للتجفيف بالنـار والشمس ويعبـأ للهدايا ، وكميته قليلـة ، وفقدانه الآن وعدم العناية بزراعته خسارة كبيرة لأنه كثير الحمل .

المشمش الكلابي

ثـم نحط الرحال لنطيل الحديث عن المشمش الكلابي لأنه أكثر الانواع رواجـاً في الزراعة حيث تشغل اشجاره اكبر مساحة من الاراضي المزروعة بالمشمش . تربى شتلات المشمش الكلابي في مشاتل خاصة ثم تنقل الشتلات بعـد عامين الـى المزارع والبساتين لتغرس من جديد فتنمـو وتعطي الثمر الكثير .

بزرة المشمش الكلابي مرة ، وانواعــه كثيرة تتجاوز الخمسة عشــر نوعا وذلــك حسب اللون والحجم والطعم وكثرة العصير اوقلتــه وبحسب أوقــات النضج . وهو يبــدأ بالنضج في أوائل شهر حزيران ويستمر القطاف وجني المحصول طــول هــذا الشهر . وشجره ينمــو ويكبر أكثر من اشجار المشمش كلها ، لأن الاصناف التــي ذكرناهــا تزرع بذرة في مشتل خاص كمــا ذكرنا آنفــاً وبعد عامين يجري نقلها الى الارض التي تعيش فيهــا بقيــة حياتها ، ويطعمها الفلاح بالنوع الــذي يرغب فيــه كالبلدي والحموي أو العجمي أو الوزري . وبــعد قبول الفرسة الكلابية للطعم تقطع الفروع التي نمت كلها ويترك الطعم ليصبح هــو الشجرة التي تربى ، وبذلــك يتأخر نمــو الشجرة الجديدة التي تنمو في الاصل على الفرسة الكلابية . وهــذا ما يجعل الفلاحين يرغبون في زراعــة المشمش الكلابي بوجــه خاص لانه لا يحتاج الى تطعيم ، وهــذا يعني نمــو الشجرة وكبر حجمها وسرعــة الانتاج حيث يكسب الفلاح مــدة نمــو الطعم وتحوله الــى شجرة على حــاب غرســة المشمش الكلابي التــي قطعت فروعهــا بعــد نمــو الطعم الجديد البلدي أو العجمي أو غــيره ممــا ذكرنا . وممــا يرغب المزارعين بالمشمش الكلابي كثرة انواعه واختلاف أوقات ازهاره فاذا حصــل صقيع خــلال وقت الازهــار فانه لا يصيب الانواع كلها لأن بعضها لــم يخرج زهره من أكمامه بعد ، وهــذا فيــه كسب بالنسبــة للفــلاح . والقرى التــي كانت تزرع المشمش الكلابي بكثــرة هي جرمانــا وحتيتــة جرش وبالا وبزينة ثم يتلوها بحسب الكميات والمساحات المزروعة جسرين والمحمدية وغيرهما .

وكان اشهر المختصين في جمع المشمش الكلابي وعصــره وتحويله الــى قمر الدين أهالي معربا وزملكا ، وهناك أسواق تقــام في المزارع في احضان الغوطــة يجتمــع فيها الضمانة ، ولهذه الاسواق دلالون مختصون حيث ينادي الدلال على البستان الفلاني أو بستــان بيت فــلان وتبــدأ المزاودة العلنيــة بألف لــيرة سوريــة مثــلا وتنتهي بثلاثة آلاف ليرة سورية او اكثــر حسب مساحــة البستان وكثرة حملــه فيبــارك الحضور لمن وقــع عليــه المزاد وفــاز بالبستــان ، ويقــوم هــذا بدفــع العربــون (ونسميــه في الشــام رعبون) لصاحب البستان الاصلي وهي سلفــة مقدارها مــن ١٠٪ الى ١٥٪ من قيمة الضمان الذي يدفع ما تبقى منه تدريجياً .

وكان من عادتهم انه اذا حصل صقيع قبل اليوم السادس من أيــار واحدث ضرراً

في بساتين المشمش المضمنة قبل هذا اليوم قدرت الاضرار الحاصلة بواسطة خبراء مختصين وخصم المبلغ الذي يقابل هذه الاضرار من أصل الضمان . أما اذا حدث الصقيع بعد السادس من ايار أو حصل ضرر بفعل قوة قاهرة كهبوب رياح قوية اقتلعت الاشجار وطرحت المحصول أو قسماً منه على الارض أو رافق الامطار المتأخرة بَرَد اتلف جزءاً من المحصول فالأمر يختلف من أشخاص الى أشخاص فبعض الملاكين كانوا يتساهلون مع الضمانة وينزلون لهم من قيمة الضمان وبعضهم الآخر كانوا يتشددون ولا ينزلون شيئاً ويستوفون المبلغ المتفق عليه كاملا . وحتى يحصلوا على المبلغ المتفق عليه كاملا كانوا يحجزون المشمش أو ما تبقى منه ويمنعون الضمّان من قطافه والتصرف به حتى يؤدي المبالغ كلها وربما حجزوا الدفوف والآلات التي كان يستعملها الضمان في صناعة القمر الدين .

ولتتضح الصورة في أذهان القراء أعود وأذكر القرى التي كانت تزرع أعدادا كثيرة من أشجار المشمش الكلابي وأذكر أسماء العائلات الدمشقية التي كانت تملك بساتين في تلك القرى فأقول تقع أكثر بساتين المشمش في المنطقة الوسطى من الغوطة الشرقية مثل قرية **جرمانا** وكبار ملاكيها آل البكري والعظمة والصواف ، **والمليحة** وكبار ملاكيها آل الدالاتي **والحتيتة وبالا** وكبار أصحابها آل القوتلي وآل الدالاتي ، **وزبدين** وكبار ملاكيها بيت الهبل وبيت الجاجة وبيت العجلاني وفيها مزرعة للشيخ عبد العزيز الخاني ، **وبزينة وبيت نايم وحوش الصالحية وحزرما** لعائلة العابد . والآن وبعد تطبيق الاصلاح الزراعي اصبح أكثر المنتفعين من أهالي التل وعربين وسقبا .

والضمّانة ليس لهم عمل سوى الضمان فهي مصلحتهم ينتظرونها طوال العام حيث يقومون في كل موسم بنقل الأسرة كلها : الزوجة والاولاد الى مكان الضمان في البساتين لجني المحصول وجمعه وعصره ونقله الى السوق . والربح الذي يحصل عليه هؤلاء الضمّانة انما هو مقابل جهودهم وجهود افراد اسرتهم ، واذا خسر الضمّانة تحمل تجار سوق الهال خسارتهم ، هؤلاء التجار الذين كانوا يحتضنون الضمّانة ويمدونهم بالسلف أي العربون المدفوع عند الضمان .

إبـدال انـواع جديـدة بالمشمش الكلابي

يتـم في مـزارع آل الشـلاح

في عـام ١٩٤٥ أرسلت الامم المتحـدة الى سوريا خبيرا زراعيا اسمه (بيكت) وهـو أميركي الجنسية . وكان المرحوم شكري القوتلي في ذلك الوقت يملك أرضا في بالا وانتقل مرض المشمش الى مزارعه ، فاستدعي الخبير الى القصر الجمهوري في المهاجرين واستدعي معه كاتب هـذه الاسطر كما استدعي المزارع احسان بك القوتلي ابن عم الرئيس شكري القوتلي وموظف في مديرية الزراعـة هـو السيد عادل الفحل وطلب منا جميعا ايجاد حلول لاستبدال أنواع أخرى بالمشمش الكلابي الذي كثرت أمراضه . وتشكلت هـذه اللجنـة بقرار رسمي صدر عن وزارة الزراعة وانتهت اللجنـة الى وضع قرار اهم ما جاء فيـه : زيارة مزارع الغوطة ومراقبة اصناف المشمش الكلابي عنـد الزهر ثـم عنـد العقـد (تحول الازهار الى ثمـار) ثـم عنـد النضج وتحليلها عنـد النضج للتأكد من أن أضرارا لـم تصبها لا في وقت الزهر ولا في وقت العقـد وللتأكد من كونها ذات بزرة غير عالقة وأن تكـون بزرتهـا صغيرة الحجم وأن تكون الثمرة قليلـة الالياف كثيرة العصير وتتحمل البقـاء على الشجرة اطـول مـدة ممكنـة بعـد النضـج ليتـم قطافها باليـد قبـل ان تسقط على الأرض .

كـل ذلـك لنصل في النهاية الى تحديد نـوع جيـد تتوفر فيـه الصفـات المار ذكرهـا ليصـار الى تكثيره وتعميـم زراعتـه في الغوطة كلهـا وهـذا مـا جـاء في مقررات اللجنـة الاولى كمـا أوصت اللجنـة ان يزور وفـد رسمي البلاد المنتجـة للمشمش وهي اميركا واسبانيا وفرنسا وايطاليا والهنـد وتركيـا لمعرفـة افضـل انواع المشمش ومعرفـة الطرق التي يصنع بها المشمش لدى هذه الدول .

ونتيجـة لجهود اللجنـة المشكلـة أمكن التعرف على بعض انـواع جيـدة مـن المشمش في قرى الغوطـة حيث كانت اللجنـة تلاحظ الاشجار المرقمـة من قبلهـا والموجودة في قرى الغوطـة ، تلاحظها عنـد الإزهـار وعنـد النضج وتلاحظ مـدى تأثرهـا بموجـات الصقيع ، وقامت اللجنـة بالتحليل عنـد نضج الثمـار لتتعرف

على كميـة السكر وكثرة الالياف او قلتهـا ثم وقفت اعمال اللجنة عند هـذا الحد . امـا نحن فلم ننتظر نتائـج اعمـال اللجنـة الحكومية فعندما تخرج ابني الدكتـور راتب عام ١٩٦٠ من جامعة بركلي قرب سان فرنسيسكو في الولايات المتحدة الاميركية توجهت الى تلـك البـلاد لحضور حفلة تخرجه وكان هنـاك ابني الدكتـور سليـم الشلاح وابن عمـه الدكتور موفق الشلاح اللذان تخرجـا عـام / ١٩٦٥ / . وقـد زرت عـدة مزارع ومشاتل ومصانع وفي اكثر من ولاية من الولايات المتحدة الاميركية واهمهـا ولاية كاليفورنيا المشهـورة بزراعـة انـواع الفواكه كلهـا لا على مستـوى الولايات المتحـدة فقط وانمـا على مستوى العالم ومـن بـين فواكـه كاليفورنيـا المشمش . فلاحظت انواعـه الموجودة في تلـك الولاية وتعرفت على نوعـين يناسبهما المنـاخ السوري ويوافقان المواصفات المطلوبة بالنسبة لمزارعينا ومستهلكينا في سوريا والعالم العربي . النوع الاول اسمه « نيلتون » والنوع الثاني اسمه « بلانهايم » ومن خصائصهما أن ثمرهما كبير الحجم ولونـه أصفر على أحمر وتنفصل بزرتهمـا عـن الثمرة بسهولة وحملهما كثـير ولا يتأثران بالصقيع إلا نادراً ، فأحضرت أغراسا مطعمة من النوعين نقلتهـا على متن الطائرة التي عادت بي الى رحـاب الوطن الحبيب .

ولا بـد لي هنـا مـن تسجيـل مـا لاقينـاه مـن الصعوبـات حتى تمكنـا من ادخـال الاغراس الى القطر ، فبعد وصول الاغراس وانزالها من الطائرة طلبت ادارة الجمـارك اجـازة استيراد لكي تسمح هـذه الادارة بدخولهـا . . . تقدمنـا بطلب الى وزارة الزراعـة واحيل طلبنـا الى موظف كبير في تلـك الوزارة اجاب على طلبنـا بالرفض وعـدم السماح بدخول الاغراس وحجتـه في ذلـك أن الاغراس غير مرفقـة بشهـادة زراعيـة من بلـد المنشـأ فحاولنا اقناعه وقلنـا لـه ان الاغراس لا يمكن أن تعيش حتى تصل شهادة زراعية من كاليفورنيا وسيمر شهر على الاقل حتى تصل هـذه الشهادة أضف الـى ذلـك أن موعـد زراعـة الاغراس سيمر ولن نتمكن مـن غرسها والاستفادة منها . ولم يغير الموظف الكبـير موقفـه وذهبت جهودنا المبذولـة لديه ادراج الرياح فاضطررنـا الى اللجـوء الى السيد وزير الزراعـة آنذاك الامـير حسـن الاطرش الذي اقتنع بوجهـة نظرنـا واوعز الى الموظف الكبير في وزارتـه بأن

يعطينا اجازة ادخال الاغراس فأدخلنا الاغراس وزرعناها في مزرعتنا بالعدمل وبعد عامين بدأ الانتاج واعطت الاغراس ثمرا جيدا وفير الكمية كما توقعنا ، فقمنا بتطعيم مشتل كبير حاو على أعداد كبيرة من اغراس المشمش الكلابي طعمناه بطعوم مأخوذة من النوعين الجديدين وحتى أخبر الناس واشرح لهم الخصائص والميزات الجيدة للنوعين الجديدين صعدت المنبر بعد صلاة الجمعة في مسجد لالا باشا الكائن في سوق الهال وكان غاصاً بالمصلين ، وتحدثت عن خصائص النوعين ثم طلبت ممن يريد أن يتعرف على هذه الخصائص أن يذهب الى مزرعتنا بالعدمل ووضعت امام المسجد سيارة جاهزة لنقل من يرغب في التعرف على المشمش الجديد لاستبدال المشمش الكلابي به فلم يلب الدعوة إلا شخصان . ومضى عامان وبدأ هذا النوع الجديد من المشمش بالانتشار في مزارع الفوطة ، والآن يشغل اكبر مساحة من الارض التي كانت مزروعة قبلا بالمشمش الكلابي .

واذكر هنا حادثة جرت لنا بالنسبة لهذا المشمش الجديد الذي حل ضيفا معززا مكرما في مزارعنا ومزارع الغوطة كلها بعد أن نقلنا اغراسه من أرض كولومبس من العالم الجديد ، من أميركا . ففي عام ١٩٨٥ كان محصول المشمش وفيرا جدا ونزلت اسعاره الى مائة وخمسين قرشا سوريا للكيلو غرام وكانت كلفة القطاف والتحميل وفرق الفارغة مائة قرش سوري على اقل تعديل ، لذلك فلم يبق من قيمة الكيلو غرام سوى خمسين قرشا . الامر الذي جعلنا نحوّله الى (نقوع) اي الى مشمش مجفف ، فحصلنا على كيلو غرام نقوع من كل اربعة كيلو غرامات من المشمش ، وكلفة القطاف والنقل وفرق الصندوق واحدة ولا تزيد هذه الكلفة عند تحويل المشمش الى نقوع عن خمسين قرشا سوريا لكل كيلو غرام من المشمش ، وعلى ذلك تصبح كلفة كيلو النقوع الممتاز ست ليرات سورية أي قيمة أربعة كيلو غرامات مشمش ، ويضاف اليها ليرتان فرق الكلفة فيصبح كيلو النقوع بكلفة اجمالية قدرها ثمان ليرات . غير اننا بعنا هذا الكيلو غرام من النقوع بسعر تراوح بين خمس عشرة ليرة وثلاثين ليرة ! وكل هذا بفضل الخصائص الجيدة للمشمش الجديد من نوعي نيلتون وبلانهايم المجلوبين من العالم الجديد .

وبالامكان أيضا تحويل هذا المشمش الى قمر الدين فيعطي كميات جيدة

ايضا نظرا الى كبر حجم حبه وكثرة العصير فيه . والفرق بين هذا النوع وبين المشمش الكلابي كبير جدا ويكفي انه لا يسقط على الارض عند نضجه وتبقى حباته قوية وقاسية فيمكن قطفه على مهل ونقله للعصير وبذلك نضمن نظافة القمر الدين .

واذا لم تتدخل الدولة لتمنع زراعة المشمش الكلابي إلا بعد تطعيمه من هذين النوعين الجديدين فان صناعة القمر الدين تبقى على ما هي عليه من الرداءة وعدم النظافة ، ولن نجد له أسواقا لأن الاقطار المستوردة ستضطر الى رفضه .

الفصل الخامس

صناعة القمر الدين

وجهود آل الشلاح في تطوير هذه الصناعة

اما فيما يتعلق بصناعة القمر الدين فالمشمش الكلابي كما ذكرت له انواع كثيرة تربو على خمسة عشر نوعاً . وكثير من الاشجار تكون ثمارها غير ناضجة في المساء وفي الصباح يتساقط الثمر على الارض بكثرة وهو على درجة من النضج لا يمكن معها نقله الى مكان بعيد ، الامر الذي جعل المزارعين يفكرون بتصنيع المشمش في حدود الارض التي تنتجه أي ضمن البساتين . وهكذا ظهرت الى حيز الوجود صناعة القمر الدين تلبية لهذه الظاهرة من ظواهر زراعة المشمش الكلابي، والحاجة أم الاختراع كما يقولون . ويمكن إجمال المراحل التي يمر بها المشمش حتى يتحول الى قمر الدين حسب الطريقة البدائية بالخطوات التالية :

يقوم صاحب الصنعة ببناء محل من لبن وطين يسمى مصطبة لجمع المشمش بعد جنيه ، وترتفع المصطبة ثلاثين سنتيمتراً عن سطح الارض وعلى حافات المصطبة حواجز بارتفاع نصف متر ، وتمد أرض المصطبة بالزرقة التي كانت تستعمل في مد الارض قبل وجود الاسمنت والبلاط . وتبنى الى جانب المصطبة حيث يكوم المشمش الناضج كما ذكرت حواجز بارتفاع متر وربع المتر يوضع فوقها الفربال ، وبين هذه الحواجز وتحت الغربال يوجد الحوض المسمى (التيفار) ويجتمع فيه عصير المشمش النازل من الفربال . . .

يجمع المشمش من الارض صباحا ومساء ويوضع على المصطبة ويزال عن الحبات ما يكون قد علق بها من تراب او طين حيث قد سقط المشمش على أرض مسقية مزروعة ببعض الخضار . وبعد اذان العشاء يأتي شخص اسمه المعاك فيقوم بنقل المشمش الى الفربال ويمعكه كما يمعك الثوب فينزل عصير المشمش من الفربال الى الحوض أي (التيغار) خاليا من البزر والثفل واكثر المعاكة كانوا من اهالي منين لانهم أقوياء يستطيعون القيام بهذا العمل الشاق .

ومـع طلوع الشمس تكون الدفوف مهيـأةالى جانب الحوض (التيفار) ليمـد عليهـا العصير . والدف مصنوع من خشب الحور الرومي يدهن بالزيت حتى لا يعلق عليـه العصير (القمر الدين) بعـد الجفاف . . . ويكون الاولاد والنساء واقفين الى جانب (المدّاد) الذي يمـد كيل عصير على كل لوح من الواح الخشب ثـم تنقل الالواح الى المكان المعـد لهـا وهو (المسطاح) حيث تجف بتأثير حرارة الشمس . وبعد يومين من تعريض الالواح والعصير للشمس يجف العصير ويتحول الى قمر الدين. وفي الساعة الخامسة من مسـاء اليوم الثاني ينزع القمر الدين عن الدفوف (الالواح) ويطوى وينقل الى مقر العمال (الورشة) ومـن الطبيعي انـه كانت قديمـاً تعلق بالقمر الدين بعض الحشرات كالذباب والنمل والناموس وغيرها .

وبعـد انتهـاء موسم القطـاف والجمع والعصير والتجفيف يجمع القمر الدين حيث تضم كل ثلاثة دفوف بعضها الى بعض ويوحد الوزن حيث يجعل وزن كل لفـة (ربطة) رطلا واحدا اي كيلوين ونصف وستة غرامات (٢٥٠٦) ، ويخزن القمر الدين في مستودعات خاصة بعضـه فـوق بعض حتى يقترب شهر رمضان المبارك فيخرج القمر الدين من مستودعاته ويباع في الاسواق وكان في الماضي يصدر قسم كبير منه الى مصر.

هـذه هي المراحل التـي كانت تمـر بهـا حبـة المشمش حتى تصبح طيـات (لفـات) من القمر الدين فيستمتع بها الناس ولا سيما بعـد عطش شديد كما هـو الحـال في شهر رمضـان المبـارك .

وفي عـام ١٩٣٩ طلبنـا آلات من المانيـا لعصر البندورة بالاضافة الى آلات معمل الكونسروة الذي سيأتي ذكره في حلقة غير هـذه الحلقـة وكان بين تلك الآلات معصرة لعصر البندورة جربنا ان نعصر القمر الدين بواسطتها ولكن التجربة لم تنجح في البداية لأن البندورة طرية ولا تحتاج الى ضغط واما المشمش فيحتاج الى ضغط حتى لا يبقى مـع الثفل والبزر اي قطرة من قطرات العصير . فلما استعملناها في عصـر المشمش صـار بزر المشمش ينكسر أكثره تحت الضغط الشديد ويختلط عصيره المر بعصـير المشمش ، وكان هنـاك شخص ماهر في الصناعة (ميكانيكي) اسمه ابو محمود يونس الجزائرلي ومحلـه امـام جامع المعلق وطاحونة الحلوانية في شـارع الملك فيصل ، وكان لديه مخرطـة . فدعونـاه ليحضر التجربة ، فحضر وفكر وقام بتغيير الاجزاء التي تهرس المشمش (وهي من الكاوتشوك) ، وبعد عـدة تجارب واجراء تعديل على

السرعات بالنسبة للمحرك اصبح من الممكن عصر المشمش بهذه الآلة .

وهكذا أصبح المشمش يعصر بالآلة بدلا من عصره باليد وحصل ذلك في مزارعنا ومصانعنا فقط لأكثر من عشرة اعوام ثم انتقل الى أرباب مهنة صناعة القمر الدين تدريجياً وتطورت صناعة آلات العصر محليا وازداد الاقبال عليها حتى اصبحت على ما هي عليه الآن : اي معصرة بطابقين الطابق الاول يفصل البزر وثقوب مصفاته واسعة والثاني يفصل الثفل وثقوب مصفاته صغيرة ، وهكذا ينزل العصير خاليا من البزر والثفل .

وقبل نجاح هذه التجربة وتحويل العصر الى الآلة بدلا من الايدي كان المرحوم والدي قد اشترى عام ١٩٣٤ قطعة ارض في جرمانا مساحتها تسعة عشر فداناً اي ما يقارب (١١٤) دونماً من المرحوم مدحت البكري وفيها مشمش فاضطررنا لبناء المصطبة والحوض (التيفار) اللذين اتينا على ذكرهما سابقا ، ولكننا بنيناهما من الاسمنت وغلفناهما (بالبورسلين) وبدانا نغسل المشمش قبل عصره وكلفنا عاملات بتنقية المشمش من الشوائب أيضا . ولكن هذه التدابير لم تمنع النمل والحشرات الاخرى من التهافت على العصير الطري فتغرق فيه وتجف معه ، اضف الى ذلك ان الدفوف بعد نقلها الى المكان المعد لتجفيف العصير (المسطح) كانت تتعرض للغبار الذي كان يغطي القمر الدين بطبقة مقززة وهذا ما جعلنا نفكر برفع الدفوف عن الارض بواسطة رفوف حديدية لتصبح بمعزل عن الحشرات التي تدب على الارض وليخف تعرضها للاتربة المثارة بفعل الرياح .

ثم ادخلنا (القطر) بنسبة قليلة جدا وبهذه الطريقة تخلص القمر الدين من حشرة القاطوع التي كانت تحفر القمر الدين وتعيش بين طياته مخلفة آثارا تقزز النفس ، وخاصة اذا كان جسدها الميت المتفسخ هو احد هذه الآثار . وقلدنا الناس في الخطوات التي كنا نخطوها في هذه الصناعة غير أن بعضهم أضاف القطر بكميات كبيرة على سبيل الغش لأن قيمة القطر أقل من قيمة المشمش فربح هؤلاء أرباحا طائلة ولكنها غير مشروعة في الوقت الذي حافظنا فيه على نسبة القطر المحدودة فتعرضنا لخسارة لأن وزارة التموين سعرت المشمش دون أن تنظر الى

كمية القطر المضافة الى العصير ... واذا كان رمضان المبارك وهو موسم بيع القمر الدين لا يزال بعيدا تدهن طيات القمر الدين بالزيت لتحفظ من القاطوع المار ذكره .

وأما تعبئة القمر الدين وتهيئته للبيع فهي كما يلي :

تلف كل ثلاثة دفوف لفة او طية ويوحد الوزن كما ذكرت سابقا بحيث يكون وزن اللفة او الطية كيلوين ونصف وستة غرامات حتى يصبح الرطل (٢٥٠٦) غرامات ، وعندما الغي الوزن بالرطل واصبح الوزن بالكيلو ، وحدث ذلك أيام الانتداب الفرنسي على سورية صار وزن اللفة او الطية كيلوين ونصف اي (٢٥٠٠) غرام ثم نزل وزن اللفة الى كيلو غرام واحد ثم الى نصف كيلو غرام وربع كيلو غرام ، واصبحت تهيئته للبيع تكلف بقدر نصف قيمته ، ثمن ورق السلوفان وثمن العلامة المسجلة (الماركة) وأجور اليد العاملة .

وفي نهاية المطاف لا يسعني إلا ان أقول ان الواجب الوطني يحتم علينا أن نستمر في تطوير صناعة القمر الدين كما يحتم علينا أن نبحث دائما عن أنواع جديدة من المشمش حيث نحصل على كميات كبيرة من المحصول الجيد الذي يعطي كميات وفيرة من العصير الخالي من الثفل . فالقمر الدين سلعة لها أسواق في الوطن العربي والعالم ويمكن أن تعود على الدخل القومي لقطرنا بالربح الوفير فسدد الله الخطا واخذ بأيدي القائمين على تحسين اقتصادنا العربي ليصلوا الى كل ما هو مفيد .

هذا وقد حدث قبل ايام الوحدة مع مصر ان تطرق الرئيس عبد الناصر في احدى خطاباته الى ضرورة منع عادات كانت سائدة عندهم في رمضان منها استعمال (النقل) أي المكسرات واصناف (الياميش) اي القمر الدين والنقوع وغيرها ، فبدأت السلطات المصرية تقوم بمضايقات لمنع دخولها بحجة أنها تحمل حشرات تؤثر على محصول القطن . وقد قال الرئيس عبد الناصر أنه بامكان الشعب الاستغناء عن القمر الدين والاستعاضة عنه بالتمر هندي الذي يستورد من الهند . وقد قمنا بعمل تحليل في مصر للقمر الدين بواسطة موظف في الزراعة ونشرت خلاصة

التحاليل في مجلة حواء المصرية في ذلك الحين ، وذلك لاثبات فائدته ونقائه ، ولكن القمر الدين ظل يمنع من دخول مصر حتى عام ١٩٦٩ ، ثم عادوا فسمحوا به حتى عام ١٩٧٦ ، ولكنهم بعد ذلك صاروا يمنعون جلبه من سورية مباشرة ، ولكن يذهب الى مصر عن طريق المسافرين المصريين في الخارج .

وأذكر وأنا أتحدث عن صناعة القمر الدين والنقوع انه كان لكل وزارة من وزارات الدولة ايام الانتداب مستشار فرنسي وهو الحاكم الفعلي القائم بتصريف الامور ، والوزير لم يكن إلا واجهة لتغطية تصرفات المستشار . كان مستشار وزارة الزراعة رجلا مسنا وقورا عاقلا طيب القلب اسمه (آشار) وقد تعرف على والدي وزاره في محله في خان الباشا مرات عديدة وافهمه ان مادة الكبريت اذا استعملت في تبخير حبات المشمش أكسبتها لونا أصفر فاقعا ويكون لون القمر الدين او النقوع أحمر فاتحا ، ولا يعود يتأثر بالشمس التي كانت تجعل لونه أحمر غامقا ، وقال ذلك الرجل ان تبخير المشمش بالكبريت عملية بسيطة ولا تكلف الصانع كثيرا من المال . كما انه أحضر لنا صورا لآلة التبخير (كاتلوك) فاقتنع والدي رحمه الله بفكرة هذا الخبير وصنع مباخر شبيهة بالخزانة التي كانت تحفظ فيها الاطعمة ايام زمان (النملية) غير ان ابوابها مصنوعة من الاسلاك (منخل) يوضع المشمش في أقفاص داخل المبخرة مع أصابع الكبريت المشتعلة فيتخلل الدخان حبات المشمش في اقفاصها على الرفوف . . . عرضنا فكرة التبخير على الضمانة الذين كانوا يرتبطون بنا بحكم عملهم كما بينت في حديث سابق غير انهم لم يرغبوا فيها بسبب كلفة المباخر والعمال الاضافيين فضلا عن نقل المباخر الى البساتين بعد دفع أثمانها ... وهذا ما دعانا الى عمل (ورشة) تجريبية كبيرة على سطح وكالتنا في خان الباشا قامت بتبخير المشمش قبل عصره .

فنتج عندنا نوع جيد من القمر الدين والنقوع اقبل الناس على شرائه وطلبت منا كميات كبيرة على الرغم من أن اسعارنا كانت تزيد بمقدار ٢٠٪ عن أسعار القمر الدين والنقوع المنتج عند غيرنا بلا تبخير ، بينما لا تزيد كلفة اصنافنا عن ٨٠٪ من كلفة اصناف غيرنا مع وجود خطوة جديدة هي تبخير المشمش بالكبريت قبل العصر ... ثم انتشرت هذه الخطوة بين ارباب المهنة عاما بعد

هـام الى ان أصبحت جميـع منتجا تالمشمش كالقمر الدين والنقوع تصنـع مـن أثمـار مبخـرة بالكبريت .

وعنـدي صورة في هـذا الشـأن يظهر فيها المرحوم والدنا سليم الشلاح واولاده محمـد وبدر الدين وانور وهم يرتدون البسة العمل ومعهم بعض عمالهم الدائمـين وهم يقومون بصنع القمر الدين مـن ثمـار المشمش بعد غسلها وتنقيتها من الشوائب وتبخيرها بالكبريت . ومن العمال الظاهرين في الصورة : ضاهر الشنواني ابن شقيق سعيـد الشنواني التاجر المشهور بخان الباشا في ذلك الحين ، وصالح الشنواني الذي اصبح هـو الآخر تاجرا في سوق الهال .

الامراض والآفات الزراعية التي كانت تصيب المشمش

اما الأمراض والآفات الزراعية التي كانت تصيب المشمش وغيره مـن المحاصيل الزراعية فهي كثيرة جـدا منهـا ما يسمى بدودة البحر الابيض المتوسط وهي حشرة تعيش في التـراب على وجـه الارض تبقـى في مكمنهـا حتى تتكون ثمـرة المشمش (القرعـون) فتترك المـكان الـذي كانت تعيش فيـه وتطير لتقـع على ثمر المشمش (القرعـون) وتنفرز فيـه وتنمـو وتصبح حشرة تاكل البذرة قبل النضج ثم تعـود ثانية الى الارض . وكنـا لا نعرف عن هـذه الحشرة شيئا على الرغم مـن ان وزارة الزراعة كانت من الوزارات التـي تشكلت منـذ امـد بعيـد . واذكر انـه كـان في حكومتنـا سبع وزارات فقط : الداخلية والعدلية والاشغال العامة والمعارف والصحة والزراعة والماليـة ورئاسة مجلس الوزراء ، كان ذلك قبل أن تحدث وزارة اقتصـاد ووزارة صناعـة ووزارة عمـل وغيرهـا من الوزارات حيث بلـغ عـدد الوزارات في هـذا الوقت الذي احرر فيـه هـذه الاسطر ستاً وثلاثين وزارة على رأس كل وزارة وزير مختص يشرف عليها ويصرف امورها وينفذ ما جاء في خططها . . . .

ولنعد الآن بعـد هـذا الاستطراد القصير الى موضوع الحشرات وهـو موضوع هـذا البحث : فقـد انتشرت الحشرات بكثرة في قريـة بالا وانتقلت منها الى بساتين الحتيتة والمليحـة وغيرهمـا ، ولأجل مكافحة الحشرات والقضـاء عليهـا أصدرت مديرية زراعـة دمشق التي كان يراسها آنذاك جـواد المظمـة قرارا يقضي بدفـع لـيرة سورية الى كل شخص يجمع كميـة تنكة من المشمش المثقوب ويسلمها التي

المديرية لحرقها ، ولكن هـذا الاجراء لـم يات بالفائدة وفيـه ضرر ولو بقي المشمش على الاشجار حتى ينضج وجني عندهـا وحوّل الـى قمر الدين لكان الضـرر اخف والخسارة قـد لا تتعدى النصف لأن القمر الدين الناتج مـن النـوع الرديء والبزر يتلف منـه ما يقارب الثلاثين بالمائة .

في هذه الفترة التي اتحدث عنها اي الفترة المحصورة بـين عام ١٩٢٠ وعام ١٩٤٠ كانت علاقتنا بالضمانة وبمصلحة القمر الدين كبيرة جدا حيث كـان والدنـا المرحوم سليم الشلاح من أكبر تجـار سوق الباشا أي قبل ان يبنى سوق الهال القديم الذي الغي الآن وكان بناؤه أيـام الانتداب الفرنسـي على سورية ، كما كان والدنا رحمه الله من أكبر مصدري القمر الدين وباقي أصناف (الياميش) كالنقوع والجـوز والزبيب واللـوز وغيرهـا من المكسرات والمجففات وكانت تصدر الى مصر وفلسطين .

سـوق الهـال

بهذه المناسبة اقول ان تجـارة الخضار والفواكـه كانت مـن قبـل منحصرة في خـان الباشـا الذي يجاوره من الغرب سوق الزيت والدبس ثم خـان البطيخ (حيث كانت مدرسـة الصناعة) . وفي عام ١٩٣٠ كان المندوب الفرنسي قـد ابدل تسميـة رئيـس بلدية دمشق فجعلها (حاكم دمشق الاداري) وعين لهـا السيد واثق المؤيـد العظم وكان امـين سـره حيدر مردم بك . فلما جرى اقتراح بنقل تجارة الخضـار الى سوق جديد يسمى بالهال على موجب التسمية الفرنسية ، اقترح حيدر مردم بك ان يكون موضعه فيبستان عائد لآل مردم بك ووقف لالا باشا ، ولم يكن له مدخل إلا من ناحيـة خـان البطيخ الذي يمر فيـه شارع الثورة الآن . وقـد تـم ذلك واستملك البستان على أساس ان سعر القصبـة (٢٤ مترا مربعا إلا ربع) اثنتـا عشرة لـيرة ذهبيـة ، ولكن حيدر بك استأنف قرار الاستملاك ، وكـان والدي عضوا في اللجنـة الاستئنافية فرفعت السعر الى عشرين ليرة ذهبية للقصبة . ولكن الاوقاف اعترضت لأن عائدات الوقف لها ، ثم انتهى الاعتراض حين بنـوا جامع لالا باشا في شارع بغداد لقـاء العائدات الآتية من هذه الارض . وتم بناء سوق الهال القديم في مركز المدينة .

وفي تلك الفترة ايضا تم بنـاء فندق امية القديم في ساحة المرجة (الشهداء الآن) علىزاويةالبحصة ، رغم وجود اشارةعلىالارضلتوسيعالشارع . ومايزالالفندق قائما.

الفصل السادس

أعمالنا الزراعية والصناعية والتجارية دروس وعبر

المعرض الأول وشركة الكونسروة

وفي تلك السنة نظم في دمشق معرض للصناعة والزراعة في الجامعة وعرض والدنا به النقوع والقمر الدين ، وكذلك كان اشترى طنجرة ضغط على البخار لحفظ الخضار التي تسمى بوقتنا (الكونسروة) وأخذ شهادات . ونشأت بعدها فكرة لتأسيس شركة مساهمة ، وبعد اجتماعات عقدت في دار والدي وبها صالون كبير يتسع لاكثر من خمسين شخصا تمت صياغة نظام الشركة ، والذي صاغه كان المحامي المرحوم نقولا نفش والمحامي كمال الخياط ، وطرحت الاسهم للبيع وكانت الأزمة في البلاد في منتهى الشدة والخسائر تتتابع على التجارة والزراعة حتى أصبح المخزن الذي كانت قيمته الف ليرة ذهبية لا يساوي مئتي ليرة ذهبية ، وقيمة فدان الارض في الفوطة الذي كانت قيمته ثلاثمائة ليرة ذهبية لا يساوي أكثر من ستين ليرة ذهبية ، وقد نشط اعضاء المجلس التأسيسي للشركة بالسفر الى جميع البلاد السورية لبيع الاسهم بعد القاء الخطب والدعايات ولكن ذلك لم يغطّ سوى ١١٥٠٠ سهم من أصل ١٥٠٠٠ سهم وقيمة كل سهم ليرتان ذهبيتان ، بالاضافة الى صدور قرار حكومي لاشتراك الموظفين بسهم وسهمين . وتم انتخاب اعضاء مجلس الادارة وكان والدي اكثر الاعضاء أصواتا ومع ذلك تنازل عن الرئاسة الى السيد شكري بك القوتلي ، تقديرا واحتراما وشغل هو منصب الخازن .

وبدؤوا بتأسيس المعمل ، فحصل الخلاف بين والدي والسيد شكري القوتلي لأن والدي يريد الاقتصاد بالنفقات وأن يقتصر البناء على الضروري ، وما كان احد من الاعضاء يتفق مع والدي لأنه رحمه الله تعالى كان شديد الانفعال وينقصه الاسلوب

لعرض نظريته مع انه كان رأيه سديدا ونظرته بعيدة . وحصل اختلاف بينهم على مشترى الارض للمعمل وانقسموا فريقين احدهما يتزعمه والدي والآخر يتزعمه شكري بك الذي كان يستولي عليه باسلوبه الناعم السيد سعيد افندي حمزة نقيب الاشراف ومراده شراء ارض للمعمل في اراضي عين ترما القريبة من دمشق . بينما والدي يرغب شراء الارض في شارع بغداد . واحتكموا الى دولة عطا بك الايوبي رحمه الله تعالى الذي شغل عدة مناصب حكومية ووزارية ورئاسة الوزارة ، وقد كان رأيه بجانب راي والدي ، وتم شراء الارض في شارع بغداد بسعر القصبة ٤٫٥ ليرات ذهبية من زوجة ديب الشيخ المعروف بأبي عبده الشيخ والذي كان من الثوار البارزين في الثورة السورية ضد الافرنسيين . ولكثرة الاختلافات بين والدي والسيد شكري القوتلي استقال والدي وانسحب من المجلس وكان يملك مئتي سهم دفع من ثمنها قسط واحد هو مائتا ليرة عثمانية ، فباعها في المزاد العلني بنصف القيمة اي أنه خسر ما دفعه مقدما . وتقلب على ادارة الشركة عدة مجالس ولا زالت قيمة السهم الواحد ليومنا هذا ما يقارب من راسماله ، اي ليرتين عثمانيتين ذهبيتين بينما القوة الشرائية أصبحت لا تقل عن عشرة اضعاف . ومع ذلك اذا كانت قيمة السهم لا تزال براسماله فان الفضل يعود لوجود الارض في شارع بغداد ، فقد اصبحت قيمة الارض وحدها تزيد على مئتي ضعف عن مشتراها ساعة كتابة هذه السطور ، ولولا وجود الارض وتحسينها لما كان السهم يساوي ربع راسماله مع ان شركة الاسمنت تأسست في تلك الفترة وكان سعر السهم اربع ليرات ذهبية ولكنه تضاعف كثيرا قبل التأميم عدا عن الارباح السنوية الباهظة التي توزعها والتي تتراوح بين عشرة وخمسة عشر بالمائة.

العمل المتواصل والانضباط

واذكر اننا في تلك الفترة من العمل التجاري النشط ، كنا نبدأ بالعمل قبل شروق الشمس في بيع المحاصيل ، ونقضي النهار كله في اخراج الفواتير للفلاحين ونقل الدفاتر وجباية الديون وعمل الصوافي للمتعاملين ، ونكاد لا نجد وقتا للطعام . ولم نعمد الى تنظيم اوقاتنا إلا بعد زمن طويل ، عندما تحدث الينا شقيقنا رشاد عن مشاهداته في اوروبا حيث اتم تحصيله ، وضرب لنا العديد من الامثلة عن تنظيم اوقات العمل والراحة وفرض الانضباط على كل شيء .

وعلى الأثر ، بدات برمجة يوم العمل وتحديد مواعيد الطعام والراحة ، وعمدت الى ارتداء الحلة الفرنجية ، وفي الوقت نفسه تمسكت بملاة الصدق والاستقامة في التعامل ، فازدهرت اعمالنا وربحنا السمعة الحسنة والثقة في الوسط التجاري ، وكان كبار التجار في سوق الهال يشركونني في مشاوراتهم واجتماعاتهم .

انتخبت مراقباً لشركة مساهمة

وفي عام ١٩٣٢ ، اتفقنا على تأسيس شركة مساهمة لتصدير الفواكه والمجففات الى فلسطين وهدفها تجاوز العمل الفردي والمنافسة الضارة والخلاص من الفوضى، بعد ان حلت الخسائر بالكثيرين نتيجة لغياب النظام ، وقد انتخبت مراقباً للشركة بصلاحية تفوق صلاحية الرئيس ، واستمرت الشركة عاما كاملا تحققت فيه أرباح كبيرة ، ولو استمرت هذه الشركة لكانت من اكبر الشركات في القطر .

عودة اخي انور من امريكا

وفي عام ١٩٣٣ عاد شقيقي انور من الولايات المتحدة الاميركية بعد أن حاز شهادة ماجستير بالكيمياء والتجارة ، وفوجىء بخروج والدنا من شركة الكونسروة ، حيث كان يأمل أن يشغل فيها منصبا يتفق مع اختصاصه ، واقترح والدنا أن ننشىء معملا مستقلا للكونسروة على ان نبدا بتجهيزات بسيطة ، بينما كان انور يفضل ان نخصص مبلغا كبيرا لهذا المشروع لشراء تجهيزات عصرية حديثة على مستوى التكنولوجيا الاميركية التي اطلع عليها وكان شديد الاعجاب بها خلال وجوده في الولايات المتحدة الاميركية للدراسة ، ولكن والدنا رفض المجازفة بمبلغ كبير قبل أن يضمن النتائج .

كانت الاموال في تلك الايام قليلة بأيدي الناس ، وكان اكبر تاجر لا يوجد لديه مبالغ نقدية تزيد عن ألفي ليرة ذهبية عثمانية ، وكان تاجر مال القبان لا يربح في كيس السكر الواحد اكثر من ربع ليرة سورية ، وبائع نصف الجملة في سوق البزورية يكتفي بربح الكيس الفارغ ، كما كان صندوق الشاي يربح فقط ثمن الصندوق الخشبي اي (الفارغة) .

كنت واخي شفيق نعمل سوية وشراكة في سوق الهال ، وكان اخي انور قد ابتدا بالعمل مع والدنا واخينا الاكبر محمد ، ثم انضم اليهما شقيقي رشاد لدى عودته بعد

اتمام دراسته في فرنسا ، فنشأت خلافات من بين اسبابها أن أخي آنور طبع عنوانا باسم (سليم الشلاح وأولاده) بدلا من سليم الشلاح ، وذلك دون علم والدي وموافقته المسبقة ، اضافة الى الخلاف حول موضوع أساليب الصناعة الاميركية التي لم تكن مألوفة في وسطنا وعقليتنا .

الانطلاقة التجارية خلال الحرب الاسبانية

وفي عام ١٩٣٧ شبت الحرب الاهلية في اسبانيا التي كانت تصدر المشمش الى انكلترا ، فاضطرت الاخيرة الى البحث عن هذه المادة في سورية ، وكانت طلبياتها كبيرة ، فأقدمنا على ضمان محصول معظم البساتين من المشمش وأحدثنا اربعين ورشة مزودة بالعبوات والزيوت وحيوانات الجر لجمع هذا المحصول ، وقد ضمت ورشة جرمانا أكثر من اربعمائة عاملة ، وزاد مجموع عمال الورشات على ثمانمائة عامل، تم تزويدهم بسلالم القطاف ودفوف التجفيف . ولقد صنعنا وانتجنا وصدرنا اكثر من شركة الكونسروة برأسمالها وامكانياتها الضخمة .

واشتد الطلب العالمي على المشمش المصنع ، فتابعنا في العام التالي تعهدات التصدير ، وصادف أن مواسم الزيتون في اسبانيا كانت ضئيلة ، وحصلت ثورة فرانكو في اسبانيا فاضطرت ايطاليا الى استيراد الزيت من سورية ، فعقدنا صفقات كبيرة لتصدير هذه المادة ، وكانت الاسواق الاميركية عطشى الى مادة زيت الزيتون التي كانت ايطاليا تستوردها للتصفية من الأسيد ، في حين أن التوتر الدولي ينذر بالمزيد من الازمات ويقود العالم الى الحرب .

وما لبثت هذه الظروف الحرجة أن فجرت الحرب العالمية الثانية في أيلول عام ١٩٣٩ ، وكانت لدينا كميات من القمر الدين والجوز والنقوع معدة للتصدير الى اوروبا ومصر ، ولكن نشوب الحرب دفع السلطة الافرنسية الى اصدار قرار بمنع تصدير المواد الغذائية حذرا من فقدانها ، وبادرنا لبذل المساعي مع السلطة للافراج عن تصدير الاصناف المخزونة لدينا ولدى التجار والفلاحين ، ونجحنا فيذلك ، ونظرا لظروف الحرب كان من الصعب جدا ايجاد باخرة لنقل الكميات المعدة للتصدير بحرا ، ومرة أخرى تمكن والدي من تذليل هذه العقبة واتفق مع باخرة متجهة الى

الاسكندرية لنقل تلك الكميات على ان ارافقها بنفسي لتأمين تسليمها وتصفية حساباتها وتسوية علاقاتنا مع التجار المصريين حيث كانت لنا حسابات جارية تبلغ الف ليرة ذهبية نظرا لاحتمال انقطاع المواصلات بين سورية ومصر ، كما جرى بالحرب العالمية الاولى حيث انقطعت العلاقة مع مصر اربعة اعوام وبقيت الاموال حتى انتهت الحرب .

الرحلة الناجحة الى مصر

وهكذا سنحت لي الفرصة بالابتعاد عن جو خلافاتنا في العمل ، وكان فرحي شديدا بالسفر الى مصر حيث استطيع ان اعمل بحرية كاملة بعيدا عن الشقاق والمتاعب ، ولدي راسمالي الكافي الذي يتيح لي اشباع طموحي في ممارسة الاعمال والصفقات التجارية دون الرجوع الى احد او الاصطدام بالآراء المتناقضة التي شلت حركتنا .

وفي الثالث عشر من ايلول عام ١٩٣٩ ، ركبت الباخرة التي تقل بضائعنا وبضائع قليلة لغيرنا الى الاسكندرية ، وصادفت العديد من المتاعب في تخليصها وتسويقها باسعار جيدة ، كما توجهت الى بور سعيد حيث اتممت شحن بضائع لنا موجهة بالترانزيت الى هولندة وارسلت بوالص الشحن الى دمشق ليقبضوا اعتماداتها .

قضيت في مصر ستة وخمسين يوما ، صفيت خلالها جميع المشكلات التجارية المتعلقة بأعمالنا ، وحولت جميع الاموال الى دمشق ، وكانت ارباح هذه الرحلة لا تقل عن ثمانمائة ليرة ذهبية ، الامر الذي اثار اعجاب والدي وتقديره .

فسخ الشراكة بين الاشقاء

من المؤسف أن ازدهار اعمالنا التجارية لم يخفف من خلافات الاشقاء التي كانت تتصاعد الى حد لا يسمح باستمرار اي شركة . وعلى الاثر قام اخونا انور بجرد موجودات الشركة على اساس كنا نرى انه مجحف بحقنا انا واخي شفيق . لقد كان من الواضح انهم كانوا يريدون الاحتفاظ بمعمل الكونسروة والبضائع التابعة له بينما كان من الواضح ان حاصل الخشب والمخزن المتاخم له سيبقى لنا . اطلع والدي على قائمة الجرد التي وضعها شقيقي انور ولم يقبل بها ابدا . وطلب الوالد منا عدم الموافقة عليها . لكنني خوفا من تفاقم الخلاف بين الاشقاء ومن السمعة السلبية

التي ستلحق بنا جميعا والداً وأولاداً واشقاء اذا ما ذاع نبأ الخلافات بيننا ، وحرصا على راحة السيد الوالد ذهبت الى أخي أنور ورقعت له موافقتي على التقويم الذي عمله دون تغيير أو تبديل رغم عدم موافقتنا على هذا التقويم ورغم معارضة والدنا الشديدة له . ورغم ثورة والدي على توقيعي وموافقتي تمكنت من اقناعه بأن طي الخلاف والتفاهم على انهاء الشركة حبياً دون ان يسمع احد بوقوع الخلاف بيننا هو كرامة للوالد نفسه الذي قد يظن الناس بأنه غير قادر على توجيه أولاده والتوفيق بينهم .

هكذا وبعد شراكة دامت خمسة اعوام عدنا أنا وأخي شفيق لنعمل سوية كما كنا منذ عام ١٩٢٨ وباسم بدر الدين وشفيق الشلاح ولا زلنا كذلك في عام ١٩٨٩ والحمد لله ، دون أي خلاف .

الآمال تشرق في الجزيرة

في تلك الفترة من الحرب العالمية الثانية برزت الجزيرة كمنطقة زراعية من الدرجة الاولى واصبحت محط الانظار نتيجة لوضعها الممتاز في انتاج الحبوب التي ارتفعت قيمتها خلال الحرب ارتفاعا كبيرا ، واتجه ارباب الأموال لشراء الاراضي في الجزيرة للاستثمار الزراعي وكانت أسعارها زهيدة ، فطلب والدي منا ان نذهب لشراء الاراضي ، فتوجهنا أولا الى دير الزور وقمنا باستطلاع الموقف ، وتبين لنا أن العشائر العربية كانت واضعة اليد على معظم الاراضي المحاذية لنهر الفرات من الجانبين ، والبعيدة عن النهر لا يمكن ارواؤها ومعظمها من املاك الدولة إلا من مياه الفرات ، ونصحنا المحافظ السيد توفيق شامية وقائد الدرك السيد عبد الغني القضماني بالاتجاه الى القامشلي أو الحسكة حيث يمكن شراء الاراضي دون مشاكل .

الرحلة الشاقة الى الحسكة

أذكر ان المواصلات بين دير الزور والحسكة كانت سيئة جدا ، وكان السائقون يكدسون الركاب من بدو وحضر بعضهم فوق بعض ، وكانت روائح الابدان والالبسة في الحر الشديد تبعث على الاغماء ، وقد استغرق السفر من دير الزور الى الحسكة سبع ساعات ، رغم أن المسافة هي مائة وثمانون كيلو مترا ، ولكن الطريق غير معبدة وازدحام الركاب في داخل السيارة حوّلها الى قفص خانق . واذكر أننا اتفقنا مع

السائق قبل السفر على الانفراد بصدر السيارة لقاء زيادة الاجرة ، ولكنه نكث بالاتفاق وارغمنا على قبول أسرة بدوية ، وقد وصلنا الى الحسكة مع النفس الاخير ، واستلقيت على مقعد في أول دكان عرقسوسي وعلى راسي مناشف مبللة لشدة الحر ، وبعد قليل استعدت الراحة في مقهى قائم على ضفاف الخابور .

بعد ان التقطت انفاسي اثر تلك الرحلة الشاقة ، تطلعت بامعان فيما حولي . كانت مدينة الحسكة خالية من اي بناء حديث أو فندق ، وفيها مجموعة متناثرة من البيوت المبنية من الطين والخشب ، وعلمت أن جميع الاراضي الممتدة على ضفاف الخابور من الحسكة الى رأس العين اعطيت الى الآشوريين الذين هاجروا من العراق بعد اخماد ثورتهم هناك على يد المرحوم الملك غازي ، أما الاراضي الممتدة وراء الخابور فبعضها تحت تصرف العشائر العربية وبعضها الآخر ملك للدولة .

على ضفاف الخابور

في الليلة الاولى بالحسكة كان مبيتنا في (خان) بالعراء ، واستيقظت صباحاً والتراب والرمال تعلو وجهي ، وعندما التقيت مع قائد الدرك المرحوم احمد عزت (والد المرحوم الدكتور اسماعيل عزت الذي شغل منصب رئيس الجامعة) للاستفسار عن الاراضي نصحنا بالاتصال مع الشيخ دهام الهادي شيخ مشايخ شمر الذي يقيم على بعد عشرة كيلومترات من الحسكة ، وعلمت أنه يملك بالتصرف ثلاثمائة دونم على الضفة الغربية للخابور يرويها سد روماني قديم يدعى (سبع سكور) وبجوارها مساحات شاسعة من الاراضي تعود ملكيتها الى الدولة ، إلا أن السلطة الفرنسية اصدرت آنذاك قانونا بتمليك الارض لكل من يتعهد باستصلاحها خلال ثلاث سنوات. وعندما قابلت الشيخ دهام الهادي اخبرني أنه باع الارض التي يتصرف بها لمموِّلين من دمشق هما الشيخ سعدي القتابي والسيد يوسف دبوس ، ولكنه يرغب في الرجوع عن هذه الصفقة ، ثم تبين لنا أنه لا توجد أراضي قريبة للبيع في الحسكة ، وان الافضل لنا أن نذهب الى القامشلي .

كيف نشأت القامشلي

في صباح اليوم التالي توجهنا الى مدينة القامشلي ، ولاحظنا على الفور انها مدينة منظمة تمتد شوارعها بصورة مستقيمة ومتقاطعة وفقاً لمخطط فني ، وكانت السلطة الفرنسية تولي هذه المنطقة الحدودية اهتماما خاصا ، وتخطط لاعادة تشكيلها من الناحية السكانية ، نظرا لحساسية موقعها وخصوبة ارضها ، وحدودها المباشرة مع الحكومة التركية ولا يفصل الحدود سوى خط القطار الحديدي .

وتروي مصادر التاريخ ان منطقة القامشلي كانت ماهولة بملايين السكان في العهد العباسي ، وقبل اربعمائة سنة اكتسح التتار البلاد فأبادوا اهلها وشردوا بقاياهم ، ومنذ ذلك الحين تحولت المنطقة الى مراع لاغنام ومواشي العشائر العربية .

وفي عام ١٩٢٥ بدأت السلطة الفرنسية بتخطيط القامشلي واقامة الابنية فيها فاقبل الناس على سكناها وبلغ ايجار الغرفة الواحدة هناك ٣٠٠ ليرة سورية سنويا ، اي أن دارا فيها أربع غرف يبلغ دخلها ١٢٠٠ ليرة ، مع ان كلفة شراء الارض وبناء الدار لا تزيد عن الفي ليرة سورية ، وفي ذلك الحين كان ايجار طابق جديد في دمشق لا يزيد عن ثلاثمائة ليرة سورية سنويا .

صفقة جديدة

وفي اليوم التالي كنا جالسين في المقهى في القامشلي حين طلب منا شخص مقابلة السيد عبد الباقي نظام الدين الذي كان وجيها بالقامشلي ووالده يملك عدة قرى حولها وبعض الاراضي الواقعة ضمن حدود بناء القرية . وتوجهنا الى داره التي هي على الشارع وجانب المقهى ، وبعد ان قدم لنا القهوة قال بلغني انه مرادكم شراء اراضي وهناك ثروة ممتازة جدا لوجل اسمه شاهين بك معلوف لبناني الجنسية كان حضر في عام ١٩٣٦ للجزيرة واول من احضر الاوائل الزراعية واشترى الاراضي والآن مراده بيع تلك الأراضي وهي قريبة من البلدة ، وهناك مساع لبيعها لابن توفيق شامية وشريك آخر له ، فشكرناه وذهبنا الى دار شاهين معلوف الذي استقبلنا وقال انه اصبح رجلا مسنا وليس له اولاد ومراده بيع ما يملكه واخذنا بسيارته للمزرعة التي لا تبعد اكثر من الفي متر عن المدينة وتفرجنا على جميع هذه الارض

المؤلفة من نصف قرية جركين بسندات تمليك سورية ، والنصف الثاني به معاملة تصرف غير منتهية ، وكذلك نصف قرية تل فارس بها معاملة تصرف ، وايضا ارض بالبلدة مبني عليها محلان فيهما أوائل تكرير ومساحتها / ٤٥٠ / متر . ونصف بستان ضمن البلدة مساحته / ٦٠ / دونم ، ودار واقعة أمام سرايا الحكومة مبنية من اسمنت على ارض تحدها من اربعة اطرافها طرقات عامة وهي احسن دار بالمدينة وتطل على قرية جركين . ومساحة قرية جركين / ٥٤٠٠ / دونم ومساحة تل فارس / ١٥٠٠٠ / دونم ، والقرية بها حوش مؤلف من عدة غرف وبوايك ومحل لتصليح الاوائل حاوية على جميع الاوائل والعدة وجراري كاتربيلار قوة كل واحد / ٦٠ / حصان وحصادة وسكك وخلافها من الاوائل الزراعية مع / ٢٠٠ / شوال حنطة وسيارة نقل وسيارة ركاب صغيرة وجميع موجودات الحوش والدار . وجلسنا بالدار للمفاوضة وطلب منا قيمة كل ما شرحناه مائتي الف ليرة سورية وبقي ينزل حتى وصل معنا الى خمسين الف ليرة سورية ودفعنا له ثلاثين الف ليرة سورية ومرادنا الشراء بأكثر من خمسين الفا . ولما شعر بذلك امتنع وقال أنه يبيع النصف فقط ولا يمكنه بيع الكامل وقبل معنا على أساس / ١٥ / الف ليرة سورية للنصف وان يبقي النصف الآخر له ولما لم يكن عندنا رغبة بالشراكة عرضت على أخي رشاد البقاء لادارة العمل الذي يعطي موردا لا يقل عن ثلاثين الى اربعين الف ليرة سورية فلم يقبل وافهمته ان لي أولادا ولا أتمكن من ترك والدي وأنه غير متزوج ، فلم يقبل مما جعلنا نعدل الاتفاق مع شاهين بك على اتمام نصف الصفقة كما ذكرت وعلى أن نؤجره حصتنا بـ /١٦٠٠/ ليرة سورية سنويا اي ما يعادل ١١٪ وهذا احسن ايرادا بنظرنا خصوصا وان الصفقة رخيصة جدا ولها مستقبل وعلى ان يكون النصف العائد لنا هو الذي بالسندات العقارية ، والنصف الذي بدون سندات يبقى له ، واجتمعنا في المساء بداره وبحضور المحامي لعمل العقد وحصل بعض الخلاف عند كتابة العقد وهذا ما يحصل في كثير من العقود ، فما كان من أخي رشاد الا تكلم معه كلاما قاسيا وهو رجل ذو هيبة وله مكانة محترمة بزحله ، وكان سابقا مغتربا في اميركا ، فعندما سمعه طلب تأجيل العقد لثاني يوم وكان قبل يومين حصل اجتماع بينه وبين المشترين الآخرين الذين ذكرت اسماؤهم . وعندما بلغ الخواجه بطرس مقنص الذي كان مديرا للبنك السوري هناك وبلغ الخوري خبر مشترانا انتظرانا الى نصف الليل حتى خرجنا من عنده ودخلا

وتمموا الصفقة لهم لان النية كانت متجهة لجعل هذه المدينة منطقة خاصة بجماعتهم وذلك بمساعدة الافرنسيين . وفي الصباح قابلناه فأفادنا أن البيع تم ، وهكذا ندمنا على ما جرى وعلى ذهاب هذه الصفقة بعد عذابنا كل هذه المدة . وعدنا الى دمشق وكان زعلنا كثيرا فلو أننا تمكنا من شراء ولو قطعة ارض ضمن المدينة بأي مبلغ كان لاستفدنا لان التحسين ملموس ولان زراعة القطن لم تكن معروفة .

في منطقة عشائر طي

وفي اليوم التالي عرضت علينا صفقة شراء منطقة تدعى غراسة وهي عبارة عن اثنتي عشرة قرية لا تقل مساحتها عن ١٥٠ ألف دونم ، يرويها نهر ينبع من الاراضي التركية ، ويمكن اقامة سد بسيط عليها لا تزيد تكاليفه عن الفي ليرة سورية لمضاعفة فلالها عدة مرات ، وتم الاتفاق مع المتصرف وهو احد مشايخ عشيرة طي الشيخ محمد عبد الرحمن على قيمة نصف الارض وهي عشرة آلاف ليرة سورية ، واثناء جلوسنا أنا واخي رشاد في المقهى حضر اثنا عشر مختارا وانذرونا بأن سكان هذه القرى المعروضة للبيع لن يسمحوا لأحد بدخولها لانها تعود اليهم بالتصرف ، وقد استملكها شيخ طي بنفوذه ، ولكننا اقنعنا هؤلاء المخاتير وشرحنا لهم خطتنا وهي احضار فرقة فنية لمسح الارض ووضع مخططات افراز وتمليك الفلاحين الربع والاحتفاظ لنا بالربع ، وترك الباقي للشيخ ، واوضحنا لهم قدرتنا على تجهيز الارض بالآلات والسماد ، ومضاعفة انتاجها ، فكانوا مسرورين للغاية ووافقوا على ما أوضحناه من المشاريع .

وقد طلبنا برقياً تحويل المبلغ فكان جواب اخينا أنور ان نحضر البائع الى دمشق ، وكيف نستطيع نقل شيخ عشائر طي (الذي كان حارب السلطة الفرنسية) مع عشرة من مرافقيه ، وتحمل تكاليف ضيافتهم الزمن اللازم لانجاز الصفقة وتأمين نقل الضيوف في القدوم والعودة ؟ وفي هذه المرة كان المنا اشد بعد ان لمسنا بأعيننا اهمية منطقة الجزيرة من النواحي الزراعية والاقتصادية والاجتماعية .

بشائر الثروة في القطن

كانت بشائر المستقبل واضحة في الجزيرة ، فزراعة القطن كانت في بدايتها . واذكر شخصا تركيا زرع قطنا وحصل من موسم واحد على اربعين ضعفا لقيمة الارض كلها. اما مزارعو الحبوب فكانوا يحصدون في الموسم الواحد عشرين مثلا دون تعب ، وقد قلت لوالدي في دمشق ان اولئك الذين يهاجرون الى امريكا لطلب الرزق مخطئون ، فالجزيرة اكثر ثراء من امريكا ، ولم يصدق والدي وحذرني من المبالغة ، فاكدت له ان افقر مواطن في الجزيرة لديه مورد افضل من اكبر تاجر في دمشق .

العـودة الـى الاتفـاق

وبعد عام تقريبا تلقينا رسالة من السيد عمر الخضري ، تقول أن السيد شاهين معلوف اختلف مع الفريق الذي اشترى اراضيه في القامشلي ، ويريد الاتفاق معنا ، فطلبنا منه الحضور الى دمشق ، حيث تعاقدنا معه على شراء نصف اراضيه بقيمة ٢٢ الف ليرة سورية ، على ان نؤجرها لـه بمبلغ الف وستمائة لـيرة سورية سنويا بدون تراكتورين وسيارة كانت مع الصفقة ولم يكن موجودا غيرها بالمنطقة ، وقد باعها بمبلغ ١٥٠ الف ليرة سورية حيث قامت الحرب العالمية الثانية ولم يكن امكان باستيراد تراكتورات وغيرها . ولقد تمت الصفقة بدار المحامي وديع بيطار بشارع بغداد ومساحة هذه الارض تزيد على ١٠ آلاف دونم ، وكان أفضل بكثير لو تمت الصفقة السابقة .

ولقد رفض شقيقنا انور المشاركة في هذه الصفقة ، وهدفه الانفراد باعماله ، فاضطررنا انا وشفيق للانفراد بارض القامشلي وادخلنا في الملكية عمي (نعيم) دون مقابل اذعانا لطلب والدي ، وانفصلنا انا واخي شفيق عن اشقائنا متحملين بذلك ما يمكن قبوله في سبيل تماسك العائلة .

شراء بقيـة الارض

واتفقنا مع البائع ان نزرع لحسابنا ٣٥٠ دونم وارسلنا شخصا اسمه أبو علي هاني الجزائري قام بزراعتها ، وعاد وقت الحصاد فأتم حصادها وسلم شاهين معلوف ١٨٪ وسلم المحصول الى الميرة وكانت الحصيلة ٩٨٠٠ ليرة سورية بمساحة ٣٥٠ دونم

من أصل ١٠ آلاف دونم . أي استعدنا حوالي أكثر من نصف قيمة الارض من موسم حنطة واحد ، ولم يصدق والدي هذا المردود الكبير الا بعد ان أكدنا لـه ذلك . وعلى الأثر اشترينا نصف البستان الآخر بـ ٤٢٠٠ لـيرة سورية ولـم يمض عـام واحـد على شراء هذه الحصة من البستان حتى حصلنا على خمسة آلاف لـيرة سوريـة ثمنا لاشجار الحور المغروسة في البستان ، وهكذا زادت قيمة الحور المفروس عـن قيمـة الارض كلهـا .

وبعد اربع سنوات اشترينا النصف العائـد الى شريكنا شاهـين معلوف بمبلـغ سبعين الف لـيرة سورية واصبح كامل الارض في القامشلي لنا . وبدأنا استثمارهـا تحت اشراف وكيل كان يستأثر بمعظم الايراد ، ويرسل لنـا مبلغا بسيطا ، ولما تفرغنا للذهاب الى القامشلي في عام ١٩٥٠ كان قد انقضى على زيارتنا الاولى لها عشرة اعوام، وتضاعف عدد سكان القامشلي ثلاث مرات واتسع العمران فيها الى حد بعيد .

جـامع الشـلاح

ولم يكن في القامشلي غير جامع واحد متداع ، فعرضنا على القائمقام بنـاء جـامع حديث ، وتبرعنـا لهذه الغاية بمبلغ ٢٥ الف ليرة سورية مبدئيا ، وتم تكليف سماحة مفتي المنطقة بالاشراف على التنفيذ ، وبالفعل تـم بنـاء الجامع واطلق عليـه اسـم جـامع الشـلاح .

واذا كنت انوه بهذا العمل ، فلأنني أرجو ان يكون من الحسنات التي ستوضـع في حسابي حين أستقبل وجـه ربي في الحياة الآخرة ، وهكذا أصبحنـا لا نتأخر عـن المشاركة في اي عمل اجتماعي في هذه المدينة ، هذا وان كل ما أذكره في هـذا الشراء وهذا العمل كان باسم بدر الدين وشفيق الشلاح لانهما اسمان بروح واحدة .

خاتمـة القـول في موضوع الجزيرة

ان اراضي الجزيرة ظلت منذ ذلك التاريخ وحتى الآن من اخصب المناطق واكثرها فائـدة للبلاد ، ولو ان الامور اختلفت لاسباب عديدة منها تبعثر الملكية بعـد الاصلاح الزراعي ـ واتكلم هنـا عن أثره في الانتاج لتحوله من الانتاج الكبير الى الصغير ، وقيام بعض المنتفعين بايجار ارضهم بدلا من زراعتها بالذات ، ومنها انقطاع ميـاه جغجغ .

ولكن المردود فيهـا ما يزال عاليا وقد صار استخدام السماد الوطني المركب يفيد بعد ان كانت الارض في الماضي ارضا بكرا ولا حاجـة كبيرة الى تسميدهـا ، وكذلك فان الفلاحـة العميقـة تسـاعد .

وما تزال الجزيرة حتى الآن تعتبر بلادا بكرا ، ولكن صار عدد نفوس سكانها يتكاثر واستهلاكها كذلك ، وهـذا جعلهـا تستورد بعض المحاصيل من المحافظـات الاخرى كالفواكه مثلا مع ان الجزيرة صالحة جدا لزراعة الفواكه لو التفت المزارعون الى ذلك ، وهذا امر في ذروة الاهمية ، لا سيما بعد ان اتصلت الجزيرة بسائر المناطق عـن طريق الخط الحديـدي الجديـد .

السكك الحديدية

ولما كان الشيء بالشيء يذكر فأقول انني كتبت منـذ عـام ١٩٥٣ احث الحكومة على مـد خطوط السكك الحديدية لاستعمالها في نقـل البضـائع والركـاب وقدمت دراسات في هـذا الصدد . والآن قـد تمت اقامة الخطوط الحديدية الكبرى وركبت القطار من القامشلي الى دير الزور منذ سنوات ثم ركبت القطار بعد ذلك الى طرطوس، كما انه افتتح الخط الى اللاذقية للشحن وعما قريب سأسافر فيه متى تم افتتاحـه للركـاب ، لكي ابتهج واشعر بالفرح الغـامر لتحقـق حلمـي . واشـير بأن القطـار الـذاهب مـن دمشـق الـى مختلف المنـاطق يمـر بقـرب مزرعتنـا (العـدمل) وفي كل مرة اسمع فيها صوت القاطرات الذاهبة والآيبة احمد الله على انني عشت حتى رايتهـا واتمنى ان تكون اكثر حركة واكثر سرعـة لمـا لذلـك من تاثير على النواحي الانسـانيـة والاقتصـادية .

مجمل نشاطي في الثلاثينات والاربعينات

ولا بد لي من أن أذكر مجمل نشاطي انـا واخي شفيق في الثلاثينات والاربعينات بعـد أن فصلت في بعض النواحي عن طريق تداعي الافكار ، واذكر ذلـك للتاريخ ولمن يدرسون الاوضاع الاجتماعية وسلوك الشرائح الانسانية المختلفة في المستقبل .

فقد كان عملنـا الاساسي في التجارة والمحاصيل الزراعية ، وتركنا لبقية اشقائنا العمل في المحفوظات (الكونسروة) . وهذه المحاصيل كنـا نسوقها داخليا وخارجيا عـن طريق التصدير الى مختلف البلاد العربية والاوربية كما سبق الذكر ، واكتسبنا من ذلك خبرة وعلاقات عامـة واسعة مـع أطراف كثـيرة في العـالم . وحتى عملنـا الانتاجي في الزراعة كان يتجـه في هـذا الاتجاه ، اذ اعطينا همنـا للمحاصيل التـي تنتج مـواد تصلح للتصدير ، كالجوز مثلا وقد سبق الحديث عنه مفصلا ، والمشمش الذي عملنـا في تصنيعه وتصديره بمختلف الصور ، ولـم نتجـه الى الفواكه الاخرى سريعـة العطب أو التي (روحها قصـيرة) فلا تعيش الزمن الكـافي لوصولها الـى بـلاد المقصـد .

وفي ايـام الحرب توسعت اعمالنا كما سبق الذكر في اتجاه زيت الزيتون تصدره ، ونستورد الرز والسكر من مصر وايران وغيرها ، وقـد ساهمنـا شخصيا في تخفيض سعر مادة الرز ايـام الحرب تخفيضا كبيراً (من ٣٠٠ قرش للكيلو الى ١٣٠ قرشا) وذلك عن طريق استيراد كميات منه من ايران سلمناها الى الدولـة للتوزيـع بالسعر النظامي ، فكان من جراء ذلك أن تنفس الفقراء الصعداء .

الشـجر المثمـر وشـجر الزينـة

وبنـاء على هـذا التفكير الذي يتجـه الى تامين المحاصيل الاساسية فقد كتبت منـذ اواخر الثلاثينات انتقد حملة التشجير التي اجرتها وزارة المواصلات مع وزارة الزراعة على طريق بيروت والزبداني . فقد غرستا كميات كبيرة من أشجار (المسكة) التي تعطي ولا شك رائحـة عطرة ممتازة ، ولكن من ذا يستفيد منها سوى الشـم اذا توقف ، وهل هي الا (قبض ريح) كما يقول الادباء ؟ وقد ناقشت في ذلك الوقت احد المسؤولين السيد صلاح الدين الصاحب الموظف في وزارة (النافعة) كما كانت تسمى

وقلت لـه لماذا لا تزرعون الجوز والزيتون ؛ فقال لي ان الناس سينهبونه . قلت لـه فليأكلوه فهذا احسن من ان ننتج بعد التعب والمصروف شجرا عقيما ، كما يمكن ان نضمن محصول الجوز والزيتون فكل كيلو متر لفلاح يجنيه ويعطي الدولة حصتها ونكون ملأنا السوق بمحصول مفيد وقابل ايضا للتصدير . يومها لم يسمعوا كلامي ولو سمعوه لكان منه خير كثير . وقد رأيت في عديد من البلاد الاوربية بعد ذلك كيف كانت الاشجار الموازية للطرقات مثمرة ولا أحد من المارة يمد يده اليها ، وهذا مصداق ما قلت ويفيد ايضا في تربية الناس .

أما الآن فيبدو ان النية متجهة ــ ولو متأخرة ــ الى زرع الاشجار المثمرة على الطرقات العامة اذ زرع الزيتون على طريق درعا ويجري الآن تشجير مناطق كبيرة بالتمر المثمر وهو مادة غذائية عالية القيمة غنية بالسعرات الحرارية ولها مردود كبير . وكان العراق أول الامر هو الذي يعني بها ثم جاءت السعودية فبذلت مجهودا كبيرا في هذا الاتجاه ، واليوم يقوم قطرنا العربي السوري بجهد كثير من أجل ذلك ، فعسى أن يتم السير في هذا الاتجاه بالسرعة المطلوبة .

من هذا المثال ، وما سبقه عندما أدخلنا اصنافا جديدة من المشمش لتزرع في سورية وقد تقدم الحديث عنها ، يظهر أن العمل العام كان هدفي وديدني منذ ايام شبابي، وعلى ضوئه أقوم بالعمل الخاص الذي أعيش منه أنا وعائلتي ، متمثلا بقول المعري:

فلو اني حبيت الخلد فرداً   لما احببت بالخلد انفرادا

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي   سحائب ليس تنتظم البلادا

فالعمل العام يطيّب الحياة ويعطيها محتوى منعشا ومفيدا . ولذلك فانني سأتحدث عن هذا العمل على ضوء المصلحة العامة ولأشجع غيري على ان يذكر في كل لحظة يعمل فيها لنفسه أن حصة الله تعالى وعباد الله متوقفة على ما يبذله في سبيل المصلحة العامة.

نقابة تجار الخضار والفواكه

ولعل هذا هو ما حمل اخوتي وزملائي تجار الخضار والفواكه على انتخابي نقيبا لهم منذ عام ١٩٣٣ وحتى ١٩٦٧ ، وهو شرف كبير منحوني إياه وسعيت بكل جهدي لأرد الجميل لهم عن طريق خدمتهم وخدمة المصلحة العامة في الوقت عينه .

محـل تجـاري في جـدة

وقد اقتضى توسع عملنا والتصدير الى اسواق المملكة العربية السعودية قبل ان تقوم المملكة بنهضتها الزراعية العظيمة التي سبق ذكرها في بعض الاحصاءات التي قدمتها في الفصول الأولى من هذا الكتاب (انظر الصفحتين ٥٩ و ٦٠) أن فتحنا محلا تجاريا فرعيا لنا في مدينة جدة ، وكان هذا المحل ضروريا لتسويق المحاصيل التجارية والزراعية السورية التي تنقلها الطائرات العائدة الى السعودية بعد نقل الحجاج الى سورية . وقد افتتح عام ١٩٤٨ وعمل فيه ابن شقيقتي السيد توفيق سكر لمدة عام ثم استلمه منه السيد محي الدين موصلي ، وفي السنة الاخيرة كان السيد الموصلي قد توفي الى رحمة الله ولم يبق من يدير المحل ، اضافة الى بوادر النهضة الزراعية السعودية ، فأغلقناه .

الاتجـاه الـى تجـارة التمـور

بعد استقلالنا انا واخي شفيق في العمل اتجهنا الى اسواق العراق ومصر وبدأنا استيراد التمور العراقية ، وتوجه اخي شفيق الى بغداد حيث كان يتسوق التمور ويقوم بشحنها الى دمشق ، كما اننا مارسنا التجارة تصديرا واستيرادا بأصناف اخرى لم نكن على خبرة سابقة بها ، ذلك لأن شقيقيّ انور ورشاد انفردا بتجارة المحاصيل الزراعية الى اوربا وفي مصنع الكونسروة وبدأنا للبحث عن أصناف أخرى .

مـن مـآثـر والـدي

كيـف يـوزع التجـار ثرواتهـم

ومن واجبي هنا أن انوه بمأثرة كبيرة لوالدي رحمة الله ورضوانه عليه ، فلقد كان يشعر بأنني واخي شفيق مغبونان في الشركة السابقة رغم جهودي المتواصلة منذ صغري في أعمالها ، ولهذا حين بدأنا من جديد انا وشقيقي شفيق منفردين اخرج من صندوقه الف ليرة عثمانية ذهبية ومنحني اياها لتمويل اعمالنا الجديدة التي تحتاج الى راسمال كاف للشراء والتعامل ، وشعرت بأنه قدّر موقفنا وتساهلنا خلال جرد الشركة الذي خرجنا منه خاسرين اكثر من هذا المبلغ . غير انني رفضت

قبضها لاننا لا نريد أكثر من دعاه ورضاه . وقد الح مؤكدا انه سيعطيني المبلغ بالاضافة الى الرضاء ، ثم وافق معنا على قناعتنا بعد ان أكدنا له اننا مكتفون برضاه ولا نريد منه أن يميزنا عن اخوتنا بشيء .

وكان والدي يحتفظ في صندوقه بثلاثة آلاف ليرة ذهبية نقدا كاحتياط للطوارىء وقد جرت العادة آنذاك ان يحتفظ كل تاجر بمبلغ كاف من النقد المضمون لمواجهة الحالات غير المتوقعة ، ومن جهة اخرى يعتبر هذا المبلغ من الوصية للورثة للانفاق منه دون الحاجة الى بيع عقار . وكان العرف السائد لدى كبار التجار أن يقسم الواحد منهم ثروته الى اربعة أقسام ، الاول للعمل التجاري ، والثاني لشراء العقارات ، والثالث لشراء الأراضي ، والرابع للاحتياط . والبعض يقسم ثروته الى ثلاثة أقسام ، الاول للعمل التجاري ، والثاني لشراء الاراضي ، والثالث للاحتياط . وذلك عملا بالمثل القائل (فرّق مالك واجمع أولادك) .

ولقد تذكرت هذه الحوادث التي كان لها شان في حياتي ، بعد ان رأيت المرحوم والدي في الحلم عندما كنت استجم في منطقة ينابيع الحمة المعدنية عام ١٩٦٤ ، حيث مضيت فترة من الراحة ساعدتني على كتابة هذه المذكرات .

والدي يذهب الى الحج ثانية

ومن المآثر التي اذكرها لوالدي انه نصحنا بشراء اثنى عشر فدانا من أراضي الشاغور (مساحة الفدان الدمشقي ٢٤٠ قصبة ومساحة القصبة كما سبق الذكر ٢٣ر٧٥ مترا مربعا) وقد تعرضنا لعقبات ومشكلات قضائية قبل أن نتمكن من ملكية هذه الارض التي تضاعف ثمنها عدة مرات ، وقد أرضينا أصحابها وسددنا كامل حقوقهم .

وخلال معالجة هذه المشكلة اتيح لي لأول مرة اداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام ، وكان ذلك في نهاية عام ١٩٤٤ ، وكان بين رفاقنا في اداء الفريضة والسفر السيد مصطفى سويد (ابو درويش) والسيد عبد الرزاق القوادري والسيد بدر الدين التيناوي والسيد عثمان النوري والسيد نصوح الطباع وصهري السيد محمد عيد

سكر وابنته ، ولم نعد من الديار المقدسة إلا بعد ستين يوما . وكان السفر عن طريق حيفا بالقطار ومنها الى السويس بالقطار حيث نزلنا بباخرة اسمها (خير الله) هندية ومنها الى جده .

وقد اصر والدي على عدم تنظيم استقبال عند عودتنا من الديار المقدسة ، وهذا أعاد الى ذاكرتنا الاستقبال المهيب الذي نظمناه لوالدنا قبل سنوات طويلة عند عودته من الحج عام ١٩٣٢ ، وكان سني آنذاك لا يتجاوز ٢٦ عاما . فقد خصصنا ثلاثين سيارة توجهت الى لبنان حاملة المستقبلين ورافقته الى دمشق حيث توقف الموكب عند حديقة المنشية وعزفت فرقة طلاب جمعية الاسعاف الخيري الموسيقى ورافقت والدي الى الدار ، وقد كان بالغ التأثر بهذا الاستقبال إلا انه لم يكن مرتاحاً الى نفقاته الكبيرة .

لمحة عن بعض أصدقاء الوالد

(أبو درويش سويد)

ولا يفوتني هنا ان اتحدث عن شخصية المرحوم ابو درويش سويد الذي كان بين رفاقنا في اداء فريضة الحج ، وهو رجل ذو شعبية واسعة ، اشتهر بالنكتة اللاذعةالممزوجةبالحكمة ، وحضر مجالس كبار القادة السياسيين الذين كانوا يرتاحون لجلوسه ويسرون لنوادره . واذكر أن مجلات دمشق ولا سيما المضحك المبكي كانت تقدمه بوصفه الممثل الحقيقي للرجل الدمشقي العادي ، وتروي على لسانه ما تود طرحه من نكات ومفارقات ونقد .

وكان ابو درويش يلازم محلنا اكثر الايام ، وقبل وفاته بأسبوع اجتمعنا فيمنزله انا واخي شفيق وولداي راتب وموفق ، وامضينا اكثر منأربعساعات في تندر وضحك متواصلين ، وكان موضوع النقاش الرئيسي الشركة التي شكلها شقيقنا انور للتنقيب عن البترول برأسمال قدره مليون ليرة سورية موزعة على عشرة آلاف سهم كل سهم بمائة ليرةسورية ، وقد دعينا للاكتتاب بها فاكتتبت بعدد من الاسهم ارضاء لشقيقي انور ، وبناء على الثقة بخبرتنا اشترى ابو درويش ثلاثمائة سهم ، ولم أكن مقتنعاً

بسلامة المشروع لأن أعمال التنقيب عن البترول تتطلب اموالا طائلة وخبرات كبيرة وتجهيزات معقدة غير متوفرة ، وقال لي المرحوم ابو درويش : لدي مشتر بربح خمس ليرات للسهم الواحد فهل ابيع ، فاجبته : انني مستعد لبيع اسهمي بنقص خمس ليرات للسهم عن راسماله ، فصعق ابو درويش وتساءل لماذا اشتريت انت الاسهم واجبت : بانني فعلت امتثالا لأخينا وحتى لا يقول أننا نبتعد عنه ، فقال ابو درويش رحمه الله (الله يخرب بيتك) انا وغيري ما اشترينا الاسهم إلا على التفه باسمك ووجودك .

واذكر أن تلك الشركة وزعت في العام الثاني ١٠ بالمائة ربحا للاسهم وكانت هي المرة الاولى والاخيرة ، ولم تتداول اسهمها في السوق . ثم تفرغ اخي أنور لمعمل الالومنيوم العائد له ، وكان هذا أفضل ما عمله لان المعمل الاخير اصاب النجاح وتضاعف انتاجه لجودته وحسن مصنوعاته .

ولنعد الى المرحوم ابو درويش سويد ، وهو كما قلت شخصية شعبية نادرة . كان والده ضريرا يبيع « الشنان » على ظهر الحمار ، والشنان مادة مطهرة رخيصة تقوم مقام الصابون وكان أبو درويش يقود الحيوان ممسكا بالرسن ، ولما عجز أبوه خلفه في هذه المهنة الفقيرة الشاقة ، وكان يقدم لأبيه كل يوم ما ربحه فيرضى عليه ويتوسل الى الله لتوفيقه ، وما هي الا ايام حتى أصبح أبو درويش منتجا للشنان ، وتاجرا بالجملة لهذه المادة ، وسرعان ما دخل ميدان التجارة ولمع اسمه فبات يغشى مجالس العظماء والرؤساء حيث لاقى نجاحا كبيرا لخفة دمه وحلاوة حديثه وقدرته على اطلاق النكتة في الوقت المناسب ، وكانت نكاته كلها فيها دروس وعبر وحكم ، ويعتبر من الشخصيات النادرة التي لا يجود الزمان بمثلها الا مرة كل مائة عام . وقد دوّن حكاياته ونكاهاته المرحوم العلامة الشيخ أبو اليسر عابدين وهي موجوده في مكتبته .

الشيخ عبد الكريم الآوي

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، اود الحديث عن شخصية دمشقية أخرى لها شهرة خاصة هي المرحوم الشيخ عبد الكريم الآوي ، الذي كان حافظا للقرآن الكريم والحديث الشريف وعامة الناس ينسبون اليه الخوارق والكرامات لاقتناعهم بقدرته على معالجة المرضى بالوسائل الروحية . وقد امتدت شهرته الى بيروت وطرابلس ، وقد قص عليّ بنفسه انه كان راعيا للاغنام والماعز بالجبل ، وظل اميا حتى بلغ

العشرين من عمره فارسله والده بائع الذرة الى شيخ القراء الحلواني بالعقيبة جامع التوبة ليتعلم القرآن ، فرده الشيخ في المرةالاولى لأن لسانه الثغ ولكنه عاد الى الشيخ ومعه هدية واصر على ان يتعلم ، فقبله وباشر تعليمه ، ولم تمض فترة حتى تعلم قراءة القرآن وحفظه غيبا ، ثم تعلم الاحاديث النبوية والادعية وقول الشعر ، ووصل الى اعلى المجالس حيث كان ينفرد بالكلام غير تارك مجالا لاحد ، وبلغ من الاحترام أن كبار الناس كانوا يقبلون يديه . وكان ينسب هذا الى رضا والده إذ كان يدعو له دائما بأن يقبل كبار الناس يديه ، وهذا ما تم فعلا .

مزرعة العدمل النموذجية

وفي عام ١٩٤٢ اشتريت واخي شفيق قرية العدمل الكائنة في اراضي المرج من احد ابناء الفزي بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة ذهبية ، ومن حقي أن انوه بهذا المشروع الناجح الذي أتاح لي احياء ارض موات كانت عبارة عن ٢٧٠٠ دونم من التلال الترابية والمستنقعات لا يصلح منها للزراعة الا مائة دونم فقط .

وقد امتنع مالك الارض عن تسليمها وفرض علينا بدون وجه حق زيادة في الثمن عن الاتفاق تعادل مئة ليرة ذهبية اضافة الى تقدير اشياء ليس لها قيمة وديون ساقطة على الفلاحين ، وثار والدي على تساهلي غير المقبول وحثني على رفض الزيادة، ولكنني كنت اريد تجنب اضاعة الوقت في الدعاوى مع خصمنا الذي كان يشغل مركزا مرموقا في القضاء .

وعلى الاثر ، واجهنا مشاق العمل في استصلاح الاراضي خلال ظروف الحرب ، حيث كان كل شيء مفقودا وبخاصة الآلات والاسمنت ومواد البناء ، وبعد جهود مضنية تمكنت من تأمين جرار لفلاحة الارض وباشرنا بتشجير ١٥٠ دونما في العام الاول وتبع ذلك حفر الآبار واقامة الابنية وازالة التلال وردم المستنقعات ، ومضينا في هذا الجهد بدون كلل ولا ملل حتى اصبحت (العدمل) من المزارع النموذجية في الشرق الاوسط ، تحتوي على اشجار الفواكه من كل نوع واشجار الحور ، وتعمل فيها الآلات الزراعية الحديثة ، وقد اقيمت ابنية للسكن وحظائر للحيوانات والاغنام ومستودعات للاعلاف واللوازم .

وفي بداية استثمار هـذه المزرعة سجل الكيس الواحد مـن بذار الحنطة حوالي ثلاثين كيسا من المحصول لاول مرة في تاريخ غوطة دمشق ، ولم تكن هذه الارض تعطي اكثر من خمسـة امثال البذار في عهـد المالك السابق . وان هذا المشروع الناجح مثـال على ثمرات الجهـد المستمر والتضحيات وعدم التردد .

عضو مجلس الشيوخ المصري ، يكتب عن مزرعة العدمل

وفي صدد المزرعة العدمل ، فان الكاتب الكبير المرحوم الاستاذ محمود ابـو الفتح عضو مجلس الشيوخ المصري وصاحب جريدة المصري لسان حزب الوفـد وصاحب اكبر مؤسسـة صحفية في الشرق تصدر عنهـا ثـلاث صحف يوميـة هي (المصري) بالعربية ، و (البروغريه) ، و (جورنال دي جيبت) بالافرنسية والانكليزية ، كان من المدعوين الى أول مؤتمر عربي اقتصادي لنواة اتحاد الغرف للتجارة والزراعة والصناعة العربية عقد في مدينة دمشق عام ١٩٥٣ . وكان الاستاذ أبو الفتح من الاعضاء البارزين في المؤتمر . وقد أقمت لهذا المؤتمر الكبير حفلة غـداء في مزرعـة العدمل التي تبعـد ٢٠ كيلو مترا عـن دمشق ، حضرها ما لا يقل عـن ستماية شخص ، بحيث لم يسبق ان شهدت مدينة دمشق حفلة مثلها أو ما يماثلها من حيث روعتها وفخامتها ، وهـذا العـدد من المدعوين والانفاق بسخاء على هذه الحفلة .

وقد لبست المزرعة حلة من الزينة ، زادتها جمالا وروعـة مناظر الاشجار المورقة والارض التي لبست حلة سندسية خضراء ، والازهار والورود التي تناثرت في أرجائها مرحبة بالمدعوين ناشرة أريجها مع النسيم العليل يداعب الاغصان المتدلية لتظليل أمكنة جلوس المدعوين ، مع خرير المـاء المنساب من البئر الارتوازية يشنف المسامع ومـن النهر الجاري واسمه حاروش وهو ينبع من أراضي زبدين ويسقي قرية العدمل مع سبع غيرها وقد انتشر المدعوون في أرجـاء المكان المعد لهم في المزرعة ، بينما نصبت الموائد العامرة في مكان قريب ، وقد حوت كل ما لذ وطـاب مـن خراف محشوة وفراخ واصنـاف المحاشي والكبب والمتبلات والمقبلات وغيرها ممـا لم يخطر على بال ، والى جانب هذه الالوان الفاكهة والحلويات المعجونة بالفستق والقشطة ، مما اشتهرت بها مدينة دمشق.

والى جانب هذه الموائد ، نصبت موائد مماثلة تماما للسائقين والعمال وفلاحي المزرعة ، وبعد انتهاء الحفلة ، وزع ما تبقى من الطعام والحلويات على جوار المزرعة والرعاة الدين اعتادوا نصب خيامهم في أقاصي أراضي المزرعة .

اقول ، ولا فخر ، انني سمعت من كل من حضر الحفلة كل ثناء وتقدير ، نسيت معه كل ما بذلته من تعب وارهاق ومال وراحة . فالعدمل غدت مزرعة نموذجية حديثة في غوطة دمشق . واذكر هنا المحافظ المرحوم عبد الحميد الماردينى الذي ارسل اجهزة لرش المياه على الطرق التي لم تكن مزفتة في تلك الايام .

برقيـة صـاحب المصـري

واترك هنا الكلام للاستاذ محمد عثمان شحرور ، مدير مكتب جريدة المصري حينذاك وصاحب مجلة « الرقيب » يحدثنا عن انطباعات استاذه الكبير محمود ابو الفتح ، عضو مجلس الشيوخ المصري ، ونقيب الصحافة المصرية ، عن الحفلة ، فيقول :

بعد انتهاء حفلة الغداء التي أقامها السيد بدر الدين الشلاح لاول مؤتمر اقتصادي عربي يعقد في دمشق ، رافقته الى الفندق حيث طلب مني ارسال برقية لجريدة المصري بوصفي مديرا لمكتبها بدمشق ، ابرز فيها كرم صاحب الدعوة السيد بدر الدين الشلاح واخيه شفيق ، وحسن ذوقه في الموقع والمكان والتنسيق واستقبال الضيوف في مزرعته بشكل اثار اعجاب المدعوين وتقديرهم ، إذ بلغ عدد السيارات التي دلفت في هذه الحفلة حوالي ١٥٠ سيارة ، وجدت كلها اماكن خاصة لوقوفها .

وقال لي ، رحمه الله : لا تبخل بالكلام ، ارسل البرقية من ٣٠٠ كلمة لرئاسة التحرير والاشارة الى التعقيب عليها في برقية خاصة سأرسلها غداً لعدد الجمعة .

وبالفعل ، فقد ارسل البرقية بتوقيعه ، ونشرت في العدد الممتاز من المصري الذي يصدر صباح كل جمعة ، وكان مما قاله في هذه المقالة :

« كم تمنيت لو ان اصحاب العزب في مصر يشاهدون بأم العين ما رأيته في مزرعة العدمل بدمشق ، وكم تمنيت لو ان هؤلاء يمرون بمزرعة العدمل في زيارة خاطفة ليأخذوا دروسا عن العزيمة الصادقة والاقدام ، وكيف تكون المزارع ، وكيف ارادة الانسان عندما يشمر عن ساعد الجد ويشق الارض ليزرع وينتج ويأكل رزقا حلالا مباركا اضعاف اضعاف اضعاف ما تؤتيه الارض عندما يعتمد صاحبها على سواعد غيره . ليت «البكوات» عندنا في مصر ، نزلوا « البكوية » جانبا ونزلوا الى ميدان العمل ليوجدوا المزارع النموذجية وينتجوا خيراتها الوفيرة .

لقد رأيت في زيارتي لدمشق في مزرعة السيد الشلاح التي تزيد عن ٦٥٠ فدان مصري ، ومساحة الفدان المصري ٤٢٠٠ متر ، بينما الفدان السوري ٧٠٠٠ متر ، صورة حية عن مزارع هولندا وسويسرا ، وظننت أن القائم على هـذه المزرعة شركة كبيرة لا انسان بمفرده لا يعرف المستحيل، بل يعرف كيف يعمل ، وكيف يزرع ، وكيف ينتج ، وكيف يجني مختلف أنواع الفاكهة والخضار وحتى الاخشاب للصناعة ، بل كيف حول المستنقع الذي كان ينشر الملاريا الى جنة وارفة الظلال .

رأيت أماكن سكن الفلاحين والعمال في المزرعة ، يتخللها الهواء والنور والشمس ، وقد زودت بالماء العذب والكهرباء بمحرك خاص بالمزرعة ، وهي في مجموعها لا تختلف عن اماكن سكن العاملين في المزارع .

واجمل ما رأيت في هـذه المزرعة النموذجية السورية ، صاحب المزرعة السيد بدر الدين الشـلاح واخوه شفيق ، بتواضعهما وكرمهما ونشاطهما وتسخير وقتهما للعمل المتواصل دون كلل او ملـل مضحيين براحتهما في سبيل تحقيق هدف حددا أبعاده ونتائجه .

بورك في حياتهما ، وبورك لهما في مزرعتهما ، وبورك بأمثالهما المجدين المكافحين في خضـم الحيـاة ، وبمثلهم فليعمل العاملون » .

محمود ابـو الفتح

قبل وفاة الوالد

في هذه الفترة ، كان والدنا الحاج سليم الشلاح رحمه الله قد تقدمت به السن، وقد قارب الثمانين من عمره في عام ١٩٤٥ ، واضطرته الامراض الى ملازمة الدار . ورغم مشاغلي العديدة في التجارة والزراعة والبناء لم افارقه الا بعض الوقت ، وقد ازدادت حالته خطورة في عام ١٩٤٦ فكنت الازمه ليل نهار . وفي هذه الفترة وضعت زوجتي غلاما اسميته «غسان» وبعد ساعة ونصف الساعة وضعت الثاني «محمدمروان» فلما علم والدي بكى فرحا وسألني كيف تنبأت بأن زوجتك ستلد توامين ؟ فذكرت له أن من محاسن الصدف أن اتفاقي مع أخي شفيق في الحياة والعمل التجاري كامل الى حد انه شاءت ارادة الله أن يكون لشقيقي اربعة ذكور ولدي اثنان ، وثالث توفي في السادسة من عمره في ١٩٤٢ ، وليعود التساوي يجب ان ارزق بتوامين ، وهذا ما تحقق فعلا بولادة محمد وغسان فتمت المساواة ، وهذا من فضل الله ، فله الحمد والشكر .

كان قد انقضى علينا انا وأخي شفيق ، بعد انفكاكنا من المشاركة مع اشقائنا ست سنوات ، تمسكنا خلالها ـ شأننا دائماً ـ بحسن المعاملة والاستقامة وصدق النية والاعتدال في المجالس والحديث ، واحرزنا سمعة نفخر بها . وكان والدي عضوا في غرفة تجارة دمشق في عام ١٩٤١ ، ولكن الجيل الناشيء آنذاك امثال السادة بشير رمضان ونوري الحكيم وبديع القصص وممدوح كوكش ، تكتلوا لابعاد المتقدمين في السن والحلول محلهم ، ولكن الحكومة سمت والدي عضوا في غرفة الصناعة عام ١٩٤٤ باعتباره صاحبا لمصنع كونسروة .

معركة الغرفة التجارية

واقتداء منا بوالدنا في تحمل المسؤوليات ، دخلت انتخابات الغرفة التجارية في عام ١٩٤٦ ، منفردا عن قائمة اعضاء الغرفة الذين استعانوا بالسيد سليم البارودي لضمان اصوات تجار سوق الهال . وقد اثار نجاحنا دهشة رئيس الغرفة السيد مسلم السيوفي الذي لم يكن يتوقع وصول ممثلين عن تجارة الخضار والفواكه الى عضوية مجلس ادارة الغرفة ، كما ان احرازنا الاصوات الكثيرة في هذا القطاع كان مفاجاة للآخرين ، وكم كان سرور والدنا عظيما بهذه النتيجة التي نعزوها الى رضاه .

ارض مدرسة الاسعاف الخيري

بعد ان نجت دار والدنا من الحريق الكبير تبرع لجمعية الاسعاف الخيري بقطعة ارض قيمتها الف ليرة ذهبية لبناء مدرسة عليها تضم ابناءها الايتام الذين شردوا بعد ان احترقت مدرستهم جانب دار العظم بالبزورية في ايام الثورة واصبح عضواً بالجمعية التي تضم ١٥ عضوا من اعيان المدينة وكذلك انتسب الى الماسونية إذ اقنعوه بأنها تنادي بالانسانية والاخوة ونجدة الفقير والضعيف .

واجدني مدفوعا بقوة للحديث عن والدي رحمه الله وفاء لحقه واحياء لذكراه ، فقد كان مولعا بأعمال الخير ، ولم يتردد في دعم اي مشروع خيري ، ولم يكتف بالتبرع بقطعة الارض الثمينة التي تقوم خلف مبنى المجلس النيابي وانشئت عليها مدرسة جمعية الاسعاف الخيري ، بل قدم المساعدات الكثيرة لهذه الجمعية التي تعتبر من اقدم واكبر الجمعيات الخيرية في دمشق . وعندما شكلت جمعية لبناء مستشفى عرض عليها قطعة ارض في عين الكرش بجوار شارع بغداد مساحتها ٤٥٠ قصبة لاقامة المستشفى عليها ، ولكن اعضاء الجميعة لم يقبلوا بحجة ان هذه الارض لا تكفي، وحاولوا استملاك الاراضي المجاورة لها ولكن مجلس الشورى لم يجز ذلك .

جمعية المواساة تتباطأ

ونظرا لتباطؤ جمعية المواساة في تنفيذ المشروع ، نفر والدي منها وعدل عن اي تبرع لها ما دام المشروع يراوح مكانه ، الا انه رحمه الله ، تحت الحاح الاعضاء ، اعطى تعهدا مكتوبا بأن يبني خمسمائة متر مربع على نفقته في حياته أو على نفقة ورثته بعد مماته ، وفي ظروف أخرى ضاق ذرعا بتصرفات اعضاء الجمعية ورفض تخصيص اي مبلغ لمشروعها في وصيته ، وذلك بتأثير شعوره بأن هذا المشروع لن ينفذ ، وبالفعل بقي مشروع مستشفى المواساة ماشيا في بطء حتى عام ١٩٥٨ حين اشرفت الحكومة على تنفيذه ووضعت له المخصصات في موازنة الجامعة .

وبعد انتقال والدي الى دار البقاء ، اقام اعضاء جمعية المواساة دعوى قضائية استنادا الى التعهد المكتوب من الوالد والذي ابطله في وصيته ، وقد رد القضاء الدعوى ولكننا تعهدنا بدعم المشروع والوفاء بهذا التعهد مهما كانت النتائج .

وفاة الوالد وجنازته الكبيرة

وكنت حتى عام ١٩٤٧ لا اغادر البلد الا نادرا لأبقى دائما في جانب والدي الذي تقدمت به السن لأخدمه وأنال عطفه . وأذكر أن والدي رحمه الله نزل قبل وفاته بأربعة اشهر الى المحل وهو بالقنباز المنزلي وأخذني معه واستخرج من الصندوق ورقة اراني إياها وقال : انظر هل هذا التخمين مضبوط ؟ وكانت الورقة تضم تقديرا لقيمة المحلات المختلفة التي يملكها ، وفهمت من سؤاله ان مقصده هو أن يوزع أمواله في حياته خشية أن يختلف أولاده من بعده . فقلت له على الفور ، يا والدي اعد هذه الورقة الى محلها فنحن لا يمكن ان نملك شيئا وأنت تملك كل شيء ، وأبيت البحث في هذا الموضوع . واضفت انه هو الأدرى بالقيم ولا كلام لأحد من بعده .

ولما توفي الوالد الى رحمة الله بعد ذلك في ١٩٤٧/١٠/٤ ، نظمت له جنازة كبيرة جدا سار فيها الناس من كبراء وعلماء واصدقاء وتجار واقارب ، وتقدمتها فرقة مدرسة الاسعاف الخيري ، ولكنني ابيت أن ترافقها المولوية لاسباب عديدة منها ما يتصل بعقيدتي القائمة على البساطة ومنها ما هو غير ذلك .

وبعد الوفاة والخميس الاول ، عمدت الى فتح صندوقه بحضور الاخوة جميعا وتم تنفيذ وصيته الخيرية ضمن اقل من اسبوع من الوفاة ، ثم تم توزيع التركة وفق التقويم الذي وضعه مع الاسترشاد ببعض الآراء بناء على طلب بعض اخوتي ، ولما تمت القسمة واخذ كل نصيبه عدت فدفعت زيادة لبعض الورثة من النساء من مالي الخاص لتطييب خاطرهن ، وانطوت بالعطر والخير والذكرى الحسنة صفحة هذا الرجل الكبير .

الفصل السابع

نشاطي في الحقول العامة

منــذ نعومة اظفاري رايتني مندفعا الى الحياة العامة وخدمة الناس . فقد كــان والدي رحمه الله قدوة لي في هــذا المضمار اذ كان مع اهتمامه بتجارته يعمل جهــده من اجل خدمة الآخرين ولا سيما في تأسيس الشركات التجارية العامة وفي المشاريــع الخيرية مما سبقت الاشارة اليه بصورة مقتضبة ، وكان هــذا قصارى مــا يستطيعه في وقته ، حتى انه حين انضم الى الماسونية كان الجانب القائم على خدمة الناس هــو الذي وضعت نصب عينيــه من ذلك دون الالتفات الى نواحيها الاخرى .

وقد وجدت انا في كنفه ومن بعده ان مجــال العمل الوطني العام لا يكون بالضرورة عن طريق العمــل الســياسي المبــاشر والدخول في الاحزاب ، وانمــا يكــون بالعمــل الاقتصادي والزراعي والوقفــي والانســاني العــام والخــيري ، وهــذا كلــه جوهر الســياسة . ولذلك كانت لي علاقات دائمــة برجال العهود الوطنية المختلفة وبكبــار المسؤولين ، وكانت هذه العلاقات قائمة على انني اقدم رايي وفكري وجهــدي لــكل واحــد منهــم ولكل جماعة دون أن اكون معهم في التنظيم حتى لا افقد حريتي ، وان اخدم الناس عن طريق علاقاتي بهم دون أن احاول (خدمة نفسي) عن طريق الانضمام الى ايــة واحدة من هــذه المجموعات .

وكانت لي بطبيعة الحال آرائي المستقلة في خططهم وسياساتهم ، وكنت اذا رأيت خطأ لم اسكت عنه لانني حر من الالتزام بأي حزب ، بل استطيع ان اجد مــع معظــم الاحزاب والجماعات نقاط التقــاء استطيع بواسطتهــا أن اكون قريبا منهم الى حــد النصيحة بعيــدا عنهــم الى حد الاستقلال وعدم التورط ، وسواء أكانوا في اليمــين او الوسط او اليســار ، فان التعامل الصادق مع السياسات والامور العامة يظل ممكنا مع الجميع . ولذلك فسيكون لي من وقت الى آخر ، في هذه الصفحات ، راي في بعض الاشخاص يقتضيني الصدق والتاريخ ان اقوله مــع مراعــاة القاعدة القائلة (التمس لأخيك الف عذر ثم اتهم نفسك) ، فانــا اذا انتقدت لا اجرح ولا افضح ، واذا قدّرت لا امــدح ولا اجمــح .

وكنت دائماً في اعمال الخير انطلق من الآية الكريمة (وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) فلا ارى في العطاء الا واجبا واداء لحق ودين في رقبة الميسور والموفق تجاه من هم في حالة عوز وبعد عن التوفيق . والعطاء لا يكون فقط بالزكاة وبالصدقات والاحسان ، وانما يكون أيضا بالخدمات وبالدفاع عن المظلوم والتوسط لاعطائه حقه وبتطييب حياته وخاطره بكل وسيلة . وكان رايي ان عطاء الجماعة أفضل من عطاء الفرد ، فانا أفضل ان يأتي البر عن طريق جمعية خيرية لا مباشرة كلما أمكن ذلك ، حتى يتجنب المعطي ما يمكن ان يساور النفس البشرية من زهو وعجب بأن اليد العليا (التي تمنح) خيرمن اليد السفلى (التي تأخذ) . فالنفس امارة ، ومتى دخل العجب على الناس ضاعت مزية العطاء كواجب يرافقه الشعور بالامتنان لله تعالى الذيمكنهم من ان يحتاج الناس اليهم ولا يحتاجون الناس ، واعانهم على أن يكونوا مقصودين لا قاصدين . وهذا كله يكون بالعطاء عن طريق الجمعيات كلما امكن ، الا في حالات الاقربين والمستورين الذين يكون كتمان أمرهم وحاجتهم افضل لهم من اي مال يعطى .

وهذا وسواه مما علمتني اياه صحبة والدي ومن بعده صحبة العدد الكبير من العلماء الأصفياء الشرفاء الذين كنت احضر مجالسهم واتعلم منهم واترشف كلماتهم واستفيد من نصائحهم ، فانني في هذا المجال عرضت جهدي وما فعلته في نطاق العمل العام من انساني وزراعي واقتصادي وفي مجالات الوقف وفيالوساطة لايصال الحقوق لاصحابها وحل المنازعات بين المتخاصمين ، وافعل ذلك لا امنّ به على احد فانا الشاكر للناس ثقتهم ومحبتهم ، وانما اقدم حسابا للأمة عما فعلته لقاء ما اعطاني ربي ويسر لي عن طريق الناس من صحة وعمر واولاد صالحين ومال حلال وعقل منفتح على الخير وثقة من الناس تمتد من ابسط البسطاء الى اكبر المسؤولين .

انه حساب اقدمه للأمة ، وارجو ان يكون من يقرأ هذه الصفحات رفيقاً بي في المحاسبة ، أما يوم الحساب فانني استعد له بالإيمان وبشفاعة الناس البسطاء الذين كانت خدمتهم هدف حياتي .

ازدياد اعبائي الاجتماعية

على مر الزمن كانت اعبائي الاجتماعية ، تزداد وتتنوع ، حتى اصبحت أكثر مما يستطيع احتماله والنهوض به شخص واحد . ففي عام ١٩٥١ كنت عضوا في غرفة تجارة دمشق وعضوا في مجلس الاوقاف وعضوا في لجنة فرض ضريبة الدخل وعضوا في مجلس ادارة المعهد العربي الاسلامي وجمعية الاسعاف الخيري ، وكانت هذه الهيئات كلها تكلفني بأعمال ومهام عديدة لا مناص من انجازها وحدي .

اضافة لهذه الاعباء ، كان الكثيرون من اخواني واصدقائي يلجأون اليّ لحل مشكلاتهم ، كما كنت انتخب عضوا في لجان تحكيمية . ولم اجد سبيلا للتقليل من هذه الأعباء التي كانوا يلحون عليّ بتحملها رغم انه لم يعد لديّ وقت أدخره لنفسي واسرتي ، وقد اثار ذلك دهشة الكثير من اخواني ، فيتساءلون : كيف اتمكن من القيام بهذه الاعباء كلها ؟

التنظيم عامل النجاح

والحقيقة انني استطعت الجمع بين هذه المسؤوليات العديدة والقيام بالاعمال الكثيرة بفضل النظام وضبط المواعيد وتنفيذ كل عمل في وقته دون تأجيل أو اطالة أو تباطؤ . وكنت لا اضيع دقيقة واحدة من الوقت دون عمل ، وقد افادني هذا التنظيم في القيام بهذه الاعمال كلها ، اضافة الى ادارة مشاريعنا الزراعية ومتابعة اعمال البناء والاشراف على الاملاك والاراضي وتسيير مصالحنا التجارية .

الأوقاف

وقد وجدت من واجبي أن اقوم بخدمة الاوقاف الاسلامية الخيرية والدينية واسعى لتحسين الانتفاع بها وزيادة مردودها ، وكنت عضوا في مجلس أوقاف دمشق منذ البدايات ، وذلك عن طريق انشاء ابنية تزيد من مواردها . واستطاعت أوقاف مديرية دمشق انشاء أكثر من عشرين بناية جديدة تستفيد من مواردها الهامة بدلا من الدور القديمة التي لم تكن تدر على الاوقاف دخلا يذكر ، وذلك خلال فترة عضويتي بمجلس الاوقاف .

وهـذا ما حدا بمديرية اوقاف دمشق الى العمل على اسـس هـذ االمنهاج ، وذلك بتطوير ممتلكاتها وزيادة مواردها ، ثـم استطاعت اعـداد مشروع جامع « يلبغـا » الذي ساهمت في اعداده ليكون مجمعا ضخما من أضخم المشاريع التي تنفذها الاوقاف في اجمل واكبر مناطق العاصمة السورية من حيث القيمةالتجارية والاهميةالسياحية، وقـد بوشر فعلا بتنفيذ هـذا المشروع .

وسيعاد جامع « يلبغـا » مـن جديـد وفقا لطراز اسلامي رائـع في ابرز مـكان بدمشق ، كمـا يقـام بنباء تجاري وسياحي ضخم على شارعي الاتحاد والثورة ، يضم سوقا بديعـة تتألف من عـدة طوابـق ومجموعة مـن المكاتب والوكالات وشبكة مـن المرائب لخدمـة المنطقـة .

جـامـع العثمـان (الكويتي)

وكذلك عملت في انجـاز جامع العثمان ، اذ كان ذلك الرجل الكويتي المحب للخير قـد اوصى بثلث ماله لوجوه الخير المختلفة ، ومن جملتهـا اتمـام مشروع الجـامع الكبير الذي بني في دمشق قرب (الميسات) ويتضمن مسجدا كبيرا جدا ورائع البنـاء والتزيين ، ومعه مستوصف خيري ومدرسة شرعية وعقار للايجار من ريعه ينفق على دوام المشروع . وقد تعثر المشروع في البداية بعض الشيء ثم تم لنا تذليل الصعوبات وها هو المشروع الآن قائـم مزدهر يجتمع فيه الجلال والجمال .

كمـا انني سعيت لحماية الاوقاف من المتسلطين ولتحريرها من الاشكالات الكثيرة، واذكر من ذلك وقف المولوية وبناية القدسي واماكن اخرى ، والله تعالى يجزي كل من عملـوا في هـذا السبيل خـيرا .

بعض المعلومات والطرائف عن مجلس اوقاف دمشق

في عـام ١٩٥٠ ، جرى انتخاب اعضاء مجلس الاوقـاف بدمشق ، وقـد رشحت للعضوية عن التجار ، وجرى انتخابي عضوا فيه . وبالمناسبة وللمعلومات فان مجلس الاوقاف المؤلف من عشرة اعضاء ينتخب من قبل :

١ ــ ائمة المساجد بوزارة الاوقاف ويتراوح عددهم ما بين ١٢٠ و ١٨٠ موظفا .

٢ ــ اعضاء غرفة تجارة دمشق وعددهم ١٨ عضوا .

٣ ــ اعضاء غرفة الزراعة وعددهم ١٨ عضوا .

٤ ــ أعضاء مجلس ادارة المحافظة ١٢ عضوا .

٥ ــ أعضاء المجلس البلدي وعددهم ١٢ عضوا .

٦ ــ اثنين عن نقابة المهندسين .

٧ ــ اثنين عن نقابة الصيادلة .

٨ ــ اثنين عن نقابة الاطباء .

٩ ــ عن المجلس النيابي ١٤ عضوا .

ان اعضاء هذه الهيئة الانتخابية الذين ينتخبون اعضاء مجلس الاوقاف يمثلون في الحقيقة النخبة الممتازة في المجتمع .

وهنا أود ان اكتب لمحة عن سير الاعمال في المجلس المذكور .

أولا ــ هناك مدير اوقاف هو الذي يدير الجلسة ويطرح الامور المعروضة .

ثانيا ــ هناك رئيس دائم بالمجلس وهو القاضي الشرعي وهذا لا يتغير ولا يتبدل طالما هو القاضي ويقوم على راس عمله .

ثالثا ــ ان مفتي الجمهورية عضو طبيعي بالمجلس .

رابعا ــ ان للقاضي الشرعي الحق في معارضة اي قرار يتعلق ببيع أي عقار من عقارات الاوقاف المعروضة للبيع .

خامسا ــ اما مدير الاوقاف فله حق الاعتراض على اي قرار ويرفع الى المجلس الاعلى للاوقاف الذي يبدي رايه في القضية المرفوعة اليه من مدير أوقاف المحافظة .

اما المجلس فانه يتفق على موعد الاجتماع بالاتفاق مع جميع الاعضاء ، وقد اتفق على ان نعقد في كل اسبوع جلستين واحدة في الساعة العاشرة من صباح كل يوم احد والثانية في الساعة نفسها من يوم الاربعاء .

وكان كل عضو يتقاضى مبلغ عشر ليرات سورية عن كل جلسة تحسم منها ضريبة الرواتب والاجور .

وقد تم الاتفاق بين الاعضاء على ان يحافظ العضو على دقة موعد الاجتماع وكل عضو يتأخر ولو ربع دقيقة عن الجلسة في وقتها المحدد يدفع غرامة قدرها ليرة سورية واحدة كاجراء رمزي .

واذا تأخر العضو ربع ساعة لا يسجل له حضور ولا يقبض اي تعويض وهكذا فكان لا يتأخر اي عضو عن الموعد . وكان المرحوم الدكتور ابو اليسر عابدين المفتي العام اذا وجد نفسه متأخرا يصعد كل درجتين معا ، حتى لا يدفع غرامة التأخير .

وعندما اصبح فضيلة الاستاذ الشيخ احمد كفتارو مفتيا عاما للجمهورية أوضحنا له مقام الاجتماعات ، الا انه في الاجتماع الاول حضر متأخرا فطلبنا منه الغرامة وقدرها ليرة سورية ، فظن ان هذا الاجراء الخاص من قبيل المزاح ، ولكن لم تفتح الجلسة الا بعد ان دفع الغرامة .

كما وان جميع المجالس واللجان التي احضرها كان مطبقا عليها هذه الغرامة ما عدا غرفة التجارة التي ليس لها تعويض فكان مطبقا عليها ١٠ ليرات سورية غرامة تأخير وغير مقبول اي عذر .

وكان قد تضمن أول جدول اعمال طلب قرض من المصرف التجاري بمبلغ نصف مليون ليرة سورية لاقامة بناء على قطعة ارض من اوقاف المولوية كان باعها الشيخ شمس الدين المولوي الذي كان قيّما على وقف المولوية الى جان القدسي وبعد ان اعفت الدولة جميع المتولين آلت التولية الى مديرية الاوقاف .

طلبت من مدير اوقاف دمشق المرحوم عبد الرحمن الطباع تأجيل هذا الموضوع الى جلسة ثانية حتى يتسنى للمجلس الاطلاع على الموازنة وعلى املاك الدائرة ، وقال الاستاذ الطباع لا علاقة للقرض بالاطلاع على الموازنة ، اجبته : اني اخالف سياسة القروض لا سيما اذا كانت للبناء لأن البناء يحتاج الى سنوات لانهائه وتأجيره وهنا نخاف من ان تتبدل الايام كما جرى بعد الحرب العالمية الاولى حيث نعمت سورية بازدهار عظيم ودمشق بصورة خاصة اذ كانت اجرة الدكان بسوق مدحت باشا اثناء الحرب عشر ليرات ذهبية ارتفعت بفعل هذا الازدهار الى ٨٠ ليرة عثمانية ذهبية ، لذلك فاني اخاف بعد انتهاء البناء ان لا يكفي الايراد لسد الفوائد التي تترتب على هذا الدين .

وبعد بضع جلسات واطلاعنا على الواردات والنفقات لاحظت وجود املاك كثيرة لبيوت سكن قديمة بأجور تافهة بحيث لا تتجاوز أجرة الدكان الواحدة /٢٠٠/ ليرة سورية سنويا ، في حين أن الاجرة المذكورة لا تغطي نفقات الترميم ، لذلك قررنا بيع هذه العقارات واعطاء الافضلية بالامتلاك لساكنيها .

وهكذا انتهينا من عدد كبير من هذه الاملاك المتداعية التي لا مردود لها ، وبهذا اصبح لدى الدائرة سيولة مالية مما حملنا على البناء على الاراضي التي تملكها الاوقاف لتشييد بناء عوضا عنها ، وهكذا استطعنا ان نبني أكثر من ٢٠ بناية ما بين عام ١٩٥٠ و ١٩٦٤ ، أذكر منها المحلات التي تقع تحت جامع دنكز حيث يقام المسجد فوقها ، وبناء وزارة الزراعة والمحلات بأسفلها ، وقد قمنا ببناء ثلاثة محاضر وهي المشغولة الآن بمحافظة ريف دمشق والمحلات التجارية بأسفلها وبناء من أربع طوابق جانب جامع السنجقدار وآخر بطلعة حمام الناصري بالسنجقدار ، وبناء جانب مؤسسة عين الفيجة ، وبناء بالحريقة فيه المحلات السفلية مؤجرة والطوابق مشغولة من احد المصارف وبناء جانب وزارة السياحة ، وبناء جامع المؤيدية بشارع فيصل ومحلات تجارية بالطابق بالطابق الارضي ، وبناء جانب الفرن بالدرويشية ، وبناء جانب جامع سيدي خمار ، وبناء ميتم دار الامان ، وبناء جامع دنكز ودكاكين من الجهة الجنوبية ودكاكين من الجهة الشمالية ، وبناء بالحريقة مشغول من قبل مؤسسة البرق والبريد، وذلك عدا الابنية الاخرى واذكر منها جامع الافرم ، وفي مجال الترميم صرفنا على المساجد مبالغ لا بأس بها واذكر منها جامع الورد وجامع المعلق وجامع السادات وجامع السقيفة في باب توما ، وجامع في الجزماتية ، وجامع في الميدان الوسطاني وغيرها من المساجد الكبيرة والصغيرة .

واما المسجد الاموي الكبير ، فقد تم فرشه بالسجاد وتنويره بالثريات وترميم المشاهد الثلاثة ، واعادة الرسوم لسقفه الخارجي بالفسيفساء وتجديد المحاريب اثنين في الحرم والثالث في المشهد الشمالي الغربي ، وتم رصف ارضه الخارجية المكشوفة بالرخام حيث لم تجدد هذه الارضية منذ حرقه منذ أكثر من مئة عام .

وكانت ميزانية الاوقاف في عام ١٩٥٠ بجميع مدخولها /٧١٠/ آلاف ليرة سورية ومقابلها مصاريف بمقدارها . وفي عام ١٩٥٧ كانت الميزانية قد وصلت الى ١٩٠٠

الف ليرة ، ثم لما أردنا تجديد جامع يلبغا في البحصة وكانت البلدية قد هدمت بناية البرق والبريد القديمة ، ومبنى العدلية القديم ، ومبنى كراج بيروت الواقع جانب سوق علي باشا في المرجه ، طلبنا من الدولة استملاكها وضمها الى مشروع جامع يلبغا وقد احيل الطلب الى المديرية العقارية ، ومنها الى مدير أملاك الدولة ، حيث نام المشروع ولم يرجع ، وقد رجوت مدير الاوقاف الاستاذ عبد الرحمن الطباع ملاحقة الموضوع فذهب بنفسه وقابل هذا المدير فقال بالحرف الواحد ان هذا المشروع غير مناسب وعندما بلغني ذلك وكان موعد عيد الفطر السعيد وكان المرحوم صبري العسلي حينذاك رئيسا للوزارة ذهبت الى داره الواقعة في المهاجرين ودخلت وكانت ملأى بالشخصيات التي جاءت لتبارك له بالعيد . وقبل وصولي اليه صرخت بصوت عال وقلت له يا أبا شجاع أجدادنا تركوا لنا موردا من الاوقاف كا نفي عام ١٩٥٠ (٧١٠) آلاف ونحن مجلس أوقاف دمشق في برهة ٧ أسابيع أوصلنا الموازنة الى مليون وتسعمائة وثمانين الف ليرة سورية اي الى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه والآن نرجو أن تنال الثواب وتجعلها بتوقيع منك اربعة ملايين ليرة سورية فتكون في عام واحد ضاعفتها ستة أضعاف . وكان الموجودون يصغون لكلامي العالي وينتظرون ايضاح هذا النداء وعندما وصلت الى أمامه قلت : ان مجلس أوقاف دمشق مراده اقامة بناء على جامع يلبغا وصحنه الذي ينتظر الهبوط وان مرسوم استملاك أرض البريد والبرق وأرض العدلية والكراج موقوف عند مدير أملاك الدولة منذ ستة اشهر ، أجابني رحمه الله بالحرف الواحد : طوّل بالك كل شيء يصل الى محله وفي اليوم الثاني كلمت مدير اوقاف دمشق عبد الرحمن الطباع فقابل السيد صبري العسلي وشرح له موقف مدير أملاك الدولة ، وعندها عمل مرسوم استملاك جديد ولم يحوله الى الدوائر المختصة بل حوله الى مجلس الوزراء وتم التوقيع عليه دون الرجوع الى أملاك الدولة، وهكذا تم استملاك هذه العقارات وبدأنا بعمل المخططات لاقامة بناء على واجهة المرجة مؤلف من ١٢ طابقا وبمساحة ٦ آلاف متر طابقي وبناء على البحصة البرانية وبناء كراج بمساحة الف متر وفوقه بناء الجامع بدل الذي سيهدم والذي كانت مساحته ٩٠٠ متر ، وقد وجدنا معارضة حتى أن وزير الاوقاف آنذاك طلب احالة المخططات واعلان مسابقة عامة داخلية ودولية فاضطررت الى مقابلته لأقول بأن في هذه المسابقة يتأخر المشروع ونحن غايتنا من السرعة أن يقام البناء وتتضاعف موارد

الاوقاف وتعدل معاشات ائمة المساجد وخطباء المساجد الى رواتب تكون مقبولة لا سيما وان معاش الخطيب كان بحدود ٨٠ ليرة سورية والإمام ٩٠ ليرة سورية والخادم بحدود ٤٥ ليرة سورية ، وفي هذا المورد الجديد ترفع الخطيب الى ٤٠٠ ليرة سورية أي بنسبة معاش اكبر موظف في ذلك الوقت بعد ان نصنف المساجد الى فئات والمساجد الكبيرة يشترط أن يكون الخطيب فيها من حملة الدكتوراةبالشريعة،وجوامع خطباؤها بدرجة أستاذ خريج جامعة ثم أخرى خطباؤها من حملة البكالوريا حتى يكون الخطيب والخطبة على مستوى الزمان الذي نحن به . وقد بدانا بتصنيف بعض الجوامع لدرجة الدكتوراه هي المسجد الاموي ومسجد ابو رمانه ومسجد المرابط ومسجد الجسر الابيض ، ومع ذلك لم تترك الصحف انتقادها على الاوقاف مما اضطرنا للجواب عليه وهكذا كانت تناقش الامور علانية .

عبد الرحمن الطباع

عرفت خلال حياتي العملية عددا من الموظفين الممتازين الذين تحلوا بالخلق الكريم والسلوك اللائق والحلم والصبر على خدمة الناس . ويمثل المرحوم السيد عبد الرحمن الطباع نموذجا ممتازا من هذا النوع . وقد علمت انه تزوج في سن مبكرة ولم يحز على شهادات عالية ولكن تربيته ومحيطه العائلي اكسباه المزيد من الأدب وحسن التعامل وكان والده المرحوم شكري الطباع قد تعرض لنكبة مالية نشأت عن مصادرة كميات كبيرة من التبغ كانت في حوزته ــ من قبل مصلحة الريجي ــ فضاقت سيولته المالية من هذه الحادثة .

وكان والده من الاصدقاء المقربين للشيخ تاج الدين الحسني فعين ولده عبد الرحمن كاتبا براتب قدره / ٣٦ / ليرة سورية كان يقبضها في نهاية الشهر ويدفعها بكاملها الى والده . وبلغ من نجاحه في الوظيفة واحترام المسؤولين له أن ترفيعه استمر حتى أصبح مديرا لاوقاف دمشق . وفيما بعد أصبح أيضا وزيرا للاوقاف في عام ١٩٦٥ .

لم يكن المرحوم عبد الرحمن الطباع يغلق باب مكتبه اطلاقا بل يستقبل جميع المراجعين ببشاشة ويسر ويسهل مراجعاتهم الكثيرة . ولم يخرج انسان من مكتبه الا راضيا وشاكرا رغم كثرة مشاكل الاوقاف واحتياجات الذين لهم علاقة بها

ولا سيما فاقدو البصر .

وكان مجلس الاوقاف يجتمع في الساعة العاشرة من صباح يومي الاحد والاربعاء كل اسبوع . وكل عضو يتأخر عن الموعد يتعرض للجزاء المادي عقابا على تأخره .

اذكر انه اصدر امرينقل السيد عبد الرحمن الطباع الى وظيفة مفتش فثارت موجة من الاحتجاجات والمراجعات من ارباب الشعائر الدينية وائمة المساجد وموظفي الاوقاف . وقام وفد كبير من المواطنين باحتجاج لدى المسؤولين على هذا النقل . وكنت أول من قابل السيد صبري العسلي رئيس مجلس الوزراء وقلت له لا احد يقبل نقل عبد الرحمن الطباع ، خاصة وانه يضحي لأجل البقاء في الوظيفة وهناك من عرض عليه الفي ليرة سورية راتبا شهريا ورفض رغم ان راتبه وهو مدير أوقاف لا يزيد عن ستمائة ليرة ، وهكذا الغي قرار النقل .

وبعد ان ترك وزارة الاوقاف رجوته ان يقبل رئاسة وادارة جمعية الاسعاف الخيري . واسجل له اننا خلال ادارته للجمعية اقمنا بناءها الحالي على ارض تبرع بها والدي المرحوم سليم الشلاح . واضفنا الى مبرّات الجمعية خدمات التعليم وجعلناها ملاذاً للايتام تحتضنهم تعليما ومبيتا مع أجود الطعام ، واني افخر بالاشراف عليها ودعمها ، كما افخر واعتز بمعرفة وصداقة المرحوم عبد الرحمن الطباع وامثاله ممن تحلّوا بتلك الاخلاق وهذه المواصفات .

بعض الهبات والتبرعات

اذا كان من أدب الهبة ان تصل الى جهتها دون منة ولا مفاخرة فان من فوائد الاعلان عنها اثارة الحماسة والغيرة الدينية والوطنية . ولذلك ومن قبيل تشجيع الاخوة المواطنين على ان يحفظوا حق الله تعالى في أموالهم ويقدموه للمنفعة العامة والمستحقين ، اذكر ان والدي المرحوم سليم الشلاح قد لقننا درسا في العطاء السخي للجهات الوطنية والدينية والخيرية تبعناه ، ولم ينقص مالنا بذلك بل عوضنا الله عنه ، وهذا بعض ما في الذاكرة من التبرعات العقارية فقط ، ومن الامور المتعلقة بالمساجد والمآذن ولا اذكر سواها .

كان والدي المرحوم سليم الشلاح رحمه الله قد وهب جمعيـة الاسعاف الخيري التعليمي في عام ١٩٢٨ قطعة ارض خلف حديقة المجلس النيابي القائم عليها الآن ميتـم الاسعاف الخيري التعليمي .

وبعد وفاته رحمه الله تعالى فرغت انا واخي انور بنـاء بالسنجقدار خلف مديرية الاوقاف سابقا ، مؤلفا من قبـو وثلاثة مخازن ارضيـة وخمسـة مكاتب بالطابق العلوي ليكون لاطعام واكساء ابنـاء مدرسة الاسعاف الخيري .

ثم تفرغنا كذلك عن طابق بنـاء بالسنجقـدار الـى مستشفى المواساة بتاريـخ ١٩٦٤/١٠/٢٥ ورقم العقد ٢٧٤٦ .

وبنـاء امام فنـدق امية الجديد الآن (مقابل بناء جمعية الاسعاف الخيري) مؤلفا من قبوين وشقتين والسطح فارغا ليصير ريعه الى الكلية التي كنـا اسسناهـا لتبنى بالزبداني بمستوى مدرسة برمانـا في لبنان وقد ورد ذكر ذلـك في مكان آخر ولا زال هذا البنـاء في ملك الاوقاف حتى الآن .

ثم وقفت انا واخي شفيق قطعـة ارض في الميدان موصوفة بالمحضر رقـم ١٠٧٢ مـن منطقـة ميـدان سلطاني .

وبعدها وقفت انا واخي شفيق حصصنا من قطع الاراضي الموصوفـة بالمحاضـر ١٥٥ و ١٨٨ و ١٩١ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ من منطقـة دير سلمـان التابعة لمنطقة دومـا لاسم جامع الدير سلمان وذلك بموجب العقد رقم ٨٠٣ تاريـخ ١٩٧٩/٣/٢٥ .

وبعدها قدمنـا بنـاء مؤلف من دكانتين ودارين تبرعا الى اسبوع الجزائر بموجب عقد مؤرخ في ١٩٥٩/٢/٨ ورقم المحضر ١٠٤٩ من منطقة الميدان .

ثم دارا بالمهاجرين جانب القصر الجمهوري السابق طابق أول مقسم ٢ محضر ١١٧٤ جرى فراغها لاسبوع التسلح الـذي اشرف عليـه المرحـوم الرئيس شكري القوتلي وذلـك في ١٩٥٧/١/٣٠ .

ووهبنا مدرسة للبنات بالزبداني اسمها عائشة التميمية لقراءة القرآن اسبوعيـا عن روح والدنا المرحوم سليم الشلاح بالعقد المؤرخ في ١٩٤٧/١٢/٢٤

ثم وقفت انا وشقيقي شفيق قطعة ارض من اسم بدر الدين وشفيق الشلاح مساحتها كبيرة وموصوفة بالمحضر رقم ١٤٩/١٨ خان حازوره وقد بنيت عليها المدرسة الثانوية بالزبداني .

ووهبنا مخزنا على طريق الجرجانية أمام بناية الشلاح ليصرف ريعه على مسجد الشلاح بالزبداني .

وفي هذا العام وقفت لهذا المسجد قطعة ارض جانب الجامع تطل على ثلاثة شوارع لبناء مخازن ودور ويرصد ريعها الى المسجد ومساحتها / ٨٠٠ / متر تقريبا ورقمها ٣٤٢ ـ ٣/٧ .

المساجد والمآذن التي تم بناؤها من قبلنا

جامع الشلاح بالقامشلي
جامع مرج السلطان بالفوطة
جامع الشلاح بحاليا
مئذنة جامع عمر الفاروق بشارع بغداد
مئذنة جامع فخر الدين الرازي في البرامكة جانب الجامعة
مئذنة جامع الشيخ رسلان باب توما
مئذنة قرية حرستا القنطرة في الغوطة
مئذنة الدير سلمان بالغوطة
مئذنة الاحمدية بالغوطة
مئذنة المنصورية بالغوطة
مئذنة نوله بالغوطة
مئذنة العتيبة بالغوطة
مئذنة عين ترما بالغوطة جامع طلحة والزبير
مئذنة الحاجبية جانب مسجد الشيخ محي الدين
مئذنة جامع الإيمان
مئذنة جامع زين العابدين بالقامشلي
مشاركة بجامع عبد الله بن رواحه
مشاركة بجامع الحسن بالميدان كورنيش .

اعباء أخرى وسرّ القيام بها

وكنت في كل هذه الاوقات ومع عملي في الغرفة التجارية ومجلس الاوقاف عضوا في لجنة فرض ضريبة الدخل وكنت فيها اتولى حماية الفقراء ، وفي نفس الوقت يعامل الميسورون بعدالة ، كما كنت عميدا للمعهد العربي الاسلامي ورئيسا لجمعية الاسعاف الخيري ورئيسا لمحفل ابراهيم الخليل ، واساعد في الوقت ذاته الكثيرين من الاصدقاء والاخوان بحل مشاكلهم ، وادخل عضوا في لجان تحكيمية ، ولعل من آخر ما قمت به من هذا القبيل العمل على انقاذ ما يسمى بمشروع (راني) الذي تورط فيه خمسة عشر الف مواطن كادوا يضيعون ثرواتهم ، فعملت مع الاستاذ محمد البيرقدار على تشغيل بعض المشاريع وبيع بعضها الآخر ، واستطعنا تامين مبالغ محترمة للمودعين ، ولكن الذين كانوا يستفيدون في البداية من اموالهم حسمنا عليهم مقبوضاتهم المبالغ فيها ، وكان جهد القاضي الاستاذ البيرقدار في هذا الموضوع كبيرا وموضع اعجابي .

وما أكثر ما احتاجت هذه الاعمال الى اسفار والى اجتماعات متوالية في الليل والنهار وحضور الكشوف ، وكان الجميع يلقون أكثر الاعباء عليّ حتى صار كل وقتي تقريبا لهذه الاعمال ، ولكن كان يعينني على النهوض بها النظام وضبط المواعيد والدقة فيها والانتقال من عمل الى عمل دون اضاعة دقيقة واحدة ، ولم اكن انسى ان ادير اعمالنا الخاصة من تجارية وزراعية ، ووفقني الله في كل هذا بعونه ومرضاته .

واكرر ان ما اقصده من ذكر ذلك ليس المباهاة ، فانا اشكر من كلفني بأي عمل لانه اشعرني بقيمة وجودي ونفى عني الشعور بانني اعيش لنفسي واقاربي وحدهم كما اعطاني بحمد الله شهرة طيبة ومحبة من الناس لا استطيع وفاءهم بالشكر عليها . انما اذكر ذلك لاقول ان التجربة علمتني ان تنظيم العمل وحسن استخدام الوقت يفيد في القيام بأعمال مضاعفة اضعافا لمن يريد ، والعاقل من قدّم النصيحة لسواه ، والنصيحة نوع من الشكر لله تعالى على توفيقه .

مـن النشـاطـات التي قمت بهـا

ـ من مؤسسي شركة لتصدير الخضار والفواكه الى فلسطين عام ١٩٢٢

ـ رئيس نقابة تجـار الخضـار والفواكـه الطازجة والمجففـة مـن عـام ١٩٢٢ حتـى عـام ١٩٦٦ .

ـ عضو في لجنة تسعيرة الانتاج الزراعي من عـام ١٩٢٩ حتى عام ١٩٩٠ .

ـ رئيساً لشركة استيراد البرتقال من فلسطين في عـام ١٩٤١ .

ـ عضو في لجنة فرض الدخل من عام ١٩٤٩ وحتى تاريخه .

ـ عضو في لجنة تخمين العقارات من عام ١٩٤١ وحتى عام ١٩٦٤ .

ـ عضو في مجلس أوقاف دمشق من عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٦٤ .

ـ عضو في لجنة الاصطياف العليا (بمثـابة وزارة السياحـة) مـن عـام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٦٦ عندما أحدث منصب وزير للسياحة .

ـ عضو في لجنة تعديل الايجارات في عـام ١٩٥٠ .

ـ عضو في لجنة اعادة الرئيس شكري القوتلي من الاسكندرية عام ١٩٥٤ (عـدد اعضاء اللجنة ٧٨ عضوا من كبار رجالات سوريا) .

ـ عضو مجلس ثم رئيس لشركة التبريد حتى عام ١٩٦٤ .

ـ عضو في غرفة تجـارة دمشق من عـام ١٩٤٦ وحتى عـام ١٩٧٢ .

ـ رئيس لغرفة تجارة دمشق من عام ١٩٧٢ وحتى تاريخه .

ـ نائب رئيس الغرف التجارية الاسلامية من عام ١٩٧٣ وحتى تاريخه .

ـ رئيس اتحـار الغرف التجارية السورية من عـام ١٩٧٢ حتى تاريخه .

ـ رئيس لاتحاد الغرف التجارية الزراعية والصناعية العربيـة مـن عـام ١٩٨٢ وحتـى عـام ١٩٨٤ .

ـ عضو في جمعية الاسعاف الخيري التعليمي في عـام ١٩٤٧ .

ـ رئيس فخري لجمعية الاسعاف الخيري التعليمي من عام ١٩٧٠ وحتى تاريخه.

ـ عضو في جمعيـة السرطـان حتى تاريخه .

ـ عضو في جمعيـة مكافحـة السل حتى تاريخه .

ـ عضو في لجنـــة بنــاء مستشفى التل .

ـ عضو في لجنة جمع التبرعات ليوم التسليح برعاية الرئيس القوتلي وتم جمـع ما يقارب ٢٧ مليون ليرة سورية .

ـ عضو في لجنـــة التبرعات للجزائر .

ـ عضو في لجنة وضع مخططات سوق الهال الجديد ولمدة عشرة أعوام .

ـ عضو في لجنة انتقاء المشمش واستبداله بالنوع الكلابي بين ١٩٤٧ و ١٩٥٤ .

ـ عضو في لجنـــة مشترى السجاد من طهران للمساجد .

ـ عضو في لجنة ميتـــم سيد قريش من عـــام ١٩٥٠ حتى عـــام ١٩٦٤ .

ـ عضو وعميـــد جمعية المعهـــد العربي الاسلامي حتى عـــام ١٩٦٧ .

ـ عضو في لجنـــة اصـــلاح الســـجون .

ـ عضو في اللجنـــة المكلفة في وضع الروزنامة الزراعية عام ١٩٧٣

ـ عضو في اللجنـــة المجتمعة في بيروت لتسمية الحاويات عام ١٩٧٥

ـ عضو في لجنـــة تقدير اضرار حريق سوق الحميدية عام ١٩٦٨

ـ عضو في لجنـــة الترشيـــد .

ـ عضو في لجنـــة بنـــاء مستشفى الاطفال بدمشق .

ولله الحمد والمنـــة على ثقـــة الناس وعلى اعطائي الصحة والهمـــة لأقوم بواجبي في كـــل هـــذه المجـــالات .

مشروع كلية في الزبداني على غرار كلية برمانا في لبنان

في ١٩٥٤/١١/١٦ خطرت لي الفكرة التالية النابعة من حبي لديني وللعلم والرغبة في أن نوجد مجالا جديدا مبتكرا للاعمال الخيرية التي ربانا المرحوم الوالد على اعتبارها الشيء الذي بــه تطيب الحيــاة . ولما كان مثل هــذا المشروع يحتاج الى رعاية عالية فقــد توجهت نحــو الجهــة التي توسمت فيها القدرة والرغبة في اعطاء هذه الرعاية وهي المملكة العربية الســعودية في أيام المغفور له الملك سعود ، فوجهت الكتاب التالي :

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم

يتقدم بدر الدين الشلاح التاجر بدمشق بتحيته الخالصة بمناسبة تسلمكم العرش معربا عن امله الكبير في أن ينــال المشروع ، المعروض على جلالتكم فيما يلي ، عنايتكم البالغــة لمــا فيه من الخير العميم للعرب والمسلمين .

توفي والدي منذ سبع سنوات تاركا مبلغ مليون ليرة سورية ، أوصى بستمائة ألف ليرة منها لتنفق على اعمال البر وانفقت كلها بعــد ثلاثة اسابيع من وفاته يضاف الــى ذلك ما انفقه على أعمال الخير في حياته ويقدّر بنصف مليون ليرة ، منها بنــاء مدرسة الاسعاف الخيري الذي يضم اليوم حوالي ستمائة يتيم .

لقد علمت أولادي في المراحل الابتدائية تعليما اسلاميا صرفا وبعد أن تيقنت من ان الإيمــان دخل قلوبهم ارسلتهم الى المدارس الاجنبية في لبنان وهــم الآن يتممون دراستهم العالية في انكلترا ، ولحرصي الشديد على أن يرتفع مستوى العلم لدى ابناء جميع الطبقات الاسلامية فكرت منــذ عــام بانشاء كليــة علميــة خيريــة في مصيف الزبداني على طراز مدرسة برمانا الانكليزية في لبنــان ، على ان تعني باللغــة العربيــة واصول الدين واللغــة الانكليزية والعلوم الكونيــة ، واجتمعت بعــدد من اهــل الخير وتحدثت اليهم عــن المشروع فتبرعوا بـ (١٨٨٧٥٠) ل.س حسب البيــان المرفــق بينمــا المشروع يحتــاج تحقيقه الى ٦٥٠ الف لــيرة سورية ونحن متأملون أن يتبرع سواهم بغير هذه المبالغ عند المباشرة . ولما اطلعت على امركم بعــدم تعليم احد مــن الرعايا السعوديين في المدارس التبشيرية ادركت أن عملنــا يفتح الباب أمــام من يود

التعلم من رعاياكم ، يضاف الى ذلك خطابكم الذي قرأناه في الصحف عن افتتاح ٢٤٥ مدرسة في انحاء مملكتكم ثم تبرعكم في العام الماضي بمبلغ خمسة عشر الف جنيه للكلية الاسلامية في عمان .

ان كل هذه العوامل دفعتني للكتابة الى جلالتكم بمناسبة ذكرى تسلمكم العرش راجيا تخصيص مبلغ ثلاثمائة الف ليرة سورية لهذا المشروع لنتمكن من اتمامه وبذلك تسجلون يداً بيضاء على العلم وعلى شباب العرب المسلمين وتنقذونهم من المدارس التبشيرية المؤذية .

ان القائمين على المشروع يا صاحب الجلالة من صفوة المجتمع المسلم في سوريا وقد نالوا رخصة جمعيتهم من الحكومة كما بادرت لشراء ارض المدرسة من مالي الخاص في منطقة الزبداني وتبلغ مساحتها ٣٢ دونما ، وسأقدم لجلالتكم نسخة عن نظام الجمعية الداخلي وفي استطاعة جلالتكم السؤال عن الاشخاص القائمين على المشروع بواسطة سفارتكم في دمشق .

انني اذ اقدم تهنئتي المخلصة بهذه الذكرى السعيدة أرجو أن ترعوا المشروع بعنايتكم لأن تخليكم عنه لا يعني إلاّ فشله وعدم تمكننا من اتمامه .

وتقبلوا يا صاحب الجلالة اسمى الاحترام وارفع التقدير .

بدر الدين الشلاح

كما وجهت الى وزارة المعارف السعودية كتابا بالمعنى نفسه طلب فيه دراسة المشروع وتأييده ، ثم تابعت توجيه الرسائل بالمعنى نفسه .

وبعد أن اكتتب عدد من المتبرعين بنحو مئتي الف ليرة ، لم يردني جواب . فأرسلت رسالة اخرى الى وزارة التربية السعودية فلم تجبني ايضا ، ورغم عدد من التأكيدات ظل المشروع في مكانه . وكان ان سجلت قطعة الارض باسم الاوقاف ، وفشل مشروع لو كان تم لكان منه خير كبير للثقافة الاسلامية والعربية .

مـــن دروس الحيـــاة

وعلمتني التجارب ايضا ان اعمــل كثيرا للناس بلا مقابل ولكن لا ادخل في شراكة مــع احــد سوى شقيقي ، فان الحوادث التي اضطررت فيهــا لمشاركة غــيري لــم تعطني الشعور بالارتياح وهذا من مبادئي وهو عدم المشاركة في العمل ، فان وجــود الآراء والمشارب المختلفــة يجعل الاصطدام محتملا والخسارة واقعة وقد يصل الناس الى المحاكم ومتى دخلوها يصعب الخروج منها فضلا عن اضاعة الوقت والمال والصداقات.

كما علمتني التجارب التقيد بالقانون وعــدم الاستخفاف بــه لان المخالفة تعرّض أصحابها للعقوبة أو المهانة كما يصاحبها الخوف الدائم وهو قتال للنفس . وقد حدث حين عقدنــا شراكة اضطرارية في بعض الاعمــال بين سورية ومصر ان احد شركائنــا حدثته نفسه بالاستفادة من تهريب العملة فشعرت بنوع مــن الحاسة السادسة بمــا جــال في نفسه ونبهته وحذرته الا انه لــم يستمع وكان ان قــام ببعض الاعمال ممــا ادى الى مصادرة امواله وحبسه بعض الوقت وتغريمه غرامات فادحة ، ولم نسلم من ضرر اصاب سمعتنا موقتا لان الرجل ولو كان عمل لنفسه ودون رأينــا كان اسمــه ارتبط باسمنا في بعض الاعمال المشتركة من قبل . لا اريد التبسط في هذه الحوادث فانها تظل فردية والخسارة تعوّض والربح يذهب ولكن تبقى العبرة والموعظة . وانــا بحكم الظروف والمشاركة الكثيفة في الامور الزراعية والتجارية والاجتماعية والاقتصادية والانسانية عامة ، صرت رجلا عاما ، فقد صــار من المفروض فيّ والمفروض عليّ ان اقدم تجربتي للناس ، فما اعطاني اياه الشعب يجب ان يعود اليه ، ولذلك فحتى حين كان بوسعي ان آخذ حقي بالقوة لم آخذه بهذه الوسيلة وتمسكت بمبدأ يقول ان المغلوب حصته المولى تعالى وان المــال يذهب حيث أتى وتبقى الاخلاق والسمعة والمبادىء ، وهي وحدها الثروة الباقية لدى التاجر ولدى كل انسان على الاطلاق . وقد عوضنا الله دائما اضعاف ما خسرناه بالتمسك بالمبادىء وسلوك سبل الرحمة .

وهناك اشياء كثيرة تعلمتها من الحيــاة تأتي في حينها . فالتجارب كثيرة والاعمال واسعة متلاحقة والميادين مختلفة ، وكان عليّ ان اختار من هــذه العبر جزءا بسيطا اتوسم فيــه النفع لان انسان هذه الايام ليس عنده وقت للمطولات ، وبقية الحوادث التي مرت معي ولا انقلها لكم في هذا الكتاب ارجو ان اضعها في مركز الوثائق التاريخية لينتفع بهــا من يريدون اجراء الدراسات الوافية في المستقبل .

انـــا والصحـافـة

كنت دائما على علاقة جيدة بالصحافة لاسباب عديدة ومفهومة . فالصحف تريـد معلومات واخبارا في كل الميادين ، وتهمها امور التجارة والزراعة والسياسة الاقتصادية وانـا كنت بحكم اهتمامي بهذه الامور وسواها من الشؤون العامة عندي الكثير ممـا اريـد ان اعرضـه على الراي العـام . ولذلـك فانني على عادتي في تنظيـم أوراقي ووثائقي جمعت قصاصات الصحف التي فيها أحاديثي ومقالاتي ومقابلاتي والاخبـار التي تهمني فبلغت ملفا ضخما لا يمكن ولا يفيـد أن يعـاد نشره لأن بعض الاخبـار والكتاباتالصحفية التي تكون في وقتها عظيمة الفائدة تصبح بعد الزمان الطويل مجردة من أسباب اعـادة النشر . ولذلك فقد عزمت ان شاء الله على ايـداع هـذا الملف في مركز الوثائق التاريخية لمن شاء الاطلاع على بعض الامور التي كانت تشغل الناس .

واكتفي بتعداد المجالات التي كتبت فيها أو أعطيت احاديث صحفية ، وهيمجالات الاوقاف الاسلامية تنظيمها وارداتها ومشاريعها والمقترحات والمناقشات الصحفيـة العامة الجارية بشأن بعض المشاريع الهامة فيها كجامع يلبغـا وجامع العثمان والعديد من المساجد والموارد الوقفية اللازمة لتأمين رواتب العاملين في دور العبادة الاسلامية ، وكنت اقوم بذلك بسبب اطلاعي الدقيق على هذه الامور لأنني عضو فيمجلسالاوقاف، ثم المسائل المتعلقة بالانتاج الزراعي ممـا ورد ذكره في هـذا الكتاب وسواه ، والمتعلقة بصناعة الكونسروة ، وبتجارة الخضار وسواها ، وبالغـلاء ، مع المذكرات والمقـالات والبرقيات المتعلقـة بذلك .

ولكن هـذا لم يمنعني من أن أعالج مرات كثيرة مشكلة السكن التي توضح منـذ الاربعينـات انهـا ستكون مشكلة خطيرة بكل نواحيها سواء اكان ذلك لتكاثر السكان أم لتأثير البنـاء على المناطق الزراعية ام الاثر على البيئة ام سوء تنظيمالمرافقالسكنية ام لمشاكل قانون الايجار أو لتفاقم المخالفات العمرانية التي شوهت وجـه المدينـة . وقد كنت في ذلك كله أقدم الدراسات مشفوعة بأرقـام دقيقة ومقترحات ومخططات واضحة. على انني لا اعود الى ذكرها الآن لأن المشكلة ولو كانت تكبر وتتفاقمباستمرار إلا أن عناصرها وحلولها في تبدل دائم مع تطور العوامل المنشئة لها .

وعالجت مسألة الحمامات الدمشقية القديمة في احاديث كثيرة معترضا على سياسة هدمها ومطالبا بتجديدها وتشغيلها لانها اساس لا يستغنى عنه لتأمين النظافة العامة بالنسبة للمقيمين حيث لا توجد حمامات في معظم البيوت القديمة التي يتساكن فيها الناس بأعداد كبيرة ، كما لا توجد مرافق غيرها لتامين نظافة واستحمام الزائرين والغرباء . وعلى اساس أنها تراث قومي حضاري وصحي .

وعالجت مشكلة السير المتفاقمة هي الاخرى بسبب ان مدننا القديمة وشوارعنا لا تتسع للسيارات المتكاثرة ولا تتوافق مع متطلبات السير الحديثة . وكذلك مسائل الصحة العامة والمشافي وضرورة العناية بها باستمرار .

حتى المسائل الاجتماعية المتعلقة بالاسرة والزواج والطلاق لم تكن خارجة عن مجالي وكيف تخرج عنه وانا رب أسرة كبيرة واعرف ما يتصل بحياة الاسرة من اشكالات تتطلب الحل .

ولا يخفى انني بسبب عملي في غرفة التجارة لسنوات طويلة جدا كنت اركز على الامور التجارية وهي في بلادنا تثير مشاكل يومية من كل نوع تتطلب الحلول العاجلة وتنوير الرأي العام ومناشدة المسؤولين عن طريق المذكرات والاقتراحات وكل ذلك يجد طريقه يوميا الى الصحافة .

وقد كنت في هذه الامور على الاعم والاغلب متفائلا ابحث عن الحلول اولا وابث الثقة بامكان تلافي الاخطاء ، وليس عن طريق التشاؤم يمكن أن نعالج الامور العامة ولو كان التشاؤم يغلب في بعض الاحيان حين نلمح من بعض الجهات ـ على مدى عشرات السنين ـ انها لا تنفذ الى اعماق المشاكل ولا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب .

ولم اغفل حين اطلعت على وضع الجزيرة عن ضرورة البدء بعمليات التحديد والتحرير فيها وكتبت عن هذا الموضوع منذ عام ١٩٥٥ في عدد من الصحف .

آل الشـــلاح ... التجـار التقليديون في سورية

وأخيرا وما دمت في حديث الصحافة فأنا انقل لكم هذا المقال الذي نشرته مجلـة (نيرايسـت بيزنـس الاميركية) في عام ١٩٧٧ :

منذ قرابة تسعين عاما ، وفي بنـاء تركي العهد ، غير شاهق ، يقع المركز الرئيسي في سوق المدينة لشركة الشلاح بين ضجيج وصخب أصوات البائعين الذين يساومون على أسعـار الفواكه والقطن .

ويتربع بدر الدين الشلاح فوق أمبراطورية الشلاح التـي بدات في نهـاية القرن الماضي ممثلة بوالده والتي ينميها الآن أولاده .

ان كبير عائلة الشلاح له من العمر ٧٣(١) عاما ، وهو يذكر بفخر واعتزاز كيف ابتدأ بعملية تصدير الفواكه برحلات تجارية الى فلسطين مرسلا من والـده سليم ، حيث كان هنـاك يقوم بشراء البطيخ ــ ولم تكن الحدود والجمارك قائمة بين البلاد العربية في ذلك الوقت ــ ويؤتى به الى دمشق بواسطـة السكة الحديدية ، وكانت بدايتهم كمصدرين صفار للبندق والبطيخ والتين ، ثم أصبحوا سادة الحركة الزراعية .

والقفزة اتت في عـام ١٩٢٨ ، فشقيق بدر الدين وهو أنور وكان طالبا في جامعـة بيروت الاميركية ، رأى ووجد امكانيات تحسين انتاج الاغذية لأن حفظها وتعليبها لـم يكن معروفا في الشرق الاوسط . وبدا أنور بالاختبارات في المطربانـات الفارغة ، وبدأ الشلاح في بيـع ورق العنب المفرّغ ، وبعد خمس سنوات اسست العائلة شركة .

والشركة ابتدات بـ ٥٠,٠٠٠ سهم كما يقول بدر الدين ثم باعوا ١٢,٠٠٠ سهـم ولكن المهم بدأنـا وانطلقنـا . وانزل آل الشلاح الى الاسواق البامية والمربيات المعلبة في تلك المنطقة ، وبعدها ركزوا اهتمامهم على انتاج القمر الدين وهي عبارة عن صفائح طويلة من المشمش الحلو وهي اكلة شعبية ومعروفة في تلك المنطقة والعالم العربي . والقمر الدين كان يعصر باليد ، ولكن آل الشلاح صنعوا الآلات الميكانيكية ، واستعملوا ايضا مادة السلفر لانتاج القمر الدين بكميات كبيرة ، كانت وما زالت عمليـة ناجحـة في تلـك المنطقـة .

وفي الاربعينيات ، كان آل الشلاح يقدمون تكنولوجيا حديثة للزراعة السورية كما في انتـاج الاطعمة ، وبداوا اختبازاتهم بمزرعة نموذجية جديدة باساليب جديـدة في الري والتطعيم وابادة الحشرات . واشتروا هـذه المزرعة في عـام ١٩٥٤ بمساحـة

٧٠ دونم وهي تبعد ٤٠ كم غربي دمشق في الزبداني . وقد أصبحت الزبداني هدفهم الرئيسي في مجال الاختبارات الزراعية .

ان بدر الدين الشلاح وابناءه غيّروا عادات الاكل في بلدهم بالانواع الجديدة والعديدة من الفواكه المزروعة في الزبداني ، فقدّموا التفاح الكولدن والستاركن اللذين حلاّ محل التفاح السكري ، واستوردوا المشمش من كاليفورنيا (وهو نوع بين التلتون والبليهم) والذي اصبح شعبيا ودعي فيما بعد في السوق الدمشقي بالمشمش الاميركاني .

وبمطالعات بدر الدين الشلاح للمجلات الزراعية الاجنبية من ناحية ، ورغبة من ناحية ثانية بالمجازفة في مغامرة جديدة ، حدثت سلبيات ظاهرة وخاصة فيما يتعلق بالاجاص الافرنسي والذي يدعى الدوشينز والتي تزن الحبة الواحدة (١) كغ ، حتى ان ثقل الثمرة كان كثيرا على الشجرة ، ولم تنجح هذه العملية من الناحية التجارية .

وابناء بدر الدين الشلاح هم الآن يشرفون على الاعمال في المزارع بانتاج القمر الدين ، وبعض الابناء واولاد العم يقومون بالعلاقات الحكومية وبعمليات التجارة والاستيراد والتصدير .

وسليم الشلاح ، ابن السيد بدر الدين والذي يحمل دكتوراة في الاقتصاد الزراعي من جامعة ولاية اوكلاهوما ، هو المسؤول الاول عن الاختبارات الزراعية في مزرعة الزبداني . وقد شرح سليم اهم التحسينات في المزرعة وهي عوضا عن رش السماد حول الشجر وهي الطرق المتبعة الآن ، يجري رش السماد ممزوجا بالماء والمبيدات الحشرية على اوراق الشجر وذلك من مركز ثابت . وبهذه العملية لا توفر اليد العاملة فقط بل يتم تحاشي نمو الاعشاب ايضا ، فبهذه الطريقة لا تسمّد الارض والاوراق تمتص السماد مباشرة .

ومزارعهم تنتج ٢٥٠ طنا من المشمش و ١٠٠ طن من التفاح و ٦٠ طن من الاجاص وكميات قليلة من الدراق والتين والخوخ . وفي الايام غير الموسمية يزرعون الخيار والكوسا والباذنجان والبندورة .

ان ثروة عائلة الشلاح ليس مثل ثروات اغنياء البترول الجدد ، بل منبعها في الأرض ومع ان معملهم للكونسروة امم في عام ١٩٦٥ فقد ثابروا على الانتاج المزرعي في عملية الزرع والتنمية . وكتجار دمشقيين يبقون كما هم بعيدين عن الفورات البترولية .

الفصل الثامن
الاقتصاد والمؤتمرات

ليس في مواقفي الاقتصادية سر خاص يستدعي ايضاحا مفصلا . فانا تاجر اولا ، والتاجر من أول مبادئه الحرية في العمل والاستيراد والتصدير ، والسهولة في الاتصال والمبادلة والتحويل ، والسرعة في حركة راس المال لأن دوران راس المال بسرعة يضاعف جدواه عما اذا كان مجمدا . ولكنني في عين الوقت اعطي للتجارة معناها الشريف الدقيق من حيث هي خدمة أساس ربحها الحلال ان يكون طريقه مشروعا وحلالا ، ولذلك اعتبرت وقلت دائما ان حروف التاجر الاربعة جاءت من التقى والامانة والجهاد والرحمة . وقد عمل رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بالتجارة فيجب ان تكون تجارتنا على ما رسم لنا حتى يكون ربحها المادي مترافقا مع ربحها المعنوي . ولا يظنن احد ان في هذا الكلام مغالاة لأن العمل التجاري متى افرغ من محتواه الاخلاقي اوشك ان يكون شيئا غير مستحب ، ولا اسميه ادبا .

وبين الفترة والفترة تجري محاولات لراب الصدع ولكن بعد ان يكون الضرر اصبح عسيرا على التفادي . وانا متمسك ولو كنت تركت الآن التجارة بمبدأ حرية التجارة ، مع حق الدولة في أن تضع المخطط العام للاحتياجات والقواعد التي تيسر ولا تعسر . ومع حق الدولة في ان يكون قطاعها العام نشيطا ومنافسا جيدا وحقيقيا للقطاع الخاص ويعمل بغير قيود روتينية تفسد عليه امكان المنافسة . وقد رأينا بتجربة طويلة دامت اكثر من ثلاثين سنة ضرورة ذلك ، كما بدأ العالم يحس بأذى الوسائل المغايرة .

وانا من جهة ثانية وباعتباري تاجرا ومارست تجارة المفرق وتجارة الجملة ، اؤمن بوقف الهدر نهائيا ، لا سيما وان العالم أمام التكاثر المخيف في سكانه صار بحاجة الى كسرة الخبزة وقطعة الزجاج وقطعة الخشب والورق لاعادة تصنيفها ، كما صار في حاجة الى الاقتصاد وشد الاحزمة ولكن ليس على ضعاف الناس وفي الضروريات .

ومن جهة ثالثة انظر الى المخالفات الاقتصادية نظرة اكثر رحمة لأن ما يكون صحيحا اليوم ثم يمنع غداً ليس جريمة دائمة القبح مثل القتل والقباحات الاخلاقية ولكنه تدبير اقتضته الضرورة ، والضرورة تقدر بقدرها .

لقد تركت ممارسة التجارة منذ زمن . لكنني حتى قبل ذلك التاريخ كنت مهتما اكثر بشؤون وشجون هذا الوطن الغالي من الناحية الحياتية . لقد كنت انظر الى نفسي على انني مواطن اقتصادي : اي مواطن قبل ان اكون تاجرا لانني اقدم المصلحة الوطنية على المصلحة الخاصة ، وارى أن التاجر مثله كأي عامل في هذا الوطن ، يجب ان يكون مواطنا قبل أن يكون تاجرا ، وان تصرفاته ومنهاجه ونشاطه يجب ان يخدم مصلحته من خلال خدمة الوطن ودون الحاق اي ضرر بها . ثم انني مواطن ، اي لست مسؤولا ، ذلك لانني وان كنت من خلال موقعي الذي اعطاني فرصة ابداء الراي وتقديم المقترحات واعطاء النصائح لم يكن في يدي حق طرح وتنفيذ القرارات . نعم لم أكن يوما من صانعي القرار ، ولم تكن لديّ اية سلطة خارج ثقة المسؤولين باخلاصي وتجردي المقرونة بالخبرة والممارسة . وضمن هذا الاطار كنت احاول تعديل وترشيد القرارات لتصبح اكثر ملاءمة للتنفيذ واكثر قدرة على تحقيق خدمة المصلحة العامة التي كان المسؤول والمشرّع يهدف اليها . اي انني كنت انبّه الى المحاذير والسلبيات التطبيقية والعملية التي كان المسؤول في بعض الاحيان لا يلاحظها او يعيها .

ولقد كنت مواطنا اقتصاديا على اساس أن اهتمامي وهمومي كلها كانت تنصبّ في محور العمل الاقتصادي الميداني في هذا الوطن ، واعني الاقتصادالجزئي التفصيلي والتطبيقي ، كل ذلك بعيدا عن السياسات العليا والمبادىء الشاملة أو العموميات .

ضمن هذا الاطار الاقتصادي كنت ولا زلت ارى ان هذا الوطن الغالي يتعرض لتحديات جسيمة وكبيرة (ناهيك عن المؤامرات والضغوطات الخارجية) بحيث يتوجب علينا جميعا ــ مواطنين ومسؤولين ــ ان ندركها أولا ومن ثم تضع الخطط الواعية ونتبعها بجهود مكثفة دؤوبة حكيمة وحثيثة .

نحن بالاصل دولة نامية تعاني من نقص في الموارد والامكانات والانجازات . ورغم ان ما حققناه خلال العشرين عاما الماضية كان عملاقا وهاما وملموسا فاننا لا زلنا في بداية الطريق الطويل الشاق . اضافة الى ذلك فاننا نشهد تزايدا سكانيا ضخما يفرض علينا ضرورة تهيئة مجالات عمل انتاجية لجيل كبير من الشباب والشابات

الذين يتخرجون من المدارس والجامعات .

على هذا الاساس يجب أن تتكون لدينا توفيرات داخلية كبيرة يواكبها استثمارات وتوظيفات مستمرة في مشاريع وصناعات وزراعات متزايدة كل عام . هذا العمل يتطلب تجنيدا وحشدا لكل الطاقات والعقول والسواعد ورؤوس الاموال ندعمها بالاجواء المشجعة والاكيدة ونقويها بمظلة وارفة من التشريعات والاجراءات المستحبة والمبسطة لتحقيق القفزة الجديدة المطلوبة .

اهم نقطة واكثر ما كان يعنيني في حياتي هو موضوع الانتاج . ففي نظري يجب ان يكون الانتاج هو السلطان المطلق وان يعطى الاهتمام والرعاية والافضلية القصوى . واخص بذلك الانتاج الذي يعتمد على عناصر ذاتية داخلية ولا يحتاج الى استيرادات كثيرة أو غالية .

يلي الانتاج في سلم اهتماماتي ومحاولاتي لدعمه وتنشيطه موضوع التصدير ، التصدير بمفهومه الشاسع الواسع العريض الذي يتضمن المواد الزراعية والغذائية والسلع الصناعية والخدمات والخبرات والسياحة . وهذا التصدير هو العنصر الاول والاهم في تقرير وتحديد ما يمكننا استيراده لتوفير ما نحتاجه من مواد اولية وسلع واوانل وتكنولوجيا وغيرها لتحقيق المزيد من الانتاج ولرفع المستوى المعيشي في القطر .

لتحقيق هذين الهدفين كنت دائما انادي واطلب واحث على ضرورة اتباع سياسات حكومية واضحة ، طويلة المدى عامة وشاملة .

وبقدر ما نحن بحاجة ماسة الى توجيهات اجرائية حكيمة وواضحة ومبسطة فنحن أيضا بحاجة الى جهاز تنفيذي في الادارات والمؤسسات يكون مؤهلا وقادرا ومفوضا على تنفيذ تلك السياسات والتوجيهات بفعالية ونجاح . وهذا يعني اجتذاب الكفاءات والخبرات ، ومن ثم وضعها في المكان المناسب واعطاءها مجالا كافيا للعمل مع كل الحوافز والتشجيعات .

اننا ننعم بوجود ثلاث قواعد رئيسية للعمل الاقتصادي . هذه القواعد تتمثل في القطاع العام والمشترك والخاص . فلنترك المجال المتساوي لكل هذه القطاعات لتعمل وتتنافس فيما بينها المنافسة الحقيقية المشروعة وليعطى كل قطاع كل الدعم المطلوب للعمل في تحقيق ما يتمكن عليه في تنفيذ الخطة والاهداف الموضوعة له .

وعلى الصعيد العربي

إن عملي الوطني على الصعيد الداخلي خلال اكثر من ستين عاما مضت من خلال الغرفة التجارية بالذات واكبه عمل مماثل على الصعيد العربي والقومي . فأنا مؤمن بأن العمل الاقتصادي على الصعيد القطري يبقى ناقصا ومبتورا . لأنه وحده لا يكفي ابدا لاعطاء الامة العربية القدرة على مواجهة التحديات او توفير العلاجات الكافية لحاجاتنا الاقتصدية . انني ارى ان العمل العربي المشترك ـ بكل ما يعنيه ذلك من مشاركة وتعاون وتبادل وتعاضد وتوحيد ـ تمليه علينا التحديات العالمية التي تواجهنا في كل زاوية وركن ومكان . لهذا عملت وجاهدت منذ البداية على دعم وتشجيع وتطوير ذلك العمل . وانطلاقا من اتحاد الغرف العربية التجارية والزراعية والصناعية كنت اول من نادى بالتعاون العربي ، وبتأسيس السوق العربية المشتركة واتباع استراتيجيات موحدة في جميع النشاطات الصناعية والزراعية والتجارية والمالية ... وبتوحيد المؤسسات والتشريعات وبفتح باب التعاون العربي عريضا واسعا . اكثر من ذلك كنت من الذين دعوا الى ترجمة التعاون العربي المنشود عن طريق انشاء شركات ومؤسسات عربية مشتركة في اداراتها وراس مالها ونشاطاتها واهدافها على اساس ان هذه الشركات هي التي تشكل المنطلق الحقيقي للعمل المؤدي الى تكامل اقتصادي عربي يقودنا يوما الى الوحدة الاقتصادية التي ننشدها وننادي بها والتي هي الجواب العملي الوحيد لمواجهة التحديات الناشطة على الساحة الدولية .

وقد عبّرت عن هذه المبادىء وسواها في عملي في المؤتمرات المتعاقبة وفي اللجان التي تشرفت بعضويتها وفي مقالاتي لكبار المسؤولين ، وارى انني اذا اوجزتها الآن في كتاب يلخص حياتي فانني اكون اديت الامانة .

وتجنبا للاطالة والدخول في التفاصيل انتقيت ثلاثة من المؤتمرات التي عقدتها الغرف التجارية العربية في دمشق في مسافات زمنية متباعدة هي الاعوام ١٩٥٣ و ١٩٧٧ و ١٩٨٨ ولخصت الكلمات التي دارت فيها ، وهذا يعطي مؤشرا عن تطور افكارنا مع تطور الزمن . كما اقدم عددا من المذكرات التي قدمتها الى لجنة الترشيد في رئاسة مجلس الوزراء في تواريخ متلاحقة . اما الباقي من المذكرات والدراسات وهي بالعشرات إن لم تكن زادت على المئة ، فانها محفوظة في وثائق الهيئات الرسمية ومن يطّلع عليها الآن او في المستقبل يرى اثرا متواضعا لتاجر دمشقي اسمه بدر الدين الشلاح .

المؤتمرات الثلاثة لاتحاد الغرف التجارية والصناعية العربية

المنعقدة في دمشق : ١٩٥٣ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٨

مما يجدر ذكره ـ وهذا من ملاحظاتي الخاصة ـ ان المؤتمرات الثلاثة للغرف العربية التي عقدت في سورية من مجموع واحد وثلاثين مؤتمرا عقدت في الاقطار العربية الاخرى منذ عام ١٩٥١ وحتى عام ١٩٨٨ ، كانت موقع رعاية وتقدير المسؤولين السوريين ، الى درجة تظهر أصالة هذا القطر وتقاليده في كرم الضيافة . اضافة الى تأكيدها على الاهتمام العميق برجال الاقتصاد ، والاقتناع بأهمية دورهم في البناء والتقدم ، وإيمان الدولة بتقديم أعلى الدعم للعمل العربي المشترك .

وهذا يتضح من مستوى الرعاية الرسمية لهذه المؤتمرات ، اذ ان أول مؤتمر للغرف العربية عقد في سورية عام ١٩٥٣ ، افتتحه رئيس الدولة السيد فوزي سلو ونائب رئيس الدولة اديب الشيشكلي . وحضرة / ١١ / وزيرا . والمؤتمر الثاني عام ١٩٧٧ كان برعاية سيادة الرئيس حافظ الأسد وافتتحه اللواء عبد الرحمن الخليفاوي رئيس مجلس الوزراء وحضرة / ١٢ / وزيرا . والمؤتمر الثالث عام ١٩٨٨ وكان أيضا تحت رعاية سيادة رئيس الجمهورية السورية حافظ الأسد وافتتحه الاستاذ محمود الزعبي رئيس مجلس الوزراء وحضره / ١٣ / وزيرا .

ومع احترامي وتقديري لجميع المسؤولين في الاقطار العربية كنت الاحظ ان ٢٨ مؤتمرا في بقية الاقطار العربية كانت في أكثر الاحيان برعاية رؤساء الدول فقط ولا يحضرها اكثر من وزير أو وزيرين .

واود ان الفت انظار رجال الاقتصاد والانتاج في سوريا الى ما توليهم إياه الدولة من تقدير واحترام ومساندة ودعم لدورهم في المجتمع وهذا يقتضي منهم ان يقابلوا هذا التقدير بزيادة الاهتمام بالمصلحة العامة .

ان رعاية الحكومة السورية الرسمية لمؤتمرات الغرف يعكس أيضا اهتمامها المستمر بالامور الاقتصادية العربية وايمانها المطلق بضرورة دعم العمل العربي المشترك كما يعبّر عن رغبتها المعلنة والاكيدة بالاسترشاد بما تطرحه هذه المؤتمرات من آراء ومؤشرات وتوصيات .

مؤتمر الغرف التجارية ـ عـام ١٩٥٣

اتاحت لي مشاركتي الدائمة في المؤتمرات العربية لاتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة ممثلا للقطر العربي السوري الاحساس العميق برغبتي وبرغبات رجال الاقتصاد واصحاب الفعاليات الانتاجية المتنوعة بتحقيق اكبر قدر ممكن من الوحدة الاقتصادية العربية ورفع جميع الحواجز التي تعيق الانتقال والتسويق والمبادلات بين الاقطار العربية تمهيدا لقيام تكتل اقتصادي عربي قادر على التعامل المتكافىء مع عمالقة الاقتصاد في العالم .

وقد تجسد هذا الموقف المتسم بالجدية والصدق في القرارات الصريحة والتوصيات الملحة لهذه المؤتمرات ، وما تنطوي عليه من وضوح وحسم في تحديد الخطوات الواجب اتخاذها من اجل ذلك الهدف القومي المصيري ، واني اعود بالذاكرة الى الوراء اكثر من ٣٧ عاما وراء مسيرة اتحاد الغرف العربية لكي اعيد الى الاذهان مطالبه الثابتة التي وضعها بقوة ومثابرة امام المسؤولين العرب ، وحثهم في كل مناسبة على تحقيقها .

انها اماني واقتناعات رجال الاعمال العرب منذ زمن طويل ، صاغوها في نداءات وبيانات جلية معززة بالدراسات والارقام والمعطيات التي لا يرقى اليها الجدل ، ومن المحزن انه لم يتحقق منها الا القليل ، وحتى هذا القليل لم ينفذ بما يحقق الهدف المنشود ، وكان عرضة للتجادل في بعض الظروف .

اذكر أن الدورة الثالثة لمؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية التي انعقدت في السابع من ايار عام ١٩٥٣ بدمشق ـ كانت بمثابة تجمع عربي موسع لرجال الاقتصاد ، واصحاب الفعاليات والاعمال من سبعة اقطار عربية ، ومن اهم قراراتها مناشدة الدول العربية الغاء سمات السفر للمواطنين العرب بين اقطارها ، ومنح الانتاج الزراعي والحيواني ذي المنشأ العربي اعفاء جمركيا مطلقا ومعاملة انواع الانتاج الاخرى على اساس الاعفاء او التخفيض في الرسوم او الافضلية ، حسب ما تقتضيه المصلحة العربية بحيث تكون الرسوم الجمركية المستوفاة عن الانتاج العربي اقل من الرسوم المترتبة على المنتجات الاجنبية ، هذا بالاضافة الى انشاء

مصرف عربي لتمويل مشاريع التنمية والتسليف الزراعي والصناعي .

واكد قرار المؤتمر على انشاء اتحادات للغرف العربية في كل قطر عربي واعتبار غرفة مملكة ليبيا المتحدة عضوا في المؤتمر ، وعقد الدورة الرابعة للمؤتمر في بغداد ، ودعوة الحكومات العربية للاشتراك في معرض دمشق الدولي الذي كان على وشك افتتاح اول دورة في تاريخه .

وناشد المؤتمر الدولتين السورية واللبنانية للاسراع في تحقيق الوحدة الاقتصادية وجعلها نواة للوحدة الاقتصادية العربية ، وهناك قرارات اخرى .

والآن نتساءل ونحن نقف أمام هذه القرارات والمطالب ترى ما الذي تحقق منها بعد سبع وثلاثين سنة من صدورها .

لم يتحقق منها الا اعفاء الانتاج الزراعي والحيواني العربي من الرسوم الجمركية واعفاء السلع الصناعية المنتجة بمواد محلية وأيد عاملة عربية من ٥٠٪ من الرسوم الجمركية ، وذلك بموجب قرار وزراء الاقتصاد والمال العرب المتعلق بالتبادل التجاري والصناعي والزراعي بين الاقطار العربية وهو من ثمار توصيات المؤتمر .

وجاءت الصدمة المؤلمة بالانفصال الجمركي بين القطرين السوري واللبناني بمسعى واصرار من السيد خالد العظم ، خلافا لتوصيات المؤتمر ، وبمناسبة انعقاد المؤتمر بدمشق ، بحضور حفلة الافتتاح السيد فوزي سلو رئيس الدولة السورية ، ونائبه الاستاذ اديب الشيشكلي ، والوزراء السادة محمد سعيد الزعيم وزير المالية ونائب وزير الاقتصاد ، وعبد الرحمن الهنيدي وزير الزراعة ، وتوفيق هارون وزير الاشغال، وسنير غنام وزير العدل ، وسامي طيارة وزير المعارف ، وظافر الرفاعي وزير الخارجية، وعزت طرابلسي مدير عام وزارة المالية ، وحسني الصواف ، ومحافظ الريف محمدعلي يعقوب ، ومحمود النحاس وجورج خوري ومحافظ المدينة عبدالحميد المارديني.

اذكر انني اقمت وشقيقي شفيق آنذاك مأدبة كبرى تكريما للاخوة العرب أعضاء المؤتمر في مزرعتنا بحوش العدمل في غوطة دمشق ، حضرها حوالي مائتين وخمسين ضيفا من الاخوة العرب والمسؤولين والتجار والوجهاء ، في طليعتهم السادة عبد المجيد باشا الرمالي رئيس غرفة تجارة القاهرة ، السيد علي نجيب سفير مصر ، ومحمد

جعفر الشبيبي رئيس غرفة تجارة بغداد ، وجميل بيهم ممثل اليمنية المتوكلية ، وعبدالرحمن السحمراني رئيس غرفة تجارة بيروت ، عبده باشا نجيم عضو غرفة تجارة بور سعيد ، وعلي الزعتري رئيس غرفة تجارة صيدا ، محمد بدره مندوب تونس ، وسامي التوتونجي عضو غرفة تجارة القاهرة ، وعلي شكري خميس مدير غرفة تجارة الاسكندرية ، واصف كمال مدير البنك العربي ، سعيد حمادة استاذ الاقتصاد في الجامعة الامريكية في بيروت ، ومحمد سعيد الهنيدي رئيس غرفة تجارة حلب ، ومحمد علي نمازي المشرف على الادارة الاقتصادية في الجامعة العربية .

وحضر المأدبة من الاخوان اعضاء غرفة تجارة دمشق السادة : مسلم السيوفي ، عادل الخجا ، منير المهايني ، بشير رمضان ، بطرس مقنص ، ابراهيم الحسامي ، أمين شحادة ، توفيق الطرابيشي ، جورج ساره ، خيري القتابي ، صياح بغدادي ، عبد لهادي مارديني ، فؤاد الخباز ، نوري النص ، وجيه الصمادي ، رضا بعلبكي ، وغيرهم ايضا ممن توفوا وسبقوني الى رحمة الله ، ولم يبق على قيد الحياة غير السيد حسني الهبل ، وكاتب هذه الاسطر بدر الدين الشلاح .

وحضره ايضا اعضاء غرفة صناعة دمشق السادة : بدر الدين دياب ، رشدي بكداش ، شريف الشبئون ، صادق الغراوي ، محمد القصص ، صبحي الحفار ، حمدي البزره ، وجيه القتابي ، حنين صحناوي ، صالح الشامي ، صديق مرتضى ، عبد الوهاب القنواتي ، الذين سبقونا الى رحمة الله ، والباقي على قيد الحياة : انور الشلاح ، انور خطاب ، شفيق سكر ، محمد معتوق ، أنور الدسوقي ، سهيل الخوري .

وعن غرفة الزراعة بدمشق : اسماعيل المالكي ، خليل الهبل ، رشيد الطرابيشي ، ومحمد شاكر من قرية برزه ، وسعدي القوتلي بن عارف القوتلي ، وحفيد مراد أفندي القوتلي ، كذلك سبقونا الى رحمة الله تعالى ، وباقي احمد العظم طال عمره .

وقدمثلت المحافظات بالسادة : سامي صائم الدهر ، وهبي الحريري ، عن غرفة صناعة حلب .

ومحمد سعيد هنيدي ، ميشيل جنبرت ، صبري الشربجي ، ويوردان عبجي عن غرفة تجارة حلب .

وعبد المجيد قنباز ، وحيد الاسود ، خالد البارودي ، مصطفى فخري ، ومحمود عبد اللطيف البارودي ، عن غرفة تجارة حماه .

وناصح العظم ، وحلمي البارودي ، عن غرفة زراعـة حمـاه .

وعبد الحسيب رسلان ، محمد سعيد العوف ، نصوح رسلان ، مختار الحسيني، عـن غرفـة زراعـة حمص .

وزكي حميد باشا ، رائف النوري ، آدفين خوري ، عن غرفة زراعة حلب .

ومحي الدين الازهري ، رودلف سعادة ، عن غرفـة تجـارة اللاذقية .

وتوفيق نديم هارون ، عن غرفـة زراعـة اللاذقية .

ويونان هدابا ، عن غرفـة تجـارة الحسكة .

وعزت سليم ، زكي نظام الدين ، يوسف صاع ، عن غرفـة زراعـة الحسكة .

وسعيد بوبس ، حمدي السيدا ، محمد ايوب الخولي ، عن غرفة تجارة درعا .

ونافع رجب ، والحاج محمود توفيق الهنيدي ، عن غرفة تجارة دير الزور .

وبالاضافة الى حفلة بدر الدين وشفيق الشلاح ، اقيمت / ٨ / حفـلات وهي : حفلة وزير المالية محمد سعيد الزعيم ، وحفلة غرف التجارة والصناعـة والزراعـة ، وحفلـة واصف كمـال مدير البنك العربي ، وحفلـة أديب الروماني مدير مصـرف الرافدين ، وحفلـة غرفـة تجارة حمص في مقهـى الميماس ، وحفلـة غرف التجـارة والصناعة والزراعة بحلب ، وحفلة رئيس بلدية حلب .

من الجانب السوري كان في المأدبة السـادة : محمد العايش رئيس المجلس النيابي ، محمد سعيد الزعيم وزير المالية ، عبد القادر الاسود رئيس محكمة التمييز ، الدكتور أحمد السمان المستشار في غرفة تجـارة دمشق ، والدكتور واصل القتابي ، وزيـاد العسلي عن وزارة الاقتصاد ، وموفق العلاف رئيس دائرة المعارض والدعايةالخارجية، وعدنان حمصي رئيس دائرة الانتاج الصناعي ، وهشام عمر باشا رئيس دائرة الابحاث الصناعية ، محمـد زكريـا اسماعيل رئيس دائرة الشؤون الاقتصادية ، يحيى المالكي رئيس قسم التشريع ، والدكتور صادق الايوبي من وزارة المالية ، وعبد الوهابالازرق المدير العـام للجمارك ، وممدوح الطباع مدير غرفة تجارة دمشق .

ومن رجال الصحافة كان ثلة مـن السادة : محمود أبـو الفتح صاحب صحيفـة المصري ، ونصوحبابيل صاحب صحيفةالايام ، وديع صيداوي صاحبصحيفةالنصر، وجيـه الحفار صاحب صحيفة الانشاء ، بشير العوف صاحب صحيفة المنار ، بسـيم مراد صاحب صحيفة الاخبـار ، حبيب كحالة صاحب مجلة المضحك المبكي ، عبـاس

الحامض ، محمد عثمان الشحرور ، ياسين الحمصي ، فارس مراد مدير المطبوعات ، الدكتور عبد السلام كنعان مدير مالية دمشق ، المهندس صبحي كحالة ، نوري الايبش، ادهم الجندي ، المحامي سعيد خماش ، فؤاد الشايب ، اكرم زريق ، كاظم الجزار ، سليم المفتي ، عمر الشلق ، ماجد الفزي ، عدنان الخطيب ، نصوح الدقاق ، عوض بركات ، عبد الرحمن الطباع مدير الاوقاف ، شكري طوشان ، ميشيل مسامري ، والكثير لم اتذكر اسماؤهم ولا اعرف من منهم انتقل ومن هو باقي على قيد الحياة .

هؤلاء الذين اسعفتني الذاكرة بأسمائهم . الجانب الاكبر منهم انتقل الى رحمة الله، احسن الله اليهم واسكنهم فسيح جناته ، وتولى بعونه ورضوانه من تبقى ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ، ولا نحمل الى لقاء وجه الله إلا اعمالنا مبتهلين اليه ان تكون صفحاتنا ترجح فيها الحسنات وتقل السيئات . وان يكون الميزان لنا لا علينا انه سميع مجيب . وقد حملني على تعداد أسمائهم جميعا الوفاء لذكراهم والرغبة في تسجيل جهودهم في إحياء الاقتصاد الوطني والترويج للمبادىء السليمة فيه .

اود هنا على سبيل النكتة ، أن اذكر حادثة جانبية عرضت لي في جولة نظمتها غرفة تجارة دمشق على محافظات حلب وحمص واللاذقية . فلما حللنا في فندق بارون بحلب كانت فيه الممثلة المصرية ماجدة بمناسبة عرض فيلم لها في صالات الشهباء وتلبية لرغبتها زرناها مع بعض الاعضاء ، أذكر منهم المرحوم صبري الشربجي عضو غرفة تجارة حلب ، وعلي شكري خميس مدير غرفة تجارة الاسكندرية .

وكانت الفرفة التي تحل بها ماجدة ، صغيرة لا تتسع لجلوس الكثيرين ، فاضطررت لنجلوس على سرير نومها ، والتقطت صورة لهذه الزيارة تظهرني انا والممثلة المذكورة على سرير النوم ، وعند عودتي الى دمشق ، احدثت هذه الصورة إشكالا عائليا وملاحظات حادة من أم راتب ، وكيف يمكن تصديق كونها زيارة مجاملة مع أصدقاء ، بينما تظهرنا الصورة معاً على السرير ؟

هـذا واليـكم الكلمـة التي ألقيتها في مؤتمر عام ١٩٥٣ :

بسم الله الرحمن الرحيم . سادتي واخواني ،

ارحب بكم اجمل ترحيب ، واحييكم تحية عربية صادقة ، واشكركم على تلبيتكم هذه الدعوة المتواضعة ، فمثل هذه الحفلات تؤلف بين القلوب ، وتوحي بالابتكار لما فيه مصلحة الوطن العربي الاكبر العزيز .

ما أحلاها من فرصة يجتمع فيها اقطاب المال والتجارة والصناعة والزراعة في البلاد العربية ليوحدوا جهودهم في سبيل تعزيز العلاقات الاقتصادية التي نريدها ـ وحدة كاملة متماسكة ـ لا يؤثر فيها الاعصار ، ولا تهزها الازمان .

اخواني ، ان الاقتصاد هو نقطة الارتكاز في تدعيم الاستقلال ، وسورية في هذا العهد المبارك ، قد خطت خطوات جبارة في حياتها الاقتصادية والزراعية ، واستطاعت في مدة قليلة أن تسجل نجاحا عظيما والحمد لله ، وذلك بفضل القائمين على الحكم وادارة شؤون البلاد من عسكريين ومدنيين .

وانني اذ اكرر الترحيب بكم ، ارجو لمؤتمركم النجاح الذي يريده كل عربي في هذه الدنيا . والسلام عليكم ورحمة الله .

دورة الاتحاد العـام رقم ((٢١)) عام ١٩٧٧

الكلمة التي ألقيتها في افتتاح الدورة المذكورة بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم . سيادة رئيس مجلس الوزراء ممثل رئيس الجمهورية الاكرم السيد رئيس الاتحاد العام ، السيد امين عام الاتحاد ، ايها الاخوة الكرام ضيوفا وزملاء ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

باسم العروبة ، وباسم هـذا التجمع العربي الكبير احييكم في بلدكم دمشق الشام، دمشق التي انطلقت منها جحافل العرب الـى افريقيا في الفتح الاسلامي ، كمـا زحف طارق بن زياد بجياده الى الاندلس حتى أوربا فاتحا مظفرا .

ارحب بـكم اجمل ترحيب ، حللتم اهلا وسهلا على الرحب والسعـة بين الاشقاء لا ضيوفا ولكن مواطنين لكم الصدارة في هذا الجزء المتواضع المشرق من هذا الوطن العربي الكبير

كما وانني ارحب بصورة خاصة بضيوفنا الافارقة الاكارم ممثلي الغرف الافريقية ، هذه القارة القريبة منا قلبا وروحا والعزيزة علينا قولا وعملا، والتي نحن جزء منها وهي جزء منا.

لقـد مر قطرنـا العربي السوري بأحداث جسام في تاريخه المعاصر ، من كفـاح ضد الاستعمار ، الى حروب شرسة مـع العدو الصهيوني الغاصب الـذي استمر في استنزاف طاقاتنا وجهدنا وتفكيرنا وسياستنا ، كمـا مررنا بتجارب عديـدة قاسيـة ومؤلـمة ، كانت كلهـا تعكس اماني وتطلعـات الشعب السوري القطرية والقوميـة ، أو كانت تصطدم بواقع المؤامرات والاطمـاع الخارجية نتيجة نظرة الجميع بأن سورية هي معقل القومية وحصنها ومصدر اشعاعها . يضاف الى ذلك حربنا المستمرة لمحـو رواسب الاستعمار ، المثقلة بالتخلف والتمزق والمليئة بالتناقضات .

ولقد قامت الحركة التصحيحية بقيادة الرئيس حافظ الأسد باعادة سورية الـى مكانها اللائق بين دول العالم وخاصة العربية منها ، وكانت المنعطف الأهـم في تاريخنا الحديث وفي ترسيخ وبلورة امانينا . ومنذ ذلك الوقت تمكنت سورية أن تقفز نحـو تنمية اقتصادية وصناعية وثقافية واجتماعية شاملة يراها ويلمسها كل زائر وباحث .

وعلى سبيل المثال ، نوضح ان التوظيفات الصناعية خلال السنوات السبع الاخيرة تفوق كل ما كان قائما من صناعات في سوريا منذ ان نالت استقلالها ، وهـذه الصورة نفسـها تتكرر وبالقوة ذاتها في مجـالات التكنولوجيا والثقافـة والتجـارة والسياحـة

والمواصلات . واما في مجال الزراعة فان الحكومة الحاضرة قد أولتها كل عناية ورعاية واهتمام لاستغلال هـذا القطـاع كما جاء في بيـان الحكومة الذي اذيع على الشعب . واذا كان سد الفرات هـو احدى قمم هـذه الانجازات التـي ستلعب دورا في تركيب الاقتصاد السوري ، فهـو بالذات لم يستنفذ طاقتـه في العطـاء والدعم ، كمـا انـه لم يكن إلا احدى هذه المرتكزات العديدة والهضبات الجديدة التي وصلنا اليها في جميع المجالات

ولا يفوتنا عند تقييم هذه المنجزات الضخمة ، ان نشير الى نقاط جوهرية وهي :

١ ــ ان كل ما حققناه لا يتعدى كونه مجرد نقـاط ارتكاز ، ومنطلقات متواضعـة نحـو الافضل ، في سبيل الانتعاش والازدهار . وفي تاريخ الامم لا يوجد اي مجـال لاستراحة او لكبوة ، وكلما وصلت امـة الى قمة جديدة توسع افق نظرتها وتطلعاتها وارتفعت قدرتها على العمل والانجاز . ان القمم التي نهدف اليها اليوم ستصبح بعدما تتحقق نقاط انطلاق جديدة لاهداف المستقبل .

٢ ــ اننـا نؤمن بأن المعركة قومية لا قطرية ، واننـا وحدنا لن نحقق ما نرجوه ، والمطامع الموجهة هي ضد المنطقة كلها ، ولو كانت الاستراتيجية المتبعة بتحقيق هذه المطامع هي بالتسرب عن طريق هذه الدولة أو تلك . وهكذا فان قـدر الامـة العربية هو بتماسكها ووحدتها . ولا يمكننا تحقيق النجاح والازدهار والكرامة بالتجزئة والخلافات . وضمن هذا الاطار نشير الى سورية الثورة ، وسورية العروبة بوعي وتصميم قد حملت هـذا المشعل ، وترجمت هـذا التصور الى عمل تدعمـه وترسخه ، ان سورية خطت بطريق تعـاون صلب ومتين بين كل الاقطار العربية . ونذكر باعتزاز :

١ ــ ان سوريـة قـد لعبت دورهـا الكامل والمشرّف في حرب تشرين المجيـدة وحـرب الاستنزاف .

٢ ــ ان سورية تحملت مسؤوليتها بصبر وداب وتضحية وتجرد لايقـاف الهـدر والاقتتال في لبنان العزيز الغالي . واملنـا المخلص هو ان يستعيد هذا الجزء من الوطن العربي ازدهاره وتآخيه ووجهه المشرق الضحوك .

٣ ــ ان اتفاق سورية ومصر والسودان ما هو إلا احدى خطوات قطع الطريق على المؤامرات الاستعمارية في البحر الاحمر .

٤ ــ ان اللقـاء الذي تم بين سورية والاردن ، وما اسفر عنه من تقارب ومقررات

ما هو إلا فجر جديد ومسيرة طبيعية نحو تحقيق الهدف الاسمى ، نحو الوحدة العربية الكبرى ، بفضل جهود القائدين العربيين سيادة الرئيس حافظ الأسد وجلالة الملك حسين .

اننا كرجال اعمال نهتم ايضا بالنواحي العلمية والاهلية . وفي هذا المجال بالذات نجد أن سورية كانت سباقة في فتح أبوابها وقلبها لكل مواطن عربي . فلا اذن دخول مسبق ، ولا شروط اقامة أو عمل . ان المجال مفتوح للراسمال العربي ، وله الفرصة الكاملة للمساهمة الفعالة والاستفادة الكاملة من الشروط المشجعة الممنوحة له.

ايها الاخوة الأعزاء ،

انكم تجتمعون اليوم لتتدارسوا وتخططوا من اجل استخلاص صيغ جديدة وتوصيات بناءة تنسجم مع معطيات المرحلة الخاصة والدقيقة التي تمر بها بلادنا العربية .

ان الوحدة الاقتصادية التي تم التصديق عليها من قبل / ١٢ / دولة عربية بتاريخ ١٩٥٧/٧/٣ ، والسوق العربية المشتركة التي طالب بها مؤتمركم منذ عام ١٩٥٣ وتم التصديق عليها في ١٩٦٤/٨/١٢ من بعض الدول العربية على ان تطبق ضمن مدة /١٠/ سنوات ، كان المفروض أن تسمح بانتقال البضائع بين البلاد العربية بدون رسوم ابتداء من عام ١٩٧٥ ، فما هي الاسباب يا ترى ؟ .

من هنا جاء قرار مجلس اتحادكم الذي انعقد في ليبيا في شهر شباط بالتركيز على هذا الموضوع ، وان نصارح به ونطالب ، فاذا لم تحصل بعض التنازلات الجزئية والبسيطة في سبيل المصلحة القومية البعيدة المدى تبقى تلك السوق حبراً على ورق عشرات الاعوام .

ان مؤتمركم يدرك ان المطلوب يتعدى تحقيق الوحدة الاقتصادية ، ويتطلب الوصول الى الجذور الاقتصادية الأعمق والأشمل من مجرد تبادل السلع والبضائع وهو الوصول الى تعاون مشترك مثمر يحقق وفراً للجميع ، ويمحو الازدواجية ويمنع الهدر . كما ان مؤتمركم يدرك الدور الهام الذي سيلعبه التمويل في تقرير تنفيذ المشاريع ومدى اندفاعها ، لكونه العصب المنظم لخطط التنمية والتطور في العالم العربي .

اخواني ، يبدو لي ان سبب التعثر في تحقيق العديـد مـن اماني الشعب العربي ينبـع من ان بعض الاقطار لا تزال تتردد ازاء التنازلات الجزئية والمؤقتة في سبيـل المصلحـة الذاتية والقومية البعيدة المدى .

ويبدو اننـا معشر العرب نميل الى تأجيل اتخـاذ خطوات اساسيـة طالمـا انهـا غـير ملحـة وغير عاجلـة . وفي المقابل وعنـد الملمات ترانـا جميعا مستعدين لـكل تنـازل وكـل تضحيـة .

الى ان تتبلور هذه الافكار ، وتترجم فعلياً الى عمـل منظـم ومدروس ، فسنبقى نمحص الافكار وندرس المقترحـات ، ونقـدم التوصيات ، آملين ومؤمنين بأن الوقت لن يطول قبل ان تصبح حقيقة وواقعاً .

اخواني الأعـزاء ،

اربعـة وعشرون عاما انقضت على مؤتمركم الذي عقـد في دمشق ، وانني حقـاً افتقـد وجوها كثيرة غاليـة كانت حاضرة في ذلك المؤتمر ، وكانـت وقادة ورائـدة حملت الشعلة ، شعلة العمل العربي المشترك .

لقـد غابت عنـا هـذه الوجوه الكريمة ، فنرجو الله ان يتغمدها برحمته وبركاته ، وفي الوقت نفسه ارى وجوها شابة مشرقة وقادة ، احتلت مكانها بالتجديد ، شبـاب مندفـع ومتحمس مقرون بشيخوخـة حكيمـة وخبـيرة ، يلتحمـان معـاً لحمـل المسؤوليـة ورعـاية الامانـة .

اخواني ، ان أهـم حصيلة يجنيها الانسان في حياته ، هي عندما ينظر الى ما حققه اثنـاء ما كان المجـال امامه مفتوحا والفرص مواتية . والسعادة والراحة هي ان يشعر انـه قـام بواجبه وارضى ضميره بمـا ساهم في اداء واجب الخدمة لمجتمعه ووطنـه والانسانية . واملي ان نكون جميعا من عـداد هؤلاء الذين تركوا لخلفهم وطنا افضـل واكثر اشراقا ممـا استلموه مـن السلف ، علنـا نكسب شرف المواطنية الصحيحة ودعوات الاجيـال القادمة بالشكر والتقدير .

واذ اكرر أملي بنجاح مؤتمركم الكريم ، ورجـائي بأن يحقق الاهـداف المرجوة ، اتمنى لـكم في ربوع وطنكم الكريم ، سورية العزيزة اقامة سعيدة ومثمرة .

سدد الله خطاكم ، والله وليّ التوفيق .

مؤتمر الغرف العربية لعـــام ١٩٨٨

لم يمض / ١٠ / سنوات على مرور دورة مؤتمر الغرف العربيـــة الــذي عقــد في دمشق عام ١٩٧٧ ، حتى دعــا رئيــس الوفد الســوري الحاج بدر الدين الشلاح المؤتمر الى اقامــة دورته الثلاثين في دمشق في التاسع مــن أيــار ١٩٨٨ ، وقد تم افتتاحــه تحت رعاية سيادة رئيس الجمهورية العربية الســورية الرئيــس القائد حافظ الأسـد . وقد افتتح المؤتمر سيادة رئيس مجلس الوزراء الاستــاذ محمــود الزعبي ، وحضره نواب الرئيــس والوزراء السادة : الدكتور سليم ياسين ، والاستاذ محمود قــدور ، والدكتور محمد العمادي ، والاساتذة حسان السقا ومحمد غباش ومحمــد سلمــان وياسين رجوح ويوسف الاحمد وحيدر بوظو وعدنان قولي وخالد المهايني والدكتــور محمد حربه وعبد المجيد طرابلسي .

وكان اعضاء المؤتمر يزيدون عن / ٤٠٠ / عضــو يمثلون / ٢١ / دولــة عربيـــة ، بالاضافة الى / ٢٢ / عضوا يمثلون الفرف العربية الاجنبية المشتركة ، و /١٥/منظمة ومؤسســـة عربيـــة .

وافتتــح الحفــل سيـــادة الاستاذ محمود الزعبي رئيس مجلس الوزراء ، بكلمــة قومية جامعةوشاملة نشرت في كل الصحف وهي مطبوعة في مجلة غرفة تجارة دمشق.

وبعـــده ألقى الاستاذ عدنان قصار نائب رئيــس الاتحاد العام كلمة ، ثم كانت كلمة الحاج بدر الدين الشلاح رئيس اتحاد غرف التجارةوالصناعة السورية ورئيسالمؤتمر الحــالي . ثم كلمة الدكتور برهان الدجاني الامين العــام للاتحاد ، ثــم ألقى سعادة الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت كلمة الغرف العربيــة وكانت كلمــة عربيـــة قومية شاملة . . .

والقى رؤساء الغرف الاجنبية المشتركة كلماتهم بعد ذلك . ثم أقام رئيــس مجلس الوزراء حفلة ضمت جميع وزراء الدولة وأركان القيادة القطرية وكبار موظفي الدولة . وأقام رئيس الشركة السياحية الدكتور عثمان العائدي ، حفلة كبـــيرة تكريما لاعضاء المؤتمر في فنــدق الشام . واقامت السيدة نجا حالعطار وزيرة الثقافة حفل سمر . وزارت الوفود مدينـــة القنيطرة وقدم السيد وزير النقل الاستـــاذ يوسف الاحمــد

طائرة لنقل أعضاء المؤتمر برحلة الى مدينة اللاذقية ، زار الوفد خلالها المدينة الرياضية ومزارع الحمضيات والسياحة . واخيرا عادوا مساء بسلامة الله .

وحيث كان قراري النهائي ، أن اعتزل التمثيل بالاتحاد وبغرفة تجارة دمشق افمت انا واخي شفيق واولادنا حفلة غداء وداعية في مزرعتنا بالعدمل في غوطة دمشق . وكان عدد المدعوين / ١٤٠٠ / مدعو ، وكانت المزرعة مزدانة بالاعلام العربية واللافتات المذكور فيها بعض الاحاديث النبوية عن الشام وعن الغوطة والقيت فيها كلمة يجدها القارىء بعد قليل . وقد كان الطقس جميلا جدا ، فلم يكن حارا ولا باردا ، وكانت مكبرات الصوت موزعة في كافة ارجاء المزرعة . وكان حاضرا عدد كبير من الوزراء .

ثم قامت الوفود الى المائدة الممتدة .. وهي تحتوي على جميع اصناف الطعام والحلويات والفواكه ، وبين نغمات الموسيقى ، وركوب الخيل . وكان أفراد العائلة شيوخا وشبابا واولادا واحفادا يقومون بالخدمة على الطعام ، بالاضافة الى مقدمي الطعام ، وكل ذلك في ظلال غابة من اشجار السرو والصنوبر ، وصوت المياه من الشلالات ، وروائح الخبز البلدي الساخن من التنور . وزاد عدد السيارات عن / ٢٠٠ / سيارة في المكان المخصص لها ، دون اي عرقلة سير . وبقي اكثر المدعوين الى حين آذان المغرب . وانقل لكم من الوثائق الرسمية الكلمة التي القيتها بصفتي رئيسا لاتحاد غرف التجارة السورية في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر .

* * *

الكلمة التي ألقيتها في جلسة افتتاح مؤتمر ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم . نستمد منه العون والتوفيق ، ونسأله ان يأخذ بأيدينا ، ليكلل مؤتمرنا هذا بالنجاح ، ويعم نفعه سائر البلاد والعباد .

بالنجاح ، ويعم نفعه سائر البلاد والعباد .

أيها الحفل الكريم ، أيها السادة اعضاء المؤتمر الافاضل :

نفتتح مؤتمرنا هذا تحت رعاية سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية ، الذي تفضل فاناب عنه سيادة رئيس مجلس الوزراء الاستاذ محمود الزعبي ممثلا عنه ، فتفضل مشكورا بافتتاحه .

فباسمه وباسم السادة المسؤولين السوريين الذين تكرموا بحضورهم للمشاركة في افتتاح هذا المؤتمر والترحيب بأعضائه وضيوفه .

وباسم سائر الغرف السورية ، بل وباسم شعب سورية الكريم الاصيل جئت ارحب ترحيبا طيبا خالصا من القلب المحب بكم جميعا ، ارحب بـ :

اتحاد الغرف التجارية والصناعية والزراعية رؤساء واعضاء كراما .

وبالسادة رؤساء واعضاء الغرف العربية الاجنبية المشتركة .

وبالسادة ممثلي ومندوبي المؤسسات العربية المتخصصة .

بالسادة السفراء وممثلي الاقطار الصديقة الذين يحضرون هذا الحفل .

إننا من القلب ، نتمنى لكم جميعا اقامة سعيدة في قلب العروبة وصخرتها ، في القطر العربي السوري وعاصمته دمشق (الشام) . ومن القلب نتمنى لهذا المؤتمر كل النجاح والتوفيق ، والاسهام في خدمة الاقتصاد العربي المترابط القوي المنيع .

أيها السادة الأكارم ،

منذ نيف واربعين عاما ، ابتدا اتحاد الغرف يتبلور على اسس كانت مثالا للواقعية والحس الوطني السليم ، وبعد النظر . فيما كان العرب مقبلين عليه ، وفيما كان يترتب عليهم من وَعْيٍ وعمل .

ومنذ البداية ادرك اعضاء الاتحاد وبُناته ، ان امة العرب ، يجب ان تتسق وتتعاضد وتتساعد وتتبادل على اسس وطنية وقومية علمية وعملية وحكيمة ، .

وخير دليل على مـا اقول يأتي في القرارات والتوصيات والدراسات المتتالية التي صدرت عن المؤتمرات ، منذ اول مؤتمر حتى تاريخنا هـذا .

لقد طالبنا ونصحنا بخلق السوق العربية ، يوم كانت السوق الاوربية لا زالت في مهدها ، ويوم كانوا يتكلمون عن سوق أوروبية للصلب والفحم والحديد .

وكم يحز في القلب ان اوروبا تلـك ، اوروبا المتناقضـات والخلافـات والحروب والتنافر ، اوروبا المتخلخلة المنهوكة ، عندما وجدت مصيرها ومستقبلها وازدهارهـا يعتمد على التعاون فيما بينها . رات ان لا سبيل امامها للتصدي والصمود تجاه ظهور الدول العملاقة على الساحة الدولية إلا بالتعاون ، إلا بأن تلم شملها وتنسى خلافاتها وتناقضاتها ، لتؤسس أكبر سوق واكبر كتلة اقتصادية قادرة على المنافسة مع التحديات.

من جهـة أخرى ، نجـد ان الاربعين عاما السابقة ، اظهرت أن العرب رغم حسن نواياهم ، ورغم تراثهم المشترك ومصيرهم الواحد ، رغم الامكانات والمقومات الايجابية الهائلة التي يملكونها لتحقيق تكتل اقتصادي قوي ومتطور ، فانهم لم ينجحوا بتحقيق اي تقدم حقيقي أو نسبي في تطلعاتهم ومسؤولياتهم الاقتصادية .

جهود متفتتة ، عمل غير مركز ، قرارات واتفاقات لم تجـد النـور الحقيقي أو الترجمة العملية المجدية والفعالـة .

والصورة التي نراهـا على الساحات القطرية والوطنية ، لا تفـوق الصـورة على الساحة القومية كثيرا باشراقاتها ، رغم الانجازات الكبيرة التي تحققت في الفترة الاخيرة.

نحن لا ننكر ان المنطقة باسرها تتعرض لجزء مـن الازمـة الاقتصادية السائدة في العالم . واننـا اضافة لذلك نعاني مـن هجمـة اقتصادية مركزة مسمومة تحقن على فترات لهذا القطر أو ذاك بشكل او بآخر .

اننـا نملك الارض والتربة والمناخ ، وقد أعطانا الله عز وجل موارد طبيعية تفوق تصورنـا او حاجاتنا . والامـة العربيـة تغبط وتحسد على انسانهـا العربي المتميز بالجـد والذكاء ، وعندنا الاسواق ولدينا الرغبة والامل ، كما اننا جميعا نشعر ونؤمن بضرورة وحتمية التكتل والتنسيق والتعاون . كل ما هو مطلوب هو ايجاد الصيـغ

الواقعية والفعالة ، لصهر كل هـذه المقومات واستقطاب الامكانات وتفجير الطاقـات لكي نصل الى ما تتطلبه منا أمتنا وتحتمه علينا ظروفنا وماستحاسبنا عليه أجيالنا المقبلة.

ومؤتمرنا هـذا فرصة جديدة يجب ان تستثمر للاسهام في حشد طاقاتنا وطاقات جميع اخوانـنـا العرب في وجـوه الخير والبنـاء ، فلنعاون تعاونا حقيقيا موضوعيـا كاملا وشاملا . فالنصر دائما حليف المخلصين ، والتوفيق دأب العاملين ، وجمع الكلمة على الحق والخير سبيل السعادة والحماية والرعاية . وفي ذلك كبـح لجماح العـدو المغتصب وردّ عملي فعّال يحطم كل هجمة استعمارية شرسة على بلاد العروبة او اقتصادها.

وهنـا احب ان اشير الى ان هـذا القطر منـذ الحركة التصحيحية الذي قادهـا الرئيس حافظ الأسد ، آلى على نفسه قائدا وحكومة وشعبا وعن رضا وقناعة وإيمان، اعطـاء القضايا المصيرية والقومية الصدارة المطلقة في اهتماماته وعطاءاته ففضلها عن اي هتمام او برنامج آخر . ونتيجة لذلك نجد أن اعبـاء خدمة قضايا الامة العربية هي اكبر من ان يتمكن اي قطر آخر بحجمنا ومواردنا وامكاناتنا تحملها منفردا وحده .

اربعون عاما ونحن نخصص بشكل مباشر ٧٠٪ مـن مجموع وارداتنا وميزانياتنا في سبيل الدفاع عن الوطن والعروبة . والاسهامات التي تقررت لدول الصمود كانت بالماضي تساعد لسنين قليلة على تغطية بعض العجز وسد بعض المتطلبات ، ورغم تقلص

أثنـاء زياراتكم ومشاهداتكم ، ستلمسون معـالم هـذا التقـدم وهذه الانجازات اكثر هذه الاسهامات تمكن قطرنا ان يحقق تنمية وازدهارا وتقدما في جميع المجالات والميادين. الظاهرة في كل مجال ، كالبنى الاساسية والطرق والمعامل والسكك والجامعات والمؤسسات.

يشـير بعض الناس الى وجـود صعوبات يمر بها هـذا القطر ، والى ظهور بعض الجوانب السلبية في بعض الميادين .

ان ما يسمى بالأزمة هـو مجرد سحابة عابرة وبسيطة واقل بكثير مما يتوهم بها أعداؤنـا ويتصورها اصدقاؤنا . انهـا بالواقع افرازات طبيعية لقفزة كبيرة عملاقـة حققناها في شتى الميادين في برهـة قصيرة جدا كـان لا بـد أن تترك بعض النتوءات والخلل . واننـا بعون الله سائرون على الطريق الاكيد نحو التقدم والمنعة والازدهار .

ان مشاريعنا بدأت وتبدأ بالانتاج والعطـاء والاسهامات العربية ستساعد على

تغطيـة جزء من المصاريف . وسيزداد حجم انتاجنا من البترول ، ليشكل مصـدرا مرموقا لتحقيق المناعـة وانجـاز الانماء .

ويبقى اعتمادنا الرئيسي على الانتاج وزيادته ، وها نحن والحمد لله ننعم بعام يبشر بالخير والبركة ، نتيجة الامطار الجيدة التي ستوفر علينا القطع الاجنبي الذي دفعنـاه للحبوب والغـذاء والعلف .

يكفينا ان هـذا القطر لا يعاني من أي ازمـة في الديون الداخلية الخطيرة التي يعاني منها كثير من الاقطار الاخرى . كما أن ديونه الخارجية لا زالت ضمن حدود ضيقـة ومعقولة . واننـا نعلنها بصدق وصراحة أن هذا القطر الذي اصبـح بقيادة السيـد الرئيس الحكيمة الصخرة المنيعة للقضايا العربية ، سيصبح القلعةالاقتصاديةالحصينة بـين الدول العربيـة الشقيقـة .

ثم لا بد لنا من أن نشير الى اننا نعيش اليوم مـع الانتفاضة العـارمة التي عمّت جميـع انحـاء فلسطين على الارض المحتلة ، وهي ثورة شعبية شاملة تؤكـد حقوق هـذا الشعب في أرضه ورفضه العيش تحت الاحتلال ، فتحيّة اجـلال واكبار الـى ابطـال الحجارة ونسـاء الحجارة واطفال الحجارة .

ولا يفوتني اخيرا ان اشكر كل من ساهم بأي جهـد كبير او صغير في إعداد وتنظيم وإقامـة هـذا المؤتمر الكريم . واخص منهـم بالذكر :

أولا : الامانةالعامة لاتحاد الغرفالعربية ، وفيطليعتهمالأخالدكتور برهانالدجاني.

ثانيا : السـادة المسؤولين في غرفة تجارة دمشق ، واتحاد غرف التجارة السـورية، والغرف الزراعية والصناعية ، معترفاً مع الشكر الجزيل والعرفان بالجميل للسـادة المسؤولين بمـا قدموا من التسهيلات وابدوا من تعاون فعّال ومثمر .

وللسـادة الاساتذة الذين تقدموا بدراسات قيّمـة ، متمنيا لهذا المؤتمر ان يحقق اهدافه على أحسن ما يرام ، ولأعضائه في بلادنا سورية العامرة ، طيب المقام .

ويد الله مـع الجماعة ، وانمـا يأكل الذئب من الغنم القاصية .

والسـلام عليـكم ورحمـة الله وبركاته .

الاثنين في ١٩٨٨/٤/١٠ — **بدر الدين الشلاح**

مقتطفـات مـن

كلمة رئيس المؤتمر السيد بدر الدين اقشلاح

في الحفلة التي اقامها في مزرعتـه الاثنين في ١٩٨٨/٤/١١

أصحاب السعادة والسيادة ، أيها الاخوة الاكارم ، أيها الزملاء المحترمون

باسمي ، وباسم أخي شفيق ، وباسم أولادنا وأحفادنا ، أرحب بكم جميعا أجمل الترحيب واخلصه في بلدكم سورية ، وفي عاصمتها دمشق « الشـام » وفي غوطتها الفنـاء التي جاء بها الحديث الشريف عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتى آتي موضع الانبياء .

هذه الرياض المزهرة نمت وتفتحت ازهارها ، فعاشت بلقائكم ربيعا ناضرا باسما. سبعة وثلاثون عاما ونيّف ، مضت على أول مؤتمر للغـرف العربيـة ، شاركت فيـه ولا زلت اشارك فيه كل عام منذ ذلك التاريخ .

لقد عقد المؤتمر الثالث في الشام يوم ١٩٥٣/٤/٧ وكـان المرحـوم مسلم السيوفي رئيسا لغرفة تجارة دمشق والمرحوم جعفر الشبيبي رئيسا لغرفـة تجـارة بغداد ، وعبد المجيد باشا الرمالي رئيسا لغرفة تجارة مصر والمرحوم عبد الرحمن السحراني رئيسا لغرفة تجارة بيروت ، والمرحوم علي شكر خميس مدير غرفة تجارة الاسكندرية، والسيد محمد بن زيتـون رئيس غرفـة تجـارة طرابلس في ليبيـا ولا اعرف ان كان موجودا الآن ، والمرحوم محمد جميل بيهم مندوب المملكة التوكليـة اليمنيـة ، ذكرت هؤلاء عندما كانت الدول العربيـة المستقلـة هي لبنان ، سورية ، السعودية ، مصر ، الاردن ، اليمن ، العراق ، وهي الدول التي تكوّن منها اتحاد الغرف .

في سورية كان عدد اعضاء الغرف التجارية والزراعية والصناعية /٤٠٠/ عضـو ، على ظني لم يبق منهم سوى / ٢٠ / على قيد الحياة والباقي سبقونا الى رحمة الله وانـا واحـد مـن الباقين ، تذكرة السفر بيـدي وبانتظار القطار للسفر ، البـاري يرحمنـا جميعـا .

كمـا اذكر الزميل والصديق السيد محمد علي بدير الموجود بيننا حاليـا والذي

كان المرحوم والده الحاج عثمان صديقا لنا في اجتماع دوري اسبوعيا وأقيمت للمؤتمر حفلة وفي هذه المزرعة .

وعقد المؤتمر الحادي والعشرون كذلك في الشام « سورية » واقيمت له حفلة في هذه المزرعة ايضا . وهاهي الدورة الثلاثون تقام ايضا في الشام « سورية » ويحصل لي شرف زيارتكم وقبولكم دعوتنا هذه للمرة الثالثة في هذه المزرعة .

اثنان واربعون عاما مضت ، وانا في غرفة تجارة دمشق ومن ثم في اتحاد غرف التجارة السورية ، وكل ذلك ضمن حقبة من الزمن ، بلغت السبعين عاما وانا اكافح واشارك وأبذل الجهد بما اعانني الله تعالى عليه .

ولن اقول انني حاولت ما استطعت لتحقيق مصالح سورية خاصة والوحدة الاقتصادية والسوق العربية المشتركة عامة ، التي هي أمنيتي الاولى في هذه الحياة .

فعملي أكثر تواضعا وبساطة من أن يسمى كذلك . بل أقول انني حاولت بجد واخلاص وتفان وضمن حدود امكانياتي ، أن أكون الرجل المخلص والمواطن الصالح ، والخادم الوفي لاهلي ومجتمعي ووطني وعروبتي . أرجو الله ان أكون قد وفقت بأن أكون ذلك الرجل الذي كان عند حسن الظن احسن التصرف فأدى الواجب وقام بالمهمة ، وحافظ على معاني احرف كلمة تاجر وهي : تقى وأمانة وجهاد ورحمة ، ، يعني لا نبيع صنفا بسعر / ٢٠ / ليرة اذا كان رأسماله عشرة ، بل نكتفي ببيعه بسعر احدى عشرة ليرة سورية فقط ، حقبة طويلة من العمر قضيتها برضى وسعادة وحمد وشكر ، عشت معكم خلالها الاخلاص والوفاء والنصح والتضحية وبذل الجهد والعلم والمعرفة في حياة عامرة بالعمل والبناء والعطاء .

لم تتح لي في حياتي فرصة التعلم الرسمي ، انما اقتصر تعليمي على مدرسة شاقة ، هي مدرسة الحياة والخبرة والتجربة . وكان أساتذتي الحقيقيون ، تلك النخبة الصافية والارتال لكبيرة من جميع الطبقات والمستويات ، حالفني الحظ بمزاملتهم وصداقتهم والتمامل معهم والاحتكاك بهم . فالى كل هؤلاء انا مدين بالشكر والعرفان والتقدير ، لمحبتهم ورعايتهم وآرائهم وتعاونهم .

وانتم في هذا الحفل تمثلون اكثرية من تبقى لي ومن هؤلاء الاساتذة والاخوة والزملاء

استميحكم عــذرا اذا تكلمت عــن أساتذتي بالشكر والعرفان ، لانني بلغت مــن العمر ما يجعلني أشعر بأن حيــاة العمل الرسمي قــد قاربت على الانتهاء وهذا آخر مؤتمر أحضره كرئيس لغرفة تجــارة دمشق أو لاتحاد الغرف التجارية السورية .

لقــد قررت الاعتزال عن العمل الاداري مفسحا المجال لشبابنا المتوقد الصاعد ، ليتسلم الامانة ويقوم بالواجب على اكمل وجــه باذن الله ، واذا كنت سانسحب مــن العمل الرسمي مودعا مــستأذنا ، فانني أرجو الله ان طال عمري وبقي عنــدي الصحــة والقدرة ، بأن تتــاح لي فرص حضور المؤتمرات والمجالس والاجتماعات ، كمستمــع وتلميــذ . وساكون رفيقا وناصحا ايضا ، حيث لم يبق لي في هذه الحياة سوى اهلي واخواني المتمثلين بــكم وباشخاصكم . كما لم يبق لي سوى عبادتي ، حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم .

الكل يعلم ، أنه تلوح بالافق سحابة سوداء مبيتة لوطننا العربي ككل ، من خــلال جرعات متتالية من الســم الزعاف ، تحقن بتسلسل في هــذا الجزء او ذاك . واملنــا الوحيــد بدرء شرور هــذه المخططات ، يكمن بتعاضدنا وتآخينا وتعاوننا ووحدتنا . ونجاحنــا يعتمد على وجود جيل جديد مــن الشبــاب المتفتح الواعي والحريص على مصلحة هــذه الامة وازدهارها ومستقبلها ، وعلى أيديهــم نرجــو أن تتحقق اعظــم الاعمال ، لينتعش الاقتصاد في عالمنــا العربي . ورغبتي ورجائي الاخير ، هــو ان ارى عالمنا العربي وقد تحققت وحدته وآمالــه وطموحاته ، ليصبح الحصن الامين والدرع المتين ، في وجــه كل ما يحاك ضده بشراسة وضراوة من مؤامرات تهدف الى تفكيكه وتجزئته وتقهقره . كمــا أن قياداتنا هي التي ستكون قادرة باذن الله ، ان تقودنا الى شاطىء الامان ، الى الكرامة الى البحبوحة والى الازدهار .

بقي عليّ ان اذكر صديقــة عزيزة عليّ ، فيوما اراها متزينة بحلى الفضة ، ويوما اراها بحلى الياقوت ، ويوما اراهــا بحلى المرجان ، ويوما بحلى الالماس ، ويوما بلبــاس الذهب ، ويوما اراها ترقص . ليست التي اتهموني بها زوجة واشاعوا هذا الخبر على جميع معارفي سامحهم الله ، ولكنها الارض التي منهــا خلقنا واليها نعــود ، بــل هي الارض التي علمتني الكثير ، علمتني الايثــار ، علمتني الكرم ، علمتني الصبر ، علمتني المحبــة ، خرساء طرشاء وعمياء ، تعطي ولا تمنّ ، تعطي ولا تحسد ، تعطي ولا تنظر ،

وهي كلما صبر عليها الانسان تضاعف له العطاء اضعافا مضاعفة ، كما جاء في القرآن الكريم « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » .

والانفاق بمعناه الحقيقي كما جاء ، اي الانفاق على الارض حتى تعيد للانسان اضعافا مضاعفة ، الانفاق على الفقراء جاء واضحا بالآية الكريمة « وفي أموالكم حق معلوم للسائل والمحروم » .

هذه الشجرة التي امامكم وهي من نوع الاشجار الحراجية عمرها (٣٠) عاما يقدر وزنها بطونين وقيمتها بخمسة عشر الف ليرة سورية ، وعندي من اغراس الحراج الرومي وعمرها (٤٠) عاما وزنها يقدر باربع اطنان وقيمتها اربعون الف ليرة سورية ، وهذه هي المضاعفة الحقيقية وليست الحسنة التي تعطى للسائل .

لذلك اوصيكم اشراك عملكم التجاري بعمل زراعي فيه البركة المضاعفة .

كثيرا ما اسئل عن عمري فاقول (١٦) ستة عشر عاما . ويمضي عام واعوام ثم اسأل مرة ثانية فأجيب (١٦) عاما . يستغربون هذا ، وبعد ان مرّ فترة من الزمن تستغرق بضع سنوات نسيت تاريخها ، خفّت اعمالي وزراعتي ، حيث قارب العمر بالانتهاء ، حتى حصل لي شرف المقابلة مع السيد رئيس الجمهورية ، وسألني عن عمري ، فقلت (١٦) عاما ، قال كيف ؟ قلت له من يوم (١٦) تشرين يوم الحركة التصحيحية ، عدت الى نشاطي ورجعت اعمل (١٦) ساعة يوميا ، كما كنت طيلة حياتي ولا زلت للآن وانا في الثالثة والثمانين من العمر ، اكثر ايامي اذهب الى المزرعة بعد صلاة الفجر ، وهذا العهد لسيادة الرئيس محافظ عليه لقوله تعالى « واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » . وطالما اكرمني الله بالصحة والعافية ساصرفها بما يرضي الله .

واخيرا شكرنا لجميع من تفضل لتلبية دعوتنا المتواضعة هذه ، وسيكون اولادنا رهن اشارتكم كلما شرفتم دمشق وتتذكروننا بالخير وتدعون لنا بالمسامحة والسلام عليكم .

دمشق في ١١/٤/١٩٨٨ بدر الدين الشلاح

كلمة السيد محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية السوري

في حفلة مؤتمر الغرف العربية المنعقد بدمشق ١٩٨٨/٤/٩

ايهـا الاخـوة والاخـوات

انهـا بالتأكيد امسية سعيدة بالنسبة لنـا جميعا في سورية .

فاذا اردنا ان نكرم هـذا الحفل الكريم فعلينـا ان نكرم كل شخص فيه وكل من زار هـذا البلد وكل من اخذ يعمل من اجل اهداف هذا الاتحاد الكريم اتحـاد الغرف الذي قـام قبل ان تقـوم اي منظمة فعلية تعمل من أجل تحقيق الوحدة العربيـة . فهذا الاتحاد ، ايهـا الاخوة ، عزيز علينـا جميعا ، لاننا ننادي بالوحدة ، واتحادكم هو الوحدة من الجذور ، هو الوحدة من دون حكومات ، هو وحدة الشعوب ، وحدة الامة العربية . فهذا الاتحاد بالنسبة لنـا يمثل التطلعات والكثير مما نرجـو أن يتحقق . فكل من يعمل بهذا الاتحاد هو محط آمالنا ومحط تقديرنا ، ولا سيما الاخـوة الذين قاموا على تأسيس هـذا الاتحاد وهم السيد محمد علي بدير والسيـد عبـد العزيز الصقر والعم الحاج بدر الدين الشلاح .

اننـا نكنّ لهم جميعا أعلى ايات التقدير والمحبة والعرفان . ولـو سمحتم لي أن أتحدث عنهم جميعا بما يستحقون لاخذت كل وقتكم ، ولكن اقول باختصار انه كـان شرفا كبيرا لي أن اتعرف على كل واحد منهم .

عبد العزيز الصقر ركن من أركان العمل العربي الاقتصادي المشترك وهو فيالكويت صخرة صامـدة ، وكـل الناس تقصـد ذلك المنبـع أعني الاستاذ ابـو أحمـد الاخ عبـد العزيـز الصقـر .

في الاردن الشقيق ، في الاردن الحبيب محمد علي بدير ، نفتخر ونعتز بأصله مـن هـذه المدينة الخالدة مدينـة دمشق ، ونرى فيـه مثلا من امثلة الامتداد ، من امثلة الوحدة ؛ نحن نتعشق الوحدة وهو رابطة من روابطها القوية .

اما الاخ والعم الحاج بدر الدين الشلاح فهو بالنسبة لي مدرسة كاملة .

هل تصدقون ايها الاخوة اني عندما التقيت بالعم أبو راتب باسمه الكبير قلت لـه

أنني سأضع الآن كل ما تعلمت في تلك الجامعات جانبا وأبـدا بأن اتعلـم من مدرسـة أبـو راتب ، من مدرسة العمل الفعلي ، من مدرسة السوق ، مـن مدرسة التجـارة والزراعة والصناعة الكبيرة ؟ لانه لا يمكن ان نعمل بما اتينا به من كل بلد ولا من الكتب دون ان نتفحص اين نجـد ما يجب أن يطبق وما يجب ألا يطبق .

والاخ ،العم‌ابو راتب كان مدرسة عجيبة ، وسأضرب لكم بعض الامثلة عن هـذه المـدرسـة :

حدثني مرة وقال انه كانت توجد في‌الزبداني ارض‌واسعة غير معمورة هي (حاليـاً) التي تعرفونها جميعا . وقد تلقى مبلغا من المال من احد الشركاء الذي اراد ان يتبرع به ولكن عوضا عن أن يوزع هذا المال على من يستحق ممن كان موجودا في تلك المنطقة ، قال سأبني في هذه المنطقة بنـاء شامخا ، سأبني مسجدا ، وسأطلب الى الذين كـان بودي ان اعطيهم التبرع بلا عمل ولا مقابل أن يعملوا في هذا البناء . وبنى ذلك المسجد كما بنى‌قصراهنـاك ايضا ، وامتـد العمران واغتنى الناس وارتفعت اسعار الاراضي، وهكذا بدأ بالفعل تجربة فريدة من تجـارب الاعمار والبنـاء في الارض التي يعشقهـا أبو راتب ، في الارض التي يحبها ابو راتب والشجر الذي يرى فيه ملكوتا جديـا مـن ملكوت السموات والارض . فالشجر الذي ينبت ويعطينا زهرا وثمرا وخضرة ، هـذا الشجر الذي يعشقه كان دائما حلم أبي راتب أن يجد من يغرس ويزرع شجرة جديدة في أرض الوطن .

أبو راتب كان معنـا في كثـير من المفاوضات وكـان بارعا . وقـد تكون أم طنوس وابو طنوس احدى حكاياته المعروفـة لديكم التي كـان مـن خلالها يدخل الى قلـوب الناس بلطف ويأخـذ ما يريـد .

احبه رئيسنا لانه احب وطنه ، رئيسنا قال لـه في بدايـة الحركـة التصحيحية « التجار والمزارعون والصناعيون كلهم أبنـاء هذا الوطن ، كلهم شرفاء ، كل من يبني فهـو شريف ، كل‌من‌يعطي هـذا الوطن فهو أمين على هـذا الوطن » . لذلك ورد في الحركة التصحيحية ما اسميناه الوحدة الوطنية ، وحدة جميـع القوى العاملـة التي تحب الوطن وتعمل من أجل بناء الوطن . لانه في مسيرةرئيسنا لا يمكن ان‌تحقق‌الوحدة العربيـة الا اذا حققنا وانطلقنا من تحقيق الوحدة الوطنيـة . لذلـك كانت الجبهـة

الوطنية الديمقراطية وكان شعارنا دائما (يد معطاءة يد تعطي) ، (واليد العليا هي اليد المنتجة في دولة البعث) . هذا ما قلناه وهذا ما نعمل على تطبيقه .

لذلك احببنا ابا راتب لانه كان بالنسبة لنا يمثل تلك الوحدة وذلك التعاطف مع القطاع العام . هل تصدقون ايها الاخوة انه بعد الاصلاح الزراعي ذهب بعض ابناء وطننا الى لخارج لانهم ظنوا ان عملية الاصلاح الزراعي لم تكن كما يريدون ، وابو راتب قال انا بقيت ورضيت بتلك القطعة من الارض التي بقيت لي . وانظروا الي الآن وانظروا الى الآخرين : ماذا بقي لهم وماذا بقي لي .

ايها الاخوة عندما نكرم في هذا البلد القطاع الخاص والقطاع المشترك والحرفيين فنحن نكرم انفسنا لاننا كقطاع عام ـ وانا لم اعمل الا في القطاع العام ـ نقف مع القطاع الخاص ومع القطاع المشترك نتزاحم ونعمل جميعا من اجل بناء هذا الوطن . فهذا اكرامنا لابي راتب .

محمد العمادي

الغرف التجارية قدمت وزراء كثيرين

من دواعي الفخر للتجارة وللغرف التجارية أنها على مرّ الازمنة قدمت وزراء كثيرين وعلى كل الساحة العربية خرجوا من صفوفها وابدعوا في مراكزهم الرسمية ، ومن هؤلاء في سورية :

السيد لطفي الحفار ـ الذي تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٨ ، السيد حنين صحناوي ، السيد عوض بركات ، السيد سليم جنبرت ، السيد محمد سعيد الزعيم ، السيد وهبي الحريري ، السيد عبد الرحمن الهنيدي ، السيد ادمون حمصي ، السيد هنري هندية ، السيد رودولف سعادة .

وممن اذكرهم في البلاد العربية :

السيد موسى الشهبندر ـ بغداد ، السيد محمد العوضي ـ السعودية ، السيد زكريا توفيق ـ مصر ، السيد حمدي الطباع ـ الاردن ، السيد سليم الحص ـ لبنان ، السيد فكتور قصير ـ لبنان ، السيد عبد الله الازماني ـ المغرب ، السيد الفرحاني بن عمار ـ تونس ، السيد منصف بالعبود ـ تونس .

ومعذرة من الآخرين الذين انسيت اسماءهم .

بعض مذكراتي الى لجنة الترشيد

في رئاسة مجلس الوزراء

المذكرة الاولى ــ تاريخ ٦/١٠/١٩٨٤

سيادة رئيس مجلس الوزراء ، رئيس لجنة الترشيد

السادة الوزراء ، السادة الاعضاء

تحية واحتراماً ،

ان اي نظرة لاوضاعنا الاقتصادية يجب أن تتم ضمن اطار دراسة الاوضاع الاقتصادية العالمية بالاضافة الى الاوضاع الاقتصادية الاقليمية .

في يومنا هذا يعيش العالم وقتا صعبا جدا لم يسبق أن شهد له مثيلا منذ الازمة العالمية الكبرى قبل نيّف وخمسين عاما ، واذا كان العالم قد مرّ بأزمات اقتصادية قاسية خلال هذه الفترة ، لكنه لم يسبق لتلك الازمات ان اخذت هذه الابعاد والاشكال . والازمة الحالية تتميز بتعدد الوجوه والجوانب ، فهي بآن واحد ازمة بطالة ، وازمة تضخم ، وازمة عجز بالموازين التجارية ، وازمة تقلص الموجودات من العملات الاجنبية .

وهو ما أزعج واقلق الباحثين والمسؤولين لعدم توفر أي دواء بسيط أو مركب يمكن أن يشفي جميع هذه الجوانب معاً ، بل على العكس : فكل دواء يداوي احدى هذه المشاكل يأتي بنتائج سلبية وعكسية على النواحي الاخرى المقصود معالجتها .. وهذا ما اوضحه في الكلمة التي القيتها في اجتماع عقد بالمغرب منذ عام .

ان الدولة الاكبر والاكثر قدرة على التقليل من النتائج السلبية لهذا الوضع المتدهور ، هي اميركا التي استرسلت داخليا بالسماح لاسعار الفوائد بالارتفاع بشكل ادى الى امتصاص اكثر أموال العالم نحوها ، وبالتالي الى ارتفاع كبير بسعر الدولار بالنسبة لاسعار جميع العملات العالمية الاخرى .

كل ذلك على حساب بقية دول العالم وبالمدى الطويل فهو بالواقع على حساب اميركا نفسها . فحتى الولايات المتحدة عاجزة عن الاستمرار في تسيير اقتصادها

وازدهاره الوهمي على حساب الاستدانة ؛ ولن تبقى عملة اي دولة قوية ومرتفعة طالما ان اقتصادها ضعيف وميزان تجارتها عاجز . لهذا يخطىء الاميركيون عندما يظنون ان الانتعاش الاقتصادي سيكفي لتغطية العجز في ميزانية الدولة ، وبالتالي لتسديد الديون الهائلة التي تتكبدها بسبب هذه السياسة . ولن يطول الوقت كثيرا قبل ان ينعكس تدفق الاموال نحو اميركا ليتجه خارجها ، وعندها سنرى الكوارث تنهال على الدول والعلاقات الدولية بسبب الانهيار الذي سيصيب الدولار واسعاره .

وقد نزل فعلا سعر الدولار بالنسبة لكافة العملات حيث كان في نهاية عام ١٩٨٤ واول عام ١٩٨٥ :

	عام ١٩٨٤	عام ١٩٨٦
الين الياباني	٢٣٠	١٥٢
المارك	٢٦٦	٢٠٧
سويسري	٢٢٠	١٦٧
افرنسي	٨٣٥	٦٨٠
استرليني	١٤٢	١٤٨

على صعيد الاقتصاد الاقليمي ، نرى ان دول البترول كانت قد وضعت مشاريع وخطط تنمية طموحة مبنية على تخمينات متفائلة لاسعار النفط الذي يشكل المورد الرئيسي لهذه الدول ، وقد سبب الانخفاض الكبير الذي طرا على اسعار النفط تلبكا كبيرا لاكثر هذه الدول . كما شكلت الحرب الايرانية العراقية استنزافا كبيرا لموجودات تلك الدول واحتياطاتها من العملات الاجنبية . هذان العاملان اديا خارجيا الى تقليص برامج المساعدة والمعونات الى باقي دول المنطقة ، وداخليا الى توقف اكثر المشاريع والبرامج التنموية . هذه الاجراءات ادت أيضا للاستغناء عن اعداد كبيرة من العمال والموظفين والحرفيين العرب ، الذي كان يشكل دخلهم المحول الى بلادهم موردا هاما لتلك البلدان .

والنتيجة هي ان دول النفط العربية وسواها اصبحت جميعا تعاني من ازمة اقتصادية مستعصية تبدو وكأنها اكبر من ان تحل بسهولة او بسرعة .

أما على الصعيد القطري ؛ فان سورية تتميز عن باقي جميع الدول العربية بأنها في طليعة من حمل مسؤولية القضايا العربية واعبائها والدفاع عنها بكل ما لديها من قوة وقدرة . واذا كنا نفتخر بالدور المشرف والحكيم الذي تلعبه حكومتنا الكريمة بقيادة وتوجيهات سيادة الرئيس ، فلا بد لنا ان نعي ونقدر النتائج الساطعة والمشرقة التي حققتها هذه السياسة . لذلك فان الشعب السوري سيبقى محافظا على العهد يحمل لواء العروبة واهدافها ، يحمي مصالحها ويدافع عن حقوقها مهما ارتفع الثمن ومهما عظمت التضحيات .

بالاضافة الى التزاماتنا القومية والدفاعية ؛ فان اهتمامنا بعد ذلك قد انصب على خطة تنموية عميقة وواسعة ومتوازنة شملت المجال الزراعي والصناعي والسياحي والاجتماعي والثقافي والصحي والبنى الاساسية . والنهضة بل القفزة الجبارة التي حققها قطرنا العزيز في جميع هذه المجالات ؛ هي الشاهد والدليل على تطورنا وازدهارنا الذي بدأنا نجني ثماره .

ضمن اطار الخطة التنموية والدفاعية ، يبقى ان نشير الى بعض الجوانب الركنية للاقتصاد القطري وهي كما يلي :

أولا — يبدو وكأننا مضطرون خلال الفترة القادمة ان نعمل مع وفاءات منخفضة لدول النفط العربية لالتزاماتها بالاسهام في معركة الصمود والتصدي التي تقودها سورية . وبالتالي فان مواردنا من النقد الاجنبي من هذه الناحية ستتقلص تباعا مع تزايد المتاعب الاقتصادية لدول النفط ومع درجة تلكئها في تحمل مسؤولياتها .

ثانيا — ان موارد المواطنين العاملين في الدول النفطية ، ستنخفض مع تزايد البطالة والانكماش الاقتصادي في تلك الدول . وبالتالي فان تدفق هذه الاموال نحو القطر سينخفض مع انخفاض موارد هؤلاء المواطنين .

ثالثا — ان صادراتنا نفسها ستتقلص بقدر الانكماش الاقتصادي السائد في جميع دول العالم . هذا الانكماش الذي سيؤثر على صادراتنا من ناحيتين اثنتين : الاولى . هي حجم هذه الصادرات والثانية ؛ تكمن في انخفاض أسعار هذه السلع مما يجعل التقلص مضاعفا .

رابعا ـ ان صادراتنا تقلصت بسبب تدني الانتاج نفسه وعدم انخفاض مماثل في الاستهلاك الداخلي لهذا العام . قد تدنى الانتاج بسبب الاحوال الطبيعية وقلة الامطار التي شهدها القطر . ولا يخفى عليكم اننا سنضطر لاستيراد اكثر من مليون طن من الحنطة والحبوب لسد حاجاتنا التموينية عوضا عن الفوائض التي كنا نصدرها بالسابق . وانتاجنا الصناعي قد تأثر أيضا بقرارات ترشيد الاستيراد التي حدت كثيرا من استيراد المواد الاولية المطلوبة لعملية التصنيع نفسها .

ان البحث في النواحي الاقتصادية يتطلب اكثر من مجرد بضع صفحات ويحتاج لدراسة مستفيضة حتى يتناول جميع الجوانب والعوامل الضرورية . رغم ذلك فاننا نكتفي بذكر بعض التوصيات التي نرى بحثها مفيدا بالوقت الحاضر وهي :

أولا ـ علينا التعايش مع (وقبول واقع) ارتفاع أسعار العملات الاجنبية تماشيا مع سوانا من دول العالم . كلنا نعلم أن الارتفاع الذي طرا على سعر الدولار في القطر لم يتعدّ بعد الارتفاع الذي شهدته عملات الدول الكبيرة كالجنيه الاسترليني والفرنك الفرنسي والفلورين الهولندي .

ضمن هذا الاطار نرى انه من الافضل رفع السعر الموازي والسياحي للدولار بشكل يتساوى به مع السوق العالمية . بهذا الاجراء نحقق أهدافا عديدة اهمها ثلاثة وهي :

الاول : اننا سنجتذب جزءا أكبر من الاموال العائدة للمواطنين المقيمين في داخل القطر وخارجه ، واجتذاب هذه الاموال يعتمد على اقتناع اصحابها بأن السعر المعمول به هو سعر معقول وقريب من الواقع .

الثاني : هو اننا سنجعل من ارتفاع سعر العملات الاجنبية عائقا حقيقيا للاستهلاك الكبير الذي يشهده القطر . ان جميع السلع الرئيسية الضرورية المستوردة لهذا القطر هي محصورة بالقطاع العام ، وبالتالي فان الاساسية منها مدعومة ، ويجب ان تبقى على اسعارها الحالية حتى لا تؤثر سلبيا على كلفة معيشة اصحاب الدخول المحدودة ، وعلى كل حال نحن نحبذ اعادة النظر في سلم الرواتب والدخول بشكل يعيد التوازن والانصاف لدخولهم وتكاليف معيشتهم . والسلع التي ستتأثر اكثر نتيجة ارتفاع أسعار العملات الاجنبية هي السلع الكمالية ، وهذا ما سيحتم علينا تقليصه .

ثالثها : هي ان نشجع عمليـــة التصدير بشكل يتماشى مع أسعار هذه الصادرات السائدة في الاقطار المجاورة والمنافسة ، كما اننــا سنضع ضابطا لعمليات التهريب التي أخذت طريقها الى قطاع التصدير نفسه .

ثانيا ــ لقد كان لقرار الحكومة وضع حد صارم للتهريب الذي كان قد أخذ مجراه من الاقطار المجاورة ، صدى حسن وترحيب كبير من كل الجهات ، وبدون هــذا الحد يصعب على الحكومة اتبــاع أي نهج أو سياسة توجيهيــة طالمــا تبقى ثغرات كبــيرة تجعل هــذه السياسات عديمة الجدوى وفارغة المضمون .

لقــد كان هــذا القرار أحــد المطالب الرئيسية التي تقدمنــا بها ، غــير أن هــذا القرار ــ مع ضرورته القصوى ــ لا يكفي ولا يفي بالغرض المطلوب ، وكان من المفروض أن يسبق هــذا القرار تصور واضح لسياسة استــيراد محددة للمــواد الضرورية التي يجب أن يسمــح باستيرادها بموجب سلم أولويات يراعى بها النقاط التالية :

آ ــ ان تعطى المواد والمعدات والآلات الزراعية الاولوية المطلقة ، خاصة لان الانتاج الزراعي والصناعات الزراعية في القطر يشكلان وفرا كاملا للقطع الاجنبي سواء عــن طريق تصدير هــذا الانتاج أو الاستغناء عن استيراد ما يوازيه . ويمكن للحكومة وضع ضوابط لتسعير هذه السلع وتأمين صيانتها وقطعها التبديلية ، كما توضح التوجيهات اللازمة بالنسبة لضرورة التصليح والصيانة . واننــا لننظر براحة كبيرة الى الاهتمام الكبير الذي توليــه الدولة الكريمــة لموضوع الزراعة والى الخطــة الزراعيــة التــي رسمتهــا ووضعتهــا .

ب ــ أن تعطى المواد الصناعية والمعدات والآلات أولوية ثانية ، خاصة تلك الصناعات ومتمماتها التي يشكل انتاجها واردا حقيقيا من القطع الاجنبي او وفرا حقيقيا لهــذا القطع . ويستثنى من ذلك الصناعات التي تصدر انتاجها الى الدول التي تربطنا معها اتفاقــات مدفوعــات .

جـ ــ مــع الاستمرار بسياسة التشدد ضد عمليات التهريب ، اننــا نرى تحبيذ وضع ضوابط لاستيراداتنا من السلع الكمالية والاستهلاكية . بمعنى آخر أيها الاخوة ، لن يكون لنــا مفر من القبــول بحالة تقشف في حياتنــا وفي استهلاكنا وهدرنــا على المستويين الحكومي والشعبي .

د ـ لقد ذكرنا الاموال الطائلة التي يملكها المواطنون المقيمون والعاملون في الخارج . هذه الاموال الموظفة بعملات أجنبية وفي معادن ثمينة ، بالواقع ان هذه الاموال تشكل مضيعة كبيرة للاقتصاد الوطني وحسن الاستفادة من هذه الاموال يشكل احدى أهم الوسائل للتقليل من الازمة الحالية لاسعار النقد من جهة وللاسهام في عملية التنمية وتنشيط الاقتصاد من جهة ثانية .

لذلك فان الحكومة الكريمة مدعوة لدراسة هذا الموضوع دراسة جدية وموضوعية وشاملة ، ومن ثم ايجاد صيغة ناجحة وفعالة للاستفادة من هذه الاموال في اتجاهين اثنين ، الاتجاه الاول يكمن في تمويل جزء من الاستيرادات للقطر ، وطبعا تلك الاستيرادات التي تحددها الدولة ضمن جدول الاولويات التي ذكرناها آنفا . والاتجاه الثاني في توطين وتوظيف هذه الاموال داخل القطر ، وهذه الناحية هي ذات أهمية قصوى ـ وهي لوحدها بحاجة لبحث مستفيض وطويل لما لها من اهمية .

المهم أن توطين وتوظيف الاموال التي تستورد بموجبها ، يجب أن يكون عملية اجتذاب دائمة وليس مجرد عملية ترانزيت أو مرور مؤقت ليستورد بها ثم لا تلبث أن تحول الى مكانها السابق في الخارج .

هناك موضوع آخر وهام جدا ، وهو يتعلق بالمناطق الحرة ونظام الادخال المؤقت . لقد سبق أن تطرقنا الى هذين الموضوعين بعدة مناسبات ، ونظرا لاهمية الدور وأهمية نشاط هذين القطاعين من تركيب التجارة الخارجية للقطر فاننا نكرر الرجاء ونلتمس من الدولة الكريمة اعادة حركة المناطق الحرة الى سابق عهدها بعد اعادة النظر في السلبيات التي ظهرت اثناء الممارسة . كما نلتمس اعادة الحياة والدعم لاسلوب الادخال المؤقت . وليت بالامكان التأكيد على ضرورة سرعة الاجراءات بهذا الصدد نظرا لوضع هذه المناطق مع مثيلاتها في البلدان المجاورة .

لقد سبق أن تقدمت بحل لقضية البضائع الموجودة بالجمارك بسبب بعض المخالفات منها العفوية ومنها المقصودة ، للقرارات التي صدرت . وقد سبق أن وافقت لجنتكم الموقرة على تلك المقترحات ، غير أنها للآن لم تجد طريقها نحو التنفيذ ، لذلك اتقدم ثانية باقتراح تشكيل لجنة مشتركة من الجمارك والاقتصاد وغرف التجارة والصناعة ،

يكون لها صلاحية التصرف بما في ذلك وضع غرامات أو بيع البضاعة ، ليوزع الناتج بين الدولة واصحاب البضاعة أو غيرها من القرارات . والغاية من كل ذلك هي وضع حد للتلف والضرر الذي اصاب ويصيب هذه البضاعة من جراء بقائها ملقاة في المستودعات .

هذه بعض الخواطر أوردناها للمداولة لعلمنا بأنحكومتنا الكريمة ستأخذها بعين الاعتبار ، حيث اننا تعودنا ان نجد لديها اذنا صاغية لكل اقتراح مخلص ومجرد ، يسهم في رفع شأن هذا البلد الكريم ، ليبقى تحت رعاية قائد المسيرة المفدى ، القلعة الحصينة للعروبة والعزة والازدهار .

دمشق في ١٩٨٤/١٠/٦ **بدر الدين الشلاح**

* * *

المذكرة الثانية ــ تاريخ ١٩٨٧/١/٢٤

سيادة رئيس مجلس الوزراء ، رئيس لجنة الترشيد الاكرم

السادة الوزراء المحترمون

السادة الاعضاء الكرام

سبق لي ان تقدمت لسيادتكم بدراسة مستفيضة مؤرخة في ١٩٨٤/١٠/٦ ، عالجت فيها عدة مواضيع هامة كانت مطروحة امام لجنتكم الموقرة ، وخاصةموضوع النقد الاجنبي واسعاره ، وطرق معالجته ، اشرنا فيها الى اقتراح رفع السعر الموازي والسياحي للدولار ، بحيث يصبح متماشيا ومتساويا مع مستوى أسعار السوق الداخلية واسعار اسواق الدول المجاورة .

والهدف المتوخى من هذا الاجراء كان يكمن في النقاط التالية :

١ ــ ان تحديد السعر الرسمي بمستوى قريب من السعر الخارجي ، يمكن الحكومة من اجتذاب جميع العملات الاجنبية التي ترد الى القطر ، وخاصة ، تلك المداخيل التي يحققها المواطنون السوريون المقيمون والمغتربون ، بالاضافةالىالمدفوعات التي يحولها المواطنون العرب الى داخل القطر وعن طريق هذه السياسة ، تصبح الدولة المصب الاهم لجميع العملات الاجنبية الواردة للقطر . وعن طريق هذهالسياسة وبانعدام الفوارق بينالسعرين لن يبق هناك حاجة او مبرر لأي فرد او افراد انيلجؤوا للوسطاء لبيعهم ما لديهم من نقد أجنبي . هذا النهج يتيح للدولة السيطرة على موارد القطر من النقد الاجنبي ، والتحكم في حركة هذه الاموال . فسيكون عندها القدرة على توزيعها بالشكل الذي يواكب ويدعم سياسة الدولة الاقتصادية والمالية بما فيها سياسة الاستيراد والتصدير .

لربما تظهر لسيادتكم اهمية هذه النقطة بشكل افضل واوضح ، اذا درسنا الوضع البديل ، اي الوضع المعمول به حاليا ، وهو عندما يكون السعر الرسمي لا يجاري ولا يساوي السعر الحقيقي . في هذا الحال يتم التداول في النقد الاجنبي دخولا وخروجا ، بعيدا عن النطاق والجهاز الحكومي ، وتكون الاسعار الرسمية المعمول بها خارجة عن مجال سيطرة الحكومة او حتى التأثير عليها . النتيجة التي شهدناها هي ارتفاع شديد ومستمر بأسعار النقد الاجنبي .

قد يكون لبعض هذا الارتفاع واقع يبرره ، خاصة اذا سلمنا بأن عملات دول العالم الصناعية نفسها قد تعرضت لانتكاسات في أسعارها تجاه الدولار . وقد يكون لتقلص موارد القطر من النقد الاجنبي خلال السنوات الاخيرة ، اثر سلبي أدى الى تخفيض قيمة الليرة السورية ، كما أن سوء الموسم الماضي وحاجة القطر لاستيراد العلف والحبوب والطحين بدلا من تصديره ، بالاضافة الى سوء الحالة الاقتصادية في البلدان العربية بشكل خاص ، ودول العالم بشكل عام ، ساهم في نقص تدفق النقد الاجنبي وأدى الى ارتفاع أسعاره . ولا يخفى على أحد أن التزاماتنا القومية المتزايدة دفاعا عن كرامة الامة العربية ومستقبلها ، مع تلكؤ وتباطؤ دول النفط بتحويل مساهمتها التي التزمت بها ، كانت عنصرا اضافيا في التأثير على عدم توفر النقد الاجنبي وعلى أسعاره .

لكن الواقع يبين بأنه اضافة للاسباب المذكورة هناك سبب آخر لارتفاع أسعار النقد الاجنبي ، كان مصدره آلية التعامل بالنقد الاجنبي السائدة في القطر ، ان آلية البيع والشراء بغياب تواجد الدولة في هذا السوق ، الناتج عن سعر النقد المتدني الذي حددته الدولة ، أصبحت تتم بسوق غير منظمة وغير ظاهرة وغير معروفة . عندما تكون السوق بهذا الوضع من الابهام والشبحية ، تصبح خاضعة لعوامل الدعاية والاشاعة والمناورات . ولمجرد انتشار أي إشاعة بسيطة ، تشهد السوق ارتفاعات كبيرة ومضخمة ، أول ما يتأثر بها الاشخاص البسطاء والعاديون ، تفوق الاسعار التي يبررها العرض والطلب الحقيقي والواقع .

ولا يسعنا الا ان نتساءل : لماذا نسمح لتجار العملة في كل من جدة وعمان وبيروت ان يكونوا هم الطرف المهم في تقرير اسعار الليرة السورية ؟ ولماذا نسأل هذه الاسواق عن الاسعار ، كلما أردنا معرفتها ؟ . اننا لا نتكلم عن بعض الصيارفة المحليين لانهم يعملوا ضمن اطار محدود جدا ، لا يتعدى دور الوسيط البسيط الذي يجمع بين العارض والمحتاج ، لقاء فارق بسيط . فهؤلاء هم صمام صغير لعمليات التوفير بين حاجة وعرض محلي ومحدود ، ودورهم لا يؤثر على الاسعار ، بل اننا نتكلم عن تجار العملة المتواجدين في مراكز الاسواق المالية المجاورة ، كجدة وعمان ولبنان . فهؤلاء هم المهيمنون على العمليات الكبيرة وتحت أيديهم اموال كبيرة تمكنهم من التحكم بالاسعار.

النتيجة الثالثة لهذه الآلية وخضوعها للاشاعات المصطنعة والترويج المزيف هي كونها قد خلقت قناعات زائفة لدى المواطنين والمغتربين ، بأن ارتفاع سعر النقد الاجنبي ، هو مسلسل مستمر ومتواصل . وبهذا نجد أن أكثر الذين كانوا يريدون تحويل وفرهم ومدخراتهم بالعملات الاجنبية ، باتوا يؤجلون ذلك ويفضلون الاحتفاظ بها لآخر فرصة ممكنة ، أملا بالحصول على سعر أعلى . كما أن الكثرة من افراد الشعب العاديين بدأوا يقدمون وبشكل متزايد على شراء المعادن الثمينة كالذهب والفضة او النقد الاجنبي ــ كالليرة اللبنانية والدولار .

اننا قانعون بأن هذه التوظيفات ستثبت بالنهاية على أنها غير حكيمة ولا سليمة، الدليل الواضح على ذلك يكمن بملايين الليرات اللبنانية التي اقتناها الآلاف من المواطنين والتي ادت بهم الى كوارث جسيمة لم تظهر نتائجها ولا أبعادها للآن .

اما بالنسبة للدولار وارتفاعه الحالي ، فلقد سبق لنا أن أوضحنا بأن هذا الارتفاع هو على حساب دول العالم كلها . اننا مؤمنون بأن الولايات المتحدة الاميركية نفسها ، على عظمتها وقدرتها ، عاجزة عن الاستمرار في تسيير اقتصادها وازدهاره الوهمي على حساب المديونية . والقاعدة الاقتصادية الطبيعية وغير القابلة للدحض ، تقضي بأن عملة أية دولة لن تبقى قوية ومرتفعة ، طالما أن اقتصادها (مبني على أسس غير سليمة) وموازين عجز في التجارة والمدفوعات .

ان العجز الحقيقي والوضع غير السليم سيظهر واضحا عندما تبدأ جماهير ومؤسسات العالم بتحويل توظيفاتها هروبا من الدولار نحو نقد أكثر قوة ومتانة .

يستخلص من هذه الناحية بأننا نرجو وجودا فعالا ومؤثرا في سوق النقد الاجنبي السوق الرسمي والسوق غير الرسمي على السواء . هذا الوجود لن يكتمل الا باعتماد سعر نقد اجنبي رسمي قريب من الواقع للسيطرة عليه وتحريكه وتوجيهه .

٢ ــ ان السوق الموازية للنقد الاجنبي والمعتمد في قطرنا ، هو السوق الذي ينطبق على تسعير صادراتنا وسلعنا . وتحديد هذا السعر بأقل من ٥٠ ٪ من سعر السوق السائدة يشكل عائقا حقيقيا وجذريا لعملية التصدير .

بهذا الشكل تصبح بضائعنا وسلعنا غير قادرة على منافسة سلع وبضائع البلدان

المجاورة والمنافسة . وعندما نصبح عاجزين عن تصدير سلعنا وبضائعنا بسبب السعر المتدني المحدد لاسعار السوق الموازية . يبقى امامنا اربعة حلول بديلة كلها شرور، نريد تجنبها اذا أمكن :

الاول : هو ان تبقى هذه البضائع والسلع بدون تصدير وتتحول الى الاستهلاك المحلي ، وهذا ما نريد تقليصه وترشيده .

الثاني : هو أن تتوجه هذه البضائع الى بلدان الدول التي تربطنا واياها اتفاقات مدفوعات لن نجني بنتيجتها اي قطع نادر .

الثالث : ان يتوقف الانتاج أو التصنيع بسبب عدم جدوى الانتاج أو التصنيع .

الرابع : هو بتشجيع مباشر لعملية التهريب التي ستتسرب الى مجالات التصدير نفسه .

نحن نعاني كثيرا من مشاكل التهريب من خارج القطر الى داخله ، والحكومة الموقرة قد شنت حملة شعواء لمحاربة التهريب وايقافه كليا ، بالحري ان لا نسمح لعملية التهريب بالتفشي في مجالات التصدير تفشيا قد يشكل خللا في تركيبة القطر الاقتصادية .

كل هذه العوامل تشير الى ضرورة رفع سعر النقد الاجنبي ، تشجيعا للتصدير وحلا جذريا لردع عملية التوقف او التهريب .

كم يسعدني اذ أشير الى التوصيات الكريمة التي ناقشها وتقدم بها المؤتمر القطري الثامن ، والمنعقد مؤخرا تحت لواء سيادة رئيسنا القائد المفدى ، والتي تضمنت ضرورة الربط بين خطة التجارة الخارجية وخطة القطع الاجنبي . ووضع الاجراءات التي من شأنها زيادة التصدير ، بما في ذلك دراسة موضوع الوصول الى سعر تشجيعي لليرة تجاه العملات الاجنبية .

سادتي الكرام ،

لقد طالبنا والححنا في طلبنا نحو جعل السوق الموازية ، سوقا موازية فعلا وعملا ، أملا منا بتوجيه تدفق النقد الاجنبي ، ورجاء منا بتوجيه الاسعار بناء لسياسة مرنة ومستقرة بآن واحد . وتحقيقا لتشجيع التصدير والصادرات .

ولكننا كما سبق لنا وطلبنا العمل الجدّي على قطع دابر التهريب ، وطلبنا ان يلازم هذا الاجراء سياسة بديلة لعملية الاستيراد وتوفير حاجاتنا عن الطريق الرسمي وبشكل افضل ، تتحقق بموجبه سياسة الدولة المالية والاقتصادية .

اننا نؤكد على أن تعديل أسعار النقد ، رغم ضرورته والحاح الحاجة اليه فهي غير كاف ابدا لتوفير العلاج المطلوب . ان عملية التصدير تشكل حلقة واحدة نهائية في مسلسل طويل وهام ، هو مسلسل الانتاج . لهذا نجد أن معالجة ومداواة وتشجيع التصدير ، هي معالجة جزئية لموضوع أشمل واعم واهم .

وعناصر الانتاج ، على تعددها ، يجب أن تتوافر وأن تحشد وتستنفر جميعها في سبيل تحقيق التنمية والتطور والازدهار الذي ننشده ، ونسعى اليه في هذا القطر .
من دواعي الفخر والاعتزاز لجميع ابناء هذا القطر ، أننا قطعنا شوطا طويلا في طريق النمو والازدهار . واهم ما حققناه ، هو بناء وتدعيم البنية التحتية والاساسية ، الاقتصادية والثقافية والفنية ، الضرورية لعملية التنمية ، فمن جيل جديد تخرج من الجامعات والمعاهد التي انتشرت في كل انحاء القطر ، الى شبكة طرق وسكك حديدية ، من أحدث ما وجد في المنطقة ، الى خطوط مواصلات سلكية ولاسلكية وتلكسية ، الى موانىء جوية وبحرية مجهزة بأحدث التجهيزات وكاملة الاستعداد ، الى مشاريع في الكهرباء والري والتشجير والتحريش ... كلها عناصر هامة وأساسية للانتاج والانماء .

يبقى علينا ان نتمم ونتوج هذه الانجازات ، لنتمكن من جني كل ثمار ما صنعناه ، ونحصل على الازدهار المنشود .

اننا لا ندّعي الاحاطة بجميع نواحي الانتاج بهذه الدراسة المحدودة والبسيطة ، وسنحاول الاكتفاء بالاشارة لبعض جوانبها التي نراها ضرورية ومفيدة بالمرحلة الحالية .
ان اهم شروط تدعيم الانتاج حاليا ، تكمن في تمكين القطاع الخاص ليقوم بمهمته المناطة به والمتممة لعملية التنمية التي يقوم بها القطاع العام . نقول ذلك لان هذا القطاع يمتلك بالوقت الحالي ، طاقات وامكانيات وعناصر تحتاج كلها لحشد واستقطاب وتوجيه .

اول ما نشير اليـه ، هو الاموال الكبيرة المتوفرة لـدى أفراد الشعب ، نتيجة الازدهار الذي شهده خلال السنوات الاخيرة . ومـع الاسف أن أكثر هـذه الامـوال توجه حاليا نحـو التوظيفات غـير المفيدة وغير المثمرة . على سبيل المثال ، نوضح بأن الاشخاص الذين يوجهون توظيفاتهم نحو « السيارة والعقار والذهب أو الدولار » انما يوجهونها نحـو المجالات الاكثر رواجا في القطر في الوقت الحاضر . الواقع أنها ليست رائجـة فقط بل أنهـا هي المتوفرة حاليا ، وليس من مجال آخر أمامها سـوى الهدر والاستهلاك وشراء التوافـه والكماليات .

ان الاموال المتوفرة لـدى القطاع الاهلي ، تشكل بالواقع مبالغطائلة يجبالاستفادة منهـا واشراكها في عملية الاستثمار والانماء ، لتساهم في عمليـة التنمية والتطوير . مرة ثانية نشير بكثـير مـن التقدير ، لتوصيات المؤتمر القطري الذي نص على توجيه الفائض النقدي في البلاد نحو التنمية الاقتصادية ، بالاضافة الى تشجيع الادخـار ، وتوجيهه نحـو الاستثمار الانمائي .

أن هـذه الامـوال المتوفرة ، تحتاج لصيغة جديدة ومجـالات توظيف مشجعة ، تتمكن من اجتذابها وتوطينها وتوظيفها ، سواء كان ذلـك في مجـالات القطـاع الخاص أو المشـترك أو العـام .

طبعا لا يكفي توجيه الاموال المتوفرة نحو الاستثمار الانمائي ، علينا أيضا أن نوجه الافكار والعقول والسواعد ، وهذا يتطلب منا اعادة التوازن للانتـاج والانمـاء . لقد اصبح الكثير منـا يجد بعملية الاستهلاك والوساطة والتوزيع وخلافها مـن العمليات غـير المنتجـة انهـا هـي العمليـة المربحـة والاوفر حظـا والاكثر ضمانـة للكسب والربـح والتقـدم .

والآن اصبح لزاما علينا رد الاعتبار والكيـان لعمليـة الانتاج ، يجعلها هي المجدية وهي المربحـة وهي المجزية .

بقي أن نشير الى ضرورة توفير المواد اللازمة والمتممة والمشجعة للانتاج والتنميـة والتطور . بمجال الزراعة ، هنـاك البذور والسماد والآلات . . . وبمجـال الصناعـة هناك المواد الاولية والمتممة (ومواد التعبئـة والتغليف) ، كـل هـذه المواد يجب أن

تتوفر عن طريق سياسة استيراد واضحة نعطيها الاولوية والافضلية المطلقة على المواد الاستهلاكية والكمالية ، حتى لا تتعطل عملية الانتاج ، بسبب اي نقص بأي من عناصرها .

هناك نقطتان نود التنبيه لهما ، وكلاهما بغاية الاهمية :

النقطة الاولى : هي عنصر الوقت المطلوب ، والذي يجب أن ينقضي قبل أن تعطي هذه الاجراءات ثمارها . فمن الخطأ أن نخطط أو ننتظر نتائج فورية وسريعة ، لان عملية الانتاج عملية طويلة ومعقدة .

والنقطة الثانية : تكمن باحدى سلبيات الاجراءات المطلوبة ، ونتائجها على التركيبة الاقتصادية والوضع الاجتماعي .

لا شك بأن الحكومة الموقرة تعي تماما بأن الاسعار المقترحة للنقد الاجنبي يجب أن لا تطال السلع الاساسية المستوردة ، حتى لا يتأثر أصحاب الدخل المحدود بها وهم يشكلون الاكثرية الساحقة للشعب ، وأي انخفاض في قوة شراء الليرة أو أي تضخم يحصل ، يأتي بنتيجة عكسية على مستوى معيشتهم .

وفقنا الله جميعا للاسهام في خدمة هذا الوطن ، والعمل على رفع كيانه وتطويره وازدهاره ، والسلام عليكم .

دمشق في ١٩٨٥/١/٢٤

رئيس غرفة تجارة دمشق

بدر الدين الشلاح

تعليقات حول المرسوم رقم ٢٤

سيادة الدكتور عبد الرؤوف الكسم

رئيس مجلس الوزراء ورئيس لجنة الترشيد المحترم

لقد دعينا ظهر أمس الى اجتماعكم الكريم اليوم ، ورغم قصر الوقت سارعنا لتسطير بعض الملاحظات حول المرسوم رقم / ٢٤ / الذي صدر بتاريخ ١٩٨٦/٨/٣١ . وأملنا بذلك هو أن تدرس هذه النقاط وتحظى على موافقتكم عليها راجين بأن ما تجدوه معقولا سيدرج ويوضح ويفسر بالشكل المطلوب ضمن التعليمات التنظيمية التي سيصدرها سيادة وزير الاقتصاد تنفيذا لاحكام هذا المرسوم .

لقد اوضحنا مرارا اننا مع كل اجراء يدعم اقتصادنا الوطني من جهة ويقطع دابر المتلاعبين من جهة اخرى ، لذلك فاننا نؤيد الهدف الرئيسي للمرسوم المشار اليه منعا للتلاعب والتهريب ، كما أننا نوضح أن هذه الاجراءات الرادعة والواقية تمثل الجانب الدفاعي والسلبي لمعالجة مشكلة القطع الاجنبي .

واننا نذكر سيادتكم بأننا تقدمنا بعدة مذكرات خطية ، منذ البدء باجتماعات اللجنة ، واشرنا الى مشكلة القطع الاجنبي التي سنواجهها ، كما تقدمنا بعدة اقتراحات للاجراءات المرجو اتخاذها ، ونوضح بأن هناك اكثر من سبب واحد وراء ارتفاع سعر القطع الاجنبي في القطر وهي :

أولا ـ الانكماش الاقتصادي الدولي الذي فرض وانعكس على جميع دول العالم وخاصة دول العالم الثالث ومنها الدول العربية .

ثانيا ـ انخفاض وتباطؤ الاسهامات المالية للدول النفطية التي أقرتها اجتماعات القمة العربية لتحمل قسطا من العبء الكبير الذي يتحمله القطر السوري بالدرجة الاولى .

ثالثا ـ انحسار تحويلات المواطنين المغتربين في دول الخليج نتيجة الازمة الاقتصادية التي تعيشها تلك الدول والتي انعكست على المواطنين السوريين بالنقص في عددهم وبانخفاض مداخيل من بقي منهم على عمله ، كما أن صادراتنا الى تلك

الاقطـار تقلصت لنفس هـذه الاسباب .

رابعا ـ استمرار الدولة والقطاعات العامة والقطاع الاهلي الكبير والواسع في عـدم تقليص النفقات العامة والاستيرادات منذ أن بدات بوادر الازمة الاقتصادية العالمية .

خامسا ـ تواجد فوائض مالية لدى القطاع الاهلي الواسع الانتشار (والذي يمثل جميع فئـات الشعب بأكمله ما عدا فئـة أصحاب الدخل المحدود الذين ليس لديهم اي مدخرات أو مصادر دخل خلاف وظائفهم) . هذه الفوائض كانت تبحث في مجالات للتوظيف تركزت على السيارة والعقار ومن ثم تحولت الى المعادن الثمينـة والعملات الاجنبية ، من ناحية ثانية ، ان هناك مبالغ كبـيرة من القطـع الاجنبي كانت ولا زالت تتدفق الى القطر ويمكن أن تتدفق الى القطر ، وليس مهماً سواء أكان مصدر هـذه الاموال المواطنين العرب أو المواطنين السوريين المقيمين أو المغتربين ، وقد كان تحويل هذه المبالغ الى اللـيرة السورية يتم عـن طريق قنوات غـير رسمية بسبب الفوارق الموجودة بين السعر الرسمي والسعر البديل . ومنذ عامين اشرنا الى هـذا الواقـع ونصحنا بضرورة تبديل توجـه هذه العمليات الى القطاع الرسمي باتبـاع تسعـيرة واقعيـة لاسعار القطع . لذا فاننا نؤيد العمل بالسعر الرائج الذي اعتمدته الحكومة. ونرجو ان تبقى المرونة والواقعية هما الرائدين في تحديد أسعار بيع وشـراء القطـع اليومية . بهذه الطريقـة لا يوجـد أي سبب او داعٍ أو مبرر لأي كان أن يبيع ما لديه من قطع اجنبي الا عبر القنوات الرسمية والمأذونة .

الموضوع الاهم هو : ان المشكلة لا تنحصر في وضع النقد الاجنبي وارتفاع أسعاره ، بل أنـه الوضع الاقتصادي الوطني بأكمله . هذا الاقتصـاد الذي يمثل جزءاً من العالم العربي والاقليمي والدولي ، والذي يعاني بمجمله اوضاعا تختلف كليا عـن الاوضـاع والظروف الاقتصادية السائدة في السنين السابقة . انها أزمـة عميقة وطويلة تفرض علينـا ، وتتطلب اعـادة دراسة الظروف الجديدة الحالية والمنتظرة فيليها نهج جديد في المتطلبات والسبل والاولويات . ولا يسمح المجال لاكثر من مجرد التأكيد على أهمية هذه النقطة وضرورة معالجتها معالجة جدية ومدروسة .

كمـا أنه يتوجب علينـا ان لا نسمح لهـذه الازمة لتجعل مـن تصرفاتنا سلبيـة ومعالجاتنا دفاعية وتمثل ردود فعل لمـا نواجهه .

ان هـذا القطر يتمتع بمزايا وموارد وبنيـة اساسية وشعب وقاد ، تمكنه من تجـاوز المحنة والتغلب عليها . وعلينـا ان نعطي العمل الايجابي البنـاء المبني على الثقة والطمأنينة والتشويق حقه من الرعاية والدعم والتنشيط .

امـا بالنسـبة للمرسوم التشريعي بالذات ، فاننـا نورد لسيادتكم النقاط التالية راجـين أن تحظى بالبحث والدراسة ، وتجـد طريقها بعـد موافقتكم عليها لتدرج في التعليمـات التنظيميـة :

بالنسبة للمادة الثانية :

انـا نرى بأن هناك صعوبة فعلية تبلغ درجة الاستحالة للتأكد من عملية «المحاولة» التي نص عليهـا المرسوم والتي جعـل عقوبتها مماثلـة لجرم وعقـوبة عملية البيـع والشـراء نفسـهـا .

ان هنـاك احتمالات حقيقية لاجحاف وظلم قـد يلحق العديد من الناس نتيجـة سوء تفسـير أو التباسات ستقع بالاتهام والتقييم . لذلك نرجو مـن سيادتكم التمييز بين المحاولة وبين عملية البيع والشراء بالذات ، واذا لا يمكن ، فالرجاء وضع ضوابط وتفسيرات واضحة لتحديد ما يشكل جرم المحاولة بدون شك أو التباس ، وذلك منعا لكل ظلم أو اساءة قد يصاب بها البريء والسـاذج .

بالنسبة للمـادة الرابعـة :

ان الهدف المعلن لهـذا المرسوم ، يكمن في ردع المضاربة ودعـم الاقتصاد ، وهذا يعني أن لا تتضارب أحكام المادة الرابعة من هذا المرسوم ، مع اهداف الدولة بتنشيط التصدير وتشجيعه ودعمـه ، بهـذا المجـال نود أن نذكر أننـا نـنـافس بصادراتنـا الدول المجـاورة المماثلـة .

ان بضائع الدول المجاورة تنافس البضائع السورية بالنواحي التالية :

١ ـ ان سعر صرف النقـد الاجنبي لبضـائع الـدول المجـاورة تتـم بالسـعر السـائد والرائـج .

٢ ـ ان المواد الاولية والمستلزمات الاخرى للصادرات العربية المنافسة متوفرة بسهولة ورخص .

٣ ـ ان على البضائع السورية التي تصدر الى أسواق البلدان المجاورة ان تنافس البضائع السورية التي يشتريها الزوار الاجانب والعرب فيالاسواق الداخلية السورية ، بعد أن يكونوا قد حولوا عملاتهم الى الليرة السورية بالاسعار الرائجة التي تبلغ ضعفي السعر السياحي المعتمد حاليا ، وهم يوفرون ايضا رسوم الانتاج والتصدير التي يدفعها المصدرون .

هذه العوامل الثلاثة ، وخلافها ، خلقت فوارق كبيرة في كلفة البضائع السورية المصدرة ، وهذا ما دعا في السابق الغرف التجارية وبمعرفة السادة المسؤولين لقبول وضع أسعار لتعهدات القطع اقل من السعر الحقيقي . والهدف من ذلك كان لتمكين المصدر من المنافسة والاستمرارية ، حيث أنه كان يبيع التفاضل بين القيمة الحقيقية والقيمة المدرجة لتعهدات القطع بالسعر الرائج تمشيا مع النهج الحكومي الرامي لتنشيط ودعم التصدير واستمراريته .

نرجو أن تتضمن التعليمات التنظيمية التي سيصدرها سيادة وزير الاقتصاد تنفيذا لاحكام هذا المرسوم ، الاعتبارات والبدائل التالية :

١ ـ الابقاء على السعر السياحي وقبول تسديد اي مبلغ اضافي يفوق قيمة التعهد عن طريق المصارف المأذونة وبالسعر الرائج .

٢ ـ قبول تسديد المبالغ الاضافية عن مبالغ تعهدات التصدير لتسديد قيمة الاستيرادات التي تتم بموجب رخص استيراد نظامية .

بالنسبة للمادة الخامسة :

منعا لكل التباس او غموض ، يرجى ايضاح وتحديد المعادن الثمينة التي منع المرسوم تداولها ، ومن ثم تحديد جهة مأذونة يناط بها شراء كل واي من المعادن الممنوعة بأسعار واقعية ومعلنة .

بالنسبة للمادة الثامنة :

بالنسبة لهذه المادة ، نرجو أن يكون هناك تمييز واضح بين عمليات المضاربة والتهريب الضارة ، وبين العمليات البسيطة والعادية التي تتم لقضاء حاجة صغيرة او تسديد نفقة محدودة او نتيجة غلط أو سهو او جهل .

على هذا الاساس ، نرجو لو ان الاجراءات التي سيتم العمل بها بموجب التعليمات التنظيمية ستقبل ما يلي :

١ ـ يكتفى بمصادرة كل مبلغ يفوق الـ (١٠٠٠) ألف ليرة سورية ولا يتجاوز الـ (٥٠٠٠) خمسة آلاف ليرة سورية .

٢ ـ يكتفى بالمصادرة مع دفع الغرامة المالية لكل مبلغ يفوق الـ (٥٠٠٠) خمسة آلاف ليرة سورية ، ولا يتجاوز الـ (١٠،٠٠٠) عشرة آلاف ليرة سورية.

٣ ـ يخضع كل مبلغ يفوق الـ (١٠،٠٠٠) عشرة آلاف ليرة سورية للعقوبات المنصوص عليها في هذا المرسوم .

أوردنا هذه الارقام للاستئناس ولقبول مبدأ التفريق بين الغلط والسهو ، وبين المخالفة الصريحة والمقصودة .

استفسارات واستيضاحات :

بالنهاية ، هناك استيضاحات وتساؤلات يطرحها المواطنون ، ونرجو أن تتم التعليمات التنظيمية لتشملها وتوضحها بأقرب وقت . وعلى سبيل المثال نشير الى :

١ ـ كيفية الدفع والوفاء بالالتزامات المستحقة او التي ستستحق لاشخاص غير مقيمين (العامل الاجنبي ، الفنان ، صاحب وسيلة نقل أو سياحة).

٢ ـ المواطن المسافر وتقدير حاجته للقطع الاجنبي ، وسبل تأمينها له .

٣ ـ الطلاب الموضوعين تحت الاشراف .

٤ ـ الاشتراكات بالمجلات والكتب .

٥ ـ الاشتراكات بالمؤتمرات والمحافل العربية والدولية .

دمشق في ١٩٨٦/٩/٧ **رئيس غرفة تجارة دمشق**

بدر الدين الشلاح

خواطر حول الاقتصاد السوري

يعيش القطر العربي السوري عصرا ذهبيا من الازدهار والانتعاش الاقتصادي لم يسبق له مثيل . فعلى المستوى الشعبي نجد ان جميع فئات الشعب قد اخذت نصيبها الكامل من هذا الازدهار . ولربما الفئة الوحيدة التي تأثرت سلبيا ولم تحظ بقسطها من ارتفاع مستواها المعيشي هي فئة الموظفين العفيفين والنزهاء الذين تنحصر موارد عيشهم برواتبهم دون ان يكون لديهم اي وفر او دخولات اضافة لرواتبهم وتشمل هذه الفئة فئة الموظفين المتقاعدين ويلاحظ أن التدابير الاخيرة التي رفعت من مستوى الرواتب لم تكن بالقدر الكافي . حيث أن ارتفاعات معدلات الاسعار كانت قد تجاوزتها حتى قبل صدور قرار رفع المعاشات والاجور .

أما خلافا لذلك فلا يوجد أي فئة على الاطلاق الا وتمتعت بقسط وافر من هذا الازدهار تمثلت بارتفاع كبير في مستوى دخولهم وموجوداتهم ومستوى معيشتهم ومصاريفهم ، ويلاحظ ان التحسن قد أصاب فئات الشعب بشكل افقي شبه عادل (أصحاب المهن) .

ويمكن الاستنتاج بأن جميع أفراد الشعب — رغم كل ما قد يشاع ويقال — تعيش في بحبوحة وسعادة ورضى . واكثر من ذلك فان مجالات اضطراد التقدم تبدو مفتوحة بأبواب عريضة وواسعة ، واذا ما تمكنا من تصحيح أوضاع اصحاب الدخل المحدود من موظفين ومتقاعدين فستصبح سورية حقاً من الدول النامية القليلة جدا التي استطاعت ان تحقق ازدهارا حقيقيا عاما وشاملا . كما وان تصحيح أوضاع أصحاب الدخول المحدودة سيسهل على الحكومة والمسؤولين عملية الرفع من مستوى انتاجية الموظفين وسويتهم المسلكية التي اصبحت ضرورية وملحة .

اما على الصعيد الاقتصادي الشامل والمستقبلي فان تقويم الوضع والدلائل يصبح أكثر صعوبة لما يتضمنه من عوامل عديدة ، مهمة ومتشابكة بل وحتى متضاربة بنفس الوقت . وضمن هذا الاطار يلاحظ ان خطط التنمية الزراعية والصناعية بالاضافة الى الخدمات العامة كالمواصلات والمستشفيات والمدارس التي انجزت خلال السنوات الاخيرة كانت فعلا خطوات عملاقة وتستحق الاعجاب والتقدير . وبمجرد

اتمـــام المشاريع ستقفز سورية قفزة مرموقة نحو التقدم الملموس لتصبح بطليعة دول العالم العربي رغم عدم تمتعها بمـــوارد طبيعية أو ثروات بترولية كمــا هـــو الحـــال في تلـــك البـــلاد .

واذا كان لا بد لكل مخلص الا وان يحيي النتائج تقديرا واعجابا لما حقق ويحقق في المضمار الاقتصادي في سورية فهذا لا يمنع الاشارة لبعض النقاط التي نرى لمعالجتها تسهيلا فعالا لعملية التنمية والازدهار .

ان خطة التنمية في سورية على عظمها لم ترتفع الى القدر الممكن والمطاوب ولم تتمكن بأن تسبق او ان تتماشى مع التطور الكبير في حجم الاستهلاكات أو مقـــادير الوفورات الوطنيـــة وقـــد وصلنا الى حدود تفوق كل حد وكـــل تصور . ولتفادي الانعكاسات السلبية على الانتاج فانه يتوجب على سورية القيـــام بعملية مزدوجة .

أولهـــا السعي الى تخفيف معدلات الاستهلاك ، وثانيهما توجيه التوفيرات القومية والشعبية نحو الانتاج والتوظيف . ورغم انه بامكان الحكومة تكثيف الجهود والقيـــام بالمزيد من المشاريع الانتاجية فهذا وحده ــ وان كان ضروريا ــ لا يكفي . ولا بد مـــن اشراك القطاع الخاص بمسؤولية ومهمة المساهمة الاكثر فعالية ضمن اطـــار الخطـــة العامة وحسب توجيهات الدولة . ويلاحظ ان فائض الاموال والوفورات الوطنيـــة قد تضاعف عـــدة مرات بينمـــا مجـــالات التوظيف المثمـــرة والمنتجـــة لا تزال محـــدودة ومحصورة بدون اي منطق أو مبرر . ونتيجـــة لذلك يلاحظ اتجـــاه التوظيفات الـــى الحقول الغير منتجـــة او الى استهلاكات غير مجدية وغير مفيدة . ومن هنـــا تصبـــح عمليـــة استجذاب هـــذه الاموال بالاضافة الى الامـــوال السورية والعربيـــة الموجودة بالخارج والتي تنتظر النور الاخضر لتتدفق بشكل كبير عملية ضرورية وملحة خاصة وان هذا الاستجذاب هو بنفسه اكبر عائق لعمليةالاستهلاك والهدر السائدة في القطر .

وبالاضافة الى عملية اعـــادة توجيه الاموال هناك عمليـــة اعادة نظر اخرى لا تقل عنها الحاحا وهي في اعادة توجيه واشغال العنصر البشري والقوى العاملة . فيلاحظ ان زيادة الاستهلاك قد ادت الى اعادة توزيع في تركيب القوى العاملة . وبينمـــا كانت اكثرية فئات الشعب تسهم بالعملية الانتاجيـــة كالزراعة والصناعة ، نجـــد ان هـــذا التركيب قد انقلب وتحولت اكثرية فئات هذا الشعب الى فئة غير منتجة ، فهي نفسها

اصبحت مستهلكة وبنفس الوقت تساعد على زيادة الاستهلاك . فهل يعقل ان يكون بمدينة دمشق وحدها ما لا يقل عن ۱۱۰۰۰ر۰۰ متجر للبيع المجزء ، أو هل يعقل ان يكون بدمشق وحدها ما لا يقل عن ۲۰۰۰۰ر۰ بائع متجول ؟ ! نحن لا نقترح مجرد الحد من هذا الاتجاه وايقاف هذا الهدر بل ننصح بأن توجه لهذا الحشد من الطاقات البشرية المعطلة والمعطلة مجالات عمل افضل لهم واكثر افادة للوطن .

وبخلاصة فاننا نجد أن ليس بمقدور سورية ان تستمر في هذا المستوى من الاستهلاك وتحقق بنفس الوقت تنمية اقتصادية حقيقية . ولا بد لنا ان نوفر ونوظف ونتتج ومن ثم نصدر اذا ما اردنا ان نستمر في دفع قيمة ما نحتاجه من مواد أولية وسلع ومعامل .

ويبدو أن خطة التصنيع هي بالشمول والعمق بشكل قد أدى بكثير من هذه البرامج الى نقاط اختناق هي طبيعية ومنتظرة . واذا كان المجال لا يسمح بتعداد عوامل أو مسببات الاختناقات هذه ، يستحسن على الدولة بوضع مسح كامل للصناعات التي لا زالت قيد التنفيذ ومن ثم وضع تقويم لمراحل تنفيذ المشاريع هذه والمراحل المتطلبة لاتمام كل منها ومن ثم وضع برنامج عمل زمني يجري من خلاله تركيز الاهتمام على انهاء تنفيذ هذه المشاريع اولا بأول .

وعلى ذكر برامج التصنيع فيلاحظ ان التشريعات القائمة حاليا ــ وان كانت لا تزال بحاجة الى المزيد من التوضيح والتحديد ــ قد وضعت مسؤولية التصنيع على ثلاثة قطاعات وهي القطاع العام والقطاع المشترك والقطاع الخاص . ويلاحظ أن القطاع المشترك لم يبرز بعد ليلعب دوره الكامل في مضمار التصنيع والتنمية . ويستحسن أن تعطى الاهمية البالغة لهذا القطاع وأن تهيأ له كافة السبل ومقومات النجاح الكاملة لانه يعتبر صيغة رائدة في الاسهام الفعال في التصنيع وفي سد ثغرة كبيرة في تقنية واستقطاب جزء كبير من الطاقات والامكانات البشرية والفنية والمالية . اما بالنسبة للقطاع الخاص فرغم أن التوظيفات التي وضعت في التصنيع والتنمية كبيرة ومتنوعة وقد قامت بدور محمود في التنمية ، فهناك بعض الملاحظات الضروري معالجتها . ويلاحظ ان اكثر مشاريع القطاع الخاص هي ليست بالحجم الكافي للاستفادة من مميزات التوفيرات التقنية الناتجة عن احجام المشاريع الكبرى . كما انها كانت

على مستوى مؤسسات فردية بخبرات وامكانات محدودة ، بينما الصناعات المطلوبة هي اعلى من ذلك المستوى بكثير ولا بد أن تكون على مستوى قطري وقومي لتجني ايضا الاستفادة الكاملة من السوق العربي بأكمله . واذا كنا نقترح دعم وتشجيع هذين القطاعين بمؤازرتهما من جهة مع خلق سبل مراقبة وتوجيه من جهة ثانية ، فاننا نجد أن احدى العوائق النفسانية البسيطة القائمة تكمن في عدم معالجة قضية المساهمين بالشركات القديمة ، ونرى بتطبيق قانون التأميم لعام ١٩٦٥ ودفع تعويضات لهم مبادرة تشجيعية ستنتج أثرا طيبا جدا خاصة وان المبالغ هذه أصبحت قليلة وتشمل عددا كبيرا جدا من فئات الشعب . وكاقتراح بديل يمكن اعطاء سندات لحملة هذه الاسهم يمكن توظيفها فقط في احدى مشاريع القطاع الخاص التي تحبذ الدولة قيامها وتشجيعها .

هناك اخيرا بعض التساؤلات التي تتداولها الاوساط الاقتصادية والشعبية التي تدور حول سياسة واسلوب الدولة المعنية بالتجارة والاستيراد والتوزيع . ويلاحظ ان اكثر المواد قيد البحث غالبا ما تكون مفقودة في الاسواق أو تباع أعلى بكثير من اسعار البيع المحددة من قبل هذه المؤسسات . ولهذا الوضع نتائج سلبية وعكسية . وحول هذا الموضوع نبدي بعض الملاحظات التالية :

أولا ــ من المسلم به لدى الجميع ان خطة الاستيراد والتوزيع للمؤسسات العامة تمثل جزءا من سياسة شاملة ومتكاملة ترمي الى تحقيق اهداف اقتصادية وصناعية واجتماعية وان بعض السلع التموينية والرئيسية والمواد الاولية تباع بأسعار اقل من الكلفة بكثير بينما تحدد أسعار باقي السلع لتحقيق وفورات تغطي الخسائر عن المواد الرئيسية والتموينية من جهة والباقي للاسهام في برامج التنمية والتصنيع ، ولا شك أن الجهد الذي تقوم به المؤسسات العامة جهد كبير وجبار .

ثانيا ــ يكفي أن نبين ان أكثر هذه المؤسسات تستورد كل منها سنويا بما كانت تبلغ اليه جميع استيرادات القطر السوري بكامله منذ اقل من عشر سنوات مضت . وفعلا نجد ان جميع هذه المؤسسات مرهقة وجهازها الفني لا يتكافأ ابدا مع حجم اعمالها . وعلى ضوء هاتين النقطتين نرى استحسان السماح للقطاع الخاص والمشترك بالقيام بعمل مماثل بل ومساعد لما تقوم به هذه المؤسسات . وحتى تبقى سياسة

الاستيراد والتوزيع على شمولها فلا مانع ان توضع ضريبة اضافيــة على مستوردي القطاع المشترك أو الخاص توازي المخصصات التي تخصص للتنمية وتغطية عجز الدعم المقررة في وضع تسعيرة هــذه المواد لدى المؤسسات العامة . وبهذا الاجراء نرى تحقيق ثلاث تسهيلات ضرورية دون المساس بالسياسة العامة للدولة وهي :

أولا ـ تخفيف العبء الكبير والمتزايد عن المؤسسات العامة .

ثانيا ـ تسهيل تواجد ووفرة هذه المواد .

ثالثا ـ نجد بهذا الاجراء الاسلوب الناجح لمعالجة الفوارق الكبيرة بين الاسعار الرسمية للبيع المعلنة من قبل المؤسسات العامة وبين الاسعار الحقيقية التي يدفعها المستهلك .

الزراعــة : بالنسبة للزراعة فان الدولة تعطيها أهمية كبيرة نظرا لما لهذا القطاع من الدور الاهم الذي يلعبه في تركيب القطر الاقتصادي والاجتماعي . والمهم في هــذا الموضوع هو ان العالم بأجمعه يتجه نحو اعطاء الزراعة ومنها للصناعات الزراعية كل الاهتمام نظرا لما يتنبأ للعالم من نقص كبير وخطر في المواد الزراعية الاولية . وسورية بالذات تتمتع بامكانيات مرموقة في هذا المجال ، وتؤمن بأن المردود الهامشي لكل جهد اضافي في هــذا الحقل يكاد يفوق كل مردود من اي جهد او توظيف او اهتمام بأي حقل آخر . والمهم ان نعي بأن العملية الزراعية لم تعد العملية البدائية والعفوية واللااعلامية التي كانت تعتبر بهــا بالسابق ، فالزراعة هي علم وفن واختصاص . والحكومة قد خطت خطوات كبيرة في جهودها باستصلاح الاراضي واقامة السدود وتأسيس الجمعيات التعاونية التي ستساهم في مضاعفة انتاج القطر الزراعية .

والملاحظة الوحيدة التي نود ان نبديها في هــذا المجال هي حول ضرورة توفير كامل المتممات والمشجعات المطلوبة لزيادة انتاجنا الزراعي وتحسينه . واذا كانت الجمعيات التعاونية قد لعبت دورا جيدا بهذا الاتجاه ، فاننا نجد أن خدماتها كانت اقل مما كان مأمولا منها . فالحقيقة ان المزارع يحتاج فيما يحتاج وقبل كل شيء الى ارشاد فني يشمل تحديد نوعية المزروعات الافضل للمنطقة المعنية وارشاده حول برنامج زمني للزرع والسقي والوقاية ومكافحة الآفات والحشرات وكذلك بالنسبة

للحصاد والقطاف والتعبئة . كما ان المزارع اصبح يحتاج اكثر فأكثر لمختلف الوائل الحديثة والفنية للزراعة والوقاية والحصاد والتوضيب ، هذه المعدات التي ليس بمقدور كل مزارع تهيئتها سواء كان ذلك بسبب تكلفتها الكبيرة أو عدم استغلالها استغلالا صحيحا نظرا لكون طاقتها اكبر من حاجته او بسبب عدم توفر الخبرة الفنية المطلوبة لتشغيلها .

واخيرا فان المزارع يحتاج الى البذار الافضل والسمادات والمبيدات ووسائل التعبئة بالاضافة الى التوجيه او حتى المساعدة في تسويق منتجاته ، ولكننا نرى ان الاعباء التي القيت على عاتق هذه الجمعيات تجاوزت هذه الحدود ، ونرى لو أن الجمعيات هذه قد اكتفت بمحاولة القيام بهذه المهمات بالذات ونجحت بها لكانت اصبحت كل من هذه الجمعيات نواة حقيقية لكل منطقة زراعية ومحور نشاطها ولاصبحت احدى اهم أسس التركيب الاجتماعي في الريف السوري ولتمكنت من استقطاب جميع هذه الفئات لتزيد من عدد اعضائها وبالتالي لتؤدي خدمة حقيقية واكثر فعالية للوطن . ولنأت على مثال واحد ، من المعلوم أن المحاصيل الزراعية اذا لم تسمد لا يمكن أن تعطي المحصول الجيد . والسماد أصبح أنواعا ، فهناك سماد يرش على الاوراق ويعطي اضعاف المحصول بالنسبة للسماد العضوي والكيماوي ، بالاضافة الى انه يوفر قدر قيمته ايادي عاملة ، ويسأل عنه المزارع فلا يجده ، فهو مفقود بالاسواق وحتى ان الزراعة لا تسمح باستيراده . هذه الامور يلزم أن تعالج من قبل خبراء .

واذا كانت عملية التصنيع وزيادة الانتاج بحجم يفوق الاستهلاك ضرورية ، فان تشجيع السياحة وتهيئة اسباب نجاحها وازدهارها لا تقل عنها اهمية . والسياحة اصبحت تشكل احد الموارد الرئيسية ومن أهم مصادر القطع الاجنبي للعديد من بلدان العالم . ومجرد التذكير بمداخيل ايطاليا واسبانيا أو حتى يوغسلافيا من السياحة يكفي لابراز اهميتها وضرورة تشجيعها وتنميتها .

وقانون التملك الاخير كان له آثاره السلبية أكثر من نجاحه بالحد من ارتفاع الاراضي الذي لاجله وجد هذا القانون بالاضافة الى ان كثيرين من المواطنين العرب والمغتربين السوريين احجموا عن شراء اراضي بسورية ولا سيما في مناطق الاصطياف

بالاضافة الى أن المواطنين السوريين توقفوا عن الشراء او البيع لانـه لا يوجد توظيف للاموال التي سيقبضونها عن أملاكهم وفضلوا بقاء الاراضي واكثـر اصحاب الاراضي الذين باعوا أراضيهم لا سيما الجرداء منهـا واستعاضوا عنهـا بتوظيف ما قبضـوه فـي البنـــاء .

امـا ازمـة السكن على الرغم من صدور القانون الاخير الذي ترك حرية الايجـار للابنية الجديدة لمـدة ٥ و ٧ سنوات فانـه لا يستفيد منهـا سوى الذي عنده امكانية الاستئجار بأسعار عالية ، فانه أصبح يجـد سكنا ، وأما أصحاب الدخل المحدود فمن الضروري أن يتملك بأسعار رخيصة وهذا لا يتوفر الا بايجاد مدينة سكنية جديـدة قريبة من العاصمة وتكون قيمة الاراضي رخيصة ونرى ان المنطقة الواقعـة شمـالي شرقي القابون الذي تمتد حتى شمال حرستا ودوما منطقة كبيرة جدا وهي لحفجبل وقريبة من العاصمة وتطل على مناظر الغوطة كما يطل حي المهاجرين وكما تطل مدينة المزة واسعارها لا تشكل شيء يذكر ، فاذا لم يباشر في احداث هـذه المدينـة سوف تتفاقم أزمة السكن طالما هناك زيادة بعدد السكان الذي نحن بحاجة اليه عكس الدول الاخرى لان مستقبل البلاد واضح مثل الشمس .

كمـا أن مجال جعل سوريا مركزا ماليا دوليا هاما ممكن وسهل وضروري جـدا الاهتمام به واصدار التشريعات اللازمة لايجاد جهـاز مصرفي منفصل ومستقل عـن الجهاز المصرفي الداخلي . وهنا نذكر بأن الودائـع المصرفيـة في لبنـان بلغت حوالي ١٦ مليـار ليرة سورية ، ويمكن اجتذاب اكثرها الى سورية ، ونذكر ان اكثر من نصف عجز انكلترا يغطي مـن مواردها مـن الاعمـال المصرفية والتأمينية التي تقـوم بهـا مؤسساتهـا فـي العـالم .

الاستيراد بالتسهيلات الائتمانية يعني دفع قيمة البضاعة مرتين :

واخيرا نجد أن سورية لا زالت تتبع نظام الاستيراد عن طريق ما يدعى بالتسهيلات الائتمانية لمـدة ثلاثمائة وستين يوما ، وهذا التدبير لا يتعدى كونه مكلفا ووهميا وغير حقيقي وكل ما يعنيه هو دفع قيمـة هذه البضاعة مرتين ودفـع ضعف كلفـة فتح الاعتمادات والعمولات بالاضافة الى حرمان سورية ومؤسساتها المصرفية مـن هـذه

العمولات . والحمد لله أن سورية تتبع سياسة واقعية ، لذلك لا يجوز لنظام الاستيراد بما يدعي بالتسهيلات الائتمانية أن يستمر لان هذه الوسيلة ليس بها أي فائدة أو مزية حقيقية تذكر ، بل على العكس ففيها كل الضرر ، حيث أنه من جهة أقل ما تعنيه هو زيادة النفقات والمصاريف بالاضافة الى انها أدت وتؤدي في العديد من الحالات لاضرار ومشاكل كثيرة يتحملها المستورد وهو مكره على أمره . فهو كثيرا ما يكون عاجزا عن معالجة هذه المشاكل بمفرده كما أنه ليس بمقدوره الجهر بها للاستعانه رسميا على تذليلها . ولو أنه تم تأسيس المصارف المقترحة والآنفة الذكر فسيصبح الاستغناء عن نظام التسهيلات أكثر سهولة ومتلازما مع تحويل جميع هذه الاعمال الى تلك المصارف الوطنية .

ويجدر الاشارة الى الازدحام الكبير والمرهق للاعصاب والمضر بالصحة في جميع الطرقات والشوارع وذلك نتيجة زيادة عدد السيارات العاملة في البلدة بشكل صاروخي خلال السنوات الاخيرة ، دون أن يلازمه زيادة متناسبة بالطرق والشوارع في المدن ودون ان يلازمه أي زيادة اطلاقا في بناء كراجات ومرائب يضاف الى ذلك زيادة مستمرة في اشغال الطرق في المدينة من قبل الباعة المتجولين ، وأصبح المواطن العادي ينظر الى هذه الظاهرة على أنها أهم مصادر القلق والانزعاج . لذلك نحث المسؤولين على ضرورة معالجة هذه الازمة التي تزداد تفاقما وتعقيدا يوما بعد يوم وذلك عن طريق اتمام الطرق والمعابر المرسومة بأقرب وقت بالاضافة الى تأسيس مرائب للسيارات وخاصة في المناطق التجارية واجبار كل بناء على تخصيص طابق سفلي لايواء السيارات وعلى تخصيص وتحديد الاماكن التي يسمح بها للباعةالمتجولين باشغال الطرق العامة ، كما ان نقل سوق الهال من قلب المدينة الى مقره الجديد سيساعد على تخفيف هذه الازمة والحد منها .

ومن ثم هناك أزمة التعقيد والتأخير والروتين لكل مواطن له اي علاقة او مطلب من اي دائرة او مؤسسة في الدولة ، فكم من وقت يهدر وأعصاب تتلف نتيجة لذلك . والامل ان تبدي اهتماما كافيا لقلب هذا النظام لتسهيل وتبسيط وتقصير مدةمعاملة او مطلب كل مواطن وذلك بتفويض صلاحيات تسيير الامور وتلبية طلب كل مواطن من قبل موظف واحد مختص ومسؤول عوضا عن ان تتوه كل معاملة في ممر طويل من الروتين والتواقيع والدراسات والمراجعات .

ازمة لبنان :

ازمة لبنان كان لها آثارها وانعكاساتها على الوضع الاقتصادي :

لا شك ان الازمة الاخيرة في لبنان الشقيق كان لها آثارها وانعكاساتها على الوضع الاقتصادي السوري . واذا كان البعض يظن أن بعض هذه الآثار والنتائج كان لصالح سورية ، فنحن نؤمن أن الاضرار التي لحقت بسورية وبالاقتصاد السوري تتعدى كل حد وتفوق كل تصور .

اولا ــ ان الالتزام السوري بدرء الخطر عن لبنان والسعي الحثيث لايجاد حل سلمي للازمة اللبنانية قد حمل ويحمل الخزينة السورية عبئا كبيرا جدا .

ثانيا ــ ان جزءا كبيرا من المنشآت والمؤسسات اللبنانية تعود للسوريين ، وما تدمير القسم الاكبر منها الا ضرر اصاب السوريين بقدر ما أصاب اللبنانيين .

ثالثا ــ ان العديد من النشاطات والفعاليات الاقتصادية اللبنانية كانت بيد السوريين ان لم تكن أكثرها بملكيتهم ، وتوقف هذه النشاطات يعني توقف مورد من اكبر موارد السوريين في الخارج .

رابعا ــ ان مبالغ ضخمة عائدة للسوريين كانت مودعة في لبنان والله وحده يعرف مصيرها .

خامسا ــ ان ما لا يقل عن ٣٠٠,٠٠٠ شخص سوري كان يكسب معيشته من عمله في لبنان ، فمن جهة حرم هؤلاء من مصادر معيشتهم ، كما وان سورية حرمت بما لا يقل عن مليار ليرة سورية كانت ترد لسورية عن طريق هؤلاء المواطنين المقيمين والعاملين في لبنان .

سادسا ــ فوق كل هذه الاضرار نجد أن ما تبقى من موجودات السوريين وسلمت او سلم جزء منها ولا زال هذا الجزء محافظا على قيمته السوقية السابقة ، فان قيمة ما تبقى يكون قد انخفض بحوالي ٤٠٪ هذه النسبة التي تعادل انخفاض قيمة الليرة اللبنانية بالمقارنة مع العملات العالمية نتيجة الازمة .

أما على الصعيد الداخلي فلقد كان للأزمة اللبنانية آثارها وانعكاساتها السلبية ايضا ، فلقد ازداد العبء التمويني وتفاقمت ازمة السكن والسير وتضاعف استهلاك الوقود والبترول . واذا كان البعض يرى ان هذه الحالة قد نشطت حركة الاسواق والبيع والشراء ، فاننا نرى أن هذه الحالة هي بالواقع كمن يلحس الدم على المبرد بلسانه ، لان جميع هذه الموارد نحن ندفع قيمتها بالقطع النادر ، واذا كنا نأمل مخلصين على ان تتكلل الجهود السورية الشريفة لحقن دماء الابرياء واعادة السلم والامن الى لبنان فما ذلك لحرصنا على تفادي المزيد من الاضرار المادية فقط ، بل لحرصنا وايماننا بأن أمن لبنان هو امن سورية وازدهارها هو ازدهارنا وبأن السلاح العربي يجب أن يوجه للعدو المتربص على الحدود وبأن على العرب ان يكونوا اكثر وعيا على احباط المؤامرات التي تحاك ضدهم وان يكونوا اكثر تصميما على توحيد الصف وشد الهمم لمعاركنا المشتركة ليس فقط ضد العدو على الحدود ، بل ايضا بمعركتنا ضد الاعداء الداخليين المتمثلة في محو الامية والجهل والفقر والعوز والمرض والتأخر .

واذا أتينا على ذكر الآثار المادية الملموسة على الاقتصاد السوري فان الخسارة هي مصابنا الاليم باخواننا واشقائنا واحبائنا وجيراننا واحبائنا في لبنان ، وفي هذا المصاب حرقة لا تطفأ ولوعة لا تنسى وجراح لا تدمل .

هذه الخواطر انما قصد منها القاء اضواء على بعض القضايا الهامة الواجب الاسراع بمعالجتها ضمانا لغد مشرق وامل باسم وثقة لا تتزعزع بهذا الوطن وعزيمة ابنائه .

دمشق في ١٩٧٦/٦/٢٧ — **بدر الدين الشلاح**

قصـة التبريـد في سـورية

قبل ان أختم القسم الاقتصادي من هذا الكتاب وبعد أن وصلنا في الطباعة الى هذا المكان تذكرت واقعة تتعلق بقصة شركات التبريد في سورية أحببت أن أذكرها للتاريخ .

في عام ١٩٤٢ وبعد دخول القوات البريطانية مع القوات الديغولية الى سورية لاخراج قوات حكومة فيشي من سورية ، توفر الدولار والجنيه الاسترليني بكميات كبيرة في سورية ، وبدأ عن طريقه استيراد البضائع بما يسمى (الكوتا) . وقد حصلت منافسة ما بين المرحوم السيد مسلم السيوفي رئيس الغرفة التجارية وبين اعضاء الشركة الخماسية التي كانت أعطيت حصة كبيرة من النقد الاجنبي استوردت بها الآلات وانشأت الشركة الخماسية للنسيج ، فأخذ السيد مسلم السيوفي بالمقابل مقدارا كبيرا من القطع وزعه على التجار الذين تأسست منهم شركة لاستيراد النسيج والخيوط . ومن حصيلة أرباح هذه الشركة المستوردة اسست شركة للتبريد وهي شركة مساهمة موزعة على ...ر٥٥ سهم . وكانت فكرته أن يبنى البراد على الساحتين الكبيرتين في سوق الهال القديم بخان الباشا ، وادخلت محافظة دمشق شريكة في هذه الشركة لقاء قيمة هذه الارض وأعطيت ربع الاسهم ، وكانت قيمة كل سهم (١٠٠) مئة ليرة سورية . غير أن المحافظة لم توافق على بناء البراد بسوق الهال مما اضطر الشركة لشراء أرض من بستان كائن جانب الجمارك بنت عليها معمل التبريد وفرن الخبز . اما على أرض المحافظة بسوق الهال فقد بنت القبو والمخازن وطابقا واحدا للمكاتب وفندقا ، ووصل سعر السهم في البورصة الى (١٤٠ ــ ١٥٠) ليرة سورية . ولكن عند تشغيل المخبز بدأت الخسارة تتوالى وصدر قانون الايجار لتخفيض الاجور فتوقفت الشركة عن توزيع الارباح ونزلت أسعار الاسهم الى (٣٦) ست وثلاثين ليرة للسهم في عام ١٩٥٢ ، وكانت للسيد جميل الالشي اسهم باعها في ذلك الوقت بثلاث وثلاثين ليرة سورية . وتصادف في هذا العام أن انتهت مدة مجلس الادارة ودعي المساهمون لانتخاب مجلس جديد ، وكانت هناك مزاحمة على الترشيح ، فكلفني المجلس القديم بترشيح نفسي للمجلس الجديد . واعتذرت لانني لا أملك

اسهما في الشركة المذكورة ، غير ان الانتخابات كانت قد انتهت ووضع مجلس الادارة اسمي في قائمة المرشحين ونجحت القائمة واصبحت عضــوا بمجلس الادارة . وهنـا اعتذرت مجددا لعدم ملكيتي اسهما في الشركة المذكورة ، غير انهم اصروا عليّ بقبـول العضوية ، وهكذا بقيت عضوا . وعندئذ بدات فقومت الشركة تقويما فعليا ووجدت ان الموجودات اكثر من راس المال فأوقفنـا المخبز لتوفـير الخسارة واجّرنـا المولد الكهربائي الى شركةالكهرباء بأجر قدره ٦ر٦ ليرةسورية للكيلو الساعي ، وهكذا انقلبت الخسارة الى ارباح . ثم اقترحت بيـع العقارات بسوق الهال لساكنيها اذ ليس من المعقول ان تؤجر الشركة العقارات بنسبة خمسة بالمئة وسبعة بالمئة وتدفع مصاريف الادارة والجباية فلا يبقى سوى ٢ بالمئة ، وقد تمت الموافقة على ذلـك ممـا اضطرنا الى اخـذ قرار بتصفية الشركة وبيع املاكها . وتم بيع المحلات الارضية بسوق الهال ووزعنـا قيمة المبـاع على اصحاب الاسهم وبلغت القيمة المعـادة لاصحاب الاسهـم (٣٣) ليرة سورية عن كل سهـم اضافة الى ١٢ لـيرة سورية عن كل سهـم كأربـاح وسعينا مع الوزارة لتقويم ما تبقى من الشركة من جديد وبلغ التقويم ٦٥ ليرة سورية لكل سهم . وكان للشركة معمل جليد (بوظ) كان انتاجـه الف لوح يوميا وسّعنـاه وصار ينتج اربعة اضعاف ما كان ينتجه في السابق ، وبهذه المناسبة اقول انـه لم يكن في دمشق سوىثلاثة معامل صغيرة للجليد احدها في زقاق الصخر والآخر في مسجـد الاقصاب والثالث في شارع بين الحواصل أمام جامع المعلق وكان يملكه التاجر الكبـير طلعت جبري .

هـذه قصة شركة التبريد السابقة ، وبهذه المناسبة اذكر للقراء كيف كانتالمدينة توفر التبريد قبل هـذه المـدة وقبل المعامل الكثيرة التي اسست فيما بعد وصـارت تؤمن التبريد على نطـاق واسع .

قصـــة الثلـج والتبريـد

قبل ان توجـد البرادات الحديثة المنزلية وشركات التبريد التـي تحفظ المآكل والاطعمة ، كانت بلادنـا قـد وجدت حلا لمشكلة حفظ الاطعمـة قائما على البسـاطـة وتجنيـد الطبيعة لخدمة الانسان ، مما يحقق الوفر والفائدة والنظافة .

فالمـاء يحفظ في اوعية فخارية اذا وضعت في الهواء برّدها الهـواء ، وكانت لهـا اسمـاء بحسب حجمها والبلد الذي يصنعها ، وهي اما من الفضار الاحمر الذي يصنع على ايدي صناع مهرة يسمى واحدهم (الفواخيري) ومن ذلك حي (الفواخير) الذي كان يلتقي فيه الكثير منهم في اول المهاجرين ، وبعض هذه الجرار يشوى وبعضها يجفف في الشمس.

والاطعمة كانت تحفظ على طبق يعلق في الهواء في سقف الغرفة ، ثـم اوجـدت خزائن يتخللها الهواء ولا يمر فيها لا النمـل ولا الحشرات وتسمى واحدتهـا لذلـك (نمليـة) ويحفظ فيها الطعام من الفسـاد .

امـا الاشربة التي تحتـاج الى تبريد مثـل عرق السوس والتمر هنـدي واللبن العيران فكانت تمزج من اجل تبريدها بالواح من الثلج الطبيعي الذي يخزنه الفلاحون في الجبال العالية المثلجة في نوع من الابنية لـه جدران حجرية سميكة . وكـان مـن المعروف أن الثلجة الثالثة من كل عـام هي التي يحفظ ثلجها ، وكان المثـل المعروف يقول اول ثلجة سم والثانية دم والثالثة كول (اي تستطيع اكلها) ولا تنهم . . . وهذا القول سببه في الواقع أن الشعب تعلم بالتجربة أن الثلجة الاولى تنزل معها ما في الجو من دخان وغبـار ، وكذلك الثانية ، اما الثالثة فيكون الجو فيها نقيا والثلـج كذلـك فيصبح من الممكن جمعه ورصّه بالضغط عليه حتى لا تبقى فيه مسـام يتخللها الهـواء ويؤدي الى الذوبان . وعندما ياتي فصل الحر تقتطع من هذا الثلج قطـع مثـل الواح الجليد وتباع في الاسواق ، وكانت تسمى بالسويق ، وهي كلمة عربية قديمة ، وينادي الباعة على هذا الثلج بقولهم كول من السويق ولكن تدغم حروفها فيشبه صوتيا قولهم (هومناسوي) وكان من المالوف ان يشتري الثلج ويخلط بالدبس وهو يعطي طعما طيبا وباردا.

وياتي حفظ الفواكه ، فالعنب الحلواني وهو قوي ومقاوم يقطف وتغط عناقيـده بمحلول من تراب احمر من ارض عين ترما وتجف فتحفظ العناقيد لعدم اتصالها بالهواء فاذا اريـد اكلها بعد اشهر (وخلال ثلاثة اشهر) غسلت فبقي العنقود سليما .

أما التفـاح والاجاص والسفرجل فالنـوع الشتوي منهـا يحفظ في غـرف باردة ومستودعات خاصـة ، وينزل الى الاسواق بعد انتهاء الموسم .

وكل هـذا كان دون نفقـات كبـيرة لشراء البرادات المنزلية والفريزرات وقبـل انشـاء شركـات التبريـد .

شخصيات اقتصادية عربيـــة

في هــذا الكتاب قصرت الحديث على عــدد محدود من رجال السياسة ورجــال الاقتصــاد والعاملين في الحقل الاجتماعي ، وأشعر في هذا المجال بأنني وقعت في احراج شـديد . فاذا شئت أن اذكر كل النابهين الذين تشرفت بمعرفتهم ولقائهم والتعــامل معهم في نحــو سبعين ســنـــة من العمل الواعي فان كتابي سيتحول الى سجل للاعلام في معظم سنوات هذا القرن ، وهو أمر لا تسعف به الذاكرة ويضيق عنــه المجال كمــا يخرج عــن الخط الذي وضعته لهذا الكتاب ، وهو خط جامع ولكنه ليس مانعا ، فيه المفيـــد ولكن ليس فيه كل الضروري ، وما جمع انسان فأوعى .

لقـــد تشرفت بلقـــاء معظم الرؤساء والملوك العرب وعدد من الرؤسا الاجانب ، وسعدت بلقـــاء معظم رؤساء الحكومات العربية وفي الجمهورية العربيةالسورية وعملت مــع أكثرهم ومــع معظم الوزراء في مختلف المجالات ، وما منهم واحد الا وكان يمــلأ مركزه ويملــك من الذكاء والمعرفة والحكمة ما يستحق التقدير . وجمعتني الاعمــال اليومية واللقاءات والتعامل وقيامي بالوساطات المجدية لحل المشاكل وايصال النــاس الى حقوقهم بعدد لا يحصى من الموظفين الكبار والقضاة والمحامين والاطباء والمهندسين وغيرهم من رجــال المهن الحرة . والتجار كانوا زملائي وخلطائي وتعاملت معهم في كل يــوم وكل ساعة ، ومن كان مثلي محبا للناس يقــدر مزاياهــم ومواهبهم ويتركز على الجانب الطيب في كل واحد منهم يشعر بأنهم جميعا جديرون بأن يخصص لهــم مكان في المذكرات بقدر ما كان لهم من مكان في حياتي .

ولم أجد مخرجا من هــذا الموقف الا بأن أقدم اعتذاري جملة لكل هذهالشخصيات الماجدة والفعالة والمؤثرة ، واذا ذكرت بعضهم من أعضاء اتحاد الغرف العربية فان كل واحد منهم يعتبر رمزا لبقية اخوانه وزملائه على الساحة العربية . واذا كان مجرى الحديث قد حملني على ذكر بعض الاخوة المواطنين دون سواهــم فانني أعلن للآخرين حبي وتقديري وأقــدم اعتذاري . ولعــل الله تعالى يسعف بالعمر والصحــة فاكتب كتابا آخر اخصصه للتوسع وذكر الآخرين ولا سيما الاخوة السوريون لاعطيهم حقهم بما لهم من مكانة وتأثير وفضل في الحياة العامة .

الشيخ يوسف ياسين

من الشخصيات التي أعتز بمعرفتها الشيخ يوسف ياسين الذي شغل اعلى المناصب في المملكة العربية السعودية . وقد زادت معرفتنا توطيدا حين انعقدت أواصر المصاهرة بيننا وبينه وكان موقفه في أعلى درجات النبالة والشهامة والترفع والخلق الانساني العربي . وقد دامت بيننا الزيارات والعلاقات مدة طويلة . وفي ذات مرة قدم الى دمشق فأقمنا مأدبة على شرفه في مزرعة العدمل حضرها مائة وعشرون مدعواً من كبار الشخصيات في عام ١٩٥٧ بينهم رئيس المجلس النيابي الدكتور ناظم القدسي ورئيس مجلس الوزراء الاستاذ صبري العسلي والنواب البارزون وقادة الجيش واعضاء المجلس البلدي ومجلس الاوقاف ، وقد طاف مع المدعوين بالسيارة في ارجاء المزرعة وابدى اعجابه بحسن التنظيم والتنسيق فيها وفي طرقاتها المنظمة .

وكنت حين ازور المملكة العربية السعودية انزل في بعض الزيارات ضيفا عليه ويضع تحت تصرفي سيارته ويؤمن جميع التسهيلات اللازمة للطواف والسعي والقيام بالشعائر .

واذكر انني وصلت مرة الى عرفات وكانت موجة الحر شديدة وبدأ الحجاج يتساقطون صرعى بضربة الشمس وشهدت اكثر من مئتين وخمسين ميتا ينقلون امامي الى المستوصف خلال ساعة واحدة ، وعلى الأثر أرسل الشيخ يوسف ياسين سيارة اسعاف من وزارة الصحة لتقلني الى المخيم بالمزدلفة وكان بوقها يفتح لنا الطريق حتى نسرع ولا نتأخر .

وقد توفي الى رحمة الله عام ١٩٦٢ .

السيد عبد العزيز الصقر

من الشخصيات النادرة التي تعرفت عليها السيد عبد العزيز الصقر الذي كان رئيسا لغرفة تجارة وصناعة الكويت منذ عام ١٩٥٩ وحتى الآن ، بالاضافة الى نشاطه الكبير والفعال في عالم التجارة والصناعة . ولقد كانت حياته حافلة بالعمل الدؤوب المستمر في خدمة المجتمع والوطن ، كما تبوأ مناصب رفيعة كثيرة اذكر منها عضوية المجلس التأسيسي ووزارة الصحة ورئاسة مجلس الامة في دولة الكويت ورئاسة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي .

وكان له نشاط بارز جدا في اتحاد الغرف التجارية والصناعية العربية في جميع مؤتمراتها ومجالسها ونال من الجميع اعلى ما يبلغه التقدير .

وقد اقيمت له حفلة تكريمية في الكويت دعي اليها عدد كبير من اصدقائه واحبابه في العالم العربي وحضرها كبار رجالات الكويت وكنت انا بين المدعوين وقد كانت كلمته في الاحتفال جامعة اكتفي بأن اقتطف منها الفقرة التالية :

(لقد علمتني الحياة انه ليس عن الوقت من بديل فطريق النجاح في معظم الاحيان موحشة طويلة . ومن الخطأ ايها الشباب ان تحاولوا اختصارها بسلوك دروب غير مشروعة متعرجة المسالك مظلمة الانفاق لانكم اذا مشيتم في هذه الدروب مرة صعبت عليكم العودة الى الطريق السوية وتولدت في نفوسكم سموم من القلق والضياع لم يجد العلم ترياقاً لها ولن يجد . وكلنا نعرف اشخاصا سلكوا تلك الدروب السهلة القصيرة فملكوا المال بسرعة ثم قضوا حياتهم ينفقون ما جمعوا لابتياع ما لا يشترى بمال ، وهو حياة الامن والسلام مع الخالق والخلق والضمير !) .

لقد جاءت هذه الكلمة في سبع صفحات كلها دروس وعبر . كما اذكر فقرتين من كلمة القاها في الدورة الثلاثين لمؤتمر الغرف العربية المنعقد في دمشق بتاريخ ١٩٨٨/٤/٧ حيث قال :

(نجتمع اليوم في دمشق أول عواصم التاريخ عراقة وأول عواصم العروبة وحدة وأصالة ، حاضرة الامويين التي يحتضن ترابها ابن الوليد وصلاح الدين ، وعاصمة سورية الحديثة أصلب العرب صمودا في وجه التحدي الاسرائيلي ، والتي حلق من

اجوائها النسر الفلسطيني لينقض كالقدر على معسكر الذئاب مفجرا ثورة اطفال الحجارة ، اطفال اطول من العمالقة شموخا واروع من فوح الدم شهادة وحجارة اغلى من الالماس ثمنا وانبل من النبل هدفا) . . .

ويسعدني ان يكون اصدر عن نشاطه وحياته كتابا رائعا ممتعا هيهات منه كل كتاب .

الشيخ اسماعيل ابو داود

الشيخ اسماعيل ابو داود ، هذا الصديق والاخ والزميل في اتحاد غرف التجارة العربية والاسلامية والمشتركة ، يمثل تمثيلا صادقا جيلا من رجال الاعمال العرب الذين كافحوا ونجحوا وعملوا فأفلحوا من بداية بسيطة الى مجد كبير ، سواء في الثروة او الاسم او الاخلاق . والشيخ اسماعيل يتميز بأخلاقه الكريمة ، وثروته لم تغير من تواضعه ، ومركزه الرفيع لم يثنه عن خدمة أهله وحرفته ووطنه ودينه ، انه نجم ساطع في عالم الصناعة والتجارة في المملكة العربية السعودية ، وقائد وقاد الذهن والعزيمة في غرفة التجارة والصناعة في جدة ، وقد ارتقى بهذه الغرفة من خلال رئاسته لها لمدة جاوزت العشرين عاما من غرفة متواضعة الى ان اصبحت مؤسسة متألقة في خدمة الاقتصاد السعودي ورائدة في دعم رجال الاعمال هناك .

ولقد قمنا سوية ، ومعنا ابناء ذلك الجيل من رجال الاعمال ، بتطوير وترسيخ مفهوم العمل العربي المشترك نظرية وممارسة ، وسعينا لإبعاد هذا العمل عن العلاقات الآنية التي تربط مختلف الاقطار العربية بعضها مع بعض لاعتقادنا ان هذه العلاقات اذا اكتنفها وهن او غيوم فهي لا تكون الا سحابة صيف عابرة لا تلبث ان تزول ويعود الاشقاء الى التلاقي والتعاون والتآزر .

ولا يفوتني ان اذكر الجهود الكبيرة والمضنية التي بذلها اخي الشيخ اسماعيل في سبيل تأسيس وانشاء الغرف الاسلامية رغم ما لقيناه من متاعب ومصاعب في هذا المضمار .

اننا نمثل الآن شيوخ هذه الغرف وقداماها كبار السن ، وكل ما نرجوه هو ان نكون قد وفقنا بان نترك هذه المؤسسات لمن يأتي بعدنا وهي مهيأة للقيام بكل عمل مطلوب في طريق الوحدة والتعاون والتآزر .

الدكتـــور عبـــد الله دحـــلان

من نعم الله تعالى على عبده كاتب هــذه السطور ، انني اتعرف حيثما حللت على اناس من كرام الرجال سمَت بهم الفضائل وتمثلت العراقة والاصالــة . ويسرني ان انوه بالاخ الدكتور عبد الله دحلان المدير العام للغرفة التجارية ـ الصناعية في جـدة ، وينتمي الى اسرة شرّفها الله بالانتساب الى الرسول محمد صلى الله عليه وسلـم ، واشتهر افرادهـا بالعلم ونباهة الذكر وعلو المراكز .

شغل والده الاستاذ صادق دحلان اكبر منصب شرعي في القضاء ، وفي صبيحـة يوم مبارك صليت الفجر في حرم مكة ثم توجهت الى داره وكان جالسا بعد الصـلاة ، فعرفته على نفسي واخذنا نتبادل الحديث عن الحياة وتربية الابنـاء ، فعلمت ان لـه منهم خمسة من الذكور واربع اناث ، وان تعليم الذكور لـم يكلفه شيئا لانهـم كانـوا خلال عطلـة المدارس يقومون باعمال حرة ويدخرون ما يكسبونه للانفاق على دراستهم وعندما يحصل واحدهم على الشهادة الثانوية يعمل موظفا ويجمـع رواتبـه لتأمـين نفقات الدراسات العليـا في الخارج ، وبعد التخرج يتولون مناصب عليـة ويجمعون ثـروات كبـيرة .

يدير الدكتور عبد الله دحلان الغرفة التجارية ـ الصناعية في جدة وللمقارنة علمت ان رواتبه الشهرية تصل الى ٣٥ الف ريال قبل خمس سنوات ، ومع ذلك فان اشقاءه يحصلون على دخل اكبر بكثير ، وهم ربيع البالغ من العمر ٤١ عامـا ويحمل شهـادة دكتوراه الاعمال من الولايات المتحدة الامريكية وقد شغل منصب المدير العـام للهاتف في المنطقة الجنوبية ونفذ احدث شبكة هاتف في العالم العربي ، وفي هـذا العام استلم منصب معاون امارة مكة ، وانشأ جامعا في جدة على نفقته . والثالث سمير البالغ من العمر ٣٩ عاما ويحمل شهادة ماجستير في ادارة الاعمال ، وهو الآن مدير شركة بـدر للاتصالات السلكية واللاسلكية ، والرابع هو عمـاد وعمره ٣١ عاما ويحمـل شهادتي ماجستير الاولى في ادارة الاعمال والثانية في الهندسة المدنية ، وقد استلم اخيرا ادارة معرض جدة العائد لغرفة التجارة والصناعة ، والابن الخامس وعمره ٢٥ عاما ويعمـل مهندسا ويحمل شهادة ماجستير في الهندسة المعمارية من الولايات المتحدة الامريكية.

واعود الى الدكتور عبد الله دحلان الامين العام لغرفة تجارة وصناعة جدة ، وقد لمست كيف يدير الغرفة ادارة حكيمة ويشرف على حوالي مائة وثلاثين موظفا بينهم حملة ماجستير وبكالوريوس وبينهم حملة شهادات متوسطة .

ويكنّ الدكتور عبد الله دحلان احتراما عظيما للاخ الشيخ اسماعيل ابو داوود ويعتبره والدا ثانيا له ، ويشيد بتوجيهاته أمام الجميع .

رجال كرام في غرفة تجارة وصناعة جدة

هذا وان غرفة تجارة وصناعة جدة اول غرفة تأسست في عهد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، وقد تراسها اولا السيد عبد الله علي رضا ، ثم تولى رئاستها الشيخ محمد العوض الذي اصبح وزيرا للتجارة في عام ١٩٧١ للميلاد ، وخلفه الرئيس الحالي الشيخ اسماعيل ابو داوود صاحب الفضل في تأسيس مقرها الضخم ، بعد ان حصل على معونة من المغفور له الملك فيصل واشترى الارض اللازمة لبناء هذا المقر في شارع الميناء في شهر محرم من عام ١٣٩٢ للهجرة .

السيد جمعه الماجد

بفضل من الله حالفني الحظ بالتعرف على نخبة من أفاضل التجار في امارة دبي ، ولمست من شمائلهم ومكارمهم ما يستحق التنويه في هذه المذكرات التي اسجل فيها مشاهداتي في هذا العالم ، تحدثاً بنعم الله تعالى .

ابدا بالصديق الكريم الاخ جمعة الماجد الذي كان وما زال من كبار تجار دبي حتى زمننا هذا وارجح انني تعرفت عليه في عام ١٩٧٣ هناك ، واستمعت منه الى قصة حياته التي تعتبر من اعجب قصص النجاح . لقد بدأ حياته العملية براسمال لا يزيد عن ثمانمائة روبية اخذها من خاله (والد السيدين سيف وعبد الله الغرير التاجرين الكبيرين) ، ويكنّ الاخ جمعة الماجد لخاله هذا كل الاحترام والمحبة ويذكره بالخير وقد انتقل الى رحمة الله منذ سنوات .

اذكر للأخ جمعة الماجد انه تبرع بمائتي الف ليرة سورية للمستشفى الذي تبنيه جمعية مكافحة السرطان التي يراسها السيد عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء السابق ، كان ذلك في عام ١٩٧٨ وكان سعر الدولار آنذاك اربع ليرات سورية تقريبا،

أي ان المبالغ المتبرع به يعادل خمسين الف دولار ، وطلب ان يخصص باسمه طابق في المستشفى المذكـور .

لم أقبل قبض هـذا المبلغ آنذاك إلا بعـد موافقة السيـد وزير العمل والشؤون الاجتماعية سيادة الاستاذ يوسف جعيداني نظرا لأن القانون يمنع قبض تبرعات لأي جمعية خيرية دون موافقـة الوزارة المختصة ، واني احمل الموافقـة مع تاريخها حتى لا أكون مسـؤولا عن المبلغ الذي سلّم الى الجمعية .

اعود الى السيد جمعةالماجد واذكر انني زرته في دبي اكثر من عشر مرات ، واطلعت على اعماله الواسعة . بدأ الرجل بثمانمائة روبية ـ ولـم يكن الدرهـم قـد استعمل آنـذاك ـ أما الآن فان ثروته يصعب حصرها .

حسب خبرتي لا يمكن تقـدير ثروة انسان ، والعادة ان حصر ثروة شخص مـا يحدث اذا كان مدينا ، في هذه الحالة يجري تحديد املاكـه وراسماله وتقدير عملـه التجاري وحصر موجوداته .

اما الاخ جمعة الماجد فلا يمكن حصر ثروته ، وعندما اطلعت على محلاته شاهـدت مستودعات تزيد موجوداتها عن عشرة أضعاف ما في مستودعات جمارك الدولة ، هناك مستودع خـاص للسجـاد ، ومستودع للتجهيزات الكهربائيـة ، ومستودع للأوانـي الصينية ، ومستودع للبرادي ، ومستودعات لاصناف اخرى ، كل مستودع تدخلـه اكبر سيارة فتفرغ حمولتها وتعبـأ ثم تخرج ، ولـه محل خاص للساعات اذ أنه وكيل ماركتين مشهورتين من الساعات اليابانية احداهمـا سيتيزن وعلمت أن مبيعاته مـن الساعات كبيرة ، وقـد اكتسح السوق السعودية بها رغم أنـه ليس سعودياً ، وليـس لـه مستودع في السعودية اضافة الى وكالتين للسيارات وفروع في امارة الشارقه .

ومن اعماله مخبز حديث تصنع فيه كل انواع الخبز والكعك والكاتو والحلوى ، ويتبعه سوق خاص لبيع هذه المنتجات فيه أكثر من عشرين دكانا ، وتزيـد مساحته عـن ثمانمائة متـر مربـع ، اضافـة الى سيـارات للتوزيـع على الاسواق والزبائن في تنظيـم رائـع .

من مآثر الاخ جمعة الماجد انه انشأ منذ اربع سنوات مدرسة لتعليم أولاد وبنـات

الموظفين تضم ألف طالب وألف طالبة ، فيها ساحتان كبيرتان ، كل منهما مساحتها عشرة الاف متر مربع ، وقد اقيمت منشآتها على افضل طراز ، يعمل بها أساتذة محترمون ، خدمة للموظفين الاجانب ذوي الرواتب المحدودة والمثبتين ، مقابل رسم يقل عن الكلفة لتدريس ابنائهم في دبي ، حيث لا يمكن قبولهم في مدارس الدولة لانهم اجانب ، وهناك مدارس أجنبية ولكن أجورها مرتفعة جدا ، لا يحتملها الموظف .

كما انشأ جمعة الماجد كلية جامعية فيها تدريس منفصل لكل من الذكور والاناث ، ويعمل بها موظفون ذوو مؤهلات من الاقطار العربية ، وشيدت فيها مكتبة عظيمة لا تقدر بثمن قد طلب مني جمعة الماجد أن أساعده في تامين مدير لها كان مديرا للكلية الشريعة في دمشق ، وقد رجوت الدكتور كمال شرف وزير التعليم العالي آنذاك اعارتنا المدير المذكور وقد تم ذلك ، فبعد ثلاثة اشهر زرت جمعة الماجد في دبي فوجدت عنده المدير المطلوب نفسه الذي توسطت لنقله من دمشق ، وقد فرحت لذلك جدا ، وهذا الرجل اكرمه الله لانه انسان ممتاز عرفته عندما كنت عضوا في لجنة شكلها السيد وزير الاوقاف لادارة العقارات الموقوفة على جامع العثمان وعلى مشروع كلية ومستوصف اقيما بجوار الجامع المذكور ، ونعمل الآن بتشجيع السيد عبد المجيد الطرابلسي وزير الاوقاف الحالي حفظه الله واكثر من امثاله لانجاز هذين المشروعين .

اذكر ان جمعة الماجد جاء الى دمشق مرة ، واشتريت له مكتبة ثمينة بمائة الف ليرة سورية مع خزائنها المصنوعة من الموزاييك الجيد ومعها طاولات ومقاعد ، وحصلت على موافقة الجهة المختصة لنقلها الى دبي ، وقمنا بتعبئتها وشحنها الى هناك ، وعندما زرت جمعة الماجد رأيت البناء الخاص الذي اقامه بجوار منزله لهذه المكتبة ، وجلب لها المزيد من الكتب وعين لها موظفين ، وخصصها للمطالعة والاعارة ليستفيد منها الطلاب ، انها عمل يستحق كل احترام وتقدير .

الحق يقال ، لقد وصل الاخ جمعة الماجد الى مكانة رفيعة يستحقها ، انه مثال للكرم والشهامة ذو عقل راجح وآراء ناضجة توليه الدولة كامل ثقتها ، وله شعبية ملموسة .

مما يجدر ذكره انه كان كل عام في شهر رمضان يبعث مبالغ كبيرة الى سورية وباقي الاقطار الاسلامية لتوزيعها على الفقراء ، ولا يتأخر ابدا عن ارسالها .

اذكر انني اشتريت منزلا للسيد جمعة الماجد في مصيف الزبداني ، واصلحناه ولكنه لا يحتوي على أكثر من خمس غرف في طابقين ، ولا يمكن مقارنته بقصره في دبي ، اقام فيه أربع سنوات ، والواقع انه كان مسرورا بوفرة المياه العذبة والفواكه والخضار والمناظر الجميلة التي تتراءى من الاطلالة على سهل الزبداني ، الا أن خدمات الاتصال لم تكن متوفرة ، والرجل له أعمال كبيرة في الهند وأمريكا والباكستان وكان مضطرا للاتصال مع وكلائه العديدين بينما لم تكن الخطوط الهاتفية متوفرة في مصيف الزبداني ، واضطر الى تركه وبعد ذلك باعه وهو فيدبي دون استشارتي لاحد الشيوخ .

بصراحة اقول لو كانت الخدمات الحديثة متوفرة في مصيف الزبداني لكل المصطافين لاصبح المصيف المفضل لأهل الخليج ، ولكانت لهم منطقة خاصة بهم ، فهم يفضلون مناطقنا لما فيها من راحة للنفس وهواء عليل ومجتمع متدين محافظ يتفق مع مزاجهم ، ولكن أين الخدمات .

أعود الى جمعة الماجد ، لو تكلمت ساعات عنه ما وفيت بحقه ، له ولد واحد اتم تدريسه في الولايات المتحدة الامريكية وعاد بالشهادة فوضعه في وظيفة تابعة لأحد موظفيه حتى لا يتعالى على الناس ، ولكي يتمرن من البداية ويصبح لائقا ومؤهلا لاستلام الادارة .

وفي يوم ١٩٨٧/١/١٥ زوج جمعة الماجد كريمته هنا للشيخ سعود ابن الشيخ صقر القاسمي ابن أمير راس الخيمة ، وتم الزفاف في احتفال فخم بأكبر فندق في دبي ، وقد تلقيت دعوة لحضور هذا العرس تشمل ستة اشخاص ، وذهبت اليها ومعي حرمي أم راتب وولدي الدكتور سليم وزوجته ، وابن أخي الدكتور موفق وزوجته ، وكانت الدعوة مقرونة بست بطاقات من الدرجة الاولى لركوب الطائرة ، ومكثنا هناك خمسة ايام أو ستة وكان احتفالا ممتازا تعرفنا خلاله على شخصيات عديدة .

وانتهزنا فرصة وجود معرض صيني هناك فاشترينا مجموعة من السجاد والاثاث وزعت على ابنائي .

وكانت زيارة ممتعة لا تنسى لدبي ، وتولت عائلتي نقل أحرّ الشكر الى عائلة المضيف الكريم رعاه الله .

سيف الفرير وعبد الله الفرير

في هــذا العــام اقلقني حفيدي زكي ابن ولدي محمد ، لانــه لــم ينجح في فحص الشهادة الثانوية رغم محاولاتنا ، فأرسله والده الى جده ولم أكن مرتاحا لذلك ، بــل فضلت ارساله الى الخليج حيث توجد رقابة عائلية ، فهناك يقيم السيد خلدون الرملي زوج ابنتي الذي يمكن أن يشرف عليه ، وقد طلبت من الاخ العزيز السيد سيف الفرير تشغيل حفيدي في محلاته كموظف ، اجابني عبد الله : لا أقبل هذا ابدا ، حفيد بدر الدين الشلاح يعمل موظفا عندي ، اذا اعتمدت أنا اسلمه محلا من محلاتي يمارس فيه البيع والشراء ، ولا يكون تابعا لأحد تكريما لمقامك ، اتركه لي وان شاء الله في ظرف أسبوع تصلك الاقامة ، وبالفعل جاءت الاقامة ولكن والد زكي وظفه عند الاخ جمعــة الماجــد واستقر هناك وكان مرتاحا ، اما أنا فأفضل راي الاخ عبد الله الفرير الذي أعد له محلا بلا فروغ ولا اجر وهذا فضل كبير ، قدّرني الله على مكافأته والوفاء بجميله .

وفي أحد الاعوام زارنــا في مصيف الزبداني السادة جمعة الماجد وسيف وعبد الله الفرير وقضوا يوما طيبا في هذه المنطقة وكان سرورهم بالغا . وقد دعوتهم للمبيت في منزلي فلم يقبلوا بل ذهبوا الى بلودان وبعد ساعتين عادوا إليّ وقالوا أنهم سينزلون الى دمشق لانهم لــم يجدوا غرفة في الفندق ، وهنــا اتصلت مــع المرحوم توفيــق الحبوباتي وقلت لــه هؤلاء ضيوفنا ولا بد من تأمين مبيتهم ، فاستدعى موظفي الفندق وامرهم باخلاء غرف لهم مهما كلف الامر فتم ذلك وباتوا مسرورين ومكثوا أسبوعا .

وفي هــذه الاثناء جرت محادثات بينهم وبين السيد عبد الله الخاني وزير السياحة آنذاك بشأن انشاء فندق هيلتون في دمشق على أرض حديقة المنشية القديمــة ، وتم فعلا استملاك تيراس مجاور لمبنى مدرسة التجهيز لاقامة الفندق المذكــور ، واعــدت أوراق رسميــة بهذا الاتفاق على أن يعودوا من دبي للبدء بالتنفيذ .

وبعد ذهابهم الى دبي طرأ عليهم التردد وآل بهم الامر الى الغــاء الاتفاق وتحويل الاموال الى مشاريع اخرى ، واعتقد أن هــذا المشروع لو نفذ لاصاب نجاحا كبــيرا ، ويدل واقع التجربة على أن الاشخاص الذين اشتغلوا باقامة الفنادق في سورية منــذ

ذلك التاريخ أصبحوا في مستوى عالٍ من النجاح والثروة نظرا لان المشاريع الفندقية تعفى من الضرائب سبع سنوات ، والمواد المستوردة لها تعفى من الرسوم الجمركية .

وانتقل الى السيدين سيف وعبدالله الفرير ولدي خال جمعة الماجد . فهما اقتصاديان كبيران ورجلا أعمال معروفان بالثراء ورجاحة العقل وكرم الاخلاق ، وكنت قد اشتريت في الزبداني دارا للاول وارضا لشقيقه ليعمرها متى شاء ، وكان الشقيقان الكريمان على وشك المشاركة في بناء فندق هيلتون في دمشق بالاتفاق مع وزارة السياحة ، ثم عدلا عن ذلك ووظفا المال في اقامة بناء ضخم في دبي زادت تكاليفه عن ٥٠٠ مليون دولار ، ويشتمل الطابقان الاولان من هذا البناء على أسواق تضم عددا من الدكاكين تزيد على نصف عدد محلات سوق الحميدية على مستوى عالٍ ، وخصص الطابق الثالث لالعاب الاطفال وتسلية زبائن الاسواق والزوار ، وخصص طابق آخر بكامله مرآبا يتسع لمائة سيارة ، اضافة الى المرآب الارضي الذي يتسع لمائتي سيارة، وهناك ستة طوابق للسكن في كل منها عشرون شقة على احدث طراز .

ولاحظت أن اكثر من عشرة محلات في السوق يشغلها سوريون ، منهم محمد الصمادي الذي في حوزته أربعة محلات .

يملك سيف وعبد الله الفرير ايضا المعمل الوحيد للاسمنت في دبي ، ولهما ايضا مطحنة حديثة ومستودعات حبوب تسحب من البواخر الشاحنة وتخزن الحبوب وبعد طحنها توزع في البلد ، ولديهما ايضا معمل الومنيوم ذو انتاج كبير .

لهما ايضا مصرف كبير هو مصرف عمان له فروع في باكستان ومسقط والامارات وفي مصرف دبي توجد ترتيبات حديثة لقبض المال من الحسابات حتى في الليل ، فيأتي صاحب الحاجة ومعه الاشارة والمفتاح الخاص الذي يفتح كوة فتبرز بطاقة تذكر رصيده وبكبسة زر يطلب المبلغ الذي يشاء وسرعان ما يبرز المبلغ المطلوب ، وبذلك تستطيع الحصول على حاجتك الطارئة من المال في اي وقت ، وحتى في منتصف الليل دون أن يكون هناك موظفون للقيام بهذه الخدمة ، وهذا نوع متطور وممتاز من الخدمات المصرفية يستحق التنويه .

ذكرت بعض ما أعرفه عن الشيخ جمعة الماجد والسيدين سيف وعبد الله

الفرير ، واذا كنت أشرت الى ثروتهم فلأبين كيف أصبحوا من اعلام ونجوم رجال الاعمال في العالم العربي ، وكيف يمكن للعرب أن يديروا مؤسسات دولية بحجمها وفعاليتها بنجاح وتألق . ولم تتأثر اخلاقهم الحميدة بالثروة وبقوا على زهدهم وطيبهم وكرمهم ومتابعة الاعمال الخيرية والعلمية والاجتماعية ، بارك الله لنا في أمثالهم . .

الحاج محمد علي بدير

ومن الشخصيات التي اعتز بها ومزاملتها والتعاون معها الاستاذ محمد علي بدير رجل الاعمال الاول في المملكة الاردنية الهاشمية . فهو التاجر الكبير ، وهو الصناعي المتميز ، وهو صاحب البصمات الواضحة في ميدان الواقع العملي في العديد من المؤسسات الاقتصادية التي انشئت وكان نواة النهضة الصناعية في عمان . فهو رئيس المجلس للعديد من الشركات الصناعية والخدمات العامة كالكهرباء ، كما انه كان عميد التجار ورجال الاعمال وبنفس الوقت المستشار للمسؤولين ورجال الدولة ، وتقديرا لكل ما عمله وانجزه فلقد عيّن ولا يزال عضوا في مجلس الاعيان في الاردن .

وبالاضافة للدأب والجهد المستمر في خدمة اتحاد الغرف والعمل العربي الاقتصادي المشترك الذي كنا نشترك فيه جميعا فلقد تحلى اخونا ابو عصام بالهدوء والحكمة والروية بالاضافة الى الاسلوب الراقي الذي كان يقدم به آراءه وخطاباته . ومن أهم انجازاته انجاله الكرام الذين يتحلون بتربية راقية جدا واخلاق كريمة وصفات حميدة.

الاستاذ برهان الدجاني

وهو كذلك علم من اعلام الفكر الاقتصادي في العالم العربي وشعلة وقادة اثارت هذا العمل واغنته تحليلا وتوضيحا وتوصيات . ومنذ اول الخمسينات عندما كان استاذا متألقا في الجامعة الاميركية في بيروت ابتدأ عطاءه الكبير وجهوده المتواصلة وكفاحه المستمر ، وللآن فمن يراه بهذه الحركة الدائمة والسفر المتواصل والعطاء النيّر يخاله وكأنه في ريعان الشباب . ان اتحاد الغرف العربية وما تفرع عنه من مؤسسات ودوائر ومؤتمرات يدين له بالكثير مما حققه من نجاح وثمرات ، كما ان المكاتب العربية غنية بانجازاته ، والفكر الاقتصادي العربي استنار بأعماله ، والجيل الجديد من الشباب المثقفين سيجدون في الاستاذ برهان مثالا يتتبع بما يمثله من فكر وعمل واخلاص وانتاج .

السيد سعيد النابوده

هو رئيس غرفة الصناعة والتجارة بدبي ، وقد انتقل ببراعة من تجارة بسيطة الى مساهم كبير في بناء صرح حركة التجارة النشطة في دبي . ومؤسساته اليوم لها وزنها ووجودها وفعاليتها في ساحة العمران والتجارة والمكننة . شملت نشاطاته عضويته في المجلس الوطني وفي اللجنة التاسيسية لوضع دستور جديد عام ١٩٧٥ ومن ثم عضويته في المجلس البلدي لدبي ، جلست اتحدث معه وشعرت بأن محدثي خريج جامعة اكسفورد .

ويقول الشيخ سعيد ان اهم اسباب النجاح الذي حققه في حياته يكمن في طموحه الكبير المدعوم بالعزم والتصميم والعمل الدائب والمبني على الصدق والامانة . ومع نجاحه الكبير نتيجة حياة مليئة بالكفاح الطويل المستمر تراه ذلك الرجل الهادىء المتزن الرصين الذي يستمد منه من يعرفه رباطة الجأش والثقة بالنفس مع الايمان العميق . واذا أردت شرح ما عرفته عن السيد سعيد النابوده فان ذلك يحتاج الى كتاب خاص ولكني اكتفي بما لمحته في جلساتي الخاصة معه وهي كثيرة في مكتبه وداره ومزرعته . فعندما يحدثك لا يخطر في بالك انك تتحدث مع رجل اعمال فقط بل انك تتحدث مع رجل تخرج بشهادة دكتوراه ادارة أعمال من جامعة اكسفورد في انكلترا أو جامعة بركلي في كاليفورنيا أو جامعة هارفارد .

* * *

الشيـــخ محمـــد بـــا حـــارث

عرفت الشيخ محمد با حارث قبل عـــام ١٩٥٢ ، وكان موظفا في وزارة المالية ثـــم صـــار معـــاون وزير واقترن بكريمة السيد حسن هاشم بدمشق ، وكنت كلما حللت في جـــدة اقوم بزيارته في محلـــه وداره ، وقد ترك الوظيفـــة الحكومية وباشر العمـــل التجاري فأصاب نجاحا مرموقا جعله في طليعة تجـــار جدة ، ونال ثقة المـــؤولين كمـــا احرز سمعة طيبـــة لـــدى الناس .

وصدف أن المقاول العالمي الشيخ محمد بن لادن انتقل الى رحمة الله وترك اكثـــر من ثلاثين ولدا لـــم يبلغ اكبرهم سن الرشد ، ولمـــا كانت اعمال المرحوم كبـــيرة جـــدا تشمل جميع مشاريع المملكة العربية السعودية وفي طليعتها توسيـــع الحرمين ، اراد المغفور له الملك فيصل أن تبقى مؤســـسة بن لادن قائمة بكامل نشاطها حتى يكبر الاولاد، فأصدر امرا ملكيا بتأليف مجلس ادارة لهـــا من الرجال المعروفين بالامانة والنزاهـــة والفعالية في جدة ، وتسلم رئاسة المجلس الشيخ محمد با حارث لمـــدة طويلة حتى كبر اولاد بن لادن واستلموا أعمالهم وما زالوا يعملون في المقاولات ، والفضل للشيخ محمد بـــا حـــارث الذي حافظ على هـــذه المؤســـسة ووسع اعمالها .

وفي الوقت نفسه كانت اعمال الشيخ محمد با حارث الخاصة تزداد يوما بعد يوم وكان مرجعا لحل الخلافات في المملكة العربية السعودية ،ووثق الناس بنزاهته وسداد رايه ، وكنت أزوره دائما كلما وصلت جدة لاستفيد من حكمته وادارته .

واذكر انه علم باقامة مشفى لعلاج السرطان بدمشق فحوّل لي مبلغ خمسة وعشرين الف ليرة سورية سلمتـــه للجمعية التي تنفذ المشروع ، كما انـــه قدم تبرعات خفيـــة لكثير من المساجد التي بنيت في دمشق ، وكافأه رئيس بلدية جدة بتسمية شـــارع في جـــدة باسمه ، اكثر الله من الطيبين .

فوائد المراجعة والملاحقة اذا كانت بحق

وقبل ان أختم القسم الاقتصادي من هذه المذكرات أحب ان أذكر مسألة هامة .

في ١٩٥٢/٢/٥ صدر القانون ١٠٤ بتعديل نسب ضريبة ريع العقارات على شرائح تبدأ بـ ٧ بالمائة وتنتهي بـ ٣٠ بالمائة تعديلا للمرسوم ١٧٨ الذي صدر في ١٩٤٥/٥/٢٦ بشأن الضريبة المذكورة .

وعند صدور القانون ١٠٤ المذكور تبين لي بمجرد قراءته أنه شمل الجمعيات الخيرية وممتلكات الاوقاف والبلديات بالشريحة العالية التي تصل الى ٣٠ بالمائة من الريع وهذه النسبة مرتفعة ومرهقة لهذه الجهات وتضعف مواردها وفعالياتها .

وعلى الاثر ذهبت لمقابلة السيد محمد سعيد الزعيم الذي كان وزيرا للمالية في حكومة السيد فوزي سلو ، ولفتّ نظره الى هذه النقطة الهامة والمناقضة لروح القانون الهادف الى تحميل القادرين أعباء ضريبية مناسبة تحول دون تكتل الثروات وتزيد دخل الخزينة العامة ، وتخفف الضرائب غير المباشرة على ذوي الدخل المحدود .

أذكر أن السيد الزعيم استقبلني استقبالا حارا ، وكانت علاقاتنا به متينة ، وكنا نصدر الاقمشة التي كان ينتجها الى العراق وايران بكثرة ، وقد وافق على وجهة نظري بالنسبة للضريبة ، ولكن قال ان موضوع تعديلها منحصر في يد المرحوم اديب الشيشكلي الذي كان آنذاك القوة الحقيقية في الحكم .

في تلك الفترة حلّ العيد وكان الشيشكلي يستقبل المهنئين في نادي الضباط بدمشق القائم بجوار مبنى المجلس النيابي ، فقمت بتهنئته وهمست في أذنه بضرورة عدم تطبيق الشريحة العليا من الضريبة على الجمعيات الخيرية والاوقاف والبلديات ، وأذكر أن السيد آصف القباني نجل الطبيب نظمي القباني كان سكرتيرا للمرحوم الشيشكلي وضاق ذرعا بوقوفي معه وأنا احدثه بشأن الضريبة وقال : ليس هذا وقته ، ولكني لاحظت أن الشيشكلي كان مرتاحا وتقبل ما عرضت عليه .

وفعلا لم يمض اكثر من خمسة ايام حتى صدر مرسوم بتعديل المادة المقصودة في القانون ، وخفضت الضريبة على الجمعيات الخيرية والاوقاف الى الشريحة الدنيا ؛

وغـاب عن ذهنهم أمر البلديات التي ظلت تعاني من الشريحة المرتفعة حتى عام ١٩٦٠ ؛ حين شملها القانون ٤٦ ، وهذا مثال على جدوى المراجعة للمسؤولين حول القضايا العامة .

اود ان اورد وقفـة اخرى من هذا القبيل لها اهميتها : عندما صدر قانون ضريبة الدخل قابلت الدكتور عزة الطرابلسي وكان أمينا عاما لوزارة المالية ورجوته اعفـاء التحويلات والشيكات والفواتير من الطوابع لأن كثرة التعديلات التي طرات على قانون الطوابع جعلت من المستحيل على التاجر معرفـة قيمـة الطابع المطلوب الصاقه على الفاتورة والشيك بالنسبة للقيمـة المسجلة ، بل ان المحاسب المالي آنذاك لم يستطيع معرفـة ذلك ، ولهذا كيف يمكن للتاجر ان يضع الطابع المطلـوب على الفاتورة وهـو يجهل مقداره ، واكدت ان الغـاء هـذا الطابع لا يعود بالخسارة على الخزينة العامـة وفي الوقت نفسه تربح سجلات حقيقية لـدى التاجر ، وتبقى خزينتـه في المصرف ، وعنـد دفـع اي مبلغ يحرر حوالة على المصرف .

ولم يمض يومان على هـذه المراجعة حتى صـدر قانـون يعفي من رسم الطابـع الحوالات والحوالات للامر عندما يكون تسديدها واجبا فور ابرازها ، هـذه واحـدة من الامثلة الكثيرة التي أذكرها كدليل على تجاوب المسؤولين مع كـل مراجعة محقـة يتوفر فيها الاقنـاع والحجـة .

ضـرورة تحـديث وسائلنـا

هنـا يجرّنـا الحديث الى وضع الاجراءات والمعاملات في مصارفنا المحلية التـي ما زالت مقيـدة بمتاهة من الروتين تجعل قبض أي مبلغ يستغرق اكثر مـن ساعة ، بينما نجـد المصارف الاوروبية قـد أخـذت باستخدام ادوات التكنولوجيا الحديثـة ويستطيع اي متعامل مع المصرف هناك أن يقف على باب خاص ويضع بطاقته فيقبض ويدفـع دون مراجعـة اي موظف .

وحتى الآن لم يسمح في سورية بالهاتف المتحرك ، ولا بجهـاز الفاكسيميلي الذي يوصل اي تحرير على الفور الى اية جهة في العالم وهـو موجـود في البـلاد النامية .

ولم يصل الهاتف الى ريفنا ، وما زلنا نضطر الى هدر البنزين وتكاليف السيـارة لـدى كل حاجة في المزرعة ، وكان ممكنا أن تقضى بالهاتف الذي يعد وسيلة مواصلات لايصال الخبر والمطلوب دون كلفة ، ونتسـاءل متى يسمحون بالهاتف المتحرك .

اقتصـــاديون مرموقــون

وبما ان الشيء بالشيء يذكر فاني أجد لزاما علي ان انصف الدكتور عزةالطرابلسي هـذا الرجل المالي القدير الـذي اشتهر بالكفـاءة والخبرة والاستقامة والاستمساك بالثوابت والاصول ، وكان حاكما للمصرف المركزي ويملـك صلاحيـة اصدار اوراق النقـد دون الرجوع الى أي جهـة ولكنه لم يقدم على ذلك ، ولمـا استدعاه الرئيس جمال عبد الناصر في عهـد الوحـدة وطلب منـه طبع المزيد من النقد الورقي عارض الفكرة وقال ان اصدار العملة الورقية لا يخدم مصلحة البلد ، وهذا الموقف من اسباب ما قاله الرئيس عبد الناصر في الكلمة التي ألقاها بعد ذلك في اللاذقية .

ولا يزال الدكتور عزة الطرابلسي من خيرة رجالنا الماليين الذين يديرون المصارف العربيـة بكفاءة وأمانة وأمثاله الدكتور نعمان الازهري من اللاذقية والدكتور سعيـد النابلسي والدكتور عوض بركات والدكتور يسار بيطـار والدكتور عبد الوهاب خياطه والدكتور فخر الدين خليل والدكتور شفيق الاخرس والدكتور عبـد الله العظمـة ؛ وهؤلاء يمثلون الجيل الجديد من الشباب المثقف الذين رفعـوا اسـم سورية عاليا ، والدكتور عبد الغني حمور الذي بيَّض وجهنـا بادارة العمل التجاري الحر وبالطريقة التجارية الصرف على المستوى الدولي .

ولو رحت أتحدث عن رجال الاعمال السوريين المغتربين لاحتجت الى مساحةكبيرة ووقت . فمنهم السيد شمسي باشا الذي اشترى محل أجواخ في لندن وهـو ينتـج احسن جوخ في العالم . والسيد طلال الزين من تجار البترول في اللاذقية .

واني لأرجو الله أن يفسح في الاجل حتى اتمم في الجزء الثاني ما شرعت به وأذكر الجميع بفضائلهم العاليـة .

* * *

من اسبــاب اهتمامي بالزراعــة

ولا بأس هنــا بأن اذكر الحافز الذي جعلني اهتم بالزراعة بعد أن كانت مهنتنــا الاساسية تجــارة الخضار . فقد كنت بحكم المهنة على صلة دائـمة بالمزارعين الذين نبيع محصولاتهم وازور بساتينهم . وكان لابي بستان في المنطقــة المجاورة الآن لمجلس الشعب حيث يقوم بنــاء جمعية الاسعاف الخيري ومسجدها ، وكان جمال باشا قــد شق في هــذه المنطقة الشارع الموجود الآن اضافة الى شوارع اخرى كثيرة . ولكن هذا البستــان كــان للنزهــة ويستثمر قليلا .

وفي عــام ١٩٢٧ زارني في محلنــا التجاري احد اعضاء شركة زراعية اجنبية تملك مزرعــة في طبريا (فلسطين) وكانت معــه سيارة محملة بالباذنجان فسألته عن مساحة الارض التي تنتج هذه الكمية التي عبأت السيارة فقال لي انها لا تتجاوز الدونم الواحد، اي الف متر مربع ، فتعجبت لان هذه الكمية تحتاج عندنا لعشرة اضعاف المساحة . ولمــا استفسرت منــه عن تفاصيل العمل واجور العمال الزراعيين والخبرات المتوفرة دعــاني الى زيارة المزرعة التي تديرها شركته . وفعلا لما زرتها بعد فترة اثنــاء سفرة قمت بها الى حيفــا شاهدت اساليب الزراعة الحديثة وتربية الابقار ، فوجد عنــدي الحافز للتفكير بالزراعة لشدة اعجابي بالتنظيم وبالانتــاج . وفي عــام ١٩٣٢ اشترى والدي قطعــة ارض في جرمانا من مدحت البكري مساحتها تقــارب ١١٤ دونم وكانت مشجرة على الطراز القديم ويعمل بها بعض المزارعين من اهالي القرية ، وكان اهــالي القرية لا يملكــون اكثر مــن ربــع الارض والبــاقي لعائلات البكري والعظم والناشف والقــاري والصــواف .

ثــم اشترى والدي قطعــة ثانيــة في المنطقــة نفسهــا ، وبدانــا الزراعــة ولكن الاساليب الحديثة كانت تنقصنا على خلاف ما كنت شاهدته في طبريا ، ولذلك كان في اعماقي دافــع لان اقوم بزراعة حديثة متطورة بدافع وطني ، وهو ما حققته فيما بعد في مزرعــة العدمل وفي مزرعــة الزبداني .

ان الزراعة هي ثروة الوطن الحقيقية وهي التي تسد حاجة الناس الذين يتكاثرون كمــا يمكن أن تفيد في تصدير الفائض الى كثير من بلاد العالم المحتاجة الى الطعــام .

الفصل التاسع

السياسة - شخصيات عربية وعالمية

انـــا والسيـاسة

منـــذ بداية هذا القرن اصبح الوطن العربي ساحة للصراع بـين القوى العالميـة على مناطق النفوذ ، وتعرضت أقطاره لمحاذير الاقتسام بين هذه القوى وفقا للصفقات المعقودة في الخفاء ، والتي كان من نتائجها انفراط عقـد الدولة العثمانية ووقوع سورية ولبنان تحت الانتداب الفرنسي بموجب اتفاقية سايكس بيكو عقب الحرب العالمية الاولى .

افـاق العرب على هذه الصدمـة المريعـة ، وتزعزعت ثقتهم بالوعود والمواثيق والبيانات المعسولة ، ولكن وعيهم بالحقائق فتـح أعينهم على المخططـات الاستعمارية الهادفة الى اغتصاب وطنهم وفرض التبعية عليهم ، واصبحت السياسة زادهم اليومي في كفاحهم المستمر من اجل الحرية والوحدة .

في هذا المناخ الوطني شب جيلنا وترعرع متطلعا الـى المشاركة في النضال الوطني المتواصل ، وكنت واحدا من هـذا الجيل الذي حمل معانـاة الوطن وعاش احداثـه السـارّة حينا والمفجعة حينا آخر ، وتملكني الشعور بالمسؤولية الشخصية عن العمل من أجل تحرير وبنـاء وطني الذي انتمي اليه ، واعيش تحت سمائه واعمل في ارضه واعـود الى ترابه راضيا مرضيا .

اني افهـم السياسة وعيا عميقا بالمصير الوطني ، واحساسا صادقا بمصلحة المجتمع اداته الامانة والصدق والعمل وتقديم الخدمة العامة وفق الامكان ، ولا افهمها تعصبـا لفئة ضـد فئة أخرى ، أو سبيلا للسيطرة والاستثمار ، أو سلاحـا لفرض المصالح الضيقة ، ولهذا لـم انتسب الى اي جماعة او فئـة ، بل انتميت الى الوطن والشعب دون تمييـز .

هذا الفهم حدد مسلكي السياسي ـ اذا صح التعبير ، فلم أمارس السياسة بالمعنى الشائع ، ولا اتخذتها وسيلة للبروز ، ولكنني كنت قريبا من الوسط السياسي بحكم وجودي في طليعة فئة تجارية كانت على احتكاك مستمر مع المسؤولين ، وتؤهلها فعاليتها لمؤازرة العمل السياسي الوطني وبخاصة في مجالات التموين والتمويل والتبرع والمشورة .

أما ثقافتي الخاصة فهي وليدة الاطلاع المستمر في مدرسة الحياة . وشاءت ظروفي ان لا اصل الى المرحلة الجامعية ، ولكن شغفي بالمعرفة والتعلم دفعني للمطالعة المستمرة والتتبع الملح للتعليقات والآراء والنظريات التي كانت تقع في يدي ، وكنت بصورة خاصة اهتم بقراءة مذكرات الزعماء والسياسيين من وطنيين واقليميين ودوليين ، فلا أعلم بصدور احداها حتى أبادر الى اقتنائها وقراءتها وقد أعانتني هذه المؤلفات على تفهم الكثير من الامور ، ليس في مجال السياسة فحسب ، بل في مجالات اخرى عديدة ومتنوعة .

قد يبتسم البعض عندما اقول ان اهتمامي بالسياسة واعجابي بذكريات القادة حدا بي في وقت مبكر لكتابة خواطر يومية وتعليقات على الاحداث التي مرت ببلادي منذ بداية القرن العشرين ، وكنت أعتبرها سجلات هاو يهتم بما يجري حوله وينفعل بما يحدث ، الا ان طبيعتي التي تتمسك بالنظام والتقيد بالمواعيد جعلت من كتابة المذكرات عملا يوميا ثابتا ، فلم اهمل شاردة ولا واردة الا سجلتها في حينها مكتوبة حتى لا يطويها النسيان ومرور الزمن .

ولا حاجة بي لتأكيد ما احسه من معاناة وانفعال بالاحداث التي توالت على امتنا العربية ، ولكني كنت قوي الايمان بأن هذه الامة قادرة على التصدي لما يحاك لها ، شريطة ان تتجاوز كل المسائل الجانبية بالتعاون والتعاضد والتنسيق والاتحاد .

ما يثير عجبي هو انني عندما ابتدات اكتب واسجل ما يخالجني من خواطر وما يمر ببلادي من احداث كنت أعني بتسجيل الاحداث والظواهر السياسية قبل غيرها فالسياسة غلبت عليّ تفكيري دائما ، ولا سيما ان العالم من خلال ثورة المواصلات وانتشار وسائل الاخبار اصبح صغيرا ومتشابكا ، وكل حدث ولو كان مجرد

تصريح لشخصية سياسية يحدث صدى فوريا ، ويؤثر حتما على حياة المواطن العادي في كل ركن من المعمورة .

وعلى كل حال كنت مجرد هاوٍ غيور يمارس السياسة بمجرد الاطلاع والمتابعة والتسجيل ، وتفاديا لاي سوء تفسير من القارىء لهذه المذكرات التي دونتها منذ العشرينات وحتى الستينات عمدت الى حرقها في عام ١٩٦٦ ، ومع ذلك ما زالت جاثمة محفوظة في اعماق ذاكرتي استعيدها واتفحصها واستخلص منها العبرة والحكمة.

رغم اهتمامي بالسياسة ووجودي في مناخها اليومي لم انخرط في اي فئة ولم أنتسب الى أي حزب ولم أتحيز الى أي فريق لئلا ابتعد عن غايتي الاساسية وهي خدمة وطني عن طريق الاقتصاد والخدمات والمشاريع العامة والعمل الخيري ، وكنت موقنا بأن التحزب او العمل الفئوي أو الاحتراف السياسي سيقلل مقدرتي على العمل الاقتصادي المفيد الذي لا يرقى اليه الجدل والخلاف .

اردت ان اكون ــ وكنت فعلا باقتناعي ــ اخا للجميع ، وخادما للجميع ، اقدم العون بما استطيع وفي حدود امكاني ، وحيث اجد ان هذا العون سليم وفي محله ، وهذا حدد لوني ومسلكي ازاء كل انسان ، اخدم بما يوحي به يقيني ، ووفقا لخبرتي بالحياة والناس وبما اراه صالحا لبلدي .

* * *

الرئيس حافظ الأسد

تعيش في ذاكرتي حيـة ومؤثرة صورة المناسبات العديدة التي تشرفت فيها بلقاء الرئيس حافظ الأسد ، هـذا القائد الفذ الذي نبت من قلب الجماهير الفقيرة واستطاع بشجاعته وذكائه وحكمته ومقدرته على اجتذاب الناس وتوحيد صفوفهم النضاليـة أن يبلغ مرتبـة قلّ أن تتحقق لسواه فأصبح فوق مكانته في بلادنـا ووطننـا العربي رئيسـا لـه وزن عالمي كبير في مصائر المنطقـة العربيـة وفي الميدان الدولي .

ولقد كانت هذه اللقاءات دائما مثمرة وباعثـة على الاعجاب المتزايد بشخصيتـه العظيمة وحضور بديهته ووضوح رؤيته للامور ولا سيما الاقتصادية ـ وأتحدث عنها لانهـا مجـالي الاول .

واذا كنت سأتحدث عن السيد الرئيس الأسد من خلال لقاءاتي مع سيادته فلأنني اود أن أضيف الى صورته العامـة المعروفـة من الجميع بعض الملامح التي أثرت فيّ شخصيا ، وهذه مساهمتي المتواضعة في جلاء صورته الواضحة ببعض التفاصيل .

اللقـــاءات الأولـى

ففي عـام ١٩٧١ كان السيد الرئيس حافظ الأسد رئيسـا للوزارة وكان السيـد اللواء عبد الرحمن خليفاوي وزيرا للداخلية معه ، فدعينا للاجتماع هناك وكان هـذا أول لقـاء لي مـع السيد الرئيس . ولمـا طرحنا عليه سؤالا عن السياسة الجديـدة التي سينتهجها اجاب : هناك قطاع عـام سيكون لـه دوره الكبـير في هـذه الايام .

فسألناه عن القطاع الخاص فأجاب أن دوره يمشي مع القطاع العام والبقاء للأفضل ؛ اي انه اذا كانت هناك مادة يستوردها القطاع الخاص فيعمل القطاع العام فيها والذي يبقى هو الافضل . فشعرنا بالاطمئنان لأن هناك خطين يمشيان معاً .

وبعد مدة دعيت غرفة تجارة دمشق مع هيئات اخرى لمقابلة السيد الرئيس وقد تساءل المدعوون عن سبب الدعوة وكان بعضهم يقول لانها لسبب بعض الحوادث التي طرأت في القطر وبعضهم يتنبأ بأنها من اجل مرسوم يصدر بتأجيل الديون التجارية وكان الذي يقول بالاحتمال الثاني مديناً بديون كبيرة ويأمل ان يكون الامر كذلك ، اما انا فكان رأيي ان المقابلة هي لشجب بعض الاحداث التي جرت وتألم منها البلد .

وقد بدأت الحديث بطرفة لا علاقة لها بالموضوع ضحك الرئيس منها وحدث انفراج في الجو ، ثم قلت له : انني واخي شفيق نعمل بالتجارة منذ خمس وخمسين سنة وفي كل يوم يمتد عملنا ثماني عشرة ساعة . ولكننا بين ١٩٦٣ و ١٩٧٠ أبطأنا العمل لشعورنا بالتعب ، انما بعد قيام الحركة التصحيحية عدنا الى العمل كما في السابق ونحن مطمئنان . وهنا ظهر الارتياح على وجه السيد الرئيس . وبعد أن تحدثت بما يناسب المقام في شؤون الساعة السياسية بادرنا السيد الرئيس بطرح موضوع قانون تأجيل الديون موضحا ان القضايا المالية فيها صعوبة وتحتاج الى مناقشة وترتيب ولكن لا بد ان يصدر ان شاء الله . ومن هذا يتضح ان السيد الرئيس يتمتع بذكاء خارق ومعلومات دقيقة عن الجميع وانه رجل واقعي بكل معنى الكلمة حتى انه بادرنا الى الحديث عن القانون دون ان نكون فتحنا الحديث حوله . وبالفعل لم يمض شهر على تلك المقابلة حتى صدر قانون تأجيل الديون التجارية .

ثم توالت اللقاءات بعد ذلك فكان السيد الرئيس يطرح ويعالج الشؤون الاقتصادية ويسمح لنا بأن نقول ما نراه الحقيقة ، حتى انني في ذات مرة انتقدت أمامه تولي الحكومة تسويق الفواكه والخضار وقلت هل تريد الحكومة أن تعمل فاكهانيا وخضريا وهل تستطيع تجفيف الفواكه وتسويقها وتصريفها ، واشرت الى ان هذا ادى الى فقدان بعض الاصناف .

وكان الرئيس يحيطني برعاية خاصة ، فقد اصطحبت معي ولدي محمد الى القصر

حين اعطوني موعدا لمقابلة السيد الرئيس ، فأبقته امانة السر في غرفة الانتظار ولم تسمح له بالدخول معي ، ولما علم الرئيس بذلك امر بأن ينضم الينا فكانت لفتة كريمة . وفي مقابلة أخرى وكان الرئيس على سفر في تلك الليلة دخل امين السر مرات لتذكير الرئيس بموعد السفر ولكن الرئيس استمر في الحديث الودي ، وطلب مني يومذاك ان انقل اليه عن طريق امين سره كل ما تشكو منه البلد لمعالجته ، وقد نقلت ذلك مرارا وأمر الرئيس بمعالجة المواضيع المشارة .

في افتتاح سد الفرات

ولا انسى انني دعيت من قبل الرئيس خليفاوي للمشاركة في الاحتفال بتدشين سد الفرات ، وانني ذهبت بالطائرة حتى لا تتسبب رحلة السيارة بالتعب لي بالنظر الى سني . وكان الاحتفال كبيرا حضره ما يقرب من مائتي مدعو من الشخصيات العالمية والعربية والوطنية ، وكان قد شاع أن الرئيس لن يحضر ولكنه فاجأ الجميع بحضوره شخصيا يرافقه عدد من كبار المدعوين الاجانب . ولما اصطففنا لاستقباله ووصل اليّ توقف امامي لحظات قبل ان يتابع سيره فكانت لفتة كريمة اثارت انتباه الناس . ولما تمشى الرئيس على جسم السد ومعه كبار مرافقيه كنت بين من دعوا لمرافقته من الشخصيات القليلة ، وهنا التفت السيد الرئيس وسأل رئيس الوزارة اللواء خليفاوي : ماذا ستزرعون في الاراضي التي بدأ السد يرويها ؟ أجابه اللواء : نسأل ابا راتب . وسألني الرئيس عن رايي فقلت له على الفور : نزرع الحور بالدرجة الاولى لان أسعاره عالية ونموه سريع وورداته كبيرة جدا .

وفي اول مقابلة تالية ذهبت الى القصر وانا بملابس العمل وفي يدي غرستان من الحور . ولما سئلت عن سبب مجيئي بلباس العمل في المزرعة قلت انا بدر الدين الشلاح نصفي مدني ونصفي فلاح . وقد سألني الرئيس عندما رآني ما هذا الذي بيدك فقلت انها غرسة حور لا يزيد وزنها الآن عن عشرين غراما ولكنها ستصبح شجرة وزنها ثلاثة اطنان او اربعة في خلال عشرين سنة ، اي ستتضاعف مئات الآلاف المرات ، في حين ان اي مال يوضع في المصرف لا يعطي فائدة اكثر من ٤ او ٥ او ٦ بالمئة . والحور لا يكلف سوى سقاية واحدة كل شهر ، ونستطيع بواسطته ان نخفف استيراد الخشب

من تركيا ورومانيا والسويد . وقد شعرت بأن الرئيس سر من هذا الحديث واقتنع به بدليل ان الحور زرع فعلا وعلى نطاق واسع في منطقة سد الفرات ، وهذا يدل على ان سيادته يبادر فورا الى تنفيذ ما يقتنع به .

الانجـازات في عهـده

وهنـا لا بد لي من ان اتحدث بانصاف عن التحولات التي طرات على سورية بعد قيـام الحركة التصحيحية فاقول بمنتهى الامانة ان ثمـة انجازات كبرى لم يسبق لها مثيل ، وابدأ بالخطوط الحديدية كمثال . فمن قبل لم يكن عندنا من الخطوط الحديدية الا القليل المستهلك ، والآن تنتشر شبكة الخطوط الحديدية مـن دمشق الـى حمص حيث تتفرع الى طرطوس واخيرا وصلت الى اللاذقية ، وفي الوقت نفسه فان الخطوط الحديدية التي كانت ممتدة من حمص الى حلب وصلت في عهده الى الرقة ودير الزور والحسكة وبلغت القامشلي في أقصى القطر على الحدود التركية ، ولا تزال تنشأ خطوط فرعية جديدة . انه عمل جبار يسجل بمداد الفخر ، وقد زود البلاد بقاعدة واسعـة وحديثـة من المواصلات لم يكن لها وجود .

ولننظر الى غوطة دمشق . انـا مزارع عايشت الماضي وأعرف كيف كانت مشاق الانتقال على طرقات الغوطة ، اذ لم يكن هناك طرق البتـة بعد جسر المطير بجـوار اراضي الشاغور عنـد حدود دمشق . وما زلت اذكر المشاق التـي كنت اعانيها انـا واولادي ونحن نخوض في الغبـار والاوحال ساعات حتى نصل الـى المكان المقصود ، وكان مالك اي ارض في الغوطة يركب الفرس ساعتين او اكثر للوصول الى مزرعتـه ، وفي منطقة دوما كانت توجد ٨٤ قرية ليس لها طرق ، اما بعد الحركة التصحيحية فقد انقلبت الصورة راسا على عقب وانتشرت شبكة من الطرق المزفتة في طـول الغوطـة وعرضها ، ولم تبق قرية واحدة دون طريق ، وكل قاطن في الغوطة يصـل اليوم الـى قريته باقصى السـرعة ، واستطيع اليوم ان اصل بالسيارة الى المرج ـ ما وراء الغوطة بسهولة ودون عنـاء وفي اقرب وقت ، وكان هذا حلما بعيد المنال .

وقد شملت القطر كلـه شبكة واسعة من الطرق الدولية (الاوتـسترادات) وصلت ـ عبر البادية ـ الى تدمر ودير الزور والرقة والحسكة والقامشلي وحتى تل كوشك على الحدود ، وكلها طرقات ذات مواصفات عالية افضل من طرق البلدان المجاورة بكثير .

اما الإعمار فهو بدوره مذهل ، ويكفي أن اذكر ضاحية المزة وحدها ، حيث قام حجم هائل من الابنيـة السكنية يزيد عن عشرة اضعاف دمشق القديمة .

كما انشئت مصانع عظيمة ، وهنا اذكر صوامع الحبوب ومعامل الغزل والزيوت وحلج الاقطان ، ولكني اشعر بأن اخطاء حدثت وكانت تكاليفها ضخمة ، مثل معمل الورق الذي انشىء في دير الزور حيث لا يوجد اخشاب ولا مواد أولية ولا تبن وكلف ملايين الدولارات ، كما أنشىء معمل للكونسروة في الحسكة حيث لا توجد لا فواكه ولا خضار ، وهذا بالتأكيد من اخطاء المنفذين للتوجيهات .

تشجير قاسيون

ويجب أن اذكر بوجه خاص مأثرة الرئيس في تشجير جبل قاسيون واعماله العمرانية الواسعة في دمشق خاصة . فلقد احدث السيد الرئيس مؤسسة خاصة منحها الثقة والصلاحيات الواسعة ، فبدات بفرس الجبل بالاشجار الحراجية وشقت الطرق في كافة اجزاء جبل قاسيون ، وشقت وعبدت الطريق من دمر الى مدينة دمشق بدءا من حي المهاجرين فصار الطريق الذي يوصل بسرعة الى اطراف المدينة ، كما غرست حديقة واسعة تركها التنظيم الاخير لبساتين الصالحية وستكون من أجمل حدائق دمشق ، ثم بنت قصر الضيافة الذي كنا محرومين منه رغم حاجتنا الى قصر نستقبل فيه كبار الزوار من رؤساء الدول العربية والاجنبية ولم يكن عندنا للضيافة الا بيت عادي واسع بني في زقاق الصخر . وكانت هذه المؤسسة انني تحمل اسم جبل قاسيون هي التي زرعت الاشجار بكثافة حول قصر الضيافة وفي بقية الارض الجبلية في الشمال والفرب ، ثم شقت الطرق المحيطة بالمدينة من كل الجهات وبنت اخيرا الجسر الذي وصل المدينة بمشروع دمر السكني الآهل بالسكان.

ولقد عوضت دمشق بما زرع في قاسيون من شجر حراجي ما فقدته من بساتين الصالحية . ولقد حاول بعض المشككين ان يدخلوا الريبة على هذا المشروع العظيم فقالوا ان الجبل سينزلق عند نزول الامطار وتسقط الاشجار ، فذهب السيد الرئيس وزار المنطقة زيارة ميدانية واطلع على سير العمل وارتاح اليه . ومن الامانة ان اذكر أن القائم على هذا المشروع لتنفيذه وهو المهندس علي الطرابلسي قد نشا في قرية

الزبداني وكان تلميذا ناجحا في فتوتـه ، وعصاميا يعطي الدروس لابنـاء المصطافـين ليساعد نفسه في نفقات الدراسة الجامعية .

هـذا ولا يفوتني ان اشير الى انني كنت ادعى الى جميع المناسبات التي تقيمهـا وزارة الاوقاف باعتباري كنت عضوا في مجلس أوقاف دمشق وكذلـك بسبب كوني رئيسا لغرفة تجـارة دمشق ، وكنت اشاور نفسي هل اذهب وفي الذهاب مشقـة أم اعتذر ولكنني كنتاحضر دائما بسبب ما يحيطني به الرئيس منلفتةخاصةفيها ايناس ولطف ومداعبة ووقفةاطول مما يقف معسواي وهذا كاندائما موضعشكريوامتناني.

واخيرا فانـا حين اتحدث عـن شخصية الرئيس حافظ الأسد الأسرة فلا يمنعني هـذا من ان أحدثـه بصراحة حـين يكون لدي ما اقولـه في تتبعي للأحـداث ، اذ انني كنت ادون في مذكراتي ما يجري مـن امـور وتعليقاتي عليهـا . وقـد قلـت للرئيس مرارا حديث الصراحة فكان يستمع اليه بعناية واهتمام ، حتى انـه قال لي مرة انه كان يقدر اخلاصي في آرائي ولو كـان لا ياخذ بها في كـل الاحـوال . وكنت اقول ان عندي ملاحظات كثيرة يمليها الاخلاص والوفـاء واتصالي بالنـاس وسماعي شكاواهم وكنت انقلها الى سيادته فكان يصغي باهتمام ، وفي كثير مـن الاحيان كنت المس النتائج مباشرة في ازالة اسباب الشكوى .

اللـواء عبـد الرحمـن خليفـاوي

ولمـا كان ورد ذكر اللـواء خليفاوي في المناسبـات التي سلف ذكرهـا فيقتضي الوفـاء ان اقـول انـه يسـعد كـل وطني شريف ان يكون اللـواء عبـد الرحمـن خليفـاوي كـان في طليعـة مـن اعتمدهم الرئيس الأسـد لمعاونتـه في ادارة أمـور البـلاد بحزم وفعاليـة تقودهما روح طيبـة مخلصـة نقية تتحلى بالخلق والاخلاص والداب . وقـد شدني اليه حبـه غير المحدود لوطنه ، وجراته في اتخـاذ القرارات ، وتحسسه بالصالح العـام الى حد الشعور بالتمزق والاحتراق كلما وجد الامور تسير على غـير ما ينبغي أو تبين تقاعسـا او تهاونا من اي مسؤول في اي موقع . انـه رجـل دولـة بكل معنى الكلمة ، ولا يمكن لانسان طيب لقيـه الا ان يشعر نحـوه بالاحترام والحب مجتمعين ، اما السيئون فانهم يخافون منه ، ولهم الحق في هذا فليس الرجل ممن يتساهلون او يتركون الامور تجري في اعنتها القديمة .

الرئيس شكري القوتلي

اذا تصديت للرئيس شكري القوتلي من خلال معرفتي به ، واعطيت عنه صورة سريعة لا تصل الى حد التاريخ وانما تقف عند الملامح الكبيرة ، اكون قد صورت من خلاله الرجل الدمشقي المجاهد المخلص في سبيل وطنه والمتعفف عن كل مصلحة شخصية . ان شكري القوتلي لا يكون بهذا رجلا اتقصى ملامح حياته ، وانما يكون موقفا احبه الناس وقدروه وانسانا كالآخرين يخطىء ويصيب .

اول ما سمعت باسمه كان ذلك في صفري حين أوقفه الاتراك في سجن قريب من محل والدي ، ووعت اذني وانا فتى حكاية محاولته الانتحار في السجن بقطع شرايين يده خشية من التعذيب الذي ربما يحمله على البوح بأسماء رفاقه رجال الحركة العربية الاولى . ثم لما غادر البلاد لاجئا الى فلسطين بعد دخول الفرنسيين رايته مصادفة في حيفا حين ذهبت الى فندق فيها ـ وكان ينزل فيه ـ وذلك اثناء رحلة ارسلني بها والدي لشراء البطيخ وقد سبق ذكرها . وعرفت بعد ذلك انه اشترك في الثورة السورية وانه كان من البارزين في السياسة الوطنية أعضاء الكتلة الوطنية التي قادت البلاد في العشرينات والثلاثينات وما بعدها .

ولما قام اضراب عام ١٩٣٦ في المدن السورية ، هذا الاضراب الذي سمي بالخمسيني لانه دام ستة وخمسين يوما اغلقت فيها كل المحلات التجارية والمدارس دون استثناء ولا اخلال وقامت جموع الناس بمظاهرات سلاحها الحجارة في وجه بنادق المستعمرين ، كانت الكتلة الوطنية وزعماؤها ومنهم شكري القوتلي هم الذين قادوا هذه الانتفاضة الشعبية التي تشبهها انتفاضة الشعب الفلسطيني الآن وثورة الحجارة . وقد حاول الفرنسيون كسر الاضراب بالعنف من الخارج أو تفتيته من الداخل بالتهديد بكسر اغلاق المحلات التجارية وتعريضها للنهب ، ولكن التجار افشلوا مع الشعب هذه المحاولات ، وظلوا يسددون التزاماتهم التجارية حتى لا تحدث بلبلة رغم توقف البيع والشراء ، وحمى الشعب المحلات من النهب فلم تقع سرقة واحدة ، واستمرت التضحيات طول هذه المدة كما قام التجار والوجهاء في الاحياء بتنظيم المساعدة التموينية الناس خلال الفترة وجمعوا من التبرعات ما وقى الناس المجاعة ، حتى اضطر افرنسيون تحت هذا الضغط الى اطلاق سراح المعتقلين

واعادة الشخصيات السياسية المنفية ومفاوضة الوطنيين . ولما تالفت اول حكومة وطنية لمفاوضة الفرنسيين على معاهدة تنتهي بالجلاء ، كان السيد شكري القوتلي وزيرا للمالية فيها .

فخري البارودي

ولا بأس هنا من ذكر لمحة عن شخصية وطنية شعبية هي شخصية السيد فخري البارودي الذي كان زعيما وطنيا واسع الشعبية قادرا على مخاطبة الجماهير واثارة حماستها كما لا يستطيع سواه ، ولذلك نفاه الفرنسيون الى الحسكة . ولما عاد المنفيون نظم الشعب السوري لفخري البارودي استقبالا لا مثيل له حتى ذلك الوقت ، وخرج الناس على طول الطريق المؤدية الى دمشق لاستقباله ، وكان والدي قد اصطحبني انا واخي انور للمشاركة في هذا الاستقبال بسيارتنا التي نصفها مكشوف ونصفها مغلق وكانت نادرة في تلك الايام . وأول السيارات كانت مكشوفة وتسمى توربيدو ، وعندما صارت مغطاة ولها بللور سميت لاندونه .

ولما وصل السيد البارودي الى دوما اضطره اهل دوما لمحبتهم اياه الىالنزول في دار احد وجهائها السيد محمود خيتي للاستراحة وسماع الخطبوالكلمات والقاء مثلها ، ثم لما اراد متابعة السير والناس حشود على الطريق ، ركب سيارتنا ليقف فيها ويحيي الناس وكان يقودها اخي انور ويركب مع البارودي فيها كل من نسيب البكري وفوزي البكري . وهنا اقترح بعض الحاضرين من اجل السرعة وتجنب الناس المستقبلين في حرستا وطول الطريق الى دمشق ، أن نسير في طريق فرعية في الغوطة هي طريق الشفونية بيت نايم جسرين . وحاولت الاعتراض لخوفي من أن تنصب السلطة الفرنسية او عملاؤها كمينا لاغتيال البارودي وعندئذ قد يساء الينا لاننا شاركنا في هذا التحويل عن الخط العادي ، ولكن اصر منظمو المسيرة علىذلك وظللت تحت الهواجس حتى وصلنا الى دار السيد البارودي في الشابكلية في حي القنوات عند منتصفالليل فانزاحتعنيالغمة . ودامت الاحتفالات سبعةأيام بلياليها.

عـودة الـى الرئيس القوتلي

بعـد فترة مـن الزمن وفي عـام ١٩٣٧ استقال السيـد القوتلي من وزارة المالية احتجاجا على توقيع اتفاقيتي البترول والمصرف السوري في غيابه ودون علمه وبقي في منزلـه ليأسه من وفـاء الفرنسيـين بوعودهم . وفي عـام ١٩٣٩ علق الفرنسيـون الدستور وعينوا حكومة برئاسة بهيج الخطيب اسمها حكومة المديرين ، وتوالت الاحداث بعـد ذلك ممـا هو في كتب التاريخ وتولى الحكم الشيخ تاج الدين الحسيني بقرار من المفوض السامي الجنرال كاترو في أيلول عام ١٩٤١ وبقي في المنصب حتى توفي عام ١٩٤٢ ولما توفي الشيخ تاج خلفته حكومة برئاسة جميل الالشي ولكن لم تدم أكثر من أسبوع لانها رفعت سعر الخبز قرشا وربع للكيلو ثم عينت حكومة مؤقتة برئاسة السيد عطا الايوبي وجرت انتخابات وانتخب السيد شكري القوتلي رئيسا للجمهورية ، وكان معه سعد الله الجابري رئيسـا للوزارة وفارس الخوري رئيسا للمجلس النيابي وجميل مردم سفيرا لسورية بمصر ليبعدوه عن الوزارة .

ولكن الفرنسيين ارادوا ان يضربوا الحركة الوطنية ضربة قاضية لأن الحكومـة ورهطهما العدوان الفرنسي في ٢٩ أيار عام ١٩٤٥ ، وهاجمت دباباتهم ومدافعهم مقر المجلس النيابي وقتل جنودهم حامية المجلس برمتها إلا اثنين تظاهرا بالمـوت وعاشـا ليرويا القصة ، كما صبوا حمم المدافع على عدد من الاحياء وأحرقوا المنطقة المعروفـة في ذلك الوقت بشـارع فؤاد الاول (حيث تقوم اليوم أبنيـة المحافظـة) ولكن الجيش البريطاني تدخل وأجبر الفرنسيين على لزوم ثكناتهم . وقامت في المحـافل الدوليـة ومجلس الامن معركة سياسية انتهت بجلاء الجيوش الاجنبية في ١٧ نيسـان عام ١٩٤٦ وكان هـذا نصرا للشعب السوري وفخرا لرئيسـه شكري القوتلي الذي وقف موقف الصمـود والبسـالة .

ولكن الاقاويل ثارت بعد ذلك حول بعض من كانوا حوله مـن الحاشية والموظفين ، وقامت المعارضة بحملة شعواء ، والانتخابات النيابية التي جرت بعـد ذلك لم تكن في صالح القائمة التي دعمها ، ثم قـام حسني الزعيم بانقلابه وكـان يريـد قتل القوتلي لولا مداخلة شديدة من الملك عبد العزيز آل سعود ... وقد وقـع حسني الزعيم في خلال فترة قليلة اتفاقية التابلاين وسمح بتمديد أنابيب الشركة الاميركية الى الزهراني . وذهب القوتلي بعد ذلك الى مصر وبقي فيها مـدة حتى اجمعت الكلمة في سورية على

دعوته واوفدت لـه الوفود وكنت في عدادها وكان لي راي خـاص في هـذه العودة . ومن بعد ذلك انتخب مرة اخرى لرئاسة الجمهورية وظل فيها الى ان قامت الوحـدة وتنازل عن الرئاسة الى الرئيس جمال عبد الناصر .

قلت ان المعارضة عملت طويلا على تشويه سمعة عـدد من السياسيين والموظفين الذين كانوا حول الرئيس القوتلي ، ولكن شخصه بقي فوق الشبهات من حيث الوطنية والنزاهة ، وظل نقي الصفحة حتى انه وهو الذي ولد غنيا مات فقيرا .

والذي لا يعرفه الكثيرون ان المرحوم القوتلي كان قد اشترى ارضا على الشيوع في تنظيم غربي ابو رمانه وحدد له محضر مساحته نحو ٢٤٠٠ متر كما كانت له ارض في (حاليـا) قرب الزبداني ، وكان يقترض من البنـك العربي اموالا ليعيش . فلمـا اصدرت الحكومة قرارا رفعت فيـه الفائدة من ٤٪ الى ٥ر٧٪ استدعى مدير البنك العربي السيد عبد الحميد شومان وقابله بحضوري وسأله هل ستطبق عليه المعدلات الجديدة فنفى شومان ذلك وقال ان الامر بيده ، ولكن تأميم المصارف الذي جاء بعـد قليل جعل الدين على السيد القوتلي يبلغ ١٢٠٣ ليرات ذهبية في حـين كـان اصلـه ٧٥٠ ليرة . ووقع في مأزق مالي واراد بيع العقار في ابو رمانة خلاصا مـن الدين ولكن السوق كان باردا في تلك الفترة ولا يوجد من يشتري .

وفي ذات مسـاء زارني في منزلي في الزبداني ضابط مصري كـان تابعـا للرئيس عبـد الناصر مباشرة وكان عندي ضيوف فمكث برهـة وذهب واتصـل بي بالهاتف ليسألني اذا كان الضيوف ذهبوا . فلمـا اجبت بالايجاب حضر وسألني عن اوضاع السيد شكري القوتلي المالية وقال ان الرئيس عبد الناصر يود ايجاد طريقـة لوفـاء ديونه او بعضها فاقترحت شراء قطعة الارض في ابو رمانة بسعر جيد فتكون المساعدة بهـذا الشـكل مقبولـة .

وبعد ايـام اخبرني شكري بك ان هنـاك مشتريا للارض بسعر ٧٥ لـيرة ذهبيـة للقصبة (كان سعرها الواقعي ٤٠ ليرة ذهبية) وان هـذا المشتري مغترب فقلت لـه الحقيقة وان الشراء ليس لمغترب وانمـا للحكومة ، فرفض البيـع على الفور مع شدة حاجته الى المبلـغ لوفـاء الدين ولوجود مضايقات من المصرف . وبعـد فترة بيعت الارض والدار اللتـان يملكهما المرحوم الرئيس القوتلي بمـا يعادل تماما دين المصرف

وكـان المشتري رجل اعمـال سعوديا وسجلهما باسم زوجته السورية .

وهكذا لم يبق لـدى الرئيس القوتلي سوى قطعة ارض اسمها بستـان التفـاح ومساحتها محدودة وبيعت بعد وفاته بمبلغ بسيط ولو بقيت الارض التي في ابو رمانة الى الآن لكان ثمنهـا عشرات الاضعاف .

بـين الرئيسين شكري القوتلي وعبـد الناصر

وحين جـاء الرئيس عبد الناصر رحمه الله الى اللاذقية في ايـام الوحـدة والقى خطابه الشهير الذي هاجم فيه فئـات كثيرة من التجار وسواهم ممن نعتهم بالرجعية اتبـع ذلـك باصدار قرارات منع فيها التعامل بالنقد الاجنبي إلا في حدود الرقابة . وقد اجتمعت غرفة التجارة في دمشق وكلفتني بأن اقابل الرئيس القوتلي الذي حمّل عبد الناصر امانة الحكم وذلك من اجل بسط وجهة نظرنا عن طريقه ، وقـد حاولت الاعتـذار لعلمي بصعوبـة المهمـة ولكنهـم اصروا فامتثلت وذهبت الى شكري بك ونقلت لـه مـا جرى .

واجابني الرئيس القوتلي رحمه الله انه كان قبل يوم قد قابل الرئيس عبد الناصر واخبره بان هـذه القوانين لا تتفق في حينها مـع طبيعة البلاد وان الافضل الاجتماع مع الهيئات الاقتصادية والمداولة معها في الانظمة التي تصدر ، فكان جـواب الرئيس عبد الناصر الاصرار ، اما النتائج فهي غنية عن التعريف والتذكير .

السيـد محمـد علـي العـابد

قلت أن اهتمامي بالسياسة ودخولي في الحيـاة السياسية ليس مردّه تعلقي بهـا بالذات ، بل لانهـا كانت في نظري وسيلة لتحقيق أهدافي التي كانت تصب في ميـادين الشؤون الاجتماعية والاقتصادية ، وهي الميادين التي كانت ولا تزال مجـال نشـاطي وطموحي ، وكل ما سجلته من خدمات واعمال طوال حياتي .

على سبيل المثـال اذكر حادثة وقعت بيني وبـين المرحوم محمد علي بك العابد ، والمعروف انـه كان يقطن في حـارة قولي من حي سوق ساروجة بالدار المعروفة التي لا تزال تنسب اليه ، وكانت عائلتنا آل الشلاح تقيم في نفس الحي ، وفي عـام ١٩٣٢ رشح المرحوم العابد نفسه لانتخابات المجلس النيابي ، فأقدمت على قيادة حملة المعارضة ضـده ، ولمـا بلغه النبـأ تأثر بذلك نظرا للصداقة التي كانت تربطه مع والدي الحاج سليم الشلاح ، واقام مأدبة ودعا اليها عددا من الاصدقاء ووجهاء الحي وبينهم والدي والمرحوم حمدي بك الشلق رئيس محكمة الاستئناف العليا .

خلال المأدبة فاتح المرحوم العابد والدي باستيائه من معارضتي لترشيحه ، وعندما سئلت عن سبب عن سبب هـذه المعارضة قلت ان المرحوم العابد اهمل تنفيذ وصية والده المرحوم عزة باشا العابد رغم مرور أكثر من عشر سنـوات على وفاته ، وتقضي هذه الوصية بانفـاق عشـرة آلاف جنيـه استرليني على أعمـال البر . وكان سعر الجنيـه الاسترليني عند وفـاة عزة باشا العابد ١١٣ قرشا ذهبيا ، وخلال السنوات التالية هبط السعر الى ٧٠ قرشا وانخفضت قيمة المبلغ المحدد في الوصية ، وقلت : عندما تنفذ تلـك الوصية أصبـح مطمئنا الى مصداقية المرحوم العابد ونواياه لدعمـ عمـل الخـير .

على الاثر تحرك الاوصياء (واذكر ان المرحوم رشيد الطرابيشي كان أحدهم) وقرروا التكفل بنفقات بنـاء طابق ثان في مدرسة الاسعاف الخيري التي كان المرحوم والدي ابرز مؤسـسيها كما انه تبرع بالارض التي اقيم عليها البناء .

ويحمل الطابق المذكور حتى الآن لوحة تذكارية سجل فيها ان بنـاء هـذا الطابق اقيم من قبل المرحوم محمد علي العابد عن وصية والـده ، وللتاريخ اذكر أن المرحوم

العابد انتخب رئيسا للجمهورية في عام ١٩٣٢ واستمر في هذا المنصب حتى عام ١٩٣٦

وقد اسلفت هـذه الحادثة لأبين ان علاقتي بالسياسة كانت منذ البداية محصورة بالسعي لدعم العمل الخيري وتعزيز المشاريع الاجتماعية بعيـدا عـن جوهر العمـل السياسي وحيثياته واهدافه في الحكم .

الشيـخ تـاج الـدين الحسـني

وقـد علقت بذاكرتي حوادث تتعلق ببعض رجالات سورية احرص على أن أوردها لمجرد العبرة إذ لا اقصد منهـا تبرير المسلك السياسي لهـذا الرجـل او ذاك ، بـل تسجيل مثـال اطلعت عليـه أو شهدته بنفسي .

ومن هـذه الحوادث واحدة تتعلق بالشيخ تاج الدين الحسني الذي شغل رئاسة الحكومة اكثر من مرة في عهـد الانتداب الفرنسي ، ثم عين رئيسا للجمهورية بقرار من المفوض السامي الفرنسي ووافاه الأجل وهو في هذا المنصب خلال الحرب العالمية الثانية .

والمرحوم الشيخ تاج الدين هو نجل المحدث الكبـير الشيـخ بدر الدين الحسني طيب الله ثراه ، ووالده غني عن التعريف بتقواه وعلمه ومكانته الدينية . وكان ولـده الشيخ تاج يتعاون مع السلطة الفرنسية الى درجة أثارت انتقـاد الكتلة الوطنية لـه حتى وصمته بالخيانة ، ولكنه دافع عن نفسه بأن من الافضل التعاون مـع السلطـة المنتدبة والوصول عن هـذا الطريق الى ادوات الحـل والربط محليا وترك الشؤون الخارجية للفرنسيين .

وكانت السلطة الفرنسية في اعقاب الثورة السورية في عام ١٩٢٥ التـي استمرت عامين قـد عمدت الى تشكيل حكومات متعاقبة على راسها اشخاص انتدابيون أمثال الداماد أحمد نامي بك (والداماد كلمة تعني صهر السلطان) وصبحي بركـات ، ولـما فشلت هـذه الحكومات بسبب كراهية الناس لها والمنـاخ السائد بعد الثورة ، اختير تاج الدين لرئاسة الحكومة نظرا لكونه نجل شخصية دينية تحظى بالاجلال والاحترام، اضافة الى ان تاج الدين نفسه كان عالما وقاضيا ، وعمل في منصبه على راس الحكومة كرجـل دولـة .

أذكر أن المرحوم صبحي بركات عندما ترك رئاسة الحكومة ورشح نفسه لرئاسة المجلس التمثيلي آنذاك قابله والدي المرحوم سليم الشلاح ، وكنت معه ، وسمعت صبحي بركات يقول لوالدي : تركت في الخزينة السورية ما يقارب ستة ملايين ليرة ذهبية عثمانية ونصف المليون ، غير أنه خلال رئاسة تاج الدين لم يبق في الخزينة سوى مليون ونصف مليون ليرة عثمانية ذهبية .

نقل والدي هذا الكلام الى الشيخ تاج فقال له نعم هذا صحيح غير انني صرفت المبالغ المذكورة على انشاء ابنية ومقرات للحكومة في دمشق ومحافظات حمص وحلب وحماه ومدن القامشلي وقطنا ودوما وغيرها ، وانشاء مدرسة التجهيز ودائرة الاوقاف وبناء المصالح العقارية في دمشق وبناء فندق بلودان وغيره ، ولولا انفاق المال في هذه المشاريع لسرقه رجال السلطة الفرنسية ، او تسرب الذهب الى فرنسا .

والواقع ان سورية عند سقوط الحكم العثماني كانت تختزن اربعين مليون ليرة ذهبية ، وقد فرضت السلطة الفرنسية النقد الورقي على التعامل والعقود وحددت سعرا بخسا لليرة الذهبية العثمانية ، وبهذه الوسيلة أمكن لفرنسا سحب الذهب السوري لقاء نقود ورقية غير مضمونة وغير متداولة خارجيا ، ومما يجدر ذكره ان قبول سورية بالنقد الورقي كان أحد الشروط التي وردت في انذار الجنرال غورو للملك فيصل

أعود الى الشيخ تاج الدين لأذكر انه عندما كان رئيسا لوزارته الاولى اشترى دارا في حي الحلبوني من المرحوم نسيب سليق وشرع في بنائها ثم توقف عن اكمالها لقلة ما في حوزته من المال فاقترض من والدي مائتي ليرة ذهبية ولم يتمكن من وفاء الدين وسافر الى باريس حيث مكث مدة طويلة الى أن عاد الى سورية مع استلام الديغوليين الحكم وعيّن رئيسا للجمهورية ، وحينذاك بدأ بتسديد الدين على أقساط، وعندما توفي فجأة كانت ذمته مشغولة بالبقية من الدين فسامحه المرحوم والدي .

حـادث كبـير العبـرة

واود الاشارة الى حادثة قديمة كان للشيخ تاج فيها دور انساني ، ذلك انه في عام ١٩١٧ كان هناك شخص يدعى محمد الاخضر ملقب بأبي عبده الاخضر له دكان تجاه خان الباشا بجوار بحرة المدورة يبيع فيها الخضار والفواكه بالصيف والالبان بالشتاء ، وبينما كان احد الحمالين يفرغ وعاء مليئا باللبن المصفى صادف مرور ضابط تركي يدعى اشرف بيلرم فأصاب رشاش اللبن سترته ، فما كان منه إلا ان انهال بالضرب المبرح على الحمال المسن ، ورغم تدخل ابي عبده الاخضر ورجائه الضابط التركي بالكف عن ضرب الرجل الفقير لم يكف الضابط عن عمله الوحشي ، بل انه ذهب الى مقر (القانون جاويش) بالسنجقدار للتحريض على المسكين ، وكان هذا المقر بجوار فندق دار السرور (من املاك آل اليوسف) فاستدعى المخفر محمد الاخضر والحمال ، وقام الضابط بتقييد ايدي الحمال بالفلقة ، وانهال عليه بالخيزران ضربا حتى نزف الدم من كفيه . وكان هذا الضابط هو الذي يلاحق الهاربين من الخدمة وهو مشهور بقسوته وشراسته .

ذهب الاخضر الى والدي المرحوم سليم الشلاخ وقص عليه ما حدث فأخذه وذهب به الى دار الحديث مقر الشيخ بدر الدين الحسني وعرض عليه هذه الحادثة وسأله هل يقبل الدين الاسلامي بذلك ؟ حينذا كصاح الشيخ بدر الدين على ولده تاج الدين الذي كان يجلس في مكتب علوي وكان قاضيا ، وقال له اذهب الى جمال باشا الصغير (كان صغيرا بالاسم كبيرا بالحجم) واخبره بما حدث وقال له : هل يقبل هذا الظلم ؟

كان جمال باشا الصغير يتخذ مقرا له في فندق فيكتوريا فذهب اليه يصحبه والدي وابو عبده في عربة خيل ، وركبت انا بجانب العربجي ، وعرض مع والدي على جمال قصة المضروب فطيب خاطره ووعده خيرا ، وسرعان ما عزل الضابط المعتدي عن منصبه .

بعد عام انتهت الحرب العالمية الاولى ـ وكنا نسميها السفر برلك ـ وكنا نسكن في دخلة بجوار الجامع بشارع السنجقدار ، فرأيت الضابط المعتدي يعمل كناسا في جملة الكناسين امام المقر الذي كان يعذب فيه الناس ، والعبرة لمن اعتبر .

شخصيات عالمية

الرئيس جيمي كارتر

ان حديثي عن كارتر له مناسبة قومية كبرى تستدعيه وهي أنه تحت تأثير جماعات الضغط اليهودي على دوائر القرار في الولايات المتحدة الامريكية اصدر الكونغرس الامريكي في عام ١٩٧٨ قانونا يفرض العقوبة على كل شركة أو هيئة او شخص امريكي يتقيد باحكام المقاطعة العربية لاسرائيل .

وقد عارضت الغرف العربية ــ الامريكية هذا القرار ، واصدرت بياناتموضوعية تثبت نزاهة المقاطعة العربية وانتفاء الطابع العنصري عنها ، وتؤكد انها موجهة ضد العدوان الاسرائيلي المدان عالميا من منطلق الدفاع عنالنفس ، اضافة الى انها اجراءات قانونية محضة لها سوابق معروفة حتى في السياسة الامريكية .

وسرعان ما تحركت الجهات المسؤولة في سورية للاعتراض على القرار الامريكي الجائر والمعادي للحق العربي ، ووضع مشروع مرسوم بايفاد الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والتجارةالخارجية الى امريكا لهذهالغاية ، وتكليفي بأمانة السر ، ونظرا للظروفالسائدةآنذاك تعذر سفر الدكتور العمادي واضطررتللسفرللقيام بهذهالمهمة. وكانالوفدعلىمستوى كبار رجالالاعمالمنالدولالعربية وسأعودالى حديثهفيالرحلات.

كان برنامج الزيارة يشتمل على مقابلة للرئيس الامريكي جيميكارتر ، ولهذا قررت إعداد هدية ثمينة ذات مغزى ورجوت وزارة الاوقاف لتكليف ورشة الجامعالاموي بصنع لوحة من الفسيفساء تمثل دار الخليفة الوليد بن عبد الملك .

وفي يوم ١٩٧٨/٤/٢٨ جرى احتفال برئاسة الرئيس جيمي كارتر ، إلا انه اعتذر بسبب مشاغله ، وناب عنه وزير المالية الامريكية ، وبلغ عدد الحضور ستمائة شخص ، وبعد انتهاء خطاب وزير المالية الامريكية الذي استمر اربعين دقيقة صعدت المنصة لالقاء كلمتي ، والى جانبي ولدي الدكتور راتب الذي قام بترجمتها .

ورجوت الزميلين السيدين تيسير الفرا ومحمد توفيق سكر باحضار اللوحة ووضعها على المنصة ليطلع عليها الحضور ، أما كلمتي آنذاك فهذا نصها :

ما هو سبب حضورنا الى هـذه البلاد ، هل هي الغرفة العربيـة ـ الامريكية أم اتحاد الغرف العربيـة الذي أوجدالغرفالعربية ـ الامريكية أم اتحاد الغرفالسورية ام الطائرة التي اقلتنـا جواً الى هذه البلاد العظيمة ؟ الجواب بالنفي .

يعود الفضل لحضورنا الى هنـا للعلم والعمـل الذين استعملهما العالم اديسون واخترع الكهرباء ، ولولا ذلك لـم تكن هناك طائرات تقلنـا الـى هنـا عبر المحيطات والمســافـات الشـاسعـة .

لذلك كرّم المولى تعالى رجـال الاعمال حيث قـال جلّ وعلا في كتابـه الكريم : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) . ويسرنا بهذه المناسبة ان نقـدم هـذه اللوحـة المصنوعة من الفسيفساء القديم ، والتي ترمز الـى قصر الخليفة الوليد بن عبد الملك احد الخلفاء الامويين الذين في عهدهم انتشر العلـم في انحـاء العالم كافة ، وفي عهدهم وصلوا الى الاندلس وحتى الحدود الفرنسية .

إلا ان العرب يرزحون تحت نـير الاستعمار منذ خمسمائة عـام ، وحـان الوقت ليفيقوا من نومهم ويستعيدوا مجدهم باذن الله ، فارجو قبـول هديتنا هـذه لذكرى زيارتنـا لبلادكم راجياً ابلاغ تحياتنا وتقديرنا للرئيس كارتر مع الشكر .

مؤتمـر صحفـي في واشـنطن

وبعـد ذلك الاحتفال جرى مؤتمر صحفي في واشنطن تحدثت فيه أمـام رجـال الصحافة ، واليـكم خلاصة نقلت عنه من الشريط المسجل :

ان القرار الذي صدر عنكم بخصوص المقاطعـة ليس في مصلحـة أمريكا . فنحن نستورد من امريكا في كل عـام بمبالغ كبيرة ، فاذا فرضت شروطها فسوف نلجـأ الى الاستيراد من مناطق اخرى واسواق جديدة وتخسر امريكا . وكذلك صادراتنـا ففي ارضنـا مخزون من البترول فبدلا من أن ينضب في ثلاثـين سنـة يمكن أن ينضب في خمسين ونأخذ ثمنه اضعافا . ولذلك فقرار أمريكا ليس في مصلحتها .

والمـال لا ينفصل عن السياسة ، والسياسة مرتبطة بالاقتصاد ، والعلم الذيينظم الاقتصاد اسمه الاقتصاد السياسي . ولذلك ولو كنـا اقتصاديين فاسمحوا الى اتكلم

بالسياسة . فهنـاك قضية اسمها قضية فلسطين واذا لم تحل فلن يحل اي شيء آخر في قضية الشرق الاوسط . ان هناك مليون فلسطيني مشرد ، ولنتساءل : هل يقبل اي انسـان من اي شعب ان يخلى بالقوة من بيت يملكه ويسكن فيه ؟ فكيف يمكن ان يرضى من اخـذت بيوتهم واراضيهم وصودرت املاكهم وشردوا وصاروا يعيشـون تحت الخيـام ؟ وهل يعقل الا ننظم المقاطعة في البلاد العربية ؟ اذا مات الجد والأب فالابن الذي شردوه بالقوة سيحاول أن يعود الى بيته بالقوة . ولذلك فلا يمكن ان تحل أيـة قضيـة ما لـم تحل القضيـة الفلسطينية . واعتقـادي ان الشـعب الاميركي في اكثريتـه معنـا .

وبعـد عودتنـا الى دمشق تلقيت مـن الرئيس كارتر بتاريـخ ١٩ مايس ١٩٧٨ جواب شكر على هـذه الهدية ، ومرت الايام واذا بالرئيس كارتر يزور دمشق ، وخلال حفل استقبال اقامتها لـه السفارة الامريكية سال عني فاجتمعت اليه والتقطت لنـا صورة تذكارية ضمت قرينته ، وفي اليوم الثاني أبلغتني السفارة الامريكية بأن الرئيس كارتر يود زيارتي في مزرعة العدمل ، فاستأذنت وزارة الخارجية على أن يحضر احـد رجال المراسم ، وفي اليوم التالي وكان يـوم جمعة حيث اعتـادت عائلتي قضاء هـذا اليوم في المزرعة ، اقبل الرئيس كارتر يرافقه السفير الامريكي وموظفو الامن والشرطة ففوجىء بحشد كبير . ولمـا سال عن الحضور اجبته بأن هذا الحشد مؤلف من اسرة الشلاح ، واكثرهم من احـد اشقائي وأبنائه اضافـة الـى ابنائي واولادهم ، وامضى الرئيس كارتر وقتا طويلا في المزرعة يتحدث مع جميع افراد العائلة .

وفي طريق عودته اطلـع الرئيس كارتر على مصنـع القمر الدين ونقوع المشمش ولكسير بذر المشمش المر حيث قوبل بالحفاوة .

وعندما قدم الرئيس كارتر الى دمشق للمرة الثالثة دعاني الى السفارة الامريكية حيث استعاد هـذه الذكريات وتمنى ان يكون لديه الوقت لزيارة المزرعـة ،

* * *

الرئيس فرانسوا ميتيران

منحني وسام جوقة الشرف الفرنسي

تكرم دول العالم المتمدن الرجال الذين ساهموا في تقدم العلاقات الطيبة بين بلادهم والبلاد الاخرى ، ومن هذا القبيل انني فوجئت — ولم أدهش — بكتاب يصل الي ويفيد أن السفير الفرنسي المتميز بحبه لبلادنا وطول اقامته السيد فرناند روبتون قد اقترح على رئيس الجمهورية الفرنسية السيد فرانسوا ميتران منحي وسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة فارس ، وهو من ارفع الاوسمة العالمية . وفيما يلي نص الكتاب الموجه الي وانا رئيس لغرفة التجارة ، ولذلك فعلي الشكر لهذا التقدير :

السفارة الفرنسية — السفير — دمشق في ١٩٨٢/٢/٤

سيدي الرئيس

لي الشرف والسرور بأن انقل الى علمكم انه ، بناء على اقتراح من السيد فرناند روبتون ، قام السيد رئيس الجمهورية بتسميتكم فارسا في جوقة الشرف .

ان هذا التقدير العالي الشأن يأتي ليكافيء بحق مزاياكم ، فأنتم تساهمون بنشاط في تطور بلادكم الاقتصادي بصفتكم رئيسا لغرفة تجارة دمشق ، وتقومون عن جدارة بادارة العديد من المشاريع التجارية والصناعية . وعلاوة على ذلك فانكم تعاونون باخلاص في عديد من المهام الخيرية والدينية .

ان هذا الوسام يعبر كذلك عن تقدير بلدنا للصداقة الناجمة التي اظهرتموها لبلدنا على الدوام ، سواء في غرفة التجارة الفرنسية العربية التي انتم احد مؤسسيها ، او لمناسبة الزيارات التي قام بها وزراء فرنسيون ووفود تجارية .

وانني اذ اوجه اليكم اخلص تهانئي ، أرجوكم يا سيدي الرئيس ان تكونوا على يقين من اعتباري الفائق .

السفير هـ . سرفان

كما وجه السيد فرناند رويتون من أنقره ، حيث صار سفيرا فيها، الرسالة التالية :

انقره في ١٩٨٢/١٢/٣

تأثرت كثيرا برسالتكم يا عزيزي الرئيس ، واعبر لكم عن آيات الشكر راجيا أن تقبلوا احر التهانيء واصدقها بمناسبة تسميتكم فارسا في جوقة الشرف ، وهو ما اهلتكم له مواهبكم ومزاياكم وجعلته نجاحاتكم امرا مناسبا بل ضروريا بصورة مطلقة .

وانه لشرف لفرنسا ولاعضاء جوقتنا الوطنية بأن تصبحوا في هذه الجوقة ، وسرور لي ولزوجتي ، وسنظل مخلصين على الدوام للمشق ولاسرة الشلاح التي هي رمز هذه المدينة . ويننتابنا الف اسف على اننا لا نستطيع ان ننضم اليكم في ٧ كانون الاول ، ولكننا سنكون من كل قلبينا معكم ونحن في انقره ، ونتطلع الى لقائكم في دمشق في آذار القادم كما نأمل ان ننقل اليكم مشاعر الصداقة الاخوية التي نرجو ان تشاطرونا اياها . واكرر شكري لكم ولرسالتكم ، ولكم أطيب الامنيات .

فرنان رويتون

* * *

شخصيـات لا تنسـى

في هــذا الكتــاب ســجلت مــا تذكرتــه عــن بلــد نشــأت فيه وترعرعت هــو مدينة دمشق ، وعن تجارة هــذا البلد وزراعته اللتين عملت فيهما طول حياتي ومنها اكلت خبزي وخبز اولادي وغمرتني نعمــة الله عليّ ، ولم يكن لي بد مــن ان اسجــل ما اطلعت عليــه من امور وساهمت فيه من مناقشات نتيجة لكوني نلت ثقــة اخواني وتوليت مناصب في غرف التجارةالمتعاقبة وفي اتحاد الغرفالتجارية العربية ، وما كنت اعرضه من آراء ومقترحات في الامور الاقتصادية نتيجة عضويتي في لجــان اقتصادية عليــا مثل لجنــة الترشيد الملحقــة برئاسة مجلس الوزراء ، ولجان عليــا للاوقاف وغيرها كنت فيهــا عضوا نشيطا ، واخــيرا كــان لا بد مــن ذكر بعض النبذ والملامح عن شخصيات التقيت بها وعرفتها من قرب بدءاً مــن اسرتي وانتهاء بمن صــاروا في ذمــة الله من رجــال عرفتهم واخترت بينهم عددا قليــلا خصصته بالذكر دون سواء لعلاقة حميمة او لجلاء بعض الملامح . ولكنني لو رحت اكتب عن كل من كان لي شرف الالتقــاء بهم من الرجال العظماء والرجــال الموثرين في مختلف المجالات لأعياني ذلــك واعجزني وانقلب كتابي من صفته الحالية الى ان يصبح كتاب تاريخ ، وانا لست مؤرخا . كما لست انسى ان التاريخ علم جليل وان المؤرخ يجب ان يتصف بالاحاطة والتدقيــق والعمل الطويل في محاولة رسم صور الناس والاحداث ، وان يمحو نفســه وذاتــه في سبيل الحقيقة اذ ليس له ان يدخل عاطفته عندما يتقصى صورة الناس والاحداث . اما انا فانني رجل يتحدث على السجية ، ويعترف بمحدودية الانسان ، ولست قادرا على ان اخرج من جلدي كتاجر ومزارع واقتصادي لادخل في إهاب المؤرخ .

فليعذرني الكرام الذين لم اخصهم بذكر خاص ومسهب من رجالنا الاحياء مدّ الله في عمرهم ، وليسامحني من ذكرتهم ورأوا انني قصرت في حقهم او ربما اسأت عن غير قصد ، والله من وراء القصد .

عصــاميــون

لذلك وفي صــدد الحديث عــن الشخصيات البــارزة التي التقيتهــا في حيــاتي اذكر انه منذ ثــلاث سنوات اصدر الاستــاذ عبــد الله الخشرمي كتاب (عصاميون) وضمنــه قصصا وتجارب خمســة وعشرين انسانا مــن رجــال الاعمــال السعوديين

الذين حققوا امثلة جيدة من النجاح ، وقد شعرت بمتعة عميقة وانا اطالع هذه الفصول التي كتبها العصاميون بانفسهم ، وقدم كل منهم فيها لمحة عن تجربته وكيفية تدرجه في سلّم الاعمال حتى تحققت آماله .

ومما اثار ارتياحي انني كنت من شهود بعض هذه التجارب المثمرة ورافقت شخصيا بعض احداثها وتعرفت على اصحابها مباشرة ، ومن حقي ان اعقب على هذه السيَر بشيء مما احمله من انطباعات وذكريات .

اذكر انني كنت واخي (بدر الدين وشفيق الشلاح) على صلة مباشرة مع رجالات المملكة العربية السعودية ، ولنا فيها حضور مستمر ، وكان اخي شفيق قد ادى فريضة الحج للمرة الاولى في عام ١٩٤١ للميلاد عن طريق البر قادما من بغداد ، أما انا فقد اديت الفريضة المقدسة للمرة الاولى في عام ١٩٤٤ مبتدئا من دمشق فحيفا فالسويس بالقطار ثم ركبت الباخرة الهندية (خير الله) الى جدة وهذه الباخرة غرقت فيما بعد خلال الحرب .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ باشرنا شحن الخضار والفواكه الى السعودية بالطائرات ، ثم اسسنا محلا سبقت الاشارة اليه في مناسبة سابقة كما سجلنا في الغرفة التجارية.

وفي تلك الحقبة تعارفنا مع خيرة التجار السعوديين ، وتعاملنا مع بعضهم ممن ورد ذكرهم في كتاب (عصاميون) واذكر اننا آنذاك كنا عن طريقهم نبدل العملة اي الريالات الفضية التي كنا نقبضها بالليرات الانكليزية الذهبية او نحولها بالجنيه المصري . وعن طريق زمالة الغرف التجارية واتحادات الغرف وفي الندوات والمؤتمرات تعارفنا الى الكثير من الاخوة المذكورين في الكتاب ، والحق يقال ان مشاريع واعمال هؤلاء السادة كانت مفخرة لهم ولبلادهم في المجتمع العربي واوربا ، وقبل ان يكرمهم هذا الكتاب سبق للباري تعالى ان كرمهم في كتابه المنزل على اكرم الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في ٧٧ آية اولاها في سورة البقرة ورقمها ٢٥ حيث قال تعالى : وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل . وفي الايتين ٢ و ٣ من سورة العصر جاء : ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

جلالة الملك فيصل

واود ان اعقب على حديث الامير عبد الله الفيصل في الصفحة ١١ من كتاب (عصاميون) حيث اشار الى جوانب من سيرة والده العظيم المغفور له الملك فيصل ابن عبد العزيز آل سعود ، وكان لي شرف زيارته في داره بمصر الجديدة في القاهرة اثر عودته من اوربا حيث اجرى عملية جراحية ، وفي ذلك الحين ادلى جلالته بتصريح رائع عن العدوان على مصر .

وحالفني الحظ في عام ١٩٥٩ بان احج في مخيم الملك فيصل في عرفات ومنى ، وفي عام ١٩٧٢ كنت عضوا في وفد سوري رسمي مؤلف من السيد الدكتور محمد العمادي وزير التخطيط والسيد مصطفى الحلاج وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية .

كانت مهمة الوفد تجديد الاتفاقية التجارية مع المملكة العربية السعودية ، وبعد اربعة اجتماعات متوالية مع الموظفين المختصين تم الاجتماع مع الوزراء السعوديين الشيخ محمد العوضي وزير التجارة والدكتور سليمان السليم والدكتور هشام الناظر وزير التخطيط . وبعد توقيع الاتفاقية تشرفنا بمقابلة المغفور له الملك فيصل آل سعود اكرم الله مثواه واسكنه فسيح جناته ، واستمعنا منه الى كلمات تشرح الصدور .

وكنت اؤدي فريضة الحج في كل عام واسمع كلمة الملك فيصل التي اعتاد ان يلقيها في اجتماع رؤساء البعثات الاسلامية الى الحج ، وكان رحمه الله يرتجلها ارتجالا وتنبع من قلب مؤمن وصاف ، وكل جملة موضوع قائم بذاته ، ولا يفوتني القول ان جلالة الملك فيصل واحد من ثلاثة سياسيين كبار شهدهم هذا القرن ولا مثيل لهم وارجو ان يمد الله في عمري لاتحدث عنهم في جزء آخر من هذه المذكرات .

هذا وقد حاولت مرارا ان ازور الامير عبد الله الفيصل خلال زياراتي للسعودية فلم اسعد بذلك مع انني اتممت ــ والحمد لله ــ ثلاثا وعشرين حجة واكثر من مائة عمرة ، وزرت المملكة بكاملها بدعوة من جلالة الملك فهد حفظه الله ورعاه مع وفد مؤلف من اكثر من عشرين عضوا من رجال الاعمال العرب في ٢٣ آذار من عام ١٩٧٩ وهو ما اوضحته في قسم الرحلات .

الفصل العاشر

الأسرة - الأبناء والأحفاد والوصيات

يعيش العربي في جو اسرته ويجد فيها وجدها عضده وهناءه . ولقد كان هذا الارتباط بالاسرة في الماضي وعند العرب القدامى عصبية قبلية ، ثم جاء الاسلام فحمل اللين الى الاخلاق ـ وما من مؤمن حقيقي الا ويتمسك بلين الاخلاق ! ـ فاتسع الحب وصار مرحمة وشمل بخيره ذوي الارحام والاقرباء جميعا ثم الناس كافة ،

وقد نشأت في دوحة آل الشلاح وفي فرع منها ، ولما كان هذا الفرع واسعا بفضل الله فسوف اقتصر عليه فلست عالما في الانساب ، وانما اذكر بالمودة من جمعتهم ظلالنا القريبة.

كان والدي الحاج سليم بن رشيد الشلاح من اسرة تعمل في التجارة وقد سبق ذكره والحديث عن مآثره وطاعتي له وحرصي على رضاه بصورة مفصلة في هذا الكتاب .

وقد ولد لـه من الاولاد على التوالي : (محمد) الذي توفي عام ١٩٨٥ ، ثم كاتب هذه السطور بدر الدين ، ثم انور ، ثم شفيق ، واخيرا رشاد .

ان اخي محمد قد ترك بعده ولداً هو عبد الماجد وخمس بنات ، واخي انور له ولد اسمه نبيل الشلاح وهو يعمل مع والده وست بنات ، واخي وشريكي شفيق له ثلاثة ابناء هم موفق ورفيق وطارق ، وسيرد ذكرهم والحديث عنهم ومعهم في الرسائل التي وجهناها اليهم انا واخي شفيق اثناء الدراسة او التي اجابونا بها على رسائلنا، كما أن لـه ثلاث بنات . ولاخي رشاد من الاولاد الذكور فايز وغياث وهما يعملان مع والدهما ، وثلاث بنات .

ثم آتي بالتفصيل على ذكر زوجتي ام راتب واولادي واحفادي وذلك من قبيل ادخال المسرة عليهم وحين يطالعون هم واولادهم وذريتهم من بعدهم صفحات هذا الكتاب سيسرهم انني ذكرتهم واحدا واحدا وقد يعتب من لم يذكر . ولذلك فارجو القارىء الكريم الذي يفترض انه تهمه المسائل العامة دون الخاصة أن يتسامح معي قليلا اذا اسهبت في تعداد الاولاد والاحفاد بعد ان اوضحت الدافع وهو الحنان والغاية وهي ادخال المسرة .

ام راتب ، جوهــرة العــائلة . .

سبق ان قلت أن التقادير شاءت أن لا يدوم زواجي الاول المبكر أكثر من سنة ونصف بسبب صعوبة التعايش بين « السلايف » والكنة والحماة وخاصة اذا كانت هناك حماة ثانية اضافية ، اي زوجــة أب ، نظرا للجهل والامية التي كانت متفشية بين نساء ذلك العصر . ولا يسعني الا ان اشيد بمن سبقونا الى رحاب الله على حسن المعاملة التــي كانت الزوجة تلقاها من والدي بصورة خاصة ، ولكن مشيئة القدر والقسمة والنصيب جعلت من المشــاكسة أمرا مستحيل الاحتمــال في التعايش ممــا أدى الــى التفريق وصدق الله تعالى : « **وما تشاؤون إلا ان يشاء الله ، ان الله كان عليما حكيما** » .

وقــد انعم الله علي بزواج مثالي افردت له حقلا خاصا في هذه المذكرات تكريما بل واكراما لهذه السيدة الفاضلة ، وشكرا لله تعالى على ما أولى به وانعم .

فقد كان الزواج الثاني موفقا جدا ، فجد الزوجة لوالدتها المرحوم عبــد الرحمن النابلسي كان في القصر الملكي باستنبول حيث تولى عدة مناصب عالية في العاصمة التركية .

وكانت هذه الزوجة مثالية في اخلاقها وخلقها وهبها الله العقل الراجح عرفت معــه كيف تكسب محبة افراد العائلة بين هــذا الحشر مــن سكان الدار الواسعــة وأسأل الله عز وجل ان يؤتيها ثــواب الدنيا والآخرة .

أجل عرفت في زوجتي هذه كل معاني الصدق والامانة والمحبة والكلمة الحلوة مما اكسبها احترامي واحترام الجميع لها ، عرفت فيها كل فضل وخلق رفيــع وحنــان ومحبة وهي التي رزقني الله منها ذرية صالحة فكانت نعم الزوجــة ، وللاولاد نعم الأم وللاسرة كل الاسرة نعم الصديق بعقلها الراجح ورايها السديد تلك هي أم راتب .

« **ربنــا آتنــا في الدنيــا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنــا عذاب النــار** » .

« صدق الله العظيم »

قالوا يا رسول الله ان حسنــة الآخرة هي الجنــة فما هي حسنة الدنيا ؟ فقــال رسول الله « زوجــة خلوق مطيعــة » .

وانني عرفت بأم راتب كل ما اوتيت الزوجة المطيعة الصالحة من خصائص وهبهــا الله لعباده المخلصين الاوفياء الاتقياء ، واني اسجل ذلك لها راضيا عنها كــل الرضا .

اولادي واولادهم

ـ أولى بناتي نجاح ، وقد ولدت عام ١٩٢٩ وتزوجت من السيد توفيق سكر وانجبت له اربعة من الذكور هم : زياد ونزار وعماد ورياض ، وبنتاً واحدة هي فاتنة .

وقد تزوج زياد وانجب ثلاثة ذكور هم : توفيق وانس وطارق .

وتزوج نزار وانجب ثلاث بنات هنّ : نجاح ونور ورنا .

وتزوج عماد وانجب أولادا هم حازم وحمزه وزينه وسارة .

وتزوج رياض وانجب ريم وراما .

وتزوجت فاتنة وانجبت زينه ودانيه لزوجها السيد عامر البعلي .

وتزوجت الحفيدة رنا من السيد عماد الدين السمان .

وبذلك تكون نجاح اعطتني خمسة من الاحفاد او (الحفدة) كما يقول المعجم ، وهؤلاء الخمسة ولد لهم حتى ساعة كتابة السطور ثلاثة عشر من ابناء الاحفاد .

ـ بعدها ولدي الدكتور راتب وقد ولد عام ١٩٣٢ وله من الاولاد : بدر ولينا ولؤي وعمر . وقد تزوجت ابنته لينا من السيد خالد ابن المرحوم توفيق الحبوباتي وولدت له ابنتين هما تالا وسيما .

ـ ثم ابنتي دلال ، وهي الثالثة وقد ولدت عام ١٩٣٣ ، وتزوجت من الصحفي الاستاذ عثمان الشحرور الذي توفي الى رحمة الله قبل سنوات قليلة ، وانجبت له البنات : سحر واسمناز وجمانه وريما ومنى ومن الذكور محمد .

وقد تزوجت سحر من السيد غازي الوتار وانجبت له ـ ولي ايضا من أولاد الاحفاد ـ : رنا وريم وهاله وراما .

وتزوجت اسمناز من الدكتور معاذ عثمان وولدت له : محمد وفرح ويارا .

وتزوجت جمانه من الدكتور سامر الحلبي وولدت له : عمر ويزن ورامي .

وتزوجت ريما من السيد سمير حبال وولدت له : زينه ومحمود وبدر ودلال .

وتزوجت منى من السيد ماهر البعلي وولدت له : ميساء وهيفاء ومايا .

وتزوج محمد من سامية بنت السيد شفيق العقاد وولدت له ولداً اسمه عثمان .

ـ ثم ابنتي رجاء المولودة عام ١٩٣٧ ، وقد تزوجت السيد حكمت حجيلي من حلب وولدت له : محمد وفادي ورنا ورشا ورانية .

ـ ثم ابني سليم من مواليد ١٩٣٩ ، وله من الاولاد : عامر وورلا ولمى .

ـ ثم ابنتي رمزية من مواليد ١٩٤٢ ، وقد تزوجت من السيد خلدون رملي وانجبت له : عارف وباسل ومايا ولنا .

ثم ولد غسان ومحمد عام ١٩٤٦ توامين . وقد تزوج غسان من سناء بنت المرحوم اللواء عمر الابرش وله منها الاولاد رشيد ودانية ولانا . وتزوج محمد من فاتنة بنت المرحوم صادق ملص وأنجبت له ابنه زكي ثم تزوج من منى بنت السيد محمود الحبال وجاءه منها الولدان بشر وخالد .

اذن فأولادي ثمانية وأولادهم ثلاثة وثلاثون وأحفادي خمسة وثلاثون فيكون اكتمل العدد حتى الآن ستة وسبعين (ما شاء الله) من ذرية صالحة . وتكاد تغلبني الفكاهة فأقول على عادة التجار بعد أن (يفقطوا) البيان : عدا السهو والغلط .

وقد أعانني الله على تربيتهم تربية صالحة قدر ما استطيع ، وفقهم الله جميعا وجعلهم من سعداء الدارين .

تعليم اولادي

منذ اليوم الذي تركت فيه المدرسة مرغماً تحت ضغط الوالد وشقيقي محمد من اجل ان اتفرغ للعمل في محلنا التجاري ، وقد سبق الحديث عنه ، بقيت اشعر بعقدة الحرمان من متابعة الدراسة في مراحلها حتى العالية ، ولم يخفف عني هذه العقدة معرفتي الاكيدة بأن مدرسة الحياة كفيلة بتزويد الانسان بكثير من الخبرة والثقافة ، وقد فعلت واشكر الله على نعمائه . ولذلك فقد آليت على نفسي أن اعلّم اولادي جميعاحتى مراحل التعليم العليا وقدر ما استطيع وذلك وفاء لحقهم في الثقافة والحصول على الاختصاصات المفيدة ما دمت قادرا بعون الله على تأمين النفقات . ولم اكن استطيع ان انسى النظرة الفوقية التي لمستها من اشقائي الذين تابعوا تحصيلهم في الغرب والذين ظلوا فترة طويلة يعتبرون اننا دونهم لمجرد ان الظروف اضاعت علينا فرص التعلم والمتابعة كما اتيحت لهم .

راتب وموفق

لذلك وبحكم شراكتي مع اخي شفيق واتحاد المشرب فيما بيننا ، ما كاد ولدي راتب وابن اخي موفق ينجزان المرحلة الابتدائية حتى الحقتهما بمدرسة « برمانا » العالية في لبنان ، وهي مدرسة بريطانية شروط القبول فيها صعبة وذلك من أجل تقويتهما باللغة الانكليزية . وبعد هذه المرحلة انتقل راتب الى احدى مدارس انكلترا واسمها مدرسة بوزم في يورك ، وكان الطالب العربي الوحيد آنذاك في تلك المدرسة ، فشعر منذ البداية بنظرة غير مستحبة يكنها الانكليز للعرب اذ كانوا يعتبرونهم من البدو رعاة الإبل والغنم الذين يعيشون في الخيام مع السائمة .

ولكن لم ينقض شهران حتى استطاع راتب بادبه وسعة صدره ولباقته اقامة علاقة ود مع مدير المدرسة الذي أصبح يدعوه الى منزله كل يوم عطلة وكان الطالب الوحيد المقرب اليه . فتبدلت نظرة زملائه الانكليز وحل الاحترام محل الانكماش ، وما زلت اذكر ملاحظات مدير المدرسة على ورقة علامات راتب حيث قال حرفياً : لقد علمنا راتب وتعلمنا منه اكثر مما علمناه . ان طلاب المدرسة البالغ عددهم ٧٠٣ طلاب ، يأسفون لترك راتب المدرسة ويتمنون لو كانت اقامته في مدرستهم اعواما بدلا من عام واحد .

وانتقل راتب بعد ذلك الى جامعة في مدينة « هل » في الشمال الشرقي من انكلترا وما لبث هناك أن تعرّف على العديد من الاصدقاء ، ومن في مقدمتهم السيد « هورصلي » شريف المدينة ، ورئيس بلديتها الفخري ، وصاحب أكبر معامل الحليب والشوكولاته وشراب البرتقال ومحلات التبريد . ويملك ١١ معملا في عدة مدن بانكلترا ، وقد زرت هذه الجامعة وزرت هذا الصديق هورصلي وسيأتي ذكر هذه الزيارة في احدى رحلاتي بشيء من التفصيل اراه مفيدا .

وخلال لقاءات راتب مع رفاقه من الطلاب العرب جرى ذكر جامعة اكسفورد الشهيرة بمستواها العلمي والاجتماعي وشروطها الصعبة للقبول ، ومنها أن يكون الطالب من عائلة ذات مكانة مرموقة في وطنه ، وذات سمعة حسنة وارومة رفيعة . وقد عزم راتب على دخول جامعة اكسفورد ، وتقدم للفحص الخاص فنجح ، لم اجتاز

شرط التزكية من شخصية بريطانية معروفة حيث وردت دون علمنا بشهادة جيدة من مدير مدرسة « بوزم في يورك » التي داوم فيها عاما واحدا ، فكان خلال مدة دراسته في اكسفورد موضع ثقة وحب زملائه واساتذته .

وقد نقل لي المرحوم فايز الخوري سفيرنا حينذاك في بريطانيا ، انه اقام حفلة شاي بدار السفارة للوفد الصحفي السوري المؤلف من السادة عبد القادر القواص وفؤاد كردوس وبشير كعدان ومحمد عثمان شحرور ، حيث كان الوفد المشار اليه في زيارة لبريطانيا بدعوة رسمية . وقد حضر الحفلة وكيل الخارجية البريطانية والمستر سوبرك الملحق الصحفي البريطاني وعدد من اعضاء السلك الدبلوماسي العربي والشاعر الاستاذ نزار قباني الذي كان مستشارا بالسفارة ، ودعي بهذه المناسبة راتب الشلاح وابن عمه موفق . وعندما قدّم السفير راتب الى وكيل الخارجية البريطانية على انه طالب سوري في جامعة اكسفورد ، راح يتحدث اليه وطال حديثه معه واعرب السفير لراتب عن اعجابه بسلامة نطقه وسعة اطلاعه وذكائه ، وقال له : اهنئك فانك تتكلم الانكليزية بطلاقة ، ونطق سليم ، اكثر من الانكليز انفسهم .

ومن اكسفورد ، انطلق الى الولايات المتحدة الاميركية ، طلبا للمزيد من العلم والمعرفة والثقافة ، وقد كنت حريصا على احضار راتب خلال العطلة السنوية الى دمشق حتى لا يتأثر بالعادات البريطانية وليبقى مؤتلفا مع جو وطنه ومنسجما مع اهله ومجتمعه ، وكنت الاحظ أن كثيرا من شبابنا الذين تابعوا التحصيل في الغرب ، تأثروا بتقاليد الغرب وعاداته واجواء أوروبا فتبدلت نظرتهم لبلادهم ، ومنهم من فضل العيش في اوروبا وعدم الرجوع الى وطنه ، واحمد الله تعالى على اننا لم نقع في هذا الخطأ .

وفي عام ١٩٥٦ ، التحق راتب بجامعة بركلي في كاليفورنيا ، وكنت ارى ان يتخصص بالتجارة والاقتصاد في اعلى مستويات التعليم نظرا لافتقار اعمالنا التجارية الى المتخصصين ، وكانت استيرادات الاصناف الرئيسية وحتى كل المستوردات السورية محصورة في أيدي تجار لبنان بسبب المامهم باللغات الاجنبية وثقافتهم التجارية .

وفي عام ١٩٦٠ حصل على شهادة الدكتوراه في العلوم وادارة الاعمال ، وعاد الى

دمشق حيث عمل معنا في محلنا التجاري لمدة أربعة أعوام ، وعمل في نفس الوقت استاذا محاضرا في كلية التجارة في جامعة دمشق لمدة سبعة اعوام . ومن بعد ذلك ذهب الى بيروت واسس لنفسه مكتبا تجاريا مستقلا ، وكان يحضر في نفس الوقت الى دمشق يومين في كل اسبوع ليوجه عملنا التجاري ويشرف عليه ويلقي محاضراته في جامعة دمشق ويؤنس الاهل بوجوده . وكان في الوقت عينه استاذا محاضرا في الجامعة الاميركية في بيروت وبقي كذلك حتى عام ١٩٨٣ حيث عاد الى دمشق واشترى منزلا وارضا زراعية واصبح يدير من دمشق اعمال مكتبه في بيروت ، ونحمد الله اذ أسعدنا بوجوده وأسعده بالقرب منا رغم الاضرار التي أصابت عمله نتيجة الاحداث في لبنان والركود في السودان .

وحصل ابن شقيقي الدكتور موفق على الدكتوراه في الولايات المتحدة ، ونال اخواه رفيق وطارق شهادات عالية منها ايضا ، في حين حصل سليم على الدكتوراه في الاقتصاد الزراعي ، وقد عمل مع الدكتور موفق كمحاضر في جامعتي دمشق وعمان . وكذلك كان شأن ولدي غسان فقد نال شهادة بكالوريوس في العلوم السياسية من الجامعة الاميركية وحصل اخوه محمد على شهادة البكالوريا ، وصار الكل يعملون معنا في محلاتنا ومزارعنا وما يزالون .

ومنذ عودة اولادنا تباعاً من دراستهم في البلاد المتقدمة كنا نتمحص وضعنا ووضعهم في المحل ، ووجدنا ان نوعية نشاط مؤسستنا التجارية وطبيعتها قد تقلصت تقلصا كبيرا وذلك لاكثر من سبب . فمن الاسباب اننا كنا نتبع التركيز في توجيه عملنا اذ كنا دائما وفي كل الاوقات نفكر ونعمل للتصدير ونتجنب الاستيراد ما امكن. كما اننا كنا لا نرغب في الدخول في مجالات العمل الجديدة التي كانت تتوفر في القطر ، ولذلك قررنا عن وعي وادراك ومعرفة اننا سنكتفي بالمجالات التي دأبنا على العمل فيها منذ البداية ، وكنا دائما نسعى لان نبقى غير خجولين بل فخورين بما نعمل ولا نعتذر عنه ، واكثر من ذلك ، فرغم كثرة أصدقائنا المحبين على المستوى الرسمي وضعنا نصب اعيننا واعين اولادنا اننا لا نتوسط لدى اي من اخواننا واصدقائنا في أي عمل يعود علينا بالنفع الخاص ولا نطلب اي استثناء لعملية معينة نقوم بها مهما كانت ، كما اننا نحاول ان لا نخالف أو نتجاوز القرارات والانظمة حتى لا نضطر أن نغطي اخطاءنا .

ان اهم نقطة في بلدنا الصغير هي أن لا شيء يحصل دون ان يعلم به كل من هو مهتم أو متأثر . ولذلك نحمد الله اذ ان أعمالنا التي كانت ولا زالت تحت المجهر لم تتعرض لأي شائعة مخالفة أو تجاوز وقد يقال أننا كنا متقاعسين بعض الشيء مع أننا نملك الجهاز والقدرة والمعرفة وكان يتوجب علينا ان نعطي اولادنا الفرصة الاكبر لتحقيق أهدافهم واستعمال طاقاتهم . وقد كان ذلك باختيارهم وتربيتهم هم لا نتيجة ضغط منا .

المهم أن تناقص نشاطنا النابع منا ذاتياً والنابع كذلك من تقلص حجم العمل بأعمالنا التقليدية قد أعطى نتائج غير مرضية وغير كافية لاعالة هذا العدد الكبير من الاولاد واعطائهم الفرصة لعيش كريم ومحترم . اضافة لذلك فأنا لا اخفي بأننا تركنا لهم عبئا اجتماعيا كبيرا نتيجة الاسم المرموق الذي نتمتع به .

ولذلك فلقد تركنا عملنا التجاري وانسحب من المكتب اخي شفيق وانا وبالتالي فان هذا المحل قد اصبح الآن لابن اخي الدكتور موفق وولدي محمد ومروان وهناك تعاون بينهم وبين ولدي الدكتور راتب . اما ولدي الدكتور سليم فلقد اختص بالزراعة والزبداني اضافة الى بعض أعمال تجارية اخرى يقوم بها مستقلا وبالتعاون مع عمه الاستاذ انور وابن عمه الأخ نبيل الشلاح . والاستاذ رفيق افتتح مكتبا مستقلا للاستشارات واستيراد المواد الزراعية قرب فندق الشام ، أما السيد طارق فلقد فتح مكتبا للسياحة والسفر في شارع الفردوس وهو الآن عضو في مجلس ادارة جمعية السياحة والطيران . واخيرا فان ولدي غسان الشلاح يتعاون مع بعض الشركات الاجنبية العاملة في دمشق . ثم أننا لم نكتف بأن انسحبنا كلياً من العمل التجاري ولم يعد لنا اي علاقة مادية به أو معه ، بل أننا منذ عشر سنوات تقريبا وزعنا انا وأخي شفيق كل ما لدينا على الاولاد وكل واحد منهم الآن يملك ويتصرف بشكل مستقل وشخصي وان هذا التوزيع كان هبة دفعنا عنها الضريبة المالية .

وما نزال نحتفظ ببعض الايرادات الزراعية لتغطية نفقاتنا ومصاريفنا . ومن نعم الله عز وجل علينا ان أولادنا قد شبّوا على الصلاح والسمعة الحسنة وهم رغم تملكهم واستقلاليتهم لا زالوا يستشيروننا في الراي بما هم مقبلون او عازمون عليه .

ندعو لهم دائما بالتوفيق والنجاح المبنيين على توازن لا يسمح لهم ابدا بأن يحققوا أي نجاح أو أي ربح على حساب ضرر الآخرين أو ضرر هذا الوطن الغالي العزيز .

حســن الختـــام ان شـــاء الله

لقد اكرمني الله بهذه الاسرة وصار يتحتم عليّ ان اسجل مــا اوصيت به اولادي واولادهم وكل اسرتي ليكون الناس شهداء عليهم وليفعل الناس ما فعلتــه في صــدد وصية العابد التي سبق ذكرها قبل قليل ، لأن السهر على تنفيذ ارادة مــن يسبقون الى رحمة ربهم واجب في عنق الباقين حتــى يستمر المعروف وتترابط ارادة السلف والخلف . وهاكم وصيتيّ اللتين كتبتهما في هذا الصدد .

وصيتــي المعنويــة الاولــى في ١٩٦٣/١٢/٢

والدتي الحنونة ، زوجتي الحبيبة ، شقيقي شفيق ، اشقائي محمد وانور ورشاد، شقيقتي زكية ، اولادي الاعزاء ، اصهاري الغالين ، أبناء شقيقي شفيق .

كنت ادعو وانــا في اول عمري ان يقويني الله تعالى على القيــام بواجبي نحو والديّ لاكسب رضاءهما ولاتمكن من ان اعيش عيشة هنيئة غير متعبة بالنسبة لي ولاولادي ، وارجو الله ان اكون قمت بالواجب خير قيام وهذا ما أتمناه .

اخي شفيق اطال الله عمرك انك كنت في حياتي تمثلني خير تمثيل لانني كنت أعتبر اننــا روح واحدة وتفكير واحد ومبــدأ واحد ولكننا جسمان منفصلان ، لذلك فانني اعتبر نفسي كأنني لم امت على الرغم من انني مسرور باليوم الذي الاقي فيه وجه ربي وانــا مرتاح الضمير ، ولا بد ان يجعل تلك الساعة ساعة رحمة وعفو وغفران . لذلك فانت الوصي والناظر لتنفيذ وصيتي المحررة والمؤرخة في١٩٦٣/١٢/٢ بالحرفالواحد وأن تقرأ هــذه الوصية المعنوية والوصية المادية المذكور تاريخها أعلاه قبل نقلي مــن هــذه الدار الفانيــة الى الدار الآخرة .

والدتي الحنونة الغالية : إياكِ والحزن فهذا أمر الله لا مرد لــه وارجــو الا تقطعي الدعــاء لي بعد كل صلاة ، وأن تأخذي من اخي شفيق جميع ما يخصك مــن الايراد بحسب نصيبك الشرعي وتصرفيه على راحتك ولوازمك واعمــال البر والاحسان ، وأن تتنازلي عن كامل حصتك الى اولادي فقط وتتمتعي بالريع كما ذكرت ، وهذا اذا قبلتيه بالرجاء مني اثابك الله ، واذا لم تقبليه فهو حقك بكامله . وارجوك انتسامحيني عــن كل مابدرمني من قصور لانني مهما قدمت فاني لم اتمكن من وفائك حقك .

زوجتي الحبيبة ام راتب : اولا ارجوك ان تسامحيني اذا كان قد حصل بعض الاختلاف بوجهات النظر في حياتنا الزوجية والتي لم تصدر ان كان مني او منك الا لما فيه المصلحة الزوجية ، والله وحده يعلم مقدار حبي لك الذي ما كنت اظهر لك منه الا الجزء القليل خوفا من ان تنساقي مع نفسك وكان ذلك تقديرا مني على حسن معاملتك لوالدتي ووالدي ولكافة افراد عائلتي واولادك ، جزاك الله عني كل خير .

والآن رجائي بعدم رفع اي صوت علي بل تقبلي ذلك بكل صبر ، وهذه سنة الله في خلقه . ولا تدعي أحدا من بناتك وأولادك يرفع صوته واعلمي أن أخي شفيق هو الوصي والذي يفرضه هو الحق والعدل وعليكم جميعا قبوله بدون اي مراجعة .

اولادي راتب ونجاح ودلال وسليم ورجاء ورمزية ومحمد وغسان ، الله يرضى عليكم ويعافيكم من كل بلاء : أعتبر نفسي انني اترك هذه الدار الفانية وذاهب للدار الآخرة وانا مرتاح الضمير تجاهكم واظن اني قمت بواجبي نحوكم ، واذا حصل قصور فأرجو أن تسامحوني . ووصيتي لكم الآن هي الايمان بالله الايمان الحقيقي والتخلق بالاخلاق المحمدية والمثابرة على الصلاة ومعاشرة بعضكم معاشرة تسامح ومحبة واخلاص . واعلموا انكم وابناء عمومكم اخوة لا فرق بين اخ واخيه وبين اخ وابن عم، واعلموا أن كثيرا من الاملاك والاراضي والاسهم مسجلة على اسماء بعضكم ومسجل بالدفاتر والبعض الآخر غير مسجل باسمه شيء كون الذي لم يسجل لهم كانوا غير بالغين ولا يمكن تسجيل شيء بأسمائهم لذلك فعمكم ابو موفق هو الذي يضع سعرا لكافة ما اتركه لكم وهو الذي يعطي لكل ذي حق حقه ، وعليكم قبول كل ما يفرضه عليكم . ويوجد بعض اشياء طفيفة مسجلة باسمي والحقيقة هي مناصفة بيني وبينه والذي اريده ان تعطى كل البنات حصتهن من الارث لينصرفن بها على الشكل الذي يردنه واذا طلع لهن حصة بالاراضي فهذه الحصص تسجل بالطابو بأسمائهن وتبقى ادارة الاراضي ادارة واحدة وبعد تنزيل المصروف بآخر العام وتنزيل حصة تعادل ١٠٪ على الاقل الى الذي يشرف على الادارة ويوزع الباقي من الايراد على المالكين كل بنسبة حصته . والسبب في ذلك اذا بقيت الادارة واحدة والوكيل والخولي والدائرة والمصروف بيد واحدة اوفق من ان كل بنت تستلم حصتها وتديرها وبذلك لا يمكن لها الاستفادة من الايراد بشيء بل على العكس لربما لا يكفي الايراد للمصروف . وعليكم ان لا تقطعوا

زيارة بعضكم وخصوصا الذكور منكم وعلى الاخص كل هذا مسؤول عنه الاخ الاكبر وهو راتب الذي يفرض عليه الواجب ان يكون والدا لكم وان تكونوا جميعا أولادا له واني مطمئن بأنه سيكون عند حسن الظن واحسن مما أعهده به من اخلاص ومحبة وجمع الشمل .

واخيرا اوصيك يا راتب ويا سليم ويا محمد وغسان ان تكونوا يدا واحدة مع ابناء عمكم شفيق اولا ومع ابناء عمومكم جميعا ثانيا وان لا تتركوا البنات اللواتي ما تزوجن وتعطفوا عليهن عطف الاب الحنون والله اسأل ان يوفقكم جميعا ويرضى عليكم .

اولادي موفق ورفيق وطارق ونعمت واميرة وغادة : اوصيكم بما اوصيت به اعلاه ابناء عمكم بالحرف الواحد وما كان عندي فرق بين واحد منكم وبين واحد من ابنائي اطلب من الله ان يرضى عليكم .

زوجة شقيقي ام موفق ارجوك ان تسامحيني اذا كان حصل مني شيء يوما من الايام ازعجك ولم اكن اقصد من كل الشدة التي استعملتها معك الا لمصلحتك ومصلحة اولادك ومصلحة العائلة ولولا ذلك لما نظرت هذه النتائج التي وصلت اليها ووصل اليها عموم افراد هذه العائلة من محبة وإلفة وراحة وهناء وعلم ، لذلك فاني ارجع واكرر ان تسامحيني .

اخواني محمد وانور ورشاد ، اودعكم الله وارجو لكم التوفيق واطلب منكم ان تسامحوني وثقوا انه ما خطر في بالي يوما من الايام وانا صغير وانتم في المدارس ان تكون فرقة بيننا وبينكم ، امر الله نفذ وحصل الانفصال عن بعضنا بالاعمال ولكن لم يحصل اي انفصال اخوي بل على العكس زاد عما هو عليه وكان لا فرق بين واحد منكم وبين ابي موفق الا العمل والمصلحة . لذلك ارجوكم واكرر رجائي بأن تسامحوني خصوصا وانكم تركتم لي والى ابي موفق صرف وصية والدكم وارجو الله ان نكون قمنا بذلك خير قيام .

شقيقتي ام توفيق اودعك الله وارجو لك الصحة والعافية وان يديمك فوق راس الاولاد جميعا وارجو الله ان يوفقهم في هذه الحياة وان يجعلهم من السعداء وان يكونوا كلهم اطوع لك ، والحقيقة ان الله انعم علينا نعمة لا تقدر فيك لانه قليل من امثالك

فأرجو منك ان تسامحيني وتطلبي من صهري العزيز ابي توفيق ان يسامحني وارجو الله ان يعافيه .

اصهاري الاعزاء : اوصيكم خير وصية في البنات واحمدوا ربكم على نصيبكم بهم وانني لم اذكر ذلك لانهن بناتي بل لانهن خير الزوجات في عصرنا هذا من ناحية الدين والقناعة والاطاعة لكم . واني كنت بحكم وضعي الاجتماعي مطلعا على كثير من الحياة الزوجية في بلدنا ولكن قلّ ان يوجد بنات يتحلين بالصفات المطلوبة للزوج مثلهن وارجو ان لا تقبلوا منهن اي عذر اذا اظهرن الحزن بل حزنهن ان يتذكرنني بقراءة شيء من القرآن اذا توفر لهن وقت ، وارجوكم ان يقبلوا كل ما يفرضه اخي شفيق وولدي راتب بخصوص قسمة التركة ، والطريق الذي يسلكونه هو الطريق الحق الصحيح المنصف ، والله اسأل ان يديمكم على راس الاولاد .

ان اغراض المنزل عمومه ان كان في المصيف ام في الدار ام في القرية فهي ملك خاص الى زوجتي ارجو ان لا يأخذ احد منها شيئا الا والدتي فاذا رغبت شيئا فهو لها . واخيرا اقول الى أولادي الاعزاء :

كنت ادعو الله وانتم اطفال ان يمد في عمري حتى اراكم جميعا قادرين على العمل وكسب العيش ، متمتعين بالغنى عن الناس ، مكرسين الوقت الاكبر لخدمة المجتمع بجميع نواحيه وقضيت حياتي كلها في الكفاح وكسب المال الحلال لانفقه على تعايمكم ليقوم كل منكم على راس عمل ناجح ينظر اليه الآخرون بلا حسد . ان ما تركته في صدوركم من العلم وفي رؤوسكم من الاخلاق هو الثروة التي اوصيكم بها وليست الثروة المادية التي ستكون قليلة بعد توزيعها بينكم ، فهي الاساس وثروة العلم والاخلاق اثمن من مال الدنيا اذا صينت وحفظت ولم يستهتر بها اصحابها . على انني وانا اغادركم الى دنيا جديدة لا رجعة منها أوصيكم ان تبرّوا امكم وان تجعلوا منزلتها فوق كل منزلة وهي الجديرة بالتقدير لانها كانت السبب الاول في نجاح تربيتكم ولانها كانت المضحية براحتها في سبيلكم وليكن كل فرد منكم جلودا على الحياة باسما في حالتي غضبه ورضاه ، بشوشا في فقره وغناه ، وسطا في بؤسه وسعادته ، لا يخفض راسه ذلاً ولا يمشي في الارض مرحا في السعادة ، فتلك هي الرجولة التي يستحق صاحبها الحياة ، وان صبر المرء على نفسه خير من صبر الناس عليه فليصبر كل

منكم ويتجلد للشدائد ، ويتغاضى عن الهنات فنهاية الصبر النصر ونهاية الغضب الفشل ، وليكن كل منكم في حالات قوته وضعفه مثلاً في الثقة بنفسه . ان القوي يخاف على نفسه ويحسب ألف حساب لكل خطوة خشية ان يخطيء فتنزلق قدمه ويدق عنقه بسبب تافه او قليل . اما الضعيف فقد يصل به ضعفه الى اليأس واليأس يولد الشجاعة ويقضي على الخوف ويستبعد الجبن فلا يقيم وزنا لاحتمالات الفشل ، ومن هنا تبدأ نقطة انطلاق الضعيف وتراجع القوي فلا يرهب احدكم من الضعف ولا يغتر بالقوة ، واذا آمن بنفسه وبربه فقد ضمن السلامة وفتحت له الابواب واحبه الناس .

وأوصيكم وصية ثانية بعمكم شفيق لكي تعتبروه والدا حقيقيا لكم وتمشوا تحت لوائه وبحسب مشورته لانكم مهما علمتم عنه فانكم لا تعلمون شيء لانه رجل مسالم متكل على الله حق الاتكال متصل بربه حق الاتصال مسامح مع كل الناس وله مقام عظيم عند ربه .

وبعد فاذا الباري أراد وأطال عمري لاكمل كتاب حياتي الذي باشرت به ولم اتمكن من اتمامه للآن لعدم وجود فراغ في اوقاتي ، فأرجو الله ان يمكنني من اتمامه واني أوصيكم بقراءته لانه يحوي كثيرا من النصح والارشاد وينير الطريق أمامكم في كيفية الوصول الى المكانة المرموقة ، واذا لم أتمكن من اتمامه وكانت المنية عاجلتني فهناك جزء من هذا لكتاب محرر على ورق وموجود ضمن ملف فيه كثير من أشياء مرادي اضافتها للكتاب وقسم كبير من التحارير المرسلة لكم يمكنكم جمعها وتصنيفها .

واخيرا ارجو لكم حياة حلوة غمر الله دنياكم بالرضا والسعادة وغمر آخرتي بالغفران والرضوان والسلام عليكم .

في ٢٠ كانون الاول عام ١٩٦٣

بدر الدين الشلاح

طالب العفو والغفران من المولى الكريم

حاشية : وبعد ان اخذ الاصلاح الزراعي احسن الاراضي وبيع القسم الآخر اصبح من اللازم اجراء الافراز والتخاصص لكل الارض وعدم بقائها بدون افراز حتى يتمكن كل وارث من التصرف بالشكل الذي يرتأيه والسلام .

في ١٩ كانون الاول ١٩٦٨

حاشية ثانية :

بعد ان جربت تسليم العمل الزراعي الى اكثر الاولاد ومنهم اولا رفيق ثم موفق ثم محمد ثم غسان رايت من العسير انسجامهم مع الارض لذلك اصبح من الضروري الافراز والتخاصص بشرط ان لا يكون في اي محضر شريكان بل كل محضر لمالك واحد حتى الحوش وحتى الورشة والموتورات وبعد الاختصاص كل واحد يتصرف كيف يشاء .

في ٣ تشرين الاول ١٩٧٨

وصيتي المعنوية الثانية في ١٩٨٥/٣/١٧

زوجتي الحبيبة ، ابنائي وبناتي وازواجهم :

قبلاتي لوجناتكم جميعا وبعد ، اكتب هذا لربما تكون هذه آخر كتابة اليكم جميعا كوصية اوصيكم بها . تعلمون بأنني قد عملت قسمة بيني وبين عمكم شفيق الحاج ابي موفق الذي عشت معه هذا العمر الطويل ولا احد منكم ولا من ابناء عمكم ولا والدتكم ولاوالدتهم يعلم ماذا بيني وبينه . ثم ان القسمة التي اختص كل منا بها لم تعرض عليكم والقصد من ذلك حتى بعد مغادرتنا هذه الدنيا الفانية لا تكون علاقة قسمة بينكم وبين ابناء عمكم ، ومن ثم فقد كانت نتيجة القسمة أن خصصت ابنائي وابناء شقيقي وبحسب النصاب الشرعي وبعد التخمين الواقعي لكل عقار وكل قطعة ارض وعملنا جداول اختصاص وقعنا عليها ووقعتم عليه انتم جميعا . ولما كان يوجد تسجيل ملكية باسماء افراد منكم لم تكن هذه الملكية تخصهم بعد القسمة ، فقد احضرنا كاتب العدل الى الدار وعملنا تنازلات بكل عقار اصبح للغير ، مع العلم انني لم اخصص لوالدتكم اي شيء باعتبار انكم ابناؤها ، وهي كذلك ستغادر هذه الدنيا الفانية ويعود

لـكم ما كان يصيبها من الارث . وانـا على يقين بانها لا ترغب بان يـسجل لها شيء ثم يعود لـكم بعد وفاتها ، وانـا وهي مطمئنان تمام الاطمئنان بانـه لا يمنع عنهـا شيء تطلبه بل على العكس سيكون منكم العرض عليها بما يلزمها وما لا يلزمها .

واعود الآن لايضاح الغاية من هذه الوصية فاقول : بان المحل التجاري الذي لا يزال باسم بدر الدين وشفيق الشلاح اصبح مسجلا في السجل التجاري وفي المحكمة باسم موفق وسليم الشلاح ، وهو عائد لهما بشراكة الدكتور راتب ومحمد مروان الشلاح بكافة موجوداته وشهرتـه وفروغه ، وحصتي مـن الراسمال هـي الى راتب وسليم وغسان ومحمد مروان ، واما نجاح ودلال ورجاء ورمزية فلهن اموال نقدية مسجلـة لهن بالدفاتر ذمـة ومنـذ ثلاث سنين تدفع لهن ارباح عن هـذا الراسمال .

غير انه بعد القسمة كانت بقيت بعض قطع من الارض بالمعمل ولم توزع . كذلـك دفعت قيمة عقارين عائدين الى المرحومة بشيرة العوا ، وقـد عملت بهـا تنازلات الى البعض منكم وقد تم قيد القيمة عليهم . كما انني بعت من حصة محمد مروان وقـد قيدت له قيمتها وقيدت عليه قيمة ما تنازلت عنه له . وان القطعة الموصوفة بالمحضر / ٢٧١ / من المعمل قد تنازلت عنها الى الدكتور راتب بدون قيمـة للاضرار التـي تحملها وحده في بيروت لزم اعلامكم . والآن اوصيكم بما ياتي :

أن لا تتغير الاجراءات التي اتممتها برضائي واختياري ، وانا واثق بانـه سـوف لا يحصل اي خلاف بينكم لان اجراءاتي كانت عادلة وواثق ايضا مـن اصهاري وعلى راسهم عميدهم الذي هو من دمنـا ولحمنـا الحاج توفيق سكر ابو زياد بانهم سوف يكون موقفهم موقف الرضاء والدعاء .

فقط هناك نقدية مسجلة بالدفتر الخاص والعائد لي ومسجل به ما عليّ وما اليّ ، تسـدد الذمم التي عليّ من الموجود واذا بقي شيء يقسم بينكم حسب الشرع حصتين للذكور مقابل حصـة للانـاث .

اعود واوصيكم بابنـاء عمكم شفيق ، وان تكونوا كالاخوة كما كنت مع اخي شفيق بحـال حياتي ، ولا احد يعلم من هو الذي يسبق الآخر وهـل تكون منيتي قبلـه ام منيته قبلي فاذا كانـت منيتـه قبلي فسـاكون مـع اولاده كاب بمعنى خادم وناصح

ومخلص ، وكونوا على يقين تـام بانه طيّب واطيب اخ موجود في الزمن الطويل الـذي عشتـه معه . وعليكم ان تقدروه بعدي كأب و كاني موجـود ، وانـا على علـم بأنكـم لا تحتاجون لمثل هـذه الوصية لانكم في حال وجودي اعرف تمامـا محبتكم وتقديركم واحترامكـم لـه .

اعود لوصية اخرى ، اوصيكم باخيكم راتب الذي سيكون بمقام والدكم وليس فقط بمثابة اخ كبير ، وعلى الرغم من طيبتكم جميع ذكورا واناثا فانـه اطيب ما وجـدت في حياتي من ابنـاء واخـوة فهو آثر على نفسـه طيلة حياتي فقد قدّم لي اكثر مما يطلب الوالد من ولده مع علمي ويقيني في حـال وجودي كنتـم كلكم ذكورا واناثا واصهارا وابنـاء عم تقدرون محبته لـكم وتفانيه في خدمتكم وليس لكم فقط بـل لـكل مـن عرفـــه وعـاشـره .

ومرة اخرى اوصيكم بوالدتكم ، وان لا يخرج احد منكم من الدار قبل زيارته لهـا وسؤالها عما تريد وترغب ، واياكم ان تتأخروا او تنسوا اي غرض تطلبه الا وان يكون عندها في ذات اليوم ، وان تجعلوا مكانتها عالية واطاعتها اطاعة عمياء مع انها هي التي ترغب بأن تقـدم لـكم روحها ولا ترغب بازعـاج احدكم باي طلب ولا ترغب بتكليفكم بشيء وهي قنوعة لا تحب الدنيا ولا تحب المال ، فعندما كانت تأخذ الشهرية كانـت تأخذها لتتصدق بها وتوزعها على الفقراء وعمل الخير ولم يبق في زماننا مثلها من النسـاء .

اغراض الدار لا احد يأخذ منها حتـى ولا ابرة او دبوسا الا اذا توفاهـا الله فلتكن القسمة بمعرفة راتب والذي يرغبه الذكور يأخذونه اولا واما المصـاغ فهـو راسا الى البنات ، واما المكتبة فاحفظوها عند واحد منكم لتكون ذكرى الى ذرية الذرية .

وامـا الصور والاوسمة والسيف فيلزم حفظها عند الدكتور راتب لان هـذا تراث ويلزم ان يكون محفوظا ، واما الشطرنج فهو للدكتور راتب خاصة .

ارجع الى والدتكم ، لا تتركوها صباحا ولا مساء حتى لا تندموا مثلما ندمت انا بعد وفـاة المرحومة والدتي رحمها الله ، فلقد عشت بعدها كل الوقت معذب الضمير ليلا نهارا لانني ما فرشت لها الدار التي سكنتها بالبناية ، كان الواجب يقضي بأن افرشها لهـا من جديد واعيد لهـا ذكراها وكانها عروس حتى تعوّض ما مضى عليها من زعل

عندما بلغها طلاق والدي لها بعد وفاته ، ولكن الندم لا ينفع بعد فوات الاوان ، رحمها الله وتغمدها برحمته واسكنها فسيح جناته مع الذين انعم الله عليهم من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن رفيقا وانا لله وانا اليه راجعون .

لا تتركوا شخصا من الذين تعرفوهم سبق ان تعامل معنا او ممن اشتغلوا عندنا او زاملونا ان كان في سورية او في خارجا الا وتطلبوا منهم ان يسامحونا . واذا وجدتم اي احد لـه ظلامة علينا اكرموه بما يرضيه .

هـذه الوصية هي متممة لوصايا سابقة جميعها سارية المفعول ، اقرؤوها ان كانت مكتوبة وانسخوها للجميع ، واسمعوها ان كانت مسجلة ووزعوا التسجيل على الجميع ، وأيضا وزعوا من الصور التذكارية ومن الافلام ، اعملوا للجميع نسخا ثانية .

واذا المنية سبقت انهاء صدور كتابي اوصيك يا راتب بتكليف كاتب اديب ان يخرجه ويطبعه ، وكلفته اخصمها من اصل الموجود من الدراهم .

اوصيكم جميع بالمداومة على الصلاة ، الله يرضى عليكم ولا تتركوا فرصة بين الحين والآخر من صلاة الفجر في مسجد الشيخ محي الدين العربي رحمـه الله وان تقرؤوا الفاتحة يوميا وتهبوها الى أرواح جميع المسلمين واكرموهم كعادتي التـي تعرفونهـا الله يرضى عليكم .

دمشق في ١٩٨٥/٣/١٧

* * *

مقابلة على التلفزيون وكلمة القيتها

بمناسبة عيد الاضحى المبارك

وفي عيد الاضحى من عام ١٤٠٨ الموافق ليوم الجمعة ٢٢ تموز ١٩٨٨ زارني وفد من التلفزيون العربي السوري مع المحامي الاستاذ نجاة قصاب حسن واجرى معي حديثا يكون فيه اطلاع للجيل الحاضر على أفكار رجل من الجيل الماضي ، وبعد الحديث الذي اذيع اثناء العيد من تلفزيون دمشق القيت الكلمة التالية :

اخواني واخواتي وابنائي وبناتي واحفادي جميعا . . .

من عاداتنا القديمة وهي عادات حميدة ، أن الناس يزور بعضهم بعضا في الاعياد من اجل صلة الرحم ومؤانسة الجار وتفقد احوال القريب والبعيد .

وهذه العادة بدات تخف مع الاسف فيذهب الناس الى السيارين وينطوون على أنفسهم . لا يا اخواني . . ابقوا هذه العادة القديمة الحميدة وقووها ولنقم بزيارة اخواننا واقاربنا وجيراننا في الاعياد ، خاصة وان توسع المدينة يبعد العائلات فصار القريب لا يرى قريبه الا في المناسبات .

ارجوكم لنرجع الى عادة الزيارة ولا سيما في العيد ، وطبعا مع الزيارة تفقد احوال الضعيف وجبر الخاطر ، ولا سيما للرحم .

حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« من ضمن لي اثنتين ضمنت له الجنة . . بر الوالدين وصلة الرحم » .

وانا احبكم جميعا ، وكما انني الآن في عيونكم انتم في عيوني وقلبي ، فارجو منكم ان تعذروني اذا لم ازر كل واحد على حدة .

وشكرا للتلفزيون العربي السوري على انه اتاح لي فرصة معايدتكم جميعا واحسبوها زيارة ، وأهلا بكم اذا شئتم ان تردوها ولكم الفضل .

وعندنا عادات حميدة اخرى في العيد ، وهي زيارة قبور الاحباء والاقرباء ، كنا ولا نزال نذهب مع اولادنا واحفادنا ونضع عرقا اخضر وزهرة على قبورهم . هذه

العادة يا اخواني تؤنس الحي وتشعره بأنه ذات يوم عند حلول الاجل لن يكون منسيا . فأرجوكم حافظوا على العادات الطيبة القديمة التي تركها لنا السلف . فانها من حكمة مئات السنين .

وكلمة اخيرة ، حافظوا على الكلمة الحلوة ، فهي مثل الهدية الغالية ولا تستحوا من اهداء اي شيء ولو بسيط .

قال سيدنا علي رضي الله عنه :

« لا تستحِ من اعطاء القليل ، فان الحرمان اقل منه » .

وفي الاعياد يفرح الكبار والصغار ، ويستبدلون الالبسة القديمة بألبسة جديدة فرحا بالعيد .

اما انا العبد الفقير الى الله تعالى ، فقد اصبح لبسي في العيد وغيره سواء . وكما تنظرونني الآن البس صيفا الالبسة البيضاء والكرافات الحمراء واضع الوردة الحمراء . وليس كما يقول البعض ، ان ابا راتب (مشبشب حاله) وعلى العكس فانني احمل بطاقة سفر وانتظر حضور القطار .

لذلك فانني حاضر للسفر حتى اذا حضر القطار ركبت راسا الى غير عودة واكون بين يدي رب العالمين الذي يراني لابسا البسة الافراح ، يراني وانا كلتي شكر لله تعالى ويأمر بادخالي الجنة . هذا ما يجعلني أن اكون جاهزا لهذا اللقاء .

واخيرا ارجوكم المعذرة . دامت عليكم جميعا نعمة الايمان والصحة والرضاء . وكل عام وانتم وجميع المخلوقات بخير .

الجمعة في ٩ ذي الحجة ١٩٠٨ الموافق لـ ٢٢ تموز ١٩٨٨ .

الكتاب الثاني

الرسائل والرحلات

الفصل الحادي عشر

رسائل إلى أولادنا ومنهم

مقـــدمـــة

رُبَّ انسان يعتقد ان الرسائل العائليــة ولا سيما الموجهة الى الاولاد أمر يخص العائلــة وحدها . ولكنني أعتقد ان هذه الرسائل فيها صور للأمور الآتية :

١ ـ سير الزمان وما يرافقه من احداث يجري التعليق عليهــا في وقتها وبصــورة عرضية (وقد رتبتها حسب الزمان) فهي ذات دلالة مفيدة ، لا سيما وانهــا متناثرة على نحــو ثمانية عشر عاما من أسرع الاعــوام في التبدلات والتغيرات من كل نوع ، وفيها ذكر لحوادث كثيرة سينساها مــع الزمــان ، ولاشخاص كثيرين من المعروفين الذين ترتبط معهم بروابط الصداقة او المعرفة .

٢ ـ وجهات نظر انسان من جيلي في تربيــة اولاده ، كما ان فيهــا توجيهاً نحــو حفظ المراسلات فلولا ذلك لذهبت كلها وهي قطع من الحياة . . .

٣ ـ المصاعب التي تكتنف تربية الاولاد من حيث تأمين دراستهم والانفاق عليهــم اذا كانوا بعدد كبير (ما شاء الله) ومــن حيث ضمــان التوجيــه الاخلاقي السليم في زمان متغير سريع الركض بالغ الصعوبة . وقد اخترت عددا بسـطا من هذه الرسائل يعتبر نموذجا لغيرها وهي كثيرة .

٤ ـ أمور زواجهم والموقف الوسط بين النصيحة والحرية ، وكذلك امور اختيار الاختصاص والعمل في المستقبل ، ولا تخلو هــذه الرسائل لمن يقراها جملــة وتباعا بعــد عشرات الســنين من ان يجد فيها تكرارا والحاحا ، ولكنني آثرت ان اتركها كمــا هي لتبقى لهــا دلالتها وحرارتها . ثم ان الحاحي على مسألة الانفــاق وصعوبة تدبير المــال لم تكن لا من قبيــل التذمر ولا من قبيل المنّ ، وانما نحن تجار ومزارعون وليس في عقلنا ما هو أكبر من الوقت والمال إلا الاخلاق .

بدر الدين الشلاح

دمشق ١٩٥٢/١٠/١٢

الاقتصاد في النفقة
قلبه مع ولده
معرفته بالرجال

ولدي راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني رسالتك ذات الرقم ٣/٥ كما استلمت برقيتك وقد اخبرتني فيهما عن وصولك سالما عن طريق البر فاطمأن قلبي وحمدت الله سبحانه وتعالى على ذلك .

تحدثت في رسالتك عن زيارتك للسفير السوري الاستاذ فائز بك الخوري ، وذكرت حفاوته بك ومؤانسته لك كما تحدثت عن أخلاقه الحسنة . وهنا اقول لك انك لا بد تذكر حديثنا الذي دار حول هذا الرجل ، وتذكر الكلمات الطيبة التي وصفناه بها . ان فائز بك والحق يقال صاحب خلق نبيل ، وصرت احس احساسا ملحا بوجوب الكتابة اليه لأشكره على حسن استقباله لك .

ولدي الحبيب ، سمعت في نشرات الاخبار انه حصل صدام في القطارات البريطانية يوم الاربعاء الماضي اي في اليوم الذي غادرت فيه لندن كما هو مفهوم من رسالتك الموجودة لدي ، وهذا ما جعلني اهتم بالنبأ فانشغلت افكاري وبقيت اتتبع الاخبار طوال يومين كاملين دون ان يطمئن قلبي وهذا ما جعلني اوجه برقية الى موفق أسأله فيها عن صحتك ، وقد اجابني في حينه انك بخير والحمد لله ، فاطمأن القلب وهدأت الخواطر . وقد استغرب موفق سؤالي عن صحتك ، فها أنا قد بينت لك السبب ، وسوف اكتب الى موفق لأبين له السبب ايضا . واقول لك تعليقا على ما مر : كان الله بعون الآباء على ما يلاقون من مشقات ويتحملون من متاعب حتى يكبر اولادهم ويصبحوا شبابا نافعين لانفسهم ولعائلتهم ووطنهم . ولا يسعني وانا اخط رسالتي هذه اليك الا أن أوصيك بضرورة الاقتصاد في النفقة قدر الامكان ، فالدراهم لها قيمتها ويصعب الحصول عليها احيانا كثيرة ولا سيما في هذه الفترة التي نمر بها . . . ان كسب المال من طرق الحلال يحتاج الى مشقة وجهد كما يحتاج الى مركز ممتاز وسمعة طيبة بين الناس . ويجب عليك الا تعتبر انك وصلت الى مرحلة الكمال فالانسان مهما درس ومهما تعلم من الحياة والناس يبقى أمامه أشياء كثيرة يحتاج الى

ان يلم بهــا ويستفيد منها . لذلك فانــا اذكرك بوجوب الرجوع الى رسائلي السابقة ونصائحي الموجهة إليك ، واني على ثقــة مــن انك تعرف جيــدا انني لا اشك بحسن تصرفك بالنسبة للنفقــة والدليل على ذلك انني لم اسألك في العام الماضي عــن كيفية انفــاق المبالغ المرسلة اليك ، فلا تظن انني انسب اليك الاسراف انما هي فكرة أحببت ان اهمس بها في اذنك لتزداد حرصا . . .

وختاما نسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقكم جميعا يا احباءنا ويجعلكم من سعداء الدنيا والآخرة ويحفظكم بعين عنايته ويسدد خطاكم على دروب الهدى والخير .

ابــو راتــب

اكســفورد	ـ يؤثر اولاده على نفســه
دمشق في ١٩٥٢/١١/٢	ـ طريق العلــم اقصر طريق للنجــاح

ولدي راتب الشلاح وفقــه الله آمــين بعــد تقبيل وجنتيك الجميلتين

استلمت رسالتيك اللتين تحملان الرقم / ٢٢ / والرقم / ٦٢ / وعلمت كل ما جاء فيهما وسررت من عباراتك الرقيقة الواردة فيهما حول ما قدمته من نصائح وارشادات في رسائلي السابقة . وانــا آمل من صميم فؤادي أن يعود ذلك بالخير عليك لأن هــم الوالد بالنسبة لولده ان يكون الولد احســن الناس خلقا وجاها ومكانة ، وقل أن يوجد آبــاء يؤثرون اولادهم على انفسهم كما نفعل نحن . فأعمالنا تتســع يوما بعــد يــوم وتتطلب وجود اشخاص عديدين ليقوموا بهــا ويساعدونا بادارتها وتوجيهها ، ولكنني أتحمل التعب والمشقة لأوفر لــك فرصة التعلم والحصول على اعلى المراتب والدرجات العلميــة ، وعندما تجني ثمــار العلم الذي تتلقاه الآن ستذكرني بخير ولا سيما انــك تدرك أن زماننا هــذا زمن العلم ولن يتمكن انســان في القريب العاجل ان يحتل مكانــة مرموقة في مجتمعه الا بالعلم ... واذا كنت تنظر الى حياتنا وتقول اننــا حصلنا على مراكز دون ان نتزود بالعلم فاني اقول : لقد كان ذلك بفضل رضاء الوالدين ، وبفضل ما استفدناه من معاشرة الناس ومخالطتهم ، وبفضل المثابرة على العمــل المتواصــل الجــاد ليلا ونهارا وبدون ملل ، وفي مجالات الحياة المتعددة من تجارة وزراعة وبناء .

ولا يغيبن عن الفكر ان الاخلاق الفاضلة هي الاساس المتين الذي يقيم الانسان العاقل فوقه صرح حياته السعيدة ... ولتعلم اخيرا انني اصبحت اميل في الآونة الاخيرة الى عدم الاكثار من الكتابة اليك حول هذه الامور لأنك صرت تدركها ادراكا جيدا ولكن قلمي يسبق افكاري فانثر لك بعض النصائح في طيات رسائلي اليك وما ذلك الا لانني احبك واحرص على ان تسلك اقوم الطرق واقربها لبناء مستقبلك الزاهر .

وفيما يتعلق بوكالة ستاندرد لا تشغل فكرك كثيرا بهذا الموضوع فاذا لم يقبل اصحاب الشركة ان يعطونا وكالة سورية فأملنا بالله كبير بانه سيهيء لنا ما هو احسن من هذه الوكالة . المهم عندي الا تضيع اوقاتك الا بالدراسة وتحصيل العلم ، وعندما تتمم دراستك بنجاح وتفوّق فسوف يهيء الله لك من الاعمال ما يسرك . . موفق لم نتلق منه رسائل منذ خمسة عشر يوما لنتعرف على اخباره ودمتم .

وختاما ارجو الله سبحانه وتعالى ان يجعلك من سعداء الدنيا والآخرة .

ابو راتب

ويعلق العم ابو موفق على هذه الرسالة فيقول :

ولدنا الموفق راتب

قرانا عباراتكم وسررنا منها كثيرا ودعونا لكم بالتوفيق والنجاح ونكتفي بما خطه يراع والدكم اعلاه من نصائح وتوجيهات ثمينة تكتب بماء الذهب وتحفظ في القلوب لتكون رافداً مهماً لدراستكم وللعلوم التي تحصلون عليها . . . نحن الآن باقون في دمشق وسنخبركم عن سفرنا في حينه . . . الجميع عندنا بخير يدعون لكم بالتوفيق والنجاح ، حفظكم الله وسدد خطاكم .

ابو موفق

دمشق ١٩٥٤/٤/١٥	**ـ عودة الرئيس القوتلي الى سورية**
مانشستر ـ انكلترا	**ـ يرى التجارة خدمة ـ ووظيفة من الله**

ولدنا موفق وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني رسالتك الاخيرة واطلعت على ما جاء فيها . وقد ذكرت انك زرت راتب في الآونة الاخيرة ، فنرجو ان تكون قد سررت بهذه الزيارة ولقاء الاحباء وذلك لتستقبل الفحص القادم وانت مرتاح الفكر .

رداً على ما ذكرته من شكرك لنا وتقديرك لجهودنا فاننا نحمد الله سبحانه على أننا استطعنا بعنايته وتوفيقه ان نقوم بواجبنا تجاه تربيتكم وتعليمكم وغرس روح المحبة فيما بينكم جميعا . ولتعلم أنه يترتب على الانسان في هذه الحياة واجبات كثيرة تجاه زوجته واولاده واخوته وافراد عائلته واصدقائه وحكومته وشعبه وامته وتجارته وزراعته وطاعة ربه . والسعيد في هذه الحياة من يرشده الله جلّ وعلا الى القيام بهذه الواجبات على اكمل وجه ووفق ما جاء في كتاب الله الكريم والحديث النبوي الشريف . وكونوا على ثقة ويقين من اننا لا ننام في اليوم والليلة اكثر من ثلاث ساعات او اربع بسبب كثرة الواجبات الملقاة على عاتقنا لا سيما واننا الآن في موسم التصدير الى الاسكندرية وهذا يتطلب جهداً أكبر وتضحيات جسيمة لأن الصنف الذي نصدره ربحه محدود ويتوقع المرء فيه الخسارة ـ فاذا ربح ـ قد لا يتجاوز ربحه نسبة ٢٪ ، بينما لا تقل خسارته عن ١٠٪ اذا خسرنا لا سمح الله . فهو يحتاج الى اعمال كثيرة وتخطي صعوبات جمة في الشحن والمعاملة والبيع هناك واعادة القيمة ، ولكن الواجب يفرض علينا تحمل ذلك كله لأن الله سبحانه اوكل الينا هذ المهمة وجعلنا واسطة بين منتجي هذه الاصناف في قطرنا وبين مستهلكيها في القطر المصري ، فاذا نحن تقاعسنا او قصرنا في أداء هذه المهمة خشينا ان يعزلنا المولى تعالى عن هذه المهمة ويستبدل بنا غيرنا في ادائها فنخسر ما بها من ثواب وهو عندنا اهم بكثير مما يعود علينا من ارباح . والذي يطلب الدنيا من أجل اسعاد نفسه فقط ومن اجل كسب المادة لا يستحق الحياة ، ونرجو الله

سبحانه ان يوفقكم لأداء هـذه الاعمال في المستقبل لأن الخلق كلهم عيـال الله واحبهم اليـه سبحانه انفعهـم لعيالـه . . .

كنـا في الاسبوع الماضي في بغداد واقمنا هناك قرابة اسبوع ثـم عدنا الى دمشق ثم سافرنـا الى الاسكندرية واقمنا هناك اربعة ايـام ، وكنـا ضمن وفد مؤلف مـن خمسة وسبعين شخصا يمثل طبقـات الشعب جميعها ، وبمهمة وطنيـة هي اقنـاع الرئيس شكري القوتلي بالعودة الى دمشق لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف تجاه الاحداث الاخيرة ، ولكنه لم يوافق على العودة الآن وصرح بأنه سيعود بعد فترة لـم يحددها . فنرجو الله سبحانه أن يهيء الخير لهذه الامة .

أفراد العائلـة كلهـم بخـير يهدونكم تحياتهم ويدعون لـك بالتوفيق والنجـاح والله عز وجل وعلا يحفظكم بعين رعايتـه .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٤/١٠/١٧

لوندرا ـ اكسفورد

ـ المحافظة على عادات الشرق

ـ يطلب من ولده ان يستشير اساتذته بالنسبة لدراستـه

ـ البر بالجدة

ولدنـا راتب وفقـه الله آمين بعـد تقبيـل وجنتيك

وصلتنا امس رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الثامن مـن الشهر الجـاري وتذكر فيها انك ارسلت رسالة قبلها ولم تذكر تاريخ تلك الرسالة التي لم تصلنا ولم يصلنـا منك سوى بطاقـة الطائرة والبرقيـة .

تاخرت عن الكتابة الينـا فرسالتك هذه وصلتنا بعد مضي اثنين وعشرين يومـا على مغادرتك دمشق وهي رسالة مختصرة لم تحدثنا فيها عن ابن عمك ليطمئن قلبنـا عليـه . . . كمـا انك لم تذكر في رسالتك اي شيء يتعلق بجدتك علما اننا نبهنـاك سابقا لهذا الامر واوصيناك بألا تخلو رسالة من رسائلك من السؤال عنها وعن عمتك

وأهداء السلام لهما . فجدتك تسأل عن الرسائل دائما ، فاذا حضرت رسالة منك وقراناها لهما ولم تسمعاك تحييهما وتسأل عن صحتهما فانهما سوف تعتبن عليك ولا يهون عليهما هذا الامر وربما تحملان في نفسيهما عليك . فالعادات عندنا تختلف عن العادات الموجودة في البلاد التي تعيش فيها الآن ومن الضرورة بمكان ان يراعي الانسان عادات المجتمع الذي رأى فيه النور أول مرة وعاش بين أفراده ردحا من الزمن وسيعود إليه ليتم الاشواط المتبقية من حياته . فمستقبلك في الشرق ، لذلك يجب عليك ان تراعي عادات اهل الشرق .

ذكرت انك سكنت في الكلية التي تدرس فيها وهذا دليل توفيق الله تعالى ، فمهما كان نوع السكن في الكلية فهو اوفر من جهة النفقة واقرب لمكان الدراسة وجو الدراسة ورفاق الدراسة حيث تسهل المباحثة في الدروس والمذاكرة فيها وهذا ما يهمنا.

نريد ان تبحث مع اساتذتك امور مستقبلك ومستقبل دراستك وهل يكفي حسب رايهم ان تتم هذا العام في اكسفورد وتحصل على شهادة BA اذكر لهم ان عملك في المستقبل سيكون مزاولة اعمال حرة وادارة اعمال تجارية ولا مطمع لك في الوظيفة. خذ رايهم حول هذا الموضوع وهل تكفي شهادة BA لمن يريد ان يمارس الاعمال الحرة ام ان هناك ضرورة لمتابعة الدراسة للحصول على شهادة MA او شهادة الدكتوراه ؟ سلهم عن ذلك كله وسلهم عن شهادة الدكتوراه بالنسبة لك انت ، ثم سلهم هل الاحسن الحصول على شهادة الدكتوراه من اكسفورد او من اميركا ، وبعد ان تحصل على آرائهم اخبرني عنها بالتفصيل مع رغبتك انت وانطباعاتك الخاصة حول هذه الآراء لنكتب لك مبينين راينا ، فاذا اتفقنا على اتمام دراستك العليا في أميركا سجلت اسمك في احدى جامعاتها وحجزت مكانا . . . . هذا ما يدور في نفسي وضحته لك وانا انتظر اجابتك في أول رسالة تردني منك .

الأهل كلهم بخير يدعون لكم بالتوفيق واخص منهم بالذكر جدتك التي آمل الا تغفل ذكرها في جميع رسائلك المقبلة . وختاما نسأل الله سبحانه وتعالي أن يجعلكم جميعا من سعداء الدنيا والآخرة انت واخوتك وابناء اعمامك . قبلاتنا لوجنتيك . . . ارسل الشهادة لتكون جاهزة لدينا لتقدمها للتجنيد عندما يطلبونها منا .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٤/١١/٢٧

اكسفورد ـ انكلترا

ـ يحذر من اليأس والتردد

ـ حديث عن الاصحاب

ـ صناعة المشمش

ولدنا راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك

امامي الآن رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الثاني والعشرين من الشهر الحالي وقد علمت كل ما جاء فيها . حدثتني عن المشمش والقمر الدين فأرغب ان تذهب الى المكان الذي اشرت اليه في رسالتك وتأخذ فكرة عن تصنيع المشمش وهل يمكن عصره وحفظه ضمن زجاجات وبيعه للمقاهي بدلا من بقية المشروبات التي تقدم في هذه الاماكن ؟ لأن صنع القمر الدين اصبح متعذرا بعد وجود صعوبات كثيرة تحول دون ادخاله الى مصر . . . بالنسبة لقضاء ايام العطلة التي ستجيء قريبا وحيرتك في اختيار المكان الذي ستقضي هذه الايام فيه ، لأن هناك رحلات كثيرة ودعوات متعددة كما فهم من رسالتك ، فأقول لك اختر من هذه الاماكن ما فيه فائدة لدعم دراستك وتوسيع آفاق معرفتك ، فمن الضرورة أن تختار المكان الذي يعجبك ويفيدك .

ذكرت في رسالتك ان شبحا مخيفا يخيم على مخيلتك وانك تعيش في كرب وضيق ولا تفهم من صفحات الكتب التي تدرسها شيئا . . . واني لأعجب من صدور هذه الكلمات عنك كما اعجب من ترددك وعدم الحزم والجزم في امورك كلها ، كما اعجب ايضا مما بدا لي من ضعفك وعدم ثقتك بنفسك ومن دخول الاوهام الى قلبك ، واعجب اخيرا من ان اسمع من راتب مثل هذا الكلام وهو من أعرف عنه الثقة بالنفس والاعتماد عليها والتوكل على الله ، واعرف عنه الاجتهاد والذكاء الوقاد . فانسان يتحلى بهذه الصفات لا يمكن ان يتضايق من اي فحص مهما بلغت صعوبته وتعقيداته . . . هذا غلط منك واوهام وتردد وهي امور يجب الا تدع مجالا لدخولها الى نفسك ، ويجب الا تدع لها مجالا للاستيلاء على تفكيرك . ابعد عنك هذه الهواجس كلها واشغل وقتك بالمطالعة والدرس وقل لنفسك وبكل ثقة واطمئنان ان النجاح محقق ، معتمدا بذلك على دراستك وعلى موهبتي الفهم السريع والذكاء الحاد اللتين وهبهما الله لك ، معتمدا بعد ذلك على رضاء الوالدين وعون الله وتوفيقه .

كثرة الرفاق فيهـا فائدة لـك حيث تزداد صلتـك بالناس وتجـد معهـم بعض السرور والمرح الذي يؤنسك في رحلـة الحياة الطويلة ، ولكن اقول لك وفي هذه المرحلة التي تمر بهـا الآن ويتوقف عليها بنـاء مستقبلك كما يتوقف عليها تحصيلك للمعارف والعلوم ، اقول لك ليكن عدد رفاقك محدودا ولا تصاحب الا مـن ينهض بـك نحـو المطالعة والدرس حاله واجتهاده ، وبدلك على طريق التقدم والنجاح حديثه وكلامـه. وليكن همك الوحيد المحافظة على اوقاتك التي يجب ان تصرف على المطالعة وتحصيل العلوم ونحن منـذ الآن نتعهـد بأن نوفر لـك الظروف الملائمة كي تخالط مـن تحب وتقضي الاوقات الطويلة مع اصدقائك كما نعدك برحلة ممتعة وطويلة تزور فيها البلاد التـي تحب ان تزورهـا وتطلـع على معالمهـا الحضارية وتمتـع نفسـك بمشاهدة كـل جميـل فيهـا .

شكرك لنـا على تضحياتنا التي نقدمها لك ولاخوتك ولابناء عمك عواطف رقيقـة وجميلة نقدرك من اجلهـا ونقول لك اننـا نقوم بواجبنا تجـاه فلـذات كبدنـا الذين نحبهم ونحرص على تربيتهم تربيـة صالحة ونعلق عليهم الآمال بأن ينجحوا ويتفوقوا في دراستهم وبأن يحتلوا في القريب العاجل أعلى المراتب وارفع الدرجات .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٤/١٢/٢٠	ــ تربيـة متميـزة
اكسفورد ــ انكلتـرا	ــ محافظـة على مكانـة العائلـة

ولدنـا راتب وفقـه الله آمين بعـد تقبيل وجنتيك الحلوتين

أمامي الآن رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم الثاني عشر من الشهر الحالي ؛ وقـد علمت بمـا جـاء فيها . تعبيرك عن حبك لي وتقديرك لجهودي ليس مستغربا منـك وانت من اثق بـه واحرص على ان يكون مستقبله زاهرا واكنّ له الحب .

واعترافك بالجميل يشجعني على المضي في متابعة الجهود المبذولة لاتمام ما بدأته فيـه ، وكن على ثقـة ان جميع ما ابذله لا اريد من ورائه الا مصلحتك وبناء مستقبلك فلأجلكم أضحي وابذل ، وانـا في ذلك اسلك مسلكا أوربيا بل مسلكا بريطانيا ولا اسلك

مسلكا شرقيا . بل ربما كان في مسلكي ما يزيد على المسلكالبريطاني ، فاذا وجد حسب التربيةالشرقية من يقدر العلم ويقدر واجبه تجاهأولاده . وعدد هؤلاء قليل ويا للاسف الشديد ، اقول اذا وجد هؤلاءفانهم لا يضحون الا في حدود معينة تسمح بها قدراتهم المادية ، واقصى ما يمكن ان يقوموا به ان يعلموا اولادهم في المدارس الرسمية التي لا يساعد مستواها العلمي على التقدم والحصول على الشهادات العالية . ويمكن أن نلاحظ نقطة تشابه والتقاء بين البريطانيين وبين الشرقيين الذين يحبون ان يعلموا ابناءهم وهذه النقطة هي تخلي الأب عن ابنه عندما يتم تعليمه ويسلك طريق الحياة . وهنا يجب ان نبين الفرق بيننا وبين هؤلاء جميعا من بريطانيين وشرقيين . فأنا لا أكتفي بأن تنال قسطا يسيرا من العلم ، بل أريد أن تحصل على أعلى الدرجات العالية ويصعب عليّ أن تمارس الاعمال قبل الحصول على شهادة الدكتوراه في الاختصاص الذي ترغب فيه . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى اقول لك انني لن اتخلى عنك حتى بعد تخرجك ، فكل ما أبذله من جهود في مجال الزراعة او في مجال التجارة وحيازة الاملاك ، وكل ما حصلت عليه من سمعة حسنة وثقة بين افراد مجتمعنا ، وكل سعيي وعطائي هو لكم أنت واخوتك وأبناء عمك ومن اجلكم . واظن أنه لا يخفى عليكم ان الشرقي عندما يأتيه مورد يكفيه يخف نشاطه ويدعي انه قام بواجبه وصار له الحق في ان يستريح ، بينما انا يزداد نشاطي يوما بعد يوم وهدفي من ذلك أن تجدوا الامور مهيأة وسبل العمل ميسورة عندما تتمون تحصيلكم ، عندها تستلمون الاعمال وتزيدون فيها . فجدنا المرحوم رشيد الشلاح هو الذي وضع اساس الشهرة لهذا الاسم ، وجاء بعده والدنا المرحوم سليم الشلاح ، فحافظ على ما بناه والده وزاد فيه وأعلى قممه وذراه ، حتى اذا وافته المنية كان البناء أعلى والسمعة اكبر . ونحن الآن انا وعمك نقوم بدورنا خير قيام بعون الله وتوفيقه ، نحافظ على البناء ونزيد فيه ونعلي قممه وذراه ، وهذا هو الفرق بيننا وبين غيرنا ... هذا هو الفرق بين العلم وبين الجهل ، فالجهل يقطع ما غرس ويدمر ما بني بدلا من ان يزيد في الغرس والبناء فتتقوض الدعائم وتضيع الجهود . كان بودي أن ازيد في حديثي هذا لولا ان الوقت لا يسمح لي بالزيادة ورسالتي هذه مضى على البدء فيها عدة ايام ولم أتمكن من اتمامها الا بصعوبة بالغة . فكلما جلست للكتابة دخل مراجع يريد قضاء حاجة ما فأنصرف الى قضاء حاجته وحل مشكلته ، وهذا ما يشتت التفكير ويفوت

عليَّ فرصة التعبير عن أفكاري التي اريد أن تصلكم دائما على أتم وأكمل ما أُريد لهـا من التمـام والكمال والوضوح .

وختاما ــ قبلاتنـا لـكم ودمتم سالمين موفقين محاطين برعاية الله وعنايته .

ابــو راتــب

دمشق في ١٩٥٥/١/٢٨

اكسفورد ــ انكلترا

ــ يحـذر من تقلبـات الطقس

ــ حث على السعي قدما للحصـول على اعلى الشهـادات

ولدنـا راتب الشلاح وفقه الله آمين بعـد تقبيل وجنتيك

ارسلت لك رسالة قبل رسالتي هذه آمل أن تكون قـد وصلتـك ، وأمامي الآن رسالتك التي تحمل الرقم / ٨ / وقد علمت ما جاء فيها كله . لقـد انشغـل فكري واضطرب كثيرا بسبب ما ذكرت عن مرضك ومما زادني قلقا انك لم توضح لي الامور توضيحا كافيا . وحتى يزول ما تعاني من قلق واضطراب اخبرني عمـا حصل وطمئن قلبي عن شفائك التـام . وأنا أوصيك دائما بالتحفظ والاخذ بالاسباب التي من شأنها ان نبعـد عـن الانسـان احتمال اصابته بالمرض . فعدم الاكتراث بالصحة فيـه ضرر كثير لا سيما وان الطقس عندكم كثير التقلب . انني انتظر رسالـة موضحـة ليطمئن قلبي عن صحتك وابعد عن أفكاري كل ما ساورها من قلق . . . ما ذكرته عـن موفـق وانه قد ذهب الى مانجستر علِم بالنسبة لنا وندعو الله سبحانه من اعماق قلوبنا أن يجعل اموره وامورك سهلة ميسرة وان يسدد خطاكم .

قلت ان متابعة الدراسة في جامعة اكسفورد لغاية ما تحصل على شهادة الدكتوراه متوقف على فحص خزيران ، وتذكر اننا تحدثنا عن هذه الناحية مرات كثيرة وأوضحت لـك رايي كاملا . . . والذي اعجب منـه هذا اليأس الذي لا أدري كيف وجد طريقة الى نفسـك وانت من اصحاب الهمم العالية والنفوس الكبيرة . ومن هذا المنطلق اجدني مضطرا لأن اقول لك ــ كن واثقا بنفسك ، كن واثقا باجتهادك ، لأن الخوف في معظـم احواله يرجـع الى فقدان الثقة بالنفس ولا يفيدك في امتلاك نواصي الامور والحصول

على النجاح مثل الثقــة بالنفس ، وقدرتها على اجتياز العقبات وتخطي كل ما يعترض طريقها من صعوبات ، بل قدرتها على اجتياز عقبــة الخوف نفسـه وتبديد سحابتـه السوداء لتسير بعـد ذلك في طريقك واثق الخطى وهنـا يكون النجـاح حليفك ... واجدني مضطرا لأن أقول لك ايضا ـ ان جميع من افلحوا وبرزوا على مسرح الحيـاة كانوا امثلة للجد والجراة والثقة بالنفس والمستقبل . وقد خلقت مثلهـم ووهبك الله سبحانه كثيرا من المزايا والمؤهلات ؛ أقول اذن انه لا يمنعك اي مانع من ان تكون مثلهم ثقـة بالنفس وايمانا بالمستقبل ، والغايات التي يسعى اليها الانسان تغدو قريبـة اذا ما ادرك هـذا الانسـان السبل التي توصله ، وسلك تلك السبل بقوة لا تلين ولا تقهر . لذلك فمن الامور الضرورية لك أكثر من سواها والزمها نسبة لدراستك في هذه الآونة أن تفترض أن الفحص القادم قد جاء وخضت غماره بجد واجتهاد وثقة بالنفس وكنت فيـه من الناجحين المتفوقين . ضع هذا نصب عينيك ثم جد واجتهد وهيء الاسباب. كن صافي الذهن ، اطرد الوساوس والشكوك والخـوف وتسلـح بالجراة ، فلا يفـوز بالطيبات ولا يحقق الآمال الكبار الا الشجعان الاقوياء . عليك اذن أن تتخطى الصعوبات ولا تقعد بك همتك عن هـذا التخطي وهذا التحدي ولتقرأ معي قول شاعرنا العربي :

ومن يتهيب صعود الجبال   يعش أبد الدهر بين الحفر

لا تخف ولا تتوقف عن تخطي الصعوبات وتحديها بالعمل والمثابرة والثقةوالجراة.

وختاما ، الجدة المحترمة تدعو لك ليل نهار ، ونحن وعمك والوالدة ندعو لك ليل نهار ، وعموم أفراد العائلة يدعون لك ليل نهار ... فانهض بهمتك العالية التي نعهدها وسر على درب العمل والجد والاجتهاد وسيكون لك ما تريد .

طلبت دراهم منـا ، تجد طي رسالتنا هذه حوالة بمبلغ مئتين وخمسين جنيهـا استرلينيا ... اخبرني عن وصول هذه الحوالـة ولا تحسب أي حسـاب للدراهـم والمصروف فانني على استعداد لأن أقدم لك كل ما تطلب ، ولتثق تماما انني كلما طلبت دراهم ولبيت طلبك سررت كثيرا لانني قد نذرت حياتي لتهذيبكم وتعليمكم وضمـان راحتكم وصحتكم وتأمين مصروفكم التي تضعونه في الطرق المرضية مهما بلغ . لذلك لا تشغل نفسك بشيء من هذا القبيل . . حفظك الله بين رعايته وسدد خطاكم جميعا.

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٦/٢/٢٨
بركلي ـ اكسفورد

- التربية بين الماضي والحاضر
- قيمة العلم وضرورة السعي حتى الحصول على اعلى الشهادات
- الراحة في العمل المفيد لا يترك العمل .
امتثاله لرايهما باكمال الدكتوراه

ولدنا راتب الشلاح وفقه الله آمين بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين
استلمنا رسالتك الاخيرة وعلمنا كل ما جاء فيها . . .

قلت في الرسالة ان الحوالة قد وصلتك فالحمد لله . . . كما انك اعتذرت فيها عن تأخركبمراسلتنا فنحن نقدر ظروفك ونقبل عذرك ونعلمك انه لا يخفى علينا ما تكنه لنا من محبة واحترام ولا يخامرنا شك في انك تبادلنا كل ما نكنه نحن اليك . واريد ان اقول لك اننا لسنا ممن لا يفاتحون ابناءهم بمكنون صدورهم خشية ان يسوء تصرف الابناء تجاه الآباء فتسول لهم نفسهم الجراة على آبائهم في الحديث والمعاملة ، الأمر الذي جرت عليه عادة الناس عندنا ولمسناه من جدكم رحمه الله ، إذ كان حتى آخر مرحلة من مراحل حياته لا يظهر لنا شيئا من حبه لنا وحرصه علينا على الرغم من اننا صرنا في ذلك الوقت كالاخوة بالنسبة اليه ولنا مركز اجتماعي مرموق وسمعة حسنة بين الناس . كل هذا لم يشفع لنا عنده ليظهر لنا شيئا مما يكنه لنا من محبة وعطف حتى لا نكون (دلعين) على حد تعبير اهل ذلك الزمان . ولكننا كنا ندرك حبه لنا وعطفه علينا واعتزازه بنا من خلال نظراته وملامح وجهه ، وهو رحمه الله كان يدرك بدوره اننا نعرف ذلك ونعرف الهدف الذي من اجله يخفي عنا حبه وعطفه . . . وخطتي تجاهكم تقوم على اسس تختلف عن الاسس التي المحت اليها سابقا حيث انني احب ان اظهر لكم كل ما في قلبي ولا يوجد لدي اي مبرر لكي اخفي محبتي . . . لذلك فانا اقول لك اني احب ان انظر اليك دائما كما احب ان اقبلك دائما واود ان اضعك في قلبي ليلا ونهارا . انني اذكرك دائما حتى لكانك الى جانبي . لهذا كله فانا اشعر بكل ما يجول بخاطرك تجاهي واقدره اجل تقدير واؤمن به اعمق الايمان وادعو الله سبحانه وتعالى لك بالتوفيق والنجاح وان تكون من سعداء

الدنيا والآخرة متحليا بالاخلاق الحميدة على صاحبها افضل الصلاة واتم التسليم وان تكون حياتك كلها هناء ومسرات والا تلاقي اي متاعب عندما تربي ذريتك وتوجه ابناؤك .

ولدي الحبيب ...

فيما يتعلق بالدراسة ذكرت انك قررت ان تحصل على شهادة MBA بادارة الاعمال كما ذكرت انك قد ابعدت عن ذهنك فكرة الحصول على شهادة الدكتوراه ... فهذا الحديث غير غريب بالنسبة لي وانا اعرفه حق المعرفة ، واعرف كذلك ان سفرك الاخير لاتمام الدراسة ليس فيه فائدة كبيرة طالما انك ستمارس اعمالا تجارية حرة ولديك من المعلومات ما يكفيك للقيام بهذه المهمة كما انه لديك من القابليات ما يساعدك على التوسع في المعرفة وفي الخبرات العلمية التي ستحصل عليها من جراء الاختلاط بالناس والانخراط في مجالات العمل التجاري الحر . كل هذا اعرفه واعرف ان سفرك كان امتثالا لأوامري ونزولا عند رغبتي ، كما اعرف انك تريد اختصار الوقت وتقصير مدة الدراسة لتعود الينا ولتحمل عني اعباء العمل ومشاقه المتزايدة . وتعليقا على ذلك كله وتوضيحا له اقول انني اشعر بالراحة ولا اتحمل اي عبء من جراء اتساع اعمالنا وتشعبها لأنني والحمد لله اتمتع براحة الفكر وراحة الضمير ، وهذا ما يخفف عني الاعباء مهما عظمت ومهما ثقلت ... ولا اريد أن أطيل عليك في شرح الامور وبيان فلسفة كل منهما لضيق الوقت أولا ولعدم تمكني ثانيا من التعبير خطيا عن كل ما يجول في خاطري .

ان عودتك الينا بسرعة لا تخفف اي عبء عني الآن لأن قيامك بأعمالنا يتطلب مضي بعض الوقت حتى تتعرف على الناس ويتعرف الناس عليك ويجربوك وتنال ثقتهم ، وعندها تستطيع ان تتحمل بعض الاعمال المنوطة بنا ، ولنا عندها من الثقة بك وبأخلاقك الحميدة وبذكائك الحاد ومعلوماتك ما يجعلنا نؤمن بأنك ستحصل على ذلك كله في اقصر وقت ممكن .

اما سبب الحاحي عليك ورغبتي في أن تتابع دراستك حتى تحصل على درجة الدكتوراه في مادة اختصاصك رغم معرفتي لجميع ما ذكرته وايماني واقتناعي به فذلك

لانني شاورت الدكتور أحمد السمان والدكتور كنعان حتى لا انفرد برايي واستأثر به فوجدت آراءهما مطابقة لآرائي في وجوب الحصول على شهادة الدكتوراه وذلك من عدة وجوه :

١ ــ ربما خطر ببالك قضية الوقت وقضية النفقات ، فهذا امر يجب أن تستبعده لانني اوافق سلفا على الزمن اللازم للدراسة مهما طالت .

٢ ــ قضية اللغة الالمانية ليست مشكلة وبامكانك تعلّم تلك اللغة خلال ستةاشهر طالما توجد عندك الرغبة والقابلية ولا تشغل أوقاتك إلا بالدراسة .

٣ ــ تهيئة الموضوع يمكن ان نساعدك به عن طريق الدكتور سمان ، كما يمكن ان نضع بين أيديك جميع ما تطلبه من اجل إعداد الموضوع ، وتبقى المشكلة مشكلة وقت فقط ومهما طال هذا الوقت فلن يزيد أكثر من سنة ونصف عما هو مقرر سابقا ، وتنقضي هذه المدة وتعود بعدها وانت تحمل الشهادة التي ترغب في حصولك عليها .

٤ ــ انا يناسبني ان تعود بسرعة وتتحمل عني اعباء العمل ولكنني لا أريد أن تندم في المستقبل على عودتك السريعة وعدم حصولك على شهادة الدكتوراه ، الأمر الذي لا تشعر به الآن وسيكون ذلك حين لا تنفع الندامة لأن ما فات لا يمكن ان يستعاد .

٥ ــ اذا اردت معرفة رايي فانا لا أوافق الا على الاستمرار في الدراسة حتى تحصل على شهادة الدكتوراه حتى ولو مارست اعمالا حرة في المستقبل . فيا راتب يكفي لقب دكتور لا لأجل اللقب ذاته ولكن لأجل المركزالتجاري والاجتماعي الذي سوف تتمتع به عندما تخرج الى معترك الحياة ولنضرب لك مثلا على ما ذكرناه سابقا الدكتور السمان الذي يتقاضى رواتب وتعويضات يفوق مجموعها ثلاثة آلاف ليرة سورية ، بينما رئيس الجمهورية لا ينال إلا الفي ليرة سورية . والدكتور عزت الطرابلسي عين مديرا للمصرف المركزي بمرتب شهري قدره خمسة آلاف وخمسمائة ليرةسورية معحصةمن الارباح ، وقد رجوه عدة مرات حتىقبل هذا المنصبالحساس.

فاسمع مني يا راتب جد واجتهد وتوكل على الله وخض هذه المعركة ، الله يرضى عليك ، فلا اريد أن تندم على ضياع هذه الفرصة في المستقبل .

واخيرا اعود واقول ان الامر متروك لك فاختر ما شئت فانني لا اريد ان اشق عليك وأتعبك بأن اطلب منك شيئا لا تريده ولكنني بينت رأيي . . .

٦ ــ ولا بأس من العودة الى الموضوع فشهادة دكتور في ادارة الاعمال ليست شيئا بسيطا لا قيمة لــه حتى تعرض عنـــه ، واكبر مثال على قيمة هذا الاختصاص وفائدته نجاح الشركة الخماسية المنقطع النظير بسبب وجود عبد المجيد الرباط واشرافــه على هذه الشركة ، وعبد المجيد الرباط درس ادارة الاعمال في أميركا كما تعلم ، وأزيد الامر وضوحا فاقول ان الشركة الخماسية تربح سنويا ما يساوي ٢٥٪ من قيمة راس المال بينما لا تربح شركة المغازل والمناسج وهي شركة تشبه الشركــة الخماسية مــن حيث الاختصاص وسعة الاعمال إلا ٦٪ من قيمة راس المال ويعود هذا كله كما اسلفت الى الادارة الحسنة التي توفرت للشركة الخماسية على يدي السيد عبد المجيد الرباط .

٧ ــ بلادنــا مقبلة على نهضـــة اقتصادية وستكثر فيهــا الاعمــال لانها بــلاد بكر ومســاحتها واسعة ، وعندنا الآن عدة مشروعات قيــد التنفيــذ مثــل مرفــأ اللاذقية وشركة الكهرباء ومشروع استصلاح أراضي الغاب ومصرف سورية المركزي ومؤســسة الانمــاء الاقتصادي التي لم يجدوا شخصا يستلم رئاستها على الرغم من مضي ســتــة اشهر على تأسيسها . . . ان كل ما يقوم في بلدنا مــن مشروعات اقتصادية وانمائيــة يحتــاج الى مجالس ادارة تشــرف وتوجه ، ومــن يمارس اعمالا حرة يجب أن يكون مشتركا في عضوية عدة ادارات ليكسب اسما تجاريا لامعا وسمعة حسنــة وليحصل على ثقة كبيرة من قبل ابنــاء المجتمع .

٨ ــ اختيار موضوع الرسالة امر سهل فعندنا في سورية جوانب اقتصادية متعددة والوثائق عنها متوفرة وبامكاننــا ان نزودك بكل ما تحتــاج اليــه مــن هــذه الوثائق والمعلــومــات .

وختاما ــ فنحن جميعا نقبلك عن بعد ونتمنى لك دوام النجاح والتوفيق والتقدم والباري سبحانه يحفظك ودمت .

ابــو راتــب

دمشق في ١٩٥٦/٣/١٨
مانشستر ـ انكلترا

ـ الاستفسار عن الرفاق
ـ تشجيع على رحلة للاستطلاع
ـ الحث على الدراسة

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

أمامنا رسالتاك اللتان تحملان تاريخ اليوم الثاني واليوم الرابع عشر من الشهر الحالي وقد علمنا كل ما جاء فيهما ، والدك حضر من القاهرة بعد أن اقام هناك مدة اسبوعين وحضر معه ابو زهير . ذكرت انه قد المت بك وعكة بسيطة شفيت منها فالحمد لله الذي عافاك وقد انشغل فكرنا كثيرا لهذا النبأ وعلى كل الاحوال نوصيك بأن تتحفظ من البرد وبأن تراجع الطبيب المختص عند وجود أي عارض تشعر به لا سمح الله . نحن راضون من الدرجات التي حصلت عليها في فحص آذار ولكن الامر يتوقف على درجات الفحص النهائي الذي سيجري آخر العام الدراسي لأن درجات هذا الفحص هي التي تؤثر على نجاحك في الشهادة بتقدير مرض فنرجو أن تشمر عن ساعد الجد لتحوز على أحسن الدرجات ونرجو الله سبحانه أن يوفقك دائما لما تحبه وترضاه ويسدد خطاك على دروب الهدى والخير والجد والاجتهاد انه سميع مجيب . تحدثت عن محل سكناك كما تحدثت عن رفاقك في هذه السكنى وهذا أمر سرّنا كثيرا لاننا كنا نود أن نستفسر عنه لتوجيهك التوجيه اللازم حوله .

فالرفيق قبل الطريق ، والجار قبل الدار كما يقولون ، اما وقد رسمت صورة حسنة عن هؤلاء الرفاق فقد اطمأن قلبنا ونهدي لرفاقك تحياتنا القلبية . ورجاؤنا من الله سبحانه وتعالى لهم جميعا أن ينتبهوا الى تحصيل العلم لان الوقت كالذهب كما بيّنا لكم في رسائل سابقة ، وكل دقيقة تضيع سدى قد يقابلها ضياع شهر من عمر الانسان ، وضياع ساعة قد يقابله ضياع سنة ، والايام تمر مر السحاب لذلك فمن الضرورة أن تنتبهوا كثيرا اولا خلال تلقي الدرس من الاساتذة لتفهم كافة النقاط التي تطرح وتناقش داخل حجرات الدروس واحفظها حفظا جيدا وبتعمق وامعان ، ثم ان تنتبهوا ثانيا الى عدم الانشغال بالاشياء التي لا تتقبل الدراسة والعلم . **ولدنا الحبيب ـ كل ما نبذله من جهود وكل ما نتحمله من متاعب ومشقات هو**

من أجل أن نعلم أولادنا ، فكلفة كل واحد منكم لا تقل عن سبعة أو ثمانية آلاف ليرة سورية سنويا ، ومجموع ما ننفقه على اخوتكم الصغار لا يقل عن خمسة وعشرين الف ليرة سورية في السنة الواحدة ايضا . اضف الى ذلك ما ننفقه على اخوتكم الذين لا يزالون في المدارس الابتدائية وهذه المبالغ تشكل رقما كبيرا وتحتاج الى جهود جبارة للحصول عليها لذلك فنحن نسعى ونجد في السعي لنفسح الطريق امامكم كي تتلقوا علومكم كاملة ونأمل ان تقضوا جميعا حياة مليئة بالسعادة والاحترام لان مركز العلم لا يضاهيه مركز آخر في المجتمع ، هذا اذا كان العلم مقرونا بالاخلاق الفاضلة.

طلبت تحويل مائتي جنيه استرليني ترى طي رسالتك هذه حوالة بهذا المبلغ اخبرنا عن وصولها . تحدثت عن مؤسسة الطلاب الدولية وذكرت انك تراسها فهذا فخر لنا على الا تشغلك امور الرئاسة عن الدراسة . وبخصوص استشارتك لنا بالنسبة للسفر الى السويد ... نحن لا نرى مانعا من الذهاب ونوصيك بأن تختار الطقس الحسن المناسب للسفر ، وهذه الرحلات فيها فوائد كثيرة لمن يريد ان يتعلم لانها توسع مداركه وتزوده بمعارف عملية ترفد دراسته بأشياء قيّمة يستفيد منها في حياته . جدتك بخير وتدعو لك بالتوفيق والنجاح وقد قرانا لها رسالتك وكانت مسرورة جدا عند سماعها .

افراد العائلة كلهم بخير ويدعون لك بالتوفيق والنجاح ايضا ، ونحن بدورنا نقبلك عن بعد ونتمنى لك الخير كل الخير .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٦/٥/٦	ـ الزواج
بركلي ـ اميركا	ـ الزواج بالاجنبيات

ولدنا راتب الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل الوجنتين

أمامي الآن رسالتك الاخيرة وكل ما جاء فيها اصبح معلوما .

قلت في هذه الرسالة أن فحوصك ستبدأ بتاريخ ٢٥/٥ وانك ستتقدم اليها معتمدا على الله سبحانه وتعالى ، ونحن نرجوه سبحانه ان يوفقك في هذه الفحوص لتكون من الناجحين المتفوقين .

ان الثقة الممنوحة منا لك كبيرة جدا لانك صرت تقدر قيمة المال وتحس بالصعوبات التي تحول دون الحصول عليه وخاصة بالنسبة لمن هم مثلنا ممن لم ينالوا حظا كبيرا من العلم ، اما بالنسبة للمتعلمين فانهم يحصلون على مال كثير وبجهد اقل من الجهد الذي نبذله . فانا لو لم يكن لديّ الجد والمثابرة على العمل ولو لم اتحمل من الناس كل ما تحملته لما استطعت أن أحصل على ما حصلت عليه من المال . ولو لم أكن أصبر على عناء الاجتماعات ولو لم أفضل حضورها بدقة ونظام على راحتي وطعامي لما حصلت على هذا المركز الذي اتمتع به . . . ان ايماني الثابت الذي لا يمكن ان يتطرق اليه الشك بانك صرت تدرك كل ما اشرت اليه هو الذي يجعلني امنحك ثقتي المطلقة .

وانتقل أخيرا الى مشكلة هامة أود أن أشرح لك وجهة نظري حولها ، تلك المشكلة هي مشكلة الزواج بالاجنبيات . فقد ذكرت أن كثيرين من الشبان العرب الذين ذهبوا الى امريكا أو اوروبا كانت نتائج دراستهم غير مرضية لانهم تزوجوا بالاجنبيات . . . وأقول لك أن عملهم هذا له عواقب وخيمة جدا على البلاد وعليهم وعلى كافة ابناء المجتمع . فبالنسبة للبلاد سيعمل هؤلاء على تغيير النسل وسيكون أولادهم واولاد اولادهم مشكلة تعوق تقدم الوطن والاخلاص له واعادة امجاده . أما بالنسبة لهم فانهم سيضعون اهلهم وعائلاتهم تحت الامر الواقع وهذا ما يجعل الاهل ساخطين عليهم ولو أظهروا الرضاء والقبول ، فتحدث مشكلات عائلية لها أول وليس لها آخر . . . واما بالنسبة للمجتمع فان البنات السوريات سيزيد عددهن عن عدد الرجال اذا استمر هؤلاء الطائشون على الزواج بالاجنبيات وهذا ما يحدث ازمات اجتماعية حادة قد تنجم عنها كوارث رهيبة . اني اعرف حق المعرفة تفهمك لكل ما ذكرته كما انني اثق بك بأنك لن تتصرف الا ضمن ما تتفهم من قضايا وامور ، وانا لم ارد من حديثي الا ان يكون تذكرة لك ورافدا قويا لما انطويت عليه من افكار نيّرة تقدر الاهل والوطن وتكنّ لهم جميعا الحب والاخلاص .

ولا يسعني وأنا ألم الشباك وأنفض القلم لأغادر سطور هذه الرسالة الا أن أذكرك بالمحافظة على الوقت . فاستغل اوقاتك كلها من اجل الدراسة وتحصيل العلوم والمعارف الانسانية التي ستعود عليك بالخير والبركات ، اذا شعرت ان لديك اوقاتا زائدة فاشغلها بكتابة المذكرات وتدوين كل ما يمر بك من احداث قد تحتاج اليها في المستقبل لان الذاكرة مهما كانت قوية فانها ستنسى الكثير من احداث الماضي .

وختاما ــ تحياتنا وتمنياتنا القلبية لك ودمت .

بدر الدين الشلاح

ويعلق العم ابو موفق على هذه الرسالة فيقول :

ولدنا راتب وفقه الله آمين

قرانا رسائلكم كلها ونحن ندعو الله سبحانه أن يسدد خطاكم وأن يجعل التوفيق حليفكم .

فيما يتعلق بشهادة الدكتوراه الح والدكم عليكم كثيرا من أجل الحصول عليها نظرا لقيمتها العظمى بالنسبة لكم وحتى لا تندموا في المستقبل ، وهو الآن في رسالته هذه يترك لك الخيار حتى لا يأسرك فيما تقرر ونحن نقول لك فكر جيدا قبل أن تقدم على اتخاذ اية خطوة ولا تدع هذه الفرصة تفوتك اغتنمها واحصل على اعلى مرتبة علمية في الاختصاص الذي تحبه والسلام .

شفيق الشلاح

دمشق في ١٩٥٦/٧/١٠

بركلي ــ امريكا

ــ العلم والنضوج المبكر

ــ الجد وعدم الالتفات الى الترهات

ــ الزوجة الاجنبية والزوجة العربية

ــ الراحة في العمل الجاد

ولدي راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

وصلتني رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي وعلمت كل ما جاء فيها .

ولدي الحبيب ...

سررت جداً من تحليلاتك ومن أفكارك الناضجة فنسيت اتعابي كلها كما نسيت كل ما انفقته في سبيل تعليمك . هذا هو الفرق بين العلم وعدم العلم . فالعلم يساعد على النضوج قبل الاوان ولو انني كنت متعلما لحصلت على المركز الذي انا فيه الآن وحصلت على الثروة التي بين يديّ قبل عشرين عاما ، وهذا ما حملني على ان افكر بتعليمك منذ كنت صغيرا . ولقد عملت وتحملت ما تحملته من الاتعاب والنفقات وتحملت بعدك عنا وما احدثه هذا البعد من الفراغ والوحشة في نفوسنا ، تحملت ذلك كله في سبيل ان اراك متعلما ناضجا فاقرا واسمع افكارك الناضجة . ان ما لمسته في رسائلك من سعة اطلاع ونضوج فكريّ يجعل قلبي يطمئن ويرتضي ، فلا تقلق بسبب غيابك عنا ما دمت تحصل العلم والمعرفة . انني مطمئن عليك من جهة النفقة فانت لا تنفق شيئا الا في الوجوه الضرورية التي تعود عليك بالنفع ، كما انني مطمئن عليك من جهة السلوك فانت لا تذهب الى الامكنة التي لا يليق بك الذهاب اليها لانك تتجه الى بناء مستقبلك الزاهر متسلحا بالاخلاق الفاضلة والهمة العالية التي لا تشغلها عن بلوغ اهدافها الامور التافهة مهما كان لها من البريق والاغراء . فانت تطلب العلا ومن طلب العلا سهر وجدّ وبذل وضحى وترفع عن صغائر الامور ومحقراتها ، والشبان الذين هم بسنك ويتمون دراستهم كما تتم انت دراستك ليسوا جميعا مؤمنين بهذه الحقائق التي ذكرتها لك ، ولا سيما أولئك الشبان الذين ينعمون بالملذات ويشغلون انفسهم بالترهات ويتسترون عليها باسم الزواج . ولتعلم أن عمل هؤلاء مناف للوفاء فهم ليسوا اوفياء للوطن والمجتمع لانهم يحضرون الاجنبيات الى بلادنا باسم زوجات في الوقت الذي يوجد فيه بنات كثيرات في وطننا يمكن ان يقترنوا بهن ويتخذوا منهن زوجات وفيات وشريكات حياة يصبرن معهم على السراء والضراء ويقطعن معهم دروب الحياة ويتخطين صعوباتها بكل اخلاص ووفاء . اضف الى ذلك أن الجيل الذي سيولد من هؤلاء الفرنجيات لن يكون مؤمنا على الغالب وكما ينبغي بأمته ووطنه بل بأهل امه الذين غالبا ماتمتلىء صدورهم بالحقد على العرب ويريدون لهم السوء والدمار .

وهؤلاء الذين يركبون رؤوسهم ويتزوجون بالاجنبيات غير أوفياء لوالديهم الذين تعبوا كثيرا وضحوا من أجل أولادهم ، ووحشة الوالد على ولـده الغائب لا يمكن ان يحس الاولاد بها مهما أسهبنا في الحديث عنها الا بعد ان يصبحوا آبـاء . ابعد هذا كله يقدم اصحاب الهمم الضعيفة والنفوس المنهارة امام سلطان الشهوات على الزواج بأجنبيات يسيء وجودهن للأب وللعائلة ويضر بمصلحة الوطن ؟ ولا أحب أن أترك هذه النقطـة قبل ان اضيف عليها شيئا يبين ضعف هؤلاء الشبان الذين وصفتهـم لي في رسالتك فأقول انهم كانوا يدعون الرغبة في الزواج لان السن التي يمرون بها ليست سن زواج بل هي سن تحصيل العلوم والمعارف والمعرفة ، فباذا لذلك بخسران مبين تظهر نتائجه الخطيرة فشلا في حياتهم وحيـاة وطنهم الذي كان يعلق الآمال عليهم وعلى الاختصاص الذي كان بامكانهم الحصول عليـه لو استمروا بالجـد والاجتهاد ، هـذا الاختصاص الذي عن طريقه يشتركون في تطوير بلدهم ونفـع انفسهـم وامتهم . وانـنا لنتضرع الى الله سبحانه ان يصلح امـور هؤلاء الشبان التائهين وان يلهمهـم رشدهم حتـى يكونـوا اوفيـاء للأهل والوطن .

اما ردنـا على ما ابديته من ملاحظات تتعلق بنـا وبوجوب التخفيف من الاعبـاء والمتاعب واخـذ قسط من الراحة فنشكرك على ذلـك . نشكرك على اهتمامك بنـا ولكننا نقول لـك ان ما أشرت اليـه غير ممكن الآن على اقـل تقدير لأن اعباءنا تزداد يوما بعـد يـوم بسبب الثقـة التي نتمتع بهـا لدى ابنـاء مجتمعنا وهذا ما يسرنـا ويثلج صدورنا والحمد لله ، وكلمـا زادت الثقة ثقلت معها الاعباء الملقاة على عاتقنا . ونحن من جهتنا لا نجد بذلك مشقة بل نجد راحة وسرورا لاننـا نقوم بواجبنا تجـاه ابنـاء مجتمعنا الذين أولونا ثقتهم ونرضي ضميرنا بخدمة وطننـا . والانسان لا يمكن ان يحصل على مركز اجتماعي مرموق الا بعد ان يدفع الثمن وهـو خدمات اجتماعية وتضحيات وإيثـار على النفس . فالمشقـة لا بـد منهـا وهـذا مـا جعل الشاعر المتنبـي يقـول :

لولا المشقة ساد الناس كلهم　　الجـود يفقر والاقدام قتال

من اراد ان يحتل مركزا ممتازا بـين ابنـاء المجتمع عليـه الا يحسب للمشقات والصعوبات اي حسـاب كمـا يجب عليه ان يضحي وان يدفـع الثمن غاليا . والذين

يحتلون مركزا بعلمهم المفيد الذي يخدم المجتمع دفعوا الثمن أيضا ودفعوه غاليا عندما تغربوا عن الاهل والوطن وانفقوا زهرة شبابهم منكبين على الدراسة . تحملوا المشاق الكثيرة والصعوبات الجمة وحطوها على صخرة هممهم العالية التي لا تلين . اما الذين يريدون ان يحصلوا على المركز الممتاز والسمعة الحسنة عن طريق العمل فدربهم أطول وتضحياتهم أكبر واضخم لانهـا تزداد يوما بعد يوم . ونحن الذين سلكنا هذا الطريق طريق العمل المتواصل والتضحيات الجسام نتحمل ذلك كله ونجد فيه لذة لاننا نخدم المصلحة العامة كما أسلفت ولاننا نعمل من أجلكم وحبا بكم حتى اذا ما انهيتم دراستكم بنجاح وعدتم الى وطنكم واهلكم سالمين ونزلتم الى ميدان العمل وجدتم المركز الممتاز والاسم العالي وهذا يخفف كل عناء .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٦/١٠/١٠

بـرمـانـا

ـ التعلق بالعلم

ـ لذة العمل

ـ حسن المعاملة

ـ كسب ود العامل

ـ حفظ الرسائل

ولدنا سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

بعد ابداء شوقنا اليك نعلمك بوصول كتابك ذي الرقم ١٠/٥ ومعرفتنا لكل ما ورد فيه .

تقول في كتابك المنوه عنه أعلاه انك كنت عندنا بالامس القريب ثم تتحدث عما لاقيته خلال مكثك عندنا من سعادة وحب ورعاية ، وانا اقول لك ان مما يفيدك بالنسبة لمستقبلك أن تكون الى جانب العلم . فالاب والام والعائلة لا يدومون للاولاد بل يذهبون ويبقى لاولادهم ما حصلوا عليه من علم واخلاق فاضلة وسمعة حسنة . والمثال على ذلك قريب منا جميعا فلقد لازمنا والدنا زمنا طويلا ونعمنا بالقرب منه ولكنه غاب عنا رحمه الله ولم يبق لنا سوى جدنا ونشاطنا وما تعلمناه من

تجـارب الحيـاة ، وهو على جلال أمره وعلو قدره لا يوازن مع علم المدرسـة . لذلك يجب عليـك الا تتعلـق بنـا كثيرا طالما انت قريب مـن دار العلـم التي فيهـا تبني مسـتقبلك .

ولدنـا العزيز : بالنسبة لانتخابات البلدية احيطك علما انهـا قد اجلت الى وقت آخر ومتى حـان الموعـد فانني سأعمـل جهـدي لاقنـاع نفسي بالترشيح اليهـا باذن الله . وبهذه المناسبة أقول بأنني في كل حياتي لم اطلب مركزا وانما كان المركز هو الذي يطلبني وهذا ما أحمد الله عليه .

وتحدثت في رسالتك عن التعب الذي نعـاني منـه والجهد الكثـير الذي نبذلـه واحب أن اقول لـك أن ما تسميه تعبا فأنا لا اعده كذلك والسبب في ذلك ان الانسـان اذا ابتعد عن العمل وقـام بنزهة جميلة وهو غير مسرور من عمله كان تصرفه مقبولا ولكن اذا كان الانسـان يعمل وهو منسجم مع عمله مسرور منـه فانـه لا يحس بتعب مطلقا ، كما انـه لن يحتاج لأن يبتعد عن عملـه ليرتاح . وهذا هو الشيء الافضـل وهذه اللذة لا يشعر بها الا من يتذوقها ويرتوي من كؤوسها العذبة كؤوس لذة العمل. ونحن نتوجه الى الله سبحانه وتعالى أن يوفقكـم جميعا في دراستكم لتحتلـوا مراكز ممتـازة في مجتمعكم ويكون عندكم مثل هذا الجد والنشاط والرغبة الصادقة بالعمل والانسجام معـه وعندها ستجدون أن اللذة والراحة لا تكون الا بالانغماس في العمـل ولا تكون أبدا بالجلوس في البيت او المتنزهات . ولأعطيك مثـلا واحدا يوضـح لـك ما اريد : ففي بداية هـذا الصيف قضيت انت وقتا طويلا في المنزل تخلد فيـه الـى الراحـة وبعد ذلك قضيت وقتا قصيرا في المعرض . والسؤال الذي اطرحه عليك : اي الوقتين كان اجمل وامتع واجلب للسرور والراحة ؟ واظنك ستجيب بان الوقت الذي قضيته في المعرض هـو الاجمل والامتع لانك كنت ترى آلاف النـاس ومئـات المشترين والمتعاملين وهذا ما يؤكد ما ذهبنا اليه . وزيادة في التوضيح اقول ان قضاء فصل الصيف في الزبداني ليس متعبا لان النوم في الهواء الطلق النقي العليـل يخفف متاعبنا النهارية وينسينا الحر الذي كنـا نعاني منـه في المدينة . اعمالنا ومشاغلنـا كلهـا راحة وسرور لاننـا نلقي عليها التقدير الكافي مـن الناس الذين نتعامل معهـم او نجتمع بهم وهـذا غاية ما نطمح اليـه .

التدخين مضر بالصحة ومتعب للجسم ولكنه عادة تعودتها منذ الصغر ولو فاتحني والدي رحمه الله بخصوصها ونصحني بالعدول عنها لما تعودتها . . . وهذه العادة سيئة تتغلغل في النفس ويصعب على الانسان ان يكف عنها لذلك قال الحكماء خير عادة الا يعتاد الانسان عادة . وهم يعنون بذلك العادات التي تسيطر على المرء وتعود عليه بنتائج وخيمة لا تحمد عقباها . . . لذلك كله اردنا نحن ان نغير طريقتنا معكم في التربية والإعداد للحياة فعمدنا الى أن ننبهكم مباشرة وبلا تأخر الى كل ما يجب أن تتجنبوه وتبتعدوا عنه كما عمدنا الى أن ننبهكم الى كل ما يجب أن تلتزموه وتألفوه ايضا . ولذلك وجب عليّ الآن ان اعلمك ان ضربك لـ (الأخرس) كان عملا غير مناسب لان العامل لا يضرب والانسان لا يمكن ان يكسب محبة عماله عن طريق الضرب بل يكسب محبتهم عن طريق العطف عليهم والتسامح معهم ولا سيما ان المذكور من سنك . ولو علمت بالحادثة قبل سفرك لنهيتك عن الوقوع في مثل هذا الخطأ مرة ثانية ، ولتعلم أن الانسان لا يمكنه ان يسيطر على غيره إلا بمكارم الاخلاق . والحديث الشريف الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (انما بعثت معلما ، انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) يؤكد ما قلت ، فمكارم الاخلاق من الدين بل هي صفة عالمية يتصف بها من صح دينه واتبع هدى الله وهدى نبيه . وأنا انما اردت هذه العبارات وذكرت تلك الحادثة لأجعلك تندم على عملك ولتعامل الصانع والعامل كما تعامل أشقاءك الكبار والصغار ، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تتبين فيه صحة وجهة نظري فتذكرني بخير . حبيبنا اريد منك ان تحتفظ برسائلي اليك في ملف خاص مهما بلغ عددها لتكون لك خير واعظ ومذكّر معين عندما تكبر وتخوض غمارالحياة، وعندها سينطلق لسانك بالثناء عليّ لانك ستلمس فيها حبي لك وحرصي عليك . انني مسرور جدا من تفكيرك ونظرتك للامور نظرة جادة ورسالتك هذه جيدة للغاية ، لذلك فانني اعود واكرر وصيتي السابقة لك بالجد والانتباه الى معاميك وهم يلقون عليك الدروس .

بالنسبة لدراستك نحن ننتظر جواب اخيك راتب كما ذكرت لك سابقا وقد كتبت له برقية استوضح عن هذا الموضوع فاذا وجدت صعوبات تحول بينك وبين الدخول الى الجامعات البريطانية فربما تفكر بادخالك الى الجامعة الاميركية في بيروت

لتقضي فيهـا مـدة وجيزة تحصل بعدها على شهادة تؤهلك للذهاب الى أميركا من اجل التخصص والحصول على شهادة الدكتوراه ... لم أبحث معك ومع فاروق رغبتكما بالتخصص وهل توافقان على أن يختار كل منكما اختصاصا من الاختصاصات التاليـة : هندسة كهربائية ـ هندسة بترول ـ هندسة بنـاء ـ هندسة زراعيـة . انني أود ان اعرف ميولكما ورغباتكما واخبرك انني على استعداد لأوافق كل منكما على دراسة الاختصاص الذي يريده . تلقيت رسالة من طارق اما فاروق ورفيق فلم اتلق منهمـا اي رسالة . وختاما نقبل وجناتكم جميعا وندعو لك بالتوفيق والرشاد .

ابـو راتـب

دمشق في / / ١٩٥٦ **ـ حسن المعاملة**

ـ حث على الدراسة

ولدنا سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

أعلمك انه وصلتني رسالتك المؤرخة ذات الرقم / ٢١ / وعلمت كل ما ذكر فيها . ان مـا جـاء في رسالتك من عبارة لطيفة جعلتني ازداد ثقـة بك وآمل لـكم جميعـا مستقبلا زاهرا مملوءاً بالسعادة . وقد سررت كذلك من رسائل فاروق ورفيق وطارق وكان سروري أكثر بسلوكك تجـاه الاخرس واعترافك لـه بخطئ بدر منك واعتذارك منـه ووعدك إيـاه بعدم تكرار هذا الحادث ... فانـا أود انتعلموا الاخلاقالفاضلة وان تعاملوا من هو أكبر منـكم سنا معاملة احترام وطاعـة سواء أكان اخا أم ابن عم أم رفيقا في المدرسة أم غريبا عنـكم ، الا ان يأمر بمعصيـة الله سبحانه وتعالى لأنـه لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق . كما انني اود ان تعاملوا من هـو اصغر منكم سنا معاملة النصيحة والارشاد والرحمة والشفقة وهذا ما أوصى به ديننـا الحنيف ونبينا الكريم عليـه الصلاة والسلام ، فلا تلجؤوا الى استعمال العنف مـع احـد وبذلـك تكسبون طاعة من هو اصغر منـكم وعطف من هـو اكبر منكم . فيما يتعلق بدراستك وصلتني رسالة من اخيك راتب وهـو ينتظر تلقي تعليمات من المدير وقد أرسلت لـه جوابا على رسالته اوضحت لـه فيـه رغبتك بالتخصص . واعلمك اننـا سنرسلك

الى أمريكا غالبا ونرجو الله تعالى أن يوفقك الى أستغلال وقتك كلــه من أجل الدرأسة لتحصل في نهاية العام الدراسي على علامات عالية جدا ولا سيما بمادتي اللغة الانكليزية والرياضيات حتى تتمكن من اخــذ مصدقة تفوّق من المدير ، وهذه المصدقة تساعدك على القبول في معاهد امريكا وجامعاتها حيث نأمل أن يتوفر لك عاما دراسة في أمريكا .
وختاما نقبلك عن بعد ونتمنى لـك النجاح والتوفيق ؛ ونحن نطمئن عن صحتك دائما عن طريق عمنيك انــور ورشـــاد وعن طريق جدتك ايضا . وكم اتمنى ان اجد فراغــا لازورك ولكن ما العمل واشغالنا الكثيرة لا تسمح لنــا بذلك . فنسأل الله العلي القدير ان ينهي راتب وموفق دراستهما بتفوق وبالنجاح والتوفيق لنستعين بهمــا قليلا وان تنهي انت ايضا دراستك ورايات النجاح والتوفيق معقودة فوق رؤوسكم ، وعندهــا نترك الاعمال لـكم جميعا ، وفقكم الله آمين .

ابــو راتــب

دمشق في ١٩٥٦/١١/٤

مانشستر ـ انكلترا **ـ العلم واثره في مجال الزراعة**

ولدنــا موفق وفقــه الله آمين

أتاني الآن رسالتك التي تحمل رقم / ٢٥ / وقد علمت كل ما جاء فيها ،
سررت جدا بنتائج الامتحان ونجاحك فيه بتفوق وارجو لك دوام التقدم واقول :
ان هــذا النجاح ما هو الا ثمرة الجد والانتباه وفقك الله وسدد خطاك .

تقول انك تميل الى الزراعة وانك ستدرس الاقتصاد الزراعي وان هذه الدراسة تحتاج الى هذا العام والعام القادم وبذلك توفر عاما دراسيا . هذا الامر اصبح معلوما لدينــا ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقك ، فالاختصاص بالزراعــة مفيــد جــدا ويستطيع من يختص بالزراعة ان يعمــل في مجال التجــارة الحرة والذين يؤسسون مشاريع زراعية وهم مختصون بالزراعة ينجحون نجاحا كبيرا ، وقد اصبح العلــم في هذه الايــام اساس كل نهضة وتقدم . فالمزارع المتعلم يتمكن من ان ينتج من مســاحــة صغيرة (عشرة دونمات مثلا) ما يزيد عن معاش رئيس دولة . ففي لبنان مثلا يعطى دونم الارض المزروعة تفاحا على الطرق الحديثة ما لا يقل عــن اربعين او خمسين الف

ليرة سورية . . . ولا بد انك لا زلت تذكر زيارتنا الى ايطاليا (فيرونـا) حيث راينا ان الارض التي تبلغ مساحتها اربعمائة دونم تدار من قبل شركة مساهمة . فالعلم له دور بارز في جميع الاعمال الامر الذي لم نصل اليه بعد في سورية ، ففي مجال الزراعة مثلا لا تزال الطرق القديمة لم تستفد من التطور العلمي الذي حصل في البلدان المتقدمة كاستعمال آلة الحراثة (التراكتور) . ومتى دخلت الطرق العلمية الى بلدنا سوريا فسوف يتضاعف المحصول الزراعي الى خمسين ضعفا . ونحن دخلنا مجال العمل الزراعي منذ ثلاثة عشر عاما ومشاريعنا ناجحة نسبيا والحمد لله ، ولكن هذا النجاح كلفنا جهدا وعرقا ، وغاية املنا ان تتأثر بمسيرتنا لكي تكون في المستقبل موفقا في اعمالك متعاونا مع اخوتك وابناء عمك منسجمين متحابين متسلحين بسلاح العلم في اعمالكم كلها .

الجميع بخير والحمد لله فكن مطمئنا وانصرف الى الدراسة بكل ما تستطيع من قوة ولا تشغل افكارك الا بتحصيل المعارف والعلوم وفقك الله وسدد خطاك آمين .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٦/١١/٢٧ — **حث على المثابرة ورد على ملاحظات حول**

بركلي – كاليفورنيا — **تطوير الاعمال**

ولدنا راتب الشلاح رفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

أمامي الآن رسالتك رقم / ٢٧ / والاخرى رقم / ١٥ / وما بهما علم ، واول ما أود ان الفت اليه انظارك ان يكون يقينك بالله جيدا واعتمادك عليه قويا لأن كل توفيق في هذه الحياة مبني على اليقين بالله . فمن كان يقينه بالله قويا اشتد ساعده وارتفعت معنوياته ووفق لكل عمل يقدم عليه ، لأن من شروط الايمان ان يؤمن بالله سبحانه وتعالى وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى . . وانت تذكر في رسالتك انك لم تدرس منذ اسبوعين نظرا لانشغال افكارك ، فمن اي شيء تشغل افكارك وتبتعد عن القيام بمهمتك الكبيرة التي هي الدراسة حتى تحصل على أعلى الدرجات العلمية ؟ . . . وهنا الفت نظرك ثانية الى اليقين بالله والاعتماد

عليه سبحانه وتعالى والايمان به وعندها سترى أنه لا يقع واقع الا بأمر الله تعالى فتبتعد عنك الهواجس التي تشغل افكارك وتعوق دراستك . فاليقين يحميك من القلق والاضطراب ويجعلك تندفع كالسهم في تحقيق الذي تسعى اليه ، فأنت تقوم بعمل يرضي الله ويعود عليك وعلى الوطن والامة بالخير . انك تسلك طريق العلم ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما يسر الله طريقا الى الجنة . أي ستكون لك اعمال كبيرة في خدمة الآخرين تحصل بسببها على مرضاة الله سبحانه وهذا هو طريق الخير الموصل الى الجنة ، لذلك يجب عليك الا تهمل دروسك والا تضيع أوقاتك سدى فالوقت كالسيف ان لم تقطعه بالعمل وتشغله بالسعي قطعك بالاهمال والندم . فلا تشغل افكارك بشيء فكل شيء مقدر وهذا حال الدنيا . فمنذ خلق الله سيدنا آدم عليه السلام تبرز مشكلات تعترض طريق الرجال ومتاعب تتحداهم وهم من جهتهم يعملون كل ما في وسعهم للتغلب على تلك المشكلات وتذليل تلك المتاعب ، وعندما ينجحون ينبعث في نفوسهم نور الامل والثقة بالنفس فيمضون في طريقهم وكأن شيئا لم يكن . ان طريق العلا يمضي ابدا للامام ويفرض علينا أن نثبت امام الصعاب وفي ذلك لذة للنفس وتحقيق لاهدافها الخيرة مهما كانت بعيدة .

عند وصول رسالتنا هذه اليك ارسل لنا عنوان السيدة (فال هاروسلي) حتى نكتب اليها شاكرين ، وانت ارسل لها كتابا آخر على لساننا تشكرها فيه لأن هذه السيدة تستحق الشكر ولاننا بذلك نعرّفها على مكانة الاسلام واخلاق المسلم الذي يقدر المعروف .

ما جاء في كتابك الذي يحمل تاريخ اليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي قرأته بامعان وفهمت كل ما جال في خاطرك وها انا ارد على ما جاء في رسالتك تلك بايجاز يتناسب مع الوقت الضيق الذي أكاد اختلسه اختلاسا من بين يدي اشغالنا الكثيرة .

فقد ذكرت انك ترغب في تغيير عملنا أو تحويل جهدنا الى انشاء مصنع ، فهذا الامر نتركه الآن وننتظر حتى تنتهي دراستك وتعود الينا بالسلامة والنجاح ، وعندها تختار ما يرضيك من الاعمال الحرة . وساضع بين يديك خبرتي وخلاصة تجاربي ، كما ساضع بين يديك ما أملك لتضيف ذلك كله الى علمك وثقافتك وسافوضك

بابقـــاء ما تراه مناسبا من الأعمال التي نزاولها وسأتقبل منك كل اقتراح يهدف الى تنظيمها او الى جعلها تسير على الوجــه الافضل والاتم ، والمدة المتبقية لاتمام تحصيلك ستمر ايامها مهمــا طالت .

هــذا ما احببت ان اقوله في هذه العجالة لانني كما ذكرت لـك في بدايـــة حديثي اميل الى الايجاز منـطرا وقد كنت اوضحت لك امورا كثيرة تتعلق باعمالنا عندما كنت تحضر الى دمشق في ايــام العطل ، ولكنني مـــا كنت اخوض في التفاصيل الدقيقـــة مراعـــاة مني لسنك ولما يمكن ان تستوعبه وانت في غمرة الدراسة والتحصيل . ولدي ايضاحات كثيرة سأطلعك عليها عندما تحضر الى دمشـق ، كما سأطلعك على الكثير من المشكلات والمتاعب التي اعترضت سبيلنا ولا سيما انك صرت الآن في مرحلة من الوعي والنضـج الثقافي تسمح لي بأن امد ابصارك الى آفـــاق جديدة .

اتصل بموفق عن طريق الرسائل او عن طريق الهاتف وقل له اذا كان يجد صعوبة في اتمـــام دراسته في انكلترا فليذهب الى امريكا وليتم دراسته هناك (عندك) وقــد حررنا لــه رسالة بهذا الخصوص وارسلنا لــه حوالة الى بنك لويد ليكون معه زيـــادة من المـــال ولا يحتـــاج الى احــد .

ملاحظاتك التي أبديتها حول اعمالنا صحيحة وبامكاننا كما قلت أن نبيع بناء نوسع بثمنـــه اعمالنا التجارية ولكن فاتك أمر هـــام نود ان نعرفك عليـــه وهـــو من عرفنـــا التجاري . فكلما ازداد راس المـــال احتاج الى جهـــد اكثر وتعب اكبر ، فراس المـــال العالي يتطلب اشخاصا وادمغـــة تنصرف بكليتها لتشغيله وتوجيهه ، ونحن كمـــا تعلم لا نستطيع ان نتحمل اكثر مما نتحمله الآن بالاعمال الحالية وراس المال الحالي . ولكن عندما تعـــود باذن الله وترغب بأعمال أوسع فسنوسـع اعمالنا ونؤسس لك الاعمال التي تحبهـــا وبدون اي تعب او مشقـــة .

اما عـــن اطالتك الكلام ومناقشتك لنـــا في أعمالنا فهذا مـــا نرغب فيـــه ونحـــن مـــسرورون من الافكار التي طرحتها حول الاعمال التجارية وغير التجارية ، والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم جميعا اخوة وابنـــاء عم ، وأن يجعلكم مـــن سعـــداء الدنيـــا والآخرة . . . اتصالك بنـــا هاتفيا كـــان بمثابة بلسم لنفوسنـــا لانك جعلتنـــا

نطمئن عن موفق . الحالة عندنا هادئة ولا يوجد ما يعكر الخاطر ، وما حصل في مصر وتوقف بعض البلدان عن استيراد محصولنا وترفع كثير من الناس عن العمل خلق ازمة مالية . غير ان المصرف المركزي بتوجيه الحكومة قضى على هذه الازمة وبدأ التجار يتصلون بأسواق جديدة لتصريف محصول بلادنا من القطن ، وقد بيعت منه كميات قليلة نسبيا ، ومتى ازدادت الكميات المباعة فستفرج الازمة المالية نهائيا . المعلومات التي طلبتها عن المصرف المركزي والدور الكبير الذي يقوم به الآن في خدمة الاقتصاد الوطني والمعلومات التي تتعلق بتصريف الامور وتسييرها قبل وجود المصرف ستصلك عما قريب اذ طلبنا من الدكتور عبد الغني حمور (واظن انك تعرفت عليه عندما زرناه مع الوالدة في الزبداني وفي دار الخالدي ، وهو شاب مثقف حصل على الدكتوراه من فرنسا ويتمتع بذكاء حاد ويتفهم القضايا الاقتصادية تفهما جيدا) طلبنا منه ان يجيبك ويزودك بما طلبت ، وقد وعدنا انه خلال يومين سيعد لك دراسة وافية فيها الايضاح الكافي ، وعندما ينتهي من اعداد هذه الدراسة سنرسلها لك .

واخيرا الجميع عندنا بخير والحمد لله يهدونك السلام ويقبلون وجناتك عن بعد ويدعون لك بالتوفيق والنجاح . عمك لم يقل (شايفلك ما في غير حكي ، بدنا نشوف شو بده يطلع بالاخير) فنحن جميعا نثق بك وقلوبنا مطمئنة من جهتك فالقصب لا يعطي إلا السكر ، والنحل لا يعطي إلا العسل ، فسر مستعينا بالله لتحصل على ما تريده ونريده نحن لك من علم زائد ومراكز ممتازة والله يسدد الخطا ويهدي الى سواء السبيل . الجدة الكريمة بخير تدعو لك بالنجاح والتوفيق ونحن نقبلك عن بعد من وجناتك وعيونك ، والباري سبحانه يوفقك ويكلؤك بعين عنايته والسلام .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٦/١٢/٣٠ — الزواج — الزواج بالاجنبيات — عقوق
بركلي — كاليفورنيا — الاهل والوطن ...
— رضا الوالدين

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك رقم (١٣) ورسالتك رقم (١٧) وعلمت كل ما جاء فيهما واترك الآن الاجابة عن الرسالة الاولى واجيب عن الرسالة الثانية نظرا لاهميتها . فانت تتحدث فيها عن الزواج ، والزواج أمر هام . فاذا كانت أمور الحياة تقدر بقيراط واحد فان القضية التي تحدثت عنها تقدر بكل ما بقي من قراريط أي بثلاثة وعشرين قيراطا وذلك لان الراحة والسرور نصيب من يوفق في زواجه بسبب ما جعله الله جلت حكمته من مودة ورحمة بين الرجل والمراة التي ستكون شريكة حياته ، ولان الكدر والتعب من جهة أخرى نصيب من يخفق في زواجه . والزواج خير سبيل لتكوين الاسرة وهي الحجيرة الصغيرة من حجيرات المجتمع ، لهذا فمهما اعطيناه من الاهمية فلن نعطيه حقه ، وكن على ثقة من انني مسرور من مصارحتك لي بهذا الامر ، ومسرور من تفكيرك به ، ومن آرائك الجيدة الناضجة حوله . وانا لست ممن يتمسكون بعقلية القدماء تلك العقلية التي كان اصحابها يحجمون عن مشاركة ابنائهم في حل مشكلاتهم ، كما كانوا يصمون آذانهم عن سماع آراء الابناء حول هذه المشكلات .

ومشكلة الزواج مشكلة من مشكلاتكم أيها الابناء بل ربما كانت اهم مشكلاتكم على الاطلاق . وانا كلما فكرت بأمر زواجك كنت أردد في سريرتي انني سأقدم لك خبرتي كلها وتجاربي جميعها ، كما سأضع بين يديك كل ما عانيت من مشكلات في نطاق العائلة وما استقر في ذاكرتي وتأثرت به من مشكلات الناس ايضا ثم أترك لك بعدها الخيار ، وتنهج السبيل الذي تحب وتسلك الطريق الذي ترى . فالذي يهمني من زواجك سروري العظيم بانك تزوجت واصبحت رب اسرة ، كما يهمني ان تكون حياتك الزوجية كلها هناء وراحة . واذا حصل خلاف ما نريد وما نتوقع فلن نتأثر الا عن بعد وخلال فترة قصيرة ومحدودة وستبقى وحدك تتحمل النتائج كلها . فأنا سأندخل في الموضوع لضمان راحتك ، وكن على ثقة بأن أكبر فرحة للوالد هي زواج أولاده في حياته . ولنرجع الآن الى الموضوع ولنتناوله من أسسه الاولى :

تقول في تحريرك انك تفكر بالزواج منذ مـدة ، وتحب ان تتزوج لأسبـاب عديدة منها تعرض الشب لشباك البنات وان سبعين بالمائة مـن الطـلاب الخريجين امثالك متزوجون وان الزواج لا يؤخر الدراسة بل ربما تحسنت ظروف دراستك فيمـا اذا تزوجت . . . نحن نوافقك الآراء ولا نحول بينك وبين الزواج وانما نقول لك منذ البدء وقبل أن تضع اي خطوة على الدرب اننا لا نوافق على زواجك بأجنبيـة لان في هـذا الزواج الممقوت عقوقا لي وللوطن وعقوقا لمن يتزوج الاجنبية ايضا .

١ ـ فالعقوق بالنسـبة لي هو ان ارى ولدي الذي تعبت كثيرا وضحيت كثيرا من اجل ان أراه متعلما يحتل مركزا مرموقا بين أبنـاء وطنه ومـن أجل ان يتزوج امراة عربيـة يعيش معهـا براحة ، ونعرف نحن أفراد العائلة كيف نتعامل معهـا ، أن ارى ولدي هـذا الذي اعلق عليـه الآمال يضرب بكل ذلك عرض الحائط ويقدم على عمـل لا اريده له وهو الزواج بأجنبية ، هو العقوق . لذلك فمهما كانت الزوجة فهي ليست لك وحدك . انها لك بالحب والود والاخلاص والعون على بناء الاسرة وتخطي صعوبات الحيـاة ، ولكنها لعائلتك بحسن المعاملة والتصرف اللائق الذي يحافظ على اسم العائلة ولا يعرضه للتمريغ بأوحال النقائض والذم من قبل الآخرين . وانك انت ، انت ذاتك ، لست لنفسك وحدها بل أنت لوالديك ولعائلتك ولوطنك .

والعقوق بالنسبة للوطن يتجلى في أن العرب الذين يقدمون على الزواج بالاجنبيات تكون الرابطة مفقودة بينهم وبين زوجاتهم ، ومفقودة بين هؤلاء الزوجات وبين الوطن . وسينتج عن هذا الزواج أولاد مهجنون أي ليسـوا عربا وليسـوا اجانب ولا نعلـم ماذا ستكون ذريتهم في المستقبل وماذا ستكون مواقفهم من قضايا وطنهم ، هذا الوطن الذي فضّل علينـا جميعا إذ عشـنا فيه واكلنا من ثمره وتنسمنا من هوائه وشربنـا من مائه وتمتعنا بخيراته كلها ، فهل بعد ذلك كلـه نترك له نوعا من الذرية قد تميل مع اعدائه او انهـا في احسن احوالها ستقصّر في خدمته والقيام بمـا يفرضه عليهـا من مهام ؟ وهذا عقوق واي عقوق للوطن ولابناء الوطن .

والعقوق بالنسـبة لمن يقدم على هذا العمل المشين فانك مهمـا لقيت في الزوجـة الاجنبية من جمال وطباع حسـنة واخلاق مرضـية فهذا كلـه لا يمكن أن يدوم لان دم الانسـان ونشأته الاولى سيؤثران عليه في المسـتقبل ، وهـذا ما حصل لكثيرين ممـن

تزوجوا بأجنبيات واحضروهن الى الوطن حيث اصطدموا بصعوبات ومشكلات كثيرة. والذين سلموا من المشكلات قلائل وهم مع ذلك يعيشون على مضض من تصرفات زوجاتهم التي لا يمكن ان يتقبلها العربي مهما بلغ من التحرر والانسلاخ عن اخلاق امته وعاداتها واعرافها وتقاليدها ... والشاب لا يحسب للمستقبل اي حساب ولا ينظر في العواقب فينجرف مع عاطفته وغريزته البشرية . انه لا ينظر الى أبعد من انفه كما يقولون ويغيب عن ذهنه ان الرجل القوي لا تعرف رجولته الا بقدرته على تحمل الصعاب وتخطي العقبات ، اما اذا انهار امام المغريات فلا يكون رجلا حقا ولا بد ان فيه نقصا سبب له التعثر فالسقوط . وهناك بيتان من الشعر للامام البوصيري رضي الله عنه مرّا بذاكرتي الآن واحب ان اذكرهما لك ويقول فيهما :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وان هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً ... فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

ويتضح من معنى هذين البيتين أن النفس الضعيفة والشيطان هما عدوان لدودان للانسان حيث يتظاهر كل واحد منهما بالنصح ويتهم الآخر بالغش والتدليس . لذلك يجب على الانسان الا يطيعهما كما يجب عليه ان يكون بعيد النظر كثير التحمل يصمد أمام ما يعترض سبيله من عقبات . ومن المعلوم أن غريزة الانسان تقوى ويشتد ساعدها في السن الذي يتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين ، والعاقل من يجتاز هذه السنين الحرجة بسلام ، وعندها يكون قد بنى حياته ووصل الى الهدف الذي يسعى الى تحقيقه .

ولنعد الآن الى ما نحن بصدد الحديث عنه :

انا واثق من جميع ما جاء برسالتك ، واثق من طاعتك لنا ، واثق من تطبيقك لكل ما جاء في توجيهاتنا ، واثق بأنك لا تتصرف اي تصرف الا بعد اخذ موافقتنا . وانا واثق من انك ستنسى كل ما جاء في رسالتك ، واثق بطلبك منا ان نمزق تلك الرسالة ولا نعلم أحدا بما جاء فيها في حال رفضنا للفكرة . كل ما ذكرته لك آنفا وتحدثت عنه في رسالتك اثق به بل جعلني ازداد ثقة بولدي راتب ولا اغير شيئا من الآمال التي اعقدها عليه ، بل ازددت يقينا بانه سيكون لك مستقبل زاهر ما دمت أنت بهذا الوضع الممتاز من النضج وتتمتع بمثل هذه الاخلاق الكريمة واليقين الذي يدعو الى الثقة والاطمئنان .

والآن جاء دور الخطيبة :

١ ـ قلت انها عربية وهذا ما يجعلنا لا نتردد بالموافقة والقبول .

٢ ـ عمرها يتراوح بين السابعة عشرة والثامنة عشرة وهذا امر حسن ايضا .

٣ ـ انها على غاية من الجمال وهذا ما اريده لك (زوجة جميلة) .

٤ ـ والدها له مكانة وعائلتها محترمة ، فأكرم به من والد واكرم بها من عائلة ونعم النسب نسب الكرام .

٥ ـ وضع والدها المالي لا يعنينا كثيرا لأن المال لا يقدّم الانسان ولا يؤخره ولربما كان كل ما نملكه نحن وعمك لا يساوي فضلات صندوق والدها ، ولكننا والحمد لله نتمتع بمكانة رفيعة في بلدنا وبين أبناء مجتمعنا وقد حصلنا عليها من قبل كل من يسمع باسمنا في قطرنا وفي الاقطار العربية كلها .

٦ ـ رسالتك مختصرة ولكنها واضحة تناولت اكثر الجوانب الهامة للموضوع غير انك لم تذكر شيئا عن والدها واخوتها ، والذي اعرفه انا ان والدها من عائلة شامية طيبة وان والدها من العلماء وان البنت ربما تكون قد درست مع اخوتها في كلية فكتوريا بالاسكندرية ووالدها مركزه معروف (وقد كان المستشار المخلص الامين للملك المرحوم عبد العزيز آل سعود ، كما انه يحتل الآن المكانة ذاتها عند الملك الحالي سعود بن عبد العزيز) وهو من عائلة عريقة اتصف افرادها بالعلم . فوالده (اي جد الخطيبة) عالم كبير ، وولده الاكبر شقيق الخطيبة له أعمال واسعة في مصر وانكلترا وامريكا ويقضي اغلب اوقاته في امريكا

نحن بناء على رغبتك لم نستشر أحدا ، لا السيد عثمان ولا اعمامك ولا جدتك ولا والدتك ، ولم يقرأ رسالتك الا انا وعمك ، وعليه احب ان اقول لك نحن موافقون على الخطبة طالما ان البنت قد اعجبتك ولا يوجد لدينا اي مانع ففاتحها بالامر وعرّفها على وضعنا الحقيقي دون زيادة او نقصان ، فاذا تمت الموافقة من قبلها ومن قبل والدها ووالدتها واشقائها فنحن مستعدون للتقدم لخطبتها بصورة رسمية من والدها ، كما اننا مستعدون للتقدم بالسفر الى اي مكان اكراما لك . ومتى تم كل شيء فلن نتاخر عن تعيين وقت اجراء عقد النكاح في فصل الصيف القادم ، وليكن موعد العرس كذلك في هذا الفصل وبعدها تعود لاتمام دراستك مصطحبا معك الزوجة .

وبالختـــام نرجو الله سبحانه أن يختار لـك ولاشقائك ولابناء عمـك ولهـا أيضا الخـير والفـلاح .

يوم سافرت لاداء فريضة الحج خرج جدك معي الى المحطة لوداعي وكان في المحطة حشد كبير من الناس لا يقل عن عشرة آلاف نسمة مـن مودعي ومودعي الف حـاج كانوا معي في تلك الرحلة المقدسة ، وامـام الجمع المحتشد وعندما بـدا القطار يتحرك قبلت يده ونزلت الى الارض اقبل رجليه وهـو يبكي والناس يبكون ، وطلب مني ان اكف عن هذه العملية وانهض . . . هذه الحادثة يذكرها الناس في مجالسـهم وقد جلبت لي سمعـة حسنـة تزيد عن تلـك السمعة التي حصلت عليها من كل ما قمت بـه ، ففي أيامنا هـذه يقولون يكفي أن يقبّل الابن يدي والده ، ولكن النـاس لا يدرون أن مثل ذلك الموقف يزيد من قيمة الرجل ويعلي مكانته بين ابنـاء مجتمعه وهو راس مال كبير لـه في حياته . . هذا شاهد من شواهد كثيرة احببت ان اذكرهـا لـك لتزداد تمسكا بما أنت عليـه من رضا الوالدين والسير ضمن نصائحهما وارشاداتهما .

خبرني بسرعة عن كل ما يطرأ بالنسبة للخطبـة حتى اذا سارت الامور حسبمـا نتوقع فاننا لن نبقي زواجك الى فصل الصيف بل سنجعله في أول الربيع فلا تتغيب عن دوامك الجامعي اكثر من اسبوع .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٧/١١/١١ — الدراسة وحفظ الرسائل

بـرمـانـا — معهم ويقلقه ما يحدث لاحدهم

— البعد عن اللعب بطيش

أولادنا الموفقين : سليم وفاروق وطارق وغسان ومحمد ، وفقهم الله جميعا

اقبل وجناتكم عن بعد واخبركم اننا استلمنا رسالتكم وسررنا غاية السرور من انكبابكم على الدراسة وتقديركم لنا واعترافكم بجهودنا التي نبذلها في سبيل القيام بواجبنا ازاءكم لنؤمن مستقبلكم . ونحن بدورنا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم جميعا لتطبقوا ما جاء في رسائلكم ... وعلمنا من غسان ومحمد انهما يدرسان جيدا على حين وصلنا اخبار تقول انهما ضعيفان بالنسبة لدراستهما وهذا ما لا نقبله منهما لاننا جازفنا ودفعنا نفقات غالية للمدرسة لا تقل عن ثلاثة آلاف ليرة سورية عن كل واحد منهما أملا بأن يكونا بعيدين عن المنزل وعن أولاد اختهما ولينصرفا للدراسة وتلقي العلوم . ومبلغ ثلاثة آلاف يدفع على ولد بمثل سنهما ليس من السهل دفعه . فمعاش الموظف العادي كالشرطي والدركي لا يتجاوز شهريا مائة وخمسين ليرة سورية وهو بهذا المبلغ يعيش مع زوجته واولاده ويدفع اجرة البيت ... وهذا ما يوجب عليهما وعليكم جميعا أن تحافظوا على الوقت وان تبتعدوا عن اللعب وتقدروا جهدنا الذي نبذله تجاهكم . أيها الاحباء بلغنا نبأ سقوط طارق من السطح الى الارض فكلفنا السيد خالد سعد أن يزوركم ويطمئن قلوبنا عنه ، وقد عرفنا انه أخذ الى بيروت وصوّر وكانت النتيجة انه سليم والحمد لله ، وقد اتصلنا بالمدرسة هاتفيا وتحدثنا مع فاروق فطمأننا عن حالة طارق ونحمد الله الذي حفظه وعافاه ... وهنا نود أن نلفت انتباهكم الى نصائحنا الماضية لكم ولتذكروا اقوالنا لكم من ان اللعب بطيش وعدم انتباه نتائجه وخيمة . ماذا نقول لكم ؟ هل نسيتم نصائحنا وجعلتموها دبر آذانكم ؟ عجبا والله انكم تذكرونها في رسائلكم الينا وتثنون عليها ولا تطبقونها في حياتكم ؟! ولتذكروا جميعا انني أوصيتكم بحفظ رسائلنا في ملف خاص لتعودوا اليها بين الحين والحين لتستفيدوا مما جاء فيها ، وانني الآن احمل مسؤولية حفظ هذه الرسائل لسليم . انا افكر بالسفر الى مصر لحضور مؤتمر الغرف التجارية العربية.

وختاما ــ نقبلكم جميعا عن بعد ودمتم .

أبو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٢/٤ — زيارة مصر

برمانا — مكانة العلم والعلماء

ولدينا سليم وفاروق وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما

يوم الاربعاء الماضي وصلنا القاهرة بالسلامة والحمد لله ومعنا الجدة الكريمة وام راتب وهما بتمام الصحة والعافية تدعوان لكما بالتوفيق والنجاح ... وقد كنا مسرورين جدا من زيارتكما للقطر المصري الشقيق وكنا نأمل ان يطول وقت الزيارة حتى تتمكنا من زيارة مدينة الاسكندرية ومدينة بور سعيد ، ولكن حرصنا على دراستكما جعلنا نكتفي بالمدة التي امضيتماها في ربوع الكنانة . وقد اخذتما فكرة عن مدينة القاهرة ومعالمها الاثرية وقصورها ونيلها الفني المعطاء ... ايها الحبيبان عرفنا من رسائلكما أن الرئيس لم يسمح لكما بالسكن خارج المدرسة فنرجو الا يكون ذلك معرقلا لدراستكما واجتهادكما . ومتى توكل الانسان على الله وانصرف الى دروسه بجد ونشاط فلا بد من ان يكون ناجحا وعلاماته تكون كاملة وكل من جد وجد وكل من سار على الدرب وصل . ونريد ان نعلمكما ونحن في هذا العمر وقد مر علينا كثير من التجارب أن العلم فوق كل شيء والعالم يحتل المركز الاول في اي اجتماع يحضره ويفرض وجوده في كل لجنة يشكل . لذلك فلا تضيعا ساعة من أوقاتكما بغير اجتهاد ومطالعة ، هذه الايام فرصة متاحة لكما وستندمان في المستقبل على كل دقيقة تذهب سدى . املي وطيد بأنكما ستواصلان الدراسة والاجتهاد ، واوجه كلامي هذا الى محمد وغسان ، فقد بلغا الثانية عشرة من العمر ولا بد من الجد والاجتهاد ، وقد كتبت لهما رسالة سلماها لهما .

وفي الختام الجميع عندنا بخير يدعون لكم بالتوفيق والنجاح ... وقد وصلتنا رسالة من أمين سر المدرسة يشكرنا فيها على الهدية التي قدمناها له ، ولا بد انه سيكرمكم ويعتني بكم ... حفظكم الباري بعنايته .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٢/٤ — لا فرق بين أب وغم

برمـــانــا — الحث على الدراسة

أولادنا طارق ورفيق وغسان ومحمد الشلاح وفقهم الله آمين

بعد ابداء الشوق وتقبيل الوجنات

حضرتم الى دمشق في عطلة عيد الميلاد وكنا غائبين في مصر . ولكم كنا نود ان نكون موجودين لنراكم لاننا مشتاقون لكم كثيرا ، ولكن طالما ان والدتم (شفيق) موجود فقد حصل المطلوب لانه لا فرق بيننا نحن الاثنين ، فاذا نظركم هو فكاننا نظرناكم واذا نظرتموه أنتم فكأنكم نظرتمونا . لقد سبق وعدنا الى سليم وفاروق بأن يزورا مصر ليطلعا على معالم مدينة القاهرة وهذا الوعد امانة في عنقنا وقد وفيناه ... ولكن كان الوقت قصيرا جدا فهذه الرحلة تحتاج الى خمسة عشر يوما على الاقل ، وقد بذلنا جهدا لا بأس به ليحصل فاروق وسليم على المطلوب من هذه الرحلة وهو الاطلاع على معالم مدينة القاهرة عاصمة الكنانة وأعاننا على ذلك وجود سيارة تحت تصرفنا . والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى ان يحفظكم بعين رعايته حتم تكبروا لنأخذكم برحلات تطلعون فيها على معالم وطننا العربي والعالم . بلغني أن هناك قصورا في الدراسة بالنسبة لغسان ومحمد وهذا يخالف الوعد الذي قطعاه على نفسيهما بوجوب الدراسة والحفظ والمطالعة والانتباه خلال الدروس ... واقول لهما أن موعد الامتحان الاخير لا يزال بعيدا ولديهما فسحة من الوقت يستطيعان خلالها أن يتداركا تقصيرهما ... وأملي كبير انكم جميعا ستكونون منتبهين الى دروسكم ، وأملي كبير ايضا ان اجدكم جميعا في نهاية الفصل ناجحين حائزين على أعلى العلامات بالنسبة لرفاقكم جميعا . وختاما ارجو لكم التوفيق جميعا ، حفظم الباري وسدد خطاكم .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٢/١٩

الزواج من فتاة ثرية

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

ورد في رسالتك جملة تقول فيها انك لا تريد ان تكون زوجتك صفرا على الشمال ، واجبتك مستغربا ذلك . فلم يبدر مني يوما من الايام ما يدل على انني عاملت والدتك كصفر على الشمال ، وانت اعرف الناس بطريقتي وآرائي . ولم اطلب منك او من احد اشقائك يوما تنفيذ شيء لا ترغبون فيه وتقدرون على حمله ، وانت تعرف ما تحملت من ضغط واعباء لا تحتمل ، وقليل من الآباء من يستطيع تحمل ما حملته . ولكنني اخذت عهدا على نفسي بألا اكون والدا بل أخا كبيرا لجميع أولادي ولابناء عمهم ايضا وانا أب لكم جميعا ، وبهذه الصفة أكون ناصحا ومنقذا وموجها لما فيه صالحكم ومستقبلكم وكيانكم الاجتماعي وراحة بالكم .

ولهذا فان كل راي ابديه ، لكم الحق في قبوله أو عدم قبوله . ولكن علمتنا التجارب أن الراي اذا صدر عن شخص مجرب عركته الحياة ونظر الى خفاياها يكون هذا الراي صائبا ، انما الاولاد لا يشعرون بالنتائج الا عند وقوعهم بالمشاكل .

أعود الى مسألة الزواج من فتاة ثرية فأقول أن الحياة في القاهرة تختلف عنها في دمشق . فهناك الزوجة لا تهتم بشؤون المنزل والطعام فلديها طهاة وخدم وسائقون وسيارات وتجد كل شيء جاهزا في خدمتها ولديها أوقات فراغ تقضيها في الزيارات والاستقبالات والحفلات والملاهي ، إلا ان هذه المعيشة لا يتمكن من تأمين نفقاتها إلا اصحاب المورد الكبير .

ولكن هذا لا يدوم ولا ينطوي على اي عدل اجتماعي ، فأناس يعيشون في ترف طاغ وبطر ، وحولهم اناس ربما لا يتاح لهم الخبز الحاف والفول المدمس .

ولهذا قامت ثورة مصر ، واول عمل قامت به هو تحديد الملكية . فالرجل الثري الذي يملك خمسمائة فدان ايرادها عشرة آلاف جنيه بدون تعب خفضت ملكيته الى

مائتي فدان ايرادها اربعة آلاف جنيه لا تكفيه للمعيشة على المستوى السابق . ونحن لدينا مواردنا ، ولكن الافضل ان ننفق على قدرها دون تبذير . وحتى في أشد البلدان الراسمالية ثراء كأميركا وانكلترا نجد أن المجتمع لا يسمح بنمو الثروة الفردية الى حد مفرط بل يخففها بالضرائب ويحول دون الانفاق غير المسؤول إلا في صالح المجموع . ولاحظت مثلا أن (هورسلي) صاحب المعامل الكثيرة والدخل الضخم يعيش مع اسرته واولاده من حيث النفقات والترف في مستوى عادي . لقد اقترح عمك والد زوجتك بناء فيلا مستقلة لك ولزوجتك ، ولديه القدرة لدفع المبلغ المطلوب ، ولكننا لسنا ملزمين بأن نعيش من فضل أحد . ولا ننكر نعمة الله علينا وسمعتنا من الناحية الاجتماعية قلّ من حصل عليها من طبقتنا . المهم ان نبني المستقبل وهو مستقبلكم الذي عملنا وتحملنا من اجله الكثير ووصلنا الى مركز يغبطنا عليه الاصدقاء ويحسدنا غيرهم ، ذلك لانه لا تشكّل جمعية الا ونحن في طليعة مؤسسيها ، ولا يشكل وفد الا ونحن في المقدمة ، ولا يوضع مشروع الا ونحن في عداد المشاركين فيه ، ولو اردنا ان ننصرف الى الاعمال الخاصة لجمعنا اضعاف اضعاف ما نملك ، والواقع ان همنا في الحياة هو تربية أولادنا وتعليمهم وراحتهم .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٢/٢٢	**ـ في العمل النافع راحة**
برمانا	**ـ الانسان عليه ان يبذل وان يضحي**
	ـ كونوا يدا واحدة

ولدي سليم الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني رسالتك ذات الرقم (١٤) وعلمت كل ما جاء فيها . وقد سررت من حسن تعبيرك وجمال أسلوبك ، فلقد عبرت عما يدور في نفسك وما يدور في نفسنا ولكنك لم تستقص كل ما يدور في انفسنا . ولكي تكون لديك الصورة الواضحة عن ذلك الموضوع اقول : قلت ان ذهابنا الى مصر لم يكن للراحة وانما كان للتعب ، وقد سبق ان أوضحت لك اننا مسرورون من هذا التعب ، وسرورنا قد يفوق سرور الكثيرين من الراحة . فالراحة الحقيقية لا يحصل عليها الا صاحب الايمان القوي

واليقين الثابت ، وايماننـا قوي بأن الانسان لم يخلق على وجـه الارض الا ليعمرها . والعمران يتـم بأن يكون معلما لغـيره حينا وتلميذا حينا آخـر . يفيـد ويستفيد . والعمران يتـم بأن ينشىء أبنيـة ويحدث مزارع ويحسـن الى خلق الله لان الحديث الشريف يقول الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله . فاذا انعم الله على عبده بنعمة الجاه وجب عليه الا يبخل بجاهه بل يساعد به خلق الله . وإلا فمـا الفرق بينـه وبـين الذين ليـس لهـم جـاه ومكانة ؟ واذا انعم الله سبحانه على عبده بنعمة المال وجب عليه الا يبخل بماله على المحتاج . وقل الامر نفسـه بالنسبة للقوة والعافية والعقل والحجة والمنطق ، فكل هـذه الامور هبات من الله لعبده وضعها بـين يديـه ليساعد خلق لله ، واذا لم يقم المنعم عليه بمساعدة خلق الله سلب هذه النعمة وهـذه الهبات واعطاها الله لمن يحسـن الشكر عليها والوفـاء بحقها . وقـد ترى كثيرين مـن أصحاب الجاه والمـال قد سلبوا نعمة الجاه ونعمة المـال بعد فترة من الزمن وما ذلك إلا لانهم لم يقوموا بما عليهم من واجبات تجاه خلق الله .

زيارة مصر لم نرد منها الا سمعتكم ومصلحتكم . تذكر انني وعدتك بزيارة مصر من قبل وكنت اود ان تكون المدة الكافية التي مكثت فيها في ارض الكنانة اطول ممـا كانت لتستفيد فائدة اكبر ، وكنت اود ايضـا ان يكون لديّ فراغ كاف لنزور اماكن عديدة في مصر غير تلك التي زرناها .

انني أوافق على سكنك خارج المدرسـة لانني اعرف تمـام المعرفة انه لن يتغـير سلوكك وسيرك ولن تختلف اخلاقك . انا اعرف ذلك واعرف انك لن تترك السكن في المدرسة دون مشورة لمـا اعرف أيضا ان الطلاب حريصون على الاعمال التي يقومون بهـا الاّ تضر مستقبلهم . ولتعلم ان النظـام والاحترام واحترام النظام هـو اساس الحيـاة . ونحن ليس لنـا هدف في هـذه الحيـاة إلا تعليمكم لتستفيدوا ولأجل ان تذكرونا بخير عندما تكبرون . واننا سنرفع راسنا عاليا عندما تنهون مرحلة الدراسة بنجاح وتفوّق وتستلمون مراكز مرموقة في المجتمع .

وختاما آمل ان تكونوا جميعا بخير وعلى نية عاليـة واحـدة وبهذا تحصلون على النجاح ... وفقكم الله لما يحبه ويرضاه وسدد خطاكم جميعا .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٥٨/٣/١٨ — الشعور بالارهاق

برمانا — موازنة بين مجتمعنا ومجتمع الانكليز ...

ولدي سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

احيطك علما أنني استلمت رسالتك التي تحمل رقم / ٩ / واطلعت على كل ما جاء فيها . سمعت الامثلة التي سمعناها من بعض المعلمين الانكليز والموقف الذي اتخذته من هذه الامثلة يجعلني اقول إن كلاً من الطرفين على حق . فهذه الامثلة واقعية ولكن ما العمل وهذا هو نظام الحياة في هذا الشرق المسكين ؟ والمعلم الانكليزي يتحدث عن نظام الحياة في بلده حيث يعرف كل فرد من افراد الامة ان عليه واجبا ويتحمل مسؤولية ، وهذا ما يجعل الافراد يقومون بالاعمال التي يستطيعون القيام بها . اما في شرقنا فقد يجهل الكثيرون من افرادنا الواجبات المترتبة عليهم تجاه ابناء المجتمع ، كما انهم يجهلون حقوقهم التي يجب ان يطالبوا بها ولهذا السبب يكون حمل الذين يشعرون بالمسؤولية ثقيلا ... فمتى يتهيأ للامة العربية ان تنهض من عثرتها ؟ ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يتحقق ذلك في القريب العاجل . وفي هذه الايام ايام الوحدة بين قطرين من اقطار العروبة مصر وسورية ... ونرجو الله التوفيق لكل عمل وحدوي يتم على ثرى الوطن العربي ، كما نرجو سبحانه أن يجعلك من الموفقين لتحتل في المستقبل القريب اعلى المراكز وذلك بعد أن تنهي دراستك بنجاح وتفوّق لتنزل الى معترك الحياة وتقدم كل ما تقدر عليه من خدمة لامتك ووطنك . انني احاول اعتزال بعض الاعمال العامة التي باتت ترهقني وتأخذ الكثير من وقتي ، ولكن الناس لا يسمحون لي بذلك لاستقامتي ، ولو كان افراد الامة كلهم متحلين بالاستقامة والشعور بالمسؤولية لكان الحمل على امثالي خفيفا . ارسلت رسالة الى محمد وغسان مع رسالتي هذه ويلزمهما التشجيع عسى ان يفتح الباري عليهما من أبواب عنايته ما يجعلهما يجدّان في دراستهما وانا سأحاول ان ازوركم في عطلة الربيع لاتحدث مع المعلمة عن اوضاعهما واعود بكم جميعا الى دمشق ... وكم احب ان املك المزيد من الوقت لاوضح لكم كل ما اريد توضيحه ، ولكن الاوقات تضيق بالنسبة لاعمالنا الكثيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الجميع عندنا بخير يدعون لكم جميعا بالتوفيق والنجاح والباري يحفظكم ويسدد خطاكم دائما

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٨/٩/٢

اميركـا ـ بركلي

حث على الدراسـة

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

امامي رسالتك ذات الرقم / ٢٣ / وقد علمت كل ما جـاء فيها .

ما ذكرته عـن الفحص والمطالعة والجهـد الذي تلاقيـه علم لدينا ونسأل المولى جلّ وعلا ان يكون معينا لك وموفقا .

كثيرون ممن حصلوا على شهادة الدكتوراه ويشغلون مناصب عالية قـد تعبـوا ولا شك ، واعترضت سبيلهم المشاق والصعوبات الجسام ولا سيما ان اكثرهم لا توجد عنـد آبائهم القدرة المالية الكافية للانفاق عليهم ، ولكنهم درسوا وجدّوا في دراستهم، دخلوا مسابقات ونجحوا فيها وذهبوا ببعثات مجانية الى بلاد الغربة وكان ذلك نتيجة لتفوقهم العلمي ، ولا يعلم احد إلا الله كيف عاشوا في تلـك البلاد وكيف امضوا سنيّ الدراسة ، ولكنهم في نهاية المطـاف وصلوا الى غاياتهم وحققوا اهدافهم على الرغـم من كل العقبات التي اعترضت سبيلهم . فالحياة كفاح يفوز فيها من يبـذل الجهـد ويصبر ويتخطى العقبات ويستهين بالصعوبات .

نحن عاتبون عليك لانك تأخرت عن الكتابة الينا ولكننا نعذرك الآن ونريد أن تتفرغ لدراستك حتى تنجح وتتفوق على اقرانك باذن الله ولا سيما اننـا علمنـا ان فحصك سيكون بعـد ساعتين من هـذا الوقت الذي نحرر لك فيـه هذه الرسالة . فتح الله عليك فتوح العارفين ووفقـك في هـذا الفحص وفي الفحص النهائي اي في مناقشـة الاطروحة ثم في اعمالك الحرة وحياتك المقبلة انت وابنـاء عمك واخوتك وجعلكم مـن سعداء الدنيا والآخرة .

فيمـا يتعلق بالاطروحة قلت انك بدات بوضع اسسها ومخططاتها ، وموضوعهـا السياسة النقدية والمالية في سورية ، وذكرت ان احد الاسـاتـذة يرى ان تكتب عـن السياسة النقدية والمالية في الجمهورية العربية المتحدة . كما قلت انك وضعت مخططا

للموضوع وافق الأستاذ عليه ، فنحن نقول لك اختر ما تراه مناسبا وما ينشرح له صدرك وتوكل على الله فهو خير معين .

وختاما قلت أننا نعد حديثك عن المتاعب والصعوبات تبريرا للتباطؤ والتمهل الذي نتهمك به . هذا خطأ في تقديراتك وحساباتك ولم يخطر لنا على بال لاننا نثق بك وبهمتك العالية ولا نتهمك بأي تباطؤ أو تمهل أو تقصير .

ابـو راتـب

دمشق في ١٨/١٠/١٩٥٨
اميركا

- عتاب على ذكر كلمة والدي بدل كلمة والديّ
- تعليق من جوانب على حياة الاميركيين
- الحث على تسجيل المذكرات
- صحبة

ولدينا سليم وفاروق شلاح وفقهما الله آمين

اقبل وجنتيكما واحيطكما علما ان رسالتيكما المؤرختين في ١٨/١٠/١٩٥٨ قد وصلتا وحمدنا الباري سبحانه على وصولكما بالسلامة والبركة . سليم لم يذكر في رسالته إلا كلمة والدي مع العلم انه لم يتبع هذه الطريقة في رسائله السابقة فقد كان يكتب كلمة والديّ الحبيبين . لذلك فأنا اوجه له كلمة عتاب رقيق لانه سها عن النصائح التي ألقيناها عليكما ليلة سفركما والتي قلنا فيها أننا بالنسبة لكم جميعا لسنا والداً وعماً بل نحن والدان اي أبوان ، ونحن على يقين من أن ما حصل هو نتيجة السهو غير المتعمد وقع بتأثير الغربة وبتأثير الاشياء الجديدة التي ربما دهشتما من مشاهدتها . . . انها لفتة نظر احببت ان اصدر بها رسالتي هذه اليكما حتى لا يتكرر مثل هذا الامر في المستقبل . ونحن كلنا نعلم ما في قلبيكما من حب وتقدير لنا جميعا ونثق بكما ثقة عالية ولكن الناس الذين لا يعرفون ذلك ربما يظنون بكما ظنونا لا نريدها لكما . ايها الحبيبان حدثتمانا عن مشاهدتكما خلال رحلتكما من ارض الامويين الى ارض العالم الجديد ونحبذ ان يكتب كل منكما مذكرات عن هذه الرحلة يدوّن فيها مشاهداته وخواطره منذ ان ترك دمشق حتى يعود اليها بعد انهاء الدراسة

بالتوفيق والنجاح باذن الله . . . سجلا كل ما تشاهدانه في المطارات ، في الطائرة ، في المدرسة ، في الجامعة ، في المدن . سجلا ذلك وليخصص كل منكما فترة عشرة دقائق لهذا الفرض في كل يوم وسيكون لديكما في نهاية المطاف مذكرات قيّمة ترجعان اليها كلما احببتما أن تتذكرا فترة اقامتكما في اميركا وفي ذلك فائدة لكما ومتعة . . . كما اننا نحبذ حفظ رسائلنا اليكما في ملف خاص بعد ترتيبها وفق تاريخ وصولها اليكما . . . سجلا في دفاتر خاصة ما اطلعتما وتطلعان عليه واحفظاه للمستقبل لتتم الفائدة التي أشرنا اليها .

استقبال السيد محمد سليم لكما في المطار وتنازله لكما عن سكنه الخاص لانه قريب من مدرستكما سرّنا كثيرا ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يجزيه عنا خير جزاء . وهذا الموقف يجب أن يكون فيه عظة لكما لتتخذا اصدقاء اوفياء لكما كما فعل اخوكما راتب واخوكما موفق حفظهما الله . وبهذه المناسبة احذركما من رفاق السوء . ابتعدا عنهما ولا تتخذوا اصدقاء إلا من الطلاب المجدين اصحاب الاخلاق الفاضلة الرفيعة الذين يحبون العلم ويحبون اساتذتهم ويؤثرون اصدقائهم على انفسهم . فالصديق مرآة صديقه وصحبة الاخيار خير وصحبة الاشرار شر . فاياكما ومصاحبة من يهملون ويقضون أوقاتهم باللهو واللعب . قلتما انكما دخلتما المدرسة التي تعدكما لدخول الجامعة بعد قضاء سبعة اشهر فيها وأنكما اخذتما برنامج الدراسة فانتبها للدروس والمحاضرات عند القائها فهذا يفيدكما كثيرا ويساعدكما على فهم واستيعاب الدروس. . . فرّغا افكاركما من كل ما يشغلها ليكون الفهم تاماً والاستيعاب وافياً . . . محبتكما لنا وللعائلة وهي محبة كبيرة كما نعتقد جازمين ، هذه المحبة اختبرناها الآن في جانب من جوانب قلبيكما الحبيبين الطيبين الطاهرين ، وانصرفا الى الدراسة والاقبال على تحصيل العلم بهمة وفهم لأن الله سبحانه وتعالى يعطي العبد على قدر فهمه وهمته . وعن حديثكما عن زملائكما من الطلاب وقولكما انهم لا يعرفون شيئا عن بلادنا او البلاد الاخرى ، يجب ان تستفيدوا من ذلك فليس من الضروري ان يشغل طالب العلم افكاره بالمعلومات العامة ويترك مادة اختصاصه دون المام كاف بجوانبها كلها . ولربما كانت تلك الظاهرة طريقة ناجحة من طرق التربية لدى هؤلاء القوم الذين ذهبتما الى بلادهم للتخصص . فالمهم ان يتقن الطالب مادة اختصاصه

سواء أكان طبيبا أو مهندسا أو محاميا وإلا تشغله بمعلومات جانبية سيطلع عليها عندما يخرج الى مدرسة الحياة الواسعة وبهذا تكون الفائدة اعم والطريق اسلم . وحبذا لو جنبنا الطالب في بلادنا كثيرا من العوائق والمشكلات التي تقف في طريقه وتحول بينه وبين التعمق في مادة اختصاصه . فطالبنا مشغول بمعلومات عامة قد تفيده وقد لا تفيده . مشغول بأهله وبجيرانه . مشغول بالسياسة العامة والخاصة ، وهذا كله يجعل معلوماته حول مادة اختصاصه ناقصة وضحلة لا تسمن ولا تغني من جوع . فالتفرغ التفرغ للدراسة والانكباب الانكباب على العلم لتحصلا على ما تريدان ونريد لكما من تقدم ورفعة ونجاح . قولكما أن منهاج الدراسة يشغل وقت الطالب كله ويجعله يكب على الاجتهاد ، واستنتاجكما من ذلك ان الحياة الاميركية تتطلب العمل وتستغل وقت الانسان كله من أجل العمل فهذا يتفق مع ما كنا نشرحه لكما كما يتفق مع خطتنا في العمل ومع ما لمستموه جميعا بأيديكم من سيرتنا في الحياة. فما القصد منه بالنسبة لنا سوى رفع مستوانا ومكانتنا بين الناس ولنكون مثلا للجد والنشاط . أما ما لمستماه من حب الذات لدى الاميركيين وان الوالد يأخذ من ولده اجرة السكن فهذا ليس حب الذات بل هو طريقة من الطرق التي يسلكها هؤلاء القوم ليعوّدوا أولادهم على الاعتماد على النفس وليبعدوا عنهم حب الاتكال على غيرهم وليتمكن هؤلاء الابناء من ان يشقوا طريقهم في الحياة بنجاح وليكون الشعب كله منتجا وهذا ما يجعله يسير في طليعة الشعوب بقوته واقتصاده . . . وهذا الامر لا نلمسه عندنا في الشرق حيث نجد الابناء يعتمدون على آبائهم حتى بعد أن يتعلموا ويخرجوا الى الحياة العملية ولا سيما اذا كان الآباء ممن يملكون الثروة والجاه . ونحن نحب لكما أن تتخذا من ذلك عبرة وعظة ومثالا من أمثلة الاعتماد على النفس . واستطيع ان اقول لكما بكل ثقة واطمئنان ان كل ما شاهدتماه من تقدم وحضارة في أميركا انما هو نتيجة من نتائج الاعتماد على النفس والجد والنشاط والتقدم في مجال العلوم .

حديثكما عن الغلاء في اميركا يجعلنا نقول أن الغلاء عندهم ربما يكون مظهرا من مظاهر الرخاء والتقدم لانه يدل دلالة واضحة على ارتفاع دخل الفرد الاميركي وإلا لما استطاع ان يشتري حاجاته بسعر مرتفع . . ويطول بي الحديث اذا أردت ان اعلق على الملاحظات التي وردت في رسائلكما لذلك اكتفي بما قلته .

تأخركما عن مراسلتنا لا يزعجنا ونقبل عذركما ونكتفي برسالة واحدة شهريا وذلك لتتفرغا لدراستكما ولتجعلا انيسكما الكتاب والمطالعة والاجتهاد تقولا أن وزن سليم قد ازداد خمسة كيلو غرامات وهذا امر يسرنا لانه يدل على تحسن صحته وسلامة جسمه ، وقد ذكرت لكما مرارا أن العقل السليم في الجسم السليم ، وكم كنا نطلب من سليم الا يبيت بلا عشاء لأن ترك العشاء مهرمة كما ورد في تراثنا الثقافي المجيد . فلما اخبرتمانا عن ازدياد وزن سليم وسلامة جسمه استبشرنا بحسن استيعابه للدروس وقيامه بواجبه تجاه جسمه الذي له عليه حق الرعاية والعناية . اما قولكما ان الدرس الذي سمعتماه منا قد سجل على صفحات قلبيكما فهذا ما نريده منكم جميعاً وما كنا نقصده من حديثنا اليكم .

ولا يسعني وانا اهم بانهاء رسالتي هذه الا ان اكرر وصيتي لكما بألا تشغلا نفسيكما بالتفكير بنا وبأن لا تتشاءما من المستقبل بل تفاءلا لأن من تفاءل بالخير وجده . وليكن أملكما بالله كبيرا وثقتكما بجنابه العالي قوياً قوياً . هذا الى جانب تهيئة الاسباب بالجد والاجتهاد والثقة بالنفس ... جدتكما لا تزال في الزبداني وهي بخير وعافية والحمد لله وتدعو لكما بالتوفيق والنجاح ، ونحن نذهب الى الزبداني مرتين في الاسبوع ...

الاهل كلهم بخير يهدون لكما تحياتهم القلبية ودمتم موفقين .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٩/٥/١٢

امـيركـــا

- العلـم يرفع مـستوى المعيشة
- ويضاعف الدخل القومي
- نشـاط المكتب العربي للدعاية
- على ابنــاء الامة العربية ان يعودوا

ولدنـــا موفق وفقـــه الله آمين

امامي الآن رسـالتك التي تحمل تاريخ اليوم الخامس من الشهر الحالي وقد علمت كـل مـــا جـــاء فيهـــا .

اعتذارك عن التأخر بالمراسلة ووعدك لنـــا بألا تتأخر من الآن فصاعدا علم لدينا ونحن لا نريد ان تشغلك او نشق عليك بكثرة الرسائل كمـــا ذكرت لك سابقا ، ونكتفي برسالة كل شهر نطمئن بها عن صحتك وعن سـير دراستك . سررت بحديثك عـــن الحيـــاة الاميركية وموازنتها مع الحيـــاة البريطانية لمـــا جاء فيه من تحليل ودقـــة في الوصف واتمنى ان تحدثنا عن جوانب اخرى في رسـائلك المقبلة .

بصدد حديثك عن دخل الفرد في اميركا وارتفاع مستوى المعيشة نقـول ان سبب ذلك هو التقدم العلمي في تلـك البلاد لأن العلم لا يقف في تقدمه عند حد معين وكلمـا قطع العلم اشواطا على طريق التقدم زادت المخترعات الجديدة ، لذلـك يبقى الدخـل القومي للبلـد في زيادة مستمرة . ولولا ذلك لما كان هذا الازدهار الذي نشهده في اميركا وهذا بالتالي ما يجعل الفرد الاميركي يعيش برفاهية وراحـة واطمئنان فنرجـو الله ان يلهم ابنـــاء الامة العربية الذين يدرسون في اميركا أو في غيرها من البلدان الاجنبيـــة ان يعودوا الى اوطانهم بعد أن يتمـوا دراستهم ليعمـل كـل واحد منهـم في مجـال اختصاصه مع مراعـــاة الاحوال الاجتماعية والمادية في وطننـــا العربي وملاحظة الفروق في الاخلاق والعادات بين بلدهم والبلد الذي درسوا فيه ، وبذلك يحققون تقدما ملموسا لوطننـــا العربي خلال مـــدة وجيزة ، وتبدأ امتنـــا بشق طريقها نحـــو الرفعـــة والمجد وتخلع عنها رداء التخلف والجهل ، فيزداد بذلك الدخل القومي ويرتفع مستوى المعيشة بالنسبة للفرد في أرجـــاء الوطن العربي كله .

تحدثت عن نشاط المكتب العربي للدعاية والاعلام وقلت أنه توجـد فروع لهـذا

المكتب في سائر أنحاء أميركا يشرف عليها موظفون قديرون يحملون الشهادات العالية ... هذا الامر حسن لانه يفيد العرب ويخدم قضاياهم المصيرية لان وجود مكاتب للدعاية والاعلام يشرف عليها نفر من ابناء الامة المثقفين الواعين المتفانين في خدمة قضايا أمتهم يجعلنا نكسب الشعب الاميركي الذي خدعته الدعاية الصهيونية المضللة ، وبذلك نكون قد رفدنا نضالنا من أجل تحرير أرضنا بقوة لا يستهان بها عندما نعرّف شعوب العالم بعدالة قضيتنا فنكسب تعاطفهم معنا . واذا لم يحصل ذلك واذا لم تنجح في تنوير الراي العام العالمي فان الدعاية الصهيونية ستبقى طاغية تضلل الشعوب في اميركا واوربا وسيبقى وضع فلسطين كما هو ونتحمل نحن العرب بعض المسؤولية عندما نمنا وفسحنا المجال للدعاية الصهيونية بأن تقوم وتحوّل ما تشاء ولم نقم نحن بدعاية مضادة تنور الراي العام العالمي وتفتح عينيه على الحقيقة التي غابت عن اذهان الكثيرين بفعل التضليل الصهيوني حيث اغتصبت ارض وشرد شعب ليحل محله غرباء اتوا من أصقاع متباعدة من الارض ...

وقد رأينا انه عندما اجتمعت كلمة العرب واتفقوا على مقاطعة اسرائيل كيف عجزت تلك الدولة المعتدية التي غرست ظلما وعدوانا في قلب الوطن العربي عن التوسع واذا كان التاريخ هو ذاكرة الامة كما يقولون فان تاريخنا العربي يهمس في آذاننا قائلا : كلما اجتمعت كلمة الامة وقامت بأعمال جماعية مفيدة عاشت بأمان وسلام وكلما تفرقت الكلمة وقلّ العمل الجماعي المفيد تعرضنا للخطر والغزو ... بالنسبة لدراستك قلت : انك ستحاول ان تحصل على الشهادة قبل الموعد المحدد بسنتين وانك ستأخذ ثلاثة بحوث تدرسها وانك قد قدمت بحثا عن الانماء الاقتصادي وعلاقة رأس المال به وانه جرى نقاش حول بحثك في الصف. وان الجميع كانوا مسرورين جدا . فنحن ايضا سررنا كثيرا لأن هذا العمل مفيد جدا للطالب حيث يستفيد من المناقشة ويدرك مدى معرفته بما يدرس ويعزز قدرته على الدفاع عن افكاره وتحصل لديه الجراة كما يتعرف على اخطائه .

تحضيرك الآن بحثا جديدا عن الانماء الاقتصادي في الشرق الاوسط والجمهورية العربية المتحدة سرّنا كثيرا ونرجو ان تعرّفنا عن مدى نجاحك في العرض والمناقشة ليزداد سرورنا ... وقلت انك تقضي معظم اوقاتك في المطالعة والتحضير في المكتبة

او في الفرفة وخاصة انه لا توجد محلات للتسلية الا السينما التي لا ترتادها فهذا مطلبنا لان الوقت ثمين ليس فقط بالنسبة للنفقة والكلفة بل بالنسبة للايام التيتذهب من عمر الانسان الذي يطلب العلم وهي محسوبة عليه . فكلما تمكن الطالب من اتمام دراسته في وقت مبكر من سن حياته استطاع أن يستفيد من الوقت الموفر ليستخدمه من اجل القيام بعمل يفيده ونتيجة هذه الفائدة ستنعكس عليه وعلى بلاده وعلى ابناء مجتمعه ، ونحن نحب ان يستفيد ابناء امتنا كلهم من جهودنا . . .

ابـو راتـب

كلمة توجيهيـة مرتجلة بمناسبة سفر سليم وفاروق الشلاح في أيلـول ١٩٥٩ الـى اميركـا

سليم وفاروق ، انتبها . لقد تكلم معكما عمكما انور لاجل موضوع الاختصاص ومع انه مصيب برايه غير انني لا أود أن أعين لكما نوع الاختصاص الواجب التخصص به لأن هذا عائد اليكما ولرغبتكما ، ولكن من الاحسن ان لا تتجها الى نوع واحد من الاختصاص . ولقد تخصص أخوكما راتب بالاقتصاد وادارة الاعمال وكذلك اخوكما موفق فأصبح من الضروري تغيير رايكما عن هذا الاختصاص . واذا كنتما تعرفان ان عندكما المؤهلات الكافية الى الهندسة فلا مانع وإلا بامكانكما التخصص بالزراعة لأن بلادنا زراعية في الدرجة الاولى ولغاية الآن لم يدخل على الزراعة في بلادنا الاختصاص . ومهما حاولنا انجعل بلادنا صناعية فلا يمكن الا ان تكون زراعية. واذا كان طرا على الزراعة بعض الفتور لسبب بعض الاوضاع فسوف تتعدل وتحتل مركزها .

والآن وبما أن غيابكما سوف يستغرق اكثر من خمس سنوات وسوف لا تحضران في كل هذه المدة نظرا لكثرة مصاريف السفر فعليكما أن لا تتركا فرصة بدون دراسة . ولا اريد ان اشق عليكما كما ذكر عمكما انور بل يلزمكما اوقات للراحة لأن الدماغ مطاط ويحتاج للراحة بعض الوقت . فاذا كان صار وقت العطلة الكبيرة بامكانكما ان تشتغلا بأحد المعامل التي تميلان اليها . وهذا لا يعني الحاجة للمال بل لاجل التمرين

ولمعرفة مدى التعب حتى لا تقضوا هذه المدة بالدراسة . وبعد الانتهاء تنزلان لمعترك الحياة ، ولا تقولا ان اخواننا راتب وموفق كانا يحضران من انكلترا بالعطلة فهناك فارق كبير لان مصروف السفر الى انكلترا ۷۰۰ ليرة سورية بينما الاجرة لاميركا ٤٠٠٠ ذهابا وايابا ، وهذا المبلغ ليس باستطاعتنا تحمله . واما الـ ۷۰۰ ليرة سورية فاذا ما حضرا فسيوفران اكثر منها مصروفا هناك ، فبحضورهما كل عطلة كانا يستفيدان من ترك المحيط الاجنبي ويختلطان مع محيطهما الذي سيعيشان فيه . وهذا ما ساعدهما الآن بعد الانتهاء من الدراسة فلم يجدا شيئا غريبا عنهما . واني شاعر بهذا تماما من سلوك راتب بهذه المدة التي قضاها عندنا بعد رجوعه ، وكان عمكما انور قد اعطاكما بطاقات الىاصدقائهبأميركا حتى تقابلوهم وتطلبوا مساعدتهم اذا كان هناك حاجة ، وانا لا امانع من اخذها ولكنني اختلف معه بالتفكير من هذه الناحية لانه يتوجب عليكما ان تعتمدا علىنفسيكما وان تتعرفا علىالناس وان لا توسطا احدا بقضية تخصكما وعليكما وحدكما الاتصال بمن ترغبون الاتصال به وتطلبا قضاء حاجتكما . فكل شيء يكون حقاً لا يحتاج لواسطة ، وهذا مبدئي في الحياة لانني ما وسطت قط احدا في قضية تتعلق بي وبأعمالي . وعندما اقول انا او لي او بأعمالي فانني اعني بها انا واخي شفيق لأن الاسمين جسم واحد وتفكير واحد ومحل واحد ولكن دارج على لسان الانسان ان يقول انا (فأعوذ بالله من كلمة انا ، هذه الكلمة اودت بابليس الى جهنم وبئس القرار) وهذه طبعا يعلمها اخي ابو موفق . فعندما اتكلم ويكون جالسا ويكون كلامي مفردا يعلم بالباطن انني لا اعني بها الا ما يصدر عني وعنه ويعلمها بالقلب لأن قلبينا واحد . واريد ان اعطيكم مثلا عن هذا ، فقد صدف معنا هذا اليوم بالذات انني كنت اتكلم مع السيد انس يسين بموضوع دكان حضره اخي شفيق واتى على ذكر شاهد منذ خمسة وعشرين عاما ولم يذكر هذا الحديث امامي طيلة هذه المدة . غير انني كنت أعلم به بدون ان اسمعه لأن هناك صلة قلبية ما بيننا ، مع العلم ان هذه الصلة ليست بيني وبينه فقط بل بيننا نحن الخمسة الاخوة انور وشفيق ومحمد ورشاد وانا . واذا كانت الظروف أجبرتنا للعمل أنا وشفيق فليس معنى ذلك وجود اختلاف بيننا . كان هناك خلاف بالعقلية واسباب داخلية ووجود خالة امراة اب . لقد ذكرت لكم انني لا اوسط احدا بعمل يخصنا ولكن حرصي على اتمام دراستكما والعراقيل الكثيرة التي وجدناها بأخذ اذن

من الجندية والمعارف اضطرتني بأن أكلف بعض الاصحاب عندما تعرقلت معاملتكما ولقد توسط لكما عمكما ، وزيادة في الحرص على سفركما وحتى لا تحرموا من التعليم فلقد كسرت نفسي وكلفت أول يوم الاستاذ نصوح الدقاق مدير المصرف الزراعي والذي ترك البنك وذهب للوساطة مع الامين العام ، ومع ذلك لم اطمئن . ولئلا ترفض من قبل معالي الوزير فلقد كلفت حاكم مصرف سورية المركزي الدكتور عزت طرابلسي الذي هو بدرجة رئيس وزراء ، وقد ترك مكتبه وتوجه لسند معالي الوزير ، وهذه لأول مرة رجال بهذه المراكز يتركون مراكزهم في وقت الدوام ويتوجهون لقضاء حاجتي فهذه لا تقدّر . وما ذلك كنبه الا حفظا عليكما ورحمة بكما حتى تكملا تحصيلكما ولا تكونا مثلي ومثل اخي ابو موفق . ومنذ / ١٥ / عاما بعد ان شعرت بمكانة العلم والحاجة اليه كنت اقول سوف لا يقبل آذن في دائرة الا بشهادة بكالوريا . وها هو الآن من يحمل شهادة حقوق التي هي أعلى من البكالوريا باربع سنوات يتعين بوظيفة معاشها / ٣٧٥ / ليرة سورية ، واريد ان اعلن على مسامع سليم الذي كان يقول عندما أرسلناه لبرمانا أنه لا يريد التعليم ، وها هو والده وعمه غير متعلمين وحاصلان على احسن مركز وصار معهما احسن ثروة ، ان هذا لا يؤخذ مثالا والايام الماضية كان يسلك من كان مثلنا وخصوصا وان هذه صدفة من صدف الدهر لاننا كنا بائعين للبصل والثوم والبطاطة وغير حائزين على ثقافة وعشنا بمحيط فريد من نوعه بالشام هو محيط سوق الهال والذي نعامله هو اما فلاح او متعيش ، وكنت لا اصدق اننا سنخرج من هذا المحيط او نصل الى هذا المركز . ولكن السبب الرئيسي الذي ساعدنا هو الاستقامة والصدق والحرص على الموعد وخدمة الناس وايثارنا على انفسنا مع كل من كان لنا علاقة معه ان كان الوالدين أو العائلة أو المجتمع ، ولكن هذا كلفنا جهدا وكلفنا تعبا ولولا ذلك ما وصلنا . وسبب عدم تعلمنا أولا انا كنت صغيرا ولا ادرك قيمة العلم ولعب بعقلي أخي محمد بترك المدرسة ووالدي رحمه الله لم يمنعني من البطالة رغم اني كنت الاول في كل صف دخلته .

والآن اريد بعض الايضاح طالما ان اكثركم موجود هنا وليس غائبا الا موفق نرجو الله أن نراه بالسلامة . هناك بعض الاراضي والاملاك مطوبة باسمائكم والبعض غير مطوب له شيء ونود ان نتمم معاملة الفراغ للجميع على الفريضة الشرعية ولكن

بعض الصعوبات اخرتنا ، والذي اضطرنا للطابو كان الحذر من احتمالات المستقبل . لذلك فاننا نوصيكم اذا تم امر الله ولم نتمم نقل الملكيات فعليكم أن تمشوا حسب تعلميات من يبقى منا على قيد الحياة ، فان كان عمر اخي ابو موفق اطول عليكم الرجوع له واطاعة أوامره ومثلما يقسم ويفرض عليكم قبوله . وهنا اكثر الكلام موجه الى الراشدين منكم اي انت يا راتب وكذلك الى موفق الغائب . واذا فقدنا نحن الاثنين عليك وحدك يا راتب القسمة بالعدل خصوصا حصة البنات لانهن ضلع قاصر وهذا حق من حقوقهن فرضه الله تعالى لان هناك كثيرا من الاولاد يصعب عليهم ان تورث البنت لاجل الصهر وهذا غلط . فالحمد لله الباري ارسل لنا اصهارا ممتازين ، وهؤلاء معزتهم بمعزتكم ولو كان هناك من يتعب نفسه فنرجو الله ان يرده الى الصواب ، واكثر من ذلك ان صهرين عندكم من دمنا ولحمنا اولاد اختنا ، وما هو الفرق بين الابن وابن الاخت ؟ خصوصا هذه الاخت التي نرجو الله ان يشفيها ويعافيها. ومعاملتكم / لبعضكم / دائما يلزم أن تكون معاملة تسامح وأن تكون محبتكم الاخوة او ابناء العم على شكل واحد واعني كأبناء عم ليست بالنسبة لي ولشفيق بل والى أولاد عمكم أنور ورشاد ومحمد . أفهمتكم أني وشفيق روح واحدة ، ما قصدت بهذا الحصر بالاول الا لوجود العمل المشترك ولكن بالنسبة للمحبة والروح لا تختلف مع العموم . والرجل يعتز اذا كان اخوه ملكا أو وزيرا او رئيس بلدة او عضوا في غرفة ومفخرة ان يكون أخوه بمركز ممتاز . ذكرت لكم القسمة وأنا انصح كل واحد منكم ان يكون هو المغلوب والمغلوب حصته الله . خذوا مثالا عنا عندما توفي والدنا رحمه الله وكان لم يمض على وفاته أكثر من / ٢٥ / يوما وكان كل واحد منا متسامحا مع الآخر ، ولا تفتكروا أن اختصاصنا بالعمل اثر على حالتنا الاخوية مع بعضنا بل بالعكس . هذه الوحدة والصلة الاخوية لوحدها . نعم انا عشت مع شفيق ولكن لا أحد يعرف ما بيننا لا من أعمال ولا من الطابو ولا من اسرار ، والسبب في ذلك اننا لم نجعل دخلا لاحد في شؤوننا العملية ولا التجارية . وخذوا علما بأن جميع ما نملكه مسجل بدفتر الاملاك بايضاح ، كل ما هو جاء باسمي أو باسمه وكل شيء عليه ايضاحه . والحمد لله مشينا بنظام بدون أن نأخذه بالمدرسة فكل شيء نملكه مسجل رغم وجود سندات ، مسجل طبق الاصل بالدفتر كما هو بالسند وكل السندات موجودة واذا كان سند مفقودا يكون مسجلا بصفحة خاصة مع اي شخص ولاي سبب سلمناه

ومع ذلك كل مدة نعمل ضبط واذا كان سند ليس موجودا ننظر قيده مع من ونطالبه به . وجميع المياه مسجلة والاسهم ، اما نظرتم كيف نسجل وصولات الضرائب بالدفتر تاريخ الوصل ورقمه ونوع الضريبة ورقم العقار وعن أي سنة تكاليف ومع ذلك فان الوصولات تحفظ واي وصل يطلب منذ / ٢٠ / عاما للآن فهو موجود بمحله . وحتى اكثر من ذلك لا نمثل مصلحة عامة الا ولها دوسيه نرجع لها عند اللزوم ، لقد طلب راتب مخطط الدار لاجل الفرش وهذه البناية صار لها مبنية / ١٢ / عاما ومع ذلك بأقل من لحظة طالعت له نسخة عن داره واحتفظ بالخرائط واذا طلبها يخرجها بلحظة ، هاهو راتب اسألوه . ثم اوصيكم بحفظ التحارير التي ارسلها لكم كما اوصيت بزماني راتب وموفق ، وانني محتفظ بجميع مكاتيبكم من يوم ما فقدوا في برمانا . ارجع واكرر بحسن معاملتكم وليس فقط للاخوة والعائلة بل الى المجتمع من الوزير حتى العامل لانني ما في يوم من الايام طلبت كأس ماء من مستخدم في المحل الا واقول له من فضلك زكاتك تسمح لي بكاسة ماء . هذا ما فيه خسارة بل يجلب المحبة للشخص . وانت يا سليم انا لا أريد منك ان تتكل فقط على رضاءالوالدين كلا ولو كان اساس النجاح هو رضاءهم انما هذه تؤثر على مستقبل دراستك ، عليك أن تدرس وتجد وتجتهد وتكسب رضاء الوالدين .

الى الآن ومحتفظ بنسخ مكاتيبي لهم كلهم بدوسيه وسأعملهم كتابا مطبوعا وهذا سيفيدكم بالمستقبل لان هناك عبارات مكتوبة لهم لا يفهمون معناها الآن ولكن سيفهمونها بعد عشرين عاما لانه مهما كانت مداركهم عالية لا يدركونها . وهذا الكتاب احفظوه بين الكتب الكثيرة التي درستموها وهذا واحد من جملتها لان الرجوع اليه يفيدكم كثيرا وتترحمون علينا وتذكروننا بالخير .

واذا مشيتم على هذا الطريق انتم رابحون وسأكون شريككم ولو في قبري . واني لا اسامح اي بنت من البنات تحزن ، واذا كان هناك حزن فليكن باتباع نصائحي وقراءة فاتحة تكفيني لان ما ذنب الزوج ينتظر فك الحزن سنة ، وكل من يحضر للدار يموت قلبه من لبس الاسود والوجه الكامد الممقوت ؟ والموت محتم وسنة الكون ، علما اكثر الذين يحزنون كذابون وحزنهم فقط خوفا من حكي الناس ! والسلام عليكم .

دمشق في ١٩٥٩/١١/٢٢ — العمل أثناء الدراسة

اميركـا — ـ الطلاب والسياسة

ـ انتظار النجاح والتفوق

ولدينا الحبيبين سليم وفاروق الشلاح وفقهما الله آمين

بعـد تقبيل وجناتكما الحلوتين

امامي الآن رسالتكما التي تحمل رقم / ٧ / وقد علمت كل ما جاء فيهما .

اي بنيّ : اخبرتماني أن رسالتي قد وصلتكما وانكما سررتما كثيرا بما جاء فيهـا من ملاحظات ، لذلك فانني أعود فأذكركما بمـا طلبته منكما قبلا وهو حفظ رسائلنـا في ملف خاص مرتبة حسب ورودها اليكما . ثم ذكرتما في رسالتكما أن الاولاد في أميركا يشتغلون اما في المطاعم واما في توزيـع الصحف واما في المحلات الكبيرة ، فأقول لكمـا انها ظاهرة جيـدة فالأمم المتقدمة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بفضل الجد والنشاط والاستقامة ، والفرد كذلك لا يمكن ان يصل الى ما يريد الا بالجد والنشاط ومعرفـة قيمة الوقت . ان عمر الانسان مهما طال ما هو الا لحظات بالنسبة لعمر الكون وسرعة سيره . وهذا ما يجعلنا نقول ان المرء يجب عليـه ان يحافظ على الوقت وأن لا يـدع ثانيـة واحدة من وقته تضيع سدى ، فالمولى سبحانه جعل هـذه الحياة الدنيـا دار عمل وكتب على الانسان ان يسعى فيها كما نوهت الى ذلك أحاديث شريفـة وآيـات كريمـة ، وزوّد سبحانه الانسـان بالفكر كي يستعمله في هـذه الحيـاة . . ولو اراد سبحانه غير ذلك لخلق لنـا كل شيء جاهزا للاستعمال : اللباس والطعام والسكن ، ولكنه جلت حكمتـه خلق الارض وجعل فيها خليفة ليعمرها وهو الانسان ، وزوّده بالفكر وكلفه بالعمل لكي يحصل على ما يحتاج اليه حيث قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) صدق الله العظيم . . . واذكر لكما أن عمكما أنور حين درس في أميركا كان يستعين بما يكسبه من عمله فيسدد بـه ما ينفقه من نفقـات دراسته ، لان جدّكما رحمه الله لم يكن مثلنا يسرع في ارسال الدراهم عنـد اي طلب ، وكان عمكما مع ذلك مجتهدا في دروسه كلها يتصدر باجتهاده رفقاءه كلهم ويحصل على أعلى الدرجات في فحوصه كلها ، لذلك فقد اتم دراسته بنجاح

وتفوق وهو الآن مثال الجد والنشاط كما تعهدونه لا يكل ولا يمل ، ويعمل ليل نهار بهمة عالية وعزيمة لا تلين . . .

احباءنا قلتما في رسالتكما أن طلاب اميركا لا يعرفون شيئا عن السياسة بخلاف ما هو معروف في بلادنا ، وهذه ظاهرة حسنة ايضا لأن الطالب لا يجوز ان يشغل اوقاته بغير الدراسة والتحصيل ووقت الدراسة محدد في فترة من عمر الانسان ومتى مرت تلك الفترة لا يستطيع اي انسان أن يتعلم ويستوعب معارف عصره . والامر الذي نوهتما به بالنسبة لطلاب اميركا (لا يعرفون شيئا عن السياسة) وطلابنا (الذين يهتمون بالسياسة) ربما يكون هو السبب الذي جعل طلاب اميركا يتقدمون في مجالات العلم المختلفة بينما قصر طلابنا في تلك المجالات نتيجة انشغالهم بأمور بعيدة عن مجال دراستهم ومجال اعدادهم للحياة ، لذلك فهم يتخرجون من المدارس والجامعات دون ان يتزودوا بالعلوم الكافية ، وحين يستلمون اعمالا ويتحملون أعباء في مجالات التجارة والصناعة أو العمل الوظيفي يقصرون ولا يقومون بواجبهم على الوجه الصحيح ، فينعكس ذلك على الوضع العام لمجتمعنا وينال بشره مرافق الحياة كلها فنصبح متأخرين ولا نستطيع مجاراة من أعدوا ابناءهم اعدادا ممتازا لتحمل الاعباء وصرفوهم عن كل ما يسبب ضياع الوقت ابان فترة الدراسة وتحصيل المعارف والتبحر في العلوم المفيدة . ولا بد من ان اذكر بهذا الصدد نصائحي لكما فانني والحمد لله لم أكن اتكلم الا عن معرفة وتجربة واخلاص لكما وحرص على مستقبلكما. ما ذكرتماه عن تقدم اميركا وعظمتها هو نتيجة من نتائج الجد والعمل ، وحسبي الآن ما قدمته من تعليق على ما جاء في رسائلكما لان الوقت ضيق بالنسبة لي ، و (أبو موفق) ذهب الى الاسكندرية لاجل انهاء شركة الاسكندرية وتصفية المحل لاننا انهينا علاقتنا بالعقاد بالنسبة للاعمال في دمشق وفرزنا مشروع الزبداني واختص العقاد بثلثه وبقي لنا ثلثه ، واصبحنا مضطرين للبقاء في المحل مدة اطول من ذي قبل ومعنا راتب الذي أصبح اليد اليمنى لنا في تصريف الامور وتوجيهها . وسيحضر موفق باذن الله بعد فترة قصيرة وسيعمل مع راتب وسيشعران بلذةالعمل والكسب الحلال . . . ونحن لن نترك العمل بل سنستمر فيه كمساعدين لهما لانهما سيصبحان أصحاب العمل والمشرفين الحقيقيين عليه وانتما كذلك ستعودان باذن الله تعالى بعد

مضي وقت قصير وقد انهيتما دراستكما بنجاح وتفوق لتعملا الى جانبهما . وهنا ستبدأ مرحلة التمرين والتدريب مرحلة الدراسة العملية لتصبحا ايها الاحباب كتلة واحدة ويدأ واحدة رائدها العمل والعطاء والاخلاص ، يصرّف كل واحد منكم أمور العمل الذي يعهد اليه به وتتبادلون الراي وتسخرون مواهبكم ومعلوماتكم لخدمة اعمالكم وتصريفها على احسن وجه وادق نظام ، واملنا بالله وطيد بأن يجعلنا بهذا المنظر الجميل الذي تكلمنا عنه ، فنرى ثمرة جهدنا وجهدكم ونشعر بأننا قمنا بواجبنا تجاه أولادنا وعائلتنا فنترك هذه الدار قريري العين مطمئنين راضين .

ايها الاحباء ذكرتما انكما ستتخصصان بادارة الاعمال ونحن نريد ان تنوعا الاختصاصات حتى لا تقتصروا على اختصاص واحد وانتم أخوة وابناء عم ، حتى لو كان عملكم واحداً في المستقبل . فنوعوا الاختصاص . ومع ذلك فنحن نترك هذا الامر لكما تتصرفان تجاهه حسب رغبتكما وميولكما ولن نجبركما على اختيار اختصاص معين فالامر يعود لرغبتكما ونحن انما أحببنا ان تصلا الى اميركا لتطلعا على عظمة تلك البلاد وتحصلا على لذة الدراسة وتريا نتائج التقدم العلمي وتتعرفا على الشخصيات الكبيرة التي تدير اعمالا واسعة مثل شق الطرق وادارة المشاريع والمصانع واقامة الابنية الضخمة وايجاد المخترعات الجديدة ، فتتكون لديكما فكرة جديدة ونظريات جديدة لا يمكن ايصالكما اليها قبل ذهابكما الى أميركا وانهاء دراستكما العليا فيها . . . اننا نترك لكما حرية الاختيار بالنسبة للاختصاص ، فعلى ضوء مشاهدتكما وانطباعكما والافكار التي استقرت في نفوسكما خططا مستقبليكما وارسما اهدافكما وختاما الجميع عندنا بخير . الجدة بخير تدعو لكما والوالدتان كذلك وتذكرانكما عند كل مناسبة تمر وعند تقديم كل اكلة طيبة . . . والسلام .

ابو راتب

دمشق في ١٩٥٩/١٢/١٣

امیرکـــا

- الخبرة والاختلاط بالناس
- العلم والثقافـة يقصران طريق
- الحصول على الخبرة

ولدينـا سليم وفاروق الشـلاح وفقهما الله آمين

أقبل وجناتكما واخبركما أننـا استلمنا رسائلكما ذوات الرقم (١ و ٢) وعرفنـا كـل مـا جـاء فيهـا .

ذكرتما ان رسالتي السابقة وصلتكما وقراتماها مراتعديدة وذكرتما أنكما تتبعان ما جاء فيها من توجيهات وارشادات فنرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقكما لمـا فيـه رضـاه . ولتعلما أيهـا الحبيبان انني لـم أوجـه لكمـا تلـك النصائح والارشادات الا حرصا مني على مصلحتكما ، وهذه النصائح ما هي الا نتيجة تجـارب مررت بهـا وانـا اذرع درب الحيـاة ، ولا يمكن أن يحصل عليها الطالب منالدراسة أو من مداركه الخاصة لانهـا حصـاد الخبرة والاختلاط بالناس والتعامل معهم ... فكل طبقـة من الناس وكل فئـة منهم ، بل وكل مدينـة او قرية لهـا طابع خاص من حيث طريقـة التعامل والعادات والنفسيات ، وقد حصلت على هذه الافكار التي سجلتها فيتوجيهاتي اليكما من الاختلاط بهذه الطبقات والفئات كلهـا . والعلم الذي تتلقيانه سلاح قـوي سيساعدكما على ادراك هـذه الامور بأقصر مدة ممكنة في حين ان ادراكها كلفنا نحـن طويلا ، ولو اتيح لنـا أن نتسلح بالعلم والثقافة لوفرنا على انفسنا كثيرا من العنـاء . الجـدة العزيزة بخير وعافية تدعو لكما بالنجـاح والتوفيق ، الوالدتان بخـير كذلك والحمد لله . وفقكما الباري تعالى وسدد خطاكما .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٦٠/١/٤

امیرکـــا

- المحافظة على الدين والتراث ، والبعد عـن الحزبيـة
- الجـد والاجتهـاد
- الطلاب العرب في اميركا

ولدينـا سليم وفاروق وفقهما الله آمين

بعـد تقبيل وجنتيكما الحلوتين

وصلتني رسالتكما المؤرخة في ١٩٥٩/١٢/٢٤ وعلمت كل ما جاء فيها .

اشكركما على تهنئتكما لنا بعيد راس السنة ونسأل الله تعالى ان تكون هذه السنة سنة خير وبركة للبشرية كلها وان يكون من بركتها علينا نجاحكما وتفوقكما بدراستكما انتما واخوانكما جميعا ... اخوكما راتب ربما يتوجه الى اميركا في آخر هذه السنة لتقديم الاطروحة ، واذا تم ذلك فربما نتوجه نحن الى اميركا ايضا بعد شهر رمضان ونعود مع راتب ، واذا حال دون ذلك حائل ما فسنؤجل سفرنا الى فرصة اخرى . ذكرتما انكما ستبقيان في المدرسة حتى تنالا الشهادة وهذا عمل جيد اوافق عليه واسأل الله سبحانه ان يحفظكما بعين عنايته وأن يوفقكما لما فيه الخير ..

الاختصاص تقررانه عندما تنتسبان الى الجامعة كما فهمت من رسائلكما . . . اما حديثكما عن الدين وتمسككما به فهذا أمر اساسي بالنسبة للحياة ونحن نحب ذلك ونحثكما عليه ونذكركما بوصية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام لابن عمر حيث قال له في حديث شريف معناه (يا ابن عمر انما هو لحمك ودمك . خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا) فالدين طريق الحياة المستقرة السعيدة طريق ارضاء الله وخدمة خلقه . . . اما عن اعتناق المذاهب فنحن لا نريد لكما ذلك لان نتائج الحزبية تفريق الشعوب وتدمير اقتصادها . ذكرتما انكما مسروران من سكنكما حيث انكما استأجرتما دارا كاملة تشغلانها وحدكما وذكرتما ان صاحبة الدار مسرورة من معاملتكما لها فلتعلما أيها الحبيبان أن الانسان لا يملك الانسان الا بالاحسان والرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام لم يملك قلوب العرب في الجاهلية الا بالاحسان ومكارم الاخلاق . وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) فالاخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة أساس النجاح في الحياة . والتسامح مع الناس يجعل صاحبه في مكانة عالية والوفاء بالوعد من دعائم النجاح ايضا وهو خلق نبيل تحلى به سلفنا الصالح فملكوا به وبأخلاقهم الكريمة قلوب الناس ، وقد قال شاعرنا العربي :

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الانسان احسان

ذكرتما ان علاماتكما كلها جيدة فالحمد لله على هذه النعمة وعلى سائر نعمه سبحانه وتعالى وارجوه سبحانه أن يكون النجاح حليفكما دائما وان تكونا مضرب المثل بحسن السيرة والاجتهاد يتحدث عنكما المعلمون والطلاب والادارة الاحاديث الحسنة

فستكسبان بذلك عطف الجميع ومساعدتهم وتستفيدان من علومهم وتعوضان ما فاتكما من أوقات لأن الوقت ثمين . ورحم الله أهل الامثال الذين قالوا : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك . وهم يريدون من ذلك ان الانسان يجب أن يستغل اوقاته ويسخرها لتحقيق مآربه وتحقيق أهدافه وبناء مستقبله واذا هو لم يفعل ذلك خسر ولم يصل الى تحقيق أي هدف يطمح اليه . فالدقيقة أو الساعة التي تمر لا يمكن أن تعوض وعمر الانسان محدود وكل دقيقة تضيع تذهب من عمره وهي محسوبة عليه وسيسأل عنها . . .

حديثكما عن الطلاب العرب الذين يدرسون في اميركا نعلق عليه بقولنا أن العاقل من هؤلاء الطلاب هو من يدرك المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه وطنه وعائلته وينكب على الدراسة ولا يضيع أوقاته سدى ولو عرف هؤلاء قيمة المال الذي ينفق عليهم وعرفوا الصعوبات التي تعترض طريق جمعه والحصول عليه لكان لهم مواقف أخرى وتصرفات مغايرة لتصرفاتهم التي تحدثتما عنهم . واقول لهؤلاء ان يتصور احدهم ولو جدلا تأخر وصول المال اليه مدة شهرين فقط وعندها سيعرفون جميعا قيمة المال وسيعرفون كيف ينفقونه في الوجوه التي يجب ان تنفق فيه فقط وسيعرفون كيف انهم سيحرصون على الوقت ويستغلونه كله للدراسة حتى لا يبذروا المال . وسيذكرون الأمل الذي يعلق عليهم ويناط بهم عندما يعودون الى أوطانهم ويباشرون اعمالهم متسلحين باختصاص مفيد وطنهم بأمس الحاجة اليه ... وليعلم هؤلاء الطلاب جميعهم ان تصرفات الانسان تسجل عليه وسيساءل عنها كما اسلفت ... هذه الامور تحتاج الى ايضاح طويل ولا نريد ان نشغلكما ونشغل انفسنا بأكثر مما قدمنا وستدركان هذه الامور تدريجيا كلما تقدمت بكما السن وحصلتما المزيد من العلم والثقافة وازددتما خبرة بالحياة وبمشكلات الحياة .

الجدة العزيزة بخير وتدعو لكما ليل نهار ... عموم افراد العائلة بخير ... والله سبحانه نسأل ان يجعل اموركما سهلة ميسرة ويوفقكما جميعا لما يحبه ويرضاه .

بدر الدين الشلاح

دمشق في ١٩٦٠/١/٣١ — يحذر من اغراءات الاجنبيات والزواج

امـيركـــا — تربيـة الاولاد

ولدنا فاروق وولدنا سليم الشلاح حفظكما الله آمين . بعد تقبيل وجنتيكما

أمس توجه راتب الى اميركا لتقديم اطروحته وسيمكث في القاهرة يوما واحدا ثم يتابع سفره ليصل اليكم بالسلامة ، ونحن من الممكن أن نسافر بعد مضي شهر رمضان المبارك الى أميركا لزيارتكما ثم نعـود مـع راتب اذا ندر الله وأعـان ، وقد ذكرت لكما ذلك في رسائل سابقة . لا تشغلا نفسكما بكثرة الرسائل كتابة واجابة حتى لا تضيـع اوقـات الدراسـة . الدعوات التي تتلقيانها من زملائكما المقيمين في اميركا مع عائلاتهم لا مانع من قبولها ولكن احذروا أن يكون الاكثـار منها سببا لضيـاع الوقت واهمـال الدراسـة . واياكما والاختلاط بالآنسات لانهن يرمين شباكهن لاصطياد الطلاب ، وأكثر الشبان العرب الذين ذهبوا الـى ديار الغرب للدراسـة وقعـوا في شباكهن وتزوجـوا بأجنبيات ، وهذا يضر مصلحتهم ومصلحة بلادهم ومجتمعهم . وأكثر من أقدموا على الزواج بأوربيات أو أمريكانيات لم يهدأ لهم بال لانه يصعب حصول الوفـاق والتفاهم بينهم وبين زوجاتهم الاجنبيات ويصعب ايضـا امتزاجهم بمجتمعهم الشرقي وتآلفهم مـع عاداته واعرافه السائدة ، فيضطر هؤلاء الى ترك الاهـل والوطن والهجرة اكراما لزوجاتهم بعد أن يكونوا قـد أنجبوا منهن أولادا فيعيشون عيشة كدر طول حياتهـم بعد أن تعبوا ليحصلوا على اختصاصات علمية مفيدة وتعلق عليهم الآمال لأن على أيديهم سيسـير الوطن في طريق التقدم والازدهار . كمـا ان العائـلات ستخـر أبناءها الذين تحلم بعودتهم الـى رحـاب الوطن سالمين غانمين وبالمناصب العاليـة التـي يمكن ان يستلموها . . . لذلـك فنحن ننبهكما ونحذركما مـن اغراءات الاجنبيات وشباكهن ، ونعود الى الحديث عن الحيـاة الاميركية العائلية وقولكم أنهم يتركون الحرية التامـة لأولادهم وان الاولاد لا يحترمون آباءهم وامهاتهم . فالقوم مخطئون بهذا أكبر خطـأ ، ولا ننكر أن هناك خطأ في الطرق المتبعة عندنا نحـن الشرقيين أيضا عندما نتشـدد في التربيـة ونقيـد حرية الاولاد ونمنعهم مـن التصرف بأي شيء ، والصحيح الا يكره الاولاد على أخلاق الآباء والامهات لانهم مخلوقون لزمان غير زمانهم ، ولكن الصحيح ايضا الا يترك الحبل على الغارب ، فلا يوجه الاب أولاده ولا يحذرهم من المزالق التي قـد

لا يعرفونها ولا يدركون الاخطار الجسيمة التي قد تترتب عليهم نتيجة لها . فالفضيلة وسط بين طرفين ، وسط بين الافراط في الشدة والتفريط بالولد وتركه يسرح ويمرح بلا توجيه او رعاية . فالاب رب الاسرة وراعيها وهو مسؤول عن رعيته واحترام الاولاد لآبائهم وامهاتهم واجب نقدسه ونجعله جزءا من رضاء الله سبحانه وتعالى الذي وصى الانسان بوالديه احسانا وجعل احترام الكبير ورحمة الصغير والعطف عليه من مكارم الاخلاق وشعارا من شعارات تطبيق الانسان لدينه وعلامة من علامات انتسابه اليه . فليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه كما ورد في بعض الاحاديث النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . والوالد عليه ان يحسن تربية ولده ويعامله برفق مراعاة لسنه ويلاعبه حتى سن السابعة ، وينصحه ويرشده حتى سن الخامسة عشرة ، ويحذره حتى سن الخامسة والعشرين ، ثم يتخذه أخاً بعد ذلك والمثل يقول (ان كبر ابنك آخه) هذا كله مع ترك شيء من الحرية ضمن حدودالآداب العامة واللباقة حتى ينشأ الولد معتمدا على نفسه من جهة مستفيدا من جهة اخرى . وهذا ما كنا نذكره لكما ونذكره لراتب ونقول له بألا يقيد نفسه بعد هذا السن . اما عن راي القوم في اللباس وحديثكما عن نظرية انكليزية ونظرية أميركية فبامكانكم أن تختاروا أحسنالنظريتين ، والأولى لكما أن يكون لباسكما دالاً على ذوق وفيه بساطة . والباري سبحانه يوفقكم جميعا .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٠/٢/١٨

اميركا

- تعليم الاولاد والانفاق عليهم واجب
- واجبات اخرى على الانسان ان يقوم بها
- طريق العلم يختصر الطريق والجهد

ولدنا راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

ارسلت لك رسالة تحمل تاريخ ١٩٦٠/١/٣١ اي يوم سفرك وبعدها استلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٦٠/٢/٦ وحمدت الله سبحانه وتعالى على وصولك بالسلامة . اما ما انطوت عليه رسالتك من عبارات الشكر والتقدير بالنسبة لنا فكنت لا اريد ذكرها لانني اقدر ذلك فيك واعرفه حق المعرفة ، والباري سبحانه قد تفضل علينا

بالفراسة فبمجرد ان انظر الى وجه الشخص فانني اعرف ما يكنه قلبه واعرف ما يدور في نفسه من افكار ، ومتى اطلع الانسان على ما في القلب كفى ، لأن مكنونات القلب اجمل واصدق من منطوقات اللسان .

واود ان اقول لك انني لم اقم بما قمت به تجاهكم جميعا من اجل الحصول على الشكر لأنني اثق تمام الثقة بأنني لم اقم الا بواجبي تجاهكم ، والانسان عليه واجبات كثيرة في هذه الحياة منها ما هو تجاه والديه ، ومنها ما هو تجاه جيرانه واقاربه ، ومنها ما هو تجاه اهله وعائلته واولاده ومن هم تحت رعايته ، ومنها ما هو تجاه ابناء مجتمعه كلهم . فالانسان لم يخلق على وجه الارض ولم تهيأ له سبل الحياة ليعمل من اجل نفسه فقط وانما وجد ليعمل من اجل الناس جميعهم . وعندما يقوم بواجبه يوفى اجره من الله سبحانه وتعالى لأن الخلق كلهم عيال الله والحبهم الى الله انفعهم لعياله . والحياة مع ذلك كله لا تخلو من متاعب وصعوبات . ان اختلاطي الكثير بالناس واطلاعي على جوانب من الحياة التي قد لا يهتم بها غيري ثم فهمي لكثير من معاني القرآن الكريم وقصصه ومراميه واهدافه ، كل ذلك جعلني اعيش في اجواء تختلف عن الاجواء التي يعيش فيها غيري ، واصبحت نظرتي الى الحياة تختلف عن نظرات غيري من الناس . فلكل انسان عوينات تختلف عن عوينات غيره يرى من خلالها ويقدر عبرها الحياة وامور الحياة . لذلك كله يجب عليك ان تقبل ما اقوله لك وان ترضى بما هو مكتوب ، وَدَع القدر يتصرف كيف يشاء فالامور كلها بيد الله يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب . ولكن ذلك كله ضمن ما يوافق الانسان ويساعده على السير في طريق الهداية والنجاة . وليس في امكان الانسان ان يسلك طريقا ابدع واحسن وامن من تلك الطريق التي يريد الله ان يسلكها ، طريق الايمان والعمل الصالح . واكتفي الآن بما ذكرت آنفا لأن قلمي عاجز عن ان يسطر لك كل ما يدور في نفسي من افكار .

جعلت قلبي يطمئن عن وصولك بالسلامة ويطمئن عن سليم وفاروق . وسررت باجتماعك بهما وسرورك وفرحك بهما لانهما يتمتعان بصحة جيدة وسلوك حسن وقد حصلا على علامات جيدة في امتحاناتهما وهذا ما يثلج صدري ويزيدني سرورا وسعادة ، فأنسى اتعابي كلها لانه لا توجد لذة في هذه الحياة تفوق لذة الوالد

وسروره عندما يرى أولاده متعلمين حاصلين على مراكز اجتماعية مرموقة يشار اليها بالبنان ، ويثني عليهم بالثناء الحسن في كل مجلس من مجالس الناس . وقد تحدثت عن هذا الموضوع في مرات كثيرة وبينت انني وصلت الى ما وصلت اليه بالجهد والمشقة التي قد لا يتعرض لها من تسلح بالعلم والمعرفة . لقد عملت بجد واجتهاد ليل نهار وضربت بسهمي في متاهات الحياة وتحملت أثقالها ومتاعبها وقترت على النفس ، وهدفي من وراء ذلك كله ان يصبح أولادي متعلمين يشقون طريقهم في الحياة ويحصلوا على ما حصل عليه أهل العلم والفضل دون أن يطول هذا الطريق ودون ان يتعرضوا للمتاعب التي عانيت منها كثيرا .

بالنسبة للاطروحة إتوقع انك بدات بتقديمها ومناقشتها ، كما أتوقع أنك قد تغلبت على جميع الصعوبات ، سدد الله خطاك وفتح عليك فتوح العارفين وأفاض عليك علمه الواسع وزادك توفيقا وتقدما ونجاحا . . . أعلمني عن سيرك بالنسبة للاطروحة واقول لك سلفا انني مطمئن مستبشر بالنتائج باذن الله .

أبــو راتــب

دمشق في ١٩٦٠/٢/٣

برمـــانـــا

- دروس خاصـة
- حث على الدراسـة
- تعنيف بسبب التقصير

ولدنـا محمد مروان الشلاح وفقه الله آمين

بعد ابداء الشوق والدعـاء الى الله تعالى أن يفتح على قلبك وبصرك ، بلغني انـك لا زلت مقصراً في بعض الدروس ، كما فهمت ان نجاحـك متوقف على حسن تفهمـك للدروس عنـد القائها من قبـل الاساتذة ثم انكبابك عليها بعـد ذلـك مطالعة وحفظا وتطبيقا وحل الوظائف . وقد رجونا رئيس المدرسة أن يهيء لك دروسا خاصة على شرط ان تسير مع الاستاذ في الصف وتلبي جميـع طلبـاته انتباها وحفظا ، وكفـاك يا محمد انك كنت مقصرا في العـام الماضي فهل تقبل بأن تكون مقصرا في هـذا العـام ايضـا ؟ ونحن نعمل بداب ليل نهار لنهيء لـك المـال اللازم لدفع الاقسـاط وتأمـين النفقات . . . يجب ان تقدر هـذا جيدا وتنصرف الى دراستك وتساعد الأستاذ الذي

يريد ان يعلمك الدروس جميعها وذلك عن طريق الانتباه خلال القاء الدروس ثم عن طريق المطالعة والحفظ . ولتعلم أنه صعب علينا بقاءك بلا علم حيث ستضطر الى العمل المتواضع (صانع) وبأجر زهيد لا يؤمن لك ثمن الخبز الحاف كما يقال ، هذا اذا وجدت مثل هذا العمل . اقول لك بصراحة انك ستلاقي هذا المصير في الوقت الذي يتناول المتعلم فيه أجرا يساوي مائة صانع ، لذلك فانتبه وتفهم الامور جيدا ولتعلم أنني بريء الذمة امام الله لانني بينت وابين لك الامور وشرحتها اوضح شرح، وارجو الله سبحانه وتعالى ان تكون هذه الرسالة والدروس الخاصة التي ستتلقاها من الاستاذ خير حافز لك الى ان تنتبه وتفكر جادا بمستقبلك والسلام .

والدك بدر الدين الشلاح

دمشق ١٩٦٠/١٠/٢١	**- الاختصاص**
اميركا	**- عدم التسرع بالنسبة للزواج**

ولدنا سليم وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين .

استلمت رسالتك المؤرخة او رقم ٢/٥ ولربما تأخرت بالرد عليها والسبب في ذلك يعود الى ضيق الوقت . كما استلمت رسالة ثانية منك لا تحمل تاريخا .... سررت كثيرا بتهانيك التي قدمتها لنا بمناسبة العيد وأرجو الله سبحانه وتعالى ان يعيده علينا وعلى أفراد العائلة كلهم وعلى جميع المسلمين بالخير والبركة وكل عام وانت بخير .

بشرتنا ان علاماتك عالية وانها اعلى العلامات التي حصل عليها الطلاب ، فهذا يثلج صدورنا ويسرنا اعظم سرور لأن همنا العظيم وشغلنا الشاغل ان تتعلموا وتنجحوا ، ونسال الله سبحانه وتعالى ان يهيء لك سبل النجاح والتفوق وان يجعلك من الموفقين السعداء في الدنيا والآخرة .

ولدي الحبيب : لم تذكر لنا في رسالتك شيئا عن الاختصاص الذي ستختاره وهل لا زلت تفكر بالاقتصاد ؟ وقد عرّفتك سابقا انني لن اكرهك على التحوّل الى اختصاص لا تحبه وانما احب ان اقول لك انه ليس من المعقول ان يختص اربعة شبان اخوة وابناء عم اختصاصا واحدا لأن راتب وموفق اختصاصهما واحد وهو

الاختصاص الذي تريد انت ان تتجه اليه ، لذلك يجب ان تبحث عن اختصاص آخر يختلف عن اختصاص راتب وموفق حتى تتمكنوا من تنويع نشاطكم في الحياة العملية وحتى تحققوا تعالونا فيما بينكم . والامر متروك لك ويمكنك ان تبحث هذه النقطة مع اخيك راتب لتتفقا على راي ، وعندها تمضي في طريقك بخطوات ثابتة ، والشيء الذي تتفقان عليه يرضينا ولا نمانع فيه فتوكل على الله .

انني مسرور من حديثك عن الزواج وعن أخلاق بعض الطلبة العرب واحمد الله سبحانه وتعالى على سلوكك العالي الحميد وعقيدتك المتينة الراسخة رسوخ الجبال . والايام مهما طالت فان لها نهاية وهي مرّ السحاب ، ونحن نرقب بفارغ الصبر ذلك اليوم الذي تنهي فيه دراستك بنجاح بعون الله وتوفيقه وتحصل فيه على الشهادة التي ترغب فيها وتعود الينا سالما وتستلم الاعمال وعندها سنفرح بزواجك ممن تحب ومن خيرة الفتيات . نحن لا نملك الآن إلا خبرتنا نضعها بين ايديك لتستفيد منها ، ومن هذا المنطلق نقول لك لا تتسرع بالنسبة لامر الزواج لان في العجلة الندامة وفي التأني السلامة ، كما يقولون ان الحياة يا ولدنا كلها دروس وعبر . سفرنا الى اميركا متوقف على انتهاء راتب من تقديم اطروحته ومناقشتها حتى يتفرغ لنا وحتى لا نشغله عن عمله ولكي يسير في جولته معنا بعد فترة العمل الذي مضى في اعداد الاطروحة . ونسأل الله سبحانه ان يجعل اموره سهلة ميسرة . ولساننا لا يفتر لكم عن الدعاء لكم جميعا بالتوفيق والنجاح طيلة أيام رمضان لا في الليل ولا النهار ، اعانكم الله جيمعا ووفقكم بدراستكم والجميع عندنا بخير . ساعة كتابة هذه الرسالة وصلتنا رسالة من راتب سنجيبه عليها وسناخذ له شيكاً (حوالة مالية) ونرسله له ، قبلاتنا لوجناتك.

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٠/٤/٢٥	ـ الدراسة ـ ينصح ويبين ويترك حرية التصرف لصاحب العلاقة
اميركا	ـ الزواج
	ـ تربية اسلامية وطنية

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسالتك التي تحمل الرقم / ١٣ / وقد علمت كل ما جاء فيها . طلبت

مبلـغ خمسـمائة دولار ، ترى طي رسـالتنا هذه حوالة بالمبلغ أعلاه أعلمنا عن وصولها ،

تحدثت عن الشـهادة وبينت الاسـباب التي تحملك على عدم متابعة الدراسـة حتى تحصـل على شـهادة الدكتوراه وقد علمنا كلـه وأدركنا ما تريد من رسـالتك الاولى . . . لكننا اردنا ان نفسـح المجال ليتبين لنـا رايك بوضوح وبحرية تامة ولنبسط لك وجهة نظرنا بعد الاطلاع على ما يدور في نفسك جرياً على ما اعتدناه في تربيتكم حيث سرنـا بهـا ضمن ما تمليـه ضرورات العصر وطبيعته ، ولم نسر على ما كان عليه اهالنا قبل ثلاثين عاما ولا حتى قبل عشرين عاما ولا حتى ما كان عليـه الجيل الـذي عاصرنـاه

اي جيل والدنا رحمه الله ، حيث كان الآبـاء لا يطلقون الحرية لاولادهم . بل عزمنا على ان نربيكم تربية اسلامية وطنية صادقة ومن ثم كنا نصارحكم بكل ما نريد وبكل ما فيه نفعكم وفائدتكم ، وسمحنـا لـكم بأن تصارحونا وتناقشونا بـكل موضـوع تريدون مناقشته ونحمد الله على اننا وفقنا في تربيتنا كمـا نحمده سبحانه على اننـا سبقنـا عصرنا في اعمالنا وافكارنا . فاذا كنت الآن تريد ان تعرف رأيي فانا أبينه لك واضـع امامك وجهات نظرنا وعليك أن تختار ما تريد وسترى أننا لن نمانع ولن نعارض فيمـا تقرر . ذكرت انك امضيت الى الآن اربعة عشر عاما في الدراسة بعيدا عنـا وعن مرابع الوطن الحبيب فنقول لك ردا على ذلك : ان شعورك بهذا الامر لا يوازي جزءا من مليون جزء من شعورنا وشوقنا اليك ورغبتنا في ان نراك قريبا منا في الصباح والمساء وفي كل حين . وربما يخيل اليك اننـا مبالغون في ذلك ولكننا نقول لك انك ربما لا تقـدر هذا الامر الآن حق التقدير وستقدر عندما تصبح اباً ولك ابنـاء ويكبر هؤلاء الابنـاء ويضطرون للعيش بعيدين عنك . . . ومع ذلك فنحن قد تحملنا وسنظل نتحمل هذا الفراق ونتجرع مرارته حبا بكم وايثارا منـا لكم على أنفسنا وراحتنـا وتضحيـة في سبيل فائدتكم وبنـاء مستقبلكم الذي نريد له ان يكون زاهرا مشرقا . وكان الواجب يحتم علينا أن نضعك في المدارس منـذ سن الرابعـة وعندها كـان بالامكان ان توفر اربع سنين او خمس سنين ولكن هذا الذي حصل .

الشـهادة التي ستحصـل عليها وهي شـهادة M.B.A شهـادة عالية ولا بأس بهـا ولكنها قد لا توازي الدكتوراه ولو انك بينت لنا أفكارك هـذه قبل البدء بها لاشرنـا عليك بالاعداد لشهادة الدكتوراه راسا ، فنحن لم نكن على علم بانك لا تريد ان تستمر

بالدراسة حتى تحصل على شهادة الدكتوراه ولو كنا نعلم لما اجبرناك على الذهاب الى اميركا . صار عندنا عدد كبير ممن يحملون شهادة الدكتوراه ودراستهم اقدم من دراستكم بعشرة اعوام وخمسة عشر عاما ، والآن نريد ان تكتفي بشهادة اقل قيمة من شهادة هؤلاء ؟ ؟ ؟ نحن لا نوافق على ذلك ومن رأينا اتمام الدراسة حتى تحصل على اعلى الشهادات والرتب العلمية حتى لو ادي ذلك الى تأخير الزواج . اذا كنت ترغب بالزواج نزوجك وتكمل دراستك وبامكانك اخذ الزوجة معك ان امكن او تبقيها عندنا ولا تحسب لمشكلات الزواج اي حساب ولا سيما تلك التي يتعرض لها بعض الناس لان لكل انسان نصيبا مكتوبا (والمكتوب ليس منه مهروب) كما يقولون ، وكل ما اعترض طريق الانسان من مشكلات وعقبات فهي خير له ولمصلحته ولا يعلم سر ما يحصل للناس الا الله تعالى . الآن وقد بينا لك رأينا حول هذا الموضوع نترك لك ان تختار ما تريد وفق ميولك ورغباتك ولتعلم ان على الانسان أن يقوم بواجبه والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى ولا قيمة لاي شهادة ان لم يحالف صاحبها التوفيق من الباري . انما اسم الشهادة له قيمة بين افراد المجتمع . واذا حالفها التوفيق وسار معها كان ذلك فضلا كبيرا من الله عز وجل . والآن نفند ما ترى فيه فائدة لك واسلك الطريق الذي تحبه واذا قررت متابعة الدراسة فسجل اسمك في جامعة هارفارد أو جامعة كاليفورنيا حسب ما يتيسر لك واننا بانتظار رسالتك وجوابك نقبلك عن بعد ونرجو لكم جميعا دوام الصحة والتوفيق والجميع عندنا بخير ويهدونكم السلام .

ابـو راتب ...

دمشق في ١٩٦٠/٥/٨

اميركـا

ـ التعـاون بـين افراد العائلة
ـ الاستفادة من السن المناسب
ـ العمل وكسب الخبرة
ـ العنـاية بالصحـة

ولدنا سليم الشلاح وفقه الله آمين

إستلمت رسالتك ذات الرقم ١٠١/٤ وعرفت كل ما جاء فيها .

قلت ان رسالتنا المؤرخة في ١٩٦٠/٣/٣١ قد وصلتك وذكرت انك سررت كثيرا

بمـــا جــاء فيها من نصائح وتوجيهات ثمينة ، ونقول لك الآن ان تقديرك لها سيزداد ولا سيما عندما تعـود بعـد انتهاء الدراسة بنجاح وتفوق باذن الله وتستلم الاعمال . وترجع الى رسائلنا بين حين وآخر تقرؤها وتستعيد ما جاء فيها من نصائح . أما فيما يتعلق بطريقة التربيـة في العائلة وارتباط افرادها فيما بينهم فهـذا اساس الحيـاة واساس بنـاء المجتمع ، فاذا لم يكن افراد العائلة مترابطين متواصلين متحابين فأيـة نتيجة حسنة تنتظر هــذه العائلة وينتظرها المجتمع من افرادها ؟ . . ولكن عندمـا يكون الانسـان وفياً لوالديه ولاخوته ولابناء عمومته ولاقاربه ، وفيـاً لجـيرانه ، يكون الافراد كلهم متحابين متواصلين اوفيـاء وهذا ما أردنا أن نغرسه في نفوسكم جميعا . . الصعوبات التي يواجهها راتب في اعداد الاطروحـة ستنقلب كلهـا الى سهولة ويسر باذن الله ونسأله سبحانه وتعالى أن يوفقه للحصول على الشهـادة وعندهـا سيشعر بالسعادة والسرور لان الشهادة لها قيمـة اجتماعية ونحن كنـا نلح عليه منذ ثـلاث سنوات ليشمر عن ساعد الجد ويتابع الدرب لكي يحصل على الشهادة ، ولكن الـسن التي تساعد على التحصيل والدراسة بسهولة قـد مضت وهذا ما يجب أن تتعظ به انت لتستفيد من هذه الـسن التي تمر فيها الآن فلا تدع دقيقة واحـدة تمر دون أن تستفيد منها في الدراسة والتحصيل وبذلك تعوّض ما فاتك ولا تشغل نفسك بنا او بأي انسـان آخر ، ولا تشغلها الا بدروسك . صيامك شهر رمضان المبارك وأنت في ديار الغربة وبين اقوام لا يصومون أمر حسن لانــه يرضي الله سبحانه ويسرنا نحن لاننـا نحب أن نراك دائما مسدد الخطا على دروب الهدى والرشاد . . . أعلمنا هل زاد وزنك عما كان عليــه يوم سفرك ؟ لانه يهمنا جدا أن يزداد وزنك بمقدار عشرة كيلو غرامات على الاقل لان الصحة اساس النجاح في الحياة وخير معين على المضي في اتمام الدراسة الامطار في سورية قليلة جدا في هذا العام والمياه قليلة أيضا ونرجو الله سبحانه أن يكون التمام على خير . . كتبت لك الآن لتعمل ولو ساعة واحدة يوميا في احدى الشركات او المصانع أو المحال التجارية ولا سيما في ايام العطلة الكبيرة حيث تستطيع ان تشتغل ثلاث ساعات في اليوم الواحد وهذا العمل فيــه منفعة وفائدة مادية لـك . فعندما تقبض الاجر فستجد لذة في نفسك لا تعلوها لـذة ، فلا يسر النفس ويرضيها مثـل الكسب وقبض المـال الحلال . هــذا من جهة ومن جهة ثانية فان العمـل يفيدك في تحسـين الكتابة والاملاء ويعطيك فكرة عن طرق التعامل مع الناس فتكسب مـن ذلـك خبرة

تضيفها الى ما تكسب من الدراسة . ان العمل تدريب لك وتمرين فلا تنتهي مدة اقامتك في اميركا الا وقد تدربت على العمل وحملت الشهادات العالية وهذا يساعدك كثيرا ويوفر عليك الوقت والجهد عندما تخرج الى الحياة العملية . ولا تهتم بكلام الناس لانه لا قيمة له . وقد عاد طالب من امريكا وقد وفر اثني عشر ألف دولار لانه كان يدرس ويعمل ونحن عندما ننصحك ونوجهك لا نريد من ذلك الا ان نقوم بواجبنا نحوك خير قيام . سفري الى اميركا تأخر الى شهر حزيران أو تموز حتى ينهي راتب اطروحته وانا انتظر رسالة يخبرني فيها بأنه قد انهى الاطروحة ومتى وصلت تلك الرسالة سافرت ... فأرجو الله سبحانه وتعالى ان يكلل عمل راتب بالنجاح وبأقرب وقت ممكن لاستطيع أن أراكم كما ارجوه سبحانه ان يجعلكم جميعا من سعداء الدنيا والآخرة انه هو السميع المجيب .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٠/٦/٢	ـ الاطروحة ، التخطيط لرحلة
اميركا	ـ الوفاء للاهل

ولدي راتب وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

أمامي الآن رسالتك المؤرخة في ١٩٦٠/٥/٢٤ وكل ما ورد فيها أصبح معلوما لديّ .

تهنئتك لنا بالعيد عيد ثان بالنسبة لنا فنشكرك على ذلك ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يعيده على امتنا وعلى البشرية جمعاء وهي رافلة بأثواب الاستقرار والهدوء والسلام .

قلت عن الاطروحة ان الاستاذ المشرف والمدير قد وافقا عليها كلها وان الاستاذ الآخر قد وافق على قسمين منها واعاد اليك القسم الثالث لتحذف منه كل ما فيه دعاية على حد زعمه . كما ذكرت انك غيرت ذلك القسم وستعيد الاطروحة اليه ليقراها مرة ثانية واخيرة ، وانه اذا قراها فستكون قد انتهت حسب تقديرك ، فنرجو الله سبحانه ان يحقق ذلك وان يؤتيك من الحكمة والبرهان الواضح والعلم الغزير ما يجعلك تنتصر عليهم جميعا خلال المناقشة . وآمل من المولى سبحانه ان تنتهي القراءة الاخيرة للاطروحة قبل وصول رسالتي هذه اليك ليطمئن قلبك

وترتاح نفسيا . وانصحك بحفظ الاقسام التي أشار الاستاذ عليك بحذفها لانك ربما تحتاج اليها في يوم من الايام ... اما النسخ التي ستطبعها من الاطروحة من اجل اهداء الاساتذة والمصرف المركزي فلا مانع من جعلها عشرين نسخة والاحسن ان تزيد عدد النسخ الى خمسة وعشرين او ثلاثين نسخة لان رسالتك تحوي معلومات قيمة وسيكون لها شهرة وسيطلب عدد كبير من المؤسسات الاقتصادية الحكومية في الاقليمين نسخا منها . نحن نوافق مبدئيا على كل ما ذكرته عن الرحلة التي ستقوم بها بصحبتك وصحبة بعض الاهل لزيارة اميركا الجنوبية وكندا وانكلترا ثم السويد والنروج والمانيا ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ثم تركيا . وقد راجعنا أمس مدير شركة مصر للطيران لنقطع تذكرة سفر من القاهرة فأجاب ان ذلك ممنوع لغير المصريين ووعدنا بأن يقطع التذكرة من دمشق وأن يخصم لنا من ثمنها مقدارا يزيد عما ستوفره بسبب فرق العملة ، ولا ندري مدى وفائه بهذا الوعد . وقد طلب منا اسماء البلدان التي سنمر بها والدول التي يجب ان نحصل على سمات دخول وتاشيرات من سفاراتها وقد حصلنا على تأشيرات دخول الى كل من الهند والباكستان واليابان وامريكا قبل أن تصل رسالتك التي توضح برنامج رحلتنا ، لذلك فنحن ننتظر توضيحاتك في رسالة مستعجلة لنجيب مدير الشركة على طلبه ولنبدأ باخذ التاشيرات لان ذلك يستغرق وقتا طويلا كما تعلم . جدتك ووالدتك ستكونان معنا في رحلتنا على الرغم من وجود بعض الصعوبات وذلك اكراما لك وتنفيذا لرغبتك التي أحب ان انفذها بكل سرور ، فأنت تحب أن تكون فيا للجدة وللوالدة كما تحب ادخال السرور على قلبيهما ، ونحن نعتبر وفاءك لهما وفاء لنا واملنا كبير بانك ستكون وفيا للجميع في المستقبل محبا لهم .

نحن نحب أن يكون الناس كلهم مسرورين سعداء فكيف لا ندخل السرور والسعادة على قلوب ابنائنا وفلذات اكبادنا الذين نحبهم ويحبوننا ويبادلوننا مشاعر طيبة بعد ان سعدنا بتربيتهم التربية الحسنة واطمأنت قلوبنا الى اخلاقهم العالية وتحليهم بالصفات الحميدة الفاضلة ؟ فاطمئنوا يا أحباءنا وقرّوا عينا لأن رغبتكم ستنفذ وليعلم اخوتكم وابناء عمكم بذلك ... قررنا ما ذكرناه على الرغم من اننا لم نقرأ الرسالة للوالدة حتى الآن . اما اسعار العملة عندنا فهي على الشكل التالي :

الجنيه المصري	٧٧٥ ق.س	ثمن الشراء	٧٨٠ ق.س	ثمن المبيــع .
الدولار الاميركي	٣٥٦ ق.س	ثمن الشراء	٣٥٨ ق.س	ثمن المبيــع .
الدولار الحر	٣٧٣ ق.س	ثمن الشراء	٣٧٤ ق.س	ثمن المبيــع .

الحالــة الاقتصادية عندنــا تعــاني شيئا مــن الركــود بسبب قلــة التصدير وسوء المواسم خلال ثلاث سنوات جفاف متواليات مرت على بلدنا ، ونعلق الآمال على موسم القطن فلربما يكون سببا لانفراج الازمة . ونسأل الله سبحانه أن تكون الاعوام القادمة اعوام خير وبركة ، ولو ان الذي حصل في بلادنا حصل في بلاد أخرى لوجدت أزمــات صعبــة لا يمكن التغلبعليها ولكن شعبنا العربي الابي الطموح الذي يجوب بلاد الدنيا بتجارته ونشاطه الاقتصادي تخطى الصعوبات واستعان علىتجاوزها لان حصيلةجهده تعــود على وطنــه ومواطنيه بالخير . اليوم هو يوم الخميس قبل الوقفة بيوم والوقت ضيق وحمدت الله سبحانه وتعالى لانه هيأ لنا الاسباب واعانني على كتابة هذهالرسالة لتصلك في الوقت المناسب وآمل الا يتأخر جوابك كما آمل أن تحويرسالتكالايضاحات المفصلة التي اشرت اليها سابقا عن الرحلة ونحن بالانتظار ودمت .

ابــو راتب

دمشق في ١٩٦٠/٩/١٣

امــيركـــا

- عادات الامريكيين ـ الدراسة
- التحلي بالصبر والثبــات
- الحرص على المــال لانه مالكم ندخره لكم
- المحبة فيما بينكم ـ العادات الحسنة

ولدينا سليم وفاروق الشلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما

لقد وصلنا والحمد لله منذ اسبوع الى دمشق بسلامة الله وحفظه ووجدنا الجميع بخير وعافية وقد اطلعناهم على الشريط السينمائي والصور التي احضرناها معنا من امريكا وكانوا مسرورين جدا لانهم راوكم بخير وسمعوا اصواتكم . لقد زرنا في طريق عودتنا الى ربوع الوطن الحبيب انكلترا واقمنا فيها مدة عشرة أيــام وبعدها ذهبنا الى النروج واقمنا فيها يوما واحدا كما اقمنــا ثلاثة ايــام في استكهولم ، امــا الدانمارك فلم نقم فيها واكتفينا بالمرور في احد مطاراتها . . . حططنا رحالنا في همبورغ واقمنــا فيها مــدة اربعة ايــام كما اقمنا في استامبول مدة يومين .

استلمت رسائلكما المؤرخة في ١٩٦٠/٨/٣١ والمرسلة الى المانيا وقد وصلت الى همبورغ بعد مغادرتنا لهذه المدينة وعلمت عن طريق تلك الرسائل انكما ذهبتما الى الجامعة وسجلتما فيها ثم عدتما الى بيت موفق وبقيتما عنده لتباشرا الدوام في الجامعة في اليوم الحادي عشر من شهر أيلول الحالي ... وبهذه المناسبة اقول لكما ان دراستكما بدأت منذ الآن لان السنة الماضية والسنة التي سبقتها قد ذهبتا ادراج الرياح ، ذهبتا من عمركما دون أن تحصلا على فائدة فيهما وتحملنا نحن نفقاتكما خلالها . ومع ذلك فنحن نحمد الله تعالى وعليكما ان تحمداه انتما ايضا حيث اعاننا وسهل سفركما الى اميركا لان غيركما من الناس الذين يشبه وضعهم وضعكما لا يمكن ان يسمحوا لهم بالسفر . فلولا تيسير الله وتوفيقه لما كان بالامكان قبولكما في اية جامعة عندنا أو في انكلترا او في اميركا ، فتتوقفان عن الدراسة والتحصيل وتضطران الى ممارسة العمل الحر وانتما غير مزودين بالعلم . وفي وقتنا الحاضر لا يمكن ان يحتل الرجل مكانة مرموقة بين ابناء مجتمعه الا اذا كان متعلما ، لذلك فنحن نوجه نصائحنا اليكما لتدركا هذه الحقيقة ولتعرفا قيمة وصولكما الى اميركا ودخولكما احدى جامعاتها فهي فرصة لا تقدر بثمن ، ولربما تكون الفرصة الاخيرة لعدة اسباب اهمها نفقات السفر الدراسة والاقامة وصعوبة الحصول عليها في هذه الايام العصيبة يضاف الى ذلك الاوضاع الاقتصادية غير المرضية في بلدنا حيث الارباح قليلة والاعمال غير ميسرة ... وعلى كل حال لقد فرحت كثيرا بلقائي معكما في اميركا وفرحت باستفادتكما من الرحلة التي زرتما فيها المزارع والمعامل والموظفين وشاهدتما اشياء كثيرة ، كل هذا بفضل السفر لتحصيل العلم . فلتقدرا العلم ونتائجه الحسنة .
وكان فرحي أكثر بوجود السيد حسان القوتلي معنا طيلة أربعة او خمسة ايام . والذي فهمته منه اريد أن أوضحه لكما لتعرفا كيف يشدد الآباء على أبنائهم ولتعرفا فائدة هذه الشدة ومنفعتها بالنسبة للابناء ، ولتدركا الفرق بيننا وبين غيرنا من الآباء في معاملتنا لكما . قال السيد حسان أنه عندما حصل على الشهادة من انكلترا واراد ان يسافر الى امريكا لاتمام دراسته امتنع فخامة الرئيس عن ارساله لانه لا يتحمل مصروف أمريكا ونفقات طالب يدرس في أمريكا . فعرض حسان على والده ان يعيّن له مبلغا من المال يرسله شهريا على الا يتعداه ولا يطلب المزيد ، فوافق الوالد رئيس جمهورية سورية آنذاك على سفر ولده حسان على ان يتقيد بهذا الشرط

طيلة مدة دراسته في أمريكا . وعاش حسان في بلاد الغربة في أمريكا ينفق بحدود المبلغ الشهري المتفق عليه لذلك لم يتمكن من شراء سيارة افضل من سيارته التي رايتماها والتي اشتراها بمبلغ خمسة وسبعين دولارا وهو مبلغ زهيد وانتما تعلمان ان السيارات التي تفوقها كثيرا من حيث المتانة والجودة لا يشتريها أحد في أمريكا بل تباع قطعها بعد ان تفك . وسيارة مثل سيارة حسان لا يأمن الانسان على نفسه من الخطر عندما يركبها . يضاف الى ذلك انه كان يشتري البنزين كالوناً وراء كالون لانه لا يملك المال الكافي لشراء كمية اكبر . وكان لا يستعمل السيارة الا ضمن حدود معينة . . . وتمر الايام سريعة ويتم حسان تحصيله العلمي وينال الشهادة التي كان يطمح اليها فيسرع الى والده ليدخل السرور على قلبه وليجعله ينسى ما انفقه عليه . . . وقد ذكر لنا حسان انه عمل دهانا وقبض اربعة عشر دولارا اجرة يوم عمل ففرح بهذا المبلغ الزهيد كما يفرح تاجر كبير عقد صفقة كبيرة وربح منها اموالا طائلة ، فاسرع الى سيارته الهرمة وملأ جوفها بالبنزين وروى ظماها الشديد الى المحروقات التي بدا منذ ساقها حظها العاثر اليه . . . هذا هو حسان القوتلي نجل شكري بك القوتلي رئيس الجمهورية لعدة دورات وعدة سنين وحالته المادية أفضل من حالتنا بكثير من المرات ، وحسان ينظر اليه من قبل اساتذته ورفاقه الطلاب العرب والاميركيين بانه ابن شكري بك رئيس جمهورية سورية ، ومع ذلك لم يتاثر ولم يتبرم من الضيق المادي الذي عانى منه مدة وجوده في امريكا . هذا مثال أردت ان اشرحه لكما لتقدرا قيمة المال الذي يرسل اليكما لتحافظا عليه ولا تسرفا في انفاقه . اقول هذا وانا مطمئن الى انكما لا تنفقان المال ولا قرشا واحدا منه الا في الوجوه التي تعود عليكما بالنفع والخير . وانما هي همسة احببت ان اهمسها في آذانكما وتذكرة لكما وزيادة حرص عليكما فانتما تعلمان انني كنت في الاعوام السابقة ارسل الى اخوتكما كل ما يطلبون من المال دون ان اسألهم عن الوجوه التي انفقوه فيها وتركتهم يسلكون في معيشتهم الطريق التي تلائم طباعهم وظروفهم . وانتما تعلمان ايها الحبيبان اننا نواطير المال الذي جمعناه أمناء عليه تصرف منه ونوفر قسما لننفقه عليكم حتى تتموا تحصيلكم العلمي وما زاد عن ذلك ستجدونه بعد اتمام الدراسة فتستعينون به ويوفر عليكم الوقت والجهد للحصول على غيره لان المال المهيأ ولو كان قليلا يساعد على العمل ويساعد على الكسب . فالطلاب

الذين يدرسون ويحصلون على شهادات عالية ويعودون الى بلدهم وليس لديهم أو لدى اهلهم المال الذي يساعدهم على القيام بأعمال حرة يكسبون عن طريقها مالاً يوفر لهم الحياة اللائقة يضطرون الى الانتظام في سلك الموظفين اصحاب الدخل المحدود . ومهما حصل هؤلاء على رتبة عالية في سلم الموظفين فلن يحصلوا على مال كاف يهيء لهم الحياة الهنيئة . ونحن ليس لنا هدف في هذه الحياة سوى تعليمكم واسعادكم . ملاحظة ثانية اريد أن اضعها بين أيديكما وخلاصتها : عندما تتدارسان قضية ما فلا تكثرا من الجدال والنقاش حولها . وعندما يطرح احدكما وجهة نظر صحيحة فلا تظنا انه أفهم من الآخر ثم لا يعاتبن صاحب الفكرة الصحيحة غيره ويتهمه بالخطأ والتقصير ، فكل انسان له اجتهاده وله وجهات نظر خاصة . وليكن الحب الصادق المخلص الذي تتبادلانه فيما بينكما هو دستور حياتكما حتى يغرس هذا الحب في نفوسكما ويجري في عروقكما كما يجري الدم وينمو معكما ويكبر كلما كبرتما . احباءنا : لا بد انكما بعد سفري امسكتما دفترا تسجلان فيه مصروفكما كله لتكونا على علم بما يدخل عليكما ولتكونا على علم بما تنفقان كما انصحكما بأن تدونا مذكراتكما لان هذه المذكرات سيكون لها فائدة لكما ولاولادكما في المستقبل . ولا يسعني الا أن أضرع الى الله سبحانه بالدعاء أن يوفقكما ويفتح عليكما فتوح العارفين بالله وأن يجعل اموركما سهلة ميسرة ... اقبل وجناتكما واخبركما ان الجميع بخير ويشاطروننا ذلك والله يوفقكما .

قرات رسالتكما التي تحمل تاريخ ١٩٦٠/٩/٣٠ وكنت انتظر عنوانكما الجديد في الجامعة لأرسل لكما الجواب ... هذا الاسبوع سنصور افراد العائلة وارسل لكما الصورة . علمت انكما اودعتما الدراهم في (البنك) بعد أن دفعتما نفقات السفر كما علمت انكما ذهبتما الى الجامعة وسجلتما فيها وانكما قدمتما فحصا شفهيا كما علمت ايضا من رسائلكما انكما اتفقتما على ان يدرس فاروق هندسة وان يدرس سليم زراعة فرع دواجن فعلى بركة الله وتيسيره وسيكون النجاح حليفكما باذن الله . والذي يهمني علاوة على الدروس الجامعية النظرية والعلمية أن تتدربا على ممارسة اختصاصكما خلال العطل الجامعية حيث يذهب فاروق الى مواقع العمل والبناء والتعمير يتدرب عمليا ويعيش في جو العمل والعمال ويذهب سليم الى اماكن تربية الدواجن ويتدرب ايضا وهذا يساعدكما على ممارسة العمل بسرعة ونجاح عندما تتمان دراستكما .

وفهمت من رسائلكما أيضا انكما ستعاشران الاميركان فلا مانع من ذلك وهو حسن اما الطلاب الذين من بلد عربي ذكرتماه وهم من أنكرتم تصرفاتهم وسلوكهم فلا فائدة من معاشرتهم وبامكانكما ان تجاملوهم مجاملة دون ان تختلطا بهم كثيرا . الشيءالحسن نطلبه كما ذكرتما سواء اكان من الاميركان ام من غيرهم فالحكمة ضالة المؤمن يبحث عنها ويحوزها ولا يضره من اي وعاء خرجت .

ملاحظة اخيرة اريد ان اضعها بين أيديكما قبل ان اختم الرسالة هذه . فأنتما اصبحتما على اطلاع واسع على عادات الاميركان التي توصف بالحرية الزائدة لانها تقوم على الديمقراطية كما يدعون . فالابن أو البنت قد يدخن احدهما امام ابيه وهذا امر قد اعتادوه . ولكن لننظر الى الدخان من الناحية الاقتصادية حيث يحمل الانسان نفقة اضافية فيبذر ماله على شيء يضره . . . ومن الناحية الصحية حيث يضر الجسم والصدر فانتما تعلمان انني ادخن واعاني من شرور التدخين وبودي ان اتركه واتحين الفرص التي تساعدني على ذلك ولولا كثرة الاعمال والمشكلات التي تواجهني كل يوم خلال المدة التي قضيتها مدخنا وتركت عندي ادمانا على الدخان لما توقفت لحظة

واحدة عن ترك التدخين . واحب ان اذكركما بأن عاداتنا تختلف عن عادات الآخرين فنحن لا نقر ان يدخن الابن امام ابيه مع انه لا يوجد اي ضرر بالنسبة للاب وذلك يعود الى ان من يحترم المجتمع يكسب سمعة حسنة بين افراد مجتمعه ، ويحتل مكانة ممتازة عندهم . فمن العسير ان نطبق كل ما نشاهده عند افراد المجتمع الاميركي في مجتمعنا لانه من الصعوبة بمكان أن يقنع ابناء شعبنا بعادات ابناء الشعب الامريكي الذي تفصلنا عنه مسافات شاسعة . لذلك يجب على الطالب ان يكتسب العادات المفيدة التي تتناسب مع عاداتنا وطباعنا ويهجر ما عداها من عادات لانكما ستعودان الى بلادكما وتعيشان فيها وتعاشران ابناءها وهذا ما أردت ان ابينه لكما وفقكما الله وحفظكما بعين رعايته . واخبركما بأن رفيق سجل في الجامعة الاميركية وطارق وغسان ومحمد سيبقون في برمانا .

ابو راتب

ويعلق الأب الثاني (أبو موفق) على هـذه الرسالة فيقول حاثاً أولاده على التمسك بكل مـا جـاء فيهـا من نصائح وتوجيهات .

قرات رسائلكما كلهـا ولم اجب عنهـا لوجود والدكما مد" الله في عمره وهو الذي يحرص على ان يكتب لكما دائما ويزودكما بنصائحه وتوجيهاته القيّمة . يضاف الـى ذلك انه لم يكن لدي" الفراغ الكافي خلال وجوده عندكما في امريكا . وقـد حدثنا عـن سفره ومشاهداته كما حدثنا عن سروره منكما وما عليكما ايها الأحبـاء الا ان تطبعـا رسالته القيّمة هـذه في دماغيكما وتأخذا منهـا النصائح التي لا تقـدر بثمن حتـى تبنيـا مستقبلا زاهرا ملؤه السعادة والتوفيق . واياكما وضيـاع الوقت فلا تضيعا دقيقة واحدة من وقتكما بلا دراسة ومراجعة حتى تعو"ضا ما فاتكما . . . الجميع عندنا بخـير يدعون لكمـا بالتوفيق والنجاح والسلام عليكم .

ابـو موفـق

دمشق في ١٩٦٠/١٠/٩	ـ الدراسة ـ الطالب مسؤول عـن تقصيره
اوكلاهومـا ـ امـيركـا	ـ الطعـام ـ الاختصاص
	ـ الصبـر والثبـات

ولدينا سليم وفاروق الشلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجناتكما

ارسلت لكمـا تحريرا مؤرخا في ١٩٦٠/٩/١٣ وآمل أن يكون قـد وصلكما كمـا استلمت رسائلكما المؤرخة في ١٩٦٠/٩/١٦ وعلمت كل ما جاء فيها .

فيمـا يتعلق بدخولكما الجامعة وتلقيكما الدروس ارجو الله سبحانه أن يجعلهـا حيـاة جامعيـة طافحـة بالسعادة والهنـاء والعلم الغزير . وقد سررت من نظـام الجامعـة وقول الاستاذ لكمـا ان الطالب هـو المسؤول عن تقصيره ، وهـذا ما كنت اريد ان اذكره لكمـا واشرحه مرات عديدة مـع انني لم أدخل الجامعة ولم اسمعهـا من فم استاذ . الطعام الذي يقدم اليكما يجب أن تألفـا أصنافه كلهـا لان الفائدة من الطعام مساعدة الجسم على النمـو وحفظ بقـاء الانسـان ، ولا يهم بعـد ذلـك تنوع اصنافه والوانه او عـدم تنويعها وخاصة انكما تقولان ان الطعام الذي يقـدم للطـلاب والطعام الذي يقدم للاساتذة واحد ، فعليكما أن ترضيا بمـا يرضى به الجميع . راتب

يقرئكما السلام وهو الآن يقوم بعمل في المحل وقد شعرنا بالراحة بسبب وجوده الى جانبنا ، ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقكم جميعا .

من راينا ان يدرس سليم مع اختصاص الدواجن اختصاص حشرات الفاكهة لان هذا الاختصاص هام لا سيما انه عندنا مزرعة في الزبداني وهذه المزرعة لها مستقبل جيد باذن الله ... السلام عليكما من افراد العائلة جميعهم وهم يدعون لكما بالتوفيق والنجاح ، وسلام خاص من جدتكما التي تخصكما بالكثير من الدعوات وتوصيكما بالصبر على تقلبات الزمان كما توصيكما بان تكونا كالجبل الراسخ الذي لا تزعزعه الرياح مهما اشتدت قوتها والا تكونا كالمركب الصغير الذي تتلاعب به اضعف النسمات .

ابو راتب

ويكتب ابو موفق تعليقا على هذه الرسالة يقول فيها :

احباءنا : قبلاتنا لوجناتكما . سمعنا الكثير عن حسن سلوككما واجتهادكما من والدكما ومن اخيكما راتب فسررنا كثيرا وفقكما الباري سبحانه وتعالى لما يحبه ويرضاه ، وجعلكما من السعداء وجمعنا بكما عن قريب وانتما تحملان الشهادات العلمية ... الجميع عندنا بخير يدعون لكما بالتوفيق والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

ابو موفق

برمانا

دمشق في ١٩٦٠/١١/١

ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل الوجنات

استلمنا رسالتك تاريخ ١٩٦٠/١٠/١٦ وعلمنا كل ما جاء فيها فيما يتعلق بابتداء العام الدراسي وتفاؤلك بالنجاح الباهر والتوفيق وشعورك بالمسؤولية وخاصة بعد ان تركك رفيق . ونجيبك بالنسبة لهذه النقطة أن الانسان تزداد مسؤوليته كلما تقدمت به السن . واعتمادك على نفسك في تصريف بعض الامور لا يسمى مسؤولية ولكن المسؤولية تنتظرك عند نقطة فاصلة وهامة في حياتك وذلك عندما تتم الدراسة وتدخل ابواب الحياة العملية . هناك تكون المسؤولية

الحقيقية ، وتلك المسؤولية لها جوانب كثيرة لا نريد أن نوضحها لك الآن حتى لا تشغل أفكارك بها ولكن نحن من جهتنا لا نعتبرها مسؤولية ولا نعتبرها شيئا صعبا بل هي من متممات الحياة ومن مستلزماتها وفيها تسلية للنفس والراحة . والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى أن يفتح عليك ويوفقكم جميعا لما فيه خيركم وخير العائلة والوطن . ونذكرك في ختام رسالتنا بوجوب ملاحظة امور محمد وغسان ونبيل وفائز وان تحثهم على الدراسة وترشدهم الى مصلحتهم باللين والرفق والانسانية.

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٠/١١/١١

اميركا

ـ الاقتصاد في النفقة

ـ مناقشة واقناع ... المواسم والامطار

ـ نحن نعمل ونستمر في العمل من اجل التاسيس لكم

ـ لطلاب العرب يجب ان يتحابوا

ـ الاختصاصات

ولدينا سليم وفاروق الشلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما الحلوتين

استلمت رسالتكما المؤرخة في الحادي والثلاثين من الشهر الماضي وقد اخبرتماني فيها عن وصول رسالتي المؤرخة في الثالث والعشرين من الشهر الماضي ايضا . . . ما بينتماه عن مصروفكما بعد عودتنا من امريكا صار معلوما لديّ وانا ما طلبته منكما شكاً بكما وبحرصكما على ما يرسل اليكما من اموال وانفاقه على الوجه الصحيح وبدون اي تبذير ، ولكنني رايت المبلغ الذي انفقتماه في هذه الفترة القصيرة كبيرا فأردت أن يزيد حرصكما وان تقتصدا في النفقة نظرا لضآلة دخلنا من اعمالنا ولا سيما في ايام القحط التي تمر بها بلادنا . وسبق ان ذكرت لكما مرارا اننا ما جمعنا هذه الثروة الا لنستعين بها في الازمات ومن أجلكم انتم لا من اجلنا نحن ، حيث نتمكن من الانفاق عليكم جميعا لتتموا تعليمكم ولتدخلوا ابواب الحياة العملية حاملين لشهادات لها قيمتها المعنوية فتلاقون الاحترام من قبل ابناء مجتمعكم . فالرجل الجاهل غير محترم في هذه الايام ولا يمكن أن يحظى بالراحة والسرور ... كنت اقول

لكم ومنذ عشر سنوات أن حامل الشهادة الثانوية لن يكون نصيبه اكثر من آذن وها هو هذا الزمان الذي كنت أتحدث عنه قد اظلنا بشمسه ، فحامل الثانوية يتقدم الى عشرين مسابقة ولا يظفر بعمل لدى الدولة اذ لا تأخذ الدولة من المتقدمين الى المسابقات والذين قد يربو عددهم على خمسمائة شخص في كل مسابقة الا العدد اليسير الذي قد لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، ويعين هؤلاء المحظوظون في الوظائف لقاء راتب ضئيل لا يتجاوز مائة وخمسين ليرة سورية شهريا . وشاب دخله الشهري مائة وخمسون ليرة كيف يتزوج وكيف يستأجر بيتا بسيطا ويفرشه ؟ ثم كيف يتمكن من تربية أولاده ؟ فالراتب لا يكفي لدفع أجرة البيت ومعنى ذلك كله انه سيعيش حياة نكد وهم وكرب بينما الشاب الذي يحمل شهادة الدكتوراه احسن حالا ممن يحملون الشهادة الثانوية فقد يصل راتبه الى ثمانمائة ليرة سورية عند بدء التعيين وقد يزداد دخله اذا وفق في حياته فيحصل على أموال لا تقدر . ونحن نعمل ونحافظ على عملنا من اجلكم ولتجدوا عند عودتكم بالسلامة والتوفيق كل شيء مؤسسا ، ولتجدوا الاسم الطيب الذي يساعدكم على دخول ابواب الحياة وهو اسم (آل الشلاح) الذين اشتهروا بالجد والمثابرة على العمل كما اشتهروا بحسن المعاملة ومساعدة الآخرين واشتهروا بأنهم موضع ثقة بالنسبة لمواطنيهم جميعا . . . هذا كل ما نقصده ونصبو اليه .

وعن حديثكما عن الجامعة وسمعتها وكثرة عدد طلابها واختلاف الطلاب العرب فيها على الرغم من قلة عددهم في جامعتكما ، نقول ان هذا الاختلاف سيكون سببا من اسباب تاخير بلادنا لان طلاب جيل ما قبل خمسة عشر عاما هم الذين استلموا البلاد الآن سواء كانوا موظفين أم تجارا أم زراعا أم صناعا . وسيأتي اليوم الذي يستلم جيلكم فيه البلاد فاذا لم تكونوا من الصغر منذ سن الدراسة متفقين متحابين لأمتكم ووطنكم فسنبقى على ما نحن عليه الآن من التأخر ، في الوقت الذي يتطور فيه العالم من حولنا ويتقدم على مدارج الحضارة والرقي على الشكل الذي تشاهدونه عندكم في أميركا .

هطلت الامطار منذ اسبوعين كما هطلت أمس واليوم ولا تزال متواصلة الهطول وقد حصلت سيول على طريق الزبداني . ان بلادنا تغمرها الفرحة بهذه المناسبة

فنرجو الله سبحانه أن يتم فضله علينـا وعلى مواطنينا جميعاً انه قريب مجيب .

بالنسـبة لنشاطكما الدراسي لم يبق عندنا أي شك بأنكما أصبحتما تقدران الوقت وقيمـة العلم والمـال ونامل ان تكونا مـن الاوائل في صفوفكما . طلبنـا من سليم أن يدرس مع اختصاص الدواجن اختصاص الحشرات وحماية الاشجار وهذا أمر هـام ونؤكد عليـه الآن لان تربيـة الدواجن ستكون ضمن مزرعـة والمزرعة يجب أن تكون خالية من الامراض ، والمزارع المتعلم يكثر محصوله من جهة ويكون هذا المحصول من نوعيـة جيدة بل ممتازة يباع بثمن جيـد يزيد عن ثمن محصول غيره مـن المزارعين غـير المتعلمين ويكفيه هـذا ربحاً .

واخيرا نقبل وجناتكما وندعو لكما بالتوفيق ، وفقكما الله وسدد خطاكم جميعا .

ابـو راتب

دمشق في ١٩٦٠/١٢/١٠

بـومـانـا

ـ نحن نقوم بواجبنا ونسدي النصائح

ـ والمسؤولية تقع على عاتق من يقصر

ولدنا طارق الشلاح حفظه الله

استلمنا رسالتك التي تحمل تاريخ ١٩٦٠/١٢/٥ وعلمنا كل ما جاء فيها . بالنسبة للفحوص التي جرت عندك سررنا كثيرا من العلامات العالية التي حصلت عليها ، تلك العلامات التي اطلعنا عليها عندما كنا في زيارة المدرسة . واننـا نقدر اجتهادك وحرصك على أوقاتك وتسخير هـذه الاوقات كلها للدراسة والاجتهاد كما نقدر كـل من يجـد ويجتهد منـكم وننسى تعبنـا والمصروف الذي ندفعه لـه . كما اننـا نحزن أشـد الحزن على كل من يقصر ولا ينجح في دراسته لأن الشاب الذي لا يتعلم سيكون مصيره أجـير لحـام او عاملا بسيطا يحمل الاثقال على ظهره . سيكون عتالا بعرف النـاس لذلك فنحن عندما نتحدث اليـكم ونقـدم النصائح نكون قد قمنـا بواجبنا تجاهكم جميعا وكل من يقصر بعـد سماع هـذه النصائح والتوجيهات يكون هو المسؤول عن تقصيره والذنب ذنبه لا ذنب انسان سواه . سررنا مـن علامات غسان ومـن رضى الرئيس منـه ، أمـا محمد فاننـا لن نوجه لـه من الآن فصاعدا أي نصيحـة لانـه اصبح كبيرا واذا قصر يكون الذنب ذنبه والمسؤولية تقع عليـه وحـده ، وانتم لـكم الاجر اذا بقيتم تلاحظونه وتشجعونه ، وقبلاتنا لوجنات الجميع والسلام .

ابـو راتب

دمشق في ١٩٦٠/١٢/١٠ **- لوم على التقصير في الدراسة**

بـرمـانـا

ولدنا محمد مروان الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٦٠/١٢/٥ وعلمت كل ما جاء فيها .

عرفت من رسالتك سيرك الحسن خلال الفحص كما عرفت جدك واجتهادك وانك ستحصل على علامات جيدة في هذا الفحص . وكان من الواجب عليك ان تعرفنا على العلامات التي حصلت عليها في الفحصين الماضيين وعدم اخبارك لنا عنها جعلنا نقول ان تلك العلامات ربما تكون غير مرضية ، علماً اننا افهمناك عندما كنا في زيارة المدرسة ان تغير سلوكك وان تجد وتجتهد في الدراسة وتحصيل المعارف والعلوم والا تضيع دقيقة واحدة من وقتك إلا على المطالعة والدرس . كما قلنا لك اترك اللعب واللهو وانصرف بجهودك كلها الى العلم . وقد ذكرنا لك الشيء الكثير من المتاعب والمشقات التي نتحملها من أجل ان نحصل على الدراهم التي ننفقها عليكم ولا تنس وعدك لنا بأن تكون مواظبا على الدراسة والاجتهاد ليل نهار فأنت يا محمد صرت شابا وبامكانك أن تزين الامور وتقدر عواقبها فلا تجبرنا على ان نعاملك معاملة اخرى غير المعاملة التي نعاملك بها الآن . ونقول لك بكل وضوح انك اذا لم تدرس جيدا لتحصل على علامات عالية فسنضطر مجبرين آسفين الى عدم تعليمك وستبقى بدون علم لانه حرام علينا أن ندفع المال كي نعلمك وانت لا تقدر ذلك كله . حرام ان تضيع جهودنا التي نبذلها من اجلك سدى كصيحة في واد أو نفخة في رماد . . . فأملنا وطيد في ان تضع عقلك براسك كما يقولون وأن تفكر جيدا وتجد وتجتهد حتى تحصل على أحسن العلامات والسلام .

ابـو راتب

دمشق في ١٩٦١/٥/١٣ — نظرة تفاؤل وأمل بالنسبة لمستقبل الجامعات العربيــة

بيروت ــ الجامعة الاميركية — زيارة المشاريع

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك

استلمت رسالتك التي تحمل تاريخ ١٩٦١/٤/١٢ وعلمت كل ما جاء فيها .

ذكرت لنـــا أنك وصلت الى بيروت وباشرت دروسك في الجامعـــة فالحمد لله على ذلــك ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقك ويوفق اخوتك وابنـــاء أعمامك جميعا . بخصوص موسم الصيف لم يستقر الطقس حتى الآن وكان حارا على العموم مما سبب اضرارا لأزهار التفاح والاجاص ومنذ ثلاثة أيام هطلت الامطار غزيرة في بعض الجهات كما هبت رياح شديدة وفي هذا اليوم عـــاد الحر من جديد فنرجو الله سبحانه أن يتمم بالخير والبركة . ويمكن ان نقول ان مواسم هذا العام عندنـــا حسنة بـــل هي احسن بكثير من مواسم العـــام الماضي .

ذكرت انك زرت محطـــة الكهرباء في العـــام الماضي كما تحدثت الينـــا عـــن بعض الفوائـــد التي جنيتها من تلك الزيارة وهذا الامر سرنـــا كثيرا وقد سمعت منا مرارا ان زيارتنا لاميركا لـــم تكن الا للاطلاع على مظاهر الحيـــاة والرقي والتقـــدم في تلـــك البـــلاد وسررنا بزيارتك لمحطة الكهرباء مبعثه أنك كنت طبقت في هـــذه الزيارة بعض ما نريده نحن من زياراتنـــا ورحلاتنا وادركت أننـــا لا نتحدث الا عن الامور الهامة التي تفيدكم ، واننـــا نضع بين أيديكم دائمـــا خلاصـــة تجاربنـــا وخبرتنا لتأخذوا منهـــا الصالح المفيـــد لـــكم . . .

إحداث فرع يعطي درجة الدكتوراه في قسم التاريخ في الجامعة السورية عمل جيد وخطوة مباركة ، واننـــا لنرجو من الاعماق ان يأتي ذلك اليوم الذي تتقدم فيه العلوم في بلدنـــا وتصبح جامعاتنا العربية على مستوى جيـــد مرموق من حيث نضج البحث العلمي والتقدم وتعمم الدراسات التي تعد الطالب للحصول على شهادة الدكتوراه في مختلف الفروع العلمية والطبية فنوفر بذلك على الطلاب مشقة السفر الى أميركا واوربا وغيرهما للحصول على شهادات اختصاص . . . اننـــا ننظر الى ذلك اليوم الذي تصبح فيـــه عندنا جامعات متطورة علميا تعطي شهادة الدكتوراه . اننـــا ننتظر ذلك اليـــوم

الذي نستغني فيـه عن الاجانب وليس ذلك صعبا اذا ما شمرنـا عـن ساعد الجـد واستوعبنا حضارة العصر الحديث وانطلقنا نبحث ونبني حضـارة جديـدة ونخترع اشيـاء تساعدنا على النهوض معتمدين على انفسـنا . حولنا لك مبلغ (١٨٩٩) لـيرة سورية عن طريق البنك المركزي ، اقبض المبلغ وضعه مع خالد وخذ منـه كلما احتجت وختاما نرجو لـك التوفيق والنجاح .

ابـو راتب

دمشق في ٢٨/١٠/١٩٦١
بـرمـانـا

ـ الاعتماد على النفس في تفهم الامور
ـ قيمة العلم

ولدينا غسـان ومحمدمروان الشلاح وفقهما الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيكما الحلوتين استلمت رسالتكما التي تحمـل تاريخ اليـوم الخامس عشر مـن الشهر الحـالي وعلمت كـل مـا جـاء فيهـا .

عرفنا من رسالتكما المنوه عنهـا اعـلاه انكما ستقدمان فحصا وانكما سـترفعـان الى الصف الاعلى بعـد تقديم هـذا الفحص ، فنرجو الله سبحانه وتعالى ان يحقـق ذلك وان يجعل التوفيق حليفكما دائما . ونصيحتنا لكمـا أن تنتبهـا الـى الاساتذة عندما يلقون دروسهم وهـذا يفيدكم كثيرا ويسهـل عليكمـا حفظ الدروس عندمـا تجلسـان لمطالعتها وحفظها . لقد أصبح من الصعب علينا ان نكتب لكما حول كل امـر من الامور كما اعتدنا ان نكتب لكما منـذ بدأتم بالدراسة والتحصيل ، اضف الى ذلك انكما اصبحتما الآن كبيرين لذلك يجب عليكما ان تتفهما الامور تفهما جيـدا معتمدين على نفسيكما . لقد أصبح عمر الواحد منكما خمسة عشر عاما وهذا يكفي لان تقـدرا قيمة العلم ولان تحمدا الله سبحانه الذي لا زال يمدنا بالقوة كي نعمل لنؤمن لكما نفقات التعليم لتذكرانا بالخير عندما تكبران . لأن العلم ضرورة ملحة من ضرورات الحيـاة ويحتاج اليـه الانسـان في عصرنا سواء اعاش في بلد اشتراكي أم عاش في بلد راسمالي . فغير المتعلم قد يحصل على عمل بسيط كأن يكون مستخدما في احدى الدوائر ومرتبه الشهري لا يغطي نفقاته الضرورية ، بينما يحتل الرجل المتعلم اعلى المراتب يأمر وينهي ويحصل على مرتب عـال الف ليرة مثلا وهو مبلغ محترم يهيء لصاحبه حياة السعادة والرفـاه . وقل الامر نفسـه بالنسبة للمتعلمين الذين يعملون في مجالات الزراعـة أو

التجارة ويستغلون علمهم لتحسين اعمالهم الزراعية او التجارية ، حيث يحصل هؤلاء على دخول محترمة ومال وفير يهيء لهم الراحة والطمأنينة . لذلك كله يجب ان تقدرا قيمة الوقت وان تنتبها لدروسكما ولا تتركا دقيقة واحدة تضيع دون أن تستغلاها للمطالعة والدرس .

علمنا أيضا من رسالتكما مرض محمد وشفاءه فالحمد لله على سلامته ونأمل أن يكون قد عوض ما فاته من دروس ونرجو الله سبحانه أن تكون علاماتكما أحسن علامات يحصل عليها الطلاب في صفكما بعد هذا الدرس الذي ألقيناه عليكما ودمتما والتوفيق حليفكما .

ابـو راتب

ويعلق العم الأب الثاني في العائلة على هذه الرسالة فيقول : سأسافر غداً الى العراق مع وفد تجاري يرأسه وزير الاقتصاد لابرام اتفاقية تجارية بيننا وبين العراق الشقيق فنرجو الله سبحانه أن يوفق مسعانا جميعا ويحقق على أيدينا كل ما فيه نفع لوطننا وامتنا . واردت ان اذكر لكما هذا الخبر لتعلما ان كل من سعى وجد واجتهد سيحصل على المراكز العالية . اظن ان النصائح التي يزودكم بها الوالد دائما لتنتبهوا لدروسكما ولتحافظا على اوقاتكما ولا تضيعا دقيقة واحدة بدون دراسة، هذه النصائح كافية وبامكانكما ان تراجعا طارق وتسألاه عن كل ما يصعب عليكما . كما يجب ان تتقبلا كل ما يقوله لكما بروح طيبة وان تنفذا كلامه لانه اخوكما الكبير وارجو الله أن يجعلكما من السعداء والسلام عليكما ورحمة الله وبركاته .

ابـو موفـق

دمشق في ١٩٦١/١٢/٩

بـرمـانـا

ـ فرح لتحسن العلامات

ـ الحث على الاجتهاد وقيمة الوقت

ـ نحن قمنا بواجبنا فلتقم انت بواجبك

ولدنا محمد الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك رقم ١١/١٢ وعلمت كل ما جاء فيها . واقول تعليقا على رسالتك: تأخرت بالاجابة لاننا شغلنا بالانتخابات ... العلامات التي حصلت عليها مقبولة ونأمل ان تكون جيدة جدا لانك تعيد الصف ذاته فضاعف جهدك لتحصل على علامات

تتفوق بها على زملائك الجدد في هذا الصف ، وهذا سهل وممكن لانـك تدرس مـواد يرونها هم لاول مرة بينما انت درستها في العام الماضي وتدرسها في هـذا العـام مرة ثانيـة . . . على كل حال فلن اطيل في رسائلي الموجهة اليك مـن الآن فصاعـدا بـل سأكتفي بلفت النظر فقط لانني كتبت لك كثيرا من الرسائل وابديت لـك كثيرا مـن النصائح وكل ما كتبت لك لم يلق عندك الاذن الصاغية والاستجابة المطلوبة . وكصياد يائس يلقي آخر الشباك ، اقول لك حرام عليك أن تضيع دقيقة واحدة من وقتك دون ان تستغلها في الدراسة . . . اجتهد ليل نهار لانك اصبحت كبيرا ويجب عليك ان تدرك قيمـة الوقت والجهد وقيمة العلم وتدرك أخيرا المشقة التي نتحملها للحصول على المال الذي ننفقه على تعليمكم جميعا كما تدرك أيضا أننا تعبنـا كثـيرا واصبح سننـا الآن خمسا وخمسين سنة ولا نستطيع ان نستمر في بذل الجهد الذي كنا نبذلـه . لذلـك **فكل تقصير يقع منـك ويفوت عليك فرصة كسب العلم تقع مسؤوليته عليك وحدك ، ولتعلم اننـا سنترك هـذه الحيـاة الدنيا عند انتهاء الأجل ونحن نشعر انـنـا قمنـا بواجبنا تجاهك وتجـاه أولادنا كلهم وتجـاه ابنـاء مجتمعنا . وان حصـل تقصـير فالمسؤولية تقع على من قصّر وهو الذي سيتحمل النتائج السيئة ، لا سمح الله ، لانه لم ينتبـه جيـدا ولم يحسن استخدام الوقت ولـم يستفـد مـن الفرص الطيبـة التـي اتيحـت لـه .**

سفرنـا الى العراق والسعودية مع وفـد سورية مثال أذكره لـك لتأخـذ منـه عبرة وعظة فلولا جدّنا وتعبنا لمـا توصلنا الى ما توصلنا اليه من المركزالذي نحمد الله سبحانه عليه . ولكنا مثل غيرنا من ارباب مهنة بيع الخضار والفواكه. . . وهذا الدرس وحده يكفي لان يكون حافزا لك على الجد والاجتهاد . . . فلتقرأ هذه الرسالة ولتطبق ما جاء فيها والله يوفقكم جميعا لما يحبه ويرضاه .

ابـو راتب

ويعلق الاخ الاكبر الدكتور راتب على هذه الرسالة فيقول : لا شيء عندي استطيع ان اضيفه الى ما جاء في رسالة الوالد حفظه الله ومدّ في عمره وابقـاه ذخرا ننهل من معرفته الواسعة وتجاربه المفيدة ، تلك المعرفة وتلك التجارب التي لم يضن علينا بهـا في يـوم من الايام بل بذلها بسخاء . نصائح قيّمـة طارت الينا جميعا عبر الاجواء من

خـلال رسـائله العديدة التي كانت تتلاحق علينـا جميعا ، تسـدد الخطا وتأخذ بالايدي الى اوضح المسالك وارشد الطرق التي تكفل الخـير والنجـاح . ولكنني اقول بعـد استماحة العذر من الوالد الكريم الذي بذل كثـيرا وضحى طويلا مـن اجلنا ونصـح باستمرار ، اقول لك لا تعد الينا هبذه المرة إلا وقد حصلت على علامات جيدة ترفـع الراس وتبيض الوجه . . . اننـا لن نسمح لك بأن تبدي اية اعذار تبرر فيها تقصيرك لا سمح الله . . . اننـا لن نؤمن بأية وعود جديـدة تقطعها على نفسـك بالانكباب على الدراسة لان هذه الوعود لن تفيدك لانها ضرب من التسويف الذي يجر على صاحبـه اوخم العواقب واكبر البلايا والشرور . . . والذي ينفعك مـن الآن فصاعدا جـدك واجتهادك وحصولك على علامات ممتازة ، والله يوفقك والسلام .

الدكتـور راتـب

دمشق في ١٩٦١/١٠/٢٨	**ـ الدراسة والزواج والشوق**
اوكلاهوما ـ اميركـا	**ـ الى الاحفـاد**

ولدنـا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسالتك المؤرخة في ١٩٦١/١٢/٢١ وقد علمت كل ما جاء فيها . قلت في رسالتك أن قد زارك سليم وامضى عندك عطلة عيد الميلاد فسررنا جدا بهذا النبـأ كما سررنا كثيرا من تهنئتك لنـا بالعام الجديد أعاده الله على العالم الاسلامي والعربي وعلى البشرية كلها بالراحة والهناء والسرور وابعد عنا شبح هذه الحرب الباردة .

ولدنا الحبيب : لا نعلم حتى الآن الوقت اللازم لانهاء دراستك وانت تعلم أن كـل شهادة لهـا وقت محدد للحصول عليها وذلك بعد الحصول على الشهادة التي تسبقها. وحسب معلوماتي اعرف ان الحصول على شهادة الدكتوراه لا يستغرق أكثر من سنتين الى سنتين ونصف بعـد الحصول على شهادة الـ M. A. وعندما كنا في زيارتك كنت تعد المدة للحصول على شهادة الـ M. A. وعلى هذا يكون قـد بقي لـك مـدة سنة وبضعة اشهر لتحصل على شهادة الدكتوراه فهل حسابنا صحيح يا ترى ؟ ؟ ام انـه يوجد بعض الفروق ؟ نأمل ان تفيدنا بوضوح عن هذا الموضوع . والذي دعاني الـى الخوض فيـه طول المدة التي امضيتها بعيدا عنا ورغبتنا أن نفرح بزواجك ولا سيمـا ان الوالدة قد اجتمعت ببنت من عائلة كريمة واعجبت بها ولكن لا يمكننا عمل اي شيء

قبل الحصول على موافقتك أولا وقبل ان تنظر اليها ثانيا ، ولا يمكننا ان نتحمل مسؤولية من هـذا النوع لاننـا كما تعلم عاهدنا انفسنا ان نكون صريحين معكم نقدم راينا اولا ثم عندما تعتمدون على تنفيذ امر ما نقدم لكم خبرتنا وتجربتنا المتعلقـة بهـذا الامر وما تبقى من موافقة او عـدم موافقة فيعود اليكم وحدكم . وعلى هذا نقول لـك اذا كانت مـدة الدراسة ستطول وتمتـد الى اكثر من نهاية عام ١٩٦٢ فاننـا نفضل ان ننتظر الفرصة المناسبة والكافية حيث لا تقل عن شهرين على اقل تقدير لتحضر الـى دمشق وعندها نبحث عن الزوجة المناسبة ونقوم باجراءات العقد والزواج ثم تسـافر انت وزوجتك لاتمام دراستك وبذلك تقضي معك العـام الاخير وترجـع بالسلامة . ونشترط عليك منـذ الآن ان تحدد الوقت الذي ستحضر فيـه وقبل شهرين مـن حضورك على الاقـل لنتمكن مـن البحث عن الزوجـة المناسبة كما اسلفت وسنحدد مجموعة من البنات اربـع او خمس بنات وعنـد حضورك نعرض عليك الاسماء كمـا سنعرض عليك جميـع ملاحظاتنا ومعلوماتنا التي نكون قـد جمعناهـا ويكون الراي النهائي لك . . . ونحن قصدنا السرعة بهذا الامر لكي لا يطول الوقت وتضيـع هـذه السنة من عمر الاحفاد اي احفادنا الذين اصبحنا ننتظر مجيئهم بحب وشوق كما اننا نريد ان نفرح بزواجك في اسرع وقت ممكن . نأمل ان تجيبنا بصراحة وبحرية تامـة فهذا راينا شرحناه لك وبسطناه بين ايديك ولكن لا تعلق موافقتك وعدم موافقتك على راينـا فنحن نصارحك دائما ويجب ان تصارحنا ايضا لنسير على بصـيرة في امورنـا كلهـا . نحن بانتظار جوابك هذا واننـا نبلغك تحيات الجميع كبارا وصغارا اشقـاء وابنـاء هم رجالا واناثا وصبيانا وبنات ونقبلك عن بعد ونرجو الله سبحانه وتعـالى ان يوفقك ويجعلك من سعداء الدنيا والآخرة وان يحفظك من كل اذى انه سميع مجيب .

ابـو راتب

ويعلق الوالد ابو موفق على هذه الرسالة فيقـول : قبـلات لوجنتيك الحلوتـين ولا يوجد لدي ما اضيفه زيادة على ما حرر اعلاه سوى الدعاء لك بالتوفيق والنجـاح وان يحفظك المولى سبحانه بعين عنايته ورعايته من كل سوء كما اطلب منك ان تحافظ على الوقت فلا تضيـع وقتـك ولو لدقيقـة واحدة دون ان تستخدمها في الدراسـة والاجتهاد ، واذكر لك بهذه المناسبة اننا كنـا في بيروت منذ اسبوع وزرنا السـيد فؤاد

النجـار الذي شغل منصب وزير الزراعة في لبنان لمدة سنتين وشاهدنا قطعة جميلة علقهـا السـيد النجار على صدر المكان الذي يجلس فيه . القطعة تحمل عبارة مفيـدة هي (ما اثمن الوقت) ، والسـيد النجار يطبق ما جاء في تلك العبارة حيث يعمل ليـل نهـار دون ان يمل . وختاما الجميع يقبلون وجنتيك وينتظرون قدومك وانت تحمل اعلى الشهادات العلمية والمولى سبحانه وتعالى يوفقك لما تحبه وترضـاه .

ابـو موفـق

دمشق في ١٩٦٢/٤/١٢ — **ـ الوحـدة ـ الاشتراكية**

نورمـان ـ اميركـا — **ـ بلدنـا محفوف بعناية الله**

ـ تعليم الاولاد رسالة لينفعوا انفسهم ووطنهم

ولدنـا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين امامنا الآن ونحن نهم بالكتابة اليك رسالتك ذات الارقام ٣/٤ و ٤/٣ وقد علمنـا كـل مـا جـاء فيهـا .

بضائعنـا لا يزال قسم كبـير منها كاسدا ولم يبـع ولا بد أن الباري سبحـانه سيحسـن الجبر .

ما حـدث في بلدنـا منـذ اسبوعين يتلخص في أن القيـادة السياسية قـد حلت المجلس النيابي ومجلس الوزراء واحتجزت قسما مـن السياسيين والنواب والوزراء كمـا احتجزت اعضاء الشركة الخماسية ، وقد حدثت اضطرابات بعد يومين في حمص وحلب ولكنها لم تكن ذات بال وقد انتهت والحمد لله بسلامة . واول امس افرج عـن اعضاء الشركة الخماسية كما افرج عن اثنين من السـياسيين وامس افرج عن البعض ايضا وربما يفرج عن الباقين اليوم وغدا وربمـا تشـكل وزارة جديـدة هـذا اليوم والله سبحانه وتعالى نسـأل ان يتمم بالخير .

والحقيقة أن هـذا البلد محفوف بعناية الله سبحانه وتعالى ونحن نحمد الله الذي جعلنا من سكانه ومواطنيه واننا لنضرع الى الله بالدعـاء ومن أعماق قلوبنـا أن يوفق الزعماء والسياسيين والحكام في الوطن العربي الى ما فيه خير امتنا ووطننـا العربي الكبير وأن يلهمهم جميعا العمل المخلص الجاد من اجل تحقيق وحدة عربية اقتصادية

وعسكرية ووحدة تمثيل خارجي بين جميع أقطار الوطن العربي وبذلك نخطو خطوة ممتازة على طريق الوحدة العربية الشاملة التي اصبح العرب ينتظرونها بفارغ الصبر وتتبعها خطوات أخرى ويفرح العرب بقيام دولتهم الواحدة ووطنهم الكبير الموحد الذي انقشعت عن سمائه غيوم التجزئة والفرقة التي تمزق ابناء هذه الامة العربية الماجدة . فالخطر المحدق بوطننا كبير جدا وسببه الاستعمار الذي يكيد لنا في السر والعلن ويدأب ليل نهار على تثبيت الفرقة والتمزق بين اجزاء الوطن العربي لتحقيق مصالحه وليستطيع الوصول الى مآربه من نهب خيرات بلادنا واذلال ابناء شعبنا . واننا لنضرع بالدعاء الى الله سبحانه وتعالى ومن اعماق قلوبنا أيضا بأن يأخذ بأيدي القادة والسياسيين والحكام العرب الى تطبيق الاشتراكية بمعناها الصحيح حيث لا تكون مطية يستغلها بعض الناس للوصول الى غاياتهم الشخصية . فالاشتراكية الحقيقية هي أولا سعي وعمل جاد لزيادة الدخل القومي ، وبهذه الزيادة يتمكن المسؤولون من رفع مستوى حياة الفرد ، عندها توزع الثروة توزيعا عادلا ويجد الناس جميعا العمل الذي يعود عليهم وعلى الوطن والامة بالنفع فيتمكن كل فرد من أفراد الشعب من أن يأكل ويلبس ويداوي نفسه واسرته وبذلك ينصرف الناس كل الناس الى اعمالهم المفيدة وهم مطمئنون واثقون بأنفسهم ووطنهم وقياداتهم . وهذا ما درجنا عليه في حياتنا منذ نشأتنا ، فنحن كما تعلم بعيدون عن حياة الترف ولم نغير شيئا من موجودات الدار وهي في مستوى فرش عامل وكل ما نوفره من العمل نصرفه في طريقكم حتى تتمكنوا من اتمام دراستكم وهي الرسالة التي اخذناها على عاتقنا ولا يمكن أن نتراجع عنها ونحن نأمل ان تكونوا في المستقبل مثقفين معتمدين على انفسكم وغير معتمدين على ثروة احد متمسكين بعروبتكم محبين لامتكم ووطنكم متحلين بالاخلاق الاسلامية الفاضلة . اننا نهدف دائما فيما نبذله من جهد في سبيل تعليمكم ان تكونوا اداة نفع لمجتمعكم وهذا ما يفيد المرء ويسره فالخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله . المواسم عندنا حسنة ما عدا منطقة الغوطة وما اتصل بها من أرض حيث انقطعت الامطار منذ شهرين تقريبا ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يرسل مطرا في هذا الاسبوع وعندها نطمئن على سلامة الموسم باذن الله والله سميع مجيب .

ولدنا الحبيب طي رسالتنا هذه حوالة مالية بمبلغ مائة وستة وثلاثين دولار

وحوالة ثانية بمبلغ مائتين وستة عشر دولار خبرنا عن وصولهما . الجميع عندنا بخير يقبلون وجناتك الحلوة ونحن نقبلك آلاف المرات عن بعد . وسلامنا للجميع ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يكلأك بعين رعايته ويرضى عليكم جميعا الرضى كله انه سميع مجيب.

ابـو راتب

دمشق في ١٩٦٢/٥/٢٠

نورمـان ـ اوكلاهوما ـ اميركا

ـ الدخل القومي في سورية

ـ اسبـاب الانفصـال

ـ اسى على فشل الوحدة بين مصر وسوريا

ـ الفرد السوري النشيط يساوي بئر بترول

ولدنـا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا امس رسالتك التي تحمل تاريخ اليوم السادس من الشهر الحالي واخذنا علمـاً بمـا جـاء فيهـا .

لقد انتهى عيد الاضحى المبارك أول امس ، وقـد قضينا فترة العيـد في الزبداني حيث كان الجو لطيفا هناك بينما كان حارا في دمشق فكل عـام وانتم بخـير ، ونرجو المولى سبحانه وتعالى أن يعيده علينـا بالخير وتكون انت قد انهيت دراستك بنجـاح وتفوق وتقضي العيد القادم بين افراد العائلة بالفرح والمسرات . المواسم جيدة بوجه عـام حيث كانت الامطار وفيرة إلا في بعض مناطق حـوران وبعض جهـات اخـرى في الغوطـة . فالقمح والحبوب يفوق محصولهما محصول المواسم السابقة بكميات كبيرة، والقطن وهو محصول رئيسـي بالنسبة لبلادنا بدىء بزراعته والمساحات التي ستزرع في هـذا العـام اكثر من المساحات التي زرعت في السنين الماضية نظرا لكثرة الامطار ووفرة الميـاه السطحية والجوفية كما اسلفت . وقد جرى نهر جاروش الذي يسقي العدمل ونحن الى الآن نسقي الارض من النهر ولا نستخدم مياه الآبار الا عندالضرورة القصوى ونرجو الله أن يستمر هـذا الحال طيلة الصيف . . . الـى الآن لـم نباشر السقاية في الزبداني والميـاه وفيرة والحمد لله بسبب ما انعم الله علينا من أمطار وثلوج عمت المنطقة كلها . الاوضاع السياسية غير مستقرة الى الآن وسبب ذلك أن وحدتنا مـع مصر لم تكن مدروسة منـذ البدء وراح حكام القاهرة يسنون قوانين للاقليمين مصر وسورية غير مراعين الفرق بين ظروف الحيـاة في الاقليمـين مصر وسورية .

ومن هـذه الفروق على سبيل المثال لا الحصر الحياة الاجتماعية للفرد في الاقليمين والتفاوت بين الدخل القومي للفرد في كل من الاقليمين وفروق مستوى المعيشة وتوزيع الثروة والتفاوت في عـدد السكان وضيق الاراضي في الاقليم المصري وسعتها نسبيا في الاقليم السوري وكان على الحكام ان يراعوا هذه الامور كلها عند وضع اي تشريع ولكنهم ضربوا بهذه الاعتبارات كلها عرض الحائط مما ادى الى الانفصال وزوال الوحدة التي كانت امل العرب عامة والسوريين خاصة . وبعـد زوالها وقعنا في هـذه المتاعب التي نعاني منها الآن وكنـا بغنى عنها لو سرنا في طريق الوحدة بتؤدة وتعقـل ، واننـا لنرجو الله سبحانه وتعالى ان يخلص البلاد من عواقبها وأن يحصل الاستقرار الـذي ينشده ويتعلق به كل مخلص لهذه البلاد لان الشعب السوري كما ذكرت في رسالتك شعب نشيط وانني دائما اضرب المثل بالفرد السوري واعتبر ان كل فرد نشيط عندنا يساوي من حيث النفع والفائدة لوطنه ولمواطنيـه بئر بترول في الكويت أو السعودية او في العراق اذا هيئت لـه سبل العمل والانتاج ، فعلى الرغم من عدم ظهور البترول او ظهور اي معدن من المعادن المدفونة في باطن الارض فان الدخل القومي في سوريـة اعلى بكثير من الدخل في جميع البلدان العربية وهو موزع بطريقة عادلة تفوق بعدالتها ما هو موجود في كافـة البلدان العربية أيضا وكل ذلك بفضل جهد الفرد السوري . صدر منـذ اسبوع قرار بتعديل قانون الاصـلاح الزراعي وهـو تعديل معقول جـدا ولو صدر هـذا التعديل أيـام الوحدة لما حصل الانفصال البغيض . كما صدر قـرار آخر يسمح بتصدير الحنطة والشعير عن طريق التجارة الحرة مقابل تسليـم الدولـة نسبـة ٢٥٪ من الكمية التي تصدر وبالاسعار العالمية وسوف تستفيد البلاد من هذا الاجراء فالتاجر سيبيع بزيادة في السعر لا تقل عن ٤٠٪ من السعر الذي تعطيه الدولة كما انه سيوفر ٥٪ من المصاريف اضف الى ذلك أنه سيبيع في أول الموسم وسيتمكن من الشحن في وقت مبكر بينما يتطلب البيع عن طريق الدولة اجتماع اللجان التي تقرر مقدار الكميات التي ستباع والجهة التي ستباع الكميات لها والسعر الذي سيباع بـه ممـا يؤدي الى ضياع الوقت وفقد الاسواق العالمية . أضف الى ذلك أن قيمة المبيعات سوف تعود بسرعة الى البلاد وتوزع على المشاريع التي تقـام في بلادنا كما انها سوف تلعب دورا هاما في تهيئة الارض واعدادها للزراعة في المواسم القادمة وهنـاك نقـاط كثيرة وفوائد جمـة لا يتسع الوقت لشرحهـا فهـذان القراران يبشران بأن الوضع

الحاضر فيه خير ، فسدد الله الخطا لبلادنا وهيأ لبلدنا وشعبنا كل خير .

قلت ان سليم سيقضي عطلته القادمة عندك وهذا امر يسرنا ونرجو الباري سبحانه الا يفرق بينكم ويجمعكم دائما . تحدثت في رسالتك عن حفلة الكلية التي حضرها السفير اللبناني نديم بك دمشقية الذي تحدث عن المرحوم جدكم وان رئيس الكلية قد اعجب بالحديث وزاد اكرامك وتقديرك فهذا الامر فخر لنا ، ويكفي الانسان سعادة ان يذكر بخير في مجالس الناس في حياته وبعد مماته ورحم الله الشاعر الذي قال (انما المرء حديث بعده كن حديثا طيبا لمن وعى) ويمكن ان تقول اننا لم نقصر بعد وفاة المرحوم جدكم بل نهضنا بالاعباء وسددنا الفراغ الذي احدثه انتقاله الى الرفيق الاعلى رحمه الله فلم ننقص من السمعة الطيبة التي تركها لنا ولم ننقص من التراث المجيد الذي خلفه وراءه بل زدنا أضعافا مضاعفه كما أننا والحمد لله لم ننقص من الثروة التي تركها لنا والتي ذهب معظمها في اعمال البر والاعمال الانسانية والاجتماعية بعد وفاته بل زدناها أضعافا مضاعفة بالطرق الشريفة وبالكسب الحلال وكان هدفنا العمل وبذل الجهد وزيادة الكسب لكي نتمكن من تعليمكم جميعا حتى تحصلوا على اعلى المراتب العلمية العالية وان نوجهكم جميعا احسن توجيه لتكونوا كلكم يدا واحدة وكالبنيان المرصوص يشد بعضكم ازر بعض لا فرق في ذلك كله بين اخ وابن عم . وفوق هذا وذاك اردنا ان تكونوا متمتعين بالسمعة الطيبة والذكر الحسن لدى جميع الناس وهذا هو الاساس المتين الذي يجب ان يرسي عليه الانسان بنيان حياته الشامخ الطويل فنرجو الله العلي القدير ان نراكم جميعا متمتعين بكل ما نحبه لكم من اخلاق حميدة وسمعة طيبة ومراكز ممتازة في المجتمع وان يكون ذكركم العطر على كل لسان .

ابو راتب

ويعلق الوالد ابو موفق على هذه الرسالة :

قبلات لوجنتيك الحلوتين

ندعو الله سبحانه ان يكون النجاح بتفوق حليفك دائما ، ومنذ اسبوعين سمعنا الشريط الذي سجل عليه صوتك وصوت سليم وكان افراد العائلة كلهم موجودين وقد سرّوا جميعا لسماع صوتيكما الحلوين وهذه اول مرة نسمعه ونأمل ان نسمع

صوتك الحلو عندما تعود الينا عمـا قريب وانت تحمل شهادة الدكتوراه . اكتب الى اخيك رفيق تحثه على الاجتهاد لان علاماته كانت قليلة جـدا ولا تخوله للدخـول في مجالات التعليم العالي الذي نحبه وليكن الحديث موجها منك اليـه مباشرة دون ان تذكر لـه اننـا نحن الذين طلبنـا منك ان تكتب لـه فهذا ادعى لانهاض همتـه وبث النشـاط في نفسـه وقد تحدث معـه راتب كثيرا ونصحه وبيّن له فائدة الجد والاجتهاد وكان يسكن مـع رفـاق ليسوا صالحين وقد تركهم الآ نواستأجر غرفة يعيش فيها وحده ، وبالختام وفقكم الله جميعا لمـا فيه الخير وسدد خطاكم دائما والسلام .

ابـو موفـق

دمشق في ١٩٦٢/٦/٩

بيروت ـ الجامعة الاميركية **ـ التواضع والاعتراف بفضل المعلمين**

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك المؤرخـة في السـابع والعشرين مـن الشهر المـاضي وعلمنـا كـل مـا جـاء فيهـا .

ارسلت لنـا قبل الرسالة المدرجة اعلاه رسالة طويلة عن الدراسة لم نعلق عليهـا باية ملاحظة . تلك الرسالة لم نكن قد اطلعنا عليها قبل الحديث الـذي جرى معـك وعندما قراناها واردنا ان نناقشك بالنقاط التي وردت فيها ذكر لنـا راتب انكجلست عنده مرتين في الليل ولمدة لا تقل عن ثلاث ساعات في كل مرة وانه ناقشك بكل ما ورد في تلك الرسالة وانه ذكر لك آراء تتطابق مع آرائنا ووجهة نظرنـا تماما . ثـم انتهت العطلة وسافرت بالسلامة ولم نتمكن ان نفاتحك بشيء . والآن لا نريـد أن نناقشك الحسـاب عن المـدة التي مضت وعن العام الذي ذهب سدى بسبب الكبر الذي خالط نفسك وحال بينك وبين النجاح كما يفهم من رسالتك ، ولكننا نقـول لـك أن الطالب يبقى طالبا مهما حصل من المعلومات ويجب أن يبقى متصفا بهذه الصفـة حتى يتخرج ويحصل على الشهادة ، والاستاذ كذلك يبقى استاذا على الرغم من انوف الطلاب كلهم وهذه النقطة الهامة كان عليك ان تفهمها جيدا قبل أن تقع فيما وقعت فيه . وكـان عليك أن توضح لنـا ذلك عنـد نهاية العام الدراسي الفائت ، كان عليك الا تبقى مصرا على عنفوانك تعاند المعلمة وتريد ان تحصل على العلامات والنجاح قسرا عنها وهـذا

امر مستحيل . لذلك فاننا نحذرك من الآن فصاعدا من الكبر والعجب ونذكرك بالاحاديث التي تحث على التواضع عامة وعلى التواضع للمعلم ، خاصة تلك الاحاديث التي ورد في بعضها (تواضعوا لمن تتعلمون منه العلم . . .) فلو كان الطالب فيلسوف زمانه وعنده الذكاء المفرط الذي لا يجاريه فيه أحد فلن ينجح الا اذا تواضع لمعلميه وكسب ودهم ومحبتهم . ولنفرض ان الطالب المعاند خدمه الحظ ونجح في الدراسة فانه سيكون فاشلا في حياته العملية مخفقا فيها لان الحياة العملية تفرض عليه ان يكون متواضعا بل تفرض عليه أن يكون لديه من التواضع ما يزيد عشرات المرات عن التواضع الذي كان يتصف به خلال الدراسة لان الطالب في فترة الدراسة كان يتواضع لاشخاص محدودين اما في الحياة العملية فيرتفع عدد الاشخاص الذي يجب أن يتواضع لهم وربما يصل هذا العدد الى مئات الاشخاص بل ربما الى ألوف الاشخاص . . . ونحن لم نكتف بما جاء في تحريرك من الاعتذار عما بدر منك من خطأ تجاه معلميك لذلك أحببنا ان نخاطبك بهذه اللهجة الصريحة لتستأصل من نفسك كل ما داخلك من كبر وتحل محله التواضع ، اننا نرى القسوة واجبة هنا لاننا اذا تسامحنا معك نسيت خطأك ولربما يخدمك الحظ فتنجح وتتخطى مرحلة الدراسة فتطرق ابواب الحياة محتفظا بكبريائك وعندها ستواجهك العقبات والصعوبات ونكون قد اسأنا اليك أكبر اساءة لاننا لم ننبهك على خطأ جرّ عليك الاضرار خلال فترة الدراسة وسيجر عليك اضرارا عندما تخرج الى الحياة العملية . اننا نخاف الله سبحانه وتعالى من المسؤولية نخاف أن تقول في يوم من الايام أن والديّ كان بامكانهما ان ينصحاني ويقسوا عليّ في النصيحة حتى اترك هذه الخصلة الذميمة خصلة الكبر والاعجاب بالنفس ولكنهما قصّرا . . . وهذا ما دفعنا الى أن نكتب لك منبهين محذرين فالكبر ما دخل في شيء إلا شانه ، والتواضع ما دخل في شيء إلا زانه . كنت في برمانا الاول في دراستك وكنت نشيطا مجتهدا لا تحتاج الى توجيه واطمأن قلبنا وقتها الى انك تسير الى الامام بخطا واسعة ولكننا صدمنا بالذهول عندما دخل عليك الغرور وانقلبت من طالب علم الى انسان منتقد على الاساتذة الامر الذي لا نريده لك ولا نقبل ابدا أن تتصف به بعد الآن . اننا نعود الآن لنخاطب رفيقاً الذي اعترف بخطئه من خلال رسالته ومن خلال الحديث مع أخيه راتب . نعود الآن لنضرب صفحا عن الماضي كله ونرجو لك أن تستفيد من اخطائك فالعاقل قد يحوّل الخطأ الى نجاح عندما يعرف الاسباب وتتجلى الحقيقة

بفضل مواقفه التي يستخدم فيها العقل والفكر ويحكم المنطق السليم . كما نرجو ان يكون النجاح والتوفيق حليفك دائما ولا نسمح لك بالتخاذل ابدا بل عليك ان تنسى الماضي كما نسيناه نحن وان تعتمد على نفسك لأن امامك طريقا فيها بعض المشاق وعليك ان تسير في هذه الطريق حتى النهاية لتحصل على الغاية التي نحبها لك وهي الحصول على أعلى الدرجات العلمية التي ستساعدك على بناء مستقبلك الزاهر الذي نتمناه لك ونرنو اليه بكل حواسنا .

ولتعلم انه لا حياه بعد اليوم الا للمتعلم ، والانسان الذي لا يتعلم سيكون عالة على المجتمع وعلى عائلته ، وسيحتاج الى مساعدة الآخرين في الوقت الذي يحتاج الآخرون فيه الى مساعدة المتعلم . ولنا وطيد الامل في أن تقرا تحريرنا هذا بكل اناة وتدبر وبروح رياضية وتعتبر ما جاء فيه نصائح موجهة اليك من ابوين يتمنيان لك ولأشقائك ولابناء أعمامك وللناس كلهم الخير والحياة الكريمة والمستقبل الزاهر . ونرجو أن نراك ونسمع منك وأنت رفيق اليوم لا رفيق الامس الذي حرر تلك الرسالة التي يجب ان تنسى وتذر على حروفها الرماد . وختاما نقبل وجنتيك ونقول بملء قلوبنا ومشاعرنا وفقك الله وجعلك من السعداء في الدنيا والآخرة ودمت لمن يحبونك ويحرصون على مستقبك .

ابـو راتـب

ويعلق الوالد أبـو موفق على هـذه الرسالة فيقـول : املنـا أن تكون منكبا على الدراسة وحفظها وناجحا في جميع الفحوص التي تتقدم اليها حسب ما وعدت ولا سيما انك انتقلت من الدار السابقة . . . هذا ومن الضروري بمكان ان تحفظ رسائل عمك كلها لتقراها كلماوجدت لديك فراغا يمكنك من قراءتها لان هذه الرسائل حوت نصائح لا تقدر بثمن وفي المستقبل ستعرف قيمتها اكثر واكثر لذلك احتفظ بهذه الرسائل وطبق ما جاء فيها من نصائح . نأمل ان تخبرنا عن موعد انتهاء الفحوص . . . الجميع عندنا بخير يدعون لك بالتوفيق والنجاح والباري سبحانه وتعالى يوفقك ويسدد خطاك على دروب الهدى والخير .

ابـو موفـق

دمشق في ١٩٦٣/٤/١٧ — الوحـدة العربيـة

امـيركـا — الثروات العربية واليد العاملة

ـ نعلم ابناءنا ليكونوا عونا للمخلفين من ابناء امتهم

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامنا الآن رسالتك التي تحمل تاريخ ١٩٦٣/٤/١١ وما بها علم .

علمت من رسالتك المنوه عنها أعلاه وصول رسالة راتب واستلامك حوالة بمبلغ / ٥٠٠ / خمسمائة دولار . جدتك والحمد لله بصحة جيدة ولكنها لا تزال طريحة الفراش وتحتاج الى مراجعة الطبيب وهي تدعو لك بالتوفيق والنجاح. وعدتنا بارسال المصدقة المدرسية ... مما علمنا من رسالتك مواعيد الفحوص التحريرية والشفهية ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل التوفيق حليفك في هذه الفحوص كلها وان نرى وجهك الحبيب عما قريب وانت متمتع بالصحة والعافية ناجح بتفوق في فحوصك كلها ... وعلى كل حال يجب أن تطلعنا على برنامجك بعد انتهاء الفحوص .

الوالد امضى عشرة ايام في الحمة مع الوالدة والشقيقات وفرقة عاكف وبعد عودتهم أمضيت انا خمسة عشر يوما كانت للراحة والاستجمام فقط وكان مؤنسي في هذه المدة المطالعة وتسجيل المذكرات . وارجو الله أن تكون انت أيضا مستمرا في تسجيل مذكراتك ومشاهداتك عن اميركا ، فكلما وجدت شيئا يستحق التسجيل سجله في مذكرة خاصة ، وهذه المسجلات ستعود اليها في المستقبل وسيستفيد منها ابناؤك فكل انسان يجب أن يكون لديه سجل خاص يدون فيه الاحداث والمشاهد التي تمر به خلال حياته واظن بل اكاد اجزم أن اغلب الاميركيين الاذكياء لديهم سجلاتعن الاحداث الهامة في حياتهم وحياة مجتمعهم وبلادهم . الامطار كانت جيدة هذا العام في جميع المناطق وآخرها هطل منذ اسبوعين وكان عاما شاملا والحمد لله ، وقد فاض نهر بردى وارتفعت المياه الى علو متر فوق مستوى الشارع ولم تحدث اضرار تذكر ونحن لم يحدث عندنا شيء ... اذيع أمس البيان الذي صدر في القاهرة ووقعته وفود ثلاث دول عربية هي مصر والعراق وسوريا والمتضمن نصوص الاتفاق الذي تم بين هذه الدول على قيام وحدة عربية اتحادية فيما بينها تشبه تلك الوحدة القائمة

في الولايات المتحدة الاميركية . واعتقد جازما ان لا بد من تحقيق وحدة البلاد العربية كلها ضمن الوطن العربي الواحد وهذا ما كنت اتمناه واتنبأ به واقول لا بد من قيام الوحدة العربية فلا يجوز ان يبقى وطننا العربي مجزءاً على شكل دويلات ضعيفة يتراوح عدد سكان كل منها بين مليون واحد او بضعة ملايين او اقل من ذلك ولكل دولة مجلس نيابي ورئيس جمهورية او ملك ولها مجلس وزراء يضم م الا يقل عن اثني عشر وزيرا وحدود هذه الدويلات مغلقة في وجوه ابناء الامة العربية فلا يتمكن احدهم بأي عمل يخدم مصلحته ومصلحة الامة العربية كلها ... هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الحدود المصطنعة بين اجزاء الوطن العربي تحول دون الاستفادة من موارد هذا الوطن الذي حباه الله موقعا ممتازا وخيرات وفيرة . فالبترول مثلا لا تتعدى فائدته حدود الكويت والسعودية او العراق او بعض امارات الخليج العربي في الوقت الذي يمكن لهذهالثروة النفطية الضخمة انتؤدي دورا بارزا في بناء الاقتصاد العربي والقوة العربية وعلى نطاق واسع تتحقق فيه سعادة الاقاليم المنتجة وامنها كما تتحقق سعادة سائر الاقاليم العربية وامنها ايضا . وتوضيحا لذلك اقول ان البترول سيحقق نشاطا ضمن البلد الذي ينتج فيه بالدرجة الاولى ، ففي العراق مثلا يمكن الالتفات الى الارض الخصبة الواسعة والسدود الكثيرة التي كلف بناؤها ملايينالدنانير وذلك عندما ينصرف الجهد العربي الى ذلك خبرة ويداً عاملة ... فالوحدة ستلغي الحدود التي عمل المستعمرون اعداء الامة العربية على اقامتها بين اجزاء وطننا وعندها سيتسع الافق امام الفرد العربي وهو مشهور بحب الافق الواسع ، وكان نشاطه الاقتصادي يغطي رقعة واسعة من العالم فكيف لا يغطي هذا النشاط اجزاء الوطن العربي ويأتي بأطيب الثمرات واحسن النتائج التي سيصل نفعها الى كل فرد عربي ؟ ؟ ؟ والآن لا يهمنا في هذه الحياة الا تعليمكم فقط لتكونوا عونا للمخلصين من ابناء امتكم ولتعملوا معهم على رفع مستوى حياة العرب والله يوفقكم جميعا لما يحبه ويرضاه انه سميع مجيب .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٢/٦/٢ — السوق العربية المشتركة والوحدة العربيـــة

نورمـان ـ اميركـا

ـ اطروحة موفق

ـ الرغبة بزواج موفق وسليم

ولدنا موفق وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتني برقيتك التي تطمئنا فيها عن نجاحك في الفحص التحريري وفي الفحص الشفهي وقد اخبرك عن وصولها اخوك راتب وهنأك باجتياز هذه المرحلة ونرجو الله سبحانه ان يجعل التوفيق حليفـك دائما انت واخوتك وابنـاء اعمامك جميعـا ... وصلتنا كذلك رسالتك المؤرخة في ١٩٦٣/٥/٢٠ والتي اخبرتنا فيها بوضوح عن نجاحك واجتيازك للفحص التحريري والشفهي ، كما ذكرت لنـا انه لم يبق لديك سوى كتابة الاطروحة كما ذكرت ايضا انك تحاول الآن ان تنال موافقة اللجنة المشرفة على مخطط الاطروحة وافكارها الرئيسية . وقد كتب لك اخوك راتب رسالـة باللغـة الانكليزية تتعلق بموضوع الاطروحة لا بد انها وصلتك . هذا ما علمته من راتب كما علمت منـه ايضا انـه قبل ان تطلب انت منـه معلومات عن السوق العربية المشتركة كان هو قد سأل الجامعة العربية عن هذه المعلومات للاطلاع عليها ولكنـه لم يحصل على ما يشفي الغليل ، فالموجود لدى الجامعة العربية مبعثر وغير مرتب .

وقد كان خبراء الجامعة العربية يدرسون مشروعا مأخوذا عن مشروع السـوق الاوربية المشتركة علما ان هناك فروقا جوهرية بين الدول الاوربية والدول العربية . فانتاج الدول الاوربية واستهلاكها يختلف بطبيعته عن انتاج واستهلاك الدول العربية، وكذلك الامر بالنسـبة لمستوى المعيشة في الدول الاوربية ومستوى المعيشة في الدول العربية ، وهـذا كله يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار ... فاذا كان لا بد من قيام السـوق العربية المشتركة وهـذا ما تمليه المصلحة القومية بالنسبة للامة العربية فلا بـد من ان تكون الدراسة لأسس قيام هذه السوق منبثقة من واقع البلدان العربية حيث ينظر الى مستوى معيشة كل قطر ومستوى تقدم الصناعة فيـه ومستوى انتاجـه ... وهكذا فهناك عوامل كثيرة تحتاج الى دراسة عميقـة . وحسب ما ارى ان قيام السـوق يجب ان ينفذ على مراحل لا دفعة واحدة . والاحسن بالنسبة لمصلحة الاقتصاد العربي

ان نبدا بالتنسيق الصناعي حيث يجري احصاء عام لكافة الصناعات القائمة حاليا في اقطار الوطن العربي ثم تجري دراسة للصناعات الضرورية التي يجب أن تقام في المستقبل وتوزع هذه الصناعات على اقطار الوطن العربي حسب توفر اليد العاملة والمواد الاولية اللازمة لتلك الصناعات والظروف الاخرى التي تظهرها الدراسة الواعية المتمهلة . وهذا ما يسمى بالتكافؤ الصناعي وهذه الدراسات والابحاث تحتاج الى صدق واخلاص من الدول والحكام في الوطن ، فنرجو الله سبحانه وتعالى ان يحقق ذلك في اقرب وقت .

وحسب اعتقادنا يتحقق ذلك كله اذا تحققت الوحدة العربية الكاملة ، تلك الوحدة التي لم يظهر حتى الآن ان العرب جادون في تحقيقها رغم اعلان ميثاق القاهرة الذي ينص على الاسس التي ستقام عليها الوحدة . وقد ظهر خلاف في وجهات النظر بين الحكام والقادة السياسيين ولا نعلم كيف ستكون النتيجة . فالتجزئة في الوطن العربي لها اسباب ليست بذات بال ولكنها مع الاسف تعرقل السير وتضع العثرات في طريق الوحدة ، ولعل من ابرز هذه الاسباب ايادي الاستعمار الخفية التي تحرص دائما على ذر بذور الشقاق والفتنة بين الاهل ولاشقاء اضف الى ذلك تمسك بعض الانظمة في الوطن العربي بكرسي الحكم وعدم تطلعها الى مستقبل افضل لابناء هذه الامة التي اصبحت تتوق الى لمّ شعثها وتوحيد أشلاء وطنها المبعثرة . . .

ولعل السبب الرئيسي حسب ما نرى هو تخلف الوعي وتأخر العلم وخصوصا العلم الذي يبني الاخلاق وتنضج فيه شخصية الفرد فيعمل ويجد في العمل من اجل تحقيق اهدافه واهداف امته تلك الاهداف التي فيها صلاحه وصلاح امته .

المواسم تبدو حسنة وخاصة الشتوية كالحبوب ومشتقاتها ، اما القطن وقد اصبح المحصول الرئيسي بالنسبة للتصدير فالى الآن لا تدل الدلائل على انه سيكون جيدا كما كان في العام الماضي حيث وصل الانتاج الى ما يقرب من مائة وخمسة وخمسين الف طن من القطن المحلوج ، وهذا ما يعطي عملة اجنبية تقدر قيمتها بأربعمائة مليون ليرة سورية ، بينما الانتاج الشتوي من الحبوب مهما زاد وزادت الكميات المصدرة منه فانه لن يعطي اكثر مما قيمته مائتا مليون ليرة سورية . فنرجو الله سبحانه وتعالى أن يتمم بالخير انه سميع مجيب .

لا بد انك عازم على الاتفاق مــع الاساتذة المشرفين على مخطط الاطروحة ونقاطها الرئيسية قبل ان تحضر الى سورية وهذا هــو الافضل ونريد منــك ان تعلمنا عــن موعد سفرك حتى نحصل لك على بطاقة من مكاتب السفر الموجودة عندنــا لانــه مــن الصعب ان نحوّل لــك قيمــة البطاقة ... كنــا طلبنــا من سليم ان يحضر معــك في هــذه الفرصة وذكرنا لــه اننــا نريد ان نزوجه ايضا معك ونفرح بكمــا وبعدهــا تاخذان انتما الاثنان زوجتيكما وتسافران وتكون انت هيأت كتابــة الاطروحة وتكون زوجتك معك خلال تقديم الاطروحة ، ولربما تستغل هي الوقت فتدرس اللغة الانكليزية وسليم تكون معــه زوجته ايضا تؤنسه وتهيء لــه سبل الدراسة ولربمــا تدرس هي ايضا ... نحن كتبنــا الى سليم حول هــذا الموضوع ولربما يكون جوابه في الطريــق الينــا ... اتصل بسليم واتفق معــه على موعد واحد واخبرنا ... وختاما ندعو لك بالتوفيق والنجــاح والتقــدم . . .

ابــو راتــب

دمشق في ١٩٦٣/١٠/٢٧

بــرمــانــا

ـ رضــا الوالدين

ـ المحبــة والتسامح

ـ بين الاخوة وابنــاء العم

ولدنــا محمد الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٦٣/١٠/٢٠ وعلمت كــل ما جــاء فيها ، وبلغت سلامك لعموم افراد العائلة وخصوصا الجدة المحترمة التي نزلت امس مــن الزبداني وهي بخير وعافية والحمد لله ، ونسأل الله سبحانه ان يعيننا على كسب رضاها كمــا اعاننــا على كسب رضــاء والدنــا رحمه الله لان رضا الوالدين اساس النجاح في هذه الحيــاة ، فمن حصل على رضا والديه عاش عيشة هنيئة سعيدة .

نحمد الله تعالى على الحب الــذي تتبادلونه فيما بينكم وهــذا ما نريــده منــكم واوصيناكم به مرارا اذ اننــا نريــد ان تكونوا متحابين متعاطفين مخلصين في المحبــة متسامحين فيما بينكم جميعا اخوة وابنــاء عم ، يعامل كل واحد منكم الآخر باحترام، وبذلك تكونون محبوبين من قبل الناس كلهم محترمين عندهم لانكم ستكونون اعضــاء

منتجين نافعين لأبنـاء مجتمعكم . فالعضو الفاسد الاشل في جسـم الانسان يقطـع ويستغنى عنـه ، وكذلك العضو الفاسد ان وجد بين أعضاء المجتمع هجر وقوطع ولم يحسب لـه أي حساب . ونحمد الله سبحانه وتعالى على أنك صرت تقدر قيمةالوقت وتقدر قيمة المـال الذي ينفق في سبيل تعليمكم وتقدر قيمة العلم والاجتهاد . وغايـة ما نتمناه الآن بالنسبة لك ان تنتبه عندما يلقي الاستاذ الدرس حتى يرسخ ما يقوله في ذهنك ، ولا يضيع منـه شيء ، وان تحافظ على اوقاتك فلا تترك فرصة تفلت منـك بلا دراسة واجتهاد . كما نتمنى ان تحصل على أعلى العلامات وتكون دائما من أوائـل الناجحين لا سيما وانك اخبرتنـا ان صفك قـد قسـم الى قسمـين وضعت انت في افضلهمـا . . . نقبلـك عـن بعـد انت وغسان ونبيل وفائز سائلين المولى سبحانـه ان يوفقـكم ودمتـم .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٦٢/٢/٢٥ — **ـ ضيـاع الوقت**

بـرمـانـا — **ـ خسارة بالنسبة للطالب واهله**

ولدنا غسان الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتيك المؤرختين في ٢/١٠ و ٢/٣ وعلمت كل ما جاء فيهما .

العلامات التي حصلت عليها في هذا الفصل جيدةجدا ، ما عدا علامةاللغةالفرنسية فهي قليلة ويجب عليك ان تجتهد وتدرس هذه المادة دراسة جيدة لتحصل على معدل اكثر من ٥٠٪ على الاقل . وغاية ما نرجوه أن تحافظ على الوقت فـلا تضيع دقيقـة واحدة من وقتك الا على الدراسة والاجتهاد لان الدقيقة التي تذهب سدى بلا فائـدة يجنيها المرء منها تذهب من عمر الانسان وتكون خسارة فادحة بالنسبة لـه لانه لـم يستفد منها فكيف اذا كانت الخسارة عاما كاملا ؟ وهذه الخسارة بالاضافة الى ما بينت تكون خسارة على الابوين اللذين دفعا نفقات هذه السنة وهي لا تقل عن أربعـة آلاف ليرة سورية ، وهذا المبلغ هو راتب سنوي لموظف يحمل اجازة في الحقوق ويعيل اسرة لا يقل عدد افرادها عن اربعة اشخاص ويدفع منها اجرة سكن . نقول هذا وكلنا ثقـة بأنك اصبحت من الآن فصاعدا تقدر هذه الامور ولا تلتفت الا الى الدراسة والمطالعـة

والاجتهاد المستمر ليلاً نهاراً وتفتح أذنيك جيداً عند القاء الدروس من قبل الاساتذة الامر الذي يسهل عليك الحفظ والاستيعاب .

وختاما نرجو لكم التوفيق جميعا صغيركم وكبيركم كما نرجو لكم السعادةالتامة والله يوفقكم جميعا .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٢/١/٢
برمانا

ـ يحث على الوفاق
ـ يحث على المحبة والاجتهاد

ولدنا غسان الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك التي تحمل رقم / ١٣ / وعلمت كل ما جاء فيها .

قلت في رسالتك ان علاماتك كانت ممتازة ونحن نقول انها ممتازة ولكننا نطمحدائما الى مزيد من الاجتهاد والتقدم والتفوق ، كما نطمح دائما الى ان يكون كل واحد منكم الاول في صفه . ونريد منكم جميعا أن تكونوا دائما علىوفاق تـام فيما بينكم حتى يظن كل من يحتك بكم انكم اخوة لا ابناء عم . نريد ان يقول الناس ان فائز ومحمد وغسان ونبيل وطارقاخوة ، كما نريد ان تكون سيرتكم عالية وان تتمتعوا بسمعة طيبة بين رفقائكم في المدرسة وبين اساتذتكم وبين جميع الناس .

وختاما ندعو الله سبحانه وتعالى أن تكونوا دائما موفقين في دراستكم ومن اوائل الطلاب في صفوفكم لكي تكون لكم في المستقبل مكانة عالية بين افراد المجتمع الذي ستعيشون فيه والله يحفظكم .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٥/١١/١٧
اريزونا ـ اميركا

ـ تحذير من الوقوع في شباك البنات

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسالتاك المؤرختان في ١٩٦٥/٩/١٨ و ١٩٦٥/١٠/٢٢

قرات الرسالتين بامعان وتوقفت عند مشاهداتك التي أعجبت بها منذ امتطيت

متن الطائرة حتى دخلت الجامعة . وكنت اود أن تسأل عن السبب الذي جعل اهل تلك البلاد وبمثل هذا الرقي الذي شاهدته وبمثل هذه القوة التي يسيطرون بها على العالم ، السبب الذي جعلهم يصلون الى القمر ويتقنون الصناعات والاختراعات التي لا تعد ولا تحصى من الكهرباء حتى الذرّة ، هذه الاختراعات التي كانت سببا في وجود الطيران واللاسلكي والهاتف والتلفزيون والسيارة ! وانا اجيبك على هذا السؤال الذي طرحته فأقول أن العلم هو ذلك السبب الذي فتح لهم آفاق الرقي والتقدم ودفعهم الى أن يسيروا في بناء الحضارة اشواطا بعيدة . لقد انكب هؤلاء القوم على العلم وقدروا العلم واحبوا المعلمين الذين اخذوا بأيديهم الى أن ينهلوا من معين العلم الذي لا ينضب ، وازيدك ايضاحا وشرحا لهذه الناحية فاقول أن اساس التقدم كذلك هو الاخلاق الفاضلة لان الانسان المتحلي بالاخلاق الفاضلة يقدر العلم واهله ويتابع طريق العلم وينكب على العلم حتى يغرف من بحره ويكون له خير معين على خوض غمار الحياة والتغلب على صعوباتها . . . أما الانسان الذي لا يتحلى بالاخلاق الفاضلة فانه لن يقدّر العلم بل سيكون بينه وبين العلم حاجز لا يستطيع ان يتخطاه . نحن زرنا اميركا واوربا وكنا نعرف كل شيء عن تلك البلاد ونحمل في نفوسنا الاسى والحسرة على خسران العلم الذي اجبرنا على أن نسير في طريق ابعد ، وكنا نقول لانفسنا عندما تقع انظارنا على اختراعات أوربا واميركا أن تلك الاختراعات لم تولد من العدم ولم توجد صدفة بل وجدت بالعلم والمطالعة والدأب والتفكير العلمي الصحيح . وهذا ما جعلنا نبعث براتب وموفق منذ واحد وعشرين عاما الى برمانا ومنها الى انكلترا واميركا ثم نرسلكم الواحد بعد الواحد ونتحمل ما نتحمله من المشاق والمتاعب لتأمين نفقات التعليم التي لم يتحمل مثلها أي شخص في سوريا . . . ان الوقت لا يسنح لي بأن أوضح لك الامور توضيحا كافيا اذ تأخرت عن الكتابة اليك بسبب غيابي عن دمشق فترة من الزمن حضرت خلالها مؤتمر اتحاد الغرف التجارية العربية الذي عقد في الجزائر وعرجت على باريس وانكلترا مع عمك رشاد حيث انهينا خلافا حصل بينه وبين شركة دافيد براون ، ثم عدنا الى دمشق لنجد أعمالنا متراكمة وتسييرها وحلها يستغرق معظم وقتنا الآن . والذي انتظره منك ان تعرفني في رسائلك عن العمل فهل وجدت عملا تحصل منه مالا يساعدك على اتمام نفقة الدراسة طيلة المدة المتبقية ؟ أقول ذلك وأذكرك أنك اطلعت على أوضاعنا المادية قبل سفرك . هذا من جهة ومن جهة

ثانية نقول لك اننــا نريد ان نعلم أولادنا جميعا ولولا ذلك لما كنا ارهقنا انفسنا بالعمل طيلة خمس واربعين سنة . واننا الآن بحاجة الى الراحة وخاصة انـــا اصبحنا في سن لا تسمح لنــا بتحمل المشاق والمتاعب . اننــا بحاجــة الىالراحة والراحة غير متوفرة لان العقبة التي تحول بيننــا وبين الراحة لا تزال موجودة وهي اتمام تعليمكم جميعــا لذلك كله لا نريد ان اعيد على اسماعك حديثنا الذي سمعته قبل سفرك واطلب منــك ان تتذكره بجميع جوانبــه ودقائقــه .

ولدنا الحبيب : لا تخالط الطلاب العرب الذين لا يهتمون بالدراســـة ويضيعــون اوقاتهم بمــا لا يليق بطالب عربي ذهب الى بلاد الغرب ليتخصص بالعلــوم الحديثة ، ويرجع الى وطنه كي يقدم خدمات لمواطنيه تنفعهم وتعيد لامتنا امجادها الغابرة يــوم كانت لنــا كلمة مسموعة وراية مرفوعة في جميع انحاء الدنيــا المتمدنة . . . لا تخالط اذن من تنكبوا عن الطريق واهملوا واجبهم وخانوا امتهم عندمــا ركنــوا الى الكســل واضاعةالوقت فيما لا يعود عليهم بالنفع . هذا ولكن لا مانع لدينا من مخالطة الجيدين من الطلاب العرب الذين يدركون خطورة المهمة التي جاؤوا من اجلها الى اميركا اولئك الطلاب الذين يدرسون ولا يضيعون اوقاتهم ، ولا مانع ايضا من مخالطة الطلاب الاميركيين الذين يدرسون ولا يضيعون اوقاتهم . ولكننا نحذرك من الوقوع في شباك البنات هناك لانهن حبائل الشيطان . اسلــك مسلك راتب وموفق وسليم الذين كانــوا حذرين في مخالطتهم للاميركيين وغير الاميركيين ، ونذكرك هنا ايضا بمصير الطلاب الذين خالفوا مسلك اخوتك وخالطوا بلا تحفظ ووقعوا في شباك البنـــات فقد ندموا كثيرا وعضّوا اصابعهم ندامــة وتعرفهم فلا حاجة لذكر الاسماء .

وبالختام نقبلك عن بعد والجميع عندنا بخير والله يوفقك .

ابــو راتــب

دمشق في ١٩٦٥/١١/١٨

بيروت ــ الجامعة الاميركية

ــ تنويع الاختصاصات

ــ احترام المعلمين والثقة بهم

ــ الاخلاق الفاضلة قبل العلم

الى ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٦٥/١٠/٢٣ وكــان بودي الا اجيب عليهــا لانني

أجتمعت بك مرتين وتحدثنا في كثير من الامور التي تهمك ولكن حديثك الـذي ورد في رسالتك حول الاختصاص بادارة الاعمال وذكرت المبررات التي جعلتك تتجه الى هذا الاختصاص بادارة الاعمال تلك المبررات عندما بلغك ان والدك قد آخذك على ذلك . . . هـذا الامر الذي جعلنا نرد على رسالتك موضحين لـك بعض الحقائق . ان تغيير الاختصاص سببه أنت لذلك فلنا جميعا الحق في ان نؤاخذك على ذلك ، فلقد تفاءلنـا خيرا عندما كنت في برمانا وحصلت على علامات ممتازة تخولك لدراسة الهندسة وقد دخلت الجامعة على هذا الاساس ولكنك ويا للاسف لم تأخذ عبرة ممـا حصل لاخيك رفيق عندما سلك مسلكا قاسيا مـع الاساتذة وعاندهم أشد عنـاد الامر الذي جعلهم لا يساعدونه بالعلامات فاضطر الى دخول فرع الاقتصاد . . . لقد سلكت المسلك نفسه فحصل ما حصل في الوقت الذي كان يجب عليك ان تساير معلميك . فالطالب يجب عليـه أن يقرر ان يخضع لمعلميه وينقاد لتوجيهاتهم كمـا يجب عليه أن يثق بهم سواء كان في المرحلة الابتدائية او المرحلة الاعدادية أو المرحلة الثانوية او في مرحلة التعليم الجامعي . . . واذا لم يتصف الطالب بهذه الصفة فالاولى له الا يدخل في مجال التعليم وليجرب ان يدرس وحـده ويحصل على الشهادات . وهـذا أمر مستحيل فلا يمكن ان يتعلم الانسان بدون معلم وينطبق ذلك على الحياة العملية ايضا لان الحياة العملية تحتاج الى تمرين وخبرة فمن اراد أن يعمل في مجال التجارة مثلا وجب عليه ان يشتغل صانعا (اجيرا) عنـد تاجر في بادىء الامر او أن يتمرن على الامور التجارية عن طريق والده وإلا كان مصيره الفشل في أغلب الاحيان . وقل الامر نفسه بالنسبة لبقية الحرف والاعمال . . . وفي مجال العلم والحياة العملية يحتاج الانسان مهما درس ومهما حصل على شهادات حتى لو حصل على شهادة الدكتوراه في احد الاختصاصات وخرج الـى الحياة العملية ليمارس هـذا الاختصاص انه يكون بحاجة الى تمرين كاف يطبق فيه نصائح من سبقوه في خوض غمار الحياة في هـذا الاختصاص . ومهما كان مستـوى الطالب فانه يجب عليه أن يعترف لاستاذه بالسبق والفضل ، فيكفي الاستاذ شرفـا انه تمرن على تدريس العلوم بعد أن وعاها وجدّ واجتهد حتى حصل عليها فهو والحالة هـذه رائـد في مجال الاختصاص الذي يدرسه . والرائد يجب ان يطاع وان يوثـق بكلامه . هـذه وجهـة نظرنـا . وما كنا نريد أن نتحدث عن مشكلة تغيير الاختصاص الذي تدرسه لولا انك تعرضت لهـا في رسالتك فما يهمنا نحن هو أن تتعلم اي علـم

وان تحصل على اي اختصاص كان وتحوز اعلى الشهادات التي يمكن ان يحوزها انسان. فالزمان كفيل بأن القادم ربما يرتفع مستواه العلمي الى حد هو اعلى بكثير من مستوى اولئك الذين يحملون شهادة الدكتوراه بعد ان تقدمت العلوم وتعددت الاختراعات في مجالات الكهرباء والسيارات والطيارات والتلفزيون ورحلات الفضاء والدوران حول الارض بسرعة هائلة لا يتصورها العقل والوصول الى القمر . ولقد كان هدفنا من توجيهك نحو الهندسة هو ان هذا الاختصاص لا يزال المجال مفتوحا امام من يتخرجون منه بشهادات عالية . وقل الامر نفسه بالنسبة للطب الاختصاصي ، فقد علمنا راتب التجارة والاقتصاد وادارة الاعمال لاننا كنا بحاجة اليه وكنا نأمل ان يختص موفق في مجال الزراعة الامر الذي لم يتحقق ثم وجهنا المرحوم فاروق الى الهندسة وسليم الى الزراعة وقررنا ان يتخصص الباقون في مجالات الهندسة والطب وغيرهما من الاختصاصات ، وهذا البرنامج وضعناه لكم عندما كانت التجارة حرة تعود على اصحابها بالربح الوفير الامر الذي لم يعد متوفرا الآن . فالرجل الذي يحصل على شهادة B. A. تجارة لا يتجاوز راتبه الاربعمائة ليرة سورية ولا يوجد امامه اي عمل حر يمكن ان يمارس اختصاصه ونشاطه من خلاله ... ان غايتنا من تنويع اختصاصاتكم أن يكون لكم النشاط في جميع المجالات والفعاليات والاختصاصات ، فعائلة الشلاح يجب ان يكون فيها المهندس والطبيب والتاجر والمزارع و ... و ... ليكون لكم مركز ممتاز بين ابناء المجتمع وفي مختلف جوانب الحياة وفعالياتها الاقتصادية والعلمية اما أن تحشروا انفسكم جميعا في اختصاص واحد وفعالية اقتصادية واحدة فهذا امر يحول دون احتلالكم مراكز ممتازة كما يحول دون تمتعكم بمكانة رفيعة بين ابناء مجتمعكم. وشلاح اخوان وهم اربعة اخوان بدر الدين وشفيق وانور ورشاد يحتلون اكثر المراكز الحساسة ، واحد في غرفة التجارة وآخر في الصناعة وثالث في الزراعة ولهم هذه السمعة الحسنة الطويلة العريضة والسبب في ذلك يعود الى توزعهم في الاعمال والاختصاصات ، وانتم تعدون عائلة كبيرة واولاد عم من اربعة آباء بينما نحن اربعة نعود الى اب واحد ... وغايتنا من كل ما نورده من آراء وما نسديه من نصائح أن تنوعوا اختصاصاتكم لتدخلوا مجالات مختلفة من مجالات الحياة ، فاذا حصل اجتماع للمحامين مثلا كان لكم من يمثلكم في هذا الاجتماع ، واذا عقد اجتماع للتجار كان لكم من يمثلكم في هذا الاجتماع ايضا ، وقل الامر نفسه بالنسبة

لاجتماعات الاطباء والمهندسين والصناعيين ومختلف أرباب الفعالية العلمية والاقتصادية في وطننا . . . ولكن بعد ان جاء في رسالتك عبارة التوفيق في الله نقول : الباري سبحانه وتعالى يوفقك في اي عمل تقوم به وتقدم على التمرس به ونساله سبحانه ان يجعل امورك سهلة ميسرة ويجعلك من سعداء الدنيا والآخرة ، ونحن من جهتنا نقبل عذرك من عدم تمكنك من الدخول في الفرع الذي كنا نحبه لك ونطلب منك ان تحافظ على الوقت والا تدع دقيقة واحدة تمر دون ان تستغلها للدراسة واكتساب المعارف والعلوم لان كل دقيقة تذهب منك الآن دون ان تستغل في المطالعة والدرس ستخسر مقابلها اعواما من عمرك انت بحاجة اليها لبناء نفسك واعلاء شانها في المستقبل .

ابتعد عن ارتياد دور السينما ، ابتعد عن التدخين لانه مضر بصحتك ويحملك نفقة اضافية انت في غنى عنها . كان بودي ان أزورك في غرفتك واتعرف على رفقائك وعلى سلوكهم حتى اذا لاحظت منهم تصرفا يضر مصلحتك نبهتك اليه الآن . هناك مسائل قد لا تقيم انت لها وزنا وهي هامة جدا وتترك اثرها على سلوك الانسان واجتهاده . وليكن معلوما لديك اننا نحيط علما بكل ما يجري لكم جميعا ونحن نحرص على ذلك لنوجه نصائحنا لكم جميعا في الوقت المناسب وما ذلك الا لحرصنا عليكم وبهذه المناسبة اوجه لك النصيحة التالية : ان اهم ما يجب ان يلاحظه الانسان الا يدخل الغرور والادعاء الى نفسه بل يجب عليه ان يكون متواضعا ومتحليا بالاخلاق الفاضلة . . . والعالم الذي لا يتحلى بالاخلاق الحميدة والسجايا الطيبة قد يكون ضرره اكبر بكثير من ضرر الجاهل المتحلي بالاخلاق الحميدة . وختاما نقبلك عن بعد وندعو لك بالتوفيق والنجاح .

ابو راتب

ويعلق الوالد ابو موفق على هذه الرسالة فيقول : قبلات لوجنتيك الحلوتين سررنا كثيرا لنجاحك بموضوعين علامة A وعلامة B فالباري سبحانه يوفقك لما فيه الخير والسداد . رسائل عمك اقراها مرات عديدة لان في هذه الرسائل فائدة لكم جميعا في الحاضر والمستقبل ، وأملنا ان تكون محافظا على العهد الذي قطعته على نفسك قبل سفرك بخصوص المثابرة على الدراسة بجد ونشاط وترك التدخين وفقك الله وسدد خطاك على دروب الهدى والخير .

ابو موفق

دمشق في ١٩٦٦/٤/٢٠ — الدراسة — العمل (علماء عملوا)

امـيركــا — الزواج والدراسة

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

امامي الآن رسائلك التي تحمل تواريخ الثامن والعشرين من شهر شباط الماضي والثالث والعشرين من شهر آذار الماضي أيضاً ورسالة وصلتنا بتاريخ السادس عشر من نيسان الحالي واخذت علما بكل ما جاء في هـذه الرسائل . نلومك أولا على عـدم وجود تاريخ على رسالتك الاخيرة اذ من الاصول المتعارف عليها الا يحرر الانسـان اي مستند او اية رسالة او اية ورقة بدون تاريخ . فنأمل ان يكون اهمال التاريخ قد وقع سهوا وواجبنا ان ننبهك الى ذلك حتى لا يتكرر هذا العمل مرة اخرى .

تقول عن الفحوص انها اصبحت قريبة فنرجو الله سبحانه أن تكون دائما موفقـا فيها متفوقا على اقرانك كلهم ذاكرا نصائحنا لك بأن تعامل الاساتذة باحترام والاعتراف بالجميل ، سدد الله خطاك لمـا يحبه ويرضاه من الامور التي فيها صلاحك وسعادتك انـه سميـع مجيب .

ذكرت لنـا أشياء عن توسان وعن الحياة العامة في هذه المدينة الاميركية وقلت انه لا توجد اعمال فيها فالحق مع الشركات واصحاب المحلات التجارية الذين يرغبـون بعمـال دائمين كي يستفيدوا على وجـه افضل بعد مضي فترة طويلة مـن التدريب واكتسـاب الخبرة في العمل ، ولكن ذلك يجب الا يمنعك عن عمل اي عمل حتى ولو كان عملا يدويا ولاتستصعب شيئا ، ولك في الرئيس جونسون خير عبرة ومثل . فقد ورد في ترجمته انه عمل خلال فترة طويلة في رصف الحجارة في الطرقات وتوزيـع البحص بالكريك . لقد عمـل جونسـون في تعبيد الطرق وتزفيتها وهذه الاعمال ما عابته بـل يفتخر هو بها وقد ذكرها في ترجمة حياته ويقرؤها ملايين الاشخاص . ومثال آخـر اضربه لك عن الفني الارمني جورج مارديكيان فقد دعانا هذا الرجل عندما كنا في سان فرانسيسـكو الى تناول طعام الغذاء وبينما نحن جلوس علـى مائدته والرجل في اعلـى مراتب غناه التفت الى باب المطبخ وقال بصوت جهوري من هذا الباب ذاته كنت ادخل حاملا الصحون المتسخة التي جمعتها من الموائد لتنظيفها في المطبخ ، ولولا ذلك العمل لمـا وصلت الى ما وصلت اليه الآن . هذا مثل آخر ذكرناه لك ولتذكر أيضا انالشبان

السوريين الذين درسوا في أوربا واميركا وعادوا الى الوطن وهم يحتلون الآن اعلى المناصب ، لتذكر ان اهل هؤلاء الشبان لم تكن لديهم القدرة على دفع نفقات تعليمهم ولكنهم بجدهم ونشاطهم وعملهم خلال فترة الدراسة تعلموا وانفقوا خلال فترة الدراسة على انفسهم وحصلوا على أعلى الدرجات والشهادات العلمية وعادوا الى رحاب الوطن موفوعي الرأس ليستلموا أعلى المراكز ، اما نحن فقد انفقنا على تعليمكم اموالا كثيرة لا تقدر . فوصيتنا لكم جميعا ان تحفظوا رسائلنا لتقرؤوها في كبركم كل عام مرة أو أكثر وتفهموا معناها وتدركوا مدى حرصنا عليكم وحرصنا على أن تتعلموا وتحصلوا على أعلى الشهادات العلمية العالية وتحتلوا في مجتمعكم مراكز يشار اليها بالبنان رفعة وعزة ومكانة ، وعندها تذكروننا بخير وتقرؤون لنا الفاتحة بعد ادراك معانيها والاحاطة بما ترمي اليه هذه الرسائل . فنفذوا هذهالوصية واحفظوا رسائلنا في ملف خاص . الوالد والوالدة والشقيقة وصلوا امس الاول منالديارالمقدسة بسلامة ورعاية الله بعد ان ادوا فريضة الحج وزاروا مقام الرسول الكريم صلى الله عليهوسلم وكانوا مسرورين جدا حيث توفرت لهم سبل الراحة في جميع تنقلاتهم ، وهم الآن بخير وصحة جيدة والحمد لله يدعون لك ولاخوتك وابناء اعمامك بالتوفيق والسعادة.

تذكر في رسالتك التي تحمل تاريخ ١٩٦٦/٢/٢٨ انك وضعت خطة لتحصل على درجة الماستر في شباط القادم وتذكر في رسالتك التي لا تحمل تاريخا انك صممت على العودة في الصيف لاجل أن تتزوج بعد أن تحصل على شهادة الماستر ولم نعلم أي صيف هذا ؟ ؟ أهل هو بعد شهر شباط الذي ضربته موعدا للحصول على شهادة الماستر اي صيف عام ١٩٦٧ ، ام هو الصيف الذي سيظلنا بعد شهرين ؟

هذه النقطة لم ندركها ادراكا كافيا لذلك وضح لنا موعد حصولك على شهادة الماستر وعندها سنبحث الموضوع من جميع نواحيه . وكن على ثقة بأننا لن نقدم الا على الاعمال التي تسرك وترضيك ، وكن على ثقة ايضا بأننا بذلنا ولا زلنا نبذل الجهود ، وقد افنينا حياتنا في سبيل تعليمكم وفي سبيل سعادتكم وسنكون اوفياء للعهد الذي قطعناه على انفسنا الى ان يأخذ صاحب الامانة أمانته . وختاما نقبل وجنتيك عن بعد ونرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفقك لترجع الينا بخير وسلامة تحمل أعلى الشهادات العلمية وتتحلى بأحسن الاخلاق واكملها لترفع راسنا عاليا ولتحتل المراكز اللائقة بين اهلك وبين افراد مجتمعك والسلام . **ابو راتب**

دمشق في ١٩٦٦/١١/٢٨ — في العمل

بـــيروت — حسن معاملة الناس

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

لقد تركناك في بيروت ولم تسمح لنا الظروف بأن نبقى مدة اطول من تلك المدة التي قضيناها قريبين منك ونأمل أن نراك دائما بخير متمتعا بالصحة والعافية . نرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون سفرك الى السعودية قد اصبح سهلا ميسرا لاننا مسرورون جدا من سفرك لانك ستسلك عملا تتحمل فيه مسؤولية وتقوم فيه بالتدريب كما انك ستختلط عن طريق هذا العمل بأكثر طبقات المجتمع وبذلك تتمكن من الانطلاق في عملك والانطلاق فيه فائدة لكل مبتدىء . ولا سيما واننا نأمل ان تقوم بأعمال كبيرة في المستقبل ولا يتم ذلك الا اذا احسنت معاملة الاشخاص الذين تتعاون معهم وتربطك بهم طبيعة العمل الذي سيسند اليك ؛ واحسنت كذلك في معاملة الاشخاص الذين تقابلهم وتتعرف اليهم . فكلما كان الانسان اجتماعيا يألف ويؤلف ، حصل على مرتبة عالية وأحبه الناس على اختلاف مراتبهم وطبقاتهم وعندها ينتشر اسمه وتحلق سمعته الطيبة في الآفاق .

وكل عمل لا بد في بدايته من صعوبات ، ولكن صاحب هذا العمل يتغلب بحسن معاملته على جميع الصعوبات ويحصل على ما يريد . اننا مسرورون جدا من انطلاقك للعمل وكان بودنا أن تبقى عندنا لو كانت اوضاعنا التجارية والزراعية تساعد على ذلك فنحن نرغب ان تبقوا جميعا معنا وفي أعمالنا ، ولكن ما العمل والمجال الآن لا يتسع حيث ضاقت تلك الاعمال ولم يبق منها الا مراقبة المشاريع الزراعية وبعض الاعمال الثانوية المحدودة جدا . . . ونحب أن نقول لك ان والدك يشاطرنا هذا الراي كما يشاركنا فيه شقيقك الدكتور موفق وعموم افراد العائلة .

وختاما : جميعنا بخير ونتمنى لك التوفيق والنجاح وندعو لك في الليل والنهار ونسأل المولى سبحانه وتعالى ان يسدد خطاك في اعمالك كلها . . . وأملنا ان تكتب لنا كل اسبوع رسالة تشرح فيها لنا كل شيء عن سير اعمالك ، والله يحفظك بحفظه ورعايته آمين .

ابـو راتـب

دمشق في ١٩٦٧/٩/٣٠ — في العمل

جـــــدة — مبارك النجاح وننتظر موافقتك على الزواج

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

وصلتنا رسالتك المؤرخة في ١٩٦٧/٩/١٥ وسررنا جدا من حديثك عن الاعمال التي قمت بها في مجال التأمين ونجحت في ادائها وتصريفها على أكمل وجه وهذه هي الفرصة الذهبية لكسب الخبرة وهذا هو العلم الحقيقي المستمد من الواقع لانه يتيح الفرصة للانسان لأن يطلع على جميع نواحي الاعمال التجارية . نقول لك سررنا جدا من رسالتك واطمأن قلبنا وامتلأ بالفرح والسرور لنجاحك في عملك . وعلمنا من رسالتك انك ترغب في تأخير الزواج حاليا فعلى رغبتك ونحن يهمنا رضاك واننا ننتظر موافقتك على هذا الامر الذي ترغب فيه بالنسبة لك ويهمنا جدا اتمامه على الوجه الذي تحبه واننا على استعداد لنقوم بكل ما يجب علينا تحقيقه وهو زواجك ممن تحب والله يوفقك .

ابو راتب

ويعلق الوالد ابو موفق على هذه الرسالة فيقول :

قبلاتنا لوجنتيك الحلوتين . سررنا جدا من رسالتك الاخيرة وفقك الله واخذبيدك لتحوز اعلى المراتب والوظائف ولتتحلى باحسن الاخلاق وحسن المعاملة مع كافة الناس . بخصوص الزواج جميع افراد العائلة يريدون أن يفرحوا بزواجك ، فالباري سبحانه يختار لك ما فيه الخير ويوفقك ولا يعرضك لأن تتعب في حياتك انت واخوتك وابناء عمك جميعا . . . بلغ سلامنا وتحياتنا الى ابن عمتك نافع والسلام .

ابو موفق

دمشق في ١٩٦٧/٥/٢١ — في العمل

جـــدة — لذة العمل — التوفير وجمع المال من العرق

ومن قواعد الاقتصاد ان يوفر المرء

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا رسالتك رقم ٥/٢ وعلمنا كل ما جاء فيها .

ذكرت أن رسالتي وصلت وانك سررت من الارشادات والتوجيهات التي وردت فيهــا وهــذا ما يسرني ويثلج صدري . ونحن لا نذكرك الا بمــا يوافقك ونسر عندما نسمع من رسائلك عبارات الشكر والامتنان على ما نقدمه لك من نصائح .

قلت انك ستبقى في جدة فلا مانع لدينا يحول دون بقائك ونحن موافقون على ذلك مفوضين الامر لله سبحانه وتعالى والذي يختاره سبحانه هو الموافق وفيه الخير .

ونريد الآن ان نقدم لك نصيحة جديدة في هــذا الظرف الذي اصبحت فيه تتحمل مسؤولية الدار والمصروف وتشعر بلذة العمل وقبض الراتب . ان نصيحتنا التي نود ان نقدمها هي وجوب التوفير فوفر ما أمكنك توفيره من الراتب الذي تتقاضاه فالتوفير فيـــه لـــذة ما بعدها لـــذة ولا سيما بعد ان يمضي وقت ويجد الانسان مبلغا كبيرا من المـــال بين يديه نتيجة التوفير . . . فمن قواعد الاقتصاد والعلوم الاقتصادية والماليـــة أن يسلك كل فرد هــذا المسلك مهما كان دخلــه ومتى سلك هــذا المســلك استراح ووجد نفسه في بحبوحة من العيش يحتاجه الناس ولا يحتاجهم . وعلى أغلب ظني ان هذا المسلك هــو مسلك ابن عمتك نافع وعلى اغلب ظني ايضا انه وفر في هذين العامين أكثر ممــا وفره اخواه اللذان لا زالا يعملان منـــذ خمس وعشرين ســنــة . فاذا وفر الانسان وحافظ على ما وفره تكونت الثروة أو بدايــات الثروة على الاصح وعندهــا يشعر الانسان بلذة المـــال الحلال الذي يحصل عليـــه نتيجة عمله وتعبه وعرقه ، وهي لذة تفوق لذة المال الذي يحصل عليـــه بلا تعب . هذا ما اردنا أن نضعه بــين يديك وانت في بداية الطريق الى بنــاء مستقبلك فالتوفير التوفير لانه فضيلة وخير مــا يعود على المــرء بالسعــادة .

سررنا من مقابلتك للسفير وموظفي السفارة فالرجل يجب ان يخالط الناس ويتعرف عليهم ، يجب أن يكون اجتماعيا في سلوكه وتصرفاته بشرط الا يخسر على الناس الا بعد ان تتكون لديه ثروة (خميرة) لا تتأثر بهذا الانفاق .

ختاما الجميع عندنا بخير . . . لا تتأخر بالرسائل ، والدك ووالدتك وصلا من الحمة ساعة تحريره وهما بخير ويدعوان لك بالتوفيق والنجاح . . . قبلاتنا لوجناتك والسلام.

بدر الدين الشلاح

دمشق في ١٩٦٧/١٠/٢٨	**ـ في العمل**
جـــدة	**ـ الاستفادة من الوظيفة للعمل التجاري**
	ـ ادعيــة للجميع بالخير

ولدنا رفيق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا رسالتك المؤرخة في ١٩٦٧/١٠/٤ وقد تأخرنا بالاجابة نظرا لانشغالنا في الزبداني وحضورنا مؤتمر الغرف التجارية في بيروت . بخصوص طارق نأمل من المولى سبحانه ان يسهل امر سفره عــما قريب بالسلامة والرعاية والحفظ كما نرجو سبحانه وهو العلي القدير ان يفتح عليه وعليك وعلى اخوتك وابناء اعمامك جميعا فتوح العارفين بالله وان يجعلكم من سعداء الدنيــا والآخرة . املنــا أن يكون ترفيعك قريبــا ليزداد راتبك وتعويضاتك كمــا نأمل ان تكون قد تدربت جيدا على الاعمال التجارية وتعرفت على البضائع التي تدر ربحا جيدا وعلى من يتاجرون بهــا بمثل انــواع هــذه البضائع واصنافها والمصادر التي تأتي منها . . . لان ظروف السعودية الآن تساعد على الحصول على الارباح وبامكان الانسان ان يقيم علاقات تجارية مع انــاس موثوقين يقــدم لهم خبرته فقط دون أن يدفــع اي راس مــال .

وختاما : الجميع عندنا بخــير ويهدونك الســلام ويدعون لك بالتوفيق ونقبــل وجناتك عــن بعــد ودمتــم .

ابــو راتــب

دمشق في ١٩٦٧/١١/٩
ميونيخ ـ المانيـا

ـ القيام بالواجب
ـ اننا نشـدد عليكم لاننا نحبكم ونحرص عليكم
ـ الاختصاصات
ـ العلم والاخلاق
ـ الوفاق بين الاخوة وابناء العم

ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمنا رسالتك المؤرخة في الثاني من الشهر الجاري وحمدنا الله سبحانه وتعالى على وصولك بالسلامة وعلمنـــا جميع ما جاء فيها ونقول تعليقا على هذه الرسالة :

شكرك واعترافك بما نقدمه لك وطلبك من الله سبحانه وتعالى انيقدرك على الوفاء سرنـــا كثيرا ونرجو الله أن يحقق لــك ذلك لا لاننـــا نريد أن نسترد مـــا قدمناه بــل نريده محبة لــك آملين أن يرزقك الله بأولاد بارين بك يردون لك ما اسلفت لهم طاعة وبر آ بك انه سميع مجيب . اما نحن فاننـــا نعتبر جميع ما نقوم به تجاه اولادنا واهلنا ودولتنا ومجتمعنا ووطننا واجبا من الواجبات والواجب يأتي بمقام الفرض . . . واننا نطلب من الله عز وجل أن يديم علينا الصحة والعافية والامان حتى نتم الرسالة التـــي خلقنـــا لأجلها في هـــذه الحيـــاة الفانية . فكل انســان لم يؤت به الى هـــذه الدنيا عبثا بل خلقــه الله سبحانه وتعالى لاداء رسالة والقيام بواجب ، وكل تحذير ورد في الكتب السماوية ووجه الى البشرية عامـــة كان مفـــاده الحث على القيام بالواجب ، والويل ثـــم الويل لكل انسان لا يقوم بواجبه . قال تعالى في كتابه الكريم (انـــا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) وقال جلّ شأنه (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقال سبحانه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وهناك كثير من الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة التي تؤكـــد هـــذا المعنى . . . . ويا أبناءنا اذا وجدتمونا نشدد عليكم ونعيـــد النصائح والدروس فغايتنـــا من ذلك كلـــه ان ترسخ هذه النصائح والدروس فيأذهانكم وتستفيدوا منها.

انـــا نشدد ونكثر من النصائح والتوجيهات بدافع واحد هو حرصنا عليكم وحبنا لكم وسيأتي اليوم الذي سنترك فيه هذه الحياة الدنيا . سيأتي ذلك اليوم الـــذي سيمر عليكم فيـــه كثير من الامور التي كنـــا نلفت انظاركم اليها وعندها ستذكروننا بالخـــير وسنستفيد من ادعيتكم لنـــا وترحمكم علينـــا .

كنـــا غير تواقين الى سفرك لا الى المانيا ولا الى اميركا ولا الى اي بلد آخر وكنـــا نود ان نكتفي بالشهادة التي حصلت عليها لانك لوحصلت علىشهادةالدكتوراه فستظل تحتاج الى شهادة الحيـــاة تلك الشهادة التي تحصل عليها منجراء التعامل والاختلاط بالناس وطول التعامل والاختلاط . ولكننا لا ننكر هنا ان الانسان الذي يحملشهادات عالية يختصر الوقت للحصول على شهادة الحياة والمثال على ذلك قريب نأخذه ممـــا وصلنا اليـــه من شهادة الحياة بينما لو كنـــا نحمل شهادة علمية مثل شهادتك لاكتفينا بخمسة اعوام ، ولو كنـــا نحمل شهادة الدكتوراه لاكتفينـــا بعامـــين فقط للحصـــول على شهـــادة الحيـــاة .

ولا تنس ان هناك اختلافا في طباع الناس وطرقتفكيرهم وهذا الاختلاف له أسباب يطول شرحها ، ونحن نحمد الله سبحانه وتعالى أن لنـــا زملاء من التجار الذين عملوا في مهنتنـــا ذاتهـــا وفي غيرها من المهن وكانوا أكبر منـــا سنا ولا زال بعضهم حيا يرزق ويكد ويعمل ولكنهم لم يحصلوا على الشهادة التي حصلنا عليهـــا . وهناك أشخاص آخرون درسوا في المدارس وحصلوا على شهادات عالية ثم خرجوا الى مدرسة الحياة وقضوا فيها ما ينوف على الثلاثين عاما أو اكثر من ذلـــك ولكنهـــم لـــم يحصلوا على شهـــادة الحيـــاة . . . . .

وهنـــا نريد ان نبين لـــكم الاسباب الموصلة للنجاح والحصول على شهادة الحياة بأقرب وقت ممكن فنقول انـــه يكون بالاخلاص في العمل والصدق في المعاملة والوفـــاء بالوعـــد وعـــدم الحقد على الآخرين وحسن معاملتهم والايثار علىالنفس تجاه الآخرين أيا كانوا ، الوالد أو الوالدة أو الاشقاء أو الاعمام أو أولاد الاعمام أو الجيران أو الاقارب أو الاصحاب أو الغرباء . . . حتى الايثار على النفس تجاه الخصوم . نقول ذلك ونؤكد عليه لأن الايثار وعدم الانانية يوصل الانسان الى المقـــام الرفيع ويجعله محبوبا لـــدى كل من يحتك بهم أو يتعامل معهم . هذا ما اردت شرحه لك بايجاز حباً بك واقـــول لك أن عـــدم موافقتنا على سفرك كان رغبة مني لان تبقى عندنا في المحل فأنت لديـــك القابلية لان تتفهم الامور بدقة ولان تدير دفة العمل بنجاح . هـــذا من جهة ومن جهة اخرى اردنا ان نستفيد من وجودك قربنا لان صحتنا لم تعد تساعدنا على تحمل كافة الاعباء التي تفرضها علينـــا أعمالنا واردنا أن نستفيد من وجودنا الى جانبـــك ايضـــا

فيزداد تفهمك لدقائق الاعمال . ولقد وافقنا على سفرك لاننا لمسنا لديك رغبة في السفر ووافقنا على سفرك الى المانيا لتستفيد انت ولتفيد العائلة كلها حيث يصبح بين افراد العائلة من يتقن الالمانية طالما انك لم تحقق التنوع بالنسبة للاختصاصات العلمية فقد كان بودنا أن يكون بعضكم اطباء وبعضكم مهندسين وبعضكم الآخر اقتصاديين وهكذا . . . لا يسعنا الا ان ندعو لك بالتوفيق والنجاح فيما يختاره الله لكم فهو نعم المولى ونعم الموفق والهادي الى سواء السبيل .

حديثك عن نظام الدروس وعن الطعام وعن شهرة الاساتذة الذين لا يقبلون ان يتكلموا الا باللغة الالمانية حتى ولو كان الطالب الوافد وصل توآ الى بلدهم ولا يعرف كلمة واحدة من لغتهم ، هؤلاء الاساتذة الذين كلفوك أن تحفظ الدرسين اللذين سبق ان اخذهما زملاؤك قبل ان تصل انت الى المانيا . . . هذا الحديث يجعلنا نعيد الى اذهانك قول من قال : إفرح لمن يبكيك ولا تفرح لمن يضحكك لان الذي يبكيك يريد ان يجعل منك رجلاناجحا بكل ما في هذه الكلمة من معنى . . .

ولدنا الحبيب : قرات في رسالتك قولك أن المدرسة بعيدة عن المدينة ويقيم الطلاب فيها خلال فترة الدراسة وهذا امر جيد من شأنه ان يفسح المجال امام الطالب لان يتفرغ لدراسته وينصرف اليها بكل قدراته فيختصر الوقت لصالحه لتحقيق اهدافه بسهولة ويسر فينهي دراسته في مدة قصيرة . وخير ما قرأناه في رسالتك وسررنا فيه قولك عن راتب انه مثال الاخ الحنون . . . سررنا من هذه العبارة لاننا علمنا انكم اصبحتم تدركون الحقيقة وتبتعدون عن الخيال . والذي نرجوه من الله سبحانه وتعالى ان يوفق بينكم جميعا اخوة وابناء عم حتى تكونوا مثالا للحب والتفاهم بين ابناء مجتمعكم وحتى تفتخر العائلة بكم . اطلت في الكتابة قليلا واطلب منك أن تحفظ ما جاء في هذه الرسالة في صدرك وتطبقه ثم تحفظ الرسالة كلها في انفس واثمن ما تقتنيه من كتب علمية ودراسية لترجع الى ما جاء فيها عندما تكبر وتخرج الى الحياة العملية فتتذكرنا بخير وسلام .

ابو راتب

دمشق في ١٩٦٧/١١/٢٧ — بعد التخرج وخلال ممارسة العمل ...

بيروت — لبنان — معلم وخبير اقتصادي

ولدي الدكتور راتب الشلاح ، بعد تقبيل الوجنات

استلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٦٧/١١/٢٣ وعلمت كل ما جاء فيها .

حديثك عن الاسترليني قرأته بامعان واقتنعت بالحجج التي ذكرتها ، تلك الحجج القوية التي لا تدع مجالا لاي شخص الا أن يقتنع بها ويتقبلها . ولكنني اذا أردت أن أذكر قناعتي الخاصة بما حدث فانني لم أقبل به ويكفي ان ارد على ناحية واحدة مما ذكرت واترك النواحي المتبقية كلها ؛ هذه الناحية تبرز في قولك « رغم تخوفنا وقلقنا كنا غير مستعدين لدخول المضاربات ... اننا لسنا مندفعين لدرجة التهور لنبيع على المكشوف ... ثم ذكرك للنزول والصعود وغير ذلك » .

وأقول نحن لا نريد المضاربة ولا نريد البيع على المكشوف وانما نبيع ما هو موجود لدينا وفي حوزتنا وهذا ليس مضاربة وتهورا وينطبق على قواعد البيع الصحيحة . فقبض مبلغ اربعة آلاف وخمسمائة جنيه كان قبل نزول قيمة الجنيه بعدة أيام ، ووجود نقد سوري نتعامل به لا يعني بالضرورة أن تبقي ما لديك من جنيهات ولا تحولها الى نقد سوري . بيع الدفعة الاولى من العدس والقمر الدين الذي سلمت مستنداته (بوالصه) للمصرف كان بالامكان بيع ما حصلت عليه من ثمن هذه الصفقة بالجنيه الاسترليني بنقد لبناني وحفظ الثمن حتى يحين موعد الدفع وعلى مسؤولية المشتري .

وعلى الرغم من اعتقادي أن ماحدث مكتوب ومقدّر وليس منه مهرب وان ما خسرته كان سيذهب بطريقة ثانية ان لم يذهب بهذه الطريقة فانني أقول أن على الانسان أن يسعى وأن ينفذ ما هو مقتنع به دون تردد أو تأخر . والآن انا اعتقد بأنه سيحصل تنزيل آخر بالنسبة للجنيه الاسترليني إن عاجلا أو آجلا اذا بقيت أميركا مصرة على تهديم بريطانيا وارباك اقتصادها ولا سيما ان قناة السويس ستبقى مغلقة ولن تفتح حتى لو حلت قضية الشرق الاوسط ، وهذا يسبب اضرارا مادية بالنسبة لبريطانيا . اما الدولار فلن تنزل قيمته كما أن قيمة الذهب لن تنزل ايضا لأن أميركا

لا تريـد ذلك محافظة على اقتصادها وقوتها وسمعتها . هذا رايي ولربما يقع ما هـو مخالف لـه والله أعلـم .

البرقية التي طلبتها منك والتي لم تعلمنا بها حين وصولها وصلتنا ولكنني لا أعرف ردك عليها ثم أنني لا أعرف رأيك بالنسبة لهذا الموضوع أو بالنسبـة لموضوع راشـد كمـا انني لا أعرف شيئا عن العمل الذي ستقوم به في الرياض حيث وجدت أنه مذكور على البرقية عبـارة (حكومي) . وعلمت أنه يسمح لك بفتح مكتب استشاري كمـا يسمح لك بالتدريس في الجامعة ومع ذلك كلـه لم تتضح لنـا طبيعـة العمل الـذي ستقوم به . ارجع واقول اخبرني عن رايك بالموضوع من اساسه والذي استنتجه أنـا انه ليس لك رغبـة فيالعمل في الرياض او الكويت لأن البرقية وصلت منذ شهر تقريبا ولم تعلمني بوصولها كمـا أنك لم ترد عليها . وفي رسالتك الاخيرة تذكر عروض العمل وتحمد الله عليها دون أي شرح أو تعليق ومن هنا وصلت الى ما استنتجته من عـدم رغبتك في العمل في الرياض او الكويت . . . فلو كان موقفك هـذا سببـه حبك لنـا ولأن تكون قريبا منـا فانك لم تزرنـا طيلـة هـذا العـام الا لماما الامر الذي جعلنـا نشعر بأنك بعيـد عنـا كما لو كنت تعيش في الرياض أو في الكويت ، ولو لـم يسعفنا الحظ بسفرة المؤتمر الى بغداد وبسفرة الى بيروت لمـا شاهدتك . حصل هـذا وانت تعيش في بيروت بينما لو كنت تعيش في الرياض او في الكويت لتوقعت زيارتك لنـا كل ثلاثة اشهر ولمدةاسبوع في كل مرة على أقل تقدير .

ولدي الحبيب قرأت رسالتك الاولى بروية وتمعن وعرفت كل ما يدور فيها مـن افكار رغم الايجاز الذي سيطر على الرسالة لانني أعرف جيدا ما في قلبك وما تنطوي عليـه من عواطف نبيلة وأخلاق كريمة . وانا اقول لك أننا نريد مصلحتك قبـل كـل شيء آخر ، لذلك يجب عليك الا تهمل قضية المادة وهي الركن الاساسي الذي تقـوم عليـه الحيـاة . اقول هـذا وآمل أن تناقشني فيه فأنا اعلم انك لست طالب مـادة ولكن هذا غلط كبير لان الحيـاة تحتاج في قيامها واضطراد تقدمها الى المادة . فالكرم مثلا في حال عـدم وجود المـادة يزول ولا يعود لـه وجود بالنسبة لمن فقد المـادة . وقل الشيء نفسه بالنسبة لخلق التسامح أو العيش برفاهية أو تعليم الاولاد ، فهذه الامور كلهـا تحتاج الى المـادة . فالمال كما يقولون عصب الحياة ، وهل ينهض ويتقدم

من شلت اعصابه وخارت قواه ؟ ؟ ولتعلم أن السن الذي يساعد الانسان على جمع الثروة والحصول على المال لا يمتد الى اكثر من الفترة الواقعة بين الثلاثين والاربعين من العمر وفي أحيان اخرى قد تمتد هذه الفترة الى سن الخامسة والاربعين أو سن الخمسين على ابعد تقدير . . . وانا لا اريد ان تفلت هذه الفرصة من بين يديك وتترك ــ لا سمح الله ــ في نفسك ندما . انني احاول أن اسكت عن كل شيء واترك الامور تسير حسب رغبتك وحسب مشيئة الله جل وعلا ولكن حرصي عليك يجعلني دائما ابدي آرائي واسدي نصائحي فيجب ان تقرر الآن وتختار الطريق الذي تود أن تسلكه فلا يجوز ان يبقى الراشد يتردد عليك وله امل في ان تجيب طلبه . اعلم الرجل اذا كنت لا ترغب فيما يطلبه منك فليس جزاء من ابرق اليك من الرياض واكرمك وقدّرك حق قدرك ان تسكت طيلة هذه المدة ولا تجيبه . ضع برنامجا واضحا لاعمالك وتوكل على الله فالتردد آفة من الآفات التي تلتهم الوقت وتنهب الفرص التي قد يكون النجاح فيها . المهم قرّر شيئا . فاذا كنت تريد البقاء في بيروت مع الحصول على ساعات تدريس في الجامعة او غير الجامعة بالاضافةالىتدريس بضع ساعات في الجامعة السورية ايضا يتيح لك القيام بها ان تتردد على دمشق في كل اسبوع فتوكل على الله وابق في بيروت . واذا رايت ان الذهاب الى الرياض فيه فائدة اكبر فلا تتأخر عن الذهاب الى الرياض ولا سيما في الظروف الراهنة حيث توجد اعمال خارجية كثيرة في السعودية . هذا بالاضافة الى التدريس الذي يكسبك مركزا ممتازا بين الناس وخاصة وانت من اصحاب الروح المرحة والمزاح المحبب الى كل من تحتك به ، وقد ظهر ذلك جليا في تعاملك مع الناس وممارستك العمل في دمشق وبيروت . وهنا يحسن أن اذكر لك قول الشاعر :

فمن يتهيب صعود الجبال   يعش ابد الدهر بين الحفر

واذا كنت تريد ان تخفف عني بعض العناء والمشقة التي اتحملها من جراء أعمالنا الكثيرة فانني اقول : لقد عاهدت الله سبحانه وتعالى على الاستمرار في القيام بأعباء اعمالنا ما دمت املك العافية والقوة والفكر الصافي . وانني لا ارتاح الا بالاستمرار في العمل والعمل المتواصل ، ولولا قضية الزراعة وما تحتاج اليه من وقت وجهد لطوّرنا عملنا ووسعناه . فأنا لا اريد ان نسلك طريقة بعض المزارعين في تصريف المحصول

عن طريق الضمان فهو لا يأتي بالفائدة المرجوة بل ربما يسبب خسارة في كل موسم كما قد يسبب خسارة اخرى تظهر آثارها في المستقبل . وذلك لأن الضمان لا يدفع المبالغ المتفق عليها ويدعي انه خسر حتى ولو كان رابحا . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فالضمان لا يراعي سلامة الاشجار اثناء جني المحصول مما قد يحدث اضرارا بالنسبة لنا وبذلك تكون خسارة اخرى . اضف الى ذلك اننا نحقق وفرا لا يقل عن ٤٠٪ من نسبة المحصول وذلك بسبب اننا نجمع المحصول ونتصرف به كما نشاء وضمن حدود مصلحتنا وهذا الوفر هو الربح في الواقع ، فما يدفعه الضمان قد لا يغطي التكاليف التي ندفعها ومن هنا لا يمكن ان يتوفر لدينا وقت يسمح لنا بتطوير اعمالنا وتوسيعها .

ومن الامور التي تجبرنا على الاستمرار بالعمل اننا لا زلنا تحت عبء حمل ثقيل من النفقات التي لا بد منها ولا غنى عنها ونوضح هذه النفقات فيما يلي لتكون لديك الصورة الحقيقية عنها :

مبلغ (٤٥) خمسة واربعين الفا نفقات الدار من اجل الصرف على ثلاث عائلات بالاضافة الى ما يجب علينا أن ندفعه لنحافظ على سمعتنا ونكرم اقربائنا واصهارنا وهذا المبلغ لا يمكن تقليصه بشكل من الاشكال .

مبلغ (٤٠) اربعين الفا من الليرات السورية نفقات الزكاة وهو مبلغ لا يمكن تخفيضه ايضا بسبب الفرض الديني وبسبب المحافظة على سمعتنا ونظرة الناس الينا واملهم بنا ولا سيما من كان منهم بحاجة الى المساعدة ، وبسبب اننا نريد ان ندخر اكبر قدر من الاعمال الصالحة عند الله سبحانه وتعالى لنقابله بقلب سليم وبعمل خير وفير . وقد يرتفع ما ندفعه للزكاة في بعض السنين الى ستين أو سبعين الف ليرة سورية .

مبلغ (٨) ثمانية آلاف ليرة سورية نفقات السيارات التي تسهل اعمالنا الزراعية والتجارية والخيرية والاجتماعية . . .

مبلغ (٥٠) خمسين الف ليرة سورية نفقات الاولاد وكنا نامل ان تنقص هذه النفقات ولكنني الاحظ انها تزداد باستمرار فالكل يريدون أن يتعلموا ويا ليتهم

يستفيدون من العلم ويحصلون على شهادات علمية . وتعليم البعض يسبب لنا مشكلات ومتاعب اضافية عدا النفقات ولا سيما مع الجندية ونحن لا نعرف ماذا سيكون مصيرهم بعد نهاية هذا العام . ويا لها من فرحة وسرور بل يا لها من ترحة اذ بعد دفع نفقات التعليم والدروس الاضافية في مدى عشرة اعوام عن البعض كما ذكرنا يطلب هذا البعض لاداء خدمة العلم برتبة مجند عسكري لانه لم ينجح في دراسته وسيعيش عندها تحت سقف واحد مع من لم يدرسوا ولم تخسر عليهم عائلاتهم مالا وفي ذلك ما فيه من خسارة لنا وللوطن أيضا ، لأن المجند العالم صاحب الاختصاص النادر الممتاز يخدم جيش بلاده فعلا ، وذلك عندما يمارس اختصاصه العلمي ضمن اطار مؤسسات الجيش ، فيكون بذلك ضابطا ممتازا ومواطنا صالحا يعطي ويعطي ولا يكف عن العطاء ، ولا يكون فردا عاديا محدود القدرات محدود العطاء ويلاقي من المشقات ما يعجز عن تحمله . فيا لطيف الطف بنا واحفظنا من تقلبات الزمان .

مبلغ (٥) خمسة آلاف ليرة سورية مصروف الوالدة . اضف الى ذلك كله مصروف المحل والضرائب الحكومية ولا يوجد مقابل ذلك كله فيما لو آثرنا الراحة وقعدنا كما تريد على ما تبقى من واردات الاملاك وهو مبلغ لا يتجاوز ثلاثين او خمسة وثلاثين الف ليرة سنويا . لاننا كما تعلم قد بعنا قسما من أملاكنا وشغلنا بناء المهاجرين بالسكن ، فهذا العبء المالي المطلوب منا يفرض علينا العمل المتواصل والحركة المستمرة حتى نحصل على دخل من الزراعة نستعين به على تسديد المبالغ المذكورة سابقا . والزراعة كما تعلم تحتاج الى عمل دؤوب في الليل والنهار وفي الصيف والشتاء بل في سائر أيام السنة من تسميد الارض وفلاحتها ونكشها وزراعة ما يجب أن يزرع منها ثم مكافحة الحشرات الضارة . ثم يأتي جني المحصول وتعبئته وتخزينه ثم تصريفه فيما بعد ، ولا تنس تهيئة وسائط التعبئة والحفظ . كل هذا تعرفه واطلعت عليه عندما كنت عندنا في دمشق وانت تعاني منه كما نعاني منه نحن . لذلك فلن نزيد في الايضاح والبيان اكثر مما ذكرنا ، وما لجأنا الى حديثنا سابقا الا حرصا على مصلحتك وحبا بك .

ولدي الحبيب : اذا كنت ترى أن سفرك الى الرياض فيه نفع بالنسبة لك فنحن

نبارك هـذا السفر ونرضى عنـه ويحضر واحد منـا الى بيروت ليشرف على الاعمال ويبقى عمك أبو موفق وموفق في دمشق . ونحن نبارك ونرضى عـن سفر ابن عمـك موفق ليعمل في البلاد العربية اذا كنت ترى ذلك مناسبا وعندها يبقى عمك أبو موفق في دمشق ونكون نحن في بيروت . اما اذا كنت تفضل البقاء في بيروت فلا مانع يحـول دون ذلك بالنسبة لنـا ونحن نبارك ذلك ونرضى عنه ايضا على شرط الا تنقطع عنـا وعن التردد على دمشق لأن مجيئك الى دمشق ولو في فترات متقطعة ومتباعدة يدخل السرور على قلوبنا . . . واقول لـك اننـا حاليا لن نوسع أعمالنا الزراعية من جديد وانمـا سنصرف جهدنا الى اتمام ما كنا بدأنا بـه (في العدمل والزبداني) من الاعمال الضرورية التي لا يمكن الاستغناء عـن اتمامها .

واخيرا ، بالنسبة لرسالتك التي اردت ان تعبّر فيها عما يكنه قلبك من حب لنـا وتقدير لمواقفنا وتصرفاتنا تجاهك فنحن نعرف كل مـا في قلبك ونعرف كـل مـا في جوارحك وحتى ما قد تجهله انت ، فثقتنا بك كبيرة وحبنـا لك وحرصنا عليك أكبر واكبر . ولتعلم انـه ليس لنـا هدف مـن توضيحاتنا ونصائحنا وتوجيهاتنا سـوى مصلحتك واننـا نطلب من الله عز وجل أن يوفقك وان يجعلك دائمـا متمتعا بالراحـة والسرور والسعادة والصحة والعافية وأن يحبب بك الناس . ولكي لا يخطر في ذهنك شيء يقلقك من بعض العبارات التي وردت في رسالتي هذه أقول : ان كـل ما ورد في هذه الرسالة كتب بمداد المحبة لك والرضا منك ؛ رضا ينطلق من اعماق القلب لا يتمكن اي انسان أن يصفـه مهما أوتي من بلاغـة وبيـان ، ومحبة ليس فوقها الا محبة الله ورسوله . انهما رضا ومحبة لا تتصور انت ان احدا مـن الآباء غيرنا يحملهما لاولاده ، لهذا كلـه يمكنك أن تطمئن وتحمد الله سبحانه وتعالى على المنزلة الرفيعة التي تحتلها في قلوبنـا جميعا وحبذا لو كان هذا الشرح وهـذا التوضيح ممـا نتبادله ونتكلمـه مشافهة وعندها سيظهر لك من ملامحي عمق ما أريده لك من سعادة ومـا اكنه مـن محبـة وحرص . ولكنك تعرف ملامح وجهي عندما اتكلم وتعرف مـن هـذه الملامح مقدار حبي لـك ورضاي عليك . وختاما قبلاتي للوجنات الغالية التي لنـا عندهـا ديـون كثيرة ستلزم بدفعها عندما تأتي لزيارتنا . . . حماكم الله يا احباءنا من كل اذى وسوء وقبلاتنا لوجنات الاولاد العزيزين علينا الذين اصبحنا نشتاق لرؤيتهم . أفراد

العائلة كلهم مشتاقون اليك ولرؤيتك ولا سيما والدتك ام راتب التي تحتل مكانة عالية عنـد افراد العائلة كلهم ، اطال الله عمرها ومتعها بالصحة والعافية . وكلما عزمت على انهـاء هـذه الرسالة دفعني حرصي عليك وحبي لك الى اضافة بعض الاشياء الاخرى التي تفيدك وتوفر لك النجاح . والذي اريد ان اقوله قبل ان اختم كلامي : قبل اربعة أيـام من نهاية العام هيئوا الحسابات جميعها من اجل الجرد السنوي وهيئوا صورة عنهـا للسيد الشربتلي والف الف الله يرضى عليك .

أبـو راتـب

دمشق في ١٩٦٩/٣/٢٧	ـ الدراسة الجامعية توسع المدارك
بـيروت	ـ ثنـاء على راتب

ولدنـا غسـان الشلاح وفقه الله آمين ، بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين

استلمت رسالتك المؤرخة في ١٩٦٧/٣/٣ التي تهنئنا فيها بعيد الاضحى المبـارك وتعتذر عن عدم مجيئك الى دمشق بسبب الفحوص وضيق الوقت فنحن نقبل عذرك ونقر عملـك لانه لا يهمنـا الا جدّك واجتهادك ونجاحك ولا سيما انه قد فاتك كثـير مـن الاوقـات والسنين فيمـا مضى ...

بعد ذهابك الى بيروت وانتسـابك الى الجامعة الاميركية ووجـود اخيك الدكتور راتب في بيروت لم نعد ميالين الى الاكثار من ارسـال الرسائل اليك لعلمنا انك اصبحت الآن وانت في هـذه السن ومنتظم في سلك الدراسة الجامعية تقدر قيمة العلم وتقدر قيمة الوقت وتقدر قيمة المـال الذي ينفق على تعليمكم جميعا ، واخيرا وليس آخرا مقدار ما نتحمله من جهـد ومتاعب واثقال حتى نؤمن النفقات التي لا يتحملها الا اولو العزم من الرجال . وتعرف حق المعرفة ان الآباء الذين يؤثرون اولادهـم على انفسهم كمـا آثرنـا نحن هم قليلون جدا كمـا يجب ان تعرف قيمـة العلم ونتائجه الطيبـة بالنسبة لمن اخذ منـه بنصيب وافر ولا سيما بعـد ان شاهدت اخاك الدكتور راتب ومركزه التجاري والاجتماعي والاخلاقي فقد حصل على اعلى درجة علميـة مقرونـة بالاخلاق الفاضلة لأن العلم لا يكفي ، والعلم والاخلاق خلاّن وفيـّان يجب الاّ يفترقا وقـد قـال الشـاعر :

لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخلاق

وراتب على الرغم من وصوله الى هذا المركز الممتاز فانه لا يقابلنا مرة انا وعمه الا ويظهر لنا اجل احترام واعظم تقدير سواء اكنا وحدنا ام كنا في جمع حافل من الناس ، ولم يقبل ا نيبتعد عنا وقد تهيات له اعمال تدر عليه اموالا كثيرة في السعودية والكويت وعلى الرغم من اننا أصررنا عليه بالذهاب وقبول تلك الاعمال . وهو يترك بيروت كل اسبوع وفي يوم راحته ويزورنا في دمشق متحملا مشقة السفر ويلقي محاضرة في الجامعة لا تساوي أجرتها نفقات السفر ولكن لا يهمه ذلك طالما حصل على المطلوب وهو زيارتنا في دمشق وكل اسبوع ، ونحن نأتي على ذكر هذا الامر الذي تعرفه لا لنقول لك انك اقل من راتب حبا لنا وتعلقا بالقرب منا ولكن نذكر ذلك على سبيل المثال والذكرى تنفع المؤمنين .

ولدنا الحبيب : نحن نرغب في أن تصلنا رسالة منك توضح لنا فيها امورا تتعلق بدراستك وأول هذه الامور موعد حصولك على شهادة B A ثم بيّن لنا فيما اذا كنت ستكتفي بهذه الشهادة ام انك تريد أن تحصل على شهادات أخرى أعلى منها ومن بيروت طبعا . واذا قررت أن تتم دراستك هل ستعمل وتدرس ام انك ستتفرغ للدراسة ؟ وهل فكرت في الاعمال التي ستمارسها بعد حصولك على شهادة الـ B A هل هي في نطاق الوظائف الحكومية ام في نطاق الاعمال الحرة ؟ ثم اين ستعمل في سورية أو لبنان ام في بلد عربي آخر ؟ وهذه الامور يجب على الطالب ان يفكر بها وهو على أبواب التخرج . صحيح ان الامر بيد الله ولكن التفكير بالمستقبل ووضع الاساس والمخططات التي يجب أن يسير عليها الطالب بعد تخرجه امر هام . الجميع عندنا بخير والحمد لله يدعون لك بالنجاح ولا سيما والدتك وجدتك . قبلاتنا لوجنتيك ونحن بانتظار رسالة منك توضح لنا فيها الامور التي ذكرناها ، والله يرعاكم بعين رعايته وعنايته .

ابو راتب

دمشق في ١٩٧٤/١/٢٦

اميركا

ولدنا الدكتور بشار سكر وفقه الله آمين .

بعد تقبيل الوجنات اخذنا تحريرك المؤرخ ١٩٧٣/١٢/٢١ الذي وصل في ١٩٧٣/١٢/٣٠ وسبب تأخرنا بالجواب اننا كنا في البلاد المقدسة حيث ذهبنا للحج والزيارة بالسيارة المرسيدس واخذنا معنا مقطورة تتسع لأربعة اسرة مع كافة متمماتها وكنا نحن بدر الدين وشفيق والدكتور موفق والشيخ عبد الرحمن بركات ، وعدنا منذ اسبوع بسلامة الله تعالى شاكرين المولى على نعمه وتوفيقه . قرأنا تحريركم اكثر من مرة وسررنا جدا من الأمنية التي تطلبونها امنية الوفاء للوطن ، والقرب من الوالدين وكسب رضاهم ، والعمل على اغاثة مريض من أهل الوطن ، والقرب من الاهل والاقارب ، ضاربين عرض الحائط بالاغراءات التي ذكرتموها ، تاركين متاع الدنيا الحديثة والسيارة الضخمة والمال المغري / ٥٠ / الف دولار سنويا مع الزيارات السنوية . آخذين هذه الفرصة للتزود من علم الاميركان المتفوق على جميع الامم عائدين به تاركين جميع ما ذكر . اننا فخورون لأن نكون اخوالا لكم ولامثالكم ، حامدين الله تعالى بأن أمنيتنا تحققت . وتذكرون عندما حصلتم على الشهادة الثانوية وكانت العلامات لا تخولكم الدخول للطب واستشرتمونا وقلنا لكم من الضروري اعادتها والحصول على علامات تخولكم الدخول بالطب . وكم كان سرورنا عظيما بموافقتكم على ذلك وبقبولكم النصيحة ، ولم نذكر ولم نطالب ذلك الا لعلمنا ان اولى شهادات الاختصاص التي لها قيمة بوقتنا هذا هي الطب أولا والهندسة بجميع انواعها ثانيا . أولا من الناحية الاجتماعية وثانيا من الناحية المادية مع ان مدة الدراسة هي تقريبا واحدة ما عدا الطب الذي يحتاج الى عامين زيادة . واما من ناحية كلفة الدراسة فان الطب اقل كلفة لأن كلفة الاختصاص كلها يتحملها المدرس كما انتم عليه الآن . ولكن التوفيق من الله تعالى . فان شاء الله تتممون الاختصاص وتحصلون على الشهادة بتفوق وتعودون الينا والى الوطن سالمين ونرجوه تعالى ان يجعلنا من طويلي الاعمار ونحن بالصحة حتى نشبع انفسنا من سرورنا بكل من يصل الى المكانة اللائقة والمرموقة . ونكتفي الآن بهذا القدر راجين من الله أن يجعل التوفيق حليفكم وان تكون السيدة المصونة حرمكم

تدرس وتستفيد من هذه المدة من اية ناحية من نواحي العلم لتعود وهي كذلك تحمل الثقافة العالية لتضيفها الى أخلاقها العالية .

وأخيرا قبلات لوجناتكما حفظكما الله بحفظه ورعاكما برعايته آمين . الجميع بطرفنا بخير والحمد لله .

دمشق في ١٩٧٥/٤/١٩

حلب

ولدنا الغالي الاستاذ رياض سكر المحترم

بعد تقبيل وجنتيك الحلوتين ، حاولنا مرارا أن نحرر لك تحريرا لكي تحتفظ به كذكرى من جدك ولكي عندما تكبر ويصير عندك أولاد وأحفاد تقرأه لهم وتشعر بالفارق الكبير بين ما عليه انت الآن وأنت لا زلت بالدراسة وحفيدا لأم وحفيدا لأب ، وتقارن ذلك وقد أصبحت ابا ثم جدا وصار عندك ابناء وأحفاد . ولكن بعد ان وصلنا صباح هذا اليوم من الزبداني وجدنا تحريرا بمغلف على الطاولة ولدى فتحه وجدناه منك الى خالك محمد وبعد أن قراناه وجدنا بعض العبارات والالفاظ والاشارات الضمنية لا بد وأن نسأل عنها خالك محمد فاذا لم يجب عليها ان شاء الله نسألك عنها عند عودتك بالسلامة . سررنا لعبارتك التي تقول انك بعد فترة قصيرة ستنتهي من دراسة هذا العام وعندها تترك حلب نهائيا ومعنى ذلك أنك متيقن من نجاحك في آخر فحص وهذا ما يدعونا لأن نهنئك على هذا اليقين وهذا التفاؤل . واساس النجاح هو التفاؤل والاعتماد والتصميم . اما عن فرع هندسة الكهرباء الذي دخلت به طبعا هذا كان لضعف علاماتك مع ان الأمل كان أن تحصل على أعلى علامات لانه لا ينقصك شيء من الذكاء . ومع ذلك جميع العلوم الهندسية وجميع الاختصاصات اصبحت البلاد بحاجة اليها ولا سيما الكهرباء الذي يظن بعضهم انه اختصاص ليس له أهمية . ان البلاد لم تتمتع بالاعمال الكهربائية مثل البلاد الاخرى والهندسة الكهربائية سيأتي يوم يكون لها فيه الدور الاول وستكون هناك حاجة كبرى لامتصاص الاخصائيين بالكهرباء مهما كان عددهم . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الاساس بالحياة هو

التوفيق ، وأساس التوفيق هو رضــاء الوالدين ، وبدون رضاءالوالدين الحياةمتعبة. هناك قاعدة وشاهدناها مع الجميع في هذه المدة من الزمن حيث كانت معرفتنا وصلتنا مع جميع الطبقات . وكل من لم يقبّل أيادي والديه فانه بعد وفاتهما يقبّل أيادي كل الناس . وكل من يحترم والديه بعد وفاتهما يحترمه كل الناس . وجميع مـا تنظرونه من توفيقاتنا سببه رضاء الوالدين لاننا ما خالفناهم بأمر حتى ولو كنا نراه غير ما يريانه وكنـا نعتبر أنفسنا مخطئين وهما على حق . لذلك نوصيكم جميعا بالتواضع للوالدين واتبـاع جميع آرائهما وعدم مخالفتهما . امـا بخصوص مشروع دراسـة الكهربـاء ان شاء الله فيها الخير والبركة لانه بوقتنا هذا أصبح من الضروري ان كل بنـاء يشاد يلزم ان يكون مرفقا بمخطط لتمديدات الكهرباء ثم أن الكهرباء للآن لم يعمم الا في الجزء القليل من الريف وبعد انتهاء سد الفرات ستكون الكهربـاء معممـة في جميـع القرى السورية وهذا التوسع يلزمه خبراء ومهندسون لذلك مهما تخرج من المهندسين ستكون الحاجة اكثر وبلادنا لا زالت (بكرا) وهي بحاجة لجميع الاختصاصات . وأمام الشعب مشاريع كثيرة منهـا اجتماعية وزراعية وصناعية وطرقات وجسور وتنقيب وهنـاك مجال كبير للعمل لكافة فئـات الشعب وهي الحركة التي ستكون عندما ينتهي مشروع الفرات وما هي أحجام الانتاج التي ستزداد مـن جميـع الاصناف . فكن واثقا مـن **النجـاح والازدهار والعطـاء .**

دمشق في ١٩٧٩/١/٢٢

الكويـت

جناب حضرة ابن الخالة الدكتور محمد عزيز شكري المحترم

بعد السلام عليكم وتقبيل الوجنات لقد تطمنا عنكم من الوالدة المحترمة قبل سفرها الى القاهرة بعد أن عدنـا من الديار المقدسة حيث تفضل علينـا المولى من كرمـه في زيارة الاراضي المقدسة حيث تنجلي قلوبنا وتنشرح صدورنا ، لقـد حمدنـا الله على شفائكم بعـد اجراء عمليتين في الكويت ، الباري يتم فضلـه عليـكم بالشفـاء الكامل والصحة وتمـام العافية ويعطيكم قوة من عنده بقدر ما يعطيكم من حمل . هـذه هي

الدنيـــا كلها متاعب وهموم ولذتها بوجودها ، والراحة الوحيدة هي الرضـــاء والقبول وبذلك يتغلب على هذه المتاعب وهذه الهموم . ولا بد لنا من نصيحة بخصوص الوالد ان تعملوا لــه كل فترة ما بين ١٥ و ٢٠ يوما رسالة استعطاف وشوق وطلب رضـــاه وسؤاله عمـــا يلزمه من طرفكم بالاضافة الى اكرامه بالمـــال ولو قطعتم عـــن عيشـــكم حتى ولو كانت أوضاعه النفسـية المعروفة عندكم وعندنا لأن الرحلة قاربت على الانتهاء وهــذه هي الخزينة التي ترونها بعد وفاته . المـــال ليس لــه قيمة وزيادة التحمــل هــو الراسمال للحيـــاة وبقدر ما تتحمل تجده في الخزينة . وفي الحديث الشريف : (رضـــاء الوالدين كنز مخبوء لا يفتح الا بعد وفاتهما) فيا سعادة من فتـــح الخزينـــة وعبـــأ من هـــذه الكنوز . سامحونا اذا اطلنا ودائما طمنونا عن صحتكم وعرفونـــا عن كل خدمة بامكاننا تقديمها لـــكم متعكم الله بالصحة والعافية وحفظكم من كل سوء .

الجمعة في ١٩٧٧/٢/٢٨

كراتشي

الى صهرنا العزيز السيد خلدون الرملي المحترم

السـلام عليــكم ورحمة الله وبركاته وبعد : أولا نقبل وجناتكم وثانيـــا سررنـــا لمكالمتكم الهاتفية مرتين واخذنا تحريركم المؤرخ في ١٩٧٧/١/١٧ فحمدنا الله تعالى على وصولكم بالسلامة وبلغنا سلاماتكم الى الجميع وحتى الى الحفيد زكي (بيك) لكنــه لا زال حاملا عليك لأخذك رمزية حيث ان زكي متعلق جدا بعمته وصعب عليه سفرها وفراقها . اما بخصوص ملاقاتكم لنـــا وهذه الصدفة الجميلة التي ادت الى المصاهرة ثم حمدكم الله تعالى لأن رمزية جوهرة مكنونة وانكم سعيدون في حياتكم الزوجية وان يديمها الله عليكم لانها هي مبسوطة ايضا الى آخر ما جاء بتحريركم المذكــور وعليــه نجيب من يدري ان دعوة ستأتيني مـــن كوريا وان اقبلهـــا رغـــم مشاغلي ومواعيدي بالاضافة الى انني لا ارغب السفر الى جهات لا اعرف لغتها كما ان اولادي لهم مسـؤولية اعمـــال لا سيما الدكتور راتب وانا لا اريد ان يرافقني احد منهم بدون زوجته كل هذا يمنعني من السـفر وعـــدم قبول الدعوة . لكن هناك أمر مقدر من الله تعالى سيحصل

ويكون له سبب ، وهـذه هي ارادة الله نفذت وقبلت السفر ؛ وحاول راتب ان يضـع زيارة كراتشي وانا غير موافق ولكن ارادة الله فوق كل ارادة لقد تمت ارادته ان ننزل بالمطار وتمت قدرته ان نتحول من طائرة الى طائرة وتمت قدرته ان نلتقي بـكم وتتـم هذه المقابلة وينتج عنها هـذا اللقـاء ثم الطلب ثم الموافقة كل هذا حتى تأخذ منا هذه الجوهرة التي كنـا مقدرين أن تبقى حصتنا الى أن نترك هذه الدنيا ، لا سيما واننـا قاربنـا على الرحيل . فها هي تركتنا وغداً سيذهب صهرنا السيد ابو احمد وسيأخذ معه البنت (نفوسه) حيث طلبها اهلها وسنبقى وحدنـا وستبقى أم راتب وحدهـا وليس عندها سوى (الخرسا) التي لا تسمع الجرس . كـل هـذا حتى تبقى لتكون نصيبك وحـدك ولا تكون نصيب غـيرك لانك لا شك مرضي وموفق وتـستاهل هـذه الجوهرة . ولا نقول جوهرة لانها ابنتنا ولكننا نقول جوهرة لانها تستاهل هذا اللقب ونحمد الله تعـالى لانهـا ذهبت الى من يقدرهـا ويحفظها . لأن الجوهرة تبقى دائما محفوظة والحمد لله الذي اراد أن تكون نصيبك حتى تكون محفوظة . لقد توسمت الخير عندما فاتحتني بطلبها . لقد صدقتك بأنني لم أسأل عنك احدا . سألت قلبي وعيني وهما قليلا ما يكذباني . فالله يهنئكما أحدكما بالآخر ويوفقكما في حياتكما وأسأله أن يجعلها حيـاة مليئة بالسعادة لا سيما وأنكما تقدران الحياة وتفهمانها الفهم الحقيقي . وحيث أن الوقت ضيق والسيد نصوح السيروان كلمنا بالهاتف وقال اذا كانت هنـاك رسالة سيحضر ويأخذها لأن الطائرة ستقوم ليلا ؛ لذلك نأمل غض النظر بعدم اكمـال هـذا التحرير . ولم نكتب الـى رمزية ونقول لهـا هـذا لك ولـه لانكمـا اصبحتما جسمين بروح واحدة وسنحرر لـكم بعدها خطابا آخر . قبلاتنا لوجناتكما ، الجميع بشوق حفظكما الله بحفظه ورعاكما برعايتـه .

السيد حكمت ورجاء اللذان سيسافران غدا الى القامشلي يهديانكما تحياتهما .

دمشق في ١٩٧٨/٢/٧

نيويورك

ولدنا طارق الشلاح وفقه الله آمين .

بعد تقبيل الوجنات ، تسلمنا تحريرك المؤرخ ١٩٧٨/١/١٣ الذي شرحت بهقبولك النصائح التي كنت قدمتها لك حال وجودي في نيويورك في العام الماضي وأنك ستتابع انهاء الاطروحة حتى حزيران القادم لذلك لا يسعنا الا ان نواصل الدعاء لك ليلا ونهارا للوصول الى الاهداف التي تنشدها وننشدها نحن والتي هي غايتنا وأملنا وامنيتنا .

ونرجع ونقول لكم جميعا اخوة وابناء عم أن تكونوا يدا واحدة مع بعضكم البعض وأن يكن لا بد من ان تكون الاعمال فردية وجماعية . وهناك تجربة مرت معنا سابقا حيث بدأنا العمل بدر الدين وشفيق في عام ١٩٢٨ وفي عام ١٩٢٥ اندمجنا مع اخواننا أنور ورشاد ومحمد وبعدها في عام ١٩٤١ عدنا وانفصلنا عن بعضنا . غير أن كل هذه الاجزاءات لم تمنع من الألفة والمحبة والتكاتف .

هذا درس بسيط ، ولا ننكر اننا نحن بدر الدين وشفيق كنا على وفاق لكي نتمم هذه المرحلة الى ان نترك هذه الحياة ولكننا لا نقدر ان نفرضها على أولادنا . لأن الحياة الاجتماعية في هذا الوقت اختلفت عن السابق كثيرا لذلك تركنا المجال لأن يختص كل واحد بأن يعمل كما يريد وبدأ ذلك واختص راتب بعمل تحمل مسؤوليته بالرغم من انه قائم بأكبر قسط من اعمالنا ، ولا بد وأن يتم اختصاص لسواه لأن عملنا اصبح محدودا بفعالية واحدة وهي محصورة ببضاعة القمر الدين وتكسير البزر وتصديرهما وهذا العمل لا يكفي لهم جميعا وعليهم أن يخرجوا الى اعمال ثانية كما خرجنا من مهنة وساطة بيع الفاكهة والخضار الى تجارة كبيرة واسعة ومشكلة. ولكننا الآن لا يمكننا أن نرجع وندخل بفعاليات جديدة واصبحت صحتنا لا تساعد ووضعنا الاجتماعي لا يساعد والمسؤولية الملقاة على عاتقنا تجاه العائلة الكبيرة وتجاه المجتمع ومن الواجب أن يتحمل كل واحد منكم جزءا فرديا واجتماعيا اذا أمكن . هذا ما اردت منك الانتباه له وحتى كل واحد يعتمد على نفسه ولا يعتمد واحد على الآخر ولا ان يعتمد علينا بعد ان تحملنا هذه الاعمال طيلة ستين عاما ، وفقكم الله لما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة وحفظكم من كل سوء .

هــذا ويصعب علينــا أن نقول لــكم اننــا كنــا نأمل عند عودتكم وانهاء دراستكم أن تعودوا بالتخطيط الذي هو اصل العمل وا نتأتوا لنــا ببرنامج جديد للعمل بالنسبة لنــا ولــكم ولنغير وضعنــا واعمالنــا بمــا يتناسب مع هذا الوقت الذي تغيرت به الاعراف القديمة والخطط القديمة ولذلك نرجو ان تحققوا ذلك لمستقبلكم .

دمشق في ١٩٧٩/٤/٧

اميركا ـ هيوستن

ولدنــا الغالي الاستاذ غياث الشلاح وفقه الله وحفظه آمين .

بعــد تقبيل الوجنات استلمت تحريرك المؤرخ ١٩٧٩/٣/١٦ ببالغ السرور وفيــه تطمئنني عن وصول رسالتي المؤرخة ١٩٧٨/١٢/٩ وتعتذر عــن تقصيرك ولكنني لــم اتذكر انني حررت لك اية رسالة ، ولربما بدا عندي السهو لمــا احمله من اعباء مع ان الكثير من الاصدقاء والاصحاب حتى الأهل ينظرون اليّ نظرة من يعيش الحياة التامة والهادئة بالوقت الذي احمل فيه اضعاف ما يحملون . ولكن الفرق بيني وبينهم انــا رضيان بقضاء الله وقدره وهم يرون كل شيء لا يتوافق مع رغباتهم انه (ثقل وتعب) وهــذا هــو الفارق . وبكل الاحوال فاني لا اغفل عندما اضع راسي على المخدة لمــدة ساعة على الاقل وانــا خجلان من الله على نعمه عليّ وعلىفضله وكرمه والصحةوحدها كافية حيث وصلنا الى سن / ٧٤ / عاما ونحن نعمل / ١٨ / ساعة يوميا بدون كلــل ولا ملل . ثم محبة الناس وعطفهم عليّ . واكبر دليل على ذلك رسالتك هــذه التــي تركت في نفســي ثقــة للعمل طالما هناك من يقدر ذلك لأن هذه الرسالة كانت بلسماً على جرح وقد جاءت لتعطيني قوة ومثابرة رغم عجزي من متاعب الناس ومشاكل الناس . الحقيقــة اشرحها بدون مبالغة ولقــد كبرت في نظري أكثر بكثــير ممــا كنت اقدرك ، وهذان السطران اللذان اتيــا في رسالتك هذه ساحتفظ بهما وسأعيد قراءتهما حتى ابقى مثابرا على مــا انــا عليه . وما دمت تعرف وتقدر فكن على ثقة بأن لك مستقبلا زاهرا فالمثل يقول (لا يعرف الفضل الاّ ذووه) وانك من الافاضل ولو انك لا تشــعر بمكانتك الحالية ، انمــا هذه تنبيء عن خفايا أنت لا تشعر بها .

الخلاصة اقول شاكرا لك رسالتك مبلغا سلاماتك الى الجميع كل واحد باسمه .

بخصوص الاستاذ عاطف جمال الدين بلغوه سلاماتي . واريد ان اقول لك بأنني في هذا العام لم استقر في دمشق الا القليل حيث كان عندنا عدة مؤتمرات . أولا الهند ثم الباكستان . ثم العراق . ثم دبي مرتين . ثم السعودية . اضافة الى جولة كبيرة بالسعودية والآن لدي سفرة الى طرطوس ثم الى القامشلي ومن بعدها الى تشيكوسلوفاكيا وجنيف وفي آخر الشهر سفرة الى الرباط نرجو الله ان يعطينا القوة .

واخيرا قبلاتي لوجنتيك الحلوتين سائلا المولى عز وجل أن يجعلك من الموفقين في الدراسة والاعمال وفي جميع حياتك العائلية وحفظك الله بحفظه ورعاك برعايته آمين .

دمشق في ١٩٧٩/٦/٢٠

الكويت

ولدنا عصام سلو وفقه الله آمين .

بعد تقبيل الوجنات ، سبق من يومين أن حررت الك على عجلة كلمتين بسبب ضيق الوقت لسفر والدتك وأمس تسلمنا رسالتك المؤرخة في ١٩٧٩/٦/١ وهي متأخرة وبعد قراءتها علمنا مضمونها الذي يظهر رغبتك في الزواج وانك قد اخترت زميلة لك بالمدرسة وهي تليانية ، وتفيدونا أن الوقت مناسب من الناحية المادية التي لم توضحوها وهي قضية المهر وغلائه من جهة ومن ناحية العمل وانكم بدأتم به واصبح هناك دخل للنفقات الزوجية ، ثم تشرحون علاقتكم معها وكذلك تشرحون معرفتكم وثقتكم بها كل هذا علمناه وعليه نعرفكم :

أولا ـ نحن لا يهمنا سوى راحتك وسرورك وسبق لنا أن زوجنا أخوالك وأولاد عمومهم ولكن بدون ان نفرض عليهم اي عروس بل تركنا لهم الاختيار وعلينا الوساطة فقط ودفع النفقات قبل ان يستلم اي منهم اي عمل منتج ، بل اننا ما خلصنا من نفقات الدراسة الباهظة او حتى قبل أن نخلص الا ووافقناهم على الزواج والزوجة التي اختاروها وتحملنا بالاضافة الى ما ذكر نفقات الزوجة بالسفر اضافة لنفقات الزوج ، ثم تحملنا نفقات الفرش وليس الفرش فقط بل كذلك اعادة كسوة الدار حتى ولو كانت حالها لا بأس بها الى بورسلين جديد وابواب جديدة . والخلاصة كل

هـذا تحملنـاه ولا زلنـا نتحمل دون كلل ولا ملل ونعمل ليلا نهارا لتأمين المصاريف التي لها أول وليس لها آخر ، ومن الطبيعي نظن أن لا احد تحمل ما تحملناه .

ثانيا ـ نعـود لموضوع زواجك ، نحن ليس لنـا الا النصيحة وبعدها الامر عائـد لك . نحن لم نر احدا من الذين تزوجوا اجنبيات استراحوا لانهن في أول الامر يظهرن كل محاسنهن ومتى تملكن تظهر شرورهن وعندنا من الامثلة الكثير ولا يمكننا شرحها ، بل نكتفي بواحد قريب علينـا درس في اميركا واحضر معه زوجـة اميركانية وانجبت لـه بنتين وفي ليلـة وبدون علم احد اخذت البنتين وسافرت ولا أحد يعلم عنها شيء . ثم انه بالشام ليست كل المهور غالية ، هناك عائلات طيبة ومهور قليلـة ونتائـج زواج مريحة . هذا بالاضافة الى اننـا عرّفنـاك بالتحرير المـاضي أن لا تحمـل هـم المهر والمصروف علينـا ، وبعد كل هذا الايضاح بقيت الامور معلقة بـك من جهة ومعلقـة بالنصيب من جهـة اخرى ومعلقة بالحظ ، لذلك نحن عرّفناك راينـا ولا نريـد ان نجزم بعدم الموافقة وبتحريرك يظهر الاصرار والاعتماد . انمـا نرجع ونقول البـاري يختـار لك ما فيه رضاه ويلهمك الصواب والحكمة ولا يتعبك انت واخـاك وجميـع المسلمين . تذكر اننـا زوجنا شقيقاتك ولم نأخذ اي مهر وقبلنا اخلاق الزوج وعائلته ونحمد الله كنا موفقين بالاختيار على الرغم من انه كان هناك من يقول أن نطلب مهورا ونعمل شروطا طويلة عريضة . هذا ما لزم ايضاحه، الباري يجعل التوفيق حليفكم جميعا ودمتم .

* * *

رحلات

إلى العالم الفسيح

الـــرحـــــــلات

في قصص الرحلات التي خصصت لها مكانا كبيرا في هــذه المذكرات اروي لابنــاء وطني حكايــة احتكاكي لاول مرة بالعــالم الفسيح خارج نطــاق بلادنــا العربيـــة . وسيلاحظ القارىء الكريم انني ولو سلكت فيها سبيل السواح الذين يهمهم الاطــلاع على المتاحف والاشياء الجميلة ، الا انني كنت ابحث فيهــا ايضا عــن اشياء جديــدة ومفيدة لوطني ولعملي اتعلمها واستفيد من لبابها طارحا القشور . واعتقــد ان القارىء سيسليه ويمتعـــه ان يطير الى انحاء العالم على صفحات هذا الكتاب ، وان يرى كيف كنت استهدف معرفــة البيئــة التحتية للاقتصاد في المجــالات التــي تهمني ، بحيث كانت زيارة سوق الهال مثلا في اي بلــد من اول مــا افعلــه لارى كيف يموّن العــالم المتقــدم بالاغذية . ان هـــذا القسم من المذكرات انمــا كتبته لاقدم صورة عن العالم من منظور عربي مؤمن يرى الحكمــة ضالتـــه ويطلبها في كــل مكان ، وسترون كيف اختلفت الامور في هذه السنوات التي اربت على خمس واربعين سنــة ، وكيف كــان الفرنك الفرنسي آنذاك يعادل قرشا سوريا واحدا ، والبرتــا بمئــة فرنك ، فسبحان مغيّر الاحـــوال ، والعبرة واضحـــة !

الرحلـــــة الأولــــى

رحلـة انكلترا وأوربا ١٩٥٤/٦/٢٢ ــ ١٩٥٤/٨/٢٣

انكلترا ــ فرنسا ــ بلجيكا ــ هولاندا ــ المانيا ــ سويسرا ــ ايطاليا

ــ ١ ــ

الى بريطانيا التي كانت صاحبة امبراطوية لا تغيب عنها الشمس

راتب وموفق في بريطانيا يدرسان هناك ، ووجودهما شجعنا على ان نقوم برحلـة نزور فيها بريطانيا وأوربا الغربية ، الامر الذي نفكر به ونتوق اليه منذ امد بعيـــد .

فالرحلات بالنسبة الينــا فيهــا اشباع لرغبــة حب الاستطلاع التــي تأصلت في نفوسنا منــذ الصغر ، وفيها ايضا توطيد لاعمالنا التجارية في البلدان التي سنزورها ، وفيهــا علاوة على ذلك كله اطلاع على نتائج العلوم والتقدم العلمي . فنحن نحب ان نعوض عن تحصيل علوم العصر ومعارفه بالاطلاع على النتائــج التــي قطف الانسان الاوربي ثمارها يانعــة وراح يبدع كل ما هو جميل ومريح .

ثم ان وجود ولدينــا في تلك الربوع سيجعل رحلتنا موفقة ومريحة ، اضف الــى ذلك انهمــا سيستأنســان بوجودنا معهما وسيطلعان على بلاد جديدة غــير البلاد التــي يتلقيــان تحصيلهما العالي فيها .

فلنشد الرحال اذن ، ولنهيــأ جوازا سفر ، ولنأخذ التأشيرات من سفارات الدول التي سنزورها في رحلتنا . وهذا ما حصل وكانت رفيقتي في هذه الرحلة أم راتب .

الثلاثاء ١٩٥٤/٦/٢٢ : توجهت صباحا الى مطار دمشق في المزة وكان معي زوجتي أم راتب التي سترافقني في هذه الرحلة ، كما كان معي لوداعنا والدتي واخي شفيق. وفي المطار التقينــا لفيفا من الاصدقاء المودعين اذكر منهم : الاستاذ عبدالرحمن الطباع مدير أوقــاف دمشق والشيخ أبــو اليسر عابدين مفتي الجمهورية العربيــة السورية والشيخ احمــد الدقر والمهندس خليل الفرا والسيد زكي قطنــا . وفي غمرة الوداع وزحمة التعبير عــن المشاعر الرقيقة التي يبديها الانسان عندما يودع اهله واصدقاءه سمعت حديثا يدور بين المودعين . بناء على سؤال من الشيخ ابي اليسر عابدين والشيخ

احمد الدقروجهاه الىالاستاذ عبدالرحمنالطباع : هل صحيح ان ابا راتب سيصطحب زوجته معه في هذه الرحلة التي سيزور خلالها بلدانا متعددة في اوربا ؟ ! فاجابهم الاستاذ الطباع : نعم ستذهب أم راتب مع أبي راتب . وعندما لمست استغرابهما وسمعت قولهما للاستاذ الطباع : اننا لا نكاد نصدق هذا فأبو راتب حريص على التمسك بأهداب الدين الحنيف ، عندها اشتركت معهم في الحديث وكان اول ما قلته : نعم ام راتب ستكون معي في هذه الرحلة . ولما شعرت انهم يريدون الاستزادة من حديثي ليعرفوا وجهة نظري حول هذا الموضوع استرسلت في الحديث وقلت :

ما الذي يمنع من ذهابها معي وقد أعددت لها مناديل (ايشاربات) لتلبسها وتغطي شعرها ، ولباسها مستور والحمد لله ، وهي لا تسافر وحدها بل تسافر مع زوجها وهذا يوافق ما جاء في الدين الذي اشترط لسفر المراة أن يكون معها زوج أو محرم ؟ ثم انني ايها الاخوة اردت اناعوض على امراتب بعض ما فاتها فمنذ زواجنا لم نذهب الى أي مكان للنزهة او للراحة بل كان زوجها بدر الدين في صباح يومالعرس على راس عمله فيالمحل يبيع الخضار والفاكهة وما اليها ، وامراتب هيالاخرى مارست أعمالها المعتادة في صباح اليوم ذاته . وأمضت عمرها بعد ذلك بالطبخ والنفخ وغسل الملابس باليدين حيث كانت تجلس الساعات الطوال وراء طبق الغسيل . وليس هذا فحسب بل كان عليها ان تعد العجين وتشطف أرض الدار وتشارك حماتها في اعداد الطعام كما كان عليها ايضا ان تنظف الصحون والطناجر وهذا غيض من فيض مما كانتتقومبه ام راتب ومثيلاتها في بيت الزوجية لتكسب رضى زوجها واهل زوجها . . انني اريد ان ارد لأم راتب بعض الجميل حتى لا تأسف على انها لم تذهب في شهر عسل . ان أخذي لها في هذه الرحلة سيرد لها بعض الاعتبار امام أولادها وزوجات أولادها الذين سيقومون برحلات جميلة بعد زواجهم مباشرة . فسامحوني أيها الاخوة وادعوا لي بالتوفيق ... وشعرت انهم كانوا مسرورين من حديثي وقالوا لي سافر بالسلامة .

ولما انطلقنا معاً من دمشق كان كل منا ينظر بعين الى الوراء حيث الوطن ومرابع الصبا وامجاد الآباء والاجداد ، وحيث الاهل والاحبة والاصدقاء ، وينظر بعين الى الامام حيث بلاد الحضارة ، حيث اوربا بما تحمل هذه الكلمة من سحر بالنسبة

للشرقيين ، ذلك السحر الذي كان يعلق في ذهن الاوربيين عندما يذكر امامهم الشرق او يزورون الشرق ، شرق الرشيد والمأمون ، شرق عبد الملك بن مروان ، شرق عمر بن الخطاب ، شرق امتي العربية التي حملت مشعل الحضارة حقباً من الزمن كانت اوربا خلالها تغط في نوم عميق !

انطلقنا بعون الله وتوفيقه ، اثنان من دمشق أبو راتب وام راتب ، وسينضم الينا اثنان من لندن هما راتب الحبيب وموفق الحبيب ابن الحبيب .

غادرنا دمشق شاكرين للاصدقاء وداعهم ، وكانت الساعة في حدود السابعة والنصف . وصلنا اثينا بعد مضي ثلاث ساعات وعشرين دقيقة ، ومن اثينا عاصمة بلاد الاغريق الى روما عاصمة الاباطرة الذين ورثوا مجد اليونان وتركوا في بلاد الشرق آثارا عظيمة ، وبعد روما يممنا وجهنا شطر نيس فأمستردام ، وبعد امستردام كانت القفزة الاخيرة الى لندن عاصمة بلاد الانكليز على طائرة ذات محركين .

في مطار لندن معاملة حسنة وسرعة في انجاز المعاملات . وموظفو الامن والجمارك قابلونا بالبشاشة والترحيب وأنجزوا معاملاتنا بسرعة لا توصف ، واجتمعنا بموفق وراتب اللذين كانا في غرفة الانتظار وقد احضرا سيارة استأجراها لليلة واحدة ، فحملنا عليها متاعنا الى الفندق الذي اختاراه لنزولنا .

ومن الجدير بالذكر أن الجمارك البريطانية سمحت لنا بادخال علب الدخان التي حملناها معنا على كثرتها دون ملاحظة .

ما اجمل منظر لندن ليلا من الطائرة . يخيل للناظر انه فوق عدة مدن اتصل بعضها ببعض ، ثم ها نحن في شوارعها والفندق ، والى الغد .

في ربوع الجزر البريطانية

الاربعاء ١٩٥٤/٦/٢٣ : افتتحنا زيارتنا لندن اليوم بزيارة بنك لويد ، ثم شاهدنا حفلة رقص وتزلج على الجليد الاصطناعي ، وكنا بين سبعة آلاف متفرج اجتمعوا في قاعة واسعة ليس فيها اعمدة ، اما عدد المشتركين في العرض فكان يربو على المئة . هذه طلائع الدهشة ، ولنتابع :

الخميس ١٩٥٤/٦/٢٤ : في هذا اليوم قمنا بزيارات عمل واطلاع على معالم لندن ، وقابلنا (تايمز) من أجل القمر الدين بناء على موعد مسبق ، ودار الحديث حول هذه المادة وسواها مما نصدره الى بلاد الانكليز ، وطلب منا مزيدا من المساطر والعينات من المواد التي دار حولها الحديث . وبعد أن ودعناه قمنا بجولة على الاقدام زرنا خلالها قلب المدينة وساحةبيكاديللي وتزودنا بطعام نأكله في وجبة الغداء .

مهارة فائقة في عرض البضائع

وكان مما لفت انظارنا في جولتنا هذه مهارة التاجر اللندني في عرض البضائع في واجهات المحلات . فقد كان العرض يتغير ثلاث مرات في كل يوم ، أضف الى ذلك ان التجار يستبدلون البضائع الشتوية بالبضائع الصيفية عندما يصبح الجو ماطرا ، ثم يعيدون الكرة عندما يصحو الجو فيضعون البضائع الصيفية . ثم هم علاوة علىذلك يغيرون المعروضات تبعا لحركة مرور الناس التي تتغير بين اول النهار وآخره . فالبضائع موجهة الى المارة دائما ولا تحوي الواجهات الا ما يلائم الطقس السائد والوقت .

الى السفارة السورية / معرض الشمع / هايدبارك

وفي الخامسة من بعد ظهر هذا اليوم زرنا السفارة السورية بلندن حيث استقبلنا فائز بك الخوري ورفقته الشاعر الاستاذ نزار القباني الذي كان يعمل في السلك الديبلوماسي السوري آنذاك ، وكانت مقابلة لطيفة ملأى بالحفاوة أعادت الينا جو دمشق المحبب ونحن في قلب العاصمة البريطانية .

وبعد زيارة السفارة السورية ذهبنا الى معرض الشمع الذي يضم تماثيللعظماء بريطانيا واوربا والعالم منذ عدة قرون ، وهذه التماثيل مصنوعة من الشمع وبالحجم الطبيعي لاصحابها وقد صممت بمهارة ودقة وذوق فترى صاحب التمثال امامك جالسا او واقفا وكأنه حي ويكاد ينطق بالكلام . وفي هذا المعرض مشاهير في اجوائهم الطبيعية ، ولقد ترى بينهم بعض المجرمين ممن يتذاكر الناس أسماءهم ، فالجولة في المعرض جولة في التاريخ ، وتصاحب هذه التماثيل والاجواء اضاءة مناسبة تتراوح بين البهجة والرهبة ، فمرة يحس الانسان فيها انه في قمة الفرح

مع الفرحين ، ومرة يكاد ينخلع قلبه من الخوف . معرض عجيب ، ولا اعتقد ان انسانا زار لندن ولم يجعله في مقدمة ما يحب ان يراه ، فلقد طارت شهرته في الآفاق ، وهو منسوب الى سيدة فرنسية اسمها مدام توسّو ، هي التي بدات المعرض ثم صار بعد وفاتها في أيدي فنانين آخرين يبدّلون الشخصيات أو بالاحرى يضيفون اليها من اشتهروا من جديد .

وبعد ان خرجنا واسترحنا قليلا في حديقة (ريجنت بارك) انتقلنا الى حديقة اخرى كبيرة وشهيرة في العالم بأسره هي حديقة(هايدبارك) . مساحتها هائلة وتعادل خمسة عشر الف دونم ، والناس يزورونها بكثرة ، ولكن شهرتها التي ميزتها عن سائر حدائق لندن الاخرى الواسعة انها تعتبر منبرا حرا لكل من يريد الكلام عن قضايا بريطانيا والعالم بأسره ، فلا يعارض المتكلم احد ولا يمنعه من الكلام احد ويقول ما يريد بحرية كاملة ، ولقد تجري مناقشة بينه وبين من يستمعون اليه ، والمناقشون احرار فيما يقولون ، وكل ذلك يجري على مسمع ومرأى من الحكومة البريطانية التي تراقب ولا تتدخل ولا تحاول ان تمنع احدا من الكلام !

وكانت زيارة هذه الحديقة الشهيرة ، والتي كانت انباؤها تصل الينا ونحن في دمشق ، ختاما طيبا ولطيفا لهذا اليوم الثاني من أيام الزيارة الانكليزية !

الى اوكسفورد

الجمعة ١٩٥٤/٦/٢٥ : وقد بدانا بعد ذلك بزيارة اوكسفورد حيث يدرس راتب في اعرق جامعات بريطانيا واكثرها شهرة في العالم كله . وكان راتب قد توجه لاستلام سيارة جديدة من (كنز) اشتريناها لنستعملها في رحلتنا في بريطانيا وأوربا ، وذهبت انا وموفق الى بيكاديلي للتسوق ، وفي مدى ثلاث دقائق فقط حصلنا على شهادة سوق دولية ، ثم وضعنا بعض الرسائل في البريد . ومن ثم راجعنا مؤسسة A. A السياحية واشتركنا في رحلاتها ، وهي مؤسسة تخدم زوار بريطانيا واوربا تقدم لهم الخرائط والمعلومات وتعطيهم ارشادات بشأن الطرق والمدن والفنادق . ان لهذه المؤسسة صناديق موزعة على اطراف الطرقات العامة المنتشرة في طول البلاد وعرضها وحين يفتحها المشترك يتصل بالمؤسسة فترسل اليه في الحال شخصا يمتطي دراجة

نارية يسعف طلبه وينصرف . ولذلك فقد اشتركنا بهذا ودفعنا في ذلك مبلغا زهيدا اذا قيس بالخدمات التي تقدمها واخذنا مفتاحا لأي واحد من هذه الصناديق .

ثم عدنا الى الفندق واجتمعنا براتب وتناولنا غداء تركيا دسما كان من اطباقه الفاصوليا والرز وتوابعهما . وبعد ذلك استلمنا السيارة التي اشتريناها فشعرنا أن بها خللا فرددناها الى البائع الذي وعد باصلاح الخلل خلال ساعتين . ولكن لما كنا هيأنا امتعتنا ولا وقت لدينا فقد قدم لنا سيارة على سبيل الاعارة وبلا مقابل لنتم بها جولتنا التي تستغرق خمسة ايام نقطع خلالها ٥٥٢ ميلا على ان نعود بها فنجد سيارتنا جاهزة .

وقد توجهنا فعلا الى اوكسفورد آخذين طريقا غارقا فيالخضرةوالمناظر الخلابة، فوصلناها في الساعة الثامنة . وكانت جولة في الكلية التي يدرس فيها راتب ، وهي واحدة من ست وعشرين كلية تتألف منها جامعة اوكسفورد ، وهذه الكلية مكونة من ابنية متعددة تفصل بينها حدائق مكسوة بالخضرة ومزدانة باجمل انواع الزهور والورود . وقد زرنا شقة راتب المؤلفة من غرفة للنوم واخرى للمطالعة والاستقبال وهي مجهزة بالتدفئة المركزية وتضم أحسن المفروشات . وانتهى بذلك يوم حافل جميل ومتعب .

اوكسفورد ـ المدينة وضواحيها

السبت ١٩٥٤/٦/٢٦ : بدأ يومنا بزيارة قام بها الدكتور مصطفى البارودي ، وكنا امس زرناه قبل أن نلجأ الى فندقنا . وقد جاء يدعونا لطعام الغداء ولكننا اعتذرنا وذهبنا لزيارة قصر بلنهام وهو قصر جد تشرشل دوق مابرا . في هذا القصر ولد تشرشل السياسي البريطاني المشهور ورئيس وزراء بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية ، وتحيط به حدائق واسعة تتراوح مساحتها بين عشرة آلاف دونم وخمسة عشر الفا ، وفيه بحيرة كبيرة . وكانت عائلة تشرشل تسكن في قسم من هذا القصر في حين خصص القسم الآخر للزوار . والزائر يدفع لدخول القصر مبلغا من المال ، فيرى فيه القاعاتالفخمة المختلفة . وقد احتفظ به الانكليز ضمن خطتهم في المحافظة على تراثهم وتقاليدهم التي لا يتخلون عنها الا في النادر وبصعوبة بالغة . ويقع هذا القصر في قرية تبعد عن اوكسفورد مسافة عشرة أميال .

اخذنـا في القصر صورا تذكارية ثم غادرناه وتناولنا طعام الفداء في مطعم القرية نفسها ، وهو مطعم غاية في الجمال والنظافة وحسن الترتيب ، وصحبنا في غدائنـا الدكتور البارودي . ثم عدنـا ادراجنا الى اوكسفورد المدينة حيث اخذ راتب ما يلزمه من حاجات وكتب وترك ما لا يريده في الكلية . وبعد ان اخذنا صورا تذكارية اخذنـا السيـارة متجهين الى مانشستر حيث يدرس موفق . وكان الطريق اليها يضم المزارع العديدة ، ويميزه النظـام والجمال الأخاذ ، فضلا عن الانتـاج الضخم ، وان الريف هنـا يعيش اهلـه كما يعيش اهل المدن تماما .

بعد ان غادرنـا مدينة اوكسفورد وقطعنا ١٥٣ ميـلا وصلنا الى قريـة اسمهـا (وورنتون) ونزلنـا في فندق (هلكف) وهو معتدل الاجرة بالنسبة لفنادق مدينـة لندن فلا تزيد أجرة مبيت الشخص على ١٨ شلن بينما يتقاضى فندق لندن عشرين ، علمـاً أن فنـدق وورنتون اجمـل وانظف واحسن فرشـاً ، وهو هادىء تحيط بـه حديقـة كبـيرة .

والطريق بين اوكسفورد ووورنتون جميل يأخذ الالباب بخضرته التي تغمر الطريق كلـه وتتجلى في الغابات والحدائق والمزارع والقرى التي يتصل بعضهـا ببعض حتى خيل الينـا اننـا مررنا بقرية واحدة . وكان لباس الناس الذين شهدناهم متشابهـا ولا يفترق عـن لباس اللندنيين ، وقل الشيء نفسه عـن العادات والاخلاق وتربيـة الاولاد والتنظيم والحيـاة حتى اشعرنا كل ذلك بأننـا نعيش في امتداد حقيقي للندن العاصمة . ولا يسعني هنـا الا ان اتحدث عـن الشرطي ولطفه اذ يتقدم اليك ويقف امامك باحترام حتى تنتهي من سؤالك واخذ الجواب ثم يودعك شاكرا ، وهذا السلوك عينه تجده لـدى افراد الشعب كلهـم ، فكلهم يجيبونك باحترام وينصرفون باحترام بعـد ان يذكروا لـك مـا طلبت .

الحليـب والمـزارع

ان تصرفـات الناس دليل على طبائعهم وكذلك اعمالهم وما يتحلون به من اخلاق. وهـذا ما لاحظنـاه في قرى بريطانيا والريف البريطاني بـين اوكسفورد ووورنتون . فبالاضافة الى ما ذكرناه آنفـا يلاحظ الزائر الثقـة المتبادلة بين المنتج ومن يبيعـون لـه انتاجه او يصنعونه . فعلب الحليب توضع الى جانب الطريق العام بانتظار السيارة

التي تجمع هـذه العلب وتأخذها الى المعمل حيث تصنع وتوزع على المستهلكين ، وكل علبة تحمل اسم صاحبها بطبيعة الحال ومقدار ما تحويه من الحليب .

اما الطرق فهي مفروشة بزفت ناعم . وعلى جوانبها الاشارات ترشد الى المنحدرات والمرتفعات ومفـارق الطرق . وبعض الارشادات مدونة على الارض بالدهـان الابيض وبخط واضح مقروء . وبعض الطرق ضيقة لا تستوعب أكثر مـن سيارتين واحـدة للذهاب وواحدة للاياب ، وهي مقسومـة الـى قسمين بخط أبيض مقطـع مرسـوم في منتصف الطريق كما توجد مسامير معدنية تضيء كمـا لـو كانت مصابيح كهربائية . فلا يضل في هذه الطرق حتى الغريب لانها مرقمة وكل قرية أو بلدة توجد اسهم تدل على الدرب اليها كما تعطيك اللوحات مقدار بعدها عن الطريق العام .

العناية بالسائقين وتدريبهم

ان السائق الجديد هنا يعطى شهادة موقتة ولا يسوق سيارة الا اذا كان الى جانبه سائق متمرن منذ أكثر من سنتين . ويضع الـسائق الجديد على مؤخرة سيارته لوحة تحمل عبارة (سائق متمرن) ليأخذ من وراءه حذره منه .

في ربـوع مانشستر ، مدينـة الصناعة

الأحـد ١٩٥٤/٦/٢٧ : وصلنـا مانشستر بعد ان قطعنـا طريقا طافحـة بالقرى الخضراء المتصلة حتى لكأننـا في قرية واحدة ، وقد لفت نظرنا لوحة ترحب بالزائرين تحمل العبارة التالية : (اهلا بالزائر . كان عدد ضحايا الدهس عام ١٩٥٣ ثلاثة اشخاص فقط . حاول أن تقلل هذا العدد) .

اخترقنا شوارع مانشستر مارين بساحة بيكاديللي وطريـق اوكسفورد وشارع البنوك والتجـارة ، ومررنا أمام جامعة موفق ولكننا لم نزرها لانها كانت مغلقة بسبب العطلة ويوم الاحد حيث لا يوجد فيها احد . والجامعة مؤلفة من عدة أبنية ، ومبـاني المدينة مغطـاة بغلالة سوداء من دخان المعامل كما هو الحال في أغلب مباني لندن .

ذهبنـا الى غرفة موفق وتقع في ضاحية تبعد سبعة اميـال عن الجامعة . وخلال السير على الطريق العام أسرع موفق في قيادتها فارتفعت السرعة الى خمسة وثلاثين ميلا اي بزيادة خمسة اميال عما هو مقرر ، وقـد نبهنا راتب بألا نسرع ولكن مـا أن

نزلنا من السيارة حتى وقف شرطي أمام سيارتنا وكان يلاحقنا طول الطريق . طلب الاوراق . وما ان وقعت عينه على الورقة المثبتة على السيارة والتي تشير الى أننا زوار نمضي بعض الوقت في بريطانيا حتى قال : انكم اسرعتم وانا أتابعكم منذ مدة ، لكن لانكم زوار اسامحكم على الا تعودوا للسرعة مرة ثانية ، ثم ودعنا بلطف فشكرناه ووعدناه بما طلب .

ألقينا عصا التسيار في غرفة موفق وكانت الدار فيها ست غرف واحدة منها للاكل والجلوس وواحدة لسكن صاحبة الدار وأربع مؤجرة منها غرفة موفق واجرتها ستة جنيهات شهريا . وقد سألت صاحبة الدار عن مقدار الضريبة التي تدفعها للدولة فقالت ستة وثلاثين جنيها سنويا من اصل دخل يبلغ سبعمائة وعشرين . والدار مساحتها خمسة وسبعون مترا .

زيارة سوريين وعدد من الاقرباء

بقينا قليلا في غرفة موفق ثم ذهبنا لزيارة صديق له هو السيد عبد العزيز مراد من زملائه في الجامعة وهو يقيم في دار شقيقه التاجر السوري السيد عبد المجيد مراد صهر السيد عبد الكريم السقا شريك السيد وجيه القتابي . وقد سررنا بهذه الزيارة التي جمعتنا بمواطنين من دمشق الحبيبة ونحن في بلاد بعيدة عن الوطن والأهل والأحبة والاصدقاء . وقد استقبلنا القوم بترحيب وقدموا لنا الشاي والقهوة والرز بحليب والاجاص والموز ، فيا سلام ما أجمل هذه الزيارة التي حملتنا على أجنحة الخيال الى الشام وعادات أهل الشام ومآكل أهل الشام . وتركنا عند آل مراد بعض حوائجنا كما طلبنا من السيد عبد المجيد أن يرشدنا الى دار صبري الشلاح ، فذهب معنا واستقبلنا السيد صبري وهو رجل مهيب يبلغ الستين من عمره وكان في استقبالنا ايضا شقيقه الذي يناهز عمره الخمسين ، ومعه ابن شقيقه السيد منير الشلاح . وللسيد صبري محل في مانشستر له فرع في أفريقيا وهو رجل اعمال احواله ممتازة وسمعته طيبة . ووالد منير الشلاح هو الحاج عبود وله محل في بيروت . وسألنا السيد صبري عن صلته بعائلتنا فأجاب أن والده عندما كانوا في بيروت قبل الحرب العالمية الاولى كان ينظر الى البضائع التي تحمل اسم والدنا ويقول ان هذه بضائع آل الشلاح المقيمين في دمشق وظهر لي من حديثه ان والدة جده من

آل الشلاح وجده تربى في بيت اخواله آل الشلاح ومن هنا حمل اسمهم . اما كنيتهم الاصلية فهي (القباقيبي) . وقد سررنا بهذه الزيارة أيضا .

وسألت السيد صبري الشلاح عن الغني المشهور السيد ناعوره الذي ترك منذ عام وصية خصص فيها مبالغ من ثروته لاعمال الخير في دمشق ومنها ما هو مخصص للمدارس ، وكان بين المكلفين بتنفيذ الوصية السيد صبري نفسه ، فأجابني ان المعاملات لم تنته بعد وعندما تتم سيخصص مبلغ لا بأس به لمدرسة الاسعاف الخيري .

وأراد مضيفونا ان نبيت عندهم ولكننا اعتذرنا وعدنا الى دار السيد مراد لنودعه ولكنه اصر على أن ندخل ونبقى ، ولكننا بعد أن استرحنا غادرنا الدار . والسيد عبد المجيد مراد شاب لطيف يبلغ من العمر ستة وعشرين عاما هبط مانشستر منذ ست سنوات ووفق في اعماله توفيقا كبيرا ، وعلمنا ان الدار التي يسكنها ملكه وقد اشتراها بأربعة آلاف جنيه استرليني ، وهي خمس غرف تشغل مئة متر وحولها حديقة مساحتها ستمئة متر ويدفع عنها ضريبة ستة وأربعين جنيها عن البناء واثنين وعشرين عن الحديقة . ووالد السيد عبد المجيد هو الشيخ صالح . وقد التقينا عند السيد عبد المجيد بالسيد نصوح شحادة نجل السيد نعيم شحادة ، والسيد نصوح يدرس في كلية التجارة في جامعة مانشستر .

الى شمالي بريطانيا ومنطقة البحيرات

وبعد وداع الجميع اخذنا سيارتنا وقصدنا الى (وندرمير)وهي احدى مناطق البحيرات الشهيرة في الشمال البريطاني حيث المناظر الطبيعية الخلابة . ان مانشستر تبعد عن لندن ثلاثمائة وخمسة عشر ميلا ، وفي كل هذه المسافة يلفت النظر نظافة الطريق وحسن العناية بها فكأنها من شوارع المدن ، وتفرض على كل انسان يلقي اوساخا في الشارع غرامة قدرها خمسة جنيهات . والسائقون يحترمون قواعد السير وعند تجاوز احدهم الآخر يتبادلان التحية ، وفي جميع هذه الطرق لا يسمع منبه الصوت (الزمور) لأن الشوارع خالية من المارة ، والمشاة لا ينتقلون من رصيف الى آخر الا من مناطق مخصصة مؤشرة يتوقف عندها السير حتى يمروا جميعا . ولفت نظرنا في كل مكان عدم وجود الصغار مع الكبار عندما يقوم هؤلاء بزيارات او

يذهبون الى السينما والمسارح كما لم نشاهد صغارا على الارصفة أمام الدور .
وكنا في كل تنقلاتنا نشعر بوجود منظمة A. A معنا بواسطة مندوبيها الكثيرين الذين يرتدون لباسا خاصا يحمل شعار المؤسسة تطلبهم فتجدهم يلبون طلبك باحترام ثم ينصرف واحدهم دون اي تأفف أو انزعاج . وقد مررنا في طريقنا من مانشستر الى وندرمير وطوله خمسة وثمانون ميلا بقرى عديدة متناثرة على طول المسافة منها بلدة بريستون وفيها بناء حديث وشوارع عريضة ثم بلدة لانكشر وبلدة كندن وهي سنه حتى يخيل اليك أنها بلدة واحدة . وجميعها مناطق صناعية يلفت انتباهك فيها كثرة المداخن وعرفنا ان فيها العديد من المناجم .

وندرمير

وصلنا الى وندرمير وهي مدينة سياحة واصطياف ومنتجع لافراد الطبقة العالية ، ونزلنا في فندق كبير يقع على رابية تطل على البحيرة الكبرى وهو محاط بحدائق واسعة مزينة بكل أنواع الزهور والورود . وعلى صفحة الماء في البحيرة انتشرت مئات الزوارق والبواخر الصغيرة والقوارب التجارية . وقد تناولنا طعام العشاء بشهية ثم نمنا وقد بلغت الساعة الثانية عشرة ليلا .

الاثنين ١٩٥٤/٦/٢٨ : تناولنا الفطور في التاسعة صباحا وجلسنا في القاعة الكبيرة وامامنا مناظر طبيعية خلابة وحررت عددا من الرسائل في حين نزل ولدانا الى المدينة واتصلا بلندن من اجل السيارة المشتراة كما نظما مواعيد زياراتنا المقبلة وحجزا ما يلزم من اجلها واشتريا بعض الحاجات وسحبا مبلغا من فرع بنك لويد في المدينة . ولما عادا حاسبنا الفندق ودفعنا ثلاثين شلنا واخذنا صورا تذكارية في الحدائق الجميلة ، ثم ذهبنا بالسيارة الى قرب البحيرة واستأجرنا قاربا بخاريا دفعنا من اجله شلنين عن كل شخص لمدة اربعين دقيقة ، وهذا ما سمح لنا بتسجيل شريط حوى لقطات رائعة لما يحيط بالبحيرة من هضاب وجبال وغابات ، وخرجنا من البحيرة والنفوس تواقة الى البقاء .

وفي بقعة جميلة فردنا زادنا من اللحم والجبن والخبز والمخلل والتهمنا بشهية كل ما معنا من زاد دون ان نشعر بالشبع . وقد قلت للشباب مداعبا اذا كان قصدكم من

شراء الطعام التوفير فان تناوله في منطقة جميلة (يخرب البيت) ! واذا استمر اكلنا على هذه الوتيرة فسينفذ الاعتماد في منتصف الرحلة فنسرع الى أقرب مطار لنأخذ طائرة توصلنا الى دمشق ، وكانت ضحكة عامة .

(ليدز) مدينة الجوخ

وغادرنا وندرمير متوجهين الى (ليدز) المدينة المشهورة بصناعة الجوخ للاطلاع على معالمها وزيارة صديق فيها كان زارنا في دمشق ، وعندما علم بوصولنا الى لندن هنأنا بسلامة الوصول ورحب بنا ، وهو المستر ويبستر رجل الاعمال وصاحب معامل جوخ في ليدز . وقد قطعنا مسافة مئة ميل ومررنا بمدن وقرى عديدة يصح في وصفها ما قدمناه من وصف الطرقات والقرى والبلدان . ومدينة ليدز تشتهر بصناعة الصوف والجوخ وفيها ترام كهربائي عرباته من طابقين ، وعدد سكان المدينة يقارب سبعمائة وخمسين ألف نسمة وفيها ما بين سبعمائة وثمانمئة معمل جوخ في أقل تقدير .

وصلنا هذه المدينة الصناعية وكان السيد ويبستر قد حجز لنا مسبقا في فندق الملكة وهو فندق فخم يقع في وسط المدينة فيه عشرة طوابق وما يقرب من ستمئة سرير ، ويضم ردهات كبيرة ولا سيما قاعة الطعام . حططنا رحالنا فيالفندق وبعد الاستراحة توجهنا الى دار المستر ويبستر وتبعد ستة أميال عن الفندق فوجدناه ينتظرنا أمام الدار مع زوجته الالمانية الاصل . والدار تقع في حي حديث يتربع على هضبة وتخترقه شوارع عريضة . وقد دخلنا البيت وكان موقد الفحم يبث الدفء في غرفة الاستقبال ومكثنا ساعة ، وقد ابدوا اسفهم لاننا لم نبق في منطقة البحيرات سوى يوم واحد وقالا انه كان علينا البقاء خمسة عشر يوما .

وقد كنا نود ان نطيل الزيارة لولا انه كان وقع حادث مؤسف لابن المستر ويبستر الوحيد البالغ العشرين فقد تعرض وهو في سيارته الى حادث ادى الى كسر ظهره ويده وكان لا يزال في المستشفى ، ومع ذلك فقد أبدى والداه كل ترحيب بنا ولم تفارق الابتسامة وجهيهما وكأن شيئا لم يقع . وقد زاد من اسفنا أن ابنهما رفيق راتب في مدرسة بمدينة يورك .

وبعد أن قمنا بجولة في المدينة عدنـا الى الفندق ، واغمضنا اعيننا نستقبل النوم عندما كانت الساعة تدق اثنتي عشرة دقـة .

الثلاثاء ١٩٥٤/٦/٢٩ : فطورنـا كـان في التاسعـة ، وفي العـاشرة حضر المستر ويبستر فصحبناه الى محل تهيئة البضائع للشحن ، وعلمنا انـه ينتج يوميا الف متر جوخ . وبعد محل الشحن زرنـا احد معامله ويبعد عن المدينة اثنين وعشرين ميـلا واطلعنا على العمل فيه ، ثم توجهنا الى مدينة يورك حيث مدرسةراتب الاولى (بوزم).

والذي يلفت الانتبـاه في مدينة ليدز كثرة صناديق البريد التي تفتح عـدة مرات في اليوم بواسطة سيارات خاصة لجمع الرسائل وتسييرها . كما لا يمكن اهمال الحديث عـن البنـاء المستمر في المدينـة والمنطقـة حيث يبنى في كـل عـام بـين مائتي الف وثلاثمائة الف منزل على يد شركات خاصة تبيع بالتقسيط أو على يد البلديات التـي تؤجره للطبقات الفقيرة بأجر يتناسب ودخلها . فالدار ذات الاربع غرف تؤجر بجنيه واحد . وتعتمد مواد البناء في الدرجة الاولى على مواد البيئة كالآجر وتسقف بالقرميد، امـا المبـاني التجـارية فتكون مـن هيكل حديدي يكسى بالآجر او الحجر ويسقف بالآجر . والبيوت كلهـا متساوية لا يكاد احدهـا يختلف الا باشياء لا تذكر ، وتقـوم بالبنـاء آلات ضخمـة .

المـواصـــلات

وتتـم المواصلات بين المدن والقرى بواسطة القطارات الكثيرة المنتظمة لان السكك تصل الى كل مدينـة وقرية . اما في داخل المدن فتؤمنها سيارات عامة بعضها يسـير بالبنزين وبعض بالكهرباء وهي ذات طابقـين . وثمن البنزين ضعف ثمنـه في سورية والصفيحة تبـاع بثماني ليرات سورية اي مـا يعادلها ويختلف السعر حسب نقـاء البنزين . ومواقف السيارات داخل المدن مرتبة بعناية فائقة ، وهناك أماكن لوضـع السيارات الخاصـة لقـاء أجور تدفع للبلدية .

الجـو المـاطر

ويلاحظ الزائر للجزر البريطانية اينما ذهب، ان الجو ماطر في اغلب الاحيان ، ولكن من حسن حظنـا لم تمطر في مدة وجودنـا الا يومين .

اليهود في ليدز

ولاحظنا اثناء زيارتنا لمدينة ليدز ، مدينة الجوخ والصناعة والتجارة ، أن اليهود موجودون بكثرة فيها وهم اصحاب اعمال في المدينة وما يحيط بها .

ولما دخلنا الى المصرف في مدينة ليدز حوالي الساعة الواحدة لسحب بعض الدراهم من اصل حسابنا في البنك الرئيسي في لندن استقبلنا الموظف المختص بشؤون ما وراء البحار ببشاشة وترحيب واتصل مع الفرع الرئيسي في لندن وتلقى الجواب فورا ودفع لنا ما نطلب . والبنوك لا تغلق ابوابها عند الظهيرة في وقت الراحة وتناول الطعام ولكن يبقى فيها من يسير اعمال الناس حتى لا ينتظروا افتتاح الابواب مساء . وقد سألنا الموظف عن فئات العملة التي نرغب الحصول عليها فافدناه بأننا نرغب في فئة الخمسة جنيهات فأحضر لنا ما طلبنا وشكرناه وانصرفنا .

تركنا ليدز متوجهين الى يورك سالكين طريقا عريضة مزدوجة في اغلب اقسامها وما بين المسربين حديقة ضيقة جميلة ترافقنا كل الطريق وعلى جانبي الطريق ارصفة للمارة وطريق خاصة للدراجات . ومع ان المسافة طويلة فكل هذه الترتيبات موجودة، وتخترق ارضا زراعية تكثر فيها الاشجار وتمتد اربعة واربعين ميلا . وقد تناولنا الغداء في هذا الطريق الجميل .

ثم لما وصلنا الى مدينة يورك القديمة رايناها محاطة بسور قديم له ابواب تشبه ابواب دمشق الاثرية . وفي يورك كنيسة اثرية تعتبر الثانية في بريطانيا من حيث القدم، وقد علمنا أن مئتي الف جنيه رصدت لاصلاحها ، كما توجد في المدينة متاحف كثيرة احدها متحف يضم وسائل النقل القديمة من سيارات وطنابر .

وتمتاز يورك بكثرة حدائقها التي نسقت تنسيقا بديعا وحوت اجمل أنواع الزهور . وقد زرنا في هذه المدينة مدرسة راتب الاولى (بوزم) واستقبلنا فيها الرئيس بحفاوة بالغة ومن حوله الاساتذة . وطفنا في ارجائها المؤلفة من عدة مبان فخمة وحدائق واسعة وملاعب كثيرة ومسبح .

وفي مدينة يورك تمثال لرجل قدّره قومه لانه جعل مدينة يورك ملتقى طرق القطارات في الشمال الانكليزي .

في بلـدة هيسيل وزيارة أسرة أنكليزية

تركنـا مدينة يورك بقسميها القديم الذي يحمل عبق التاريخ الانكليزي وقسمهـا الحديث الذي يدل على مـدى تقـدم القوم وعنايتهم بمدنهم وطرقاتهم وشوارعهم ، وذهبنـا الى مدينة هيسـيل القريبة من مدينه هل حيث تقع الجامعة التي درس فيها راتب سنة واحدة قبل انتقاله الى جامعة اوكسفورد .

وفي هيسيل زرنـا اسرة انكليزية صديقة هي أسرة هورسلي فاستقبلونا منمدخل الحديقه . والسيد هورسلي تنـ اجتمعنا به في أوكسفورد ورحب بنـا ودعانـا الى زيارته ، وهو يحمـل لقب (شريف) أي رئيس عمـده ، ولـه كرسي نائب رئيس في المحافظة كما له لباس خاص واوسمة ، وهو من الاغنياء المشهورين في المنطقة وصاحب معامل حليب وشوكولا وعصير برتقال ، وقد تخرج من اوكسفورد . ولهـذا السيـد زوجة وثلاثة اولاد ذكور وبنتـان وهما الكبيرتان ، وتخدم الاسرة خادمتان المانيتان .

راينـا الدار غاية في التنظيم والاناقة . فالحديقة واسعة وفيها ملعبتنسومسبح وصالة لعب وغرفتان لتغيير الملابس ، وفيهـا شقة منفصلة يقطنهـا الخـدم ومرآب لسيارات الاسرة وهي اربع للزوج وزوجته وبنتيه . وفي الحديقة قطـع متجاورة بـل قولوا انها حدائق متعددة للازهار المتنوعة متصل بعضها ببعض وفيها اقسام للخضار والبقول واخرى للاشجار المثمرة . وتحيط بالحديقة بكاملها اشجار الدلب العالية . ولاحظنا أن الانكليز يعتنون بتربية الكلاب واسرة هورسلي عندها كلبان .

دلفنـا الى غرفة الجلوس وبعد أن نلنـا قسطا من الراحة واحتـى كل منا فنجانا من القهوة ارتدى راتب لباس لعبة التنس وفعل فعله رب الاسرة وبنتـاه وزوجتـه وانطلقنـا جميعا الى الملعب حيث لعب الجميع لمدة ساعة ، وفي اثنائها تركنـا صاحب الدار لانه كان مرتبطا بموعد لحضور اجتماع عـام في البلدية . وبعد اللعب تجولنـا في الحديقة واخذنا صورا للتذكار ، ثم عدنـا الى الدار وجلسنا مع أفراد الاسرة بعـد ان استحموا وبدلوا ملابسهم بأخرى .

ضوء على تربية الاولاد في الاسرة الانكليزية وبعض عاداتها

لاحظنـا خلال جلوسنا أن الاولاد عادوا من مدارسهم فحيوا والدتهم وشقيقتيهم

وذهب كل منهم لوضع حوائجه في المكان المخصص لها ، ثم امتطى كل منهم دراجته ومضوا الى الحديقة يذرعونها مرات عديدة وعادوا ونحن على مائدة العشاء ، فعاتبتهم امهم لانهم تأخروا عشر دقائق عن الموعد المضروب للعشاء ، واعتذروا . وكان العشاء مؤلفا من دجاج وبطاطا مع الكريمه وخس وجزر وفجل وبصل أخضر ، ثم نوع من الكاتو ، وبعد ذلك قدمت لنا القهوة في غرفة الجلوس حيث تجاذبنا اطراف الحديث حتى التاسعة .

وهنا حضر الاولاد لابسين مناماتهم فحيونا وحيوا امهم . وكانت امهم توزع علينا في هذه الاثناء قطعا من الشوكولاته السويسرية فطلبوا ان يشملهم التوزيع من هذه الحلوى الشهية ولكنها سألتهم : هل نظفتم اسنانكم بالفرشاة ؟ قالوا نعم فأجابتهم الأم اذن لا نصيب لكم اليوم فلما الحّوا اعطتهم ولكن اشترطت ان يبقوها الى الغد فوافقوا واخذ كل منهم قطعة احتفظ بها لتكون بين طعامه في اليوم التالي .

قدمت الأم لنا لفائف تبغ اعطتني واحدة وكانت احدى البنات خلف امها فلم تنتبه اليها ولما انتبهت اعتذرت منها وقدمت لها لفافة ، وجلسنا ندخن ونسمر . وسألتنا الأم عن الموعد الذي نحب ان نستيقظ به صباحا وعن ساعة الافطار وعما نحب ان ناكله في الصباح ثم في وجبة الغداء ، فأجبناها ، ولكنها رجتنا أن نقدم موعد الافطار من التاسعة الى الثامنة لنتمكن من زيارة معاملهم التي تبعد عن الدار عدة أميال .

وفي العاشرة عاد صاحب الدار ومعه أحد شركائه تصحبه زوجته ، وهذا الشريك من اغنياء المنطقة وله دار أفخم من دار السيد هورسلي ، وقد اشتركنا في السمر حتى الحادية عشرة ليلا حيث اعتذر الشريك وزوجته .

وكان مما لفت نظرنا ان رب الاسرة الشريف هورسلي عندما عاد وجلس يسمر معنا قام من بيننا واشتغل نصف ساعة بحياكة سجادة جميلة من اجل ان يقدمها هدية لابنته الكبيرة المخطوبة لمناسبة زفافها ، وهو يثابر على هذا العمل نصف ساعة في كل سهرة . ثم اخبرنا ان السجادة الكبرى الممدودة في غرفة الاستقبال هي من صنع يديه وهذه من عاداتهم .

كما لاحظنا ان الخدم جلسوا معنا على المائدة وقدمت لهم ربة الاسرة الطعام

كمـا قدمته لنـا ، وشاركونا كذلك في غرفة الاستقبال فجالسونا حتى العاشرة ثـم استأذنوا وسلموا علينـا وذهبوا للنوم .

وفي الحادية عشرة والثلاثين دقيقة طلبنـا أن ننـام فلبوا رغبتنا وصعدوا بنا الى غرفتينا وعندما فتحنا الحقائب تذكرنا قطعـة البروكار الدمشـقية فذهب راتب بهـا وقدمها لهـم فسروا بهـا كثيرا وكاننا قدمنا لهم معملا كاملا . وكنا قدمنا لهم من قبل علبـة موزاييك فيهـا مربيات شامية نفخر بهـا وبانتاجها . وكانت دائما بين هدايانا لمعارفنا واصدقائنا على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم وجنسياتهم . كما قدمنا لهم قطعة من القمر الدين بالسكر ، فلاقت القبول والاعجاب .

واذكر بهذه المناسبة ان راتب وموفق لهما معارف واصدقاء كثيرون مـن الانكليز ومن سواهم وحيثما ذهبا وكانا معنـا كنا نسمع عبارات الترحيب بهما والثناء عليهما ونلاحظ المحبـة والالفة التي تربطهما أحدهما بالآخر وتجعـل منهمـا شخصا واحدا وافادنـا وجودهما كثيرا ، وأقول أن الرحلة لولاهما ما كانت تنجح .

واسلمنـا اجفاننـا للكرى على الفرش الوثـيرة ولـم نستيقظ الا في السـابعـة مـن اليـوم التـالي .

الأربعاء ١٩٥٤/٦/٣٠ : كانت جلسة الصباح امـام نافذة تطل على منـاظر اخاذة بجمالها ، فعاد بنـا الخيال الى الشام واهلها وتمنينا لو ان احبابنا كانوا معنا في هـذه الصبيحة الجميلة والرحلة برمتها .

وهنا خطرت ببالنا قضية مكتب القطع والمنح التي كان يمنحها للطلاب فقطعها وزير المالية السوري آنذاك وهو تدبير خاطىء ، اذ المفروض أن تستمر هذه المنح ليتمكن طلابنا من اتمام دراستهم في هذه البلاد ويطلعوا على وجوه التقدم فيها ليعودوا مزودين بما يخدم امتهم ووطنهم ويعلو بنـاء التقدم والنشاط والحيوية في أرجاء وطننا الحبيب .

نزلنـا بعد ذلك الى غرفة الطعام في الموعد الذي ضرب لنـا ليلة الامس ، وتناولناه مع صاحبة الدار لاننـا على موعـد لزيارة نقوم بهـا لمعامل السيد هورسلي ، وتركت الحرية لموفق وأم راتب ليقضيا وقتهما كما يشاءان . وكان مما لاحظته على الافطـار وجود العسل الابيض بسبب وجود المرعى في كل تلك البلاد .

امتطت صاحبة الدار سيارتها لتوصل الاولاد ، وذهبت مع راتب في سيارة مضيفنا لنزور معامله كما هو مقرر منذ الامس .

زيارة معمل الحليب والجبن والزبدة

قطعت السيارة بنا مسافة خمسة عشر ميلا قبل ان نجد امامنا معملا ممتازا تقدر قيمة آلاته بمائة ألف جنيه استرليني ، وقيمة الارض والابنية خمسون الفا ، ويلفت النظر في هذا المعمل نظافته ودقة العمل والثقة بين صاحب المعمل ومديره وعماله ، وكذلك بينه وبين الفلاحين الذين يزودونه بالحليب .

أن النظافة هنا تستقبلك من الباب ولا تفارقك في أي ركن تقع عليه عينك او تسر في ارجائه في المعمل كله ، والعمال يعملون بنشاط ودون أي رقيب . وما اجمل ارتال السيارات وهي تجلب الحليب الى المعمل في اوعية انيقة كتب على كل مجموعة منها اسم صاحب المزرعة والكمية التي يحويها كل وعاء وتاريخ الانتاج . تنزل هذه الاوعية ويفحص كل منها ويعزل الوعاء الذي اصابته الحموضة ثم يفرغ الحليب بعد ذلك في ميزان تجلس امامه موظفة تسجل وزن الحليب امام اسم صاحبه وتطابق بين وزن الحليب في المزرعة المسجل على كل وعاء والوزن الذي حصلت عليه هي ، وتسجل امام اسم كل مزارع ما استخرج من زبدة من الحليب الذي قدمه . وبعد العزل والوزن والمطابقة والتسجيل يتحول الحليب الى اوعية وآلات تغليه وتبرده ليعبأ قسم منه في زجاجات توزع على البلدة بواسطة السيارات وقسم آخر لصنع الجبن والزبدة يوضع في مستودعات مبردة وقسم ثالث يجفف ويعبأ بواسطة أكياس خاصة او علب او براميل . والعمل كله آلي ، فالرافعات تقوم بالتنزيل والتحميل ولم أشاهد عاملا يحمل على ظهره . ثم شاهدت في المعمل قسم انتاج الشوكولا وهو معمل صغير ملحق بمعمل الحليب ويمكن ان يستعمل في تجفيف المشمش وسحقه وجعله ناعما او عصيرا كعصير البرتقال .

وكان مدير المعمل معنا يشرح لنا ما يجري في كل قسم ، وله دار في المعمل مع حديقة جميلة . وهكذا بعد اخذ الصور التذكارية ودعنا وغادرنا المعمل .

معمل عصير البرتقال

بعد خروجنا من المعمل ودعنا مضيفنا لأ نلديه عملا في المكتب وحفلتين في المدينة ، ولذلك ركبنا مع ابنته في السيارة لزيارة معمل عصير البرتقال الذي ينتج الحليب ايضا . ولما وصلنا طفنا فيه وشاهدنا كيف يقطع البرتقال ثم يوضع في مزراب يأخذه الى جهاز (أوتو كلاف) حيث تضاف اليه مادة ويعصر مع قشره وبعدها ينتقل الى جهاز يبرده وثالث يعبئه في زجاجات ما تلبث أن تذهب الى اقفاص تنقله الى مستودع مبرد . وكانت هناك آلة تفسل الزجاجات وترسلها نظيفة الى التعبئة وهي تنظف ثمانين زجاجة في الدقيقة أي ما يقارب خمسة آلاف في الساعة . والزجاجات المنظفة تعبأ في الوقت نفسه اي أن الساعة تكفي لتنظيف وتعبئة الخمسة آلاف زجاجة. والمعمل كله آلي لا يشترك فيه الا عدد محدود من العاملات ، فواحدة تحضر الزجاجات التي يجب أن تنظف واخرى تضعها في آلة التنظيف والثالثة تشرف على تقطيع البرتقال والرابعة تشرف على التعبئة والخامسة تشرف على وضع الزجاجات في صناديق والآلة هي التي تقوم بما تبقى من اعمال .

وبعد زيارة معمل آخر للحليب لا يختلف عن الذي شاهدناه . مررنا بمدينة (هل) وشاهدنا معالمها ، وهي مدينة جميلة جدا شوارعها طويلة عريضة وحدائقها منسقة اجمل تنسيق ونظام الإنبات فيها بديع جدا . وفي المدينة سيارات تعمل على الكهرباء من ذوات الطابقين . ورغم كثرة الخطوط الحديدية وعدد القطارات التي تمر في (هل) لا توجد فيها الا المحطات الخاصة بالقطارات ، اما التقاطع مع الطرق العامة فيجري بواسطة انفاق وجسور . والمدينة تقع على نهر هامبر الذي يصب في البحر وتعتبر المدينة ميناء لأن السفن تصل اليها عبر النهر . هذا ويربو عدد سكانها على ستمئة الف . وقد زرنا كلية (هل) التي درس فيها راتب عاما واحدا بعد ان ترك (بوزم) وقبل أن ينتقل الى جامعة اوكسفورد ، وقد تحولت هذه الكلية الآن الى جامعة نظرا لشهرتها وعنايتها بطلابها . وهي مؤلفة من عدة ابنية وتشبه الجامعات البريطانية من حيث توفر الهدوء وتنسيق البناء ووجود الحدائق الواسعة والملاعب الكبيرة والمسبح والعناية بالتدريس .

بعد زيارة الجامعة عدنا مع راتب الى دار مضيفنا بسيارة ابنته فوجدنا الطعام

جاهزا طيبا ، ولفت نظرنا أن الخادمة كانت تشاركنا فيه والسيدة وبناتها يقدمن اليها الطعام . وبعد ذلك توجهنا الى مركز بلدية (هل) وكان أهل الدار وخدمهم قد غيروا ثيابهم لنحضر جميعا حفلة ستقام في قاعة كبيرة في ساحة الملكة فيكتوريا . وقد قادتنا الى الحفلة سيارتان وكنا نحن مع الأم . ولما وصلنا الى دار البلدية شاهدنا بناء فخما يأخذ جماله بالالباب ، وادخلتنا المضيفة الى مركز البلدية حيث مررنا بممشى طوله مائة وخمسون مترا وتوجهنا الى القاعة التي يقام فيها الاحتفال وهي بالغة الجمال والروعة والعظمة . فالادراج التي تقود اليها محاطة بالزهور بشكل مدهش وجميل ، وكان السيد هورسلي يقف وزوجته وكذلك رئيس البلدية وزوجته وكلا الرجلين يرتدي لباسا خاصا مزركشا ويزين صدره بالاوسمة وعلى كتفيه رداء احمر يكسوه مهابة وجلالا . وكانت الزهور المنسقة في كل اطراف القاعة وقد لا ابالغ اذا قلت ان ما كان منها في القاعة أكثر مما يوجد في مدينة دمشق كلها ، وفيها انواع غريبة لم تقع عيني على شبيه لها . وكان كل مدعو يتقدم يعطي سكرتير البلدية اسمه ، ثم جلس الجميع الى موائد كل منها يتسع لاربعة أشخاص والمدعوون كلهم من علية القوم . وبعد تناول الشاي صعدنا فجلسنا في مقصورات تطل على القاعة العامة فيما يقوم رئيس البلدية ونائبه وزوجتاهما بالاستقبال وكل من الزوجتين تحمل باقة ورد بيدها اليسرى وتحيي باليمنى ، الى ان انتهى الاحتفال وودعنا بالحفاوة عينها التي استقبلنا بها .

سجادة ثالثة من صنع الشريف هورسلي

وفي دار البلدية مقر الشريف هورسلي شاهدنا سجادة انيقة وجميلة جدا ، ذكرت لنا زوجته انها من صنع يديه . لذلك اقترحنا على راتب ان يتعلم صناعة السجاد اليدوي وأن يشتغل سجادة نحفظها ونقدمها له يوم زفافه . الا ما أجملها من عادات حيث يستغل الانسان وقته كاملا بما يعود عليه بالنفع والخير ويضرب مثلا أعلى لمواطنيه بالجد وحبه للعمل والانتاج .

عدنا الى دار الشريف وتركناه واسرته في مكان الحفلة يشتركون في توديع المدعوين . دخلنا الدار التي كانت تحت حراسة الكلبين وجلسنا في غرفة الجلوس

وكأننا أصحاب الدار . وفي الساعة الخامسة حضر الشريف وأسرته . حيونا وقدموا ثلاث كراسات تحوي صورا عن بريطانيا فشكرناهم على هديتهم . شربنا القهوة وحضر خلال ذلك شريكهم وزوجته وابنته وتحدثنا عن القمر الدين الذي وجدوا سعره رخيصا . حللنا لهم قطعة بالماء وتركنا لهم ما زنته كيلو غرام من القمر الدين لتحليله ووعدناهم بأن نرسل لهم علبة عصير مشمش ليجربوا تجفيفها ومعرفة ما يلزم من حرارة حتى تجف ، كما وعدونا بأن يرسلوا لنا نتائج اختباراتهم وتجاربهم . وقد ذكروا لنا اسم مادة نضعها على الدف لتمنع القمر الدين من الالتصاق بالدفوف بدل الزيت لأن الزيت افسد القمر الدين .

عشاء فاخر في أفخم مطاعم « هل »

في الساعة السابعة والنصف أخذونا بسياراتهم الى أحسن مطعم فيمدينة « هل » حيث تناولنا عشاء فاخرا ، وكنا نرغب بالسفر في هذا اليوم ولكننا اخرنا سفرنا امام الحاح مضيفينا الكرام ورغبة في الحصول على المزيد من المعلومات عن الشمال الانكليزي . وبعد تناول العشاء عدنا الى الدار ثانية واخذنا نسمر بجو عائلي شرقي أكثر مما هو غربي ، وكأن عرى قرابة متينة أو صداقة قديمة تربط بيننا وبين القوم . أكلنا قطع الشوكولا وشربنا القهوة واخذنا عدة صور في غرفة الاستقبال وامام موقد الفحم . وعند الساعة الحادية عشرة ليلا طلبنا ان ننام لنتمكن من النهوض باكرا من أجل السفر ، ولكن مضيفينا رفضوا فكرة السفر قبل تناول طعام الافطار ، فوافقنا على طلبهم وضرب موعد الافطار في الساعة السابعة والنصف صباحا لنتمكن من السفر في الساعة الثامنة . والاسرة كريمة حسنة الحديث لا يمل الانسان من مجالسة أفرادها وحديثهم وكرمهم أبعد من أذهاننا فكرة يرددها الناس عن اهل الشمال ، وهذه الفكرة تتهمهم بالبخل والحرص الأمر الذي لاحظنا نقيضه تماما عند مضيفنا في « يورك » وفي « هل » .

أكرمنا القوم كثيرا في دارهم وخلال الحفلة التي دعونا اليها ، ومما قاله الشريف لي آنذاك انك تصلح سفيرا لسوريا في لندن ، فأجبته بل سأكون سفير بريطانيا في سوريا فسر من هذا الجواب . وقد ذكر لي ايضا أن الصحفيين الذين حضروا الحفلة سألوا عنا وقد أعطوهم أسماءنا ليتحدثوا عنا عندما ينشرون خبرا عن الحفلة في عدد الغد من صحيفتهم .

معامل الشريف هورسلي لانتـاج الحليب والجبن والزبدة
والشوكولا وعصـير البرتقـال مـرة اخرى

يملك الشريف هورسلي خمسة عشر معملا غـير المعملين اللذين زرناهما ، ومعمل الحليب الذي زرناه في صباح الاربعاء ١٩٥٤/٦/٣٠ هو اكبر معامله ويستقبل يوميـا ما بين مائة وثلاثين الف ومائتي الف ليتر من الحليب حسب موسم الشتاء او الصيف. والمـاء قليل في المعمل ، والمـاء الذي يستعملونه يعيدونه الى آلات تنقيـة لاستعماله مرة ثانية . وعند الرجل فرع للسكة الحديدية لشحن الجبن والحليب المجفف والمجمد وعنده خمسمائة سيارة شحن لاحضار الحليب وتوزيعه ، وعـدة مرائب للاصـلاح الجزئي والمؤقت موزعة في عـدة مناطق ، ومرآب رئيسي في العاصمة لنـدن للاصلاح العـام . وتوجد ايضا محطات بنزين لتزويد آلياته بالوقود ، ويدفع سنويا ستين الف جنيه قيمـة زجاجات منقورة أو مكسـورة . واثنـاء عمليـة التوزيع يضـع السائق زجاجات الحليب امام المنازل وهي ملأى ثم يستعيدها من امام المنزل في اليوم التالي وهي فارغة . والشريف هورسلي له معمل كبـير في ايرلندا ايضا ، وتستقبل معاملـه في الشمال الانكليزي مليون ليتر من الحليب . هذه هي صورة الاسرة الانكليزية ورجل الاعمال الانكليزي نقلناها نقلا واقعيا ، انها صورة لمجتمع يعمل أبناؤه جميعا لتأمـين مستوى لائق من العيش يشعرون معه بالراحة والاطمئنان .

وداع وسـفر

الخميس ١٩٥٤/٧/١ : استيقظنا في الساعة السابعة صباحا ونزلنا الـى غرفـة الطعام ، في السابعة والنصف احضرت الأم وابنتها الطعام وقدمتاه لنـا واكلنا وحدنا. ثم جمعنا امتعتنا واخذناها الى السيارة ، وفي هذه الاثناء ايقظوا صاحب الدار الشريف هورسلي الذي خف لوداعنا . ودعناهم شاكرين لهم حسن ضيافتهم ويممنا وجوهنا شطر اوكسفورد فلندن .

وفي طريق العودة الى لندن شاهدنا مزرعة بطاطا بعل ارتفعت اعواد البطاطا فيهـا الى علو بين اربعين وخمسين سانتيمترا ، وغلظ ساق الاعواد حتى غدا يشبه سـاق الباذنجان ، والمزرعة مرتبة ومنسقة والعمل فيها آلي . كما شاهدنـا مزارع أزهـار محمية ببيوت زجاجية وتشغل مساحات واسعة جدا . مررنا بعدة مدن منها «ليستر»

وهي مدينة صناعية تبعد عن (هل) مسافة مائة وعشرة كيلومترات ثم (نور فهمز) وتبعد مسافة خمسة وثلاثين ميلا عن ليستر ثم وصلنا اوكسفورد حيث عرجنا على الجامعة ليأخذ راتب ما يلزمه من امتعة . ووصلنا لندن اخيرا وكنا قد قطعنا مسافة تسعمائة وخمسين ميلا منذ غادرنا لندن حتى عدنا اليها اي ما يعادل الفاً وخمسمائة كيلو متر ، يضاف اليها قرابة مائتي كيلو متر قطعناها في نزهات وجولات قبل مغادرة لندن الى الشمال . كل هذا بسيارة معارة ذهب راتب وسلمها عند وصولنا الى صاحبها واستلم سيارتنا الجديدة التي اشتريناها من صاحب السيارة المعارة وتركناها عنده ليصلح ما ظهر بها من خلل .

زيارة البرلمان ومجلس العموم

ركبنا السيارة الجديدة وطفنا اكثر شوارع مدينة لندن وانتهينا الى مبنى مجلس العموم البريطاني والبرلمان . حصلنا على اذن بالدخول كما حصلنا على بطاقات دخول. شاهدنا هذا المحل الاثري وصعدنا درجا دوارا عدد درجاته تسع وخمسون درجة ودخلنا قاعة مجلس العموم واستمعنا الى مناقشة بين المستر اتلي رئيس الوزراء البريطاني آنذاك ووزير الاشغال من جهة وبعض النواب من جهة اخرى . وبعد ان مكثنا نصف ساعة غادرنا القاعة الى قاعة مجلس اللوردات ولم نشاهد الاجتماع لانه انتهى قبل وصولنا ، طفنا اقسام البناء وشاهدنا ما فيه من روائع الفن ثم خرجنا لنطوف مرة اخرى شوارع مدينة لندن فعبرنا جسرا عظيما على نهر التايمز وانتقلنا من قسم الى قسم من قسمي المدينة الواقعين على حافتي النهر .

زرنا قصر الملكة كما زرنا محطة الجنوب للقطارات واسمها محطة « فيكتوريا » وهي احدى محطات لندن الست عشرة وهي واسعة ولها عدة ابواب وستون جهاز هاتف للاتصالات العامة كما زرنا محطة « بيكادللي » للمترو (قطار الانفاق) وهي محطة واسعة لها اربعة مداخل وفيها ما يقرب من خمسين هاتفا للاتصالات العامة.

سوق الخضار

ثم زرنا سوق الخضار وهو يستقبل الخضار والفواكه من الساعة السادسة مساء وحتى الساعة الرابعة صباحا وبعد الرابعة لا يسمح بدخول السيارات الشاحنة

المحملة بالبضائع ويكون دخول معظم السيارات بين الثامنة مساء والثانية عشرة ليلاً ، ويبدأ البيع في الساعة الخامسة صباحا .

ذهبنا الى الفندق وتناولنا عشاء احضرناه معنا من السوق وعدنا ثانية الى سوق الخضار حيث شاهدنا أكثر من خمسين سيارة تفرغ حمولتها وكثيرا من البضاعة مصفوفة في منتصف الطريق والعمل يسير بانتظام وبهدوء تام .

تركنا سوق الخضرة على امل ان نعود اليه مرة ثالثة في الساعة الخامسة صباحا لنشاهد كيفية البيع ونقل البضائع داخل المدينة . . .

عدنا الى الفندق نرتب امور السفر ونفكر بانهاء بعض الامور التي لم تنته بعد حتى لا نتأخر عن موعد السفر في يوم الاحد القادم . . . وكنا نشعر أن الاطلاع على الربوع البريطانية يحتاج الى شهر كامل على أقل تقدير ولكن ما العمل ونحن على عجل لنتم رحلتنا عبر الشاطىء الشرقي لبحر المانش حيث نزور فرنسا وعددا من دول اوربا الغربية . . . الساعة الآن الواحدة ليلا حيث رفعت القلم وفرغت من كتابة هذه الصفحة والتعب آخذ مني كل مأخذ . . . فقد استيقظت في السابعة صباحا وسافرت سبع ساعات بين « هل ـ لندن » وطفت شوارع عاصمة الانكليز فلا بد لي ان اتعب ! فلنغلق الشباك اذن ولنسلم انفسنا لسلطان الكرى ، والى ان يحين موعد استيقاظنا في صباح اليوم التالي نقول لكم تصبحون على خير .

الجمعة ١٩٥٤/٧/٢ : اصبحنا واصبح الملك لله والحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور . . . كانت الساعة تشير الى الرابعة صباحا . حلقنا وتوضأنا وصلينا ثم جلسنا نكتب بطاقات الى الاهل والاصدقاء في سورية ، وفي الساعة السادسة ذهبت بصحبة موفق الى سوق الخضار للاطلاع على كيفية البيع والتوزيع والوساطة .

أول ما سألنا عن بعض اسعار الجملة لنوازن بينها وبين اسعار المفرق فوجدنا أن حبة البرتقال التي تباع بالمفرق بستة بنسات تباع بالجملة بأربع بنسات وسعر كيلو الكرز بالجملة شلنان وبالمفرق ثلاث شلنات . . . وهكذا . ولفت نظرنا ان التعبئة موحدة وممتازة من أعلى الصندوق الى اسفله وخاصة بالنسبة للبندورة واكثر العبوات

صغيرة عـدا عبوات التفاح واغلب البضاعة مغلفة بورق وبأناقة تلفت الانظار . والكرز معبـأ بعلب كرتون لها مسكة يد مثل السلة والفريز ايضـا معبـأ بعلب كرتـون وزن العلبة نصف كيلو غرام تقريبا وتوضع كل اثنتي عشرة علبـة في صندوق واحـد ... الدراق والخوخ الفحل صف واحـد في الصندوق وتوجد فواصل بـين الحبات ... البصل والبطاطا معبـأ بأكياس وزن الواحد منها اربعون كيلو غرام تقريبا ... اهـل الحرفـة ومعظمهم من اهل لندن يتصف بعضهم « بنشافة » اي عدم مرونة فيالحديث والتعامل مع الزّبن . النظافة متوفرة في جميع محلات البيـع وتجري عمليـة البيـع بفواتير ولا يخرج شيء من السوق بدون فاتورة والسيارات التـي تحمل وتوزع تقف خارج السـوق في المداخل الرئيسـية حيث تكون الاسواق مغلقة ولا توجد فيها حركـة وتنقل البضاعة من السوق الى السيارات بواسطة عربات تجر بواسطة اليدين . امـا ابنيـة السـوق وممراته فهي متنوعة فهناك سـوق مسقوف ذو مكاتب على الصفـين وتتوسط المكاتب التي يصعد اليها بعدةدرجات ساحة طويلة ، وله بخارجه اطار يحيط به . وتقف السيارات وتفرغ البضاعة الى داخله والمشتري يحمل بضاعته على عربـة صغيرة أما اذا كانت البضاعة كثيرة فالمشتري يأخذها الى السيارة التي سيحمل بهـا مباشرة . واغلب اقسـام السوق مسقوفة لها مداخل بعضها عريض لدخول السيارات وبعضها ضيق يكفي لتنقل العربات الصغيرة وهناك اقسام لبيعالزهور الناعمة والكبيرة ولبيع شقف الزريعة وهناك اسواق خارج هذا السـوق الرئيسي بأقسامـه المتعـددة تبيـع الخضار والفاكهة والازهار .

زيارة عمـل : زرنا محل « كنز » حسب موعد سابق معه دخلنا المكتب وحصلت الموظفة لنـا على اذن بالدخول ، قابلنا الرجل بترحيب وهـو رجـل محترم اثنى على معاملتنا معه ولكنه اعتذر عن شراء القمر الدين ووعدنا بشرائه وتوزيعه عندما يحصل طلب على هذا الصنف وارشدنا الى عدد من المحلاتالتيتتعامل بأصنافنا القمر الدين ، المربيـات ، الجـوز . . . ودعنـاه وانصرفنـا بعـد ان سـار معنـا حتى غرفـة المصعـد الكهربائي .

وزرنا في هذا اليوم مؤسسـة A.A وحصلنا على اوراق السيارة العالمية المقبولة في انحاء الدنيا كلها ، ثم اشترينا بعض الامتعة اهمها محفظة سفر للطعام بسعر ١٠ر١٢

جنيه وطاولتان مع كل منهما صينية بسعر ١١ر١٦ جنيه وعدنا الى الفندق . تناولنا العشاء ونمنا مبكرين رغبة بالراحة وتخلصا من العناء الذي استحوذ علينا من جراء جولاتنا الكثيرة .

السبت ٣/٧/ ١٩٥٤ : ابنية كثيرة اقيمت وتقام في لندن بعد الحرب العالمية الثانية، زيارتنا الى لندن كانت عقب الحرب العالمية الثانية فكان اكثر ما يلفت النظر كثرة الابنية الحديثة في هذه المدينة فقد عرفنا انه اقيم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى العام الذي زرنا فيه لندن عدد هائل من الابنية الكبيرة وفي كل منها مئة شقة سكنية كما عرفنا انه في شهر مايس من عام ١٩٥٤ تم بناء / ٣١٣٧١ / منزلا منها / ٢١٦٠٨ / منازل بنتها البلديات و / ٧٦٥٢ / منزلا بناها اصحابها اي ما يمكن ان نسميه القطاع الخاص ومنها / ١٤٩٢ / منزلا بنتها الجمعيات ومنها ايضا / ٥٦٥ / بناء للدوائر الحكومية و / ٥٤ / منزلا هدمت واعيد بناؤها من جديد وعلمنا ايضا ان ما بني من بداية عام ١٩٥٤ وحتى نهاية شهر ايار من العام نفسه / ١٣٦٧٢٢ /منزلا وهكذا اسرع الانكليز الى تعمير عاصمتهم التي دمرتها الحرب . ومن حب الاطلاع مددت يدي الى دليل الهاتف في مدينة لندن وهو يقع في خمس مجلدات مجموع صفحاتها / ٥٤٦٣ / في كل صفحة ثلاثة اعمدة وفي كل عمود / ١٠٥ / ارقام فيكون بذلك مجموع ارقام الهواتف العاملة في لندن في تلك الفترة / ١٧٢٠٨٤٥ / رقما . وبنك « لويد » الذي نتعامل معه يملك وحده / ٣٠٠ / خط هاتفي .

الى قصر الملكة ثانية لمشاهدة تبديل الحرس :

تبديل الحرس الملكي في لندن له نظام بديع وغريب لذلك خطر في بالنا ان نذهب ثانية الى القصر الملكي لعلنا نشاهد الحرس وهم يبدلون . وصلنا القصر اخذنا صورا متعددة للحراس وهم واقفون لا يبدون حراكا ولا يعترضون على عملنا ثم مررنا بساحة بيكادللي . ومما جرى لنا في هذا اليوم اننا اخرنا سفرنا يومين لعدم الانتهاء من التأشيرات التي نود الحصول عليها من سفارات الدول الاوربية التي سنزورها وهذا ما حملنا على ان نقوم بجولات جديدة في مدينة لندن وما حولها .

تأخرنا باعطاء الجواب لصاحب الفندق حول البقاء او المغادرة وذلك بسبب تأخر الاولاد عن العودة الى الفندق وهم يلاحقون التأشيرات وعندما عادوا أفهمناه باننا باقون ولكن الوقت قد فات فبعد الساعة الثانية عشرة نهارا اجر غرفنا واخرج متاعنا منها ولكنه حجز لنا في فندق آخر لعدم وجود غرفة فارغة عنده وهذا إن دل على شيء فانما يدل على الدقة في العمل والتقيد بالمواعيد فالنازلون في الفنادق يجب ان يبتوا في امر البقاء او المغادرة قبل الثانية عشرة والا اعتبروا مغادرين ولكن صاحب الفندق ساعدنا مع ذلك وانتقلنا الى فندق آخر .

في هذا اليوم ايضا حضرت مسز «فال» وخطيبها وهي ابنة الشريف «هورسلي» مضيفنا في « هل » واحضرت لنا الجريدة التي نشرت لنا خبر الحفلة التي حضرناها هناك ودعتنا الى طعام الفداء ولكننا بالمقابل دعوناها نحن الى طعام الفداء مع خطيبها لانهم الآن يعتبرون في ضيافتنا . فقبلا دعوتنا وذهبنا الى مطعم تركي وتناولنا طعاما شرقيا معظمه شهير وعدنا الى الفندق وودعنا ضيوفنا ومضوا الى حال سبيلهم .

كما دخلنا في هذا اليوم مطعم « لاينز » وهو من المطاعم الفخمة في لندن وصاحبه يهودي عنده لا اقل من مائتي محل في لندن بين مقاهٍ ومطاعم وهو ثري جدا تبرع بمبلغ سبعة ملايين جنيه استرليني لاسرائيل دفعة واحدة .

« زيارة ميناء ساوثهامبتون »

الاحد ١٩٥٤/٧/٤ : توجهنا في الساعة السابعة صباحا الى بورتسموث وفي الطريق تناولنا طعام الافطار في احد المطاعم ولكننا لم نسر منه لانه غير نظيف ، وصلنا الى ميناء ساوثهامبتون وهو أعظم المرافىء الانكليزية ويبعد عن لندن/١٠٨/ أميال ويعتبر من المصايف الجميلة في الجزر البريطانية يؤمه ابناء الطبقات الراقية من الانكليز وغيرهم ويخيل اليك وانت داخل الى المدينة انك امام عدة فنادق فخمة ومعظم السكان من اليهود وفيها فنادق لا تقبل ان ينزل فيها الا اليهود . تناولنا طعام الفداء في احد الفنادق الفخمة وتوجهنا لزيارة بعض السوريين المقيمين في تلك المدينة فذهبنا الى منزل السيد معتز القضماني فلم نجده لانه مسافر الى لندن ليتوجه من هناك الى دمشق . ذهبنا بعد ذلك الى منزل السادة غسان مهايني وعبد الحفيظ

دالاتي وخالد البكري فاستقبلونا بحفاوة وانسنا بزيارتهم وشربنا عندهم القهوة وتبادلنا الحديث واخذنا صورا ثم عدنا أدراجنا الى لندن حيث وصلناها الساعة التاسعة مساء ، تناولنا طعام العشاء في الفندق ووعدتنا صاحبة المطعم وهي مصرية أن تقدم لنا في اليوم التالي طعام الغداء كما نطلب ونشتهي فطلبنا شواء على الطريقة العربية . وبعد ان دخلنا غرفنا في الفندق سهرنا حتى الثانية عشرة نرسم الخطط لرحلة اوربا ثم أوينا الى فراشنا على أمل أن ننهض مبكرين لاتمام اعمالنا في لندن .

الاثنين ١٩٥٤/٧/٥ : استيقظنا في الساعة السابعة صباحا وتناولنا طعام الافطار في الثامنة والنصف ثم نزلنا الى المدينة حيث راجعنا السفارةالالمانية واستلمناجوازات السفر منها وذهب موفق الى السفارة الفرنسية لأجل تأشيرة دخول الى فرنسا . ومن هناك توجهنا الى البنك حيثاخذنا دفتر شيكات بمبلغثلاثمائة جنيه قابل للصرف في أوربا . وكلل مرة ذهبنا فيها الى بنك لويد استطعنا ان ننجز اعمالنا بسرعة ودقة تامة . ثم مضينا الى مؤسسة كوكس لابدال تذاكر السفر ، وكم كنا مسرورين عندما لبي طلبنا في دقيقة واحدة .

عدنا الى الفندق وذهب راتب لتغيير زيت السيارة . والجدير بالذكر انالشركة التي باعتنا السيارة اعطتنا دفترا يمكننا بموجبه ان نصلح السيارة في جميع فروعها في انكلترا واوربا مجانا ولمدة ثلاثة اشهر . وفي الساعة الواحدة والنصف اجتمع الشمل في الفندق حيث كنا على موعد مع وجبة لحم مشوي هيأتها صاحبة المطعم المصرية ، وكانت مفاجاة لنا أن اكلنا اللحم المشوي والكباب مع سلطة خيار باللبن وسلطة خس وبندورة وخيار وزيت . اكلنا وشكرنا المولى سبحانه وتعالى . وسألنا صاحبة المطعم عن ثمن الطعام فقالت ادفعوا ما تريدون ، وهي لا تتكلم ولا تطلب شيئا انما اذا وجدت المبلغ قليلا فستطلب عندئذ . قدمنا ثلاثة جنيهات فقالت : كثير يكفيجنيهان ، ولم تقبل الثالث وارادت ارجاعه لنا فقلنا انه اكرامية لابنتها . وعدنا ثانية الى غرفنا وانزلنا الاغراض الى بهو الفندق .

زيارة بعض التجار واصحاب الاعمال

تركنا الفندق لنزور بعض تجار لندن المتخصصين بأصنافنا كما افادنا السيد

كنز ، وكان موعدنا الاول الساعة الثانية والنصف بعد الظهر . ذهبنا الى محل تجاري يبعد عشرة أميال عن الفندق فوجدنا الرجل الذي نقصده وبعد حديث مقتضب وعدنا بأنه سيأخذ في العام القادم كميات من البولب والمشمش بدون بزر أما القمر الدين فلا رغبة له به لانه وسخ . وهذا الرجل صاحب معامل معجنات في لندن ويملك عدة ابنية قرب مكتبه .

ودعناه لنقابل التاجر الثاني وموعدنا معه الثالثةوالنصف بعد الظهر فلم نجتمع به وانما اجتمعنا بثلاثة من موظفيه الاول متخصص بالجوز الحب والثاني بالجوز القلب والثالث بالبولب . وتبين لنا من حديثهم جميعا انهم يفضلون التعامل معالبلدان التيتتعامل بالاسترليني ولكنهم مع ذلك طلبوا مساطر منالجوز الحب والجوز القلب.

مغادرة لندن

كانت الساعة تشير الى الخامسة مساء حين عدنا الى الفندق فحزمنا امتعتنا ورفعناها على ظهر السيارة والمطر كأفواه القرب ، وانطلقنا في تمام السابعة مودعين مدينة لندن العظيمة ، وقطعنا احد عشر ميلا منالفندق حتى آخر بناء منابنيتها. تابعنا السير على طريق عريضة من احسن الطرقات حتى وصلنا الىبرايتون وهيمدينة تقع على الشاطىء ، دخلنا أحد المقاهي وتناولنا طعام العشاء وهو سندويش بجبنة ومربى الفريز ، فكان طعاما شهيا مع الجوع أولا ولأن الطعام نظيف ومثله المقهى غاية في النظافة ، وكان ثمن العشاء عشرةشلنات . وغادرنا المقهى المغمور بالاضواء الكهربائية المتعددة الالوان ، وسرنا تصحبنا المناظر الجميلة على طول الطريق ، فمن ساحات عامة الى حدائق ونوافير مياه واعمدة كهربائية مزينة بالمصابيح المتعددة الاشكال ، والابنية غاية في الفخامة . انها مدينة جميلة تفتن العقول يتمنى الانسان لو يبقى فيها شهرا ليمتع نظره بما فيها من جمال . واستطيع القول أن من لم يزر هذه المدينة كأنه لم يزر بريطانيا .

تركنا مدينة برايتون ومنطقتها ودخلنا الى مرفأ (نيوهافر) وهو الميناء الذي سنغادر منه الجزر البريطانية في صباح اليوم التالي باذن الله وتوفيقه .

الثلاثـاء ١٩٥٤/٧/٦ : استيقظنا صباحا وعقارب الساعة تشير الى السابعـة . ادخل راتب السيارة الى الجمرك لتفتش . وكان التفتيش يقتصر على السؤال التالي : هل عندك شيء ممنوع اخراجه ؟ ويكفيهم أن تقـول لا . دخلت السيـارة وضمنهـا كل الاغراض ورفعها عمال الميناء الى عنبر الباخرة .

عدنـا الى الفندق وتناولنا طعام الافطار واتجهنا مـن جديـد الى الباخرة مرورا بالشرطة الذين أشروا لنـا على جوازاتنا وسألونا عن العملة التي ادخلناها فافدناهـم بانهـا خارجة معنا . ثم مررنا بالجمارك فسألونا اذا كنـا نحمل شيئا ممنوعا فنفينا ، ثم دخلنا الى الباخرة وهي صغيرة الحجم نسبيا حمولتها بين خمسـة الاف طن وستـة آلاف . تجولنا في الباخرة ثم جلسنا في مقاعدنا ننتظر مغادرة الميناء .

وكان البحر هادئا والحمد لله ، وفي السـاعة الثانية والنصف ظهرا كانت باخرتنـا تلقي مراسيها في ميناء (دييب) الفرنسي .

هذا وقبل أن تخبو صور بريطانيا في الذهن أقول أن الجزر البريطانية كلهـا بدت لنـا كأنها حديقة جميلة عامة منسقة أحسن تنسيق ومزروعة أحسن زراعة تقطنهـا عائلة واحدة هدفها واحد وتربية أفرادها واحدة ومرجعها الرئيسي رب العائلة المطاع الـذي يحني الكل رؤوسهم أمامـه . وحيـاة هـذه العائلة حيـاة أدب وعلم وانتـاج واخلاص ومحبة والفـة .

على الجـانب الفرنسي مـن المانش

نزلنـا الى الامن العـام في دييب حيث شوهدت جوازاتنا ثـم الى الجمرك ولـم نتأخر لاننـا لم نكن نحمل شيئا وأغراضنا كلها في السيارة . ولما ذهبنا لاستلام السيارة وحضر موظف الجمرك ليفتشها طلب منـا فتح الحقائب والرزم كلهـا ، ولمـا شاهـد ما اشتريناه من لندن طلب رسوما عليها فأفهمناه اننـا لا نتاجر بهـا وانما نحن سوّاح اشترينا هدايا الى سورية . ولكن محاولاتنا معه ذهبت أدراج الرياح وأبى الا أن ندفع رسوما نستردها عند الخروج من فرنسـا حين تشاهد الاغراض . وبعد ساعة ونصف من الاخذ والرد استلمنا السيارة والاغراض . مثل هذه المعاملة لم نلقها عند الانكليز ، بل انهم لم يسألونا عن السيارة واوراقها طول المدة التي قضيناها في بلادهم وطفنا فيها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب . والظاهر ان القوانين الفرنسية صارمة .

في الطريق الى باريس

ومن ميناء ديبب الموحل وغير النظيف مضينا في طريق تختلف تماما عن الطرق التي شاهدناها في بريطانيا ، اذ لم تكن توجد في طرقات فرنسا اشارات مرور ترشد المارة، وكانت الطرق ضيقة لا يتوفر فيها اتجاهان كما هو الشأن في أكثر الطرق الانكليزية التي شاهدناها في بريطانيا ، اذ لم نر في طريقنا اشارات مرور ترشد المارة ، ولا يمكن المقارنة بين القرى الفرنسية والقرى الانكليزية ، ففي انكلترا لا تختلف القرى عن المدينة في شيء ، فالشوارع والحدائق والتنسيق والزهور وحياة السكان والمتاجر مختلفة تماما عن القرى الفرنسية التي مررنا بها فالطرق سيئة ووسائل النقل بدائية وفيها الطنابر والدواب والفلاحون يستعملون المحراث القديم والدواب في حراثة الارض . والبناء غير متجانس ويدل مظهره على تفاوت كبير بين المدن والقرى حتى أنه يوجد تفاوت كبير بين الناس في القرى ذاتها ، فهناك ابنية كزرائب الدجاج وابنية مقبولة نوعا ما . والجنائن والزهور مفقودة تماما ، والمحلات التجارية قليلة ومحدودة من حيث السعة والعناية بالعرض ، وكل ذلك تشاهد نقيضه في بريطانيا . والسكان الريفيون في فرنسا لباسهم غير متجانس ولا منسق ويدل على سوء حال يعيشون فيه وكلهم لا يتقيدون بنظام ويمرون من منتصف الطريق فلا معابر ولا اشارات على الطرق ! .. واخيرا دخلنا الى باريس ووجدنا فيها فندقا مناسبا .

واذا كان لا بد من تفسير لذلك فهو الاحتلال الالماني الطويل لفرنسا وما تركه من آثار مدمرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية ولا بد ان الامور تغيرت كثيرا في فرنسا كما سمعت فيما بعد وصارت حضارتها من أرقى الحضارات .

باريس

الاربعاء ١٩٥٤/٧/٧ : قمنا بزيارة قصيرة للسفارة من اجل تأشيرات السفر . ثم انتقلنا لنرى برج ايفل اعجوبة القرن التاسع عشر وهو اجمل مشاهد مدينة باريس من حيث الضخامة وروعة الهندسة . يعلو البرج ثلاثمئة متر عن سطح الارض ، ويقوم على أربعة قواعد من الفولاذ ، بين القاعدة والقاعدة خمسون مترا تقريبا وتصل بينها اقواس من حديد شيد عليها بناء حديدي مكوّن من ثلاثة طوابق يصعد اليها بمصعد

كهربائي يتسع لاربعين شخصا . يقدر عدد الصاعدين بألفي شخص في كل ساعة ، والطوابق الثلاثة فيها مطاعم ومقاهٍ .

صعدنا بعد أن دفعنا اربعمائة فرنك عن كل شخص ووصلنا الى الطابق الثاني فبقينا فيه انا وراتب اذ لم أستطع المتابعة بينما صعد موفق وام راتب الى الطابق الرابع وشاهدوا باريس كلها وأخذوا صورا متعددة .

الشانزيليزه

والشانزيليزه شارع كبير يتفرع عن ساحة واسعة تعادل مساحتها عشرين ضعفا من ساحة الامويين في دمشق ، ويتفرع عنها اثنا عشر شارعا لا يقل عرض الواحد منها عن أربعين مترا ، وعرض الشانزيليزه ثمانون ، ويحيط به رصيفان عند كل منهما مكان لصفين من سيارات الانتظار ولهما طريقان خاصتان عدا الطريق الرئيسي الذي تمر فيه السيارات الذاهبة والعائدة ، كما يوجد رصيف للمارة . ونظام السير أقل من نظام لندن في ترتيبه وتامين السلامة ووضوح الاشارات ، وشاهدنا في ساعة واحدة حادثي سير في حين لم نشاهد في بريطانيا كلها حادث اصطدام واحد .

الخميس ١٩٥٤/٧/٨ : زرنا القنصلية السورية للمرة الثالثة لاضافة بعض البلدان الى جوازسفرنا ، ولكننا قوبلنا بمقابلة غير لائقة من قبل احد الموظفين الامر الذي جعلنا نبدي ملاحظة للسيد فيصل الدالاتي الذي استقبلنا بحفاوة واعتذر عن تقصير هذا الموظف .

أعود الى شارع الشانزيليزه فانه في آخره تقع ساحة واسعة في قلبها قوس النصر ، والساحة غاصة بالسيارات ولا يقل ما يدور في الساحة عن خمسة آلاف سيارة كل ساعة وحوالي ستين الف سيارة في اليوم الواحد ، وذلك حسب تقديري . وهناك ساحات أخرى تشبه ساحة النصر أهمها ساحة (الكونكورد) .

واطلعت على أسعار بيع الخضار والفاكهة بالمفرق من محل دخلت اليه ويمكن أن نقول أن أسعار الحاجيات في باريس أعلى من مثيلاتها في لندن وتوجد فيها حاجات أفضل من التي في لندن ، أما طريقة عرض البضاعة فيمتاز بها الانكليز وحدهم حيث يغيرون العرض عدة مرات في اليوم الواحد كما سبق الذكر وعندهم مدارس خاصة للتدريب على جودة العرض وحسن التنسيق وتزيين الواجهات .

بين مترو باريس ومترو لندن

الجمعة ١٩٥٤/٧/٩ : ذهبنا هذا اليوم الى السفارة السورية عن طريق المترو فلاحظنا وجود فروق كبيرة بين مترو باريس ومترو لندن نذكر بعضها : ففي لندن تلاحظ نظافة المحطات وفخامةالبناء ، ومترو لندن درجةواحدة وهو افخم من الفرنسي من حيث الفرش ، اما مترو باريس ففيه درجتان أولى وثانية . وتستوعب العربة الواحدة من عربات مترو لندن مائة شخص بينما عربة مترو باريس لا تستوعب اكثر من خمسة وثلاثين . والتمديدات الكهربائية في لندن مخفية نظرا لثقتهم بصحة عملهم بينما هي ظاهرة في مترو باريس وذلك لتسهيل صيانتها . ومحطات مترو لندن تفتح ابوابها وتغلق تلقائيا بينما في مترو باريس توجد مفاتيح كمفاتيح محطات القطر العادية . وعدد قطارات مترو لندن أكثر ولا تحتاج الى انتظار في محطاتها على عكس العدد القليل منها كما يلاحظ في مترو باريس وتحتاج بذلك الى انتظار اطول . وفي لندن تنتقل بسهولة من محطة الى محطة فلا تقطع ارصفة وخطوطا اما في باريس فتحتاج للسير مسافات بعيدة وتضطر الى قطع ارصفة وخطوط .

فروق اخرى في العادات

وفي لندن لا يقدمون ماء مع وجبات الطعام وانما يقدمون الشاي او عصير البرتقال أو القهوة ، ولا يقدمون الخبز الا نادرا ويأكلونه بعد الطعام مع الزبدة والمرملاد او الجبن والمرملاد (ونسميها تنشيفة !) اما في باريس فيلفت النظر كثرة الناس الذين يحملون الخبز ولا يرى مثل ذلك في لندن .

وترى الانكليز الزائرين لباريس يبتسمون حين يرون المرأة الفرنسية تحمل ارغفة الخبز الطويلة وكأنهم ينظرون الى شيء مستهجن وغير مألوف .

فونتينبلو وفرساي

فونتينبلو مدينة جميلة تبعد عن باريس مسافة ستين كيلو مترا وفيها قصر تاريخي على اسمها ، ولهذا القصر حدائق واسعة وتحيط به غابات . دخلنا القصر وكانت تقام فيه حفلة على شرف الجنرال (ريدجواي) الاميركي رئيس قوات حلف

الاطلسي ، وكانت فرنسا اعفته من مناصبه بسبب بعض التصريحات السياسية الصادرة عنه ، واحتفظ الاطلسيون بمنصبه كرئيس لقوات حلفهم . شاهدنا قادة الحلف المحتفلين كما اطلعنا على معالم القصر ، وتبلغ مساحته مع الغابات المحيطة به مائة وسبعين الف دونم !

تركنا هذا القصر وتوجهنا الى قصر فرساي التاريخي أيضا وهو مقر ملوك فرنسا في الماضي . وكانت الطريق التي قطعناها جميلة منسقة احسن تنسيق ففيها جنائن وحدائق فاكهة تقع بينها المقاهي الجميلة النظيفة التي تقدم فيها خدمة ممتازة للرواد.

دخلنا احد هذه المقاهي وتناولنا قليلا من الطعام خوفا من الغلاء ومع ذلك دفعنا مبلغ ٤٦٠٠ فرنك فرنسي اي ما يعادل في تلك الايام ستاً واربعين ليرة سورية . إي كان الفرنك الفرنسي يعادل قرشا سوريا . . . وفي زيارتنا لقصر فرساي جالفنا الحظ ايضا حيث كانت وزارة الفنون الجميلة تقيم فيه حفلة تحت رعاية وزير الفنون . دفعنا ما يعادل عشر ليرات عن كل شخص ودخلنا القصر الكبير الضخم . واجهاته كلها من الرخام الجميل الانيق . طفنا في حدائقه الواسعة وشاهدنا البحيرات الاصطناعية الكثيرة المتعددة الاشكال ينصب الماء فيها من نوافير متعددة الاشكال هي الاخرى ، وقد سلطت الانوار على تلك البحيرات بشكل جميل اخاذ ، وكنا نسمع المياه المنصبة في البحيرات وهي تحدث في اثناء خروجها من النوافير أصواتا جميلة . كما شاهدنا التماثيل الموزعة بكثرة في ارجاء الحدائق وكان القصر مضاء بأجمل الانوار الملونة .

ابتدات الحفلة بالغناء والموسيقا ورافق ذلك شرح لتاريخ القصر من بناه ومن سكنه حتى الوقت الحاضر . ولما انتهت حفلة الصوت والضوء هذه عدنا والسرور يغمرنا من روعة المناظر التي شاهدناها في زيارتنا هذا اليوم والطرقات اليها ، وكانت عقارب الساعة تشير الى الحادية عشرة ليلا ، فعدنا الى الحي الذي نقطن فيه . وكان بين فرساي وباريس اثنا عشر طريقا كل منها يوصل الى حي من أحياء المدينة ، واختيار الطريق المناسبة يوفر على الداخل الى باريس مسافة تتراوح بين عشرة كيلو مترات واثني عشر على أقل تقدير هي التي يقضيها المرء متنقلا من شارع الى شارع ومن اتجاه الى اتجاه ان هو لم يحسن الاختيار . وقد سررنا بهذا النظام اذ كان علينا

توفير الوقت والجهد . وقد وصلنا الى فندقنا في منتصف الليل ؛ بعد ان قطعنا في نزهتنا ما يقرب من ١٥٠ كيلو مترا في الذهاب والاياب .

السبت ١٩٥٤/٧/١٠ : زرنا جامعة السوربون الشهيرة وتجولنا ضمنها وشاهدنا ابنيتها وحدائقها ، كما زرنا سوق الهال الرئيسي سوق الخضار والفواكه وهو أوسع من سوق لندن واحدث ترتيبا . وفي السوق جناح للذبح وجناح لبيع اللحوم ؛ وتحت محلات البيع توجد برادات ومستودعات ، وضمن المسلخ توجد محلات تحت الارض لصنع الصابون من فضلات اللحم . كما زرنا محطة ليون وهي محطة كبيرة لها شهرة عالمية ولكن محطات لندن اكثر تنظيما .

الاحد ١٩٥٤/٧/١١ : قررنا ان نبقى في باريس حتى يوم الخميس ١٤ تموز حيث يوجد في ذلك اليوم عيد يحتفل به القوم فنشاهد الاحتفالات ونكون خلال هذه المدة قد أنهينا ما نحتاج اليه من تأشيرات . زرنا بعض الحدائق ومنها « حديقة بولونيا » التي تقل ترتيبا وتنسيقا وعناية عن حدائق لندن . ففي حدائق لندن الارض كلها خضراء معشبة والاشجار كبيرة ومنسقة وهنا توجد اشجار ولكنها اصغر حجما والارض جرداء غير مغطاة بالخضرة ، وماء البحيرات متغير اللون في حدائق باريس كأنه لم يغير منذ أمد بعيد . . . طفنا في أجزاء متحف (اللوفر) البناء فخم والآثار كثيرة وتمثل حضارات العالم ، والمتحف امامه حدائق واسعة . وخلال جولتنا هذه زرنا قبر نابليون وهو بناء فخم ودفن فيه الجنرال فوش ايضا ، وفيه متحف للاسلحة القديمة . وهنا استرحنا قليلا لان التعب اخذ منا كل مأخذ . ثم زرنا القصر الكبير والقصر الصغير وفيهما متحف للفن الفرنسي ويفصل بين القصرين شارع عريض يمتد من قبر نابليون . ثم ذهبنا الى قصر الأليزيه فشاهدناه دون أن ندخله وشاهدنا الحرس الجمهوري بألبسته الرسمية ولكن شتان ما بين منظر قصر الملكة والحرس الملكي في لندن والقصر الجمهوري في باريس من حيث اللباس والنظام وعراقة التقاليد .

في احدى صالات التمثيل

ذهبنا الى صالة (ميكادون) في الثامنة مساء لنشاهد احدى التمثيليات ودفعنا ٩٥٠ فرنكا عن كل شخص . المكان يتسع لألفي متفرج والممثلون خمسون والرواية

ناشفة وما فيها الا سرعة ابدال اللباس واسدال الستائر ورفعها . ثم عدنا الى الفندق في منتصف الليل ومما يذكر ان التمثيل ممنوع يوم الاحد في لندن وكذلك المباريات لانه يوم راحة ونزهات ورحلات الى المسابح والحدائق والالعاب الرسمية .

في السفارات الاوربية

المعاملة كانت حسنة في سفارة هولندا وسويسرا وحصلنا على تأشيرات دخول بسهولة وتزودنا بمعلومات عن المياه المعدنية واطباء الجلدية في سويسرا كما حصلنا على الكتب والنشرات السياحية والمصورات .

طبيب سوري في باريس

بعد ظهر هذا اليوم ذهبنا لمراجعة الدكتور فؤاد القيّم الطبيب السوري المقيم في باريس . دخلنا العيادة وانتظرنا دورنا حيث أن عدد الزبائن لا بأس به . ولما دخلنا استقبلنا بالترحيب والبشاشة وبعد ان شرحنا له مرضنا أرشدنا الى طبيب مختص واستاذ في السوربون وطلب منا أن نعلمه عن نتيجة زيارتنا له وأن نستعين به بكل ما يلزمنا في باريس . عرضنا عليه دراهم فلم يقبل . ودعنا الدكتور القيم شاكرين واتصلنا بالطبيب الذي ارشدنا اليه وحصلنا على موعد بعيد ثم استطعنا بعد تدخل صاحبة الفندق أن نجعله في الساعة السابعة والنصف مساء هذا اليوم .

ولما ذهبنا الى عيادته ودخلنا الى غرفته راينا انه رجل ذكي في الخامسة والاربعين. استجوبنا واعطيناه المعلومات وقرا وصفات طبيبنا الخاص الدكتور خبصة في بيروت واعجب بمعلوماته . وبعد الفحص وصف لنا دواء على الا نتناوله الا بعد استشارة الدكتور خبصة وكتب لنا وصفة ثانية تستعمل ادويتها آنياً . . . وقد سررت جدا بزيارته لما ابداه من تفهم ومن لطف في المعاملة . واعترافا بالفضل دفعنا له اجرة المعاينة مبلغ ستة آلاف فرنك وودعناه شاكرين مطمئنين على صحتنا ، خاصة وان المرض كان خفيفا وربما بسبب راحة الفكر ووافق الطبيب على هذه الملاحظة .

زيارة سوق خضار فرعي في باريس وحديث عن اسواق الخضار

الهدف التجاري مراعى في رحلاتنا فالتجارة عملنا ونريد أن نستزيد من المعلومات عنها لنخدم انفسنا وبلدنا ، وهذا ما يجعلنا نركز في زياراتنا على الاسواق التجارية والمنشآت الصناعية والزراعية .

كنا في باريس قد زرنا اكثر معالمها التاريخية والحضارية ، وطفنا شوارعها كلها خلال زياراتنا للسفارات السورية والاوربية للحصول على تاشيرات ، ولا رغبة لنا في ارتياد المسارح ودور السينما والملاهي المتعددة وهي التي يشغل زوار باريس أوقاتهم في ارتيادها ، لذلك قررنا ان نزور سوق خضار فرعيا بعد أن زرنا سوق الخضار الرئيسي في مدينة باريس .

في هذا السوق اصناف الخضار والفاكهة كلها ، وهم يبيعونها على بسطات تشبه المربيات في الشام وكل صنف من الاصناف بسعر مثبت على بطاقة ولا يستطيع اي انسان ان يمس البضاعة بل يشاهدها ويقرأ السعر فاذا رغب في الشراء وقف بدوره مع الواقفين فاذا وصل دوره طلب حاجته ودفع الثمن واخذ ومضى في سبيله . ومن خلال ملاحظة الاسعار في هذا السوق وفي السوق الرئيسي الذي زرناه مرة ثانية وقت البيع والشراء وجدنا ان نسبة ارباح باعة المفرق تتراوح بين ١٠٪ و ٣٠٪ من ثمن الكلفة ، وفي سوق الهال الرئيسي لاحظنا ان الشوارع والممرات تعطى لبائعي الزهور لقاء أجر يدفعونه للبلدية ، وحول السوق الرئيسي توجد محلات لبيع الخضار والفاكهة كما هو الحال عندنا والخضار تنقل في المدينة بواسطة السيارات .

سان ميشيل وحديقة اللوكسمبورغ والشانزيليزه

ثم توجهنا الى شارع سان ميشيل وهو من الشوارع الرئيسية الممتازة في باريس وفيه حاجات ممتازة ودخلنا حديقة اللوكسمبورغ وفيها أشجار وزهور وبحيرة ونوافير ماء والعاب متعددة للاولاد ويستفيدون منها لقاء اجور بسيطة . ومن اراد الجلوس على كرسي فقط يدفع ما قيمته سبعة قروش سورية بعملتهم . الحديقة منظمة احسن تنظيم طافحة بالزوار أمضينا فيها ساعتين .

ثم ذهبنا الى شارع الشانزيليزه وبقينا فيه حتى الحادية عشرة ليلا ، فالانسان

لا يمل من زيارته والطواف فيه حيث يدهش من عظمته وكثرة المقاهي التي تسبي العقول بجمالها وكثرة المخازن والمحلات التجارية ووفرة المعروضات وتنوعها وكثرة الملاهي ودور السينما والمسارح والمطاعم ، يضاف الى ذلك كله الفنادق الفخمة ، وقد زرناه اكثر من مرة .

مشاهدة العرض العسكري

الاربعاء ١٩٥٤/٧/١٤ :
استيقظنا في السابعة صباحا وغادرنا الفندق بلا فطور لنصل الى مكان العرض العسكري ونحجز اماكن فنتمكن من مشاهدة هذا العرض . وصلنا مبكرين وشاهدنا الجيوش تدخل من الطرق المؤدية الى مكان وقوف رئيس الجمهورية وهي تدق الارض بقوة على انغام الموسيقى العذبة . وفي الساعة التاسعة والنصف استعرض رئيس الجمهورية الجيوش بسيارة ملكشوفة وبقينا في مكاننا مأخوذين بمشاهدة هذا العرض الفخم حتى الساعة الحادية عشرة حيث عدنا الى الفندق ونلنا قسطا من الراحة ، ثم عدنا الى ساحة العرض نمتع انظارنا بمشاهدة المشاركين فيه ... وينتهي العرض ونعود الى الفندق لننزل منه مرة ثالثة للطواف في شارع كران آرمه الموازي لشارع الشانزيليزه حيث شاهدنا محلات بيع الالعاب للصغار والكبار .

الخميس ١٩٥٤/٧/١٥ : بعد دراسة متأنية للظروف والملابسات التي اعترضت سبيل ذهابنا الى اسبانيا قررنا العدول عن زيارتها لضيق الوقت وللمدة الطويلة اللازمة لنصل الى فلانسيا بلد المشمش ، وزيارتها هي الهدف الرئيسي من ذهابنا الى اسبانيا ، لا سيما وان موسم المشمش سينتهي قبل وصولنا اليها حسب ما قدرناه . فلنحول الاشرعة اذن شطر اوربا الغربية وكنا حصلنا على تأشيرات الدخول اللازمة من سفارات بلجيكا وهولاندا وسويسرا وايطاليا ، وما علينا الا أن نلم شباكنا ونهيء انفسنا لمغادرة باريس التي لم يعد للاقامة فيها مأرب بالنسبة لنا . حاسبنا صاحبة الفندق ودفعنا حسابنا تأهبا للسفر غداً ولم يبق يعوقنا شيء عنه .

الجمعة ١٩٥٤/٧/١٦ : غادرنا باريس في الثامنة صباحا وخمس وثلاثين دقيقة . وكان الطريق بين باريس وحدود بلجيكا مع فرنسا منظما معتنى به ، والقرى

والمدن اكثر تنسيقا وجمالا والارض خصبة مزروعة حنطة وبطاطا وهي اراض بعلية لا تحتاج الى السقاية نظرا لكثرة الامطار . المناظر جميلة والعناية والنظام والحركة لم نشهد مثلها على الطريق الممتد بين دييب وباريس . ولتوضيح الفرق بين الطريقين اذكر اننا مررنا بقرية تقع على الطريق الثاني اسمها (لاون) وهي بلدة جميلة مبنية على عدة هضاب تكثر حولها الاشجار وبناؤها متباعد واسطحة المنازل مغطاة بالقرميد والجدران مشيدة بالآجر . البلدة جميلة جدا وتشبه المصايف اللبنانية .

معاملة حسنة على الحدود

عند طرف فرنسا اشر الفرنسيون على اوراق السيارة دون ان يؤشروا على الجوازات او يطلبوها منا وكذلك فعل البلجيكيون عند طرف بلدهم . وعندما دخلنا الاراضي البلجيكية تحسنت الطرق وتحسن البناء ، فالطرق اكثر عرضا من طرق فرنسا واشاراتها اكثر واوضح ، وهي مخططة بخطوط بيضاء ممتدة على طول الطريق والزفت ناعم وجيد والابنية فخمة محاطة بالحدائق الطافحة بالزهور والاشجار ، كما لاحظنا العناية بالزراعة . كل هذا جعلنا نشبه بلجيكا ببريطانيا من حيث البناء والعناية بالطرق وبالزراعة .

ودخلنا اول مدينة بلجيكية وهي صناعية غنية بمناجم الفحم الحجري وفيها معامل كثيرة . مررنا بعدة قرى تختلف من حيث الترتيب والتنسيق وعرض البضائع عن القرى الفرنسية وتشبه الانكليزية . وقبل ان نصل الى بروكسل بثلاثين كيلو مترا منها دخلنا مطعما وتناولنا طعاما شهيا كثير الكمية حيث يضعون الطعام ليغرف الزائر بقدر ما يريد ، وبعده قدموا الموز والبرتقال والتفاح ، وفرحنا بالتفاح خاصة لاننا حرمنا منه منذ خروجنا من دمشق حتى هذا التاريخ . وكان ثمن الوجبه كلها ٢٤٠ فرنك . وهنا ملأنا سيارتنا المسكينة المكدودة بالبنزين وهو أرخص من فرنسا دخلنا بروكسل في الرابعة مساء ونزلنا في فندق (بوليفارد) وسعر المنامة فيه ولسرير واحد بلا طعام تساوي سبع ليرات سورية وهو أحسن من فندقنا في باريس وكانت اجرة المبيت فيه تسع ليرات سورية لكل ليلة . تلك كانت الاسعار في ذلك الوقت اما الآن فيا لطيف ! . .

زيارة معالم المدينة

طفنا شوارع المدينة بالسيارة وذهبنا الى قصر الملك والبرلمان وتفصل بينهما

حديقــة عامــة كمــا ذهبنا الى القصر العدلي وهو مبني على هضبة عالية تطــل على المدينــة . والمدينة القديمة منخفضة غير نشطة ، بناؤها متقارب حتى يخيل اليك انه متراكب . والطرقات ضيقة وخطوط الترام تشغل كل الطرق لانها تغطي المدينة كلهــا كمــا تغطي الضواحي لمسافة خمسة عشر كيلو مترا عن المدينة .

زرنــا الجامعة وهي واسعة فيها عدة ابنية محاطة بالحدائق وتقــع على هضبــة عالية وفي احسن مناطق المدينة حيث الشوارع العريضة . وابنيــة الجامعــة مكسوة جدرانها بالخضرة . وزرنا في طريق العودة الى الفندق محلا تجاريا وهو سوق تجاري داخلي يشبه سوق الليدو الذي شاهدناه في باريس في شارع الشانزليزه ولكنه يفوقه في الفخامة وحسن التنسيق وجمال العرض . وفيه سلع جميلة لم نشاهد مثلهــا في اسواق باريس واسم هذا السوق كالوري لوثر . ثم عدنا الى الفندق نذرع شــوارع بروكسل في المساء وقد ازدانت بالانوار الكهربائية المتعددة الالوان ممــا جعلنــا نتذكر ساحــة بيكادلي في لنــدن .

السبت ١٩٥٤/٧/١٧ : غادرنا بروكسل في تمام الساعة الثامنة صباحا متوجهين الى (إيفنز) وهي مرفأ بلجيكا البحري ويبعدعنبروكسل ٤٧ كيلو مترا . وفي منتصف الطريق بين بروكسل وإيفنز مررنا ببلدة صناعية اسمها (بــوم) تكثر فيها المعامل . والمسافة التي قطعناها في بلجيكا كلها تظهر لك هذا البلد وكأنه مدينة واحدة . فالبناء لم ينفصل بعضه عن بعض وهو جميل منسق والطرق عريضة مقسومة الــى قسمين تتوسطهما حدائق وكل قسم يتسع لسيارتين ، ويوجد طريق للدراجاتالعادية على كل جانب . والطريق بــين بروكسل وإيفنز مستقيم فيــه كوعــان او ثلاثة أكــواع فقط وهــو محــاط بالاشجــار .

الى هولاندا الاراضي المنخفضــة التــي يكافح اهلهــا ليمنعــوا طغيــان البحــر على بــلادهم

وعند وصولنا الى الحدود الهولاندية شاهدوا جوازات سفرنا ولميشاهدوا أوراق السيارة ولم يفتشوها ... الطريق في هولاندا جميل جدا عريض معتنى بــه ومشجر حتى خيل الينــا أننــا نسير في غابة ... الارض خصبة مزروعــة بالبطاطا والحنطــة

ويلفت النظر في هولاندا كثرة الانهار وكثرة الجسور . وبعد (برأيد) التي تبعد عن الحدود الهولندية البلجيكية مسافة عشرين كيلو مترا وصلنا الى بلدة انقطع فيها الطريق . توقفنا على ضفاف نهر عريض يشبه البحر وقطعنا النهر بواسطة سفينة صغيرة مع عدد من الناس والسيارات والدراجات ودفعنا ما قيمته ١٢٥ قرشا وصلنا الى الضفة الثانية والى بلدة اسمها (اترنخت) وهي واسعة وفيها معامل وعدة جسور ، ثم وصلنا آخر الامر الى (امستردام) عاصمة هولاندا . وخلال الطريق الذي سرنا فيه يلاحظ الشبه بين هولاندا وبلجيكا من حيث جمال المناظر والعناية بالطرقات وبالزراعة .

امطار غزيرة وبرد ورياح شديدة

في بلجيكا ومنذ دخولنا الى بروكسل وطوال المدة التي امضيناها هناك وعلى طول الطريق بين بروكسل وامستردام كانت الرياح تعصف بشدة والبرد يلسع جلودنا والامطار لم تنقطع ، ويستغرب الانسان كيف الِفَ اهل تلك البلاد جو بلادهم هذا حيث تراهم في الشوارع يعملون ويذهبون ويعودون دون أن يحسبوا للمطر اي حساب.

في ربوع امستردام عاصمة الاراضي المنخفضة

طفنا شوارع امستردام باحثين عن فندق نأوي اليه ، ندخل فندقا ونخرج من آخر الى ان القينا الرحال في فندق ليس له شهرة غيره لانه صغير واجرة المبيت في هذا الفندق عشرة فلوران للشخص الواحد مع الفطور فقط . والفلوران كان يساوي ٩٥ ــ ١٠٠ قرش سوري ... نمنا ولم نغادر الفندق لشدة الامطار والبلدة مغلقة اذ كنا في يوم السبت ، ولم نغادر الفندق الا بعد العاشرة من صباح اليوم التالي .

الاحد ١٩٥٤/٧/١٨ : تناولنا طعام الفطور في الفندق ثم صعدنا الى الغرفة واخذنا ننظر الى السيارات والمارة من خلال الزجاج ودهشنا لكثرة استعمال الدراجات العادية من قبل الرجال والشيوخ والنساء والاطفال . وقبيل الظهر خفت الامطار وهدا الجو فنزلنا الى المدينة وطفنا في الاسواق المزدحمة بالمتفرجين على عرض البضائع لان الهولنديين أصحاب ذوق ويعتنون بعرض بضائعهم وهم يشبهون الانكليز

من هــذه الناحية . واسعار البضائع في امستردام مساويـة لاسعــار لندن تقريبا . الناس مهذبون نشيطون يسيرون بأدب وحرية ، وعند الظهر او بعده بقليل عدنا الـى الفندق وتناولنا الغداء وامتطينا السيارة لنذرع مدينة امستردام كلها فالمدينة جميلـة جدا وطرقاتها منظمة تكثر فيها الاشارات الواضحة التي لا يحتاج الغريب معها الى ان يسأل احدا عن أي مكان كمـا انه لا يوجد شرطة في الشوارع . وفي المدينة شبكةطرق طويلة وواسعة للترام الكهربائي تغطي سائر الاحياء وفيها ايضا شبكة من الطرق المائية لأن البحر يتخلل المدينة حيث يوجد بين كـل شارعين مجرى مائي تمخر عبـابه سفن تؤمن الانتقال ضمن اقسام المدينة ، وهذه السفن تحل محل مترو الانفـاق الموجود في لنـدن وباريس . وفي المدينة اكثر من اربعمائة جسر منصوبة فوق الممرات المائية وهي مرتفعة نسبيا عـن سطح المـاء لتسمح بمرور السفن تحتهـا . . . الشوارع عريضـة والحدائق كثيرة والابنية فخمـة وخاصة تلك التي تقع حول المدينة وهي إما فيـلات او وحدات سكنية تفصل بينها شوارع عريضة وحدائقواسعة تسبي بجمالها العقول. وواجهات الابنية مغطاة بالخضرة والنباتات المتسلقة والشرفات طافحة بقطع الزريعة المليئـة بنباتات الزينـة والورود .

ضاحيـة مـن ضواحي امستردام

سرنـا في طريق عريضة مستقيمة على احد جانبيها طريق مائيـة وترام كهربائي مؤلف من عربة صغيرة وعلى الجانب الآخر قطار كهربائي يسير بسرعة لا تقل عن مائة كيلو متر في الساعة . وصلنا ضاحية تبعد عن العاصمة مسافة عشرين كيلو مترا ولـم نشاهد أي فروق بينها وبين العاصمة لا في البناء ولا في الطرقات المنظمة ولا الحدائـق المنظمة والمحلات التجارية التي يتفنن اصحابها بعرض بضائعهم ولا في عـادات السكان واخلاقهم وسلوكهم . عدنا أدراجنا الى الفندق وعقارب الساعة تشير الى السادسـة والنصف مساء حسب توقيت امستردام . سهرنا حتى الحـادية عشرة ليـلا نخطط لرحيلنا من امستردام صبيحة اليوم التالي ثم أسلمنا اجفاننا للكرى واجسـادنا للرقاد.

جـولـــة اقتصـــادية

الاثنين ١٩٥٤/٧/١٩ : تركنـا الفندق الثامنة صباحا بعد ان تناولنا طعام الافطار وتوجهنا الـى غرفـة التجارة لأخذ معلومـات عـن الاصنـاف التـي تصدّرهـا .

كانت الساعة التاسعة تماما عندما دخلنا بناء غرفة التجارة فاستقبلنا أحد موظفيها وقال أن المراجعات تبدأ في الساعة العاشرة ولكنه سمح لنا بمراجعته حتى لا نعود ثانية ونؤخر أعمالنا . سألناه عن التجار الذين يتعاطون تجارة الجوز والبزر والمشمش في أمستردام . وقد هم باعطائنا المعلومات التي طلبناها ولكنه ضمت برهة ليقول الأحسن أن تذهبوا الى دائرة التجارة الخارجية لتحصلوا على معلومات ادق واوفر من تلك التي سأقولها لكم واعطانا عنوان تلك الدائرة . ذهبنا الى دائرة التجارة الخارجية وعقارب الساعة تشير الى العاشرة تماما . جلسنا في غرفة الانتظار فحضر على الفور موظف مختص فهم منا ما نريد فأحضر جدولا مطبوعا فيه عناوين التجار الذين يتعاملون بالاصناف التي ذكرناها له واسعار هذه الاصناف عند كافة التجار والمصدرين . وعندما قلنا له نحن نريد الاتصال بأفضل التجار الذين يتعاملون بتلك الأصناف اذ ليس لدينا الوقت الكافي للاتصال بهم جميعا ، كتب لنا ستة أو سبعة عناوين . ذهبنا لزيارة أحد أصحابها وهو مختص بتجارة البطاطا يستوردها من شمال البلاد ويصدرها وليس لديه مزارع ، ولكن هذا يجعلنا نقرر أن نذهب الى (تنجاكوبي) الواقعة في الشمال ... تركناه وذهبنا الى عنوان آخر يتاجر صاحبه بالجوز والبزر ، وقابلنا الرجل وشاهدنا على مكتبه مسطرة من الجوز . قلنا له هذا الجوز من سوريا اليس كذلك فأجاب نعم ، قلبنا حبات الجوز بحب ولهفة ولفت نظرنا وجود حبة يدل مظهرها على أنها فارغة فوجدهافارغة عندما كسرها كما قلنا فأعجب بدقة ملاحظتنا ومعرفتنا . وعندما جاء ذكر البزر قال ان الصين تقدمه لنا بأسعار افضل بكثير من اسعار سوريا ... اما عن القمر الدين فهو لا يريد أن يسمع اسمه وهذه الظاهرة لمسناها في كثير من البلدان التي زرناها فهم ينعتون القمر الدين بعدم النظافة وانخفاض مستوى الجودة ... طلب منا ان نرسل له مساطر جوز وبزر حلو ومر ويانسون وكمون وأن نريه المساطر الموجودة معنا . كما ذكر لنا بأن لديه عرض تفاح الى فرنسا وأعطانا عنوان محله في تلك البلاد لنعرض عليهم مساطر تفاح يريدونه في ايلول ... ودعناه شاكرين واتجهنا الى البنك حيث بعنا خمسين جنيها شيكا على لندن بسعر ١٠ر٦ فلوران وقبضنا ثمنها ٥٣٠ فلوران كما بعنا ما كان قد بقي معنا من الفرنكات الفرنسية ... وكانت نهاية المطاف في الفندق حيث دفعنا الحساب عن سنامة اربعة اشخاص مدة ليلتين مع ترويقة طعام الفطور مبلغ ٧٣ر٩٠ فلوران هولندي .

مغـــادرة امســـــتردام

اخذنــا اغراضنا وحملناها على سيارتنا الموقرة عند الظهر وانطلقنــا نبحث عــن الطريق الــذي يوصلنا الــى ساحل هولانــدا الشمالي وميــنــاء (ديافر) وسرعــان ما وجدناه . انطلقنا بسيارتنا وفوجئنا بأن الطريق قد انتهى امامنا ووصلنا الى شاطىء ممر مائي كان علينا ان نقطعه بواسطة قارب ونحن راكبون في الســيارة . وحضر مــن اخذ منــا اجرة العبور نصف فلوران عن السيارة واربعة اشخاص وهو يساوي مبلــغ خمسين قرشا سوريا والمسافة التي قطعناها تقدر بحوالي خمسمائة متر . ولما وصلنا استلمنا الطريق مرة اخرى وانطلقنا واظنك لن تعجب من صِغَرْ المبلغ الذي دفعنــاه اجرة عبــور عندما اقول لك ان العابرين كثيرون ففي اللحظة التي عبرنا فيها عبر قبلنا الى الزورق ما لا يقل عن عشرين سيارة وعدد كبير من راكبي الدراجــات العادية . المناظر جميلة والريف طافح بالخيرات والطريق غنية بالمناظر الجميلــة والقرى تتناثر على جانبيها . الارض كلها مزارع فيها الابقار والخضار والبطاطا والشوندر والحنطة ، واقول بكل ثقــة واطمئنان انك لا ترى التراب لأن الارض مغطاة كلها بالزروع الكثيفــة المتنوعة الجيدة . ولفت نظرنــا آلــة رش يسحبها جرار ترش الماء بعرض خمســة عشر مترا ، ترجلنا من السيارة وذهبنا الى الشخص الذي يعمل عليها لنستفسر عن هــذه الآلــة ولكننا لم نحظ بجوابه لأن اكثر الهولنديين لا يتكلمون الانكليزية ولا الفرنســيــة وانمــا يتكلمون لغتهم التي تشبه اللغة الالمانية . وصلنا احدى القرى وتزودنا بالطعام من احدى بقالياتها : لحم بارد وجبن ومخلل وخبز واكلنا خــلال الطريق ... القرى التي مررنا بهــا اجمل من المدن بنــاء ونظافة وكثرة حدائق ، وسكانها لا يقلون سعادة وجمال خُلقٍ وخَلْقٍ عن سكان المدن . واقول عن هولندا وخدمة للحقيقة انهــا بلــد نظيف ومرتب اذ لــم نشاهــد في شوارع امستردام وحدائقها وكذلــك في الطرقــات والقرى التي مررنــا بهــا وفي حدائــق تلــك القــرى ورقــة ملقــاة على الارض ... وهولاندا من هذه الناحية تفضًل على بلاد الانكليز التي سبق ان تحدثنا عــن جمالهــا وترتيبها ونظافتها ... الجسور والممرات المائية وتفرعات البحر او الانهــار ترافقــك طول الطريق ، ونساء هولاندا نشيطات يسرن بهمــة ونشاط يغلب على لون وجوههن الحمرة التي تشبه لون شراب الرمان الدابغ كما يقولون عندنا .

وصلنا ميناء (ديافر) لنشاهد فيه العجب العجاب وظهور السدود التي تتحول الى مزارع . والمعروف عن هولاندا ان ارضها تنخفض عن مستوى سطح البحر وهذا هو تفسير اسمها (الارض المنخفضة) الامر الذي جعل الهولانديين يقيمون السدود الكثيرة ليدرأوا عن انفسهم وعن ارضهم شر الفيضان وليكسبوا من البحر ارضا يوسعون بها رقعة بلادهم . ومن الحكايات التي تصور بطولاتهم في هذا المجال حكاية طفل هولاندي شاهد ثغرة صغيرة في احد السدود يندفع منها الماء فما كان منه الا ان تقدم الى تلك الثغرة وسدها بيده الصغيرة لعل آت يأتي ويساعده على سد هذه الثغرة ولسوء الحظ لم يأت هذا الآتي وبقي الطفل يسد الثغرة بيده والزمهرير يلفح وجهه وجسمه الغض الصغير والمطر ورشاش الموج يغرقه بماء غزير ليلة كاملة وجزءا من النهار ليأتي هذا الآتي ويشاهد الطفل البطل جثة هامدة ويده في الثغرة تسدها وتمنع تدفق الماء منها .

ويستمر كفاح سكان الاراضي المنخفضة مع البحر اذ يقيمون السدودويكسبون ارضا من البحر ويقيمون المزارع الخصبة والطرق المعبدة التي يعجب الانسان عندما يشاهدها . وعندما وصلنا الى ديافر ظننا أننا سنقطع ٢٩ كيلو مترا نحن وسيارتنا بواسطة باخرة أو زورق بخاري الامر الذي سيكلفنا وقتا وانتظارا حتى يصل الينا الدور وهنا حصل ما لم يكن بالحسبان اذ وجدنا اننا قطعنا عشرة كيلو مترات من المسافة على طريق عريضة معبدة وسنقطع ما بقي من المسافة على الطريق ذاتها ويا لها من دهشة ويا لها من عظمة شعرنا بها عندما عرفنا ان الطريق العريضة وطولها ٢٩ كيلو مترااقيمت على ارض اغتصبت من البحر . ليس هذا فحسب بل يمتد الى جانبيها في الجهة المحاذية للماء سد عريض حوّل الهولانديون ظهره الى مزارع وحقول مغطاة بالحشائش والاعشاب ترعى فيها الابقار والاغنام . ويزداد الانسان دهشة عندما يعلم ان الطريق ترتفع عن مستوى سطح البحر والسد الذي يحميه بمقدار عشرة امتار اي أن الطريق ترتفع عن مستوى سطح البحر عشرين مترا .. ظهر السد مقسم الى اقسام طول كل قسم الف متر واعطي كل قسم الى شخص يستغله ويستفيد منه ويفيد بلده بما يقدمه من انتاج حيواني ونباتي ... قطعنا عشرة كيلو مترات اخرى على الطريق ذاتها التي تحوّل ظهرها الى مزارع غناء ووصلنا اخيرا الى قرية

أسمها (هالكن) وهي قرية صغيرة فيها فندقان نزلنا في واحد منهما والاجرة فيه خمس فلورانات عن الشخص الواحد في الليلة مع طعام الفطور . طفنا في هذه القرية وشاهدنا شوارعها العريضة المعتنى بها وتتوفر فيها النظافة التي لمسناها في امستردام نفسها . والمحلات التجارية تمتاز بدقة العرض وجماله وفيها كل ما يحتاج اليه الفرد وهي قرية هادئة جدا .

الى « سنجاكوبي » لمشاهدة مزارع البطاطا واماكن تحضيرها للتصدير

في الفندق المتواضع في قرية « هالكن » تناولنا الافطار وهو ينم عن سخاء وكرم ويتكون من زبدة وجبن ولحم وخبز وبسكويت وحليب وشاي وبيض الامر الذي جعلنا نظن ان ثمن هذه الوجبة غير داخل في الاجرة المتفق عليها ولكن شيئا من ذلك لم يحدث. دفعنا الاجرة المتفق عليها وغادرنا البلدة متوجهين الى « سنجاكوبي » بعد ان اتصلنا بالشركة وابلغناها عن رغبتنا في الاطلاع على مزارع البطاطا وطرق اعدادها وتحضيرها للتصدير وكان جوابهم تفضلوا على الرحب والسعة .

اهتدينا الى مركز الشركة فقابلنا المدير وجلسنا معه ساعة كاملة حدثنا خلالها عن البطاطا وزودنا بالمعلومات التي طلبناها منه كاملة ثم صحبنا بعد ذلك الى مركز تحضير البطاطا واعدادها للبيع والتصدير ... دخلنا مستودعا واسعا عرضه اربعون مترا وطوله سبعون وضمنه آلات تحضير البطاطا وفرزها . تأتي البطاطا من المزارع بالسيارات او القطار الذي يصل الى داخل المستودع ... تفرغ البطاطا من الاكياس في آلة حيث يزال ما علق بها من تراب وتنزل بعدها غرابيل تفرزها الى ستة مقاييس وكل مقياس ينزل من مزراب الى الكيس مباشرة . ويقف عمال بجانب المزاريب يدفعون البطاطا المجروحة او المكسورة لتنزل من مزراب خاص وبعد التنظيف والفرز والتنقية والتعبئة تذهب الاكياس الى الميزان ثم الى السيارات أو عربات القطار لتنقل من المستودع الى حيث تباع أو تصدر . هذا المستودع يستوعب ١٥٠٠ طن من البطاطا تبقى فيه أربعة اشهر دون أن يتطرق اليها الفساد . ولدى المستودع صناديق لاجل تعبئة البطاطا وهي افضل من الاكياس . والمستودع براد يحفظ الحرارة التي تصل في الشتاء الى ١٥ درجة تحت الصفر . بعد هذا المشهد الرائع الذي يدل على اتقان

في العمل واخلاص في تسويق البطاطا حيث لا تغش عند التعبئة كما يفعل الكثير من مزارعينا او تجارنا . . .

ذهبنا الى مزارع البطاطا والقمح والشوفان فراينا من دقة في التنظيم امورا جعلت الارض تمور بالخيرات . فالشوفان او هذا النوع الذي يشبه الشوفان يعطي مائة ضعف ، والبطاطا ترتفع ثمانين سنتيمترا عن سطح الارض والارض (ما بتمل) كما يقولون عندنا فما أحرانا نحن العرب أن تكون لنا مثل هذه الهمم وهذا التنظيم والاخلاص لاننا ورثة حضارة زاهرة امتاز أصحابها بالهمم العالية والنصيحة والاخلاص في العمل . هذا من جهة ومن جهة ثانية حتى يتاح لنا ان نستغل أرضنا على اكمل وجه وأحسن حال . وكان مما شاهدناه في المزارع زرائب البقر ومحلات حفظ الآلات ومحلات حفظ البذار للعام القادم حيث لا يتطرق اليها الفساد كما شاهدنا دار صاحب المزرعة وهي تشبه قصرا منيفا يحوي وسائل الراحة جميعها . والزرائب بناؤها بسيط وكلفتها زهيدة ومثلها تمديدات المياه في المزرعة .

« على الحدود الهولندية الالمانيــة »

كانت السهولة في الاجراءات والسرعة في انجاز المعاملات ما لمسناه في الجانب الهولندي من الحدود حيث أشروا لنا على الجوازات وعلى أوراق السيارة وابدلوا لنا العملة الهولندية بالعملة الالمانية بمدة دقيقتين فقط وسمحوا لنا بالمغادرة . غادرنا والسنتنا تلهج بالثناء على هؤلاء القوم الذين شاهدنا في بلادهم الجمال والنظام والانتاج وحسن المعاملة وما لمسناه من الجانب الالماني شبيه بذلك تماما . فما ان وطئت اقدامنا ارض الالمان حتى أنهوا لنا معاملة الدخول بلا عناء ولا مشقة ولا منغصات كما هو ملاحظ على الحدود بين الدول العربية التي ينتسب ابناؤها الى أمة واحدة ويجري في عروقهم دم واحد .

في أرض « الجرمان » البلد الذي دمرته الحرب وغرور القادة

بعد ان عبرنا الحدود شاهدنا قرى عامرة جميلة ومنظمة بناؤها يدل على ذوق رفيع ولكنها متباعدة حيث يقطع الانسان بضعة كيلو مترات دون أن يشاهد قرية

الامر الذي لم نشاهده في هولاندا التي تتصل قراها ومدنها حتى ليخيل اليك وانت تعبر تلك الديار انك تمر بمدينة واحدة متصلة . سرنا في طريق عريضة من تلك الطرق التي انشأها هتلر ، تتسع لاربع سيارات وفيها أربعة مسارات اثنان للذهاب واثنان للاياب وتفصل بينهما احواض مزروعة بالحشائش . طول هذه الطريق ١٣٢٠ كيلومتر ولا يوجد فيها مقطع واحد . ويلفت النظر وجود آثار الحرب فقد لاحظنا ذلك عندما وصلنا مدينة « بريمن » وهي كبيرة فيها خرائب . لم نقم في هذه البلدة بل تابعنا سيرنا الى « هامبورغ » المدينة التجارية الشهيرة فلم نجد فندقا ننزل فيه على الرغم من البحث الطويل وعقدنا العزم على ان ننام في السيارة ، ولكن القدر حمل الينا حلا لمشكلتنا حيث وجدنا غرفة فيها سرير واحد آوت اثنين منا أنا وام راتب ونام راتب وموفق في السيارة . كنا متعبين جدا لاننا قطعنا مسافة ثلاثمائة وتسعين كيلو متر دون استراحة قبل أن نلقي عصا الترحال في هامبورغ .

« في هامبورغ »

الاربعاء ١٩٥٤/٧/٢١ : استيقظنا صباحا الساعة الثامنة والنصف وجاء راتب وموفق فارسلناهما للبحث عن فندق فذهبا وعادا وافادانا انهما وجدا لنا محلا نأوي اليه في فندق « بوليف » وهو فندق نظيف يقع على البحيرة وتحيط به مناظر جميلة وفرشه جيد . حمدنا الله سبحانه الذي يسّر امورنا ... حاسبنا صاحبة الغرفة ودفعنا سبعة عشر دولارا عن اجرة التخت ليلة واحدة وثمن طعام الفطور . ولم نكن وحدنا الذين لم نوفق في ايجاد فندق فقد شاهدنا كثيرين مثلنا يبحثون عن فندق ولم يوفقوا في الحصول على اي مكان يأوون اليه . ففي دائرةالشرطة المخصصة للاولاد شاهدنا مايقرب من مائتي شخص امضوا ليلتهم على الكراسي من المساء حتى الصباح وذلك بعد ان يئسوا من وجود مأوى .

« جولات اقتصادية »

تركنا موفق وام راتب في الفندق لينالا قسطا من الراحة وذهبنا الى محل احد التجار وكنا اخذنا عنوانه من امستردام . وجدناه وامضينا معه ساعة نتحدثعن البزر والجوز واليانسون وقشر القنب والزبيب الدربلي وقدمنا له عينة من قشر القنب

ليعرضها على المستوردين ، وكان مما قاله عن الزبيب الدربلي أن قبرص تعطيهم بسعر مناسب وارخص . ففي العام الماضي اشتروا الطن بأربعين جنيها تسليم هامبورغ اما في هذا العام فقد اشتروا الطن بستة وثلاثين جنيها تسليم هامبورغ ايضا ، أما عن الجوزوالبزر فقد أبدى لنا عدة ملاحظات سجلناها على دفترنا .

« معمل لقشر القنب »

طلبنا من هذا التاجر أن يرشدنا الى من نشتري منهم معملا لقشر القنب . اتصل بالهاتف وكلم عدة اشخاص ثم أرشدنا الى وكالة معامل . قلنا له : ارسم لنا مخططا نستطيع بواسطته أن نصل الى الوكالة لاننا غرباء فما كان منه الا ان نهض وقال انا ارافقكم بسيارتي وعندما ذكرنا له اننا نملك سيارة مشى امامنا حتى أوصلنا بسيارته الى مركز الوكالة . ودعناه وشكرناه واعتذر منا اذ كان يود ان يأخذنا الى داره لولا مرض زوجته . صعدنا الى مركز الشركة ودخلنا غرفة وجلسنا أمام طاولة صغيرة

ثم حضر شخصان يتكلمان الانكليزية عرضنا عليهما عينة من القنب المنقوع بالماء ومن القنب الذي لم ينقع في الماء ، وشرحنا لهما طريقة الحصول على القشر في بلدنا . سجلا كل ما قلناه لهما ثم ابدينا رغبتنا في الحصول على معمل لقشر القنب ينتج يوميا من طنين الى أربعة أطنان من قشر القنب فقالا لنا : انهما سيتصلان بالشركة للحصول على معلومات كافية يزودانا بها بعد مضي خمسة عشر يوما . ودعناهما شاكرين بعد انسألناهما عن عنوان الفرفة التجارية فأرشدانا اليه . ذهبنا من فورنا الى الفرفة فشاهدنا بناء فخما فيه الفرفة والبورصة العامة (المصفق) حيث تحصل المضاربة بأسعار التجارة والنقد وتعقد الصفقات التجارية . . .

استقبلونا بحفاوة بالغة . طلبنا منهم أسماء التجار الذين يستوردون الجوز والقمز الذين والبزر فأعطونا عدة أسماء وذكرنا لهم أننا اتصلنا بتاجر سميناه لهم فأثنوا عليه وذلك لانهم سألونا الا تعرفون أحدا هنا ؟ . . .

واتصلنا بتاجر من المتعاملين بالجوز والنقوع وتحدثنا معه في تجارة هذه الاصناف والبلاد التي تصدرها وطلب منا عينات مما عندنا وقال انه يريد العبوات اكياسا

موحدة الوزن تشحن بسرعة لتصل خلال خمسة عشر يوما وقبل النصف الثاني من تشرين الاول ، كما طلب عينات من كسبة القطن وبزر الكتان معبيان نسبةالزيت فيهما. اما اليابانيون فقال انهم يشترونه من تشيكوسلوفاكيا بأرخص من أسعارنا ، وكذلك الشعير وبزر المشمش ، والصين ايضا أسعارها أرخص . وعن قشر القنب قال ان النوع الافريقي ارخص ولكن أعجبته العينة التي حملناها معنا . ذكرت هذه التفاصيل لاقول ان التجارة الخارجية تحتاج الى الكثير من المعلومات والمرونة .

ولما غادرنا محله طفنا في أرجاء محطة هامبورغ التي لا تقل سعة وضخامة عن مثيلتيها في باريس ولندن وتفضلهما بالترتيب والنظام وتحتوي على كل الخدمات الضروريه . ثم سرنا على الشاطىء وهو من أجمل ما رأينا بما حوله من ابنية وطرق وحدائق. ان الالمان يلفتون النظر بالجد والمثابرة على العمل ويعملون من الثامنة صباحا حتى الخامسة مساء دون انقطاع ليبنوا بلادهم التي هدمتها الحرب وفيها الخرائب ما زالت ماثلة رغم مضي سنوات . كما ترى آثار الحرب في العدد الكبير من المشوهين الذين يصادفهم الناس ، ولكنهم يلقون عناية عظيمة من الحكومة ومن الشعب على حد سواء .

الى بون عاصمة المانيا الاتحادية الموقتة

على اعقاب الحرب العالمية الثانية اطلق الحلفاء المنتصرون على الاقسام التي احتلتها الجيوش الاميركية والانكليزية والفرنسية اسم المانيا الاتحادية ويعرفها الناس كذلك باسم المانيا الغربية بمقابل المانيا المحتلة من الروس وتسمى الشرقية . ان عاصمة المانيا هي (بون) موقتا ريثما توحد برلين ، وانا حين اعيد النظر في هذه السطور في ١٩٩٠ أرى ان الوحدة الالمانية قد تقررت ولا بد ان تنتقل العاصمة الى برلين .

في كل مكان يشاهد الانسان عظمة الشعب الالماني فالطرق مستقيمة ردميت في سبيلها كل الوهدات وحفرت الهضبات وتوزعت على جنباتها أماكن وقوف السيارات لراحة المسافرين والمنطلق عليها بسرعة ١٥٠ كم لا يشعر بشيء يعرقل سيره من اهتزاز وغيره . أما الارض فمغطاة بالخضرة في السهول وعلى سفوح الهضاب والجبال مشجرة . وفي كل مكان ينطلق الدخان سحبا من المعامل . ولكن ترى الى جانب ذلك

الخرائب التي تركها هتلر بحربه . وقد جعل الشعب الالماني من نفسه ورشة واحدة عظيمة تعمل بنشاط وحركة لا تهدأ تسعفها الآليات الضخمة فأعيدت المواصلات الحديدية والمعامل وانبثت الطرق ، وكنا في أثناء الزيارة ما نزال نشاهد التحويلات فلم يتم كل شيء ولكنه أمام هذه الوتيرة لا بد سيتم في وقت قريب ، وأخيرا وصلنا الى (بون) .

الجمعة ١٩٥٤/٧/٢٣ : بدأنا نهارنا بزيارة السفارة السورية بعد اتصال هاتفي بالسيد طاهر الاتاسي نجل السيد فيضي الاتاسي من الشخصيات السورية المعروفة ، وقد كان السيد طاهر من أصدقاء راتب وموفق اذ درس معهما في لندن . أما الوزير المفوض الدكتور جمال الفرا فكان غائبا بموعدين رسميين ، ولكنه حين عاد استقبلنا بحفاوة واغرانا بالبقاء خمسة أيام اخرى نقضيها في المنتجعات الجميلة . ودعانا باصرار الى الغداء في مطعم فرنسي مقام على شاطىء الرين . وفي أثناء الغداء الشهي دار الحديث حول المعاهدة السورية الالمانية التي يلاحقها في بون ووعدناه بأن نلاحقها بما في وسعنا في دمشق . وقد أسعدتنا هذه الزيارة الى اقصى حد ولاحظنا جمال السفارة وسألنا عن اجور العمال والمستخدمين فيها من قبيل الاطلاع والمقارنة .

فرانكفورت مدينة الصناعة والتجارة

السبت ١٩٥٤/٧/٢٤ : من بون توجهنا الى فرانكفورت سالكين طريق الاوتوبان الذي يذهل بعظمته واتقانه وكثرة الجسور والانفاق في طريقه ، حتى اذا وصلنا الى فرانكفورت لفت نظرنا مطارها العظيم وسعة شوارعها وكثرة الاشجار . وفي فرانكفورت نزلنا في فندق واخذنا عنوان طبيب جلدي ماهر فقصدنا اليه في مستشفى الجامعة وتمت المعالجة على يديه ولم تكلفنا اجرة المعاينة اكثر من خمس وعشرين ليرة سورية .

ومن بعد ذلك طفنا في شوارع المدينة زهاء ساعة فوجدنا المدينة قد تعرضت لما أصاب المدن الالمانية الاخرى من الدمار والخراب والتجديد ، وقد وجدنا فيها أجمل البضائع التي تغري المشتري بأن يحمل ويمشي لو كان يملك المال والحقائب اللازمة !..

وبعد زيارة المحطة الفخمة فيها ، عدنا الى الفندق لننال قسطا من الراحة .

شتوتغارت

الاحد ١٩٥٤/٧/٢٥ : من بون انتقلنا الى شتوتغارت وفي طريقنا شاهدنا مدنا

صناعية وزراعية كثيرة تهدّم معظمها اثنــاء الحرب ويعاد بناؤها ، والذي يلفت النظر هنــا ايضا كثرة المعامل . مررنا بمدن عديدة منها دارمشتاد وهايدلبرغ وهايلبرن ، وبين الاخيرتين يمتــد الاوتوبان بين جبلين مكسوين بالاشجار والغابات الضخمة ، وعلى جانبي النهر مقــاهٍ ومنتجعات للنزهةوالراحة ومسابح ، والناس لا يحصون لأن اليوم يوم احد وقد نصب الكثيرون خيامهم واخذوا في السباحة . ولــم يكن قليلا عدد مــن ينطلقون بالدراجات العادية والآلية الى جانب السيارات . ولاحظنا كثرة الجسور على النهر للوصل بين شاطئيه وتسهيل الانتقال والوادي طوله ثمانون كيلو مترا نسقتهــا يد الانســان فجعلت منها جنة حافلة بالقاصدين . ان هذا الوادي ذكرني بقصيدةالمتنبي في (شعب بوّان) الذي ادهش شاعرنا العظيم ولكنه حين راى نفســه وهــو العربي في غــير بــلاده قــال :

ولكــن الفتــى العربــي فيهــا غريب الوجــه واليــد واللســان

وهنا عادت بنــا الذاكرة الى وطننا الحبيب الذي الفنــاه وتمنينا لو أن الايــدي تمتد الى بقاعه الجميلة وما أكثرها لتجعلها جنة للناظرين ! . .

ومما لفت نظرنا في الطريق مزرعة ورد لم يترك أصحابها نوعا مــن الورد والزهر الا غرسوه فيمزرعة لا تتجاوز مساحتها عشرةدونمات. دخلنا المزرعة وتمتعنا بمناظرها واخذنا فيها صور تذكارية مع بعض الزوار من الالمان . كما انه بعد (هايلبرن) تكثــر أشجار الاجاص وشاهدناها في إبان حملها والثمر مكوّم عليها فلا يسع الانسان الا أن يقول (تبارك الله أحسن الخالقين) فليس أجمل من هذهالثمار ولا اكثر ، ولكن لا تمتد اليــه الا يد أصحابه ولا يمد المارون يدهم اليه ولو لأخــذ حبــة واحــدة . مائتــان وخمســة كيلو مترات قطعناها بين فرانكفورت وشتوتغارت على طريق يتمنى الانسان الا يغادرها او ان يبقى فيها أطول مدةممكنة ، ولو كانت لسيارتنا ارادة لتوقفت ورجتنا أن نبقى اكثر في هذه البقعة الجميلة عملا بمــا قاله المتنبي عــن حصانه في القصيــدة آنفــة الذكــر :

طبت فرسانــنا والخيــل حتــى خشيتُ وإن كَرُمْنَ من الحران !..

في ربــوع شــتوتغــارت

ان شتوتغارت مدينة صناعية عدد سكانها ستمائة الف نسمة وتقع علىعدةهضاب

وقد اصابها من الحرب ما اصاب غيرها من المدن حتى ليصح فيهـا ما قاله زهـير بن ابي سلمى عن الحرب (فتعرككم عرك الرحى بثفالها . .) ولكن العزاء يجده الانسان في نشاط هذا الشعب الذي يعيد بلاده أجمل مما كانت . وقيل لنـا في شتوتغارت ان فيهـا صنعت أول دراجة عادية في العالم عام ١٨٢٤ .

الاثنين ١٩٥٤/٧/٢٦ : بعد جولة في الاسواق والتسوق منهـا واشترينا خلالهـا الدواء الذي وصفه الطبيب غادرنا المدينة الى منتجع (بادن بادن) سالكين طريق الغابة السوداء ومررنا في خلال الرحلة بمدينتين تصنع في احداهما أجمل مجوهرات العالم ، ثم وصلنا الى مقصدنا حوالي الساعة الثانية ظهرا .

ان بادن بادن مدينة الحمامات المعدنية وكان عدد سكانها ٣٨ الفا . وقد اخترنـا أحد فنادقها واستأجرنا غرفتين احداهما بحمام معدني ٢٦ مارك والثانية بلا حمام معدني ١٨ مارك . وعرفنا ان في الفندق ١٥٠ غرفة والميـاه المعدنية تصل الى كل الغرف وفيها آلات تدليك يدوية وكهربائية .

وضعنا الاغراض في الفندق وذهبنا لتناول الغداء خارج البلدة ، ثم عدنا ثانية الى الطواف في بادن بادن ، راجعنا طبيبا واستشرناه بالنسبة للمياه المعدنية وهل يناسبنا الاستحمام فيها أم لا . وبعد أن شرحنا له قصة مرضنا سمح لنا بالاستحمام كما اعطانا شهادة تساعدنا على دخول الحمامات العامة فيما اذا اعترض علينا معترض لان مرضنا الجلدي غير معدٍ . ان بلدة بادن بادن تعج بالحركة تدخلها في كل ساعة مئات سيارات السياح والاغنياء الذين يبحثون عن الراحة والاستمتاع بالحمامات المعدنيـة الموجودة فيها وهي ذات شهرة عالمية . . . كما ان في المدينة كازينو ضخم ربما لا يوجد له نظير في العالم كله محاط بالحدائق الخاصة والعامة ، ووقع نظرنا على فندق جميل جـدا يفوق بجماله فندق « هوش » ويجلب العافية لجمال مناظره وسعة حدائقه المحيطة به والمعلقة على نوافذه ويطل أيضا على الطرق الكثيرة المتفرعة لكننا لم نجـد غرفا فيـه وسوف نعيد السؤال غدا لعلنا نقضي فيه يومين أو ثلاثة لأن نزلاءه لا يحتاجون الى الخروج لنوافذه البلورية الواسعة تشكل حدائق تطل على حدائق ومناظر جميلة .

عدنا الى فندقنا الاول «هوش» وكل غرفة فيه يصلها ثلاثة انواع من المياه واجرتها اقل من اجرة غرفة « الحمة » عندنا . . . نمنا حوالي الحادية عشرة ليلا والى ان يحين موعد استيقاظنا في صباح اليوم التالي بحول الله تعالى نقول لكم تصبحون على خير .

« الى فندق باديس شنير »

الثلاثاء ١٩٥٤/٧/٢٧ : بعد حمام ممتع بالمياه المعدنية انتقلنا الى فندق « باديس شنير » الذي سبق الحديث عنه لقاء ١٢٠ ماركا عن اربعة اشخاص للمنامة والطعام ولا يوجد حمام ضمن الغرف ويستحم النزلاء في حمام الفندق .

« الحمام العام في بادن بادن »

وهو بناء فخم يحسبه الزائر قصرا من القصور له مدخل رائع الجمال يستقبلك فيه احد عمال المسبح بلطف ويسلمك درجا فارغا تضع فيه نقودك وساعتك والاشياء الثمينة التي تحملها وتقفله ثم تستلم منشفتين نظيفتين معقمتين (صغيرة وكبيرة) ويسلمك غرفة تخلع فيها ملابسك ويعطيك سلسلة يربطها بيدك عليها رقم مفتاح الغرفة المخصصة لك ثم تدخل الى ساحة واسعة فيها حوض ماؤه بارد نسبيا والى جانبه (دوشان) يأخذ الداخل دوشاً ثم ينزل الى الحوض ويبقى فيه مدةخمس دقائق ينتقل بعدها الى مقصورة درجة الحرارة فيها ٢٥ درجة يبقى فيها عشر دقائق ثم ينتقل الى مقصورة حرارتها ٣٨ درجة لمدة عشر دقائق أيضا وبعدهامقصورةمجهزة بالبخار يبقى فيها قدر ما يستطيع وبدقيقة واحدة يتعرق جسده بأكثر ما يتصبب العرق في (المقلى) في (الحمة) عندنا . وبعد هذه المقصورة ينتقل الى حيث يجرى له تدليك (مساج) وقد استحم راتب وموفق قبل الظهر وكنت انا متفرجا بينما بقيت ام راتب في الفندق ، وبعد الظهر ذهبت بصحبة موفق الى الحمام العام لاستحم وراتب ذهب ليمارس لعبة « التنس » . سقف الحمام قبة عالية والجدران والارض مغطاة بالبورسلان وبالرخام وكل شيء يبدو جميلا وانيقا .

و « بادن بادن » لا يمل الانسان من الاقامة فيها وتحتاج الى فراغ يستغلهفيالاقامة في ربوعها الجميلة كما تحتاج الى مال ينفقه ويحصل بنتيجة انفاقه على الذ ما في الدنيا من متع ونزهات وقضاء شهر من شهور السنة في هذه المدينة يذهب عن النفس تعب السنة كلها ويمدها بقوة ونشاط لا مثيل لهما . ولكن لمن يتاح ذلك ؟ ! . .

الاربعاء ١٩٥٤/٧/٢٨ : ذهبنا انا وراتب وموفق الى الحمام وبقينا زهاء ساعة من الزمن تعرفنا خلالها على بعض رواده من كبار اغنياء العالم جاؤوا للراحة والاستجمام

وكلهم معجب « ببادن بادن » . حتى ان مهاجرا المانيا الى امريكا قال لنا عندما ذكرنا له اننا سنزور امريكا في العام القادم ان هذا البلد هو احسن بلد للراحة والاستجمام وذكر لنا المثل الشائع « ليس كل ما يلمع ذهباً » . وبعد الخروج من الحمام زرنا المتحف والكازينو وعدنا الى الفندق لنتناول عشاء خاصا اعده لنا رئيس الخدم في صالة الفندق وبعد أن فرغنا من تناول العشاء وتعرفنا على عربي مصري وقع علينا من السماء كما يقولون لاننا اشتقنا لرؤية العرب ولسماع الكلام العربي ، وهو يعمل بالزراعة ويقوم بسياحة مع زوجته وأولاده . وكان حديث الرجل الى اولادي يدور حول ترغيبهم بالزراعة لانها مهنة شريفة خيرة ولذيذة يستمتع الانسان بممارستها كما انه لم ينكر فضل التجارة التي تقلب المال الى عشر مرات في العام بينما الزراعة لا تقلبه الا مرة واحدة . ومما قاله لنا ان الشهادة جواز سفر الى الحياة ولكنها غير كافية فالسفر يحتاج الى مال ولا يكفي فيه الجواز وردد المثل المصري القائل : « الراجل بدون فلوس يلوص » . . . كان الحديث ممتعا مفيدا للاولاد وردد هذا الاخ العربي افكارا كنا ذكرناها للاولاد خلال الطريق في السيارة لتمضية الوقت . ان متعة الحديث ايضا جاءت لانه باللغة العربية وحديث عربي . . .

« في الطريق الى بال في سويسرا »

الخميس ١٩٥٤/٧/٢٩ : ودعنا بادن بادن ونفوسنا عالقة بها لجمالها الاخاذ ، واتجهنا الى الحدود السويسرية مخترقين ارضا تمتد فيها القرى بين اراض زراعية خصبة . وقد زرنا مدينة « فرويدك » وتجولنا فيها ساعتين مشيا على الاقدام وبعدها توقفنا سعداء في ظل شجرة جوز وارفة سامقة . تناولنا الطعام تحتها وذكرتنا بالغوطة وطرقاتها المظللة بالجوز . ثم اجتمعنا بفتاتين المانيتين حملناهما معنا الى حدود سويسرا .

عند الحدود الالمانية السويسرية اشروا على اوراقنا وودعنا المانيا على مضض وكنا نود البقاء في « فرويدك » ولكن صعوبة انزال الاغراض ورفعها ثانية على ظهر السيارة جعلتنا نعدل عن هذا الرأي آسفين لأن المدينة جميلة جدا ومناخها نشيط . وعلى الحدود لقينا معاملة حسنة بدقائق انتقلنا من المانيا الى سويسرا .

« في ربوع سويسرا »

تغير الطقس هنا . كانتدرجة الحرارة داخلالسيارة تتراوح بين ٢٨ ــ ٣٠ درجة في المانيا فصارت في سويسرا ٢٠ ــ ٢١ ، حيث ترتفع المانيا عن سطح البحر مائتين الى مائتين وخمسين مترا وسويسرا ترتفع عن سطح البحر بما يعادل ستمائة الى سبعمائة متر . الطريقجميل يأخذ بالالباب لجمالهالطبيعي والصنعي ، والطرق منظمة والاشجار والغابات تعلو قمم الجبال وتكسو المنخفضات بخضرة لا مثيل لها جمالا وسحرا .

واخيرا حططنا الرحال في « برن » عاصمة سويسرا بعد ان مررنا بمدينة بال ، وبرن تقع على جبلين يفصل بينهما نهر ويصل بين الجبلين عدة جسور ... وكعادة المسافرين بدأنا نبحث عن فندق نأوي اليه بعد سفر ثلاث ساعات .

في « برن » عاصمة سويسرا ومدينة الساعات والجمال الأخاذ

الجمعة ١٩٥٤/٧/٣٠ : زرنا معالم المدينة وكنا نتنقل فيها عبر الجسور . طفنا في الشوارع وزرنا حدائق قصر البرلمان المتربعة على أحد جبلين والمشرفة على الوادي الجميل ، ثم ذهبنا الى السفارة السورية التي تقع على الجبل الثاني . قابلنا السيد مزيد اللحام ورحب بنا احسن الترحيب . جلسنا في السفارة وكأننا مع الاهل في الوطن وصعدت أم راتب لتجلس مع زوجة السيد اللحام وهي ابنة السيد سعدي كيالي ، وقد اخبرنا السيد اللحام ان عمه السيد سعدي كيالي وصهره السيد توفيق الحلاق كانا عنده وذهبا الآن الى فرنسا وسيعودان بعد قليل . وفي هذه الاثناء رن جرس الهاتف وكان المتحدث السيد كيالي فتحدثنا معه ورجانا أن ننتظره حتى يعود الى برن ولكننا اعتذرنا ... وعندما همنا بالانصراف دعانا السيد اللحام لتناول الغداء في بيته . واصر علينا ولكننا اعتذرنا وانصرفنا والامطار تنهمر بغزارة ، طفنا في الشوارع الغاصة بالناس رغم المطر وكانوا يسيرون تحت الاروقة الممتدة على جانبي كل سوق لتحمي الناس من المطر، ثم اتصل بنا السيد اللحام وعرض أن نرافقه في نزهة الى احدى البحيرات الجميلة . وتواعدنا في الرابعة بعد الظهر . وقد حضر وانطلقنا بسيارته على طريق مكسوة بالخضرة وامامنا جبال الألب . دخلنا احد المقاهي وتناولنا (البوظة) ... وقضينا ساعة في بقعة من اجمل بقاع الدنيا ثم عدنا الى

الفندق واعتذرنا عن دعوته الى الغداء لأننا مضطرون للسفر ، وذعنا ومضى . ، رجعنا الى الطواف في الشوارع والتعرف على معالم المدينة ، ولم نعد الى الفندق إلاّ في الثامنة مساء .

الى « لوزان و جنيف »

السبت ١٩٥٤/٧/٣١ : تركنا برن الى لوزان على طريق تحفها الخضرة : هضاب وجبال مكسوة بالغابات وأراض زراعية مغطاة بالاشجار المثمرة من تفاح واجاص ... وشاهدنا قرى كثيرة جميلة يتمنى الانسان ان يقضي فيها عمره كله وشاهدنا بحيرة صغيرة غاية في الجمال ، وبعد ان سرنا ٩٤ كيلو مترا على هذه الطريق الجميلة وصلنا الوزان وهي من مدن سويسرا الجميلة وتقع على البحيرة . لم ننزل فيها وانما طفنا شوارعها وتابعنا سيرنا الى جنيف عاصمة الأمم . ولفت نظرنا ونحن في طريقنا الى جنيف وبعد لوزان وجود اشجار العنب بكثرة وقد زرعت متقاربة بين كل اثنتين خمسة وعشرون سنتيمترا وتستند على أوتاد حديدية او خشبية مثبتة في الارض ، كما لفت نظرنا اشجار التفاح والاجاص والدراق التي لا ترتفع كثيرا عن سطح الارض لان سوقها قصيرة جدا ويفصل بين الشجرة والشجرة ثلاثة امتار ، طريقة ناجحة يسهل معها جني المحصول ويكثر الحمل حيث فهمنا أن اصحاب هذه الاشجار يخففون من حملها قبل القطاف بشهرين .

في ربوع جنيف عاصمة الامم

عند الظهيرة وصلنا الى « جنيف » واخذنا غرفتين في فندق ، ثم طفنا في المدينة زهاء ساعتين . كان الطقس معتدلا والحرارة ٢٢ درجة مئوية ، وجنيف ترتفع ٤٥٠ مترا عن سطح البحر وفيها حدائق عامة منسقة اجمل تنسيق . الزهور في كل مكان في الحدائق والطرقات ونوافذ الابنية والمقاهي الفخمة التي تغص بها المدينة . وصلنا في طوافنا الى آخر المدينة فشاهدنا النهر الذي يصب في البحيرة ويقسم المدينة قسمين وهو نهر كبير يفوق بكبره نهر الشريعة عندنا . جلسنا في مقهى جميل مناظره تسبي العقول . شرفات يحوي كل منها اربعة او خمسة كراسي وطاولة ويفصل بين الشرفات زهور في احواض بديعة التنسيق وفوقها تسطع الانوار فتكوّن مناظر جميلة جدا

والدخول الى هذا المقهى لا يكلف كثيرا حيث يدفع الشخص فرنكا سويسريا اي اقل من ليرة سورية لقاء الجلسة مع « البوظة » وفي هذا المقهى فرقة موسيقية من ٢٥ عازفا يجلسون امام الفي شخص عازفين اجمل الالحان ، وقد اقمنا في هذه الحديقة حتى العاشرة مساء حيث ذهبنا بعدها الى الفندق لننال قسطا من الراحة .

« معالم جنيف الحضارية والاثرية »

الاحد ١٩٥٤/٨/١ : قمنا بجولة في المدينة سيرا واستغرقت حوالي ساعة . ثم امتطينا صهوة جوادنا الجديدي (السيارة) وتجولنا ساعة أخرى . وفي الرابعة بعد الظهر ذهبنا الى شاطىء البحيرة حيث توجد المسابح حيث سبح موفق وراتب وجلسنا نحن في المقهى نمتع انظارنا بجمال المنطقة حيث الماء والخضرة والوجه الحسن . . . كان على الشاطىء (البلاج) ما لا يقل عن اثني عشر الف شخص بعضهم في الماء والبعض في الشمس يستمتع بالدفء ، وبعضهم يتجول في المكان كله . بقينا في المقهى حتى الخامسة والنصف حيث خرج راتب وموفق من المسبح وغادرنا الى الجامعة والمطار وطفنا اغلب شوارع المدينة . وبعد العشاء قمنا بجولة ليلية في مدينة جنيف على شواطىء البحيرة ودهشنا بمناظرها الخلابة حيث النوافير تعانق الاضواء الكهربائية وتشكل منظرا جميلا وخاصة النافورة الكبيرة في وسط البحيرة ، و « جنيف » ذات جمال أخاذ لا نستطيع ان نحيط بوصفها مهما اوتينا من بلاغة وفصاحة .

« النافورة الكبيرة »

الاثنين ١٩٥٤/٨/٢ : اهم ما شاهدناه في هذا اليوم النافورة الكبيرة التي نصبت وسط البحيرة وهي تعمل طيلة ايام الصيف من الضحى حتى المساء وفي الآحاد والاعياد تعمل طوال الليل لتلطف جو المدينة ، ولا تتوقف الا عندما يلفظ الصيف انفاسه في اواخر إيلول من كل عام . هذه النافورة ترفع المياه الى ١٣٠ أو ١٤٥ مترا فوق سطح البحيرة بفعل محركين ضخمين قوة الواحد منهما ٦٨٠ حصانا بخاريا وضعا ضمن بناء قائم وسط البحيرة ايضا . . . وسلط على النافورة ثمانية اضواء ترسل النور الذي يعانق الماء والرذاذ ويكون اجمل المناظر واحبها الى النفوس .

زيـــارة قصــر الامــم المتحــدة

الثلاثاء ١٩٥٤/٨/٣ : قمنــا اليــوم بزيارة قصر الامم وهو بناء جميل تجولنــا في معظم اجزائه وقاعاته . . . وشهدنا جلسة نوقشت فيها حقوق الزنوج . جلسنــا في شرفة المتفرجين ووضعنا سماعات على آذاننا سمعنا بواسطتها جانبا من النقاش ثـم عدنــا مرة ثانية نتجول في ساحاته وحدائقه الجميلة واخذنا صورا تذكارية .

وداعــــاً يــا مدينـــــة جنيف

الاربعاء ١٩٥٤/٨/٤ : توجهنا الى لوزان التي مررنا بها قبل قدومنا الـى جنيف وكنــا نرغب ان نقيم فيها يوما لكن اجلنا ذلك الى ما بعد زيارةجنيف . لنقسم المسـافة بـين جنيف وميلانو الى مرحلتين . وصلنــا لوزان وطفنا شوارعها واشترينــا بذور ازهار متنوعة ولكن عدلنا عن فكرة البقاء في لوزان وقررنا ان نغذ الـسير الى«مونترو» . ان الطريق بين جنيف ومونترو جميلة معتنى بها ، لم ينقطع البناء على احد جانبيها اما جانبه الآخر فهو محاذ للبحيرة وله منظر اخاذ فالماء على جانب والجبال مكللة بالخضرة على الجانب الآخر . وتكثر كروم العنب بين لوزان ومونترو وقد نظمت شجراتها تنظيما حديثا ويفصل بين الشجرة والشجرة مسافة خمسين سانتيمترا فقط وعلو الشجرة متر واحد فقط وقد نظمت بحيث تعطي انتاجا وافرا وتنثر على سطح الارض جمــالا رائعا . . . وصلنا مونترو وعرفنا ان سكانها ثلاثون الف نسمة .

ان مونترو بلـد سياحي فيه ما ينوف عن ثلاثمائة فندق في بعضها اكثر مـن الف سرير وكلها من الدرجة الاولى ، كما يلفت النظر وجود بضائع كثـيرة في اسواق هـذه المدينــة الصغيرة ، ومحالها التجارية التي تشبه مدينة برن السويسرية . وتتوزع في المدينة خطوط القطر الكهربائية وهي على نوعـين داخلي يجر وراءه عربتــين او ثلاثا ، وخارجي يجر ما لا يقل عن عشرين أو خمس وعشرين عربة . المدينة رابضةعلى شاطىء البحيرة ومن ورائها الجبال الشاهقة والسهل شريط ضيق لا يزيد عرضه عن عشرين مترا يمتـد على شاطىء البحيرة .

الصعـود الـى قمـم الجبـــال

ركبنا قطارا كهربائيا ووصلنا محطة ترتفع أربعمائة متر عن سطح البحر ، انتقلنــا

الى قطار آخر بقينا فيه ساعة كاملة يصعد بنا في الجبال ويزداد الارتفاع شيئا فشيئا وحسبك ان تعلم أن المسافة بين المحطة الاولى التي انطلقنا منها والثانية التي وصلنا اليها عشرة كيلو مترات والاخيرة ترتفع عن الاولى بمقدار ١٣٠٠ متر . وصلنا الى مكان يسمونه « الصخرة » ويرتفع ٢٢٠٠ متر عن سطح البحر وهنا بدت لنا مناظر الجبال واضحة جلية . وفي المنطقة فندق ومطعم ومقهى وهي مكتظة بالناس وعلى الطريق مناظر جميلة : سهول تعلو بعض الهضبات كستها الخضرة ، خضرة العشب والمزروعات. والجبال مكسوة بالاحراج وبيوت الفلاحين تطرز هذه الارض وتنتشر هنا وهناك والابقار ترعى باطمئنان تقضم الحشائش وادعة .

وفي طريق العودة مكثنا قليلا في المحطة الاولى ورأينا فندقا من أجمل الفنادق التي شاهدناها ورغبنا ان ننزل فيه ولكن فوجئنا بأن غرفه كلها محجوزة لغاية منتصف ايلول . نزلنا بالقطار من هذه المحطة الى البلدة وطفنا في الشوارع ثم أوينا الى الفندق. انها بلدة أنيقة جميلة لا تحتاج الا الى شيكات استرليني ودولار وفراغ وصحة حتى يمضي الانسان اكبر مدة من الوقت ... والمكان يغص بالناس بين جالسين وسائرين في الطرقات ، والنور ضعيف ليتيح للناس شيئا من الخفاء والحرية وعلى صفحة الماء في البحيرة سفن كبيرة فيها رقص وغناء وموسيقى ، تذرع البحيرة جيئة وذهابا ويستطيع اي شخص أن يصعد اليها .

الى ميلانو في ايطاليا عن طريق جبلي وعر كثير التعاريج

الخميس ١٩٥٤/٨/٥ : تركنا الفندق متوجهين الى ميلانو وقلنا ننام ليلة اخرى في الطريق بعد قطع مرحلة منه لان المسافة تقدر بثلاثمئة وخمسة عشر كيلو مترا والطريق وعر وفيه صعود وتعرجات على جانبيه أودية سحيقة . تابعنا سيرنا في الاراضي السويسرية التي سبق وصفها وفيها الكثير من الكروم واشجار المشمش والاجاص والتفاح والكرز . ولفت نظرنا نوع المشمش الفرنساوي وهو حبة فحلة قاسية . كما لفت نظرنا طريقة زرع الاجاص صفوفا متقاربة تفصل بينها مسافات قليلة نسبيا لا تتجاوز الخمسين سانتيمترا ومع ذلك فهو حامل من عيونه كما يقولون عندنا ... مررنا بقرية اسمها « بروغ » تزودنا منها بطعام تناولناه على الطريق داخل الغابة وتابعنا السير حتى وصلنا الى منطقة الصعود ويا له من صعود قاس . صعدنا

وصعدنا وبقينا نصعد على طريق محفوف بالمخاطر لانه مهمل ومخرب في كثير من اجزائه بفعل الثلوج ومحاذ لوديان سحيقة ، ووصلنا اخيرا الى منطقة ترتفع الفين واحد عشر مترا عن سطح البحر بعد أن قطعنا ثلاثين كيلو مترا من الطريق . بقينا في خوف الى ان وصلنا اخيرا الى الذروة حيث شاهدنا الماء يتساقط على شكل شلالات في أكثر من مائة موضع والخضرة تغطي الجبال كلها . شربنا من الماء الصافي البارد ولكننا لم نستطع أن نشرب أكثر من نصف الكأس في كل مرة ، وبعد توقف قليل تابعنا السير نازلين لان كل صعود يقابله نزول ، والطريق لا يزال سيئا وفي معظم اجزائه اكواع وحفر واودية مخيفة ، وشاهدنا عمالا يقومون بالاصلاح والثلوج تغطي رؤوس الجبال . اجتزنا المخاطر بفضل الله ومعونته .

وصلنا الحدود السويسرية الايطالية وخلال دقيقة واحدة اشر السويسريون على جوازنا واوراق السيارة ودخلنا الاراضي الايطالية . مكثنا نصف ساعة ننتظر دورنا وبعد ذلك اشر لنا الايطاليون على الجوازات وسمحوا لنا بالسير لنتوقف بعد خمسمائة متر عند الجمارك حيث اشروا على اوراق السيارة دون أن يسألونا عن الامتعة التي غصت بها السيارة ظهرا وبطنا وعجزا .

في الاراضي الايطالية

تابعنا سيرنا في طريق قادنا الى بلدة ثم الى البحيرة . سألنا عن فندق نستريح فيه لان « ميلانو » لا تزال بعيدة عنا والتعب نال منا ما نال واخذ من اجسامنا كل مأخذ وضايقنا الحر كثيرا . دخلنا فندقا وخرجنا منه ثم دخلنا فندقا آخر يطل على البحيرة نزلنا فيه على الرغم من ارتفاع اسعار الفنادق بالنسبة لسويسرا . صعدنا الى الغرفة لننال قسطا من الراحة وادخلنا السيارة الى الحديقة حتى لا ننزل الاغراض وكنا خائفين من السرقة فايطاليا تشتهر بالسرقة الامر الذي ذكرناه لراتب وموفق خلال الطريق وقرأنا عنه في التعليمات التي اعطيت لنا وهي تحذر من ترك اغراض داخل السيارة او على ظهرها . وتأكدت هذه الحقيقة حين طلبنا من صاحب الفندق حفظ الاغراض فأجابنا ببساطة ووضوح انه لا يتعهد بحفظ اي شيء ، عندها ادخلنا السيارة الى الكراج وتناولنا طعام العشاء في الحديقة امام البحيرة ثم صعدنا الى الغرفة

ولكننا لم نأو الى مضاجعنا الا عند الحادية عشرة ليلا لاننا تباحثنا في المدة التي سنقضيها في ايطاليا وقررنا ان تكون قصيرة قدر الامكان .

لا زلنا نغذ السير نحو ميلانو

الجمعة ١٩٥٤/٨/٦ : استيقظنا صباحا وانطلقنا على ضفاف البحيرة التي تشبه بحيرة جنيف والطريق الذي يشبه طريق لوزان ومونترو مع وجود فارق في طبائع الناس ومظهرهم واخلاقهم ولباسهم ونظام حياتهم حيث يتفوق السويسريون على الايطاليين بهذه الجوانب كلها . . . وبعد ان تركنا شاطىء البحيرة استلمنا طريق اوتوبان عريضة ولكنها لا تشبه الاوتوبان في المانيا ولا يفترق عن الطرق العادية في المانيا الا من حيث العرض فقط . وعند وصولنا الى بدايته دفعنا رسم مرور بسيط وتابعنا السير ووصلنا ميلانو حوالي الساعة الحادية عشرة ظهرا واهتدينا الى فندق كونتينتال فنزلنا فيه .

في ميلانو المدينة الصناعية التي دمرت الحرب اجزاء كثيرة منها

نلنا قسطا من الراحة في الفندق ، وبعد ان تناولنا طعام الغداء فيه ذهبنا الى غرفة تجارة ميلانو وهي غرفة تجارية صناعية زراعية ، قابلنا فيها الموظف المختص وحصلنا على معلومات عن البلاط ومعامل الآلات الزراعية والمحركات . ذهبنا الى اول معمل فاستقبلنا أحد الموظفين استقبالا جافا لم نقابل بمثله في البلاد التي زرناها ، إذ لم يقل لنا تفضلوا واجلسوا ، افهمناه ما نريد ونحن وقوف . اعطانا دليلا وقال لنا ان لهم وكيلا في بيروت بامكاننا ان نراجعه . انصرفنا متأثرين من معاملته السيئة . ذهبنا الى معمل آخر استقبلنا اصحابه استقبالا حسنا وحضرت موظفة تحسن الانكليزية حدثتنا طويلا واعطتنا نشرات متعددة كما زودتنا بالاسعار ، بقينا ساعة كاملة ونحن نستفسر منها لم تظهر خلالها الا الاهتمام بنا والتلطف في حديثها معنا ثم قالت : ان لهم وكيلا في الشرق الاوسط وقدم يوم امس وبامكاننا مقابلته والتحدث معه . سررنا من حديثها وضربنا موعدا لمقابلة المندوب في الساعة الحادية عشرة من اليوم التالي في الفندق . . . غادرنا هذا المحل مسرورين وذهبنا الى معمل يصنع عربات تقطر بالسيارات وعندما طلبنا منه عربة لسيارتنا قال : ان تجهيزها وفق المواصفات التي

ذكرناها لـه يستغرق خمسة عشر يوما فقلنا لـه لا نستطيع الانتظـار هـذا الوقت وصرفنا النظر عن فكرة العربة وعدنا الى الفندق في الساعة السابعة والنصف مسـاء وشعرنا اننـا تأخرنـا على ام راتب حيث بقيت وحيـدة في الفنـدق تنتظر اوبتنـا . اشترينا بعض الفاكهة من ميلانو حيث كانت موفورة وقررنا أن نكثر من اكلها بعـد ان حرمنـا منهـا فترة طويلة بعض الشيء .

مـدينـة ميـلانـو

ميلانو مدينـة صناعية كبيرة وتجارية ايضا ، تكثر المعـامل في شوارعها العريضة المستقيمة وفيها ساحات كثيرة ولكن امتدت اليها يد الخراب بفعل الحرب انمـا ليس بالقدر الذي شاهدناه في المدن الالمانية . ابنية المدينة فخمة يتألف بعضها مـن عشرين طابقا ،والمواصلات الداخلية تتم عن طريق الحافلات الكهربائية وعـدد سكان المدينـة مليـون ومائتـا الف نسـمـة .

السبت ١٩٥٤/٨/٧ : اهم ما قمنا به هـذا اليوم اننـا زرنا عدة معامل : معمل آلات زراعية ، معمل دراجات نارية ، معمل بلاط . وبعدها قابلنا مندوب الشركة التي صنعت هذا المعمل في الفندق حسب موعد مسبق . وقد واجهتنا صعوبات في الاهتداء الى المعامل التي زرناها على الرغم من اننـا حصلنـا على العناوين من الغرفة التجارية في المدينـة ويكفي ان نذكر هنـا انهم اعطونا عنوان معمل آلات زراعية وبعد ان وصلنا اليـه بعد جهد فوجئنا أنه دمّر خلال الحرب . . . ومدير معمل آخر يتأخر عن موعدنا اكثر من نصف ساعة ، وهذا ما جعلنا نقول ان الايطاليين اقل دقة في مواعيدهم وانتظاما في أعمالهم من الانكليز او الالمـان او الهولنديين ، فهل يكون ذلك بسبب قربهم من الشرق؟!

كـومـو مدينـة السياحة والجمال الطبيعي الساحر

الطريق على استقامة واحدة غاص بالسيارات الذاهبة الى « كومو » . الارض التي مررنا فيها زراعية مكسوة بالخضرة . وصلنا شاطىء بحيرة مستطيلة الشكل تجولنـا حولها بالسيارة حيث قطعنـا ثلاثين كيلو مترا شاهدنا خلالها اجمل المناظر . وصلنـا الى مكان سياحي اسمه « فيلادستي » وهو فندق من أجمل الفنادق التي شاهدناهـا واعظمها محاط بحدائق واسعـة وفيه مسبـح وملاعب واماكن لوقوف السيارات .

جلسنا في الحديقة على مقاعد خاصة وامامنا شريط رائع من المناظر الطبيعية الجميلة البحيرة والبناء والجبال ... وكان نزلاء الفندق ينزلون الى البحيرة للسباحة وكان امامنا الطريق الذي لا تفتر فيه حركة المرور لحظة واحدة بالسيارات والدراجات ومما اضفى على المكان جمالا منظر الغيوم التي حجبت الشمس والقت على الارض ظلالها الرقيقة ، ثم النسمات اللينة التي اخذت تهب رخاء . بقينا في مكاننا مشدوهين مشدودين بهذا الجمال الذي غمرنا من كل جانب . حان وقت الطعام فانطلق اكثر من ثلاثين عاملا يحضرون طاولات فرشوها بالابيض .

قررنا أن نتناول الطعام في المطعم حتى نستمتع بجمال المنطقة ونملأ صدورنا من الهواء العليل تحت ستار من الغيم الرقيق ، وبعد ذلك عدنا الى المكان الذي كنا نجلس فيه قبل الطعام والمناظر اجمل من المناظر التي شاهدناها في سويسرا ، ثم انتقلنا الى مقهى الفندق وتناولنا الشاي وسمعنا الموسيقى وبقينا حتى الساعة السادسة مساء محمولين على اجنحة الجمال الطبيعي والهدوء والنسمات الرقيقة ونحن تتمنى ان نبقى في هذا المكان اسبوعا او اكثر ولكن دمشق كانت بدأت تنادينا ... غادرنا «فيلادستي» ونحن لا نرغب بمغادرتها ولم نسلك طريق الاوتوبان الخصوصي الذي قدمنا عليه بل سرنا على الطريق العادي رغبة في الاطلاع على مناظر جديدة وكان عملنا جيدا لان الطريق زراعي تتناثر القرى على جوانبه يحضن بعضها بعضا والعائدون الى ميلانو عن هذا الطريق كثر لدرجة ان اي سيارة لا تستطيع تجاوز من هم امامها من راكبي الدراجات الآلية والعادية .

وصلنا ميلانو وحاولنا ان نذهب الى محل عرض للدراجات ولكننا عدلنا عن الفكرة لبعد المحل وذهبنا الى الفندق وتناولنا طعام العشاء واكثره فاكهة .

جولات في اسواق ميلانو

الاثنين ١٩٥٤/٨/٩ : تجولنا في اسواق ميلانو ومحلاتها التجارية المليئة بكل ما هو جميل ، وعلى الرغم من ان سيارتنا اصبحت تئن تعبا من كثرة ما حمل فيها من اغراض اشترينا بعض الحاجات الجميلة ، ثم اتصلنا بشركات الطيران والملاحة لاننا على اهبة العودة الى الاهل والديار ، قررنا أن نعود عن طريق البحر وحجزنا بباخرة متجهة الى

بيروت اجرة الراكب على ظهرها مائة وخمسون دولارا واجرة السيارة مائة وعشرون دولارا ولم يقبل وكيل الشركة في ميلانو الا ان ندفع عربونا للحجز ، وكنا نود تأجيل الدفع علنا نجد ما هو افضل .

زيارة فيرونا مدينة الفاكهة

الاربعاء ١٩٥٤/٨/١١ : غادرنا مدينة ميلانو عن طريق اوتوبان بريشيا وهو طريق جميل . مررنا بمدينة بريشيا وهي مدينة جميلة تمنينا ان نبقى فيها ولكن الوقت لم يسعف وكان همنا ان نزور فيرونا لنشاهد اشجار الفاكهة التي تمتاز بها هذه المدينة العريقة ، وقبل فيرونا بعشرين كيلو مترا استقبلتنا اشجار الدراق والتفاح والاجاص وكروم العنب على جانبي الطريق . لم نجد فيها فندقا نأوي اليه الا بشق الانفس ، اذ كان فيها عيد لعشرة ايام يقصده طلاب المتعة والراحة من جميع انحاء العالم فيملأون الفنادق . اوينا اخيرا الى فندق بسيط قبل اصحابه ان نبقى فيه يومين . ومن بهو الفندق اتصلنا بصاحب العنوان الذي زودنا به السيد بعيون في بيروت ، ولحسن الحظ وجدنا رجلا يتقن الفرنسية حضر لزيارتنا بعد دقائق وصحبناه الى المحل حيث تعرفنا على صاحبه . المحل يقوم بتحضير الفواكه قبل ان تعرض للبيع او التصدير .

فرز وتنظيف وتصنيف وبعدها الى السوق او المستودعات المبردة

تأتي الفواكه من المزارع في صناديق فتوضع ضمن آلة طويلة وتفرز الحبات المصابة عن السليمة وتوزع الى اربعة احجام ، كل حجم يوضع على طاولة خاصة حولها ثماني عاملات للتعبئة ثم توزن الصناديق وتنقل الى عربات الى المحطة مباشرة او توضع في مستودع مبرد .

والاجاص يوضع على آلة تهزه ويسير على الفراشي التي تزيل عنه الغبار ثم ينزل على طاولة للتعبئة ، والطاولات وحاويات الفواكه كلها مغلفة بالخيش والقطن كي لا تصاب الحبات بأذى . . . وفي المحل ١٥٠ عاملة تقريبا ، ويعمل ثماني ساعات في اليوم على الاقل واجرة ساعة العمل ١٧٠ ليرا ايطاليا تستلم العاملة منها ١١٥ ليرا والباقي لصندوق التعاون . . . غادرنا المحل الذي رحب بنا صاحبه كثيرا ووعدنا بأن يرسل من يتقن الفرنسية الينا في اليوم التالي ليرافقنا الى سوق الخضرة في المدينة .

في دار الاوبرا

منظر الدار من الخارج يشبه قلعة قديمة مهدمة لا ينبىء عن داخلها الذي اعجبنا به . المكان يتسع لسبعين الف متفرج وقد اكتظ بالناس ، وهناك ما يقرب من سبعين عازفا تنساب من آلاتهم أعذب الالحان وهناك ايضا ما يقرب من خمسين الى ستين ممثلا يرقصون ويمثلون روايات صامتة ويعبرون عن المواقف بالرقص والإيماء وكان المنظر بديعا واستمر حتى الواحدة صباحا .

زيارة سوق الخضار المشاد حديثا في المدينة

الخميس ١٩٥٤/٨/١٢ : رغبة في المزيد من المعلومات عن الاعمال الاقتصادية من تجارية وصناعية وزراعية وهي هدف كبير من اهداف رحلاتنا الى بلدان العالم ، رافقنا الرجل الذي يتقن الفرنسية الى سوق الخضار في فيرونا الذي بني حديثا خارج المدينة وهو احدث سوق خضار شاهدناه . دخلنا اولا محل الرجل الذي عرّفنا عليه السيد بميون وهو احسن المحلات وعنده عدة أصناف . وتساعده اخته في بيع البضائع وتقوم زوجته بالعمليات الحسابية والكتابية . وبعد ذلك طفنا في السوق واطلعنا على اجزائه وحسن تنظيمه . له مدخل واحد ومخرج واحد وكل سيارة او عربة تدخل تدفع عند الخروج عشرة قروش سورية تقريبا ، وفي السوق ساحات واسعة للسيارات والدراجات والعربات . كما توجد مواقف واسعة ايضا خارجه . وفي السوق مركز صحي ومصرف ومركز اداري ، والى جانبه مستودعات للايجار ، وهناك قطعة ارض ستبنى عليها محطة لسكة الحديد . وفي السوق محلات كبيرة او صغيرة بما يتناسب مع حجم اعمال كل تاجر . وقد بنته البلدية وتؤجره للتجار . فالمحل الكبير الذي مساحته ثلاثمائة متر مربع مع رواق مساحته ستون مترا مربعا يؤجر بما يعادل ثلاثمائة وخمسين ليرة سورية في الشهر . والمحل الكبير له قبو على قدر مساحته وفوقه طابق يستعمل كمستودع للمحل فكل محل مؤلف من ثلاثة طوابق مع رواق أمامه ، وله مدخلان . والمحلات الصغيرة مساحة كل واحد منها ٦٥ مترا وأجرته تساوي مائة ليرة سورية في الشهر تقريبا . وفي السوق اجنحة بعضها لتجار الداخل وبعضها الآخر لتجار الخارج المصدرين . وللسوق نظام خاص للايجار اهم ما فيه ان الذي يتأخر عن دفع الايجار حتى اليوم الخامس من كل شهر يخلي خلافا للقوانين

العامة للايجارات . ومخطط السوق يشبه المخطط الذي وضعناه لسوق الهال عندنا وقدمناه للاوقاف لبنائه في دمشق في القطعة الواقعة في باب شرقي لانها محفورة مما يتناسب مع وجود اقبية للمحال التجارية . زرنا مدير السوق فرحب بنا واعطانا معلومات عن السوق وظروف بنائه وحصلنا على قسم من الخريطة العامة للرجوع اليها عند الحاجة .

مزارع مساحتها الفان واربعمائة دونم تملكها شركة

ثم توجهنا لمشاهدة مزرعة فخمة يملكها التاجر الذي زرناه للاطلاع على كيفية زراعة اشجار الدراق والاجاص والعنب حسب طريقة القوم . فقد رفعت نصبات العنب على صفوف من الشريط المثبت على اعمدة بشكل افقي مع فاصل بينها عرضه ثلاثة امتار وترك الفاصل نفسه بين كل نصبة واخرى وهذه الطريقة تسهل مكافحة الحشرات وتسمح لاشعة الشمس بأن تتخلل الى الفراس والتربة وقبيل نضج العنب يقومون بتخفيف اوراق العنب حتى تصل الشمس الى العناقيد . وزرعت أشجار الدراق على شكل صفوف يفصل بينها فراغ بعرض ستة امتار ، كما يفصل الشجرة عن الاخرى فراغ بعرض خمسة امتار ، اي ان نصيب الشجرة من الارض ثلاثون مترا مربعا ، وكما في العنب يخففون اوراق الاشجار قبيل نضج الثمار ليحل اليها الرش وتتعرض لأشعة الشمس بأكبر قدر ممكن .

اما الاجاص فيزرع صفوفا ، وبمسافات تفصل بين الاشجار قدرها اربعة امتار وخمسة من الطرفين فيصيب الشجرة عشرون مترا من الارض وهذه المسافات اكبر من التي شاهدناها في هولاندا وسويسرا وربما يعود ذلك الى سعة أو ضيق الأرض . . المزرعة التي زرناها مساحتها ثلاثمائةدونم وارضهامليئةبالبحص ، والاشجار المغروسة فيها اجاص ودراق وكروم عنب تتخللها السواقيالاسمنتية والطرقاتالمظللةبالعرائش، وفيها عاملات للقطف والفرز ، وآلات لتحضير الفاكهة تشبه الآلات التي في المدينة . الماء عندهم « بالعدان » يحصلون عليه من مشاريع الري لقاء رسم سنوي يدفع للدولة . وفي المزرعة بئر ارتوازي عمقه سبعة امتار فقط يضخون الماء منه لعدم كفاية مياه مشاريع الري .

الى فينيس مدينـة الجمال والممرات المائية والسفن الصغيرة

غادرنـا مدينة فيرونـا مودعين كما استقبلنا بأشجار الفاكهة . وفي هذه المدينـة دفعنـا اقل اجرة منامة بالنسبة لجميع المدن والقرى التي مررنا بها . . وبعد مرورنا على قرى فيسترا ، بادونـا ، ميستروا ، عبر الطريق الخضراء . وصلنا فينيس اي البندقية وهي مدينـة الجمال والبحر والممرات المائية الضيقة بـين بيوتها والجسور العديدة التي تصل بين اجزاء المدينـة ، وهي مرتفعـة لتسمح بمرور السفن والفلائك الصغيرة . واول ما طالعنا على مداخل المدينـة كثرة السيارات وتعـدد جنسياتها . حاولنـا أن نجد مكانا نوقف سيارتنا في المرآب فلم نفلح . سألنـا الشرطي ليرشدنـا الى ضالتنا اي مكان نقف فيه وفندق فلم نفلح ايضا لزحمة السير . وبعد لأي وجدنا مكانا فارغا تحت الشمس اوقفنا فيه سيارتنا وسرنا على الاقـدام ونحن في حـيرة من امرنـا ولكننا علمنا ان المدينـة مجموعة جزر وفي كـل جزيرة عـدة منازل وان هـذا آخر مكان نستطيع ان نستخدم فيه السيارة وعلينـا اذا اردنا ان نطوف في المدينة ان نضع سيارتنا في مرآب . ذهبنا الى المرآب فقالوا لنا اصعدوا الـى الطابق الثـاني ، صعدنا فلم نجـد محلا نضع فيه سيارتنا وهكذا استمرينا في الصعود والسؤال عـن مكان حتى وصلنا الى الطابق العاشر وهنـا قالوا لنـا اصعدوا الى السطح ، صعدنـا فوجدنا فسحة لسيارة واحدة فقط فأوقفنا المكدودة بـين خمسمائة سيارة موجودة على السطح وفهمت من راتب ان المرآب يتسع لعشرة آلاف سيارة .

وفوق عشرة طوابق استقري يا سيارتنا حتى نعود اليك ثانية . هذا ما كنا نلهج بـه ونحن نتركها ونهبط الى الارض ثانية ، وفي هذا المرآب العجيب تنظف السيارات وتشحم وتصلح حيث خصص قسم لخدمة السيارات في كل طابق على حدة وفيه نظام سير سيارات صاعدة ولها طريق سيارات نازلة ، وفي الطابق الارضي مخزن لبيع قطع التبديل وفيـه ايضا بنك ومطعـم ومقهى ومكتب استعلامات . اعجبنا بهـذا المرآب حيث توضع عشرة آلاف سيارة تصلح وتنظف وتشحم وقلوب اصحابها مطمئنة .

في ربـوع فينيس (البندقية)

نزلنا الى مركب اوصلنا الى نهاية المدينة ومتعنا انظارنا بجمالها . خلجان صغـيرة تتخللها رؤوس كثـيرة وجزر وبيوت فوق هذه الجزر التي بينها ممرات مائية ضيقـة

لا يزيد عرض معظمها عن المترين ، والسفن الصغيرة (غندول) تجوب الممرات وتنقل من جزيرة الى جزيرة بل من بيت الى بيت وهناك جسور خشبية كثيرة تصل بين الجزر كما تصل بين جانبي الممرات المائية وهي مرتفعة نسبيا لتسمح بمرور الغوندولات تحتها . وفي المدينة عشرون محطة تتوقف فيها المراكب ... وصلنا الى جزيرة اسمها « ليدوا » صعدنا وركبنا عربة خيل وطفنا في شوارعها وبهرتنا ابنية فخمة معظمها فنادق للسواح والزوار وفيها مسبح بحري من اجمل مسابح العالم .

عدنا في المركب الى الشاطىء لنجد سيارتنا تنتظر اوبتنا لنتابع المسير في رحلتنا ونشاهد اكثر ما يمكن من ايطاليا قبل أن نودع هذه البلاد عائدين الى أرض الوطن الحبيب .

وكانت وجهتنا الى بولونيا المدينة التي يوجد بها عميل لنا زودنا بمال مكننا من الطواف في ايطاليا . وقد غادرنا مدينة فينيس ونوينا ان نبيت في مدينة بادوفا لانها اهدا من فينيس ، ثم في الطريق وجدنا ان لدينا متسعا يسمح لنا أن نسير الى مدينة أقرب الى بولونيا التي نقصدها للاتصال بأحد التجار الذين نتعامل معهم . وهكذا وصلنا مدينة فيرا وهي بلدة جميلة جدا شوارعها عريضة مضاءة والحافلات الكهربائية تربط أجزاءها بما يحيط بها من قرى حيث تسير بين عشرة أو خمسة عشر كيلو مترا من مركز البلدة ، وهذه الحافلات متوفرة في جميع القرى التي مررنا بها .

الجمعة ١٩٥٤/٨/١٣ : توجهنا منذ الصباح الى بولونيا وهي على بعد ٤٧ كيلومترا ولما وصلنا ذهبنا الى محل (عميل الثوم) وبعد استقبال حسن واعتذار لبق عن تأخير ارسال قيمة الثوم دفع لنا مبلغ مائتي الف لير ايطالي على الحساب وهذا المبلغ مكننا من المكوث في ايطاليا وزيارة مدينة « جنوة » حتى ولو تأخرنا عن الباخرة التي كنا قد حجزنا على ظهرها .

زراعة وصناعة ونشاط جعلنا نعجب بايطاليا

الطريق الذي قطعناه بين فينيس وبولونيا جميل وعريض ومعتنى به ويمر في أرض طافحة بالخيرات وفيه أشجار التفاح والاجاص والدراق وحقول الحنطة والشوندر والفصة والبندورة . وهنا نتوقف لنصف طريقة تعاملهم مع هذا المحصول . فالشتلات

مزروعة على خطوط مستقيمة يفصل بين الخط والخط ستون او خمسة وسبعون سانتيمترا وبين الشتلة والاخرى نصف متر . والاشتال مرفوعة على اسلاك مثبتة بأوتاد وهي حاملة حملا كثيرا يشبه عناقيد العنب ... منظر جميل يدل على نشاط اصحاب الارض وعنايتهم الكبيرة واستخدام طرق الزراعة الحديثة . وتوجد عربة امام كل قطعة مزروعة باشتال البندورة لنقل المحصول الذي تعجز عن انتاجه قرية كاملة عندنا ... وليست الزراعة هي المزدهرة فقط في هذه البقعة بل هناك معامل مبثوثة في القرى التي مررنا بهـا تدل على وجود الازدهار الصناعي ايضا . اما الابنية فتتألف من عـدة طوابق اقلها يتألف من خمسة طوابق واكثرها يتألف من اثني عشر طابقا على الرغم من أن عـدد سكان البلدة لا يزيد عن مائة وخمسين الف شخص ، ولعلهم لجأوا الى البنـاء الطابقي توفيرا للارض التي ملؤوهـا بشتى المزروعات . والطرقـات ملأى بالسيارات التي تغطي نشاط السكان وتنقل الخيرات وهذا كله جعلنا نعجب بايطاليا ونغير انطباعنا الاول عنها ولكن لباس السكان وطراز معيشتهم واخلاقهم لا تصل الـى ما شاهدناه لدى سكان بريطانيا .

في الطريـق الـى « جنـوة »

ودعنـا عميلنـا واخذنا اسمـاء التجـار الذين يتاجرون بالجـوز في « نابولي » وانطلقنـا الى جنوة قاطعين ١٤٧ كيلو مترا في ارض امتدت يد الانسـان الى كل شبر منهـا . فهاهنا سهول مزروعة وطرق ممهدة وجبال شقت بطونها بالانفاق وقد يصل طول النفق الواحد منها الى الفي متر ، والجبال تكسوهـا الاحراش وكروم العنب ، والاودية قصمت ظهورها بالجسور ، حتى وصلنا جنـوة في تمـام السابعة مسـاء . المدينة مطلة على البحر وبيوتها تذهب مصعدة في الجبل على مدرجات . وجدنا فندقا وارحنا سيارتنا من الاغراض وانطلقنا نطوف الشوارع ساعة كاملة ثم عدنا الى الفندق لنريح اجسامنا التي اعياها طول الطواف علها تستعد لقطع مسافات اخرى جديدة .

السبت ١٩٥٤/٨/١٤ : استيقظنا مبكرين في غرفتنا من الطابق العاشر المطلة على البحر والمرفـا ، واتصلنا بمعمل بزر المشمش وفي هذه المدينة مركز شركته ، ولكن كان يـوم عطلة . اعدنـا اشياءنا الى ظهر السيارة وجوفها ثم طفنا في شوارع المدينة بـين البحر والجبل . المدينة جميلة وابنيتها تحيط بالمرفأ الذي يقع ضمنها وطرقهـا تمر

احيانا في انفــاق تعـل الاحياء فيما بينها . ثم ودعنا مدينة جنوة سالكين طريقا جبلية تقترب من البحر حينا وتبتعد عنه حينا آخر . والجبـال مكسوة بالخضرة واغلبهـا مغطى بأشـجـار الزيتــون .

مررنـا برانبولي وطفنا بهـا قليلا ولكن الازدحام منعنا من المتابعة كما ان بحرهـا غير نظيف . وتابعنا السير متصعدين في الجبال لنصل بعد مائة واثني عشـر كيلو مترا عن جنوة الى مدينة لاسبيريا وهي مينـاء بحري عظيم وشوارعها عريضة وهي جميلة وتمنينا أن ننـام فيها ولكن الوقت لم يكن يسمح بذلك . وفي السهل الضيق الممتـد بين البحر والجبل كانت هناك اشجار حور على جانبي الطريق وفيما بينها غرست انواع من شجيرات الورود التي تعددت الوانها فالورد ما بين خمري وابيض .

ورافقنا هذا المنظر مسافة لا تقل عن مائتي متر ، والسهل مزروع بالعنب والزيتون وكثير من اشجار الفاكهة حيث لا يوجد شبر من الارض الا وهو مزروع .

وصلنا الى مدينة بيزا التي تبعد مسافة مئة وتسعين كيلو متر عن مدينة جنوة . فتزودنا بالطعام وجلسنا خارج المدينة لتناوله والاستراحة . وكنـا نرغب بالمبيت على الطريق لنقسم المسافة بين جنوه وروما ونوزعها على يومين ، ولكن كنـا كلمـا وجدنا الطريق جميلا غاصا بالحركة تجددت همتنا وتابعنا المسير . وكلما حاولنا ايجاد مكان نظيف نأوي اليه لا نوفق فنتابع السير . وقدرنا اننا سنصل الى روما في الحاديةعشرة او الحادية عشرة والنصف اذ كان بقي علينا ١١٢ كيلو مترا . وصلنا الى بلدة جميلـة فيهـا فندق ولكن لم يكن فيه محلات ، وتابعنا المسير في طريق فرعية خالية من الناس فشعرنـا بوحشة وحسبنا اننـا ضللنا الطريق ولكن الشرطة التي صادفناها في الطريق طمأنتنا ودلتنا على مكان فيـه فنـدق ، وكـان يقـع في شـارع عريض على الشاطىء مضـاء بالكهرباء فنزلنا فيه لنستريح بعد اربع عشرة ساعة من السفر قطعنـا فيهـا ٥٢٠ كيلو مترا . ونمنـا في الساعة الثانية عشرة ليلا بلا عشاء لشدة التعب .

الاحـد ١٩٥٤/٨/١٥ : استيقظنا في السابعة صباحا ولكننا تركنا اولادنا للنـوم بسبب تعبهم اذ كنا قطعنا نحو الف كيلو متر . وكانت امامنا مناظر البحر ومسـابح غاصة بالرواد لأن اليوم احد . وفي العاشرة جاء راتب ولضيق الوقت حملنا فطورنـا فأكلناه في السيارة اثناء السفر .

قبل روما بسبعة وعشرين كيلو مترا ــ حيث نمنــا ــ كانت الطريق جميلة للغاية وتتسع لثلاث سيارات في كل اتجــاه مع طرق للدراجات العــادية والآليــة ، وتحيط بالطريق الاشجار والازهار وتخلع عليه الجمال الرائع الاخاذ .

فــي رومــا

ولمــا وصلنا رومــا عاصمة اباطرة الرومان ، بدانا الطواف في عديد من شوارعهــا وشاهدنا عظمة آثارهــا ثم اوينا الى الفندق لناكل طعاما فاخرا لم نر مثله في المطاعم ، واسترحنا بعد تعب طويل . وكان الفندق على ساحة عريضة فيهــا المقاهي ، وكــان الناس قد قصدوا المسابح لانه يوم الاحد ، ونحن بقينا في الفندق اتقاء للحر واستمتاعا بالمناظر والجو اللطيف الغائم الذي يحجب الشمس . وفي الثامنــة تناولنا العشــاء في الشرفة المطلة على الساحة المضاءة بأجمل الانوار والمنسقة ابدع تنسيق .

زيــارة السفــارة السورية في رومــا

الاثنين ١٩٥٤/٨/١٦ : صباح اليوم اهتدينا الى سفارتنا في روما لنجتمع بالاحباء ابنــاء وطننا العزيز ، وكــان في استقبالنا السادة خالــد العسلي وابراهيم الحسيني والدكتور انور حاتم ، فرحبــو بنــا أجمل ترحيب ودامت زيارتنا للسفــارة ساعــة تناولنا فيها القهوة وتداولنــا في موضوعات عديدة .

اغــلاق حديدية للمحــال التجــارية

وقد لفتت انظارنا في روما الاغلاق الحديدية على ابواب المحال التجارية ولم نشاهد مثيلا لذلك في المدن الاوربية التي زرناها او مررنا بها ولها أبواب بلور تستطيع ان ترى من خلالها ما في داخل المحل من معروضات والمحال مضاءة ليلا حيث يمكن أن تستمتع بالنظر اليهــا اكثر من ساعات النهار . . . شاهدنا محلات قليلة ابوابها من بلور وهــي مضاءة بالكهرباء وشاهدنا فيها تحفا ثمينة ومعروضات جيــدة ولكن وجــود الاغلاق الحديدية على ابواب المحال التجارية هو الغالب .

بعد زيارة السفارة السورية في روما عدنا الى الفندق واعدنا الاغراض الى السيارة وتزودنا بالطعام وغادرنا روما متوجهين الى نابولي .

زيـارة معرض آلات البـواخر في نابولي

على طريق عريض معتنى به كيفية الطرق التي اجتزناها في ايطاليا وفي ارض مزروعة على ضفاف نهر وتحت اشجار متشابكة تناولنا طعام الفطور . وهو خبز وجبن وبطيخ اخضر اطيب من (النمورة) . على هذا الطريق اجتزنا المسافة بين روما ونابولي ... وجدنا فندقا يطل على احدى الساحات العامة في نابولي تركنا متاعنا فيه وعدنا نطوف شوارع المدينة ... وصلنا مكانا زين بالكهرباء وهو معرض لآلات البواخر ... المكان واسع جدا فيه حدائق واسعة والعاب كثيرة ومنسق اجمل تنسيق ... طفنا فيه وأعجبنا بالنوافير الكثيرة المتعددة الالوان والتي يتغير اللون فيها عدة مرات ... المكان جميل لو بقي الانسان فيه شهرا كاملا لما ملّ ...

طعـام رديء ومبلـغ كبـير يذهب هـدرا

دخلنـا احد المطاعم فأحضر لنـا اصحابه طعاما لم نسر منه ولم نأكل منه الا القليل ودفعنا مبلغ ٤٢٠٠ لير ايطالي وخرجنا ونحن نقول : ليتنا أخذنا طعاما مما نحبه وهو متيسر في السوق واكلنا في الفندق او في الطريق خلال السفر .

في نابولي اتصالات تجارية وتاهب للسفر

الثلاثاء ١٩٥٤/٨/١٧ : استيقظنا في التاسعة والنصف صباحا واتصلنـا بتجـار الجوز هاتفيا فقال احدهم انه سيزورنا في الفندق اما الثاني فأعطانا وعـدا لزيارته في الساعة الحادية عشرة من هذا اليوم ... طفنـا في الاسواق واتصلنا بشركة البواخر فقال لنا المشرفون عليها : عودوا لمقابلتنا مسـاء ... وبعد ذلك ذهبنا الى تاجر الجوز فاستقبلتنا سيدة مهيبة تترأس مجلس ادارة الشركة ومما قالته لنا : ان موسم الجوز جيد هذا العام وأسعاره تتراوح بين ١٥٠ ــ ١٤٥ جنيها للطن الواحد ... طلبنـا أن نزور معمل تحضير الجوز فقالت انـه بعيـد ويقع على بعد ٤٠ كيلو مترا . ولما قلنـا لهـا عندنـا سيارة وافقت وقالت : غدا ظهرا سنزور المعمل معا ... بعـد الغـداء واستراحة قصيرة في الفندق عدنا الى الاسواق واكدنا الحجز في شركة البواخر ثم طفنا على المحال التجارية واشترينا هدايا وعدنا الى الفندق ولكننا لم نذق طعم النوم حتى الثانية بعد منتصف الليل لضجيج مكبرات الصـوت ودار السينما المجاورة . وهـذه الظاهرة ازعجتنا ولم نتعرض لمثلها في المدن الاخرى .

في نابولي وضواحيها ـ جولات تجارية وصناعية

الاربعاء ١٩٥٤/٨/١٨ : زرنا تاجر جوز ويشتغل بأصناف عديدة كالبندق واللوز والبصل والتفاح والكستنا . وكعادتنا في الاطلاع على المعامل والمشاغل طلبنا أن نشاهد مكان تحضير هذه المواد للتوزيع والتصدير . فوافق على أن تتم غدا ثم ذهبنا الى محل تاجر الجوز لزيارة معمل التحضير برفقة الرئيسة التي قابلتنا بالامس وانطلقنا الى ضواحي نابولي حيث يوجد المعمل . وفي الطريق شاهدنا الاراضي الزراعية التي سرنا فيها وقد امتلأ ظهرها بحقول الذرة ومزارع الخضار ... ورايناهم يزرعون الجوز على محيط الارض كما يفعل مزارعونا تماما ... وفي هذه الاراضي تكثر اشجار البندق ايضا وحياة الفلاحين تشبه حياة الفلاحين في ريفنا وقراهم تشبه قرانا الى حد بعيد . ولما وصلنا المكان الذي نقصده ترجلنا من سيارتنا ودخلنا المحل .

يأتي الجوز مقلوفا (أي قد ذهبت قشرته الخارجية الخضراء) فيوزن اولا ثم يخرج من الميزان الى آلة عليها عمال يبعدون الحبات الفاسدة ثم يصعد حب الجوز الى غرابيل تفرزه حسب الحجم وينتقل الحب الى غرفة ثانية فيغسل من السواد ويرش عليه ماء حلو ... وتستمر حبات الجوز في رحلتها للتجفيف وسحب الهواء ثم تنتقل من هناك فتمر أمام عاملات موكلات بابعاد الحبات الفاسدة مرة ثانية . اي ينقى الجوز مرتين لتبقى الحبات السليمة . واذا اريد تقشيره يمر على آلة ينزل منها القشر ويذهب اللب الى أكياس مطبوعة ويوزن من جديد ... جولة طويلة لا بد منها تمر بها حبة الجوز قبل أن تستقر في كيس لتذهب للاستهلاك وهذا يدل على عناية القوم بانتاجهم فلا يصل الى المستهلك الا بأعلى مواصفات الجودة ... ويشتغل المعمل نحو شهرين سنويا فقط وفي الموسم ، ويغسل يوميا خمسين طنا من الجوز تقريبا ...

والبندق يمر على آلات خاصة ايضا تشبه آلات الجوز ... وفي المعمل جناح خاص لطبع الاكياس . ثم عدنا الى نابولي وتناولنا طعام الغداء في فندقنا واسترحنا قليلا من وعثاء السفر ونزلنا الى الاسواق نطوف فيها ونطلع على وجوه نشاط هؤلاء القوم الذين لا يفترون عن العمل والانتاج ، واخيرا عدنا الى فندقنا الصاخب حيث لم نهنأ بالنوم الا بعد منتصف الليل .

في ضواحي نابولي والفرق بين الشمال والجنوب

الخميس ١٩٥٤/٨/١٩ : استيقظنا في الثامنة صباحا وحجزنا امكنة في مركب يقلنا غدا الى جزيرة كابري ثم اتجهنا بسيارتنا صوب مدينة ساحلية قريبة من نابولي نقضي فيها سحابة نهارنا . . . سرنا في ارض زراعية تشبه غوطة دمشق بتنوع المزروعات وشاهدنا اشجار تين وجوز ولوز ومشمش ودراق واجاص كما شاهدنا خضارا متنوعة والطريق جيد وجميل (اوتوبان عريض) . . . وصلنا الى مدينة سورنتيو وهي نظيفة وجميلة وفيها مقاه ومطاعم كثيرة وتقع بين البحر والجبل وتتسلق بيوتها السفوح . . طفنا في شوارع المدينة وابتعنا طعاما على نيَّة ان نتناوله في مكان جميل على الطريق ولكننا لم نفلح وذلك لكثرة الزحام وشدة الحر . . . تركنا طريق الاوتوبان و (ساحَلْنا) فشاهدنا ما لا يسر العين والخاطر : قرى قذرة وطرقات سيئة تكثر فيها الحفر كما شاهدنا طنابر وعربات تجرها الحمير واطفالا شبه عراة ينقلون التراب ولاحظنا سوء التربية لدى هؤلاء السكان ووصلت الى انوفنا روائح كريهة ونحن نمر في هذه القرى الفقيرة التي توزعت على الساحل . هذه الروائح التي أزكمت انوفنا لا تجد مثيلا لها في افقر القرى عندنا . . . لم نسر خلال عودتنا ولكننا احتسبنا هذه الساعات التي ضاعت ونحن نمر في هذه المنطقة ثمنا لشيء مفيد حصلنا عليه وهو الفرق الواضح بين شمالي ايطاليا وجنوبها : فالشمال يعج بالحركة والنشاط والعمل والانتاج والمظاهر التي تدل على الغنى والذوق الرفيع بينما وقعت عيوننا في الجنوب على مناظر مقززة وصفنا بعضها . . . وصلنا اخيرا الى الفندق الذي ننزل فيه في نابولي وتناولنا طعام الغداء واسترحنا . وفي الخامسة مساء نزلنا الى الاسواق الجديدة التي لم نشاهدها في الايام السابقة واشترينا بعض الحاجات ولكننا لم نشتر كل ما نريد فالسوق فيه حاجات جميلة تصلح لان تكون هدايا للاهل والاصحاب .

الى جزيرة كابري . . . نزهة بحرية استغرقت يوما كاملا

الجمعة ١٩٥٤/٨/٢٠ : في الصباح جاءت سيارة أجرة تقلنا الى الشاطىء حيث نزلنا الى البحر لنقلع على ظهر سفينة كبيرة تقلنا الى جزيرة كابري مع أعداد كثيرة من الناس . وبعد ساعتين وصلنا كابري وهي جزيرة صغيرة في البحر تظهر وكأنها جبل

يشمخ بقامته فوق سطح المـاء . تركنا المركب وانتقلنا الى بر الجزيرة وركبنا قطـارا كهربائيا صعدنا به الى الجبل . . . وصلنا الى ساحة فيها سوق صغير محلاته التجارية تعرض اجمل التحف ، وبعد الطواف في هذا السوق دخلنا مطعما تناولنا فيـه طعـام الغداء واسترحنا قليلا ثم عدنـا الى الساحة التي انطلقنـا منها لناخذ سيارة عامـة تصعد الى أعلى الجبل على طريق ضيقة . صعدنا وصعدنا الـى ان وصلنا الـى اعلى نقطة في الجزيرة وهي ترتفع ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر . . . وهنا ايضا نزلنا في ساحةصغيرة فيها بضع محالتجارية تعرضاجملالالبسة والتحف النسائية فاشترينا طقمين وكنا نود شراء اكثر لو كان المال متوفرا ولو كانت تعقيدات الجمارك عندنا غـير موجودة . رجعنا الى الساحة الاولى بالسيارة وعلى متن القطار الكهربائي اتممنا طريق العودة الى الساحل ومن ثم استأجرنا مركبا صغيرا يتسع لخمسة اشخاص وذهبنـا نجوب شواطىء الجزيرة . . . وقفنا أمام مغارة في البحر مدخلها منخفض جدا ويحتاج الانسان لان يخفض راسه عند الدخول. . . ركبنا فلوكةصغيرة ودخلنا المغارة وشاهدنا منظرا بديعا حيث يسطع على صفحة الماء ضوء اخضر فستقي خافت، هو انعكاس للون الصخر الذي يتكون منه سطح المغارة ومصدر النور فتحة في جانب المغارة عرضها متر وارتفاعها متر وربع تقريبا . . . والمغارة طولها ستون مترا وعرضها خمسـة وعشرون مترا وعمق الماء فيها عشرون مترا . . . طفنا في هـذه المغارة وتمتعنا بجوهـا البديـع الذي اضفى عليه النور الاخضر الفستقي الخافت جمالا ساحرا اخاذا ، وبعـد هـذه المغارة توجد مغارة أخرى طولها مائة متر ولكنها جافة وليس فيها ماء ، خرجنـا مـن المغارة وعدنـا الى مركبنا الاول الذي أوصلنا الى بر الجزيرة مرة اخرى لنجد هنـاك المركب الذي سيقلنـا الى نابولي . . . صعدنا الى المركب لنمضي فيه ساعتين وهـو يهتز بنـا على صفحة الماء حتى وصلنا . وفي نابولي دخلنا الى فندقنا الذي لا بد من الدخول اليه والساعة تشير الى الساعة السابعة والنصف تمامـا . . . وكانت تكاليف هذه النزهة البحرية اربعة آلاف لير ايطالي عدا ونقدا أجرة ركوب مـن باب الفنـدق لباب الفندق مع ثمن الطعام . . . وفي الفندق تناولنا طعام العشاء وبقينا نتصيد النوم والنوم يفلت منـا طوال الليل بسبب وجود الضجيج المنبعث من المكبرات ومنالسينما ومن قرقعة الطنابر وضربات السياط ومما زاد في الطـين بلة وجـود الناموس والحر الشديد و (نـام) يا أبا راتب إن كنت تستطيع أن تنـام .

في نابولي ... طواف في الاسواق لشراء بعض الهدايا

السبت ١٩٥٤/٨/٢١ : كان الحر لافحا والحرارة في السيارة تسجل ٥٥ درجة عندما دخلنا المدينة في التاسعة صباحا أما عندما أوينا اليها في الظهيرة ونحن في طريق العودة الى الفندق فان مؤشر الحرارة لم يعد يستطيع أن يسجل درجتها التي اربت على الستين في السيارة ... صعدنا الى الفندق وامضينا فيه ساعات الظهيرة (نهوّي) من كثرة الحر ، وفي الساعة الخامسة مساء نزلنا الى السوق . حلقنا وغسلنا السيارة وعدنا الى الفندق وأوينا الى مخادعنا بعد تناول طعام العشاء مباشرة علنا نصيب شيئا من نوم تستريح فيه الابدان المكدودة وتعوض عما فات في الليالي الخاليات ولكن هيهات هيهات والضجيج والحر والناموس ثالوث غير مقدس وقع افراده اتفاقا على المضي معا ليل نهار .

العودة الى رحاب الوطن

الاحد ١٩٥٤/٨/٢٢ :

استيقظنا الساعة الثامنة صباحا أفطرنا وبدأنا نجمع الاغراض وندسها في الحقائب وفي الساعة الحادية عشرة والنصف تناولنا ما بقي عندنا من طعام وارسلنا الاولاد ليستفسروا عن الباخرة فقيل لهم انها ستصل بحدود الساعة الثانية والنصف وعليكم ان تكونوا بانتظارها في الساعة الرابعة بعد الظهر ... حاسبنا الفندق المشؤوم الذي أكرهنا على الاقامة فيه لعدم وجود أفضل منه ، والذي لم نذق فيه طعم الراحة. ثم انتقلنا بالسيارة الى الميناء على مرحلتين لكثرة الاغراض . وفي مركز الجمرك لم نجد من يفهم حديثنا .. واعترضتنا صعوبات عند ادخال الاغراض والسيارة الى الباخرة ، ثم ذللت بعون الله ولكن طردا من أغراضنا وضع في مكان غير امين . وهو يحوي كرسيا ابتعناه في رحلتنا وهذا ما جعلنا نخاف على الكرسي من الكسر أو العطب.

في الساعة التاسعة مساء تناولنا العشاء وصعدنا الى سطح الباخرة لنشاهد عرضا سينمائيا ولكن رقصات الباخرة القوية على نغمات الامواج لم تمكننا من ذلك واضطررنا الى النزول بعد نصف ساعة من الجلوس ... أوينا الى غرفتنا وأم راتب مصابة بدوار فاضطجعت على السرير والباخرة لا زالت تتهادى في رقصاتها المزعجة تقوم وتقعد تعلو وتهبط ولا أدري والحالة على ما ذكرت متى وجد النوم سبيله الى عيني واستولى على جفني ...

على صفحات مياه المتوسط التي ما برحت أمواجها تهز بأخرتنا وتجعلها تستمر في رقصاتها

الاثنين ١٩٥٤/٨/٢٣ : استيقظنا صباحا ... تناولنا طعام الفطور في الباخرة ثم جلسنا على السطح ولكن أم راتب اصيبت بالدوار فنزلت الى الغرفة ولم تشعر بالراحة الا في المساء . وفي الساعة الحادية عشرة نهارا قدموا لنا طعاما خفيفا مؤلفا من حساء وقطعة لحم وقطعة خبز ، وفي الظهيرة تناولنا طعام الغداء وهو طعام طيب ومن اطيب الاطعمة التي تناولناها في رحلتنا كلها ... وعلى ظهر الباخرة تعرفنا على عدة أشخاص من مصريين وعراقيين وايرانيين وألمان وجلس راتب وموفق يلعبان معهم الورق حتى المساء ... وفي المساء تعشينا وسمرنا حتى الحادية عشرة والنصف ليلا نحاول الامساك بالنوم والنوم ينفر منا بسبب اهتزاز السفينة بفعل ضربات الامواج اي أننا لم ننم طوال الليل ...

في عصر هذا اليوم اقام اصحاب السفينة حفلة غناء وموسيقى شاهدها المسافرون.

منعطف ... وطريقة عرض جديدة

هذه رحلتي الاولى الى ديار الغرب دونتها كاملة وجعلتها ترتدي لباس المذكرات اليومية لتكون أنموذجا للرحلة الكاملة حيث أنني سأضطر الى عرض ما تبقى من رحلاتي عرضا موجزا أركز فيه على أهم ما شاهدته في تلك الرحلات .

* * *

الرحلة الثانية ـ ١٩٦١

الى الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وأوربا

قبل ان اتحدث عن الرحلات التالية لتلك التي سبق وحدثتكم عنها بالتفصيل ، يطيب لي ان اورد بعض الملاحظات .

الاولى : أعطيتكم في الرحلة الاولى صورة عن تصرفي من حيث انا عربي مسلم في البلاد التي ازورها . فأنا افتح عيني على الجديد وشؤون الحضارة واحب ان آخذ لبلدي كل ما هو صالح عملا بالحديث الشريف (الحكمة ضالة المؤمن اخذها حيث وجدها) ولكنني لا اقف موقف الضعف حين ارى امورا اخرى لا استسيغها فان موروثنا الحضاري ضخم وكما تعلمنا من غيرنا علمناهم ، وهي حقيقة لا ينكرها الا مكابر .

الثانيــة : انني لا ابذّر المال وانفقه بمقدار معقول وفي مواضعه المشروعة ، وليس هذا بخلا وانما هو احترام لقيمة المال الذي يكسبه الانسان بالجهد والطرق المشروعة.

الثالثة : انني ابحث اول ما ابحث عن المسائل التي تهم الزراعة والتصنيع الزراعي، وهذا من طبائع الامور لاعود وقد استفدت وتعلمت وأستطيع ان اخبر قومي بما رايت.

الرابعة : ان العالم مليء بالطرائف فيجب ان احدّث عمّا رايته منها لتكون موعظة وتسلية ، والتسلية جزء من حياتنا لانها تعيننا على تخطي الصعوبات واستعادة النشاط .

وأخيرا : فانني اذ اكتفي بالاجمالي دون التفصيلي فذلك لان ما اكرمني به ربي من العمر والقدرة على السفر لو رويت كل شيء فيه بالتفصيل لفاقت رحلاتي رحلات ابن بطوطه . ثم انني لا اخفيكم ان مراجعتي لمذكراتي التي كتبتها في ايام السفر وهذه عادتي ، جعلتني ارى ان كثيرا من الملاحظات التي ادهشتني في اسفاري الاولى صارت معروفة عند الناس لا سيما بعد التلفزيون الذي صار ينقلنا في كل يوم الى كل انحاء العالم .

ولسوف استبقي ذكر بعض الشخصيات التي التقيتها في الاسفار ، من عربية واجنبية ، لتكون بمثابة شكر على الحفاوة والعناية ، وما اكثر ما يسعد الانسان حين يرى نفسه وهو في الغربة امام صديق من ابناء وطنه ينسيه غربته .

بدات هذه الرحلة في تمـوز ١٩٦١ وكنت فيها وحدي اذ حالت ظروف عائلية دون سفر ام راتب معي . وقد سافرت عن طريق القاهرة في الثالث من تمـوز ومرّت بنـا الطائرة الى روما فباريس فلندن ، ومن هناك طرنـا خمس ساعـات لنحط في جزيرة جميلة من جزر المحيط الاطلسي ، والقفزة الاخيرة حطت بنـا في نيويورك حيث آنسني راتب بوجوده في انتظـاري .

ومنذ دخلنا الى مبنى مطار نيويورك احسست بانه يفوق كثيرا ما شهدته في مطارات العالم الاخرى سواء من حيث المعاملة السريعة او من حيث التسهيلات التـي لولاهـا لبقي عشرات الالوف يزدحمون في ارجائه مهما كانت واسعة . **فالسرعـة والسهولـة همـا الطـابع العـام للحيـاة الاميركية .**

بنـــاء الأمـــم المتحـــدة

وفي نيويورك التي تعرفونها جميعا إما بالزيارة وإما بالمشاهدة في الافلام والنشرات الاخبارية ، قمت بزيارة مقر الامم المتحدة المؤلف من بنايين احدهما مـن ثلاثين طابقـا والآخر من عشرة طوابق ، وتحيط بهما الحدائق الواسعة . وقد تبرع بالارض الواسعة التي اقيم عليها البناء ــ وقيمتها ثمانية ملايين ونصف مليون دولار ــ الثري المعروف روكفلر ، كمـا تبرعت بلدية نيويورك بأربعة ملايين لاقامة البناء . وقد اشترينا تذاكر للدخول الى مقر هيئـة الامم وكان كل عشرين زائرا يتقدمهم دليل يشرح لهم ما يرونه . وقد استطعنا ان نشاهد من مكان الزوار جلسة لمجلس الامن كان يناقش فيهـا احـد الموضوعات ، ورايت كيف تنقل المناقشات عن طريق الترجمـة الفورية الـى اللغـات الرسميـة المعتمـدة .

وزرنـا كذلك قاعات اخرى آخرها قاعة الهيئة العامة التي تتسع لاعضاء الهيئـة جميعهم ومعهم ألف وخمسمائة شخص من النظّارة .

ولكن هذه العظمة التي تدهش الانسان منذ دخوله الى الولايات المتحدة وما فيها من مميزات السرعة والسهولة لا تلبث أن تسوء صفحتها امام انتشار اللصوصية وتهديد اللصوص للناس ممـا اجبر على اقامة حراسة قوية على المصارف وايجاد شرطة تسارع الى نجدة الناس في خلال ثلاث دقائق .

بورصة نيويورك

وقد زرنا بورصة نيويورك التي تغص دائما بالناس وتموج بالحركة وتتصل بأسرع الوسائل بكل انحاء العالم ، وقد راينا انه تم خلال فترة وجودنا التي لا تزيد على ساعتين تداول مليون وثمانين ألف سهم من أسهم الشركات المختلفة .

وعلى ذكر الارقام فان احدى ناطحات السحاب في نيويورك فيها مائة وطابقان ويسكنها ثمانية آلاف وخمسمائة شخص ووزنها ٣٦٥ ألف طن وارتفاعها ١٤٨٠ قدم.

الحي الصيني وحي الزنوج

ان سيارات الاجرة في نيويورك تنظيم عجيب تملكه شركات ضخمة والسائقون في الغالب يعملون لقاء ٤٥٪ من وارد السيارة وكل سيارة تدخل وسطيا سبعين دولارا حصة السائق منها ثلاثون . وبواسطة احدى السيارات من هذا النوع ذهبنا لزيارة الحي الصيني الذي يقع في طرف المدينة ، وهو حي قديم يسكنه ٤٥٠٠ شخص ما يزالون يتمسكون بتقاليدهم ولباسهم كما كانوا في بلادهم الاصلية .

وبالمقابل فالزنوج يسكنون في حي كان ارقى احياءنيويورك واجملها فلما بدا الزنوج يسكنون فيه هجره سكانه ترفعا عن مساكنة الزنوج وباعوا بيوتهم بأبخس الاثمان فاشتراها السود بكاملها .

لم تطل اقامتنا في نيويورك فقد كانت الرحلة الى داخل اميركا تستهويني ، فانتقلنا الى واشنطن ونياغارا وشيكاغو واوكلاهوما حيث كان ينتظرنا اولادنا موفق وسليم وفاروق رحمه الله . ومن اوكلاهوما تركنا التنقل بالجو وبدانا رحلة ممتعة بالسيارة الى الولايات الغربية ولم يستطع موفق ان يرافقنا لانشغاله باطروحته .

اميركا من الجو

وحين كنت اطل من الطائرة على الارض الاميركية الشاسعة كان يلفت نظري الاخضرار الذي يدل على نشاط الزراعة ، ثم كثرة البناء الذي يكاد يكون متصلا ، وشبكة الطرق التي تكاد تربط كل شبر بالآخر .

والزراعة الاميركية جعلت الولايات المتحدة اكبر منتج للقمح منافسة للكنديين والاوستراليين . ولكثرة انتاجه تتأثر اسعاره ولذلك تحاول الحكومة تقليل المساحات المزروعة قمحاً .

اما على الارض فتمتاز اميركا ــ حين رايتها ــ بكثرة المطاعم التي تعتمد على الخدمة الذاتية التي بدات فيها وانتقلت الى العالم . كما لفت نظري في واشنطن خاصة عدة اشياء منها النظافة وقساوة الغرامات التي تفرض على من يخالفون قواعدها حتى ولو كان الامر يخص عقب لفافة اذ ان الاميركيين يدركون قول شاعرنا (ومعظم النار من مستصغر الشرر ..) اذ تتسبب اية نار بسيطة ولو من سيكارة في حرائق هائلة .

واشنطن

وفي واشنطن قمنا بجولات سياحية وكان من جملة ما اطلعت عليه مبنى وزارة الدفاع البنتاغون الضخم الذي يكفي للدلالة على سعته أن نقول أن فيه ــ في عام ١٩٦١ ــ موقفا لتسعة آلاف سيارة وكل ما في البناء يقوم على الآلة من التنظيف الى سواه . ومن ولع الاميركيين بالاحصاء ان قالوا انه يستهلك فيه يوميا ستون الف فنجان قهوة .

ثم زرنا بناء اصفر وهو متحف الوثائق التاريخية الخاصة بالرؤساء الاميركيين والمعاهدات المعقودة بين ١٧٧٦ ــ ١٩٥٠ . وزرنا جامعا فخما في واشنطن بني على احدث طراز وله مئذنة عالية جدا وفي غاية الجمال ، ولكنه يفتح في أوقات محددة وقليلة .

اما البيت الابيض مقر رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية فهو بناء ضخم يضم ٦٨ غرفة نوم ، والى جانبه بناء لموظفي الرئاسة . ومن المعروف أن الزوار يدخلون الى حدائقه بمعدل عشرين الف زائر يوميا ، ويسمح لهم بذلك في الصباح .

ولدى زيارتنا مبنى الكونغرس الاميركي راينا قاعاته الضخمة وتماثيل الرؤساء السابقين في مجلس النواب والشيوخ ولوحات عديدة تمثل تاريخ المهاجرين الاوائل وزحفهم سيرا نحو الجنوب عبر الجبال والاودية وما لاقوه من مشقات . ولم يخل فكرنا من مقارنات وتمنيات ...

وفي مكتبة الكونغرس الشهيرة كانت الخزائن يومذاك تضم سبعة ملايين كتاب . ومما لفت نظرنا مسير بعض الناس يحملون لوحات على صدورهم وظهورهم تشير

الى احتجاجهم على أي أمر يسوؤهم وهذه طريقة في لفت النظر الى المتلاعب بالاسعار او القشاش ويدور بها المحتج امام محل الاخير .

ومن الجو رأينا كولورادو مزارع وحقولا ، ويوتا مزارعها أقل ولكن مناجم الذهب والفضة والقصدير والفحم تعوّض. ولما دخلنا نيفادا شعرنا بالانتقال الى صحراء مرتفعة الحرارة . ولما وصلنا الى لاس فيغاس للراحة بعد المشقة وجدناها ــ كما سمعنا ــ بلدا يعيش من القمار ومن أجل القمار وروادها ــ ما عدانا ــ من اللاعبين الذين يأتونها ليلا ويغادرونها في الصباح .

شلالات نياغرا

لقد كثر الحديث عن هذه الشلالات العظيمة ذات الشهرة العالمية وكان لا بد لنا كما لا بد لاي زائر أن نزورها ، فطرنا من واشنطن اليها ولما وصلنا الى المطار كان سائقنا الذي نقلنا الى موقع الشلال انسانا ذكيا ودليلا سياحيا ماهرا وهو في الاصل طالب طب.

ولما وقفنا أمام الشلال من الجانب الاميركي رأينا منظرا لا مثيل له على وجه الكرة الارضية ، فماؤه العظيم ينصب من ارتفاع يزيد على خمسين مترا ولكن بعرض ٨٠٠ متر على الجانب الاميركي و ٢٠٠ متر في الجانب الكندي . ثم ينزل بصوت هادر مخيف الى بحيرة ثانية خلال شلالين احدهما يذهب الى الاراضي الكندية والآخر الى الاراضي الاميركية ، فالشلال على الحدود تماما . وقد أقيمت على الشلال مشاريع كهربائية اميركية كندية وتعتمد منطقة نيويورك على طاقة نياغارا في تشغيل معاملها ومرافقها العامة . ثم لا يقف الامر عند البحيرات بل يستمر الماء يتدفق بانحدار شديد على مجرى طويل. وقد طفنا في منطقة الشلال ورأيناه من قرب حتى نكاد نلمسه عن طريق جسر كبير طوله ٢٠٠ متر ويرتفع عشرين مترا عن سطح الماء ، ومصعد ضخم ارتفاعه ٨٥ مترا وكان المنظر بديعا حيث يشاهد المرء عرض الوادي وكثرة المياه وشدة الانحدار ، وقد وصلنا الى مكان يبعد ٥٠٠ متر عن مسقط الشلالات وفي هذه المنطقة تكون نسبة الانحدار خمسة بالمئة فقط . واصارح بأنني حين ركبت القطار المعلق من ضفة النهر الى ضفته الثانية اوجست خيفة في بداية الامر ولكنني تشجعت كباقي الناس وأظنهم مثلي .

وقد درنـــا بعد ذلك في حدائق واسعة حول الشلالات فيها كـل معالم النضـــارة والجمال ، ورأينـــا جامعة يختص طلبتها بالحدائق يدرسون فيها ثلاث سنوات مجانـــا شرط أن يخدموا سنة رابعة في الحدائق نفســها .

وبعد ذلك ذهبنا الى مرتفع عال يشرف على الشلالات في منظور عام وبعيد المـدى يرينا الاراضي والطرقات ومجرى النهر ، ولو سمحوا لنا بالمبيت لاقمنا في أحد الفنادق الجميلة التي شاهدناها ، لا سيما والمناظر في الليل رائعة بديعة .

ولما كانت المدة المسموح لنا بها اوشكت على الانتهاء ، ولا تمدد لكثرة القادمين من مختلف بقـــاع العـــالم ، فقـــد لممنـــا شبـــاكنـــا ومضينـــا ونحـــن في غاية الســـرور والشـــوق مجتمعـــين .

ام راتـــب

وهنـــا شعرت بالحنين الى صحبة أم راتب وتذكرت راي ابني راتب الذي قال لي ان وجـــود الزوجة يساعد كثيرا في احتمال مشـــاق السفر ويضفي على الرحلة كثـــيرا من الاطمئنان والهدوء وراحة الفكر ، ورجوت أن يعوض الله علينـــا بوجودها في رحلـــة أخرى قادمة ، مع اخي وزوجته ايضا وبعض اولادنا ولا سيما البنات .

اوكــــلاهـــومـــا

ولدى انتقالنا الى اوكلاهوما اتصلنا بعدد من الطلاب العرب الذين تحلقوا حولنـــا بسرور منـــذ عرفوا بوجودنـــا ، وكانت أحاديث اوصيتهم فيهـــا بالحرص على الوقت واكتساب العلم رحمة بآبائهم وأمهاتهم وبوطنهم فكلهم ينتظرون عودة الابنـــاء بفـــارغ الصبر من اجل ان نهدم قلاع التخلف الاقتصادي . واطلعت هناك على حالة طالب من اصدقـــاء موفق حصل على شهادة دكتوراه في الكيمياء ولكن حكومته تخلتعنهوتحمل من ذلك مصاعب كثيرة ، فأخذته شركة اميركية بمنصب عال ومرتب ضخم . وهذا من خطاء الحكومات في معاملة الطلبة النوابغ .

كمـــا التقينا بأفراد من الجالية اللبنانية في هذه الولاية وفيهم اغنياء كثيرون ولهم بنـــوك خاصـــة بهـــم .

وهذه مناسبة لاقول ان اوكلاهوما تضم عاصمتها ٢٣٠ الف نسمة وسكان الولاية مليونان وثلاثمئة الف ، وتعتمد على البترول الذي يوجد بكثرة وبعض الآبار مجاورة للبيوت ويوجد بئر في مقر حاكم الولاية ، كما ان الناس يعنون بالقمح والذرة وتربية المواشي ، ومع ذلك فهذه الولاية تعتبر من الولايات الفقيرة نسبيا في الولايات المتحدة .

وزرنا جامعة ستيل وفيها عشرة آلاف طالب بينهم اربعون عربيا ويدرس فيها فاروق وسليم ، وهي اجمل من جامعة أوكلاهوما ولكن التعليم فيها مأجور .

ومن الجدير بالذكر أن الناس هنا يستفيدون من القمامة التي تلتزم شركات خاصة بجمعها لقاء مبلغ يدفعه صاحب كل دار او محل ، وتقوم الشركة بفرز القمامة لتستفيد من النفايات حسب نوعها ولا سيما العلب حيث يكثر التعليب في اميركا .

الصلاة عند بدء كل عمل

كما لاحظنا ان الاميركيين يبدأون كل اجتماع عام وكل عمل بصلاة يرجون فيها من الله ان يبارك عملهم ، وهذا يجعل نفوسهم مرتاحة مسبقا وما أحسن ما يفعلون .

صورة مغترب

وتقابلنا مع مغترب سوري من اصحاب الملايين واصله من قرية حضر في أواسط سورية هو السيد خليفة بورجيس . وهو قوي البنية يعمل في تجارة الارض وحفر آبار البترول . ودعانا الى دارته الجميلة واطعمنا مآكل شامية : كبة وبرغل وارز وفاصوليا وكبة نية ، وهذا من الامور التي أعادتنا الى الجو الشامي المألوف . وهذا الرجل مؤمن بالله وبرسله وبالموت وانه حق ولكنه لو راى ملاك الموت قادما لقبض روحه أثناء صفقة أرض لدفعه عنه حتى يتم الصفقة ، فالى هذا الحد يقدس العمل ويعتقد ان الله سبحانه وتعالى ما خلق الناس الا ليعملوا . وآخر ما فكر به مزرعة لتربية الاغنام . ومع انه لا يقرأ ولا يكتب الا انه نائب الشريف في الولاية ، ولما هاجر الى اميركا عام ١٩١٢ وهو خالي الوفاض تماما شمر عن ساعد الجد حتى جمع ثروته واكد مركزه المرموق . ومما ذكره لنا انه عندما منحوه الجنسية الاميركية اشترطوا عليه ان يكون محبا وفيا لوطنه الاصلي .

رحلة السيارة

وكانت رحلة السيارة التي نوهت بها طويلة ولكن السيارة الجيدة وسائقنا الماهر راتب خففتا من مشاقها ، وهذا سمح لنا بأن نطلع من قرب ـ وعلى الارض كما يقولون ـ على احوال كثير من الولايات . ففي كولورادو مثلا تعتمد الثروة على الذهب والفضة ولكن لا يهمل الناس تربية الحيوانات والدواجن وانتاج المحاصيل الزراعية ، ويعيشون في المزارع حياة مرفهة ، وبين المزارع قرى تتوفر فيها الحاجيات لطالبها . والارض هنا لا تحتاج الى سقاية لكثرة الامطار وكثرة الآبار . ولفت نظرنا ان محطات السكة فيها مستودعات لحفظ الحبوب . هذا وان لكل مزرعة طريقها الخاص الذي يصلها بالطريق العام ، وتسهل الاتصالات وجود الهواتف والبريد النشيط .

كما شاهدنا ما كان جديدا علينا وهو الموتيلات التي يخدم المرء فيها نفسه وتمتاز بالاناقة والنظافة المطلقة فكأن غرفها منقولة من فنادق الدرجة الاولى والاسعار رخيصة جدا .

ولما بلغنا في طريقنا مناطق جبلية صارت الرحلة اجمل ، والناس يستمتعون بالتنقل بالسيارات ولكن تظل للسكك الحديدية مكانة خاصة ولا سيما في النقل .

وحين وصلنا ـ كما سلف الذكر ـ الى لاس فيغاس زرنا سد هوفر على نهر كولورادو ، ويبلغ ارتفاع جسم السد ٢٣٠ مترا وهو من أعلى السدود في العالم . بني عام ١٩٣٢ في ايام الازمة الاقتصادية الحادة ومع ذلك فكانت نفقاته الطائلة مفيدة اذ تكونت خلفه اكبر بحيرة صناعية في العالم وتستفيد منها ولايتا كاليفورنيا واريزونا للسقاية والكهرباء وتصل المياه الى مسافة ١١٥ ميلا ، وقد تحولت المنطقة بفضله الى منتجع سياحي .

لوس انجلوس

ثم حطت بنا الرحلة في ولاية كاليفورنيا ولا سيما مدينة لوس انجلوس ، وهي ارض البساتين والفاكهة ، وفيها بلدة اشتهرت بالمشمش اسمها سانتوز . كانت هذه البلدة مقصدنا بسبب اهتمامنا بمعامل تصنيع المشمش ، وزرنا فيها عددا من هذه

المعامل . ثم انتقلنا الى مدينة أوكلاند وهي عدة مدن متصلة فيمـا بينهـا منها باركلي والباني ؛ وتقع على خليج سان فرانسيسكو وتتصل بها عن طريق جسور مرتفعة تربط طرفي الخليج وهي واحدة من معجزات العلم والهندسة في العالم . وقـد استمتعنـا بوقتنا في لوس أنجلوس وكان بين من زرناهم المترب الارمني السوري مردكيان .

وشاهدنا في لوس انجلوس المتحف البحري الذي يضم عجائب مخلوقات البحر كلها ومنهـا ما هو حي في بحيرات خاصة .

ناتس باري ودزني لاند

كما اقـام ناتس باري متحفا للحيـاة الاميركية منذ بداية الحياة على هذه القـارة حتى العصر الحاضر وحتى ما يتصوره عن العصر المقبل . وهذا المتحف عبارة عن بلدة كبيرة كاملة تتسـع لعشرين الف سيارة وفيها العاب كثيرة . والى جانبها تقـوم قريـة دزني الشهيرة للاطفـال .

زيـارة سـانتـوز

ولمـا زرنـا منطقـة المشمش والفواكه الشهيرة قطعنا اربعين ميـلا ونحن نسـير تحت اشجار الخوخ التي لا نهاية لهـا ، ثم وصلنا الى سانتوز قصدنا الى معمل نطلع على العمل فيـه لنكتسب خبرة جديدة في موضوع يهمنا جدا وعلى امل شراء معمـل يعمل في هـذا الاختصـاص . وقد ادهشتنا مساحة المعمل وهي ١٥٠ فدان وسيارات الموظفين العاملين فيه تزيد على خمسة آلاف .

وقد استقبلتنا الادارة بعناية وقابلنا المدير وعدد من اعوانه واطلعونا على ما نريـد ودعونا الى تناول الغداء ، وبعده زرنا معملا آخر واطلعنا على عمليات تصنيع المشمش والدراق واكثرها آلية ، كما اطلعنا على تصنيع البندورة .

وقد حصلت على احصاء تبين منه ان العامل الاميركي يحتاج الى سبع دقائق عمل ليشتري باوند خبز وثلاثين دقيقة عمل ليشتري باوند زبدة وثمان ساعات ليشتري حذاء وساعة عمل واحدة لشراء قميص قطني .

وكذلك توجد احصاءات تقول ان الاميركي يشتغل ٢٥٠ يوما في السنة ومواردهـا

ينفق كالتالي : فللأكل ٧٢ وللباس ٢٢ وللمسكن ٤٨ وللنقل٢١ وللمصاريف الخاصة ١٠ والصحة لها ١٠ وللتوفير ١٦ والراحة ١١ والعبادة ٤ وللضرائب ٢٢ وللمتفرقة ٢ .

برادات ومزارع متميزة

وشاهدنا في زيارتنا برادات فاكهة واسعة وحسنة التنظيم ويختلف ترتيبها باختلاف الفاكهة وقد تعلمنا منها امورا عديدة . ثم زرنا مزرعة تفاح اشجارها تشبه في الضخامة أشجار الجوز عندنا وعمر الشجرة وصل الى ١٠٧ سنوات والشجر يحمل الى حد يجب معه اسناد اغصانه حتى لا تتكسر والشجرة الواحدة تعطي ما يزيد على خمسين صندوق تفاح . وزرنا مزرعة اخرى عمر الشجر فيها عشرون عاما وتحمل الشجرة ما لا يقل عن ثلاثين صندوقا عدا ما يقع فلا يجمع ولا يباع . وبالسؤال قال أصحاب المزرعتين أنهم لا يسقون الاشجار الا في تموز لكثرة الامطار ولكن يحرثون الارض جيدا ويجعلون ترابها ناعما منعا لتشقق الارض. اما المكافحة فيرشون الشجر بالزيت الشتوي في آذار ثم يرشونها اربع مرات بعد ذلك حتى تموز بعدة مواد. وفي آب ترش الاشجار عن طريق الجو بمادة تمسك الحمل وتقتل حشرة العنكبوت . وهم يعطون كل شجرة صغيرة خمسة كيلو غرامات من السماد ويعطون الكبيرة تسعة. وتمنينا لو نطيل مقامنا في المزرعتين اكثر .

وقد زرنا مزرعة مشمش عمر اشجارها سبعون عاما ولكن الناظر اليها يقول انها لا تجاوز الخامسة والعشرين من السنين وذلك لفرط العناية بها وذلك لان الاميركيين يقصون الشجرة من اعلاها كل عامين فتبقى محافظة على قوتها وارتفاعها الموحد . اما الارض فتروى وتفلح مرتين بعد السقاية ويعملون على ان يكون ترابها ناعما في المرة الثانية حتى كانه وجه سجادة .

وطفنا في مزرعة جوز وقد رأينا ان الجوز لا يزرع كما عندنا على اطراف الارض والبستان وانما تخصص له مزارع كاملة كالعنب والمشمش . واشجار الجوز منخفضة حتى ان بعض اغصانها يكاد يلصق بالارض وتحمل اكثر مما يحمل المشمش وهذه ناحية جيدة في زراعة الجوز لانها تسهل عملية القطاف وحبذا لو تعلمنا هذه الطريقة . ويترك بين الشجرة وأختها ١٤ مترا ليتاح لكل واحدة أن تنمو افقيا وقريبا من الارض ، وليستغلوا الارض يزرعون شجرة خوخ بين كل شجرتي جوز .

ولاحظنـا ان شجرة الجوز تحمل ما يقرب من ٣٠٠ كيلو غرام وهي ممتـدة أفقيا حتى ليمكن ان يستظل تحتها اربعون شخصا دون ان يراهم احد ! . .

كمـا شاهدنا خلال جولاتنا مساحات واسعـة تزرع قطنا وذرة وقمحا . وقـد حدثنا أحد أصحاب المزارع عن السقاية والرش والتقليم والحراثة والعناية بها بالنسبة للاشجار فقال أن اغلب الاشجار عمرها ستة وسبعون عاما وبعضها اقـدم من ذلك . ولذلك فهم يضعون السماد مرة واحدة في شهر آذار قبل نزول المطر ويعطون كل شجرة ستة او سبعة كيلو غرامات من السماد من نوع نتروجين وبوتاس . اما السقاية فتكون مرة واحدة في العـام في تموز أو في آب ، ويفلحون الارض خلال أشهر آذار ونيسـان وايـار بالديسك ، ويفلحونها مرة واحدة بالسكة . اما جني المحصول وتقليم الاشجار فيكون بواسطة سلالم مزدوجة ، وذكر لنا أن عنده عشرة أنواع من السلالم فكل نوع له مقياس . وتقليم الشجر الكبير يكون بواسطة المنشـار .

وذكر لي أن المزرعة فيها بئر عمقها سبعون مترا يرتفع الماء فيها ٦٧ مترا أي أن بعد المـاء عن سطح الارض هو ثلاثة أمتار فقط ، وهم لا يستعملون الاقنيـة للسقاية بل يستعملون الانابيب .

أمـا عن الرش والمكافحة فقد ذكر أنهم يرشون الاشجار في الشتاء بزيت دورمانت كما يرشونها في آذار وفي أول نيسـان بكبريت دلايم ويرشون رشة رابعة في شهر مايس بمـادة البارثين وهو من مركبات الفوسفور وممزوج بمادة د.د.ت ومادة تيديـان. وفي أول شهر حزيران ترش الاشجار بمادة تجعل الحمل خفيفا ، وفي آخر حزيران يعاد رش الاشجار بمادة د.د.ت ومادة تيديان ومادة مالاثيون . أما في أيلول فيرشـون الاشجار بنوع من الهورمونات التي تمنع سقوط الثمر ويتم الرش عـن طريق الجـو بواسطة طائرات خاصة ويدفعون لقاء ذلك أجرا قدره دولاران ونصف عن كل فدان .

لقد كان محدثنا شابا متخرجا من جامعة ستانفورد ويحمل شهادة عليا في الاقتصاد ولكن يعمل في الزراعة ، وهـذا من أمثلة الجد لانه يعمل بنفسه ويتنقل بسيارة بيك آب وبملابس العمل أو الملابس الرياضية في حين نرى الشباب عندنـا يرغبون في الوظيفـة والاعمال المكتبية ولا بد سيأتي يوم ينتبهون فيه الى أهمية العمل والانتاج .

(مــدن) متصلة في ســان فرانسيسكو

قلت أن على خليج سان فرانسيسكو مجموعة مدن متصلة فيما بينها بجسور هي الاطول في العالم بين اربعة أميال وأحد عشر ميلا ، وفيها يتجمع أغنياء العــالم بدورهم الفاخرة وحدائقهم ووسائل الترف والراحة ، وهــذه المدن هــي : أوكلاند ، بركلي ، ألباني ، سانت ليناردو ، وريتشموند وآلاميــدا وام ريفل ومــدن أخرى . وفي بركلي جامعة راتب الشهيرة بمكتبتها ووسائل المراجعة الحديثة فيها ومما فيها دليل هاتف لجميع مدن أوربا وآخر لجميع الدول الاميركية .

في منطقة سان فرانسيسكو يشعر المرء بقوة الاميركيين من خلال المنشآت الحضارية الضخمة من الابنية الى الجسور الى المزارع والحدائق ولا سيما الجامعات .

فجامعة ستانفورد تحتل بأبنيتها الفخمة ١٩٠ فدانا تبرع بها أحد الاغنياء ، فصارت الآن تحوي تسعة آلاف طالب . وقد كان دليلنا في طوافنا في أرجائها السيــد حســان القوتلي نجل المرحوم الرئيس شكري القوتلي . وقد سلمناه رسالة من والده وحملنــا رسالة اليه مع شهادة الماجستير في البترول ، وأشهد أنه شاب ذو أخلاق عالية وأدب رفيع ، وقد ورد ذكر سلوكه وتصرفاته في احدى رسائلنا المنشورة في هــذا الكتــاب

ولمناسبة الجامعات فان جامعة من جامعات شيكاغو عرضت على ولدي راتب أن يدرّس فيها بمرتب عال جدا والرسالة التي بعث بها رئيس الجامعة بهذا الصدد فيها كل التلطف بل الرجاء بالقبول ، وكان الذي حملها الى راتب صديقه السيد محمد سليم وهــو يتابع دراسته هنــاك .

تسـهيـلات التعــامل

ومن الجدير بالذكر أن من يشتري سيارة يستلمها مــن البائــع ويستعملها فورا والوكيل هو الذي يعلم الدولة عن البيع ويسلم اللوحة على الفور ، فأين هذا مما نراه عندنا من تعقيد المعاملات الموروث من ايام الفرنسيين والقائم على افتراض سوء النية في الناس ؟ وقد تأكد لنا الآن هذا الامر بعد ان كنا لمسنا في فرنسا تعقيدات المعاملات الادارية التي انتقلت الينــا خلال ربع قرن من الحكم الفرنسي وظلت آثارها حتى الآن

ويجب ان تزول وان نتنسم هواء الحياة الجديدة القائمة على السرعة فبدون ذلك لا ندخل القرن الحادي والعشرين ...

ومن جملة التسهيلات التي رايناها في بلد تعتبر فيه السيارة كالحصان بالنسبة للفرسان القدامى ، فهي الواسطة في الانتقال وهي الصديقة الحميمة . فقدجعلت صحة السيارة هدفا حتى اذا تعطلت تم اصلاحها بسرعة وذلك بالاتصال عن طريق هواتف موضوعة على جانب الطريق تؤمن النجدة . وقد بدانا الآن في بلادنا نضع هذه الهواتف ولو انني لم اسمع بعد عن شيوع استعمالها وجدوى ذلك .

ولا بد لي هنا من ان أؤكد من جديد على أهمية الرفيق والدليل قبل الطريق ، واهمية الزوجة كمرافقة لقطع الملل وتسهيل الحياة فهي كالملح في الطعام لا يطيب دونه .

عودة الى وصف سان فرانسيسكو

واجد انني لا استطيع مغادرة الحديث عن سان فرانسيسكو التي هي عروس كاليفورنيا وهذه اجمل ولايات اميركا ، ولذلك فقد تكون زيارتها — وهي كذلك في نظري — اجمل زيارة لاية مدينة في العالم .

فالاحياء السكنية موزعة فيها على جبال تصل بينها شوارع شديدة الانحدار ولكن السير منظم فيها بحيث لا يتم اي ارتباك عند تقاطعها . والابنية فخمة جميلة التنسيق وما كان منها في وسط المدينة كان من الابنية العالية اما بيوت السكن الاخرى فهي قليلة الطوابق . وهذه الصفة محصورة بنيويورك وسان فرانسيسكو لأن مدن اميركا الاخرى قائمة على منازل الطابق والطابقين فقط بوجه عام .

وبالنسبة للمرفأ ادهشنا ان كل شركة شحن لها مستودعاتها وتقف بواخرها امامها ويوجد موظف جمركي واحد مفرز لكل شركة شحن فيقوم بعمله بدقة وانتظام .

والمدارس كثيرة كبيرة فخمة والحدائق واسعة جميلة منسقة والاطفال والاولاد فيها ومناخ المدينة هنا يشبه مناخ الزبداني في سورية ايام الصيف اما في الشتاء فلا تنزل الحرارة الى ما دون ١٦ درجة .

ولا بد من حديث عن التلفزيون الذي توجه برامجه بحيث تمتع وتنفع . فهناك حوالي عشرين محطة محلية ولكل منها برامجها . ومن هذه البرامج (محكمة الشعب) التي تفصل في المنازعات اليومية وقد شاهدنا في هذا البرنامج فض خلاف وقع بين سيدتين رشت احداهما الاخرى بالماء في الطريق فاتلفت ملابسها التي تساوي سبعة واربعين دولارا ولما سأل القاضي السيدة التي رشت عن سبب عملها قالت ان المنتظرين في موقف السيارة يلقون الاوراق على الرصيف أمام بيتها وفي حديقتها احيانا ولما سألها القاضي هل تجزمين أن هذه السيدة هي التي القت الاوراق ؟ قالت لا . فحكم عليها القاضي بثمن ثياب المدعية وقال لها بامكانك ان تقيمي دعوى على شركة السيارات لتغير موقفها او تتدارك ما تشكين منه ، وقد دفع المبلغ فورا لأن من يتأخر عن الاداء يحبس . وكذلك يعرض البرنامج قضايا واقعية عن الطلاق وادى عرضه الى تقليل حوادث الطلاق . أليس هذا هو ما يجري عندنا تماما يا قارئي العزيز ؟

وكان ممن لقيناهم مصريان هما محمد سليم ومحي الدين وزوجتاهما وكلهم حصلوا على شهادات عالية وكانوا مع راتب في دراسته وقمنا بنزهات مشتركة على الطريقة الشرقية وفي حدائق يسمحون فيها بأن تشوى اللحوم وحيث توجد مرافق كافية لراحة الناس وتأمين سلامة الغابة من الحريق .

ولفت نظرنا ان السيد محمد سليم قام بدفع اجرة الدار عنا ورافقنا ودفع مالا في نزهاتنا ولم يقبل ان نعيد له ما انفق رغم الحاحنا . ان حفاوة المواطن العربي متأصلة فيه رغم معاشرته الطويلة للاميركيين ؛ فلا نستطيع الا ان نشكره .

فنادق سياحية من نوع خاص

ورأينا في جولتنا فنادق بنيت على الطراز القديم من حجر وخشب غير مصقول وطليت بكلس عادي ووضعت لها اقفال عتيقة ولكن الفرش فخم والفندق مقصود لما ذكرناه على الضبط وقد نمنا فيه ليلة ممتعة مريحة ولما خرجنا وجدنا لافتة تسألنا ان كنا نسينا شيئا وراءنا وتطلب منا ان نطفيء النور ونترك المفتاح . فما احرانا بأن نقيم في بلادنا فنادق سياحية في الخانات القديمة والدور العربية التي تستهوي الانفس على أن يتم فرشها بشكل جيد ونظيف وتؤمن لها المرافق الصحية الحديثة النظيفة ، ففي ذلك متعة خاصة تفوق الفنادق الحديثة النمطية .

وهذه الفنادق وسواهـا من الفنادق الكبيرة والصغيرة تميز الحياة في الولايـات المتحدة الاميركية . ففي بلد يجد فيه الانسـان تحته سيـارة فارهـة وطرقـات تغري بالسير عليها ووسائل للاتصال على جانبي الطريق ومحطات لاصلاح السيارات المعطلة . في مثل هذا البلد لا بد أن تترافق حركة الانتقـال الكثيفة مع توفر وسائل الراحة في كل مكان لمن يريد وبأسعار تناسب الجميع . فمن أراد الفندق الفخم وجده ومن أراد الموتيل وجده ، ومن أراد القديم أو الحديث وجد ضالته . تسعف في ذلك أمور عديدة. منها جمال الاماكن . وقد سبق القول ويعاد مرة أخرى أن أميركا هـي بـلاد الخضرة والنضارة في أكثر أماكنها ، وتتعدد فيها المناظر الى حد عجيب . ان الولايات المتحدة الاميركية تعتبر قارة بحـد ذاتهـا ولو كانت جزءا مـن القـارة الاميركية في قسمهـا الشمالي . ففيها الجبال المغطاة بالاشجار والغابات وفيها الاشجار التي تغطي الثلوج قممها وفيها الوديان والهضاب والسهول والمناطق المنبسطة . وكل ذلك في تنوع عجيب. أنـا لست أصف لـكم ما لم تروه ، فان السينما والتلفزيون تطلعنا في كثير من المناسبات على جمالات هـذا البلد وعلى نمط الحياة فيه ، وكل ما أزيد عليه أنا أنني أتحدث عـن التجربـة التـي مرت بي .

وعلى سبيل المثال والدلالة على ما ينفقه الاميركي على راحته ومتعته واقامتـه في الفنادق اذكر أننـا حين زرنـا مدينة لاس فيغاس وجدنـا فيها مئة وخمسين فندقا تشبه الفندق الذي نزلنا فيه وفيها سبعة عشر فندقا أكبر منـه . حتـى أن احـد الفنادق لـه موقف للسيارات يتسع لثلاثة آلاف سيارة ، وفيه أبهاء واسعة يتسـع الواحد منها لخمسمائة شخص من لاعبي القمـار بالاضافة للامكنـة المخصصة للفرق الفنية التي يجلبونها من كل اماكن الدنيا لتجذب الناس والمقامرين .

ولكن الشيء الاكثر شيوعا هو وجـود الموتيـلات الرخيصة التكاليف حيث ينزل الانسـان المسافر وأسرته اذا كانت معه أسرة ويخـدم نفسه وتتوفر في هذه الموتيلات كل وسائل الراحة ، وانا أشبهها من حيث الوظيفة لا من حيث المستوى بخانات الشرق القديمـة حيث كان ينزل المسافرون في رحلاتهم الطويلة . فأميركا هي بـين صفـات أخرى عديدة بلد الفنادق والموتيلات .

كما توجد فيلات صغيرة خاصة للايجار لمن يشاء وقد استخدمنا احداها في بركلي، وكانت على نهر صغير نظيف صوت مائه يضحك وينشر البهجة ، وقد هيأه صاحبه ــ وهو كندي ــ للايجار لكونه على طريق مقصودة وينتفع بذلك .

معمل لآلات عصير الفاكهة

زرنا معملا يصنع آلات عصر الفاكهة واطلعنا على نماذجه واعطانا المشرف عليه معلومات دقيقة كاملة في برهة وجيزة . ولما سألنا عن المدة التي نستطيع فيها تثبيت الطلب قلنا له لا بد من ثلاثة اشهر على الاقل للحصول على الاجازة ، فقال ونحن نسلمكم المعمل جاهزا مركبا صالحا للعمل خلال ثلاثة اشهر . فانظروا كم الفرق بين معاملة ورقية وصنع معمل وارساله وتجريبه وتجهيزه ، والمدة مماثلة ! . . . فقاتل الله الروتين .

وحدثنا المهندس المشرف عن تجاربه مع الشرق فقال انه أوفد للاشراف في ايران على تركيب المعمل وحدد لذلك عشرة أيام ، ولكنه اضطر الى ان يبقى شهرين كاملين حتى انجز العمل ، وتساءل لماذا يتكلف التركيب ستة أضعاف المدة المقررة والمجربة ؟

وقد سبق أن تحدثت في تجاربنا عن المشمش كيف اشترينا الشتلات ورفضت السلطات المختصة ادخالها حتى توسط وزير الزراعة شخصيا بذلك .

فريزنو بلد العنب وتعبئة الفواكه

انها بلدة كبيرة سكانها مائة وعشرون الف نسمة ، ابنيتها فخمة وشوارعها منظمة وفنادقها ممتازة ومحلاتها التجارية عامرة . وقد توجهنا فيها الى شخص يملك عدة معامل لتصنيع العنب والفاكهة فرحب بنا وأخذنا الى معمل زبيب وفي الطريق حدثنا عن الاعتماد على الآلة كليا والسهر على جودة الانتاج من اجل المنافسة ، وقال أنهم يصنعون الدراقن ويستفيدون حتى من بزره . وفي الطريق مررنا بعدة معامل لتصنيع الفاكهة ، وكانت الارض مزروعة بكروم العنب على مساحات شاسعة .

أما طريقة تصنيع الزبيب كما شرحها ــ لأن المعمل كان متوقفا آنذاك ــ فهي وضع العنب في اقفاص طويلة لمدة عشرة إيام أو اكثر في الكروم بين خطوط العرائش ليجف

ومن ثم ينقل الى المعمل بعراميشه اي عناقيده كما كان ، وهناك تأتي آلة فتفصل الحبات ثم تنقلها الى آلة تكمل التجفيف ثم يعبأ في صناديق والمعمل ينتج في الساعة ألفاً ومئتي صندوق أي نحو ٣٠ طن في الساعة وثلاثين الف طن سنويا .

ثم رأينا معملا آخر يدخل فيه العنب طازجا ويخرج منه الزبيب ، وذلك بأن يدخل العنقود الى آلة تفرط الحبات ثم تنقلها الى آلة الغسل فآلة التجفيف فالتعبئة .

ورأينا معملا ثالثا يزيل البزر من الزبيب اذا كان العنب من النوع الذي فيه بزر وكل ذلك بصورة آلية ودون ان تمسه الايدي في كل المراحل . اما بزر الزبيب فيصنع منه زيت خاص يستفاد منه فلا يذهب شيء هدرا .

كليـــة الـزراعـــة

وبعد أن دعانا مرافقنا الى غداء في مطعم فخم انتقلنا الى كلية الزراعة التي اقيمت بين الكروم للاهتمام بالعنب بوجه خاص وهي كلية كبيرة وحولها مساحات للتجارب تبلغ مئتي فدان توزع على الطلبة ليقوموا بتجارب عليها فتتم بأيديهم كل الاعمال على الاطلاق . وقد ذكروا لنا ان الانواع التي تعتني بها الكلية تبلغ ١٢٧ نوعا من العنب بعضها يصلح للزبيب والبعض للخمور والباقي للاكل ويصل انتاج كروم الكلية الى ثلاثة ملايين طن توزع كما سبق . هذا وقد زرعت عرائش العنب على خطوط مستقيمة بينها ثلاثة أمتار وبين الغرسة وجارتها متران ونصف والى جانب كل غرسة خشبة ارتفاعها متران ترفع العريشة عن الارض وفي أعلاها خشبة أخرى مصالبة لها ثم تمتد أسلاك بين الخشبات على ارتفاع متر عن سطح الارض . فمن العناية الفائقة هذا الانتاج المتطور ، ومن استخدام ٢٠٠ كيلو غرام سماد نترات بينها ٤٠ نتروجين لكل خمسة آلاف متر مربع .

اما السقاية فتختلف من صنف لآخر . فالعنب الذي سيصير خمرا يسقونه خمس مرات في العام ، والمخصص للاكل يسقى ثلاثا . أما السماد فيعطى في شهري آذار ونيسان . وكل خمسة آلاف متر من الكروم تعطي تسعة أطنان من العنب . وقد عرفنا أن الكلية تملك معملها الخاص لصنع الزبيب .

وقد أعجبت بهذه الكلية الى حد أنني قررت أن أنقل سليم اليها لانها كلية تطبيقية

عملية اضافة الى العلم النظري . ومن الجدير بالذكر ان مرافقنا صاحب المعامل كان أرمنيا وكذلك شريكه والاستاذ الذي رافقنا فهذه المنطقة يكثر فيها الارمن ولا يقل عددهم عن مائتي الف هم اغلبية السكان .

وتضم فريزنو مكاتب معلومات تزود الفلاحين بالارشادات في مجال الزراعة وتربية الماشية بعضها تابع للدولة وبعضها تابع لجامعة كاليفورنيا .

وكان آخر ما زرناه معملا مركزيا لتعبئة الزبيب في بناء من خمسة طوابق ينتج خمسة وعشرين الف علبة في الساعة وتعمل فيه خمس عشرة عاملة فقط . فالزبيب ينزل من مزراب الى علب مفتوحة ، متى امتلأت انتقلت الى حيث تنقلها آلة اخرى ، وآلة ثالثة تجمع كل ثلاث علب في رزمة صغيرة والرابعة تجعل الرزمتين رزمة واحدة اكبر وتغلفهما بورق السيلوفان ، وآلة خامسة تضع كل ثلاثين علبة في صندوق ثم تسير الصناديق الى المستودع .

وكان في فريزنو في ذلك الوقت معرض سنوي ، وزرناه ثم مررنا بمعمل يصنع آلات تعبئة الفاكهة واستعلمنا عن اسعار الآلات ، وبعد ان قدمنا لمضيفنا ومرافقنا هدية مناسبة من البروكار والاغباني ودعناه شاكرين ومعجبين بما شاهدناه من نشاط بشري رفيع سخر العلم والآلة لخدمة الزراعة والانتاج الزراعي .

غابات عذراء وبارك سوماني

على ثلاثين ميلا من فريزنو توجد غابات عذراء تجاور مزارع العنب والفاكهة ، وفيها بارك في اعماقها يبلغ قطره سبعين ميلا . السائحون يقصدون المكان بمقطوراتهم او خيامهم او يقيمون في الفندق الكبير هناك . والزائرون يطلون على شلالات ارتفاع مسقطها مئة وثلاثون مترا . ربما كانت المناظر هنا من اجمل ما تقع عليه العين في الدنيا . فهنا من الاشجار الضخمة ما يمكن ان تمر سيارة ضمن جذع الشجرة . وثمة خمسة مطاعم كبيرة تخدم السائحين ، ومسرح يبهجهم وموسيقا تعزف فتطرب الناس ويرقصون عليها . غير ان الحصول على مكان في الفندق من الامور الصعبة ما لم يتم الحجز قبل زمن طويل . وقد جربنا نحن فما وفقنا في اخذ غرفة .

وفي خلال زيارتنا شاهدنا الحيوانات من كل الانواع التي تخطر بالبال ، ما عدا

المفترسة ، تتجول بين الناس آمنة لانها أعتادت على أنهم يحترمونها ولا يهددونها ، وقد رأينا فيلما سينمائيا عرض في مقر المجمع السياحي صوّر حياة حيوانات الغابة الضخمة . كما انسنا بالغزلان وهي تتجول بين الناس وما احلاها .

ان هذه الغابة العذراء كانت فيما مضى مقرا لبعض الهنود الحمر ، ثم استملكتها الدولة وفتحتها منذ مئة عام للزائرين مع العناية بأمور الصحة والجمال والنظافة والسلامة ، ولا يجوز لاحد ان يمتلك فيها شبرا واحدا .

وفي قلب المركز السياحي الذي اسمه بارك سوماني متحف من اعجب ما فيه خزانة وضعوا فيها لفافات واعقاب سكاير مطفأة او زجاجا مكسرا او اوراقا مما تركه بعض الزائرين وراءهم سهوا واستهتارا ، فجمعته الادارة لتخجل الآخرين وعرضته كما لو كان دليلا على عار المعاملة الانسانية الفظة للطبيعة ، وكتب على الخزانة : نرجو الاتفعلوا مثل ما فعل هؤلاء ليبقى للغابة جمالها . كما تشير اعلانات كثيرة الى غرامات عالية تفرض على من يتركون الاوساخ او اعقاب السكاير ، ومن هذه الاعلانات واحد يبدو أنه موجه من حيوانات الغابة فيقول : اذا احترقت الغابة نتيجة للخطأ او المخالفة احترقنا نحن معها ، فنرجوكم الا تتسببوا في ذلك .

ورأينا على احد المداخل قطعة من جذع شجرة قطرها اربعة امتار ونصف كانت كسرت عام ١٩١٤ فقطعوها وهي من اقدم أشجار الغابة ولم يبق مثلها سوى ثلاث واحدة يابسة وشجرتان خضراوان .

ورأينا لافتة تنبه الناس الى عدم نقل الغزلان الصغيرة من اماكنها ولو على سبيل الحنان والمحبة لأن امهاتها تفقدها وترفض الغزلان الصغيرة الاكل فتضطر الادارة الى تأمين نفقات حضانتها .

ولما لم نستطع المنامة في البارك في الزيارة الاولى عدنا في زيارة ثانية بعد ايام، واستمتعنا ، واستفدنا امورا كثيرة من جملتها طريقة لسقاية المسائب من مجاري الماء . فحين يصل الماء الى حيث يجب ان يدخل في المسكبة لا يكسر طرف المجرى كما نفعل نحن وانما يوضع انبوب معقوف احد طرفيه في المجرى والآخر في المسكبة ؛ فيمتص الماء وينقله ببساطة . وقد درسناه وعرفنا تفاصيله لنصنع مثله في بلدنا لفائدته وسهولة صنعه واستخدامه .

. والخلاصة ان زيارتنا للغابة والبارك قد ابهجتنا وعلمتنا كما حملتنا على التفكير في فرق المعاملة بين ما يجري عندهم للطبيعة والحيوانات والبيئة وبين ما يجري عندنا من استهتار بكل قيم النظافة والسلامة ، فلا نكتفي بأن نقول آسفين (لا حول ولا قوة الا بالله) بل يجب علينا ان ننشر الوعي لاخذ المثل الصالح ، وهذا من فوائد الاسفار . ولا تتم هذه الفوائد الا بأن ننقل الصورة الحسنة لاتباعها والصورة السيئة لاجتنابها.

من وحي هذه الرحلة

وكان ان اوحت لنا هذه الرحلة كذلك بفكرة شراء معمل لتصنيع المشمش ومن ثم معامل اخرى لانواع الفواكه مما سبق وصفه ، وطلبنا مخططات ودراسات من احد المهندسين الذين رافقونا . ومن المفيد ان نذكر هنا بين معترضتين ان هذا المهندس لاحظ انني اسجل كل شيء بالتفصيل – وانا اوردها هنا اقل من ١٠ ٪ من ملاحظاتي حتى لا يتضخم الكتاب – فسرّه ذلك وقال لولدي الدكتور راتب ان اباك صار يعرف عن اميركا واقتصادها اكثر مما نعرفه نحن عنها . واضاف انه كان زار تركيا فيما مضى وشاهداشياء طريفة ولكنه مع الزمان نسي اكثرها وتمنى لو انه كان مثلي قد سجل كل ما راى يوما بعد يوم وساعة بعد ساعة .

جمعية المنتجين والمصدرين واصحاب المعامل

ومن الامور التي لفتت نظري واراها مفيدة ان هناك جمعيةتضم المنتجين والمصدرين واصحاب المعامل المتعلقة بالمنتجات الزراعية وهي في كل منطقة تضع الاسعار بعد دراسة التكاليف وغزارة الانتاج والناس كلهم يلتزمون بأسعارها التيتصدر قبلالموسم ولا احد يخالفها كما انها قد تقرر نسبة الاتلاف في بعض المحاصيل اذا كانت وفرتها ستؤدي الى هبوط الاسعار . ان هذه القاعدة الشبيهة بقولنا (لا ضرر ولا ضرار) مطبقة عندهم ولم تعد مطبقة عندنا الآن مع الاسف .

مغترب سوري ارمني

وكان السيد مارديكيان وهو ارمني هاجر من حلب واقام في سان فرانسيسكو قد زارنا في دمشق في مزرعة العدمل فراينا ان نرد له الزيارة . ولقد اصبح هذا الرجل من الشخصيات الاميركية البارزة سكرتيرا في لجنة الحزبالجمهوري ورئيسا للكشافة

في اميركــا وهو يعين الطــلاب العرب ويحضر اجتماعاتهم ويوجههم ويحرضهم على ان يعودوا بما تعلموه الى وطنهم ليخدموه ويحذرهم من الزواج من اميركيات .

وقصة مارديكيان انه عمل اول قدومه الى اميركا في مطعم منظفا للصحون ثم بجده وكدّه اشترى المطعم وحافظ عليه حتى بعد ان كبرت ثروته وهو يفتخر بالدلالة على الباب الذي كان يمر منــه حاملا الصحاف المتسخة الى حيث ينظفها ويعيدها . وهو الآن من كبار الاثرياء ، وحين دخلنا عليه تلبيةلدعوته أرانا الصور التي اخذها في سورية وفي مزرعتنا ، ثم دعانــا الى العشاء الفاخر علما بأن مطعمه يعمل فيه الارمن . وقــد عني بالامور الثقافية ورعى الجامعات واهداها مكتبات ضخمة وهو يستقدم في كــل سنــة طالبا ارمنيا مــن سورية يعلمــه على حسابه وينضــم الى الجاليــة الارمنية الكبــيرة هنــاك .

وقد ذكرتني قصة السيد مارديكيان التي اوردتها باختصار شديد بما كان يقولــه المرحوم ابو درويش سويد عن العصاميين فما منهم واحد الا وهــو يفتخر ببساطــة اصلــه وأعمالــه السابقــة ايــام التعب والكدح ، والعصاميون لا يذكرون ما تحقــق لهــم فيمــا بعــد الا نادرا .

عــــائلــة امــيركيــة

وقد التقينــا اثنــاء هذه الزيارة بعائلة اميركيــة فيهــا زوجــان وصبي وبنت ، وعندهم سيارتان للأب والأم . وكان في نية الأب شراء سيارةلولده لو وفق فيإمتحاناته وسيارة لابنته، فلما رسب الولد لم يشتر له السيارة ولا اشتراها للبنت الناجحة الذكية حتى لا تقوم بينهما حساسية . ورب الاسرة معلم وصديق للعرب لما عرفه عن اولادنا من اخلاق حميــدة ويذكر ذلك أمام النــاس ، ولذلك فكل طالب عربي متميز بأخلاقه يعطي الناس انطباعا جميلا عن بلادنا .

مخبز آلي في سان فرانسيسكو ومعامل اخرى

وقــد زرنــا كذلــك مخبزا آليا ورأينا فيه عملية تصنيع الخبز واصناف الكعك والحلويات والبسكويت وتتبعناها خطوة خطوة ورأينا كيف تفحص كل مرحلة بعنــاية حتى يأتي الانتاج جيدا ويغلف فور خروجه وذهابه للتوزيع وقــد اعطانا مدير المخبز

معلومات وارقاما مفيدة منها ان مئة باوند من الطحين تعطي مائة وخمسة وستين باوندا من الخبز . وهذا المخبز تابع لاحدى الشركات وليس احدث ما عندها فهناك مخابز احدث ، وهو ينتج سبعة انواع من الخبز عدا المعجنات الاخرى . وقد سجلنا عناوين ربما تنفع ابناء بلدنا عند الحاجة .

كما زرنا معملا للبلاط البلاستيكي خفيف الوزن جيد المواصفات وجميل الالوان ، وتبادلنا مع اصحابه العناوين املا بالتواصل والعمل في المستقبل .

وزرنا اخيرا ارضا كانت مستنقعا فحولها العلم والعمل الى جنة وارفة الظلال .

ماذا احدثكم ايضا ؟ عن قصر حاكم سكرمنتو وهو من القصور الفخمة ويشبه بناء البيت الابيض في واشنطن ؟ ام عن الحي الصيني الذي هو انظف واغنى من الحي الصيني في نيويورك وقد سبق ذكره ؟ ام عن تواضع المسؤولين ومقابلتهم للناس في كثير من الاوقات ؟

ام تعالوا نتحدث عن بحيرة ليكتاهو التي تقوم في مناطق جبلية عالية على ٤٠ ميلا من سكرمنتو ، ومساحتها ثلاثة اضعاف بحيرة طبريا ومياهها العذبة محاطة بسلسلة جبال عالية وعليها منتجع سياحي فيه كل البساطة والجمال بين الشجر والماء ، وحفيف الهواء على الماء رقيق تحبه النفس ، وعندما تهدأ الريح وتكف عن تقبيل خد البحيرة تسمع اصوات العصافير الرقيقة الجميلة وهي الطف من اي موسيقا يصنعها الانسان. هنا تذكرت رفيقتي ام راتب وقلت لو كانت معي لبقينا هنا عشرة أيام نخلد فيها للراحة والهدوء ونعود أسعد واصح ما نكون ! . .

وقبل ان نفارق كاليفورنيا اجتمعنا بأولادنا واصدقائهم في سهرة وداع عرضت فيها الافلام التذكارية التي اخذناها عن هذه الرحلة البهيجة ، واذا كانت كلفتنا ٥٢٥ دولارا فانه ثمن بسيط لما ابقت من الذكريات الجميلة . وهنا طلبنا من اولادنا الذين سيعودون بالسيارة ان يتأكدوا من صلاحيتها ويحسنوا القيادة ، وانصرفنا الى خواطرنا .

فقد شاهدنا اشياء كثيرة في هذا البلد تدل على عظمة سكانه ونشاطهم ولكن هذا اكد حبنا لوطننا وابناء شعبنا الذين هم الثروة الحقيقية . ان الانسان الغريب

مهمــا جمع من مــال لا يشعر الا بالغربة ، وهو في وطنه عزيز ومعروف ولــه احباب يبادلهــم المــودة والحب .

وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى على اتمــام هذه الرحلة ، وشكرنا لجميع اولادنــا إيناسهم وخدمتهم ولا سيما موفق الذي لم نسعد بصحبته طويلا بسبب مشاغلــه ، وتمنينــا مرة اخرى ان تكون ام راتب معنا ، ايها الاحبة كــل الشــكر والعرفان على مرافقتكم لنــا في هذه الرحلة الكبيرة .

وانطلقنا انــا وراتب الى كنــدا ثم الى بريطانيــا .

انطباعــات عــن كنـــدا

ان كنــدا من الجو تبــدو شيئا آخر ، ففيما اميركا متصلة الخضرة والبناء توجد في كنــدا مســاحات شاسعة خالية من البناء . وبينما الاميركيون يتحركون ويعملــون في سرعة كبيرة يتمهل الكنديون كأن ليس للوقت عندهم عين القيمة . وكندا تستوعب عشــرة اضعــاف سكانهــا الحاليين ، وابرز صناعاتها الورق الــذي يستخرج مــن غاباتهــا الكثيفــة .

ولم نبق فيهــا اكثر ، اذ كان مرورنا عبورا وحسب .

الــى لنــدن مــن جديــد

لنــدن هــذه المرة وبريطانيا بأسرهــا حديثها حديث عمــل في الدرجــة الاولى . الانطباعات السياحية والانسانية انفدتها في الحديث عن الرحلة السابقــة ، وهي وان كانت موجودة بكثرة الا ان التلخيص الشديد والاقتصار على المفيــد يحملني على ترك كثــير مــن التفــاصيل .

اول ما لاحظناه ان سرعة اميركا جعلت بريطانيا تبدو بطيئةنسبيا وشديدة الهدوء. مطــار لندن اقتضانا ساعتين وربع الساعة ، ومطار نيويورك لم يحتفظ بنــا ســوى ربع ساعة . ماذا تريدون ابلغ من هذه الدلالة ؟ ومطار لندن كاد الا يكون تغــير عــن الرحلة السابقة رغم مرور الســنوات الطويلة ولكن الدقة والمعاملة الطيبــة والكياســة تعوّض عــن كثــير .

وسارعنا الى مغادرة لندن الى مدينة ليدز لدراسة موضوع معمل الجوخ . وغادرنا لندن بالقطار ، وتحول الجو في الصباح من صحو الى ماطر فتذكرنا بلادنا وقلة امطارها ودعونا الله أن يفرج على عباده .

في ليدز كان المستر ونستر في انتظارنا وبعد المجاملات والطعام والراحة بدأ حديثنا عن شراء معمل الجوخ مع ونستر وشاب فلسطيني الاصل كان يعمل عنده هو السيد عمر قطران ،الذي كان يقيم مع والده في الخرطوم ثم ذهب الى انكلترا فدرس النسيج وهناك عمل مع ونستر وتقدم حتى صار له ١٢٪ من اسهم الشركة دفع قسما من ثمنها ويسدد الباقي بالتدريج من راتبه العالي وحصته من الارباح . وقد تزوج من فتاة المانية وهو يسكن في بيت بالاجرة ولكنه اشترى ارضا ليبني عليها سكنا جميلا .

اعود فاقول اننا كنا ارسلنا عينة من الصوف من دمشق لدراستها فكانت النتيجة من الدراسة ان صوف بلادنا يجب ان يستبدل بأنواع اجود ، ولما ابدينا صعوبة ذلك قال ونستر على العكس ، فالاغنام التي صوفها مناسب يجري تكثيرها والعناية بها وتضاف اليها انواع جديدة والباقي يوجه للاستهلاك . وقال ان العينة التي ارسلناها صنفت برقم ٤٦ وهو صنف يعطي جوخا خشنا ويجب أن ترتفع النمرة الى ٥٢ حتى يصبح الجوخ ناعما لأن الخيوط الجيدة نمرتها ٦٢ او ٧٢ .

ونصحوا كذلك بمزج الصوف العادي بصوف مستعمل يستخرج من الالبسة البالية وهو موجود في انكلترا حيث تجمع الشركات الالبسة البالية وتنظفها وتستخرج منها الصوف فيكون رخيصا ويكلف مثل كلفة الصوف السوري المغسول ، فاذا مزجا بنسبة متساوية كان لنا نسيج ناعم . وتبين ايضا ان الصوف السوري يعطي بعد غسله ٥٢٪ من وزنه صوفا صالحا للغزل والنسيج والكيلو غرام منه ينتج برد جوخ كلفته نحو ثلاث ليرات سورية (في ذلك الوقت طبعا) وعلى كل حال تكون كلفة البرد حوالي خمس ليرات ثلاث منها للصوف غير المغسول وليرتان للتصنيع ويباع البرد بعشر ليرات وهذا من الناحية الاقتصادية جيد .

ولكن ونستر طلب ان يكون شريكا في المعمل وله اسهم لقاء خبرته ، ورفض فكرتنا عن قيام معملين في سورية ومصر لانه لم يكن يحب التعامل مع مصر لأن جوها وماءها

لا يناسبان لتصنيع الصوف . ثم سألنا هل نريد آلات جديدة ام مستعملة ؟ فأجبناه نريدها جديدة ومن احدث الانواع فاستغرب قولنا لان الشرقيين عموما يطلبون الآلات القديمة المستهلكة لانها ارخص ولكنه حبذ فكرتنا .

وبعد ان توسعت اطراف الحديث حول معمل الجوخ مع ونستر افهمناه ان طلبانه لا يمكن تحقيقها في بلادنا لان القانون لا يسمح بأسهم تأسيسية مجانية لقاء الخدمات ولا يسمح بعضوية مجلس الادارة الا لمالك نسبة من الاسهم .

وتبين أن كلفة المعمل ستكون في حدود ثلاثة ملايين ليرة سورية ، وتكون نفقات التأسيس كاملة خمسة ملايين وينتج ستة آلاف ثوب جوخ سنويا (٤٠٠ ألف يرد) فاذا كانت كلفة اليرد كما سلف الذكر خمس ليرات وبيع بعشر ليرات فرج المعمل السنوي مليونا ليرة يذهب مليون منه للاحتياطي وبقية النفقات فيكون الصافي مليونا ونسبة الربح العامة ٢٠٪ سنويا وهي نسبة ممتازة اضافة الى خدمة الوطن .

وتركناهم على أن يهيئوا لنا دراسة يرسلوها الى دمشق وان نرسل لهم مئتي كيلو غرام من الصوف لدراسة أدق واعمق .

وهنا التقينا في أحد المطاعم صدفة بالسيد الدكتور خالد بوظو الاستاذ فيالكيمياء وأسرته وعمل راتب علىتأمينتسجيلأولادهفيأوكسفورد اذ لا يقبلون فيها الا بتوصية .

زيارة آل هورسلي

وقد ذهبنا اثناء هذه الاقامة الجديدة القصيرة لزيارة آل هورسلي الذين سبق الحديث عنهم وعن كرم ضيافتهم وعرفنا أن هورسلي ترك مركز الشريف لشريكه . وقد سرّ هورسلي بفكرةمعملالجوخ وعرض علينا مشاركته كما كان من قبل قد سبق ان عرض علينا اقامة معمل مشترك للحليب والشوكولاته والعصير ولم تنفذ الفكرة لعدم وفرة هذه المواد في بلادنا في ذلك الحين .

ولفت نظرنا ان هورسلي واسرته ، وكذلك شريكه ، يعنون بانفسهم وراحتهم وصحتهم ولا يفرطون في العمل ويمارسون الرياضة .

وهنا كانت رحلتنا قد استنفدت اغراضها وانتقلنا بعدها الى البلاد السكاندينافية والمانيا في طريق العودة .

انطباعات عن النروج والسويد

البلاد غاية في الجمال والاناقة وسهولة التعامل ولكنها غالية الاسعار . وقد قمنا برحلة سياحية فيها رأيناخلالهاقصرالملك والحدائق العامة ومعالم مدينة اوسلو العاصمة.

ثم انتقلنا بالطائرة الى السويد وتجولنا في مدينة ستوكهولم في رحلة سياحية واجمل ما زرناه الحديقة العامة وفيها مصعد كهربائي أوصلنا الى مكان مرتفع شاهدنا منه معظم اجزاء المدينة ولا سيما البحيرات التي تتوسطها ، وفي الحديقة مقاه ومطاعم ومسارح ومحلات تجارية ذات مظهر تقليدي قديم ولكن لم تعجبنا حرية الشباب والفتيات في التصرف والعناق في كل مكان بما لا يتفق مع تقاليدنا في الشرق .

وقد استأجرنا سيارة تاكسي ليدلنا على معمل بزر كنا اخذنا عنوانه فأوصلنا اليه وهو معمل يصنع البزر والسمن والروائح العطرية والطعوم ، وكل ذلك بصورة آلية ونظيفة حتى يصل الى المستودع المبرد وهو مغلف وجاهز للتصدير ، وطاقة المعمل من البزر خمسة اطنان يوميا تستخدم في صناعة الحلويات والمعجنات وغيرها .

وقد عرفنا ان هذا المعمل يستورد البزر من اقطار كثيرة وقد بدانا علاقة تجارية معه لنرسل له البزر الحلو والمر وبزر الدراقن والخوخ اذا استطعنا .

وكان هذا المعمل قد استورد من عندنا بضاعة فأخبرنا أن بعض الاكياس كانت مختلفة المواصفات فاعتذرنا عن ذلك لاننا اعتمدنا في تحضير الكمية على بعض الشركاء وانزلنا قيمتها من الحساب وكان في ذلك تعديل للموقف وتلافينا الخطأ الواقع .

ومن الجدير بالذكر ان أجور العمال السويديين أعلى من اجور العمال في بريطانيا ومستوى حياتهم افضل من كل البلاد الاوربية ولا يفوقهم سوى عمال الولايات المتحدة والسويد غنية بالحديد وجودته عالية .

وقد دعانا عميلنا في ستوكهولم الى عشاء في مكان سياحي جميل على بعد عشرين كيلو متر من ستوكهولم وطريقه يمر في الغابات وعلى ضفاف البحيرات ، وفي المطعم ثلاث قاعات في كل منها فرقة موسيقية تعزف للناس . ان القوم هنا يعرفون كيف يعيشون وكيف يربحون من اماكنهم الجميلة عن طريق السياحة التي صارت في ايامنا مرفقا اقتصاديا هاما لا يستهان به .

المانيا بين زيارتين ـ الماني يصف ويلات الحرب

ثم تركنا السويد الى المانيا عن طريق الدانمرك ـ جواً ـ ولكن لم نتمكن من زيارة كوبنهاغن عاصمتها اذ كانت تأشيرة الدخول قد انتهت .

ولما وصلنا الى هامبورغ كانت قد تم بناؤها بفضل جهد الشعب الالماني ودأبه وهمته العالية التي لا تعرف الكلل ولا الملل . وحتى ندرك أهمية ما تم أقص عليكم قصة عميلنا الالماني هاينمان الذي يقول انه يفضل ان يموت على ان يشهد حربا كالحرب العالمية الثانية . وقد قال لنا انه لا ينسى ثلاثة ايام عصيبة مرت بها هامبورغ فقد استمر فيها القصف ليلا ونهارا دون انقطاع ، ففي النهار تأتي الطائرات الانكليزية لتلقي حممها المدمرة المحرقة القاتلة من قنابل وصناديق فوسفور محرقة . وفي الليل تأتي الطائرات الاميركية لتكمل مهمة القتل والحرق والتدمير . وقد قتل في هذه الايام الثلاثة خمسة وثمانون الف نسمة من سكان هامبورغ وهدمت ٢٧٠ الف شقة سكنية .

وقال هاينمان : في اليوم الاول ذهبت الى محلي التجاري فوجدته مطمورا بالتراب المنبعث من آثار القنابل والانفجارات . نظفت المحل وأخذت منه ثلاثة دفاتر رئيسية من دفاتر الحسابات وانصرفت الى منزلي . وفي الليل اشتد القصف فتركت منزلي وذهبت الى الملجأ فبقيت فيه الى الصباح وانا لا اعرف مصير زوجتي واولادي . ومن الملجأ انطلقت ثانية الى المحل التجاري لاجده حطاما وركاما وقد اكلت النار كل شيء فيه . فاتجهت الى الدار فشاهدتها حطاما هي الاخرى ولم تترك النار منها ومن اثاثها ما ينتفع به .

وتابع الرجل والغصة في حلقه والدمعة في عينه : همت في الشوارع على وجهي لأرى أفدح الخسائر واقسى المآسي . فالرجال والنساء والاطفال الذين ماتوا تكدست جثثهم على الارض ، والبيوت والابنية المحطمة دكت دكاً حتى سويت بالارض ، ومن المناظر التي اعتصرت قلبي منظر بعض النساء اللائي احتضن اطفالهن بحرص فداهمهن الموت على هذه الحال فمتن ومات ابناؤهن وبعضهم لا يتجاوز عمره الشهور . هذا الى جانب منظر من شوهت اجسامهم وجثثهم تشويها خطيرا . وقد بحثت عن اسرتي وسط الموت والدمار والحرائق حتى التقيت بهم بعد بحث دام طيلة ايام المأساة ، وشاهدت

بذلك هامبورغ المقهورة المتداعية كلها وقد نالت منها سياط الموت والدمار اكثر مما تطيق . واخذت أسرتي الى قرية بعيدة عن هامبورغ ، ولكن الحظ العاثر جعل القصف الوحشي يلحق بنا الى هذه القرية ففررنا الى قرية صغيرة ابعد عن هامبورغ المدمرة. في هذه القرية تركت اسرتي ومضيت أبحث عن عمل في مدينتي الذبيحة ، ولكن أين العمل وقد أتى الموت والدمار على أكثر ابنية المدينة وسكانها ؟ وقد بقيت اسرتي أكثر من سنة في تلك القرية النائية ، وبلغت خسارتي في أيام القصف داري ومحلي التجاري وخمسة ابنية كنت أملكها . وقد أصيبت زوجتي بمرض عصبي ما يزال يلازمها وقد دخلت الى المستشفى منذ سنتين وبقيت فيه عاما كاملا وكانت تصرخ في البيت بين الفينة والفينة بحرارة : راسي .. الضرب بدأ .. القصف بدأ .. ثم تفقد وعيها ...

ان هاينمان رجل تمرس في التجارة منذ كان صغيرا وعلى يد والده ، وهو يجيد الانكليزية والفرنسية والاسبانية بالاضافة الى لغته الالمانية .

وبعد نهاية الحرب استطاع أن يعوض بعض خسائره وهي دار السكن وبنائين من أبنيته الخمسة المدمرة ، والدولة تنظر في التعويض عليه جزئيا عن خسائره .

أحببت أن أورد ذكرياته السوداء المرعبة والحزينة لكي يتعظ الناس ولا سيما قادة الحرب المستعمرون ويعودوا الى رشدهم ليكفوا عن شرورهم ويحطموا اسلحة القتل والدمار ويحولوها الى أدوات بناء ورخاء . ولكن هيهات أن يتعظوا ...

ألمانيا والنمسا ويوغسلافيا من الجو

وكان علينا بعد ذلك أن نذرع أوربا عن طريق الجو في طريق العودة . فألمانيا خضراء يانعة وبناؤها يكاد يكون متصلا ، وكذلك النمسا ، أما يوغوسلافيا ففيها اراض جرداء كثيرة تتخللها تجمعات بناء ومواقع خضراء .

حتى اذا وصلنا الى تركيا اصطدمنا بالمعاملة الخشنة منذ المطار واحتجزوا احدى حقائبنا ولم يسلموها الا عند المغادرة ، فمتى يستيقظ شرقنا ويأخذ بالاساليب الحسنة والناجعة السريعة وهي أكثر فائدة من التشديد الذي يأخذ الجميع دون جدوى ملحوظة ، ويحدث الاستياء العام في سبيل تفادي بعض الاخطاء الخاصة .

الرحلة الثالثة الى الخليج العربي عام ١٩٧٢

كانت هذه الرحلة قد تمت بتكليف من الحكومة السورية وهي مخصصة للوفد التجاري العربي السوري الذي كان لي شرف رئاسته ومن أعضائه السادة محمد شفيق سكر رئيس غرفة صناعة دمشق وقاسم نور الدين رئيس غرفة تجارة حلب وعبد العزيز فنصه رئيس غرفة صناعة حلب وعبد الرحمن العطار عضو غرفة تجارة دمشق ورشاد الشلاح ممثلا للقطاع الخاص وعبد الحميد شحاده وأحمد شحاده عضوي غرفة صناعة حلب وتيسير الحفار عضو غرفة صناعة دمشق .

غادر الوفد دمشق يوم ١٩٧٢/٤/١٥ على الطائرة السورية الى الكويت محطتنا الاولى ، على أن تتلوها زيارة البحرين وأبو ظبي ودبي ، والغاية شرح وجهة النظر السورية في العلاقات التجارية مع دول الخليج العربي لاهميته البالغة ولتذليل الصعوبات القائمة ، فكان علينا أن نوضح وأن نستمع الى ملاحظات اخوتنا العرب على ما يلقونه من صعوبات في بعض الاحيان في تجاراتهم وفي زياراتهم وفي استثمار أموالهم . وكان التوجيه الذي زودتنا به الحكومة ان نطمئن الجميع على توفير افضل المعاملة مستقبلا فبلادنا مفتوحة الذراعين للعرب تجارا ومستثمرين وزوارا ومصطافين .

وكان الاخوة الكويتيون قد احاطونا بحفاوة بالغة منذ دخلنا المطار وزرنا مقرهم وتبادلنا لوائح بأسماء التجار والاصناف التي يتعاملون بها او يمكن أن يتعاملوا ، اذ كانت جولتنا ريادة استطلاعية . وقد عرفنا أن عدد السوريين في الكويت يزيد على اربعين الفا وكثير منهم تجار ناجحون حتى أن مدير غرفة التجارة الكويتية سوري هو السيد هيثم الملوحي ونائبه السيد ماجد جمال الدين سوري أيضا .

اما صادراتنا الى الكويت فكانت في ذلك الوقت تتراوح بين ١٤ ــ ٢٢ مليون ليرة سورية وسبب هذا الفارق قيمة الاغنام التي تتأثر بالجفاف في قطرنا . وهذا الرقم يمكن أن يزيد اذا كانت منتجاتنا لا تزيد أثمانها على أثمان مثيلاتها في الدول الاخرى . فنحن في النسج مثلا نستورد الخيوط من الصين واليابان ونصنعها ثم نعيد تصديرها فتأتي المنسوجات الصينية واليابانية ارخص ، ولا سيما وان استيراد الخيوط يتم عن طريق مؤسسة (سيمكس) مما يزيد كلفتها بنحو ٤٠٪ عدا عن الروتين وأثره .

وكذلك المأكولات المعلبة السورية فهي تصدر عن طريق القطاع العام الذي لم يكن يعطي اهتماما خاصا لاسواق الخليج لقلة الانتاج اولا ونقص المرونة في التعامل التي تتطلبها الاعمال التجارية . والعامل الاخير هو جودة الاصناف من حيث التحضير والتصنيف والتغليف وهذه يقصر القطاع الخاص بها . وقد ذكر لنا أعضاء جمعية الشامية التعاونية الاستهلاكية أنهم طلبوا مساطر تكرارا واعادوا الكتابة ووسطوا غرفة الصناعة ولكنهم لم يتلقوا من سورية أي جواب وتنطبق هذه الشكوى على المنظفات في الدرجة الاولى . واخيرا فالفواكه السورية تلقى مزاحمة من المنتجات اللبنانية التي تفوقها في الجودة ووفرة الكميات وحسن التحضير والتغليف ورخص الاسعار .

عوامل احجام الكويتيين عن ادخال اموالهم الى سورية

وذكر لنا الاخوة الكويتيون نماذج عن السلبيات التي لا تجعلهم يطمئنون الى ادخال اموالهم الى سورية فمن ذلك ممارسات بعض المشرفين على قانون الاصلاح الزراعي في تصرفهم مع المرحوم عبد الله العثمان الذي اشترى أرضا من الاوقاف لانشاء مزرعة فنية حديثة في سورية ، ثم قصة جامع العثمان المعروف بجامع الكويتي في دمشق وسعي وزارة الاوقاف السورية للحجز على أموال السيد العثمان بعد وفاته لاتمام بناء الجامع وذكروا لنا قصة كويتي ثالث هو السيد يوسف الفليح الذي اشترى اسهما من بعض الشركات السورية فلما اممت لم تصله حقوقه . وقد رد الوفد بأن

الحركة التصحيحية وعدت بالغاء هذه الممارسات بعد ان ادرك بلدنا ضرورة الانفتاح على العالم العربي لتحقيق التعاون الاقتصادي المثمر بين جميع الاقطار .

وبحثت قضية الاصطياف لان الكويتيين يحبون المصايف السورية ولذلك يأملون في معاملة حسنة والحد من بعض التصرفات وقالوا ان بعض المصطافين حين حضروا لم يجدوا اماكن في الزبداني فاضطروا لاستئجار بيوت في قرى الغوطة مثل عربين وحرستا .

ايضاحات وفدنا

وقد رد اعضاء وفدنا بايضاح ما اتخذته الحركة التصحيحيه من تدابير وقوانين لتنشيط الحياة الاقتصادية ومن ذلك المناطق الحرة في أماكن عديدة في المرافىء والحدود ولتسهيل عمليات الترانزيت . وقد اقيمت على شرف الوفد حفلات عديدة غاية في الكرم .

في البحرين

وجرى للوفد بعد ذلك استقبال حار في البحرين . ففي لقاء مع الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة شرحنا ما عندنا من جديد في مجال الانفتاح كما طلبنا السماح للطائرات السورية بالهبوط في مطار البحرين وتقدم بهذا الطلب باسم الوفد السيد عبد الرحمن العطار فتم الوعد ببحث ذلك واعطاء التعليمات وتمت ازالة الظن الذي علق بذهن بعض المسؤولين عن مهمة الوفد واوضحنا انها مهمة تجارية بحتة ولم نأت لطلب قروض كما قيل .

ويسرني أن انوه هنا بنشاط شعب البحرين في العمل والانتاج على قلة عدده ، وهو شعب متقدم علميا ويقود ابناؤه نهضته بأنفسهم في اغلب المجالات . وقد زرنا معمل المنيوم انشىء حديثا في البحرين بمساهمة من شركات عالمية ، وتملك البحرين ١٦٪ من اسهمه . والمعمل يصهر مادة الالمنيوم الخام وقد اختيرت البحرين لوفرة الغاز الطبيعي ورخص اليد العاملة وموقع البحرين الممتاز بين الشرق والغرب ويعمل في المعمل الفا عامل ليس بينهم الا قليل من الاجانب الخبراء ، وطاقة المعمل مائة وعشرون الف طن سنويا ويسعون الى جعله ٢٠٠ الفا .

وزرنا معملا لحفظ الاسماك وآخر للبلاستيك وورشة لاصلاح السفن ومطاحن الحبوب ومحطة للاقمار الصناعية .

ابو ظبي

وبعد البحرين انتقل الوفد الى ابو ظبي حيث لقي حفاوة بالغة ، وشرح الوفد مهماته للمشرفين على الحياة الاقتصادية والتجارية . وقد دعانا مدير الغرفة

التجارية الى الفداء في منطقة جميلة تدعى (العين) وهي تبعد عن العاصمة ١١٠ كيلومترات تقريبا والطريق اليها منظم وحوله مشاريع تحريج أقيمت على أرض واسعة وتسقى بالانابيب وشاهدنا أبنية كثيرة لتوطين البدو فتوزع البيوت عليهم مجانا وتعطى الاسرة عندما تستلم البيت الف دينار لتشتري الاثاث المناسب .

وخلال جولتنا في اسواق العاصمة (أبو ظبي) لاحظنا نهضة عمرانية كبيرة فالاسواق منظمة والمدينة مخططة تخطيطا جميلا والابنية الحديثة تنشأ بأعداد كبيرة والاجور مرتفعة . ولاحظنا كثرة اللبنانيين الذين يقومون بأعمال مختلفة لا سيما الفندقية .

وتعتمد أبو ظبي على دبي في استيراد ما يحتاجونه من السلع لذلك فمعظم التجار لاحظنا أنهم يعملون في تجارة المفرق وليس بينهم تجار جملة ، ويستوردون الفاكهة والخضار من لبنان وباكستان كما تنتج منطقة العين كمية من الخضار . والشركات القائمة في أبو ظبي مركزها غالبا في دبي .

وكان ممن اطلعنا على أعمالهم السوري السيد عمر فاروق باقي الذي أنشأ مزرعة في أبو ظبي لاستصلاح الاراضي بدأها ببيوت بلاستيكية تسقى الزروع فيها بالتنقيط وفيها بيت للاشغال كما وضع طبقة من الرمل على عمق ثلاثين سنتمترا وفوق قماش بلاستيكي ثم التراب والمواد الاخرى مما شكل تربة اصطناعية فاستطاع أن ينبت بندورة تحمل عشرة كيلو غرامات وكذلك الفليفلة والخيار وغيرهما .

وهناك سوري آخر هو السيد خالد الملا الذي يعمل في صندوق أبو ظبي للتنمية الاقتصادية العربية ورأسماله خمسون مليون دولار لتشجيع المشاريع الانمائية في الوطن العربي .

العلاقات الاقتصادية

وتكاد العلاقات التجارية تكون معدومة بين سورية وامارة أبو ظبي التي تعتمد على تجار دبي فيما تحتاج اليه ولكن من الممكن أن تزداد صادراتنا الى دول الخليج حتى يكون سوقا لمنتجاتنا اذا بذلت حكوماتنا جهدا وأبرمت اتفاقا جديا يسمح بموجبه للطائرات السورية بالهبوط في مطارات الخليج وهذا يشجع التنقل والتصدير لا سيما بعد أن يتم الطريق البري بين قطر وأبو ظبي . ولكن هذا يتطلب تخفيف القيود والتعقيدات

التي يلاقيها الخليجيون على الحدود السورية وحتى بعد تجاوزهم نقاط الحدود وعلى الطرق الداخلية . وقد قمنا بتطمين من لاقيناهم الى أن تدابير جديدة اتخذت في هذه الاتجاهات للقضاء على الشكاوى .

في دبي

وقد استقبل وفدنا استقبالا حافلا في دبي من قبل الاسرة التجارية والجالية السورية واقيمت في فندق كارلتون حفلة كبيرة على شرف الوفد والقى السيد قاسم نور الدين رئيس غرفة تجارة حلب كلمة فيها حول التدابير الانفتاحية السورية واعقب السيد شفيق سكر بما يفيد أن الحكومة السورية منحت اكثر من الفي رخصة لاستيراد الآلات الصناعية وأعفت المناطق الحرة من كافة الضرائب والرسوم ، واخيرا تحدث السيد عبد الرحمن العطار عن اهتمام الحكومة السورية بالقطاع السياحي وبناء الفنادق معفاة من الرسوم .

هذا وقد تحدث تجار دبي عن الصعوبات التي يلاقونها عندما يستوردون من سورية كما تساءل بعضهم عن مصير أسهم الشركات المؤممة .

وقد تم رفع تقرير الى الحكومة السورية عما تم لاتخاذ ما يقتضي من التدابير الملائمة .

* * *

الـرحلـة الـرابعـة
الـى الاتحـاد السوفييتي ١٩٧٥

في هذه الرحلة سأورد باختصار ما شاهدته في الاتحاد السوفييتي بالاعتماد على مذكراتي تاركا بعض التفاصيل التـي جاءت أحداث عـام ١٩٩٠ فتركت آثارا فيهـا تقلب الصـورة تمامـا .

وفي الاصل كانت هذه الرحلة قصيرة نسبيا ، وقد رافقتني فيها أم راتب ، وكـان القصد منها تقوية الروابط الاقتصادية مع بلاد السوفييت .

كانت الانطلاقة من بيروت في ١٩٧٥/٥/٣١ ، وبعد أربع ساعات وصلنا الـى كييف ومنها الى موسكو لنجد في انتظارنا موظفي الغرفة التجارية وبعض الرسميين . وقـد عقدنـا عدة اجتماعات واستمعنا الى عدة محاضرات عن إحياء الاراضي الموات وعـن التجارة السوفياتية مـع العالم العربي .

ثـم زرنا مدينتي طاشقند وسمرقند بعـد موسكو . وقد كانت المدة محدودة ولم نستطع زيارة لينينغراد لعدم وجود اماكن في فنادقها .

وكان أول ما لفت نظرنا ان المراة تعمل الى جانب الرجل على نطـاق واسـع وان الزواج سهل وميسور عنـد القوم لا يحتاج الـى حفلات ونفقات ولا مقدم ولا مؤخر ولا البسة كثيرة وتقـام مراسمه حسب دين أصحاب العلاقة او في حفلةرسميةبسيطة وقد تتم بعد ذلك حفلة في مطعم بسيط بحضور الاقربين والاصدقاء وبذلك يتجنبون التكاليف الباهظة التي نتحملها نحن من أجل الزواج .

والحياة بسيطة ولا مبالغات في الانفاق ، ولاحظنا أن الخضار والفاكهة غير موجودة في معظم الاوقات ولكن السكن مؤمن للجميع بأجر بسيط وبمعدل ١٣ مترا مربعا للفرد وقد تنزل المساحة احيانا الى ٨ أمتار للفرد ، واجرة السكن لا تستغرق سـوى جزء يسير من دخل الفرد وأقصاها سبعة بالمئة من دخله . والرواتب والاجور قليلة ولكنها تتناسب مـع ما يدفعه المرء من مصروف لأن الكثير مـن المرافق والخدمات مجانيـة كالمصحات ودور الحضانة ودور العجزة ؛ وترى الوجوه واجمة وقد فارقت الابتسامة اكثرها لأن العمل يجري بجد ووتيرة عالية .

قبر لينين والكرملين في موسكو

في موسكو قصور الكرملين الفخمة الفاخرة وعدد كبير من الكنائس ذات الطراز الخاص وتتميز بقبابها المتعددة ومعظمها مطلي بالذهب وخاصة قبة الكرملين التي هي مقر اجتماعات مجلس السوفييت الاعلى ومنظرها تحت الشمس غاية في الجمال . وقطار الأنفاق في موسكو أجمل ما في العالم وهو مفخرة حضارية من حيث النظام وهو يفضل كثيرا مثيليه في لندن وباريس أو حتى في نيويورك والنزول والصعود اليه بأدراج متحركة .

اما قبر لينين فلا تنقطع الزيارة اليه وهناك دائما حبل من البشر يبلغ طوله الفي متر يسيرون ببطء وهدوء حتى ينزلوا الى البناء على الدرج وبين حرس جامد بملابس رسمية ولا يتوقف الناس عن المرور ومشاهدة وجه لينين ويديه اذ هو مسجى بملابسه محنطا ثم يستمر سيل البشر في الصعود حتى يمروا امام حائط الكرملين حيث سجي كبار القادة السوفييتيين ، وقد استغرقت الزيارة نحو ساعتين ونصف الساعة ولا تتوقف الا يومي الاثنين والجمعة حيث تتم العناية بالضريح ويتأكدون من سلامة التحنيط .

السيرك

ثم شاهدنا السيرك بما فيه من رقص والعاب بلهوانية وحركات قامت بها الحيوانات المدربة على أنغام موسيقى خاصة وكانت الالعاب جميلة وتسر المشاهدين الذين يملؤون المكان على اتساعه .

الاجتماعات

وقد تمت بيننا وبين المشرفين على الامور التجارية لقاءات كثيرة واستمعنا الى محاضرة من رئيس غرفة موسكو التجارية (بوريشوف) وتقرير (بابدييف) رئيس أكاديمية العلوم في تركستان عن أحياء الاراضي الصحراوية وتحويلها الى مروية ، وأحاديث أخرى.

زيارة جمهورية اوزبكستان

ثم سافر بنا مضيفونا الى جمهورية اوزبكستان التي لها في نفوس العرب والمسلمين مكانة خاصة بسبب الروابط التاريخية والدينية . وقد هبطت طائرتنا في طاشقند

وقدمنـا عقارب ساعاتنا ثلاث ساعات لاختـلاف التوقيت بـين طاشقند وموسكو . ان سكان طاشقند مليون وستمائة الف والجمهورية كلها فيها ستة عشر مليونا ، وقد حصل في العاصمة زلزال عام ١٩٦٧ هدم أكثر من نصف أبنيتها فتعاونت الجمهوريات على اعادة بنائها ووضعت لها مخططات جديدة .

وقد حدثونا عن مشاريع الاستصلاح وري الاراضي واحياء الارض الموات وكـان ثلثاها قد تم تنفيذه وبقي الثلث الثالث قيد التنفيذ ، وهـدف المشروع زيادة انتـاج القطن حيث هنـا اكثر انتاجه ويمثل سبعين بالمائة من الانتـاج السوفييتي العـام في القطن . وممـا يذكر أن الصحارى تغطي ٣٠ مليون هكتار مـن الاراضي السوفييتية وسوف تروى أقسام منها من نهري سيحون وجيحون . وعندما سمعنـا باسم هذين النهرين ثارت ذكريات تاريخية قديمة وعزيزة عن اولئك الابطال الذين خرجـوا مـن جزيرتنا العربية مزودين بالتقوى ورسالة السماء والاسلام واقاموا على تلـك الارض حضارة مزدهرة لا تزال شواهدها قائمة في القبـاب والمساجد والمدارس والقصـور وقبـور الشهداء والعلماء والصالحين .

ثم زرنـا وزير الزراعة وأقـام على شرف الوفد مائدة عليها الكثير من فواكه تشبه فاكهة الشام مثل الكرز والمشمش . ومن بعد ذلـك انطلقنـا لزيـارة بعض الاراضي المستصلحة وسرنا فيها نحو سبعين كيلو مترا وشاهدنا الميـاه تجر اليها مـن سواقي جاهزة تحضر في المعامل وتركب على الارض ، وشاهدنا الآلات الزراعيـة منتشـرة ، ورأينا ما استصلح منذ سنوات ويبهج القلب بأشجاره .

ولدى الحديث مع رئيس الجمعية عن ٣٥ الف فلاح يعملون في المشروع تبين انهـم جاؤوا من المناطق الجبلية المتاخمة . وقد زرنا احد البيوت فوجدناه مستوفيا الشروط الصحية ولكن هناك بعض النواقص الملحوظة .

مدينتـا بخـارى وسمرقنـد

ومن طاشقند امتطينا طائرة الى بخارى واستقبلنا فيها بحفاوة وزرنا المواقع العابقة بشذى التاريخ والعقيدة وزرنا مدرسة للغة العربية والقرآن والحديث والعلوم الشرعية ثم زرنا قصر الحاكم الذي كان اسمه اعظم خان وقد هرب الى الباكستان حتى توفي .

ثم سافرنا بالطائرة من جديد الى سمرقند وتجولنا فيها ورأينا الآثار الاسلامية ومنها مرصد فلكي بناه تيمورلنك ثم هدم من قبل احد الحكام من بعده ، وعددا من المدارس الاثرية .

عتاب

وفي أثناء الرحلة عاتبتنا موظفة الآثار المرافقة لنا فقالت : كنتم فيما مضى فتحتم هذه البلاد قادمين على ظهور الإبل والخيل ومتحملين المشقات ، وخضتم الانهار العريضة ، فتوطدت صلاتكم بأجدادنا . فلماذا وانتم في عصر المواصلات الحديثة السهلة التي توصلكم الى بلادنا في بضع ساعات تضنون على انفسكم وعلينا بالزيارة ؟ وقد شعرنا بصدق حديثها وبمرارة من يعترف بالتقصير .

ومن بعد ذلك ختمنا الزيارة بدخولنا الى مسجد سمرقند الكبير الذي هدمته الزلازل . وكان تيمورلنك هو الذي بناه مستفيدا ممن جاء بهم معه من غزواته المدمرة في الشرق من عمال وفنيين فانشأوه تحفة فنية نادرة المثال . وقد غاب أثناء بنائه فعهد الى زوجته باكماله وهذه كلفت احد المهندسين وباعت من اجل اكماله كل ما كان لديها من نفائس ، ولكن المهندس الذي فتن بجمالها حاول أن ينال اي شيء منها يشفي غليله وحبه ، فاضطرت من أجل ذلك ان تسمح له بأن يراها ويقبل يدها . ولما رجع تيمورلنك اخبرته بالقصة فبحث عن المهندس ولكنه لم يجده لانه فر . . .

وظلت هذه القصة الاسطورة يتداولها الناس . هذا والمسجد يبلغ ارتفاعه خمسة وستون مترا وطول مدخله خمسة وستون مترا ايضا ، وقد بني على مدفن القثم بن العباس وهو الصحابي الذي استشهد في هذه البلاد ويقال أن رأسه قطعت فحملها بين ذراعيه حتى بلغ مكان المسجد فسقط ، وبني المسجد تخليدا لذكراه . وعندنا نسمع أن اولاد العباس ابعد الناس قبورا فان قثم ضريحه في سمرقند واخاه عبد الله دفن في الطائف ولهما أخ ثالث دفن في المغرب .

الرحلـة الخامسة الى الشرق الاقصى ١٩٧٦

كوريـا الجنوبية ـ اليابـان ـ هونـغ كونـغ ـ تايلاند

كانت هذه الرحلة قد جرت بدعوة من حكومة كوريا الجنوبية وغرفة تجارة سيئول وهما شديدتا الاهتمام بتطوير العلاقات التجارية مع العالم . وقد رافقني فيها ابني البـار الحبيب الدكتور راتب الذي يبدي أشد الحرص على راحتي بالاضافـة الـى شخصيته الجذابة واتقانه اللغتين الانكليزية والفرنسية . كما رافقتني بهـا ام راتب زوجتي العزيزة لان وجودها معي يجعلني اعيش بسعادة واطمئنان لحرصهاهي الاخرى على ما يسرني ويريحني . وسبق ان ذكرت في رحلتي لاميركا كم ندمت اثناء الرحلـة لانهـا لـم تكن معـي .

اقلعت طائرتنـا بنـا من دمشق مساء ١٩٧٦/١٠/٢٤ الـى طهران محطة أولى ، ثم الى بومباي في الهند فبانكوك عاصمة تايلاند ، وحططنا الرحال في هونغ كونغ لننـام ليلتنـا الاولى . وفي صباح اليوم التالي كنا في سيئول عاصمة كوريا الجنوبية حيـث استقبلنا رئيس غرفة التجارة وبعض اعضاء غرفته بترحاب شديد .

امضينا في سيئول عدة ايـام قابلنا خلالها وزير التجـارة ورئيس مجلس الوزراء وزرنـا عددا من المعامل الحديثة واجرينا محادثات مع رئيس واعضاء غرفة التجـارة وتعرفنـا عن كثب الى نهضـة تلك البـلاد التي صارت في مصاف الدول الصناعيـة الحديثـة بعـد اقتصـاد زراعي .

في زيارتنا الاولى الى غرفة التجارة قدم لي رئيس الغرفة عدة هدايا منها (بروانة) مشغولة باليد وعد بارسالها الى دمشق حتى لا ننزعج بحملها ، كما قدم لي رمزا لتاج قديم كان يستعمله احد الملوك ، واعطى نسخة اخرى للدكتور راتب ، وقطعة قمـاش حريرية الى ام راتب ، اضافة الى لوحتين تذكاريتين . وبالمقابل قدمنا له علبة موزاييك جميلة معبأة بفواكه الشام المجففة وربطة من القمر الدين ، وقدم له ولدنا راتب هديتين تذكاريتين حمالة مفاتيح فضية عليها صورة فؤاد الاول وسبحة يسر انيقة جدا .

ان وجود ولدي الدكتور راتب معي عنوان سعادتي في هذه الرحلة وغيرها . اثني

عليه وأرضى عليه من كل قلبي وعلى اخوته وأبناء عمه والشكر لله لما انعمه علينـا من توفيق في تربية اولادنا . وكنت أتمنى دائما لو استطيع أن اعود الى الحياة بعد الوفاة ولو للحظات لاشاهد بعيني المكانة الرفيعة التي يحتلونها جميعا في مستقبل الايام وهي امنية كنت أتمنى لو تحققت لوالدي ليرانا في مواقعنا الحاضرة .

وفي غمرة الحديث قال رئيس الغرفة للدكتور راتب أن والدك ليس رئيسا لغرفة تجارة فحسب ولكنه رجل عظيم وسياسي لامع ... ثم عرفنا منه أن اعضاء الغرفة سبعون ينتخب خمسة وثلاثون منهم والباقون يمثلون جمعية التجار ، وان مورد الغرفة يؤخذ من التجار بنسبة ٦٪ مما يدفعه كل منهم كضريبة دخل .

وقد اقاموا لنا حفلة عشاء فاخرة في نفس فندقنا الكبير حتى لا نبتعد عن ام راتب. وقد حضر العشاء نائب وزير الخارجية ورئيس الغرفة التجارية السابق الذي شغل على التوالي منصب نائب رئيس وزراء ثم صار وزيرا للاقتصاد وهو الآن مدير شركة كورية كبرى . وحضر الحفلة جمع غفير من اعضاء الغرفة والتجار .

في اليوم التالي زرنا معرضا كبيرا للصناعات الكورية وهو مقام على أرض مساحتها اربعة آلاف دونم تقدمها الحكومة بأسعار رخيصة مع خدمات الهاتف والتلكس والبريد وملاعب العمال ووسائل انتقالهم . ويقوم هذا المعرض على فكرة **التصدير** فلا يسمح للمنتجين بأن يدخلوا منتوجاتهم الكورية الى الارض الكورية نفسها الا بعد ان يصدروا سبعين في المئة منها ومن لا يستطيع ذلك يجبر على بيع انتاجه بأقل من سعر الكلفة. وبذلك ارتفعت الصادرات في عام ١٩٧٥ الى ٦٠٠ مليون دولار .

ملاحظات عامة

ولا بأس هنا من ان نقول بين معترضتين أن الطرقات جديدة وجيدة ومنسقة ومحددة الاتجاهات ونظيفة ولا يشاهد فيها اي عقب سيكارة او ورقة ملقاة على الارض في اي حي كبير او صغير . والعامل الكوري نشيط يهمه اتقان عمله فهو منصرف اليه ولا ينصرف عنه مهما تكن الظروف .

والسيد سيونغ بانغ بارك مدير شركة (كوم هو) المختصة بصناعة الاطارات رجل متميز وقد تعامل معه الدكتور راتب بشراء كمية كبيرة من اطاراته .

وقد استقبلنا نائب وزير الخارجية في بنـاء فخم قديم كان من القصور التقليدية، والاستقبال رسمي تقدمتنا فيه سيارة تصور وقائع الزيارة ، ثم دار الحديث واغرقني نائب الوزير بالاطراء فشكرا له على حسن ظنه .

ثم استقبلنا مدير مكتب التخطيط وارانـا شريط عـن النهضـة الكوريـة بـين ١٩٦١ ـ ١٩٦٧ وهي نتيجة خطة مرسومة ومقنعة .

وفي احد الفنادق السياحية الضخمة جدا والكائن وسط غابة خضراء أدخلونا الى غرفة واسعة جلسنا فيها لمشاهدة عروض من الرقص الكوري والشرقي والعربي وكنا اثني عشر رجلا من كبار الصناعيين مع زوجاتهم وانا وام راتبوراتب ، وحتىيؤنسونا احضروا فتاة تدرس اللغة العربية جلست تؤنس زوجتي .

وقد اتضح لنا ان التجار في كوريا الجنوبية على جانب عظيم من المقـدرة والذوق والتفهم ، وان اعضاء غرفة التجارة لا ينالون ايتعويض سوى واحد متفرغ ، وموازنة جمعية التجار تبلغ خمسـة وعشرين مليون دولار . واكثر أعضـاء جمعية التجار كانوا شغلوا مناصب عالية في الادارة ابتداء من رئيس الوزارة والوزير الىضابط فيالجيش، ولذلك فخبرتهم في الاقتصاد والسياسة والشؤون العسكرية كاملة وهم القادرون على توجيه دفـة السياسة في البلاد . وللجمعية مصرف خاص بها وصحيفة ولهـا فندق سياحي ممتاز وعندها مكتبة للمطالعة التجارية وكمبيوتر للاحصاءات وقالوا لنـا ان حجم التعامل مع سورية بلغ ٦٠٠ مليون دولار سنويا والتعامل مع السعودية يقـارب الفي مليـون دولار .

وقد ابلغني رئيس الجمعية تقدير رئيس جمهورية كوريا الجنوبية لشخصي خلال اجتماعه الدوري به وقال لهم يجب تكريمي وحسن استقبالي وضيافتي . وهـذا من بعد نظرهم في الأمور التجارية التي هي المحور في النهضة العامة في اي بلد . ومنالمفيد هنا أن اذكر ان المبادىء الثلاثة التي يقوم عليها عمل كوريا الجنوبية هي :

التنميـة ـ العـدالـة ـ الجـدارة

وهذه المبادىء بتطبيقها جعلت صادرات كوريا تبلغ هذا العام ثمانية مليارات دولار في حين لا يتجـاوز سكانها ٣٤ مليونا .

زيـارة شركة (كيـا) لصناعة السيارات وشركة الخيوط

وقد دعينا لزيارة هاتين الشركتين . ففي شركة الخيوط بدأت الاعمال برأسمال عشرين مليون دولار والمصنع ينتج الآن ما زنته ٥٢ طن من البوليستر و ١٠٠ طن من خيوط الفيبر وخمسة اطنان ونصف من خيوط الاستيت واضيف منذ ١٩٧٦ خط جديد لانتاج الفلتر اي مصافي التبغ فبلغ ١٤ طنا في العام وحصلت على وفر قدره عشرة ملايين دولار . يبلغ عدد العمال في المصنع ٢٩٥٠ يعملون في ثلاث ورديات في كل منها الف تقريبا ويسكن العمال قريبا من المصنع اما في ملك العمال او في منازل بنتها الشركة وتقدمها بأجر زهيد وكل البيوت حديثة ومستوفية شروط الصحة . ولما دخلنا المعمل راعنا الهدوء فكأنه يوم عطلة ولكن العمال كانوا يعملون في صمت وتهذيب كاملين ، ويبدو أن تلك طبيعة الكوري بشكل عام .

وما شاهدناه في معمل الخيوط شاهدناه في معمل كيا للسيارات ومعامل سام يونغ للاطارات وفهمنا أن هناك مصنعين لتجميع السيارات الاميركية من طراز فورد وشفروليه . وشاهدنا في مصنع كيا قسما ينتج الفونت لتصنيع المحركات . وينتج المصنع اربعة انواع من السيارات ولكن لا يسمح بتصديرها الا اذا بلغت مستوى الجودة العالمي والمزايا الاقتصادية كما في أحسن السيارات المصدرة من الدول الصناعية الكبرى .

اتفـاق اقتصـادي

وقد عقدت مع غرفة التجارة اتفاق تعاون اقتصادي عرضوه علينا ويتضمن المبادلات مع الشركات الكورية المصدرة المختلفة لسورية وعلى سبيل الترانزيت لبلاد غير سورية بالاضافة الى زيادة مشترياتنا من الاطارات .

وعرفت أن دخل الغرفة في حدود مليونين ونصف مليون دولار وعدد موظفيها الفان ودوامهم من التاسعة صباحا حتى السادسة مساء مع ساعة راحة ظهرا . ولدى الغرفة أملاك لمقرها وستجددها ، ومن الملاحظ ان أكثر رؤساء الغرفة من المتقدمين في السن الذين كانت لهم مراكز اخرى كما سبق الذكر .

مغتربون في كوريا

والتقينا في كوريا مع عدد من المغتربين منهم السيدان احسان وغسان البيطار ولدا السيد جودة البيطار وهما يعملان في كوريا منذ سنوات خمس وجنسيتهما اردنية . ولكن اصلهما من دمشق فأبوهما من باب السريجة وكان يعمل في تجارة الاقمشة في سوق مدحت باشا ثم نزح الى عمان واولاده الخمسة يعملون في ارجاء العالم . وقد قبلنا دعوتهما لتناول غداء دمشقي وذهبنا ونعمنا بهذه الصحبة الجميلة وبروح الجد والمثابرة لدى هؤلاء السوريين .

مسجد في سيئول

وقد راينا كيف أقام المسلمون في سيئول مسجدا في احدى الروابي المطلة على المدينة وله مئذنتان جميلتان وقبة كبيرة وفيه مكتبة تضم نفائس الكتب الدينية والعربية وفيه سدة للنساء . اجتمعنا بإمام المسجد الذي قال أنه اعتنق الاسلام في ١٩٥٤ وادى فريضة الحج فعرفنا ان عدد المسلمين ستة آلاف . وحكومة ليبيا هي التي تؤمن نفقات المسجد وهي مائتا دولار في كل شهر ، وكان معي خمسون دولارا فقدمتها للامام فقبلها بعد الحاحي الشديد . وهكذا ما يزال الاسلام الحنيف يقرع ابواب بلدان جديدة ويدخل اليها وتنداح وتتسع دعوة الله لتصل الى أقاصي أرض الله ويرتفع نداء الحق ان : الله اكبر .

انفاق المال على التنمية

واني بهذه المناسبة افهم قوله تعالى (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) بأنه لا يقتصر على اعطاء الفقراء وانما يشمل ايضا المشاريع الاقتصادية الصناعية والزراعية والتجارية التي تعود على الفرد والامة بالخير والرفاهية ، فالمشاريع الاقتصادية تكاد تمثل الصدقة الجارية التي تفيد المرء بعد انتقاله الى الدار الآخرة فابن آدم اذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث احداها صدقة جارية . . .

في وزارة التجارة الكورية ورئاسة مجلس الوزراء

ثم زرنا بصحبة رئيس الغرفة التجارية ونائبه وزارة التجارة فاستقبلنا كبار الموظفين عند الباب الخارجي ومعاون الوزير عند باب المصعد ، وجرت أحاديث عن النهضة الكورية والعلاقات مع سورية ودامت نحو نصف ساعة .

ثم ذهبنا فقابلنا رئيس مجلس الوزراء في مبنى يضم أيضا وزارة الخارجية وكان الاستقبال حافلا ومن مدخل خاص بكبار الزوار وانتقلنا خلال أربع غرف متعاقبة حتى وصلنا الى قاعة الرئيس وهي بهو واسع طوله عشرون مترا وعرضه عشرة . وقد استقبلنا بترحاب أنا وابني الدكتور راتب الذي تولى الترجمة وادارة الحديث بلباقة وأسلوب مرح وكان هناك سكرتيران يدونان الحديث ومصور تلفزيوني ومصور عادي . ودار الحديث حول انطباعاتنا عن الزيارة وقد أكدنا من جانبنا على الاعجاب بشعب استطاع بعد احتلال طويل أن ينهض ويتقدم ويحافظ في نفس الوقت على أصالته وتقاليده ، كما تحدثنا عن بلادنا ونهضتها التي يقودها الرئيس حافظ الأسد ورئيس وزرائه النشيط اللواء عبد الرحمن خليفاوي . وقال رئيس الوزارة الكورية ان على رجال الاقتصاد والاعمال تقع مسؤولية تنمية العلاقات الاقتصادية ، أما الحكومات فتتولى التنظيم السياسي . وقد دامت المقابلة خمسا وثلاثين دقيقة وودعنا الرئيس حتى باب غرفة أمين السر .

حفلة غداء عجيبة

ثم دعينا في الفندق الى حفلة طعام على الاسلوب الكوري ، فخلعنا أحذيتنا واستعضنا عنها بنوع من الخف المنزلي حتى وصلنا الى غرفة خلعنا أيضا أمامها وسرنا حفاة على أرض خشبية فيها تزيينات تذكر بالماضي الكوري . وأقبلت علينا فتاتان باللباس الكوري الطويل وقدمتا لنا أكوابا من عصير البرتقال ، ثم جلسنا فوق وسائد على الارض وشربنا الضيافة ، فلما انتهت نصبت أمامنا مائدة خشبية واطئة ووضعت عليها أصناف طعام كورية وسلمونا قضيبين من الخشب لتناول الطعام بهما على طريقة القوم ، وجلست الفتاتان أمامنا تلقماننا الطعام بابتسامات حلوة وأدب جم ثم قدموا لنا الشاي والفاكهة فكانتا تقشران الفاكهة وتضعانها في أفواهنا . وهي

عادات لم أر مثيلا لهـا في اي مكان في العالم ، ويا سلام ! . .

وفي احدى الامسيات جاء شخص مع ولدي الدكتور راتب وقـدم لزوجتي هدية خاتما ثمينا مرسلا من الشركة التي يتعامل معها راتب فشكرناه وغادرنا مودعا بالمودة.

توزيـع العمـل بـين الانتـاج والتصدير

ولاحظنا ان الشركات المنتجة لا تقوم بعملية التسويق والتصدير بالنسبةللمنتجات الكورية وانمـا تعهـد بذلـك الى شركات اخرى فالشركات المنتجـة تتفرغ للتجويد وتحسين النوع والتي تتولى التسويق تقوم بالباقي والحكومة تقدم التسهيلات مـن أرض وهـاتف وتلكس .

انتهـاء الـزيـارة

وفي ١٩٧٦/١١/٢ كان علينا أن نغادر الارض الكورية ، وبعد صلاة الفجر وآيـات من الذكر الحكيم وبعض الادعية ـ كعادتي التي نشأت عليها ـ جاء المودعون من كبـار مسؤولي الغرفة التجارية وجمعية الصداقة فقدموا لنا شعار كوريا وقد حفرت عليه عبارات عن ذكرى الزيارة وعددا من الصحف التي أشارت الى زيارتنا وتتبعت أنباءها وصورت مقابلاتنا وكان عدد المودعين كبيرا وهذا يدل على اهتمام القوم بهذه العلاقات كما سبق القول . وبعد تناول القهوة والشاي شكرناهم بحرارة ودعوناهم الى زيـارة سورية والتقطت صور تذكارية ثم مضينا برفقتهم الى المطار الذي تمت فيه معامـلات سفرنـا على يد المضيفين الكرماء وغادرنا البلاد قاصدين اليابان .

(طوكيـو) قصة البلد الذي حاز السبق في الصناعة والانتاج

بعدمئةدقيقةكانت الطائرة التي اقلتنا من سيئول تحط في طوكيو ، وكنا قد حجزنا اماكننا في وقت مسبق لصعوبة ذلك . وقد سلكنا من المطار الى فنـدق (امبريـال) طريقا معلقا فوق أكثر من ثلاثة طرق ، وفكرة الطريق المعلقة فكرة رائعة تحل مشكلات التقـاطع والسـير المزدحـم .

وبادرنا قبل كل شيء الى أخذ اماكن في جولة سياحية للاطلاع على معالم المدينـة وهي تدوم ست ساعات وتكلف ما يعادل مائة ليرة عن كل شخص . وكان أول ما زرناه

قبر الامبراطور الكبير ـ جد الامبراطور الحالي ـ وهو في حديقة القصر الامبراطوري الجميلة الملأى بالاشجار الرائعة ، وربما كانت مساحتها تزيد على الف دونم ، وفي وسطها ساحات ومطعم ومحلات تجارية تعرض كل ما يريده السواح . لا تعجبوا من ذلك فهنا يستفاد من كل شيء حتى الضريح المقصود . وكان اليابانيون يصلون وكاهنهم مثلهم ، ولم نفهم شيئا بالطبع .

وقد لفت نظرنا وجود الطرق الطابقية وبعضها يتكون من أربعة طرق يعلو بعضها بعضا كما ترى جسورا معلقة للتقاطع . والاشارات التي تنظم المرور كثيرة وان المرء ليتساءل : متى اتيح لهؤلاء الناس أن يقوموا بكل ذلك ؟ وغمرني الحزن حين تذكرت مائة متر من شارع الثورة عند مدخل سوق الهال القديم حيث تتراكم الاوحال ويتكدس الباعة بلا نظام فبائع اللبن والجبن الى جانبه بائع الجوز ثم بائع المقشات والى جانبهم باعة الخضار والفواكه وأشتال الورد وغيرهم وغيرهم ، وكلهم يبسط بضاعته على الارض دون مراعاة أي نظام ويحتلون الارصفة ويعرقلون السير في الشوارع ناهيك عن شراستهم وصياحهم وأشكالهم الغريبة . ففي غمرة اكباري وتقديري للحضارة والتقدم في اليابان والحزن على أوضاعنا القائمة تمنيت ان يأتي ذلك اليوم الذي نبني فيه بلدنا وننظم امورنا حتى تكون بلادنا في الحقيقة لا في الكلام شامة على خد الزمن وتعود اليها امجادها وسمعتها الحسنة .

بل اقول بكل مرارة واسى ان رحلاتي وما رايته جعلتني لا اميل الى الرحلات لما يعتريني في كل رحلة من الحزن على بلدي والخجل من كثير من أوضاعه .

معالم سياحية وحضارية

بعد زيارة قبر الامبراطور ذهبنا الى مطعم في احدى الحدائق السياحية الجميلة الكبرى المنسقة أجمل تنسيق ، وفيه ملاعب ومسبح وموائد أمام كل منها موقد لشي اللحم وتناولنا فيه الغداء . ثم زرنا مسرحا فيه عروض شيقة فقضينا في ذلك ساعة تجولنا بعدها في أسواق المكان ، لأن الاسواق موجودة في كل مكان . ومن الجدير بالذكر أن دليلنا كان يحمل علما مميزا وكل منا يحمل شارة ليجد بعضنا بعضا حين ننزل من السيارات ثم نعود اليها وتكون الرحلة في أعلى درجات التنظيم .

ولما عدنا الى فندقنا تجولنا من جديد في الاسواق التي في الطابق الارضي منه فرأينا ما أذهلنا بالاسعار العالية . فمثلا قداحة باثني دولار ، وساعة بعشرة آلاف دولار . من ترى يشتريها هذه الغوالي ؟ لا شك أنهم السائحون القادمون من جزيرتنا العربية والخليج حيث الاموال الطائلة .

وخلال الزيارة دارت في رأسي خواطر سجلتها وها أنا أقدم خلاصة عن اهمها : فأولا ناديت وما زلت بالتنسيق الصناعي بين البلاد العربية لتتكامل وتعود بالخير والنفع على الجميع . والشيء الثاني انه لا ينجح ويتطور الا المشروع الكبير فيجب القضاء على تفتيت المشاريع وعدم بعثرة الجهود . والامر الثالث : كيف سمح بالبناء العشوائي على سفوح قاسيون بلا اذن ولا تنظيم ولا مخطط تبدو فيه روح العصر والمستقبل . فاليابانيون يخططون لربع قرن على الاقل ونحن لا ننظر لأبعد من أنوفنا . .

وهنا تركنا طوكيو ولم يكن لنا فيها سوى غرض السياحة والاطلاع السريع ومضينا الى هونغ كونغ .

هونغ كونغ

في ٤ كانون الاول اقلعت بنا الطائرة من مطار طوكيو وكان الصباح رائعا ورأينا في طريقنا الى المطار أرتال السيارات تعبر الطرق بأعداد هائلة ولكن بسير منظم انسيابي . وفي المطار كانت الطائرات الضخمة التي يحمل بعضها سبعمائة راكب تهبط وتقلع طول النهار وليس عليها مكان فارغ واحد . ولم تفتح حقائبنا لانها فحصت بأجهزة الكترونية كما لم تنقل بالايدي بل بالآلات .

وصلنا أول الامر الى فورموزا حيث استرحنا خمس ساعات ـ بعد طيران ساعتين ونصف ـ ومن فورموزا الى هونغ كونغ قفزة واحدة .

ان هونغ كونغ جزيرة تتصل بالبر الصيني بنفق تحت الماء وقطعة صغيرة جدا من الارض اليابسة تسمى (كاوو) ، ولكنها من اكبر مراكز الصناعة والتجارة في العالم . والانتقال من هونغ كونغ الى البر يتم عن طريق النفق بالسيارة أو بالسفن الصغيرة وأجرة الراكب لا تزيد على ما يعادل ثلاثين قرشا سوريا بعملة تلك الايام .

أبدا فأقول أن السيد فهد بغدادي نجل صديقنا السيد صياح البغدادي يقيم في هونغ كونغ وله فيها محل تجاري وزوجته دمشقية بنت السيد عربي سكر . سمعته جيدة الى حد أن الحكومة الاردنية كلفته بأن يكون قنصلا فخريا لها هنا . وقد اتصلنا به من الفندق وزرناه في محله والتقينا عنده بالسيد محمد خير القباني خال زوجته . ان لقاء أبناء الوطن في هذه الاقاصي حادث مسعد ، وقد سرّنا كذلك أن التقينا بمواطننا السيد بشير غنمة ، وقد قبلنا دعوة السيد فهد للعشاء في داره الواقعة على جبل يعلو ٣٠٠ متر عن سطح البحر في منطقة سكنية فخمة منظمة أجمل تنظيم . فذهبت أفكاري مجددا الى جبل قاسيون الذي كان يمكن أن يكون مكانا من أرقى وأجمل أمكنة الدنيا بمناظره لو . . . .

دار مضيفنا مفروشة بأناقة ، وزوجته صاحبة ذوق رفيع ، وكان يصحبنا على العشاء السيد غنمة وشاب عراقي أرمني يعمل في شركة تأمين في أندونيسيا ، وكانت المائدة دمشقية من الطراز الرفيع وتصوروا في هونغ كونغ مائدة عليها الكبب والمتبل وفتة المكدوس والمخلل والارز بالدجاج والسبانخ واليبرق وغير ذلك مما نسيته للوفرة والكثرة ما شاء الله ، وبعد ذلك حلويات شامية وفواكه من كل الاصناف . اقبلنا على الطعام بشهية وقد احسسنا بجو حي الميدان يحيط بنا وهو الحي العريق الذيانجبمضيفنا السيد فهد البغدادي ، وودعناه شاكرين وداعين له بدوامالتوفيق. اننا نعتز بأبناء وطننا الحبيب وما سجلوه من نجاح خارج بلادهم فهنيئا للاخ ابي فهد بما انجب ولأمثاله من الآباء الذي يحسنون التربية ، وجعلت أردد في هذا الصدد أبيانا لحافظ ابراهيم عن السوريين :

ما عابهم أنهم في الارض قد نثروا فالشهب منثورة مذ كانت الشهب
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرة ركبا صاعدا ركبوا
أو قيل في الشمس للراجين منتجع مدّوا لها سببا في الجو وانتدبوا

ميناء هونغ كونغ

في مدينة العمل والانتاج هذه مصانع كثيرة ، وهي فوق ذلك مركز لتصريفالانتاج الصيني الضخم حيث تدخل الميناء في كل يوم مائة وعشرون باخرة تعبأ وتفرغ بسرعة

وهذا شيء جوهري فالسفن اذا لم تفرغ وتشحن بسرعة كلفت مبالغ هائلة ويدفع صاحب البضاعة كما لو كانت السفينة تمخر في البحر ولذلك قد تتصاعد قيمة البضاعة وهي في الميناء اذا لم تنزل بسرعة وضمن المدة المحددة . وهذا ما يقع أحيانا لدينا في مرفأ اللاذقية . ومن المؤسف أننا دفعنا في العام الماضي اربعة ملايين ليرة سورية نتيجة تأخر العمال في انزال البضائع فهل يدركون مدى الخسارة التي تلحق باقتصادنا والمبالغ التي نضيعها وكان يمكن أن يبنى بها البلد ؟ ! . .

الى بانكوك وتايلاند

كنا نود أن نذهب الى كولومبو لأن راتب يتصل هناك بتجار العدس ويمكن أن يعقد صفقات تجارية مفيدة عن طريق العدس السوري ولصالح الاقتصاد الوطني ، ولكننا لم نتمكن من تنظيم ذلك فاتجهنا من هونغ كونغ الى بانكوك .

في العاصمة التايلاندية نزلنا في فندق الحياة وهو خمسة عشر طابقا فيها ٦٥٠ غرفة وفيه طابقان للسواح فيهما كل ما يرغب فيه الانسان . وقد بدأنا كالعادة بجولة سياحية للاطلاع على معالم المدينة بسيارات حديثة مكيفة يشرف عليها ادلاء مهرة . ان بانكوك فيها كل الخدمات السياحية الراقية وكنت قد ذكرت مرارا أهمية القطاع السياحي عندنا لان دخل السياحة صار كبيرا ويضم ارباح الفنادق والمطاعم وتشغيل اليد العاملة وحركة البناء والتعمير والدخول الى البلاد والخروج منها ، ومما يسر الخاطر أن جهودا بدأت في هذا الاتجاه لبناء العديد من الفنادق السياحية .

اقتصاد تايلاند

في تايلاند يعتمدون على الزراعة المروية بالدرجة الاولى فعندهم نهر يعادل نهر الفرات تقريبا وقد استغل للري ، والحاصلات الزراعية تشكل ثمانين بالمئة من الدخل الكلي وينتجون الفاكهة والارز والمنكا وجوز الهند وانتاجهم من الارز يقدر بأحد عشر مليون طن يصدر منه أربعة ملايين طن . كما أنهم يربون التماسيح ليحصلوا على جلودها الغالية ويستخرجون سم الافاعي الذي يدخل في صناعة العقاقير الطبية . والارض في تايلاند يملكها الاغنياء وأكثر الفلاحين يعملون بأجر بسيط ويسكنون بيوتا لا تتوفر فيها

الشروط الصحية . ومن الجدير بالذكر أن الامطار غزيرة هناك ويصل معدلها الى ١٨٠٠ ملمتر سنويا، وموسم الحصاد يقع عندهم في شهري كانون الاول وكانون الثاني. ان الاستعمار البريطاني هو الذي نشط الاقطاع وأوجد التفاوت الطبقي بين السكان . ولكن تايلاند الغنية بالزراعة تحتاج الى صناعة تبني عليها اقتصادها كما فعلت كوريا.

البوذيون والمسلمون في تايلاند

ويقدر عدد سكان تايلاند باثنين واربعين مليون نسمة معظمهم بوذيون وفيهم ٣٪ مسلمون أي يفوق عددهم المليون وربع مسلم ولهم مدارسهم الخاصة . ومن الجدير بالذكر أن البوذية منتشرة في بلاد الشرق الاقصى ولكن تختلف اشكالها من بلد الى بلد كما هو الحال في اليابان وكوريا وفيتنام وغيرها .

وقد مررنا بمعبد بوذي قديم قيل لنا أنه يضم تمثالا من الذهب الخالص وزنه خمسة أطنان وقيل أن مصلحة الآثار عثرت على تمثال من ذهب طوله متر ونصف ولكنها لم تعلن عن وزنه .

حديقة في بانكوك

وفي بانكوك حديقة مساحتها اثنان وخمسون فدانا تملكها شركة خاصة والبلدية لها حصص منها وهي جميلة التنسيق وفيها مسرح يتسع لألفي مشاهد ويقدم الرقص الشعبي التقليدي ونواحي الحياة كما تقدم عليه العاب الملاكمة والسيف . كما توجد فيها نماذج من البيوت الريفية المصنوعة من القش واماكن تعرض فيها الاسماك والثعابين والفيلة التي يركبها السواح لقاء أجر .

رضي الله على ولدي راتب لانه هيأ لي هذه الزيارة واصر عليها رغم انني كنت اقترحت الغاءها ما دام لا عمل لنا فيها . فهذه فرصة لا تفوت ومع انه هو الذي يتعب في ترتيب كل الامور التنظيمية التي تستغرق كل الوقت ، ويفعل ذلك والابتسامة لا تفارق شفتيه وكان من حظنا أن رافقنا نحن والديه في هذه الرحلة الطويلة .

الى بومباي في الهند

ومن بانكوك انتقلنا الى بومباي في الهند وسكانها نحو ثمانية ملايين . احياؤها الجديدة تشبه الاحياء الاوربية أما المدينة القديمة فمتأخرة تعيش في أجواء الفوضى

والفقر والحرمان ، وشاهدنا عائلات تفترش الارض وتلتحف السماء . وكانت اقامتنا قصيرة قابل راتب خلالها بعض عملائه من التجار وقمنا بجولة صغيرة فيها ولم تطل بنا الاقامة .

كراتشي

ومن بومباي انتقلنا الى كراتشي ، وقد التقينا بابن اخينا السيد فائز الشلاح في مطار بومباي وسافرنا معا فنزلنا نحن وتابع هو الى الكويت . وكان نزولنا لأن الطائرة التي نحن عليها اصابها عطل فاضطرت للتأخر وفي قاعة الانتظار تعرفنا الى الشيخ علي النعيمي النجل الاكبر لشيخ امارة عجمان وتبادلنا معه الاحاديث عن دراسة أولاده وأولادنا في بلاد الغرب ، كما تعرفنا الى السيد خلدون الرملي وسألناه عن عمه الاستاذ فؤاد الرملي القاضي والمحامي المعروف في دمشق ، وكان من الامور الطريفة أن معرفتنا بالسيد خلدون في هذه المناسبة جعلته يخطب ابنتنا رمزية ويتزوجها ويعيشان معا الآن بسعادة وفقهما الله .

ومن كراتشي عدنا الى دمشق والعود أحمد ، والحمد لله رب العالمين الذي وفقنا الى كل هذه المشاهدات .

* * *

الرحلة السادسة

أيلول ١٩٧٧ ــ الى أميركا من جديد

كانت المناسبة هذه المرة دعوة من شركة عالية الاردنية للطيران لمناسبة افتتاح خط الطيران المشترك بين سورية والاردن الى نيويورك بأميركا غير أن رئيس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفاوي لم يوافق على سفر الوفد وعدده ١٠ وكلفة سفره مبالغ كبيرة وبما ان سفري ليس على نفقة الحكومة فقد قبلت الدعوة وباقي الوفد كان من القطر الاردني برئاسةوزير النقل ومحمد علي خيري رئيس اتحاد الغرف الاردنية وغيرهم . وكنت الوحيد الذي قبل الدعوة من سورية ممثلا للقطاع التجاري .

انطلقت الطائرة الجامبو من عمان في ١٢ أيلول ١٩٧٧ وحطت في أمستردام في هولانده بعد أربع ساعات ونصف ، ومنها انطلقنا الى نيويورك حيث استقبلنا موظفو الشركة وانهوا المعاملات الامنية والجمركية في بضع دقائق وهو أمر لا يصدق بالنسبة الى جميع مطارات العالم . وبعد اقامة بضعة أيام في نيويورك انتقلنا الى واشنطن ثم منها الى نيويورك فالعودة الى الوطن .

وقد سافرنا من نيويورك الى واشنطن بالقطار وعدنا بالطائرة .

مشاهدات وانطباعات

في نيويورك التي يتضاعف سكانها نهارا بمن يفدون اليها ويصبحون أربعة عشر مليونا ، زرنا حيا عربيا محلاته يديرها عرب ويبيعون فيها أصنافا عربية وتحمل لافتاتهم الاسماء العربية ، فشعرنا بأننا في قطعة من بلادنا من حيث نوعية المواد ومنها القمر الدين .

ولدى زيارة قصر الامم المتحدة شاهدت هذه المرة قاعة الهدايا المقدمة الى المنظمة من انحاء العالم ، فمنها جرس قدمته اليابان ويدق مرة واحدة في العام يوم ٢٠ آذار الذي اعتبرته اليابان يوم السلام وقد صنع من قطع العملة الفضية اليابانية التي تبرع بها الاطفال اليابانيون . وهناك هدية أثرية من سورية ومن بلاد أخرى .

حفلات على شرف الوفد

وقد أقام السيد سفير الاردن في الولايات المتحدة حفلة عشاء في داره لاعضاء الوفد كانت آية في الكرم والاناقة واجتمعنا لديه بالسيد محمد البغال السكرتير بغرفة التجارة العربية الاميركية والسيد عمر بن السيد عبد المنعم الرفاعي رئيس الوزراء الاردني الاسبق وكنت اجتمعت به في طهران يوم كان سفيرا لدولته لدى حكومة الشاه وكنت انا في زيارة لشراء السجاد العجمي للمسجد الاموي . وقد أقام لنا السيد الرفاعي حفلة اخرى كريمة دعا اليها بعض أخواله من عائلة القدسي لأن جده لأمه السيد بهاء القدسي كان موظفا في بلدية دمشق ، وجد أمه صالح القدسي كان جارنا في السنجقدار . ولذلك فنحن من المعارف القدامى وبمثابة الاهل .

الاغنياء يفضلون سكنى الارياف

وكان مما لاحظناه في هذه الزيارة أن الاغنياء يفضلون السكنى في الارياف لأن الجو النقي والهدوء يتوفران فيها . والسيد (اويس) الذي أقام لنا مادبة جعلنا ننتقل بالسيارة خمسين كيلو مترا لنصل الى دارته ، وهو متعهد الطعام لشركة عاليه ولأربعين شركة طيران اميركية . وكان التنظيم في هذه المادبة غاية في الروعة .

صيانة الطائرات

وكان مما شاهدناه في هذه الرحلة ورشات بالغة الاتساع والضخامة تستقبل الطائرات فتفحصها بدقة وتصلحها وتعيد تعميرها عند الاقتضاء ، وهذه الورشات مزودة بكل المعدات والاجهزة . هذا وكل طائرة تطير ثمانية عشر شهرا لا بد لها من دخول العنبر حتى تقوم ورشة الصيانة والتعمير باعادة النظر بأجهزتها جميعا وتبديل كل ما تقادم او اشتبه بعدم صلاحيته ثم تدهن وتعاد الى الخدمة من جديد ، وكل ذلك حرصا على سلامة الركاب والملاحين . كما ادخلونا الى غرف يجري فيها تعليم قيادة الطائرات على الارض كما لو كانت في الجو فعلا باشراف خبراء كبار ومدربين في غاية العلم والاطلاع . وكل هذا من معجزات العقل البشري في مجالات الاختراع والصناعة والعناية براحة الانسان .

لقاء مع أسرة التجارة العربية الاميركية

في مطعم زامانور الذي يقع في الطابق السابع بعد المئة من احدى ناطحات السحاب في نيويورك . كان لنا لقاء مع أسرة غرفة التجارة العربية الاميركية حيث دعت الاسرة أعضاء الوفد السوري الاردني الى حفلة عشاء وكان في استقبالنا رئيس الغرفة المستر اورانس وزوجته وأمين سرها السيد محمد البقال وزوجته وعدد كبير من المدعوين بينهم السيد موفق العلاف مندوبنا الدائم في الامم المتحدة .

رحبوا بنا وأسبغوا عليّ شخصيا ثناء خاصا على أعمالي وادارتي لمؤتمر دمشق لاتحاد الغرف الاجنبية والعربية وكان فيه ٥٠٠ عضو وذكروا حفلتنا في العدمل وكانت من أجمل الحفلات ، ثم بعد الطعام ألقيت كلمات أخرى .

قطار نيويورك ـ واشنطن

ولا بد هنا من أن أذكر القطار الذي يصل نيويورك بواشنطن فالمحطة منتظمة والحركة فيها تنساب بدقة بلا زحام وكل مسافر يعرف طريقه ويتصرف بلباقة وأدب ، أما عربات القطار فهي فخمة ولها كراسي متحركة لتأمين الراحة وأمام كل منها طاولة متحركة . وحين ذهبت الى مقدمة القطار شاهدت غرفة السائق المجهزة بلوحة الكترونية تسهل التحكم بحركة القطار وتخبره عن كل عطل محتمل وللقطار اجهزة دفع احتياطية . والطعام في القطار شهي وموفور الكمية . قضينا في القطار ثلاث ساعات ننظر الى المناظر الجميلة من جبال وبحيرات ومزارع خضراء حتى قطعنا المسافة وهي ٢٢٥ ميلا توقف القطار فيها أربع مرات في أربع محطات ، ووصلنا دون ان نشعر بتعب أو بمضي الوقت .

واذكر هنا الاخ ابراهيم بهلوان وهو عربي فلسطيني من القدس كان يغسل السيارات في القدس ثم هاجر الى اميركا وصار فيها يملك اسطولا من سيارات الاجرة وهو الذي تعهد رحلتنا .

كما أذكر دارا أثرية تدل على الحياة القديمة في أميركا وفيها عند الباب فتاتان ، تمثالان ، تغزلان الصوف والغرفة بسيطة ومساحة البيت كله لا تزيد على ٤٠ مترا وفيه صندوق خشبي للثياب مثل صناديقنا القديمة وقد حافظ الاميركيون على هذه الدار ليطلع الجيل الجديد على حياة أجداده ، وحبذا لو فعلنا عندنا مثل هذا .

دار جون كندي

ومررنا امام دار جون كندي رئيس الولايات المتحدة الذي اغتيل في وضح النهار ولم يظهر حتى الآن من هو قاتله الحقيقي ، والدار مكونة من ثلاثة طوابق كان يقطنها منذ كان نائبا وقد بيعت بعد وفاته بستين الف دولار ثم بيعت ثانية بمئة وخمسة وثلاثين الف دولار وقد تباع في المستقبل بملايين الدولارات .

الخير والبركة

وفي اثناء هذه الزيارة قال وزير النقل الاردني والسيد محمود الشريف صاحب جريدة الدستور الاردنية أن وجودنا أنا والاخ أبو عصام بدير مع الوفد خير وبركة وضروري في هذه الرحلات ، فشكرناهما ، واتممنا هذه الزيارة الموفقة بزيارة لمعرض الفضاء والطائرات فمنذ الباب يدفع الانسان ثمن تذكرته لآلة تفتح له الباب وتعطيه رقم الموقف الذي يضع فيه سيارته . وفي المعرض شاهدنا الطائرات منذ بداية عهدها فمن طيارة هوائية صنعت عام ١٨٧٠ الى أول طائرة بمحرك ١٩٠٣ حتى البوينغ ٧٤٧ الحالية . كما شاهدنا نماذج من الصواريخ والاقمار الصناعية بمختلف الاحجام والانواع ، وفي صالة تتسع لالف متفرج عرض فيلم وثائقي عن مراحل صناعة الطيران وكان يخيل للمشاهدين انهم يركبون ويتعرضون للاخطار اما أنا فكنت اغمض عيني في بعض المناظر المرعبة . وقد تناولنا الغداء بدعوة من شركة بوينغ وقدمت هدية الى زوجات مدير الشركة ونائبيه هي طقوم طاولة اغباني دمشقية فكان هذا من ملامح الخير والبركة وعلى مقدار الامكان .

دعوة مغترب حلبي

ثم دعانا الى العشاء السيد نجيب الحلبي وهو مغترب لبناني أصله من حلب ، وكان صديق الرئيس نيكسون وهو صديق الرئيس كارتر وقد شغل منصب وزير الطيران . انه رجل يفتخر بأصله وكانت مائدته عربية حافلة بالمآكل السورية واللبنانية. وكذلك قدمت له هدايا من صنع الشام سرّ بها لانها تذكره بموطنه .

طبيب سوري ومغترب اردني

والتقينا بالسيد سالم الهبل من دمشق وهو يتخصص بجراحة القلب منذ ثماني سنوات . هنا يدفعون له مرتبا سنويا قدره اثنان وعشرون الف دولار عدا الدار ويعمل خمسة عشر يوما كل شهر ، متزوج وله ابن عمره اربع سنوات ، سألناه هل سيعود فاجاب انه سيبقى لانه لن يستطيع ممارسة اختصاصه في سورية .

وقد جرى الحديث على مائدة عشاء في مطعم ايطالي شهير يحجزون محلات فيه قبل ايام وقد يصل دخله اليومي الى مائة ألف دولار لان المطعم تحفة من التحف النادرة في العالم بحدائقه وتزييناته وطعامه. وقد دعانا اليه السيد دياب السمان وهو أردني ولكن من الدمشقيين أصلا بصحبة عدد من الاخوان . وكان السيد دياب قد أقام في الزرقاء في الاردن ثم هاجر الى الولايات المتحدة وعمل في تجارة الراديوات والآن هو موفق جدا في عمله وحياته .

وجرت مقابلة صحفية مع أفراد الوفد قبل سفرهم دامت نحو ساعتين .

عاد بخفي حنين

ومن الطرائف أن أحد العرب هناك دعانا الى جولة في بعض المحلات التجارية فوجدنا أسعارا كاوية جدا لا يطيقها الجيب واقل الاثمان ثلاثون ألف دولار ومنها شطرنج ثمنه اثنان وعشرون ألف دولار . ولكن تجولنا ولم نشتر شيئا ثم اتضح أن من دعانا كان يأمل في قبض عمولة على مشترياتنا ولكنه عاد بخفي حنين .

هل سمعتم بحنين ؟ انه اسكاف سمع بسفر أحد التجار فمضى قبله ووضع فردة من خفه الجديد على الطريق . مر بها التاجر ولم يأخذها فماذا يفعل بها ؟ بعد قليل وجد الفردة الثانية فاوقف بغلته وإبله بما عليها وعاد ليأخذ الاولى فقفز حنين وساق البغلة وما معها من الابل ، اما التاجر الطماع فعاد بخفي حنين ! ..

الرحلة السابعة

الى الدول الاشتراكية ـ أيلول ١٩٧٧

بدات الرحلة في ١٩٧٧/٩/٢٨ بعد عودتي من رحلة الولايات المتحدة بأيام معدودات وذلك ضمن وفد اتحاد الغرف العربية ، وكانت مدة الرحلة عشرة ايام والسفر فيها كثيرا فلم آخذ أم راتب معي تجنبا لاتعابها .

كان الوفد السوري يضم السيد محمد الوزان رئيس غرفة تجارة اللاذقية والسيد يوسف الاخوان رئيس غرفة حمص وكاتب هذه السطور وقد ودعني كثير من ابنائي والاقارب فكانت مظاهر لطيفة تدل على الرضا والمحبة . ومضينا على طائرة بوينغ ٧٢٧ وبعد ساعات حطت بنا الطائرة في براغ . ثم نقلتنا طائرة فرنسية الى بودابست حيث اجتمعنا بقادة المنظمات التجارية وسادت المحادثات روح الود ، وكان يحز في نفوسنا قلة ما يمكن أن نصدره الى بلادهم وكثرة ما عندهم ليصدروه .

بودابست

تتألف هذه المدينة الكبيرة من قسمين (بودا) وتعني المرتفع و (بست) وتعني السهل . وهي كذلك تتألف من هضاب مرتفعة وسهل . واسعة ، يشقها الدانوب الكبير ، مبانيها كبيرة فخمة رائعة التزيين وتدل على العراقة . قمنا بجولة قصيرة فيها سيرا على الاقدام فاستطعنا أن نرى حياة الناس وتصرفهم . وكان في المدينة دمار كبير تركته الحرب ولكن يد الشعب رممته وأعادت بناءه .

في بودابست رحب بنا وزير التجارة وشرح لنا رغبة بلاده في العلاقات التجارية الوثيقة معنا ، ثم تركناه بعد ساعة لنلتقي مدير المصرف المركزي لمدة ساعة أيضا للبحث في الامور المصرفية وتحويل العملات ، وقد تولى الحديث عنا السيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت لخبرته في هذه الامور .

وفي اجتماع الوفد بغرفة التجارة كلفوني بالقاء كلمة الوفد فشكرت مضيفنا على البيانات الواضحة التي قدموها لنا وامتدحت نشاط الشعب وهمته العالية وأعربت عن الامنيات بتوطيد التعاون في مختلف المجالات الاقتصادية والتجارية وايدت الشيخ

الصقر فيما يتعلق بانشاء العلاقات المصرفية مع هنغاريا واعربت عن أملي في أن تكون هنغاريا في طليعة المتعاملين مع العالم العربي .

ولكن بيني وبينكم كنت أسائل نفسي ماذا نصدر لهم ؟ لقد كانت بلادنا تصدر سنويا ما يقرب من الف طن من الجوز الى انكلترا ومصر فأصبح انتاجنا السنوي لا يكفي الاستهلاك المحلي . وكانت سورية تصدر التفاح والزبدة والبيض والاجبان الى فلسطين ، فصرنا نستورد هذه الاصناف من لبنان وبلجيكا وهولاندا ورومانيا والصين. وكان أبناء الشعب يتسابقون فيما مضى لتأسيس الشركات المساهمة فتبيع النساء حليهن ويشترين أسهما في الشركات الصناعية والتجارية والزراعية المنتجة ، أما الآن فقد تحول الاكثرون الى الاستهلاك الشره وتركوا الانتاج الزراعي والمهن الحرة التي كانت تدر على وطننا الخير الكثير . . فهل نشمر عن ساعد الجد ونعود الى الانتاج ؟

وقد التقينا في بودابست ببعض السوريين من موظفي السفارة والطلبة وسررنا بهم . ثم لاحظنا التشدد في المعاملة في مطار بودابست في معاملات الدخول والخروج حتى لاسباب تافهة فقد كادوا يمنعوننا من صعود الطائرة لأن النسخة الثانية من تأشيرات دخول الوفد ناقصة لدى أحد أعضاء الوفد الليبي اذ تركها في حقيبته مع حوائجه وصارت في عنبر الطائرة وانتظرنا حتى اخرجت الحقيبة واستخرجت منها الورقة وسلمت اليهم وهذا من عيوب التعامل مع الناس التي لم نجدها في البلاد الاخرى .

في براغ

ثم وصلنا الى براغ وفيها عدت فالتقيت بولدي الدكتور راتب . ما كان في أول السفرة معي بجسمه ولكن كان معي بعنايته ونصائحه اذ أوصاني في السفر أن اتناول الحساء والسوائل والحليب البارد كلما أمكن لي ، فكان هذا يساعد على انتظام هضمي في كل الاحوال . الله يرضى عليك يا راتب ويسعدك ويعطيك حتى يرضيك ، علما نافعا ونورا ساطعا ورزقا واسعا وايمانا قويا وشفاء من كل داء ، ويجعل كلامك لا يرتد ومالك لا ينعد ويجعلك سكرة في فم العباد أنت واشقاءك وأولاد عمك وجميع ابناء المسلمين آمين . . فقد جاء راتب الى فندقنا ومعه صهرنا السيد محمد السيروان فسررت كثيرا .

وقد واجهتنا في مطار براغ صعوبة اخرى تتعلق بتأشيرة وفد الامارات ثم ذللها من استقبلونا . وعرفنا أن هناك مشاكل حول صرف الدولار اذ على كل واحد ان يصرف بالسعر الرسمي عشرة دولارات عن كل يوم اقامة ولكن لكوننا وفدا رسميا اعفينا من هذا الصرف . وقد لاحظنا هنا الالحاح على الدولار للحصول عليه كأنما القوم لا يتعاملون الا به كما لفت نظرنا تجار العملة المهربة حول الفنادق التي يرتادها الاجانب .

مقابلاتنا

زرنا اولا وكيل وزير التجارة الخارجية وعرفنا منه انهم يريدون زيادة حجم صادراتهم من أجل ان يستوردوا لقاءها ما يحتاجه ابناء الشعب . وهذا عينه ما نريده ونحن ايضا اقتصادنا مرتبط بسياستنا . ولاحظنا على كل حال أن الفلاح التشيكي والفلاح الهنغاري يتحركان بحرية أكثر من سواهما في الدول الشيوعية الاخرى ودخلهما أفضل من بقية السكان .

ولما رايت الكثيرين من مرافقينا يتحدثون العربية سألتهم عن ذلك فقالوا انهم يتعلمونها في الجامعة بشكل جيد .

وقد زرنا الحمامات المعدنية التي اشتهرت بها تشيكوسلوفاكيا وهي في عين منطقة حمامات بادن بادن الالمانية .

ومن المفيد ان نذكر اننا لم نشاهد شرطة مرور في براغ لان الشعب يعرف كيف يتصرف ويحترم القواعد ، واذا وجد شرطي ورأى مخالفة يناقش فيها صاحب العلاقة وقد يقتنع منه او يدفع غرامة . وفي تشيكوسلوفاكيا يتشددون جدا في معاقبة من يسوق السيارة وهو شارب اي مقدار من الخمرة او الكحول .

والاسعار رخيصة جدا بالنسبة لمن يصرف الدولار بسعره الحقيقي .

ولكننا لاحظنا بأسف ان الرشوة تعمل عملها ولا سيما في تأمين الاماكن في الفنادق لمن لم يحجزوا مسبقا وهذه نقطةاجمع عليها زوار هذا البلد ، فبالاكراميةوالبخشيش تحصل على ما تريد .

وقد امضينا وقتا جيدا في تشيكوسلوفاكيا واستمتعنا برحلة سياحية فاخرة اضافة الى ما قمنا به من عمل والمناظر آية في الجمال والبلد عريق جدا في الحضارة وقد ندمنا على أننا لم نحضر زوجاتنا معنا اذ لم يدر في خلدنا عندما غادرنا دمشق اننا سنلقى هذا الجو اللطيف والمناظر الساحرة والراحة لقلة الاجتماعات التي انتهت بسرعة .

وكان صباحي يحلو دائما بأن يطل راتب بابتسامته علي وهذا من توفيق الله .

نافذة على المجتمع

في براغ لاحظت امرا لم يعجبني . فان احد الشباب من مرافقينا اراد ان يستدل على بعض المحلات التجارية ليشتري طواقي صوف ، فسأل فتاة في الشارع عن محل يبيع ذلك فذهبت الفتاة معه ودلته على المحل . وعندما عدنا الى الفندق وجدنا الفتاة والشاب جالسين يتناولان الحلوى . سألناه فقال أنه دعاها الى العشاء لقاء ما قدمته من خدمة في دلالته على محل الطواقي ، وعندما همت بالانصراف أوصلها بالسيارة على ان يعود بسرعة ولكنه تأخر كثيرا ، ولما عاد قال انه صحبها بنزهة قصيرة واخذ عنوانها ليلتقيا في موعد آخر . وتبين أن هذا عند القوم أمر عادي ولا يتنافى مع عاداتهم وتقاليدهم حتى ولو ادت الامور الى اشياء اخرى من نوع المتعة والسرور ...

ومع ذلك فان تشيكوسلوفاكيا تعتبر من البلدان المحافظة بالنسبة الى البلاد الاوربية الاخرى حيث لا يوجد فيها التهتك الموجود في انحاء أوربا ، والتشيكيون والالمان يعتزون بأنفسهم ويهتمون بهندامهم وملابسهم جيدة وبذلك يختلفون عن الروس الذين لا يلبسون مثلهم وملابسهم رديئة .

العمـل

ورأينا ان البطالة مستهجنة عندهم . فقد سألنا الفتاة التي سلف ذكرها عن وضعها الاجتماعي فقالت انها ضاربة آلة كاتبة براتب ١٤٠٠ كورون لقاء اربعين ساعة عمل اسبوعية وان اباها متوفى ولأمها معاش وتسكن في دار ملك في وسط السوق، ولها شقيقة اكبر منها تعمل في محل تجاري . وقالت انه من المستهجن الا يكون لاحد عمل وكل شرطي له الحق في ان يطلب من اي شخص بطاقة عمله فاذا لم يكن يعمل يحال الى المحكمة ويحقق معه عن مصدر عيشه ...

وارسو

وحين انتقلنا من براغ الى وارسو وجدنا مدينة جميلة واسعة الشوارع والارصفة جدا وحديثة التخطيط جدا بعد تهديمها الكامل أثناء الحرب واعادة بنائها ، وكل شيء فيها ينضح بالجدة والاسعار فيها غاية في الرخص اذا حسبت على أساس الدولار .

وقد بدأنا في وارسو باجتماع مع أعضاء الغرفة التجارية في قاعة واسعة جدا فيها منضدة تتسع لثمانين شخصا وتبين من الاجتماع أن الدول الاشتراكية تريد بيع منتجاتها دون أن تشتري بالمقابل الا المواد الاولية الضرورية كالقطن والغزول .

تناولنا غداء لطيفا وصحيا في الفندق وتمنينا أن تتحسن العادات الغذائية عندنا حيث نحن نتفنن في الطبخ والانفاق مما يصيب الناس بالتخمة .

وذهبنا مساء الى دار الاوبرا وهي من اجمل دور الاوبرا في أوربا كلها فشاهدنا روايتين من أجمل ما رايته في حياتي والملابس فيها جميلة وفيها ذوق وتتميز بالجمال ودقة التعبير .

صوفيا

ولما غادرنا وارسو الى صوفيا وصلنا ليلا وتأخرنا في المطار حتى انهى جماعة الخليج والكويت معاملة الحصول على تأشيرات دخول في المطار ، وكان الاستقبال حسنا وأخذونا الى فندق بناؤه حديث ولكن مفروشاته فقيرة .

وفي فندق صوفيا انعقد اجتماع ضم ستة عشر عضوا عن الجانب العربي وخمسة وعشرين عن الجانب البلغاري معظمهم مدراء شركات . وقد تحدث البلغاريون عن فعالياتهم الاقتصادية حديثا مدعما بالارقام واكدوا كذلك تأييدهم السياسي للعرب ولا سيما في القضية الفلسطينية . ورد عليهم السيد عدنان قصار نائب رئيس اتحاد الغرف العربية بكلمة شكر ، ثم تبعته أنا فأعربت عن سروري بانشاء الغرفة المشتركة العربية البلغارية وسرعة توقيعنا على الاتفاق مما يدل على التفاهم التام .

ثم اجتمعنا بعد ذلك مع وزير التجارة وكنا ثمانية من وفدنا فهنأنا على الاتفاق حول الغرفة التجارية المشتركة واوضح تزايد الدخل القومي في بلغاريا وملامح

التخطيط الاقتصادي ، وقال أن التعامل البلغاري هو بنسبة ٥٥٪ مع الاتحاد السوفيتي و ٢٥٪ مع الدول الاشتراكية و ٧٪ مع الدول النامية و ١٣٪ مع بقية العالم . وان بلغاريا تخصص ٨٨٪ للمواد الخام من مجموع استيرادها و ١٢٪ لسائر المواد الاستهلاكية أما صادراتها فهي ٤٤٪ للمعدات والآلات و ٤٣٪ للمواد المصنعة و ٣٪ للمواد الزراعية و ١٠٪ لباقي السلع .

وتبين أيضا أن بلغاريا لديها شركة نقل تملك خمسة آلاف سيارة شاحنة تنقل صادرات بلغاريا الى البلاد العربية حتى آخر الخليج لقاء أجور حسنة .

وقد وجهت الى الوزير سؤال عن مدى تأثير نمو الصناعة على استمرار نمو الزراعة؟ فأجاب لا توجد آثار سلبية لأن الآلة حلت محل العمال الزراعيين الذين انتقلوا الى الصناعة . وكان هذا الامر يهمني لما لاحظناه في سورية من تأثير لفقدان العمال الزراعيين الذين انصرفوا الى مجالات أخرى وتحولت الايدي المنتجة الى أيدٍ موظفة في الدوائر وفي مجال الخدمات لا في مجال الصناعة والانتاج . وقد تأثرت بالرقم الذي حدده الوزير للاستيراد وكيف اقتصرت المواد الاستهلاكية على ١٢٪ فقط والباقي للمواد الخام والصناعية وهذا درس يجب ان نستفيد منه .

دروس الرحلة

لقد كانت الرحلة الى البلاد الاشتراكية غنية بالدروس سواء من حيث العادات أو من حيث الامور الانتاجية والاقتصادية ، واحسست برضا الوالدين يصحبني حين ارى ما القاه من ترحيب وتكريم حيثما رحلت لانني أمثل روح وطني الخيّرة واتمسك بتقاليد ديني الحنيف . وروي الحديث : احفظ ود أبيك ولا تقطعه فيطفيء الله نورك ... جزى الله رسولنا العظيم وآله وصحبه كل خير .

هذا ولا يفوتني أن أشير بهذه المناسبة الى مسجد صوفيا عاصمة بلغاريا وقد بني عام ١٩٧٤ وصلينا فيه صلاة الجمعة وفيه محراب ضخم جميل بهندسته وطابعه الاسلامي العربي العريق وحمدت الله الذي أعز دين الاسلام وأوصله الى سائر البقاع في العالم .

الرحلة الثامنة

تشرين الأول ١٩٧٧

الى الشرق الاقصى ـ فورموزا عاصمة الصين الوطنية

بين يدي الرحلة : كانت هذه الرحلة جرت بناء على دعوة من حكومة الصين الوطنية وقد صحبني فيها السيد ثابت المهايني من أعضاء الغرفة البارزين وكذلك السيد نبيل الشلاح ابن شقيقي أنور وزوجته .

القفزة الاولى كانت الى كراتشي حيث زرت صهري السيد خلدون الرملي ، وقد ذكرت في رحلة سابقة أنه تزوج ابنتي رمزية . ثم القفزة الثانية كانت الى (تايبه) عاصمة فورموزا والصين الوطنية حيث استقبلنا ممثلو الحكومة وافراد الاسرة التجارية بكل حفاوة وتكريم ، واطلعونا على النهضة الاقتصادية ، وزرنا الآثار الحضارية العريقة وعددا من المنتجعات السياحية وعقدنا محادثات تجارية مطولة .

كراتشي

ابدأ بكراتشي فأقول انها مدينة نظيفة بشوارعها ومرافقها العامة ، وتشتهر بالصناعات الخفيفة كالمطرزات والاواني المنزلية . ومع ان اقامتنا لم تطل سوى ساعات فان صهرنا السيد خلدون نقلنا من المطار الى الاسواق حيث ابتعنا هدايا تركناها ليرسلها الى دمشق ، وقدمنا هدايا نحملها كالمعتاد ، ثم عدنا الى المطار لنتابع الرحلة.

المؤسسة الصينية الداعية

كانت مؤسسة تنمية الصادرات قد تأسست عام ١٩٧٠ من خمسة موظفين والآن صار فيها ٢٥٦ ولها مركز في كوستان المدينة الثانية في الصين الوطنية . ومهمة هذه المؤسسة التعارف والتقارب وتقوية الصلات بين المصدرين الصينيين والمستوردين في العالم ، وهي تصدر نشرة بذلك ورأينا شريطا سينمائيا حول الموضوع .

وخلال وجودنا فهمنا ان الحكومة لا تقدم اي دعم للمصدرين وانما تستفيد منهم برسوم تضعها على بضائعهم ففهمت ان الصناعة التي تعتمد على الدعم تكون فاشلة

اصلا وان المنافسة في تجويد الانتاج واكثاره هي الاصل .

ولما قالوا لنا أن الغاية عقد صلات معنا وفتح مكتب للدعاية التجارية اجبنا ان ما تطلبونه يتوقف على وجود علاقات ديبلوماسية مع بلادنا وبعدها نبحث في العلاقات الاقتصادية . ومع ذلك فقد استمرت عناية القوم بنا .

متحف صيني في تايبه

عبر نفق وحيد الاتجاه طوله اكثر من ٤٠٠ متر ويتسع لسيارة واحدة مررنا الى واد فيه متحف صيني الطراز يضم روائع الفن القديم كالاواني الفخارية التي قيل لنا ان عمرها يقرب من ستة آلاف سنة . ويقع المتحف في منطقة يانعة ويؤمه الزوار من كل الدنيا .

خرجنا ونحن نتمنى لو اننا نستفيد من الاماكن الجميلة كقاسيون حيث يمكن اقامة منتجعات سياحية تطل على الغوطتين اسوة بالشعوب التي تستغل امكانياتها احسن استغلال .

عشاء فاخر

ودعانا رئيس المؤسسة المضيفة الى عشاء في الفندق الكبير بحضور موظف في الخارجية واحد معاونيه وزوجاتهم ايناسا لزوجة الاخ نبيل . قدمت للصينيين هدايا من الاغباني وعلب موزاييك فيها راحة بالفستق ، وكنت قدمت هدايا الى رئيس المؤسسة فسروا جميعا منها . ولاحظت انهم وضعونا على طاولة فيها طاولة اصغر تدور وعليها الاطباق فيأخذ كل واحد ما يريد .

وفي اليوم التالي ذهبنا الى وزارة الخارجية وفي الطريق لفتت نظرنا دقة نظام السير وطواعية الناس في العبور وكذلك الجسور المعلقة . وحين وصلنا الى الوزارة خرج الموظفون من غرفهم ليستقبلونا بالانحناء على طريقتهم ، ثم استقبلنا وكيل الوزارة ودار الحديث بحضور رئيس المؤسسة حول الامور الاقتصادية . وقال وكيل الوزارة اننا مع ادراكنا لعدم امكان قيام علاقات سياسية فما الذي يمنع من علاقات تجارية تنفع الطرفين ؟ واضاف أن حكومته استخدمت حق النقض لمصلحة العرب يوم كانت تملك هذا الحق .

وأذكر للقارىء ان حكومة الصين الوطنية خرجت من البر الصيني حين أستتب الامر الشيوعيين وبقيت في فورموزا وجزر تايوان وعددها نحو سبعين .

شكرنا معاون الوزير على الحفاوة والمعلومات وقلنا ان مهمتنا تنحصر في الاطلاع ولا تجاوز ذلك . ولما أقام لنا وكيل وزارة الخارجية مأدبة دعا معنا وزيرا صينيا مسلما يتكلم بالعربية بطلاقة ويشرف على الشؤون الاسلامية ، كما اجتمعنا بسفير المملكة العربية السعودية الدولة الوحيدة التي لها علاقة مع حكومة فورموزا ، وبأشقاء آخرين من العرب اللبنانيين والاردنيين . وكانت الاحاديث شاملة ومن جملتها حديث عن المسلمين في الصين الوطنية وعددهم ٤٥ الفا يتمتعون بالحرية التامة ، ودعانا الوزير الى الصلاة يوم الجمعة في المسجد الجامع .

معمل الكابلات

وزرنا واحدا من أربعة معامل كبيرة للكابلات الى جانبها نحو خمسين معملا اصغر . تملك المعمل شركة مساهمة تأسست في عام ١٩٦٦ ومساحته ٣٥ دونما وعماله ١٤٠٠ يشرف عليهم مائة مهندس . كان راسمال الشركة ٨٠٠ الف دولار تايواني عند التأسيس فصار الآن عشرين مليونا بفضل الارباح . ويدفع العمال ضريبة قدرها ٦٪ على اجورهم ويعفى منها من عنده أولاد ولكل عامل راتب ١٤ شهرا في السنة اضافة الى ما يعادل راتب شهر على شكل أسهم في الشركة . وقال مدير الشركة أنهم يستوردون الحديد من اميركا وتشيلي وزائير ، وارونا شريطا سينمائيا عن عمل المعمل والاشرطة ظاهرة متكررة في النشاط الاعلامي الاقتصادي .

ثم زرنا مكتب التجارة الخارجية بدعوة من مديره العام وسألناه عن مدى تأثير التقدم الصناعي على الزراعة فقال أن الزراعة نقص انتاجها ١٣٪ والحكومة تسعى لتلافي النقص ، كما تعمل على تطوير الثروة السمكية املا بتصديرها في المستقبل .

صلاة الجمعة

وفي يوم الجمعة صلينا في مسجد فخم في اجمل شوارع العاصمة وله مئذنتان وقبة ومدخل رائع الجمال ، وكان الإمام يجيد القرآن الكريم والخطبة القيت باللغة

العربية . وبعد الصلاة اقبل المصلون بعضهم على بعض يتصافحون وهم مستبشرون ، ودخلت مع عشرة منهم الى قاعة الاستقبال وعلمت ان هؤلاء هم أعضاء بعثة الحج الذين سيذهبون الى الاراضي المقدسة . وعلمت أن إمام المسجد صيني درس في الازهر وهو بمنصب وزير مفوض في وزارة الخارجية وله راتب محترم من الدولة . ورايت رئيس بعثة الحج والنور يطفح من وجهه وهذه النورانية ظاهرة على الجميع وكلهم يعتمر الطاقية البيضاء .

استغرق بناء المسجد أربع سنوات بناء على قرض من الدولة اشتروا به الارض وبنوا الجامع وساهم المسلمون التايوانيون فيه ، ولما تم تنازلت الدولة عن القروض ويتلقى المسجد الآن معونة من السعودية . وقد قمت بواجبي في التبرع بما أمكنني للمحتاجين ليصرف المبلغ بمعرفة الامام ، وقلبي ينبض بالشكر لله تعالى على نعمه وعلى دين الاسلام الذي عمّ بنوره مشارق الارض ومغاربها وجعلنا من اتباع سيد المرسلين عليه صلاة الله الى يوم الدين .

مدينة كوستان

ثم زرنا مركز المؤسسة المضيفة في كوستان وهي المدينة الثانية بعد تايبه من حيث الاهمية الاقتصادية والسياسية ، وهو يشبه المناطق الحرة في بلادنا . شاهدنا شريطا عن النشاط وعرفنا ما تقدمه المؤسسة من معونات لتنشيط المركز وفيه ٢٩٠ معملا تضم ٧٣ الف عامل كل انتاجهم مخصص للتصدير إلا قليلا منه للسوق الداخلية لسد النقص أحيانا . ان فائدة هذا المركز سد العجز في الميزان التجاري وتأمين العملة الصعبة ، وكنا شاهدنا مثل هذه المناطق الحرة في كوريا الجنوبية .

منطقة البحيرات والمنتجعات

زرنا بعد ذلك منطقة البحيرات القريبة من كوستان ، وبعد أن شاهدنا شركة سانيو الصينية للبرادات والتلفزيونات والغسالات والراديوات والآلات الحاسبة ، وهي في اربعة معامل ، ذهبنا الى منتجع شون شاي السياحي حيث يوجد قصر كان بناه (شان كاي شك) أحد قادة الثورة الصينية . يبعد هذا المنتجع ٢٠ كم عن

العاصمة ، والطريق اليه يمر بجبال مشجرة ومناظر خلابة وعلى طريقه قصر الثقافة . عند باب القصر استوفوا رسم دخول دفعه مرافقنا الصيني المسلم الذي يجيد الفصحى وهو جميل الطلعة خفيف الروح . في القصر قاعات واسعة للحفلات وهو مكان جميل في بقعة جميلة ومناظر غاية في الروعة .

وزرنا بحيرات (شيمين) وسد (شن مندان) في منطقة يصعب أن نفيها حقها من الوصف لما فيها من جمال وتنسيق ونظام . والسد تحيط به الجبال المكسوة بالغابات وخلفه بحيرة امتلأت بمراكب السائحين وكنا في احدها وبقينا ٤٥ دقيقة نمتع أعيننا بأجمل ما تقع عليه العين . وكانت هناك خمسون سيارة تقل أمثالنا ، وهكذا يتفاعل الانسان النشيط مع الارض فيحولها الى جنات . . ولعلنا نقوم بذلك في بلادنا للفائدة والجمال .

* * *

الرحلة التاسعة

الحج الى الرحاب المقدسة

كنت كلما استدار عام وجاء موسم الحج أجد نفسي مشدودا الى بيت الله الحرام، الى منى وزمزم والحطيم وعرفات والمدينة المنورة وبدر والمساجد السبعة ، وأتمنى لو أكون أول المتوجهين الى تلك البلاد التي منها انطلق الاسلام ليعم الخافقين ويعم خيره وهداه بقاع الارض جميعا .

وقد حج والدي مرتين وكان مع ذلك دائم الحنين الى أن يعاود ، كما أن الحاج احمد دعدوش الذي كان يعمل في محل والدنا قد حج اثنتي عشرة مرة ماشيا فكنت كلما سمعت وصفه للمناسك اتساءل وانا الشاب امام هذا الرجل المسن : هل سيكتب لي أن أحج كما فعل ؟ وكان من جملة الحوافز مشاهدتي لمواكب الحج القديم في مطلع القرن حيث كان الحج يخرج من دمشق في قافلتين احداهما للحج الشامي والثانية للحج العجمي . وكان أمير الحج وهو عادة والي الشام يقود الجميع من سراي الحكومة ـ وكانت في ذلك الوقت في المكان الذي اسمه المشيرية وقد احترق وبني محله قصر العدل الحالي ـ فيقله جمل مزين وخلفه المحمل وهو جمل يحمل الكسوة التي تهدى كل عام الى الكعبة المشرفة ، ثم تتوالى الجمال والخيل التي تقل الحجاج وبعدهم الحجاج المشاة والحرس الذي يحميهم من غوائل الطريق . وكانت تأتي بعد موكب الحجاج (جردة) فيها الزاد والالبسة وسائر الحوائج ، ولها امين سر اسمه (السردار) وعندما يصل الحج الى تبوك ينطلق الجوقدار او الجوخدار فيصل الى دمشق قبل وصول موكب الحج بعشرة أيام فيبشر بسلامة الحجاج وقد يحمل رسائلهم الى أهلهم .

أما المودعون فيرافقون الحجيج الى بوابة الله في جنوبي دمشق وبعضهم قد يرافقه حتى مزيريب القريبة من درعا ويسمونهم (المزيرباتية) . وبالاختصار فان جلال الموكب وجماله كان محرضا على الحج اضافة الى الامر الديني حيث فرض الله تعالى الحج على كل مسلم يستطيع اليه سبيلا أي تمكنه صحته ويسمح ماله بأن يقوم بالحج دون إيذاء اهله او نفسه . وفي الحج يتوحد المسلمون في مناسك أخذوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها الاحرام والوقوف بعرفة والطواف بالبيت والسعي بين

الصفا والمروة وحلق الشعر ورمي الجمار وغير ذلك من المناسك التي تعني ان المسلم يذهب الى لقاء ربه بتوبة تنظفه من الذنوب والآثام فكأنه مولود من ساعته .

قلت أن حجات والدي التي كنت أودعه فيها أنا واخوتي كانت تحفز شوقي الى يوم أذهب فيه أنا الى الحج ، وكلما ودعته شعرت بغصة ليست للفراق وحده وانما للعجز عن المرافقة . وذات مرة أخذ والدي معه والدتي وزوجته الاخرى وذهب فزار القدس ومقام ابراهيم في مدينة الخليل في فلسطين ثم الى مصر حيث زار مقام السيدة نفيسة ومن هناك ذهب بهما فحجوا بحرا من السويس الى جده وتحققت الكلمة الشعبية التي تعني الكمال في كل شيء وهي (حجة وتقديسة ـ اي ذهاب للقدس ـ وزيارة السيدة نفيسة ..) .

حجتي الثالثة عشرة

وقد حججت انا حين استطعت الى الحج سبيلا وفق الامر الشرعي وكررت الحج اثنتي عشرة مرة ، وفي الثالثة عشرة خطر لي أن اكتب مشاهداتي لان الحج تم هذه المرة بسيارة مريحة مجهزة بسريرين للنوم ووسائل الطهي وتمديدات الماء . وقد بدات انطلاقي مع اخي شفيق الذي اجد في رفقته السعادة والمسرة وولدي محمد مروان الشلاح (ابو زكي) والشيخ عاطف إمام جامع الافرم في ٣٠ ذي القعدة ١٣٩٨ الموافق ١١ تشرين الثاني ١٩٧٧ . وقد اجتزنا الحدود الاردنية الى عمان حيث أتيح لي أن افض خلافا بين بعض اهلنا ، ثم سرنا بالسيارة الى تبوك ومنها الى تيماء فالمدينة المنورة حيث اقمنا اربعة أيام في جوار الرسول المصطفى الحبيب . وفي المدينة منعتنا الشرطة من اكمال التجول بالسيارة لنأخذ سيارة سعودية فيها سائق مختص وذلك بسبب حفظ النظام ولكن لما راى احد الشرطة ساعة يدي وعليها صورة الملك السعودي قال انك لا بد رجل مرموق فسمح لنا بالسير ، ثم استطاع بعض اصدقائنا أن يحصلوا لي على اذن ونمرة من ارقام سيارات المراسم الملكية . وهكذا ذهبنا الى جدة فمكة وكانت اقامتنا مريحة ووصولنا الى المقاصد المطلوبة يتم في يسر وسهولة ولم يحدث معنا ما يعوق او يذهب بجلال المناسبة ونحمد الله تعالى أولا وآخرا ونرجو لكل المسلمين مثل هذه الحجة الموفقة الميسرة .

الـرحلـة العـاشرة

الى الولايات المتحدة الاميركية حول مقاطعة اسرائيل

كان الكونغرس الاميركي قد اتخذ قرارا عجيبا ومتحيزا بمعاقبة كل شخص أو شركة في أميركا ينصاع لتدابير مقاطعة اسرائيل التي فرضتها الدول العربية ، فاقتضى ذلك أن يتحرك العرب ليشرحوا للاميركيين خطأ هذا القرار وتحيزه . وقد التقت وفود جمعيات وغرف التجارة العربية فنظمت وفدا عربيا مشتركا نال تشجيع المسؤولين في كل الاقطار العربية . وانطلق الى اميركا بالاتفاق مع عدد من غرف التجارة العربية الاميركية وهي غرف نيويورك وشيكاغو وهيوستن ولوس انجلوس على متن طائرة اردنية .

عند وصولنا الى نيويورك كان استقبال الغرف التجارية الاميركية العربية للوفد استقبالا حارا وأنزلونا في أكبر وأعرق فنادق نيويورك وهو (ولدورف استوريا) ، وانتقلنا بعد ذلك الى هيوستن ولوس أنجلوس حيث تمت لقاءات ومآدب كثيرة جدا وتضم مئات الشخصيات وتتخللها خطابات ومحاضرات وتصريحات ومناقشات ومقابلات صحفية ، وكان الحضور من التجار واعضاء الغرف التجارية الاميركية العربية والساسة الاميركيين ورجال الاقتصاد واعضاء الكونغرس والمغتربين . لقد كانت مظاهرة كبرى مجدية لأن اعتقادي أن الدولة الاميركية التي تمارس الانحياز الكامل نحو اسرائيل ليست هي كل شيء فالشعب الاميركي بعيد عن سياسة حكومته ولا يبالي غالبا بها وقد يكون مخدوعا الى حد كبير بالدعاية الصهيونية ، ولذلك فيجب أن ننفذ نحن العرب الى هذا الشعب ونصل اليه ونخاطبه من منظور عقله ومصالحه اذ أن مصالح اميركا الحقيقية ليست في دعم اسرائيل التي تبتز مالها وتورطها وانما مع العرب الذين يملكون البترول والارصدة الضخمة والقدرة الاستهلاكية التي تتحول الى طلب على البضائع الاميركية . وقد تحرك العرب المشاركون في هذا الوفد الكبير في هذا الاتجاه وقوبلت كلماتهم بالتفهم وبالحماسة من بعض الاميركيين .

طاف الوفد الولايات المتحدة من شرقها وشمالها الى غربها وجنوبها الغربي وجنوبها ونقطة الارتكاز في عملهم حمل أميركا على أن تدرك مصالحها وهي إن لم تكن التخلي عن

اسرائيل فهي على الاقل الاعتدال والانصاف في قضية فلسطين وقضية اسرائيل .

اوجز ما تم في هذه الرحلة لأن التوسع فيها يشكل كتابا كاملا . ففي اليوم التالي لوصولنا افتتحت الجلسة الاولى في (ولدورف استوريا) وتكلم فيها السيد لورنس رئيس الغرفة العربية الاميركية المشتركة في نيويورك مرحبا ورد عليه السيد اسماعيل ابو داوود رئيس الوفد السعودي ورئيس دورة اتحاد الغرف العربية . ثم جرى القاء محاضرة عن الموضوع ثم نظم مؤتمر صحفي كان من ابرز المتكلمين فيه الشيخ اسماعيل ابو داوود والشيخ عبد العزيز الصقر والسيد برهان الدجاني (وقد تحدثت عنهم في فصل سابق) .

وفي احدى الندوات طلب مني الكلام فتحدثت باسهاب عن الزراعة واهميتها في الاقتصاد في كل العالم فنالت استحسانا نقل لي أصداءه السيد كمال رمزي استينو وزير التموين المصري الاسبق الذي تحدث في الندوة ، ونقل لي كلاما طيبا عن أفكاري وسمعتي في البلاد العربية ، جزاه الله خيرا .

وفي حفلة غداء حضرها ما يقرب من ستمئة مدعو دار الحديث عن فرص الاستثمار والخدمات وشارك فيه السادة ابو داوود والصقر والدجاني والامير محمد الفيصل آل سعود الذي لفت الانظار بلغته الانكليزية السليمة الواضحة المتدفقة وافكاره النيّرة.

وفي حفلة اقامها لتكريم الوفود الدكتور فخر الدين ابو خليل ، وهو لاذقاني كان مديرا عاما للمصرف التجاري السوري ثم هو الآن مدير لبنك اميركي ، القى كلمة ترحيبية رد عليها السيد محمد علي بدير رئيس الوفد الاردني وتطرق خلالها الى المقاطعة . وقد كان بين الحضور الدكتور جورج طعمه وزير الاقتصاد السوري الاسبق وهو من الاصدقاء الغالين علينا وسفير سورية لدى الامم المتحدة والآن خبير في الاوبك، فأفاض في حديثه عني بعبارات التقدير والثناء ، وأتمنى أن أتابع العمل لأكون كما وصف .

هدية للرئيس كارتر

وفي حفل عشاء اقيم في فندق هيلتون لأكثر من سبعمائة شخص من رجال الاعمال العرب والاميركيين تكلم وزير المالية الاميركي نحو اربعين دقيقة عن مهمة الوفد العربي.

فلما فرغ كانت هدية وفدنا للرئيس الاميركي كارتر حاضرة على كرسي امام المنصة ومجللة بقماش مخملي جميل ، فقدمتها الوزير ايتولى هو نقلها الى الرئيس الاميركي . وارتجلت بهذه المناسبة كلمة سبق نشرها في فصل سابق .

وقصة هذه الهدية انني فكرت في شيء يكون له وقع فخطر لي صورة قصر الوليد بن عبد الملك الموجودة في رواق الجامع الاموي بدمشق ؛ فاتصلت قبل سفرنا بالسيد (أبي صياح) المشرف على الفسيفساء في الجامع الاموي فكوّن مجموعة عمال من البارعين تولت صنع هذه اللوحة التي جاءت آية في الروعة ولها مغزى جميل لا ينكر . كما كان بين هدايانا المختلفة علب الموزاييك واقمشة البروكار وطقوم الاغباني المطرز التي هي من مفاخر الصناعة الدمشقية .

السناتور جيمس أبو رزق

وفي حفل عشاء أقيم في فندق هلتون لستمائة مدعو تكلم عدد من الخطباء والقى المغترب العربي جيمس أبو رزق عضو الكونفرس الاميركي كلمة استغرقت خمسا وأربعين دقيقة انتقد فيها بصراحة تامة سياسة اميركا المحالفة لليهود فكان خطابه واضح الافكار مقنعا يمتاز بالطلاقة وقوطع بالتصفيق مرارا .

السناتور فولبرايت

واقامت جمعية الشرق الاوسط في مقرها الكبير الفخم مأدبة غداء تحدث فيها ثمانية وستون من الاعضاء في الجمعية والوفود العربية شارك فيها من العرب السادة : الدجاني وبدير وابو داود وعبد الرحمن العطار وشفيق سكر ، وكان بين الحضور المرموقين السناتور الاميركي الشهير في مجالات السياسة الخارجية فولبرايت . وفي هذه المأدبة تكلمت انا عن مصلحة الشعب الاميركي الحقيقية وهي مصلحة تربطه مع العرب لا مع الصهيونيين اذ عند العرب البترول والارصدة والقدرة الاستهلاكية وهم قادرون لو شاؤوا على التحول الى غير اميركا في حين ان الصهيونيين عبء على عاتق الشعب الاميركي والاقتصاد الاميركي ، وتناولت مواضيع عديدة تحيط بهذه الافكار الرئيسية .

في هيوستن

في هيوستن التي وصلنا اليها عن طريق ميامي استقبلنا نحو عشرين شخصا على راسهم السيد عاطف جمال الدين مدير الغرفة التجارية العربية الاميركية المشتركة في هيوستن ، وهو عربي من مصر خفيف الظل كثير الحركة قال لي وهو يعانقني انه يعرفني منذ أكثر من ١٢ سنة وقد كان متحمسا لاحداث غرفة هيوستن . وقد لفت نظرنا جمال المدينة وطرقاتها وانتظام السير فيها بلا شرطة مرور بفضل وعي الناس .

وفي هيوستن زرنا مزرعة خيول عربية يملكها نائب رئيس الغرفة التجارية المشتركة في هيوستن ، وهي مزرعة كبيرة جدا مخصصة لتربية الخيول العربية الاصيلة وفيها ما يتراوح بين ٣٠ ــ ٤٠ حصانا معظمها نال جوائز أولى في سباقات دولية ومحلية ، بعضها مستورد وبعضها ولد في المزرعة. كل ما في المزرعة مرتب واسع ونظيف وصحي وفيها بهو كبير لاستقبال الزوار عرضت فيه الكؤوس التي نالتها الخيل في السباقات والاستعراضات . وقد تناولنا المرطبات وشربنا القهوة وشاهدنا عرضا للخيول وعرفنا عن كل حصان تفاصيل هويته وحياته الشخصية واصله وفصله ومزاجه وهواياته ... ولكل جواد سجل ذهبي خاص ...

الاجتماعات والندوات

وقد افتتحت الاجتماعات بمؤتمر صحفي تحدث فيه رؤساء الوفود الزائرة وأجاب على اسئلة الصحفيين كل من السادة برهان والشيخ عبد العزيز الصقر وكانوا موفقين على اسئلة الصحفيين كل من السادة برهان والشيخ عبد العزيز الصقر وكانا موفقين بوجوده في هذه الاجتماعات . وبعد حفلة غداء ضمت نحو خمسمئة شخص من عرب واميركيين وتبودلت خلالها الكلمات ، عقدت ثلاث ندوات اقتصادية واحدة عن الصناعة النفطية والكيماويات والبتروكيماويات والصناعات الهندسية ، وثانية حول الزراعة الغذائية ، وثالثة حول المصارف والتمويل والاستثمار والسفر .

وبالمناسبة ذكر لي احدهم ان في هيوستن ثلاثة ملايين راس بقر وخمسةعشر مليون راس غنم فتصور يا قارئي مقدار العناية بالثروة الحيوانية .

مرفأ هيوستن

وزرنا مرفأ هيوستن وكان في الاصل مجرى نهر طوله خمسون ميلا فاستغل ليصبح من أعظم الموانىء في العالم حيث تقف البواخر على امتداده تعبىء حمولتها أو تفرغها ، واقيمت المصانع بالقرب منه مباشرة وعلى الارصفة فحققت بذلك وفرا في المال والزمان .

وشاهدنا في المدينة نصبا تذكاريا ارتفاعه ستون مترا اقيم لتخليد ذكرى تخليص المدينة من غزو المكسيك قبل ١٢٠ عاما .

ومدينة هيوستن هي عاصمة ولاية تكساس أكبر الولايات الاميركية بعد كالفورنيا. ومن القصص التي يتداولها سكان المدينة أن سفينة حربية اسمها تكساس غرقت في الحرب العالمية الثانية ضد اليابان وفي غضون ثلاثة أيام تبرع أهل الولاية بقيمة سفينة تبنى مكان السفينة التي غرقت فاشتركت من جديد في الحرب وعندما انتهت الحرب أوقفت في المرفأ لتكون رمزا للنصر وذكرى تعيد الى الاذهان مجهود الشعب الاميركي لكسب الحرب .

وقد تناولنا طعام الغداء في سرادق واسع في الميناء وصعدنا الى احدى البواخر الضخمة الحديثة التي لا تحتاج في التحميل والتفريغ الى عضلات العمال بل تقوم بها الآلات . كما علمنا أن المشاريع الخيرية والمعاهد والمستشفيات تقوم على تبرعات الاثرياء ، في حين يتذمر الواحد عندنا اذا تبرع بعشر ليرات من أجل مشروع خيري !..

كلمة موجزة

في عشاء فخم ضم ما يقرب من ثمانمئة مدعو اقيم على شرف وفدنا في فندقنا تكلم رئيس الفرقة وهو نجل دوغلاس الفني المشهور وصاحب مزرعة الخيول كما تكلم من الجانب العربي السادة الصقر وأبو داود وبدير ثم قدموني للكلام ولم أكن مستعدا، فألقيت كلمة موجزة عن فلسطين وعن مهمة الوفد ترجمت ولاقت على ايجازها قبولا حسنا .

المدينة الطبية في هيوستن

في هيوستن ذهب احد اعضاء وفدنا الى المستشفى لاجراء بعض الفحوص الطبية وذهبنا للاطمئنان عليه فرأينا المدينة الطبية في هيوستن وهي تضم عشرين الف موظف بين طبيب وممرض ومدرس وموظف اداري . وقصة المدينة تتلخص في ان احد الاثرياء أوصى بكل ثروته وممتلكاته لتقام بها مدينة طبية ، ولم يكن له أولاد . وكان قد قدم الى هيوستن وهو لا يملك سوى ما يكفيه ليأكل اسبوعا ، ثم بنشاطه جمع ثروةطائلة أراد أن تبقى في المدينة التي آوته واغنته فأوقف جميع ما ملك من اجل هذه المدينة الطبية . ثم قدم بعض الموسرين ابنية اضافية ...

هنا تذكرت انني واخي شفيق تبرعنا بقطعة أرض قيمتها أكثر من مليون ليرة سورية لانشاء ثانوية في الزبداني وتلقينا كتاب شكر من مدير المنطقة ووضعت لوحة تشير الى اسم المتبرع . وبعدها حضر احد الاشخاص وكسر الحجر الذي اثبتت عليه اللوحة بالاسمنت ولم يحاسبه على عمله احد ولا تزال آثار ذلك باقية . وقد اعطانا المسؤولون وعدا باعادة اللوحة ولكن هذا الوعد لم ينفذ رغم مضي خمسة عشر عاما عليه . وانا اذا كنت اذكر هذه الحادثة فليس ذكري لها من قبيل المفاخرة ولكن لاقول ان تنشيط الناس لعمل الخير لا يكون بمثل هذه التصرفات . وفي هيوستن يذكر من يصنع الجميل فينشط سواه لمحاكاته وهكذا ظهرت المدينة الطبية على نفقة المتبرعين من اصحاب الثروة الذين لم يبخل مجتمعهم عليهم بالاعتراف بل ذكر لهم جميلهم ووضع اللوحات على الابنية التي تبرعوا بها أو ساهموا ببنائها .

وحادثة أخرى تذكرتها وهي ان المرحوم والدي كان تبرع بكل الارض التي بنيت عليها مدرسة الاسعاف الخيري في أجمل بقاع مركز المدينة كما تبرع بكلفة البناء كاملة وكان واحد قدتبرع ببناء حائط واحد من المدرسة قد قص الاشجار الموجودة أمام اللوحة المذكور عليها اسمه ، ولكن ابقى شجرة واحدة هي التي تحجب اللوحة التي كتب عليها اسم والدي ، فسامحه الله وهدانا جميعا الى ما فيه خير الامة والوطن .

وزرنا المدينة الرياضية وهي لا تقل روعة وجمالا وتنظيما عن المدينة الطبية . تستوعب تسعين الف متفرج وكل ما فيها يعمل الكترونيا ويتسع موقف سياراتها لثلاثين الف سيارة وقد بنيت عام ١٩٦٧ .

في لوس انجلوس

ثم غادرنا هيوستن الى لوس انجلوس وحللنا في فندق هيلتون حيث أقيم حفل استقبال ضم ثلاثمئة مدعو وحفل عشاء اقتصر على أعضاء الوفود والشركات المتعاملة مع العرب ، وقدمنا الهدايا . وفي هذه المدينة التقينا مغتربين عربا وطلابا منهم نجل السيد جميل نظام والسيد أحمد الوزان من اللاذقية والسيد فاروق سكر وعلمت أن في لوس انجلوس عشرين طبيبا سوريا يعملون بنجاح وافتخري يا سورية .

وقد عقد اجتماع مع رجال أعمال تحدث فيه السيد محمد علي بادير وترجم له السيد برهان الدجاني والموضوع علاقة العرب بأميركا وأظهر ان العرب لا يكرهون اليهود ولا المسيحيين ويحترمون الديانات كلها ولكن يكرهون من يحتل أرضهم بالقوة والمقاطعة ما هي الا وسيلة دفاع عن النفس ضد الصهيونية التي أخرجتهم من أرضهم وبيوتهم واسرائيل المعتدية بدليل ان كل البلاد العربية تتعامل مع أميركا . وتكلم رئيس (بنك أوف أميركا) عن البترول والدولار ثم دار الحديث عن التمويل والاستثمار والزراعة ومنتجاتها .

النساء المرافقات للوفود العربية

وقد آن ان اتحدث عن مرافقات الوفود العربية فقد اصطحب عدد منا زوجاتهم وكان في استقبالهن نساء عربيات من القاطنات في أمريكا بذلن عناية كبيرة في الترفيه عنهن ومرافقتهن الى الاماكن الاثرية والسياحية وذلك في كل مدينة قصدنا اليها ، فشكراً لهن .

وزير سعودي يتكلم

وفي احدى الامسيات وبعد عشاء كبير حضره العرب والاميركيون وكان الجميع ينتظرون قدوم المكرم الدكتور سليمان السليم وزير التجارة والصناعة في السعودية حيث وردت برقية تعلم الوفد بحضوره ، وانتظره الجمع الكبير حتى وصل ، فأتى راسا الى المنصة والقى خطابا قوميا ضد الاجراءات التي صدرت ضد المقاطعة العربية لانها حق من حقوق العرب . فشعب من الشعوب العنصرية تساعده اميركا على اغتصاب اراضي الشعب الفلسطيني وتخرجه من ارض وطنه وداره وتشرده الى الخيام ،

هل ليس له الحق في الدفاع عن نفسه ؟ واستمر يشرح بجراة وفي اربعين دقيقة ما تقدمه السعودية لاميركا في حين أن اميركا لا تقدم شيئا للسعودية وعلى العكس يعترض أعضاء في الكونغرس على طائرات تريد شراءها هي أو مصر وذلك ضد مصالح الاقتصاد الاميركي . وتكلم بشأن تهديد لاميركا اذا هي اصرت على تحيزها السافر .

وفـــاة مغتـــرب

وهنا في لوس انجلوس فوجئت بنبأ وفاة المغترب الاميركي السيد جورج مردكيان الذي ذكرت حديثه في رحلة سابقة الى الولايات المتحدة فأسفت لذلك أسفا شديدا وتذكرت زياراته لدمشق والحفلات التي أقيمت على شرفه ومنها حفلتنا في (العدمل) مما يعني صداقة وطيدة ، وكان كتابه عن مراحل حياته قد ابكاني مرات عند قراءته. وقد توفيت زوجته قبله ، ولم يترك ذرية وترك لسمعته كتاب حياته وهذا احسن ما يتركه الانسان .

* * *

الرحلة الحادية عشرة

كانـون الاول ١٩٧٨

الـى الهنـد ذات الحضارة العريقة

لم أكن زرت الهند سوى مرة عابرة قضيت فيها يومين في بومباي عند عودتي مـن كوريا الجنوبية وقد سبق ذكرها . فلما تقرر عقد اجتماع بين اتحادي الغرف التجارية العربيـة والغرف الهندية وذلك بالتناوب فمرة في الهند ومرة في الوطن العربي ، فقد قصدت الى دلهي لحضور الاجتماع الاول .

وكان برنامجه يضـم أربـع نقاط أولهـا استعراض واقـع العلاقات الاقتصادية والتجارية ، ثم دراسة امكانية اقامة مشروعات مشتركة ، ثم تنظيم التعاون بين الغرف ، وأخيرا تحديد موعد ومكان الاجتماع المقبل . وكان في برنامج الزيارات بعـد نيودلهي أن نذهب إلى كلكتا في خليج البنغال شرقي الهند ، وبومباي في غربها .

عرضت على اخواني في الغرف العربية الامر ليروا من يريد الذهاب الى هذا اللقاء لانني كنت غير مهيـأ صحيا اذ كان صوتي مبحوحا مـن الزكام كمـا استقبل المهنئين لعودتي من الحج ومنشغلا باجتماع الغرف العربية والاشتراكية إلا أن الجميع اعتذروا واصروا على ذهابي فلم يبق بد . وقد أعانني الله بولدي الدكتور راتب الـذي عرض مرافقتي ممنّنا يخفف اعبائي ويؤمن راحتي ويحل عقدة لساني بالترجمـة الصادقـة الناصعة ، وكان قد لمس بفطنته وذكائه ان هذه الرحلة تفيـد البلـد وتفيدني صحـة ومعرفـة ولولاه لما استطعت الذهاب رضي الله عنه وباركه .

وبعـد التشاور مع المسؤولين وذوي الشأن بالموضوع قصدنا الى الكويت وكـان على الطائرة بعض الوفود المنفضة من الاجتماع مع الغرف الاشتراكية ومنهم السيـد عبد المجيد الغربلي من الكويت الذي ساعدنا كثيرا في تأمين أمورنا ودعانا الـى الغـداء في شيراتـون الكـويت .

ومن الكويت سافرنا الى الهند بالطـائرة الانكليزية فوصلنـا الـى نيودلهي حيث استقبلنا اعضـاء الغرف التجارية وأنزلونا في فندق كونتيننتال . وقد بلغ السفـير

السوري الاستاذ عبد الله الخاني قدوم وفد سوري فحضر الفندق واصر على نزولي في داره فلم اتمكن من تلبية الطلب نظرا لوجود بقية الوفد . لذلك دعانا لحفلة عشاء وسهرة في داره ودعا جميع أعضاء الوفد العربي والهندي الى هذه الحفلة التي كان عدد من حضرها يتجاوز ٦٠ مدعوا . وكانت المائدة ملأى بجميع أنواع الطعام الهندي والعربي وقضينا سهرة ممتعة في دار فسيحة ووجه عربي عريق يحدث ضيوفه ، وعند المغادرة حاول ابقاءنا في منزله وبيض وجهنا تجاه الوفد بكامله .

وقد تمت الاجتماعات مع الغرف الهندية في نيودلهي وكلكتا وبومباي ، وفيها جميعا كنا نتباحث في امكانيات التعاون كما نزور الاسواق ومظاهر النشاط الاقتصادي ، وبعد انتهاء الاجتماعات قفلنا راجعين مودعين بالحفاوة .

انطباعات هندية

ان آثار الاستعمار البريطاني في الهند ما تزال ماثلة حيث زرع المشكلات الاجتماعية والازمات الاقتصادية التي ما تزال الحكومات الهندية تحاول معالجتها والتخلص منها. ومع كل الشكر لما قدمه مضيفونا لنا من رعاية وعناية فلا بد من الاشارة الى بطء الاجراءات في المطار حيث استغرقت ساعتين رغم نفوذ مضيفينا ومساعدتهم .

لم أستطع لضيق الوقت وازدحام برنامج العمل زيارة مدينة دلهي القديمة التي تحوي آثارا اسلامية وهندية عريقة كل العراقة وجميلة ، ولكن علمت أن هذه المدينة القديمة تبعد عشرة كيلو مترات عن دلهي الجديدة . وقد أحسن المخططون الهنود وكانوا حكماء عندما تركوا للتاريخ مدينتهم القديمة فلم يفسدوها بالتجديد وبنوا مدينة جديدة الى جانبها في مكان خال ، وهذا يذكرني بدمشق والاخطاء التي ارتكبت عند تنظيمها وتوسيعها حيث جرى التوسيع على حساب المدينة القديمة والغوطة ، فخسرنا دمشق الحضارة والتاريخ والغوطة معا ، وكان يمكن ترك دمشق القديمة التاريخية على حالها وبناء المدينة الجديدة في الاماكن الخالية والهضبات الكثيرة ، وتخطيط منطقة المهاجرين تخطيطا جديدا فيا حسرتي عليك يا دمشق يا عروس الدنيا فلم يأت احد من الحكام ليحاسب رؤساء البلديات السابقين .

وأنوه هنا بوجود آثار اسلامية كثيرة في الهند وابرزها المساجد المتميزة والقباب البصلية الشكل التي بنيت على طراز اسلامي مع المآذن المرتفعة المزينة مما يستحق زيارة خاصة وكاملة.

ولا بد من التنويه بأن الطعام الهندي حاد لكثرة ما فيه من التوابل وهذا لا يناسبني فكنت أعوض عنه بالحلاوى والفواكه . وحين وصلنا الى كلكتا كان جوها يشبه جو دمشق في الخريف واستقبلونا بقلائد الزهور كعادة القوم هناك إلا أن المدينة لم تخف ضيقها وعدم نظافتها وقدم الابنية وفقر غالبية الناس وما يظهر من رثاثة ثياب الكثيرين ووجود المتسولين الذين يلحون بالسؤال ويلحقون بالانسان مسافة طويلة . وشاهدنا العربات التي يجلس فيها من يريد الانتقال ويجرها انسان يركض بها لقاء اجر زهيد ويسمونها (الكارو) وتعتبر من وسائل النقل الاساسية ، كما شاهدنا اناسا يغسلون ثيابهم على الارصفة التي تمر فوقها المياه القذرة دون أن يستعملوا الصابون ثم تنشر الملابس على قارعة الطريق .

هذا ويبلغ سكان كلكتا تسعة ملايين نسمة اما مقاطعة البنغال فسكانها مائة وخمسون مليونا بينهم عشرون في المئة من المسلمين ، وفي العاصمة تبلغ نسبة المسلمين الثلث وحالة المسلمين جيدة بالنسبة للهنود وعندهم جمعيات خيرية تسعف فقراءهم ومعهد ديني لتعليم القرآن الكريم وهم يقبلون على العلم الآن . وفي كلكتا الف مسجد زرنا احدها ويتكون من اربعة طوابق فوجدنا عددا يتلو القرآن وشيخا يتكلم العربية ولكن المسجد غير نظيف وفرشه غير مناسب .

وكان مرافقنا مسلما هنديا ثريا تعرّف عليه ابني الدكتور راتب وعنده آلات لخياطة الاكياس (الشوالات) فأحب ابني أن يأخذ فكرة عن هذه الآلات ورافقه الى المعمل ثم زرناه في داره وهي قصر مليء بتحف تبهر الانظار فلاحظنا بذلك وجود الفوارق الطبقية الواسعة نتيجة لسياسة المستعمر البريطاني الدائمة حيثما حلت قدماه .

وقد استعجل اعضاء الوفد الرحيل من كلكتا خلاصا من ازدحامها ومناظرها فانتقلنا الى بومباي ونزلنا في شيراتون وهو من أفخم فنادق هذه السلسلة في العالم . وفي اجتماعات بومباي هيأت كلمة ترجمها والقاها نيابة عني السيد الياس غنطوس المدير المعاون للسيد برهان الدجاني في اتحاد الغرف العربية ، وكانت كلمة مرننة

ـر منها الهنود والبسوني قلادة ورد مما يقدمونه لزوارهم الكبار ، ثم قدموا لي شعار الغرفة واخذنا صورا تذكارية . وكان أبرز ما أثير في الاجتماع مشاكل شحن البضائع وعقباته وسياسات التصدير وعدم التقيد بالمواعيد ، وكانت تسود الاحاديث مشاعر الـود والمحبـة والصراحـة .

واقيمت في فندقنا مأدبة على شرفنا حضرها القنصل السوري السيد صبحي العجل الذي اظهر الكثير من اللباقة وكرم الاخلاق والاهتمام فشكرا له ، ورحم الله والده السيد عبد الله العجل الذي كان من كبار تجار دمشق وأسس محلا في الهند ، وكان صديقا للمرحوم شكري القوتلي .

***

الرحلة الثانية عشرة ــ آذار ١٩٧٩

رحلة عمل واطلاع الى المملكة العربية السعودية

كان من نعم الله تعالى علي أن اعطاني القدرة على تحمل الاسفار البعيدة والقريبة وانا في هذه السن ، مع أن السفر قطعة من العذاب كما قال بعض الكتاب . أما أسفاري فاحمد الله على انها كانت متعة وراحة ومجال اطلاع على الدنيا وما فيها من غث وسمين ولولا الاسفار لما اتسع أفق الناس ولا تبادلوا التجارب والمعارف ، والمسافر يسبح بحمد الله وتهتف أعماقه (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ..) .

وكان سبب هذه الرحلة الجديدة اجتماع الهيئة العامة لاعضاء مجلس اتحاد الغرف العربية الذي عقد في الرياض بدعوة من اتحاد الغرف العربية السعودية ، وقد صحبني في هذه الرحلة زميلي السيد فاروق سكر ، وكان انطلاقنا يوم الجمعة ٢٣ آذار ١٩٧٩ .

وصلنا الرياض بعد ساعتين وثلاث دقائق وكان في استقبالنا الشيخ محمد عبد الرحمن الفريح رئيس غرفة الرياض ومدير الغرفة الشيخ صالح . ومعنا على متن الطائرة الشيخ عبد المحسن الزيد سفير السعودية في دمشق .

نزلنا في فندق الكونتيننتال وكان جناحي كبيرا ومريحا ولم اشعر بأي نوع من مشقات السفر ومتاعبه . وكان في جدول الاعمال انشاء شركة الاستثمارات العربية اضافة الى مقابلات وزيارات منها مقابلة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وبعده عددا من الوزراء وامراء المناطق . وضم البرنامج زيارات للدمام والخبر وابها والطائف ثم اداء العمرة في مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة ثم جدة حيث يحضر اعضاء الوفود اجتماع اللجنة التنفيذية للغرفة الاسلامية . كان هذا البرنامج حافلا جدا وغنيا ولكنه تم بكامله بدقة وتنظيم جعلت السنتنا تلهج بالثناء على المملكة العربية السعودية ملكا وامراء ووزراء ورجال أعمال .

مشاهد وانطباعات

يوم السفر وقبل الانطلاق اديت مع أخي شفيق صلاة الفجر في جامع الشيخ محي الدين بن عربي وبعد توزيع بعض عوائد الفقراء زرت قبر المرحوم والدي لقراءة

الفاتحة والاستئذان بالسفر كما هي تقاليدنا في العائلة حيث نعتبر والدنا ما زال حيا ومرشدا ، ثم ذهبت الى مزرعة العدمل لمشاهدة الاعمال الجارية ، وبعد ذلك عدت الى الدار انتظر الدكتور راتب قادما من بيروت لنتحدث في بعض الامور . ولما تاخر انطلقنا الى المطار فلحق بنا هناك وكان اول ما حدثني عنه رحلة استجمام اقترحها الى تشيكوسلوفاكيا منطقة كارلو فيفاري لمدة ستة ايام أو سبعة على أن تكون بلا مشاغل ولا مهمات ولا اجتماعات ولا مقابلات على ان اصطحب معي من أحب . وولدي الدكتور راتب يقف دائما هذا الموقف مني حبا بي ورغبة في كسب رضائي فكيف لا أحبه وانوه بسلوكه العالي تجاهي في كل مجال ؟ احب ان اسجل هذا ليقراه اولاده فتتشرب قلوبهم محبته وليعرفوا أن كسبي لرضا ابي اعطاني هذا الولد البار الحنون ووفقني في كل أولادي الآخرين الذين هم مثله يتفانون في طلب رضائي ، وكل ما أذكره عنه ينطبق كذلك عليهم فهو رمز لهم لانه الكبير بينهم والقدوة وقربه مني نتيجة لطول العشرة وكثرة المرافقة وللرقة في أخلاقه ودماثته . ان جميع اولادي لا يبخلون في تقديم التضحيات مهما بلغت للحصول على ابتسامة مشرقة استقبل بها احدهم او كلمة حلوة تصدر من فمي ، والحمد لله . وانني لا يفتر لساني عن الدعاء لهم بالتوفيق والنعمة والمكانة والامن من غدر الزمان والرضا عليهم ومدهم بالعلم والرزق وقرة العين في الازواج والبنين والبنات .

واذكر في هذا المجال انني لا احب التبذير ولكن ولدي الدكتور راتب يصر دائما على أن يحجز لي في الدرجة الاولى حتى اكون اكثر راحة وابعد عن الضجة والازدحام جزاه الله خيراً .

الرياض بين الامس واليوم

زرت الرياض منذ عام ١٩٥٧ بدعوة من الشيخ يوسف ياسين رحمه الله وكان وكيل وزارة الخارجية السعودية آنذاك بسبب خطوبة ابني راتب لابنته عنود ، وكانت زيارة ممتعة حيث حضرت فيها حفلتي عشاء مع جلالة الملك سعود بن عبد العزيز رحمهما الله .

ولكن (رياض) تلك الايام كانت لا تحوي سوى شارع كبير واحد اسمه شارع

الوزير وفندق واحد اسمه اليمامة ثم الفراغ والارض الخالية . اما (رياض) اليوم فتمتد عشرين كيلو مترا فيها الشوارع الطويلة الواسعة والابنية الفخمة . وكان ثمن متر الارض في الرياض السابقة لا يزيد على سبعة ريالات أما اليوم فيتراوح ثمن المتر بين خمسة وخمسة وعشرين الف ريال وقد اصبحت مدينة عالمية .

افتتاح المؤتمر

في مقر الامانة العامة للغرف السعودية افتتح المؤتمر بالتلاوة الكريمة ثم عرض جدول الاعمال موسعا وابرزه ما سبق ذكره واتخذت القرارات المناسبة .

ثم اقامت غرفة تجارة الرياض حفلة في برج المياه الذي يرتفع ستين مترا عن الارض ويطل على مدينة الرياض وبواسطته توزع المياه على المدينة وهو من المعالم الحضارية المتميزة في المملكة . ثم شاهد اعضاء الوفود نادي الضباط لمناسبة حفلة سمو الامير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران التي اقامها في هذا النادي الواسع ذي الحدائق المنسقة والبالغ اقصى درجة البهاء والفخامة بما في ذلك قاعة مكيفة تتسع لألف مدعو ، وقد حضر هذه الحفلة الدكتور سليمان السليم وزيرالتجارة السعودي الذي تربطني به معرفة سابقة .

كما اقيمت حفلة في نادي الفروسية الذي يجمع بين الجمال وروعة التصميم الهندسي والغنى بالاثاث وكان جلوسي في هذه الحفلة الى جانب الشيخ محمد با الخيل وزير الاقتصاد السعودي فذكرته بهدية كان قدمها لي وهي مجموعة من النقود التي صدرت ايام المغفور له الملك فيصل وقد وصلتني بواسطة احد كبار موظفي الوزارة وهي قطعة نقود ذهبية وقطعتان فضيتان في علبة انيقة وشكرته عليها. واقول انني بالمقابل قدمت للسيد الوزير ولوكيل الوزارة ما استطعت من هدايا قيّمة اعترافا بالجميل .

مقابلة جلالة الملك خالد

وفي احد القصور الملكية وقاعة منه تتسع لاكثر من مئة شخص قابل اعضاء الوفود صاحب الجلالة الملك خالد واستمعوا الى تمنياته الصادقة للمؤتمر بالنجاح ليكون خطوة على طريق توثيق العلاقات بين اقطار الوطن العربي .

في الدمام والخبر

وبعد طيران خمس وثلاثين دقيقة وصلنا الى الدمام وكان الاستقبال رائعا من رئيس واعضاء الغرفة التجارية في الدمام ، ثم انتقلنا الى فندق الخبر الذي يملكه الشيخ محمد القصيبي واخوه الشيخ احمد ، ووجدت جناحا كبيرا مريحا محجوزا لي وقد حجز مثله للزملاء الاكارم في الغرفة التجارية المغربية . مما وفر لنا جميعا الراحة والمتعة .

جامعة البترول في الظهران

بعد الفطور في الفندق بطريقة المائدة المفتوحة ذهبنا لزيارة جامعة البترول التي افتتحت عام ١٩٦٤ وهي ضخمة واسعة كثيرة الابنية وطلابها اربعة وثمانون بالمئة منهم سعوديون والباقون ينتمون الى خمسة وثلاثين بلدا عربيا وافريقيا واسلاميا، عدد أساتذتها مئتان وخمسون أستاذا متفرغا للبحث والتدريس ومدة الدراسة زيدت الى اربع سنوات تسبقها سنة تحضيرية باللغة الانكليزية لأن الدراسة في الجامعة بهذه اللغة الآن مع محاولة لتعريب التدريس فيها . تضم الجامعة اربع كليات للادارة الصناعية والهندسة البترولية والهندسة المعمارية والدراسات العليا ، وتخرج منها في ثمان سنوات ٣٠٥ طلاب وسيرتفع العدد الى ستمائة في فترة مماثلة . هذا وفي الجامعة قسم للبحوث ومخبر للزيوت ومكتبة ضخمة وقاعة واسعة للحاسب الالكتروني. وقد زرناها جميعها وشاهدنا شريطا وثائقيا عن قصة البترول في السعودية ومشقات التنقيب في الصحاري الجرداء والآلات الضخمة التي استخدمت في التنقيب والاستخراج.

قصة البترول في السعودية

وبهذه المناسبة فقد كان البترول قد اكتشف أول الامر في السعودية عام ١٩٣٢ في عرض البحر . وفي عام ١٩٣٣ اتفق السعوديون مع شركة المانية حفرت عشرة آبار ولكن النتائج لم تكن مرضية فلم تكن الكميات تجارية يمكن تسويقها فقررت الشركة تعميق الآبار حتى وصلت الى ١٥٠٠٠ قدم تحت سطح الارض فصارت الكميات المستخرجة تجارية ولذلك سميت البئر السابعة بئر البركة . وقد فاضت منها الخيرات اذ انتجت من عام ١٩٣٨ حتى الآن ٢٣ مليون برميل .

واول ناقلة حملت بالبترول السعودي انطلقت عام ١٩٣٨ . ثم جرى الاتفاق مع شركة آرامكو فتوسعت في التنقيب . وفي عام ١٩٧٢ دخلت السعودية شريكا بحصة ٢٥٪ ثم ارتفعت النسبة في عام ١٩٧٤ الى ٦٠٪ . وفي راس تنورة معمل لتكرير النفط الخام كان يكرر خمسين الف برميل من البترول الخام في كل يوم ، أما الآن فيكرر ٤٥٠ الف برميل في اليوم الواحد . ويتراوح عمق الآبار اليوم بين خمسة آلاف وسبعة آلاف قدم .

ان بريطانيا لم تتفق مع العائلة الهاشمية الا لتستولي على البترول لأن الدراسة ابتدات بالكويت قبل عام ١٨٩٥ وبعد الحرب العالمية الاولى وبعد سقوط الدولة العثمانية ولما علمت بريطانيا بوجود البترول حرضت الامير عبد العزيز على الشريف حسين حتى وصل الى جده آخر المرحلة لانتهاء الهاشميين من الحجاز غير أن البترول بعد تجربته لم يعط المطلوب وعندما دخلت الشركات الاميركية وزادت بالحفر وظهرت كثافة البترول بشكل غير موجود في جميع منابع البترول بالعالم ودخلت الحرب العالمية الثانية وبريطانيا منهارة من قبل الحرب وزادت أعباؤها بالحرب بينما امكانية أميركا واسعة لذلك نزلت أميركا بثقلها على السعودية واصبحت الكلمة لها .

زيارة امير المنطقة الشرقية

وزرنا امير المنطقة الشرقية المقيم في الدمام وكان حظي أن أجلس على يمينه . ذلك ان المتقدمين بالرسميات كانوا الشيخ عبدالعزيز الصقر ومحمد علي بدير وسيف الغرير وبدر الدين الشلاح ، فكان زملائي هؤلاء يقدمونني على انفسهم في كل المناسبات في الدخول والخروج والحديث والمناقشات فشكرا لهم وجزاهم الله عني كل الخير لذوقهم وادبهم .

وبعد استقبال الامير زرنا ميناء الدمام وهو من أحسن مرافىء العالم في توفر المستويات الفنية ودقة التنظيم والحداثة .

ثم ذهبنا الى المنتجع السياحي المزمع انشاؤه في منطقة الجبل التي تبعد مئة كيلو متر عن (الخبر) وتناولنا الفداء في غرفة متنقلة مسبقة الصنع تتسع لأكثر من مئتي مدعو .

وقد كان في هذا المكان ميناء بحري صغير لصيد السمك والغوص على اللؤلؤ فتحولت المنطقة لان تكون مقرا لميناء بحري كبير ومدينة صناعية تنتج فيها اضخم الصناعات . بدأ المشروع من سنة وطول المرفأ المزمع انشاؤه ١٤ كيلو متر مع طرقات ومستودعات ، اما المدينة الصناعية فسوف تتسع لنصف مليون شخص وتنشأ فيها اضخم الصناعات واثقلها كصناعة الصلب والحديد وينتج المعمل في العام الاول من تشغيله ٨٥٠ الف طن من الاشياء المصنعة ثم يزداد الى خمسة ملايين طن في السنة . يبدأ المعمل أول الامر بالاعتماد على خام الحديد المستورد ريثما يتم استخراج الحديد الخام من الارض السعودية ، وهناك مشروع لانشاء مصانع كيماويات ، وآخر لانشاء مصفاة بترول يصدر انتاجها الى خارج البلاد ، ومركز لتجميع الغاز وتصديره ومستودعات واسعة للخزن . والمشروع مفخرة من مفاخر التصميم والعزيمة العربيين التي تعمل على سد الفجوات واستدراك العمر حتى يلحق الوطن العربي بركب التقدم الحضاري وتستعيد العروبة مكانتها السامية التي كانت في يوم من الايام محط انظار الانسان في كل المعمورة ...

* * *

الرحلة الثالثة عشرة ـ أيار ١٩٧٩

الــى المغــرب الاقصى مــن الوطــن العربي

لكل رحلة متعتها ولكن هذه الرحلة التي قادتنا الى الجناح الغربي من الوطن تذكر بدمشق وأمجادها ولا سيما مدينة فاس فزائرها يظن انه يطوف في حي دمشقي مــن حيث نمط الحياة وطباع الناس والمحيط . ومن الاشياء الجميلة ان هــذه الرحــلة أتاحت لنــا زيارة الاندلس وآثــار الجدود .

كانت الرحلة لمناسبة مؤتمر اتحــاد الغرف العربية للتجارة والصناعة الذي عقــد في الرباط عاصمة المملكة المغربية وكان رفــاق الرحلة اعضاء الوفــد العربي السوري من غرفتي التجــارة والصناعة وبعض رجال الاعمال . وقد كان من الامــور الصعبــة تشكيل الوفــد لكثرة الطلبات في حين ان العدد محدود .

حطت بنــا الطائرة السورية في الدار البيضــاء ومنها ذهبنا بالسيارات الى الرباط حيث جرى افتتاح المؤتمر من قبل مندوب الملك المغربي الحسن الثاني . وبعد الافتتاح جرت جلسات ومقابلات ومناقشات حول اعمال المؤتمر ومن جملة الامور تعليق عضوية مصر بنــاء على طلب مندوب فلسطين واخيرا صدرت التوصيات والمقررات كالمعتاد . وكــان من المدن التي زرناها الدار البيضــاء وفاس ومكناس وعددا من القرى الجميلة كمــا تمتعنــا بجولات سياحية .

مشــاهــد وانطبــاعــات

انني ممن يؤمنون بفوائــد الرحــلات التي توســع الافق وتنمي المعارف والمدارك ولذلك كنت ابادر اليهــا مهما كانت مشقاتها ونفقاتها . ولكن شيئا هاما خطر ببــالي أثنــاء هذه الرحلة وهو اهمية الرحلات الداخلية في كل قطر عربي أولا ثم ضمن اقطار الوطن العربي فهي تشد العرب بعضهم الى بعض وتخلق نوعا من النشاط في الانتــاج واقتباس الاساليب في تطوير الصناعة والزراعة . فأتساءل لذلك : لماذا لا نقوم بجولات ورحلات في منطقة الجزيرة السورية وهي احــدى محافظــات القطر وتمتاز بانتــاج الحبوب ومن اخصب المناطق الزراعية في العالم ؟ وكذلك الرحــلات في الوطن العربي

والخارج فتأتي بعدهـا في الترتيب والوقت والتكاليف .

بعد افتتاح المؤتمر بكلمة مندوب الملك وهو الوزير الاول القى السيد سعد المعجل رئيس غرفةالدمام كلمة رئيس الاتحاد لهذه الدورة نيابة عن الشيخ اسماعيل أبو داود الذي تخلف عن الحضور لوفـاة شقيقه رحمه الله . كما القى السيـد عدنان قصـار نائب الرئيس الدائم للاتحاد ورئيس غرفة بيروت كلمة الوفود العربية .

ثم جرت حفلـة غـداء في مطعمالفردوس وهو يقع على شاطىء الامم البعيد ٣٥ كم عن الرباط . وفي الاجتماع الثاني تم تعليق عضوية مصر لاشعار آخر ، كحل وسط .

وفي اليـوم التالي انعقدت ندوة زراعية القى فيها استاذ من جامعة تكساسمحاضرة لم تكن موفقة تلاها بحث غير موفق في مضمونها . ثم كان الغداء في دار رئيس غرفـة الرباط الحاج محمد الحكم التي هي اشبه بقصر من قصور الف ليلة أذهلنـا بجمالـه وجمال حدائقه واتسـاعأبهائه التيينفتحبعضها على بعض ، والجدران مزينة بفسيفساء قديمة والابواب والنوافذ محفورة بنقوش جميلة جدا ودقيقة . وفي زاوية من زوايـا الدار كانت فرقة موسيقية يزيد أفرادها على العشرة . أجلسونا على ارائك خشبيـة مطعمة بالصدف وحولنـا هـذه المناظر والموسيقا ثم دعينـا الـى موائـد تناثرت في الحديقة وكان المدعوون نحو مئتـين ، وكانت حفلـة مـلأى بالاطايب والمسموعـات والانس . وقـد القيت كلمـة شكرت فيها صاحب الدعوة ومدحت الفرقة الموسيقية الشيقة كما القى السيدان محمد علي بدير واسماعيل ابو داود كلمتين طيبتين ، وكـان الجو يرقص طربا وخرجنا ونحن نلهج بالشكر والثنـاء .

قصـــة عصـــامي

امـا صاحب الدار فهو عصامي . فلما توفي جده لم يترك لوالده سوى دابة يحمل عليها متـاع الناس بالاجرة ليؤمن عيش الكفاف لاولاده ؛ ثم ماتت جدته بعد وفاة جده مباشرة فاضطروا لبيـع الدابة من أجل تجهيز المتوفـاة ودفنهـا . وتابـع صاحب الدعـوة القصة فقال : هنا ذهب ابي الى قبر جدي وخاطبـه : اهكذا تركتني وانـا ضعيف واضطررت لبيـع الحمار لتدفن امي ، ليتك بقيت انت ومتّ انا لانك قـوي تحتمل ... وانصرف دامع العين فحدثت معجزة اذ وجد في طريقه كيسا فيه بعض مـال يكفي لشراء حمار صار يعمل عليـه بنشاط حتى جمع مبلغا يقـدر بمئـة الف

درهم (اي ما يقارب مئة ألف ليرة) ولما مات ترك أربعة ابناء وثلاث بنات. قال فاتفقنا نحن الابناء على ان نترك الدراهم لشقيقاتنا ومضينا نعمل . أول الامر عملت معاونا لسائق سيارة ، ثم صرت سائقا ، ثم اقتنيت سيارة ، ثم صارت أكثر من سيارة . ثم صار عندي محطة محروقات ، وهكذا حتى صار عندي خط من السيارات لنقل الركاب ، وها انا بحمد الله كما ترون . . .

ان صاحب هذه القصة ، مضيفنا في قصره الاسطوري ، هو الآن وكيل سيارات رينو وسيارات مرسيدس ولديه اسطول من سيارات نقل الركاب في كل مدن المغرب كما توسع فصار عنده مراكب للنقل البحري ، ويملك ابنية في الرباط وفي أكثر مدن المغرب وعنده قرى ومزارع تنتج في كل عام ١٤ ألف طن من الحمضيات والعنب وستة آلاف راس بقر هولندي حلوب واغنام لا تحصى . وقد أحضر أخوته الثلاثة وجعلهم شركاء في العمل والملك وهذا لا شك من رضا الله ورضا الوالدين !. . .

وقد زرنا مركزا لاصلاح السيارات يملكه وفيه اجنحة للقطع ولانواع السيارات ومكاتب وتراقب الاعمال عن طريق الشاشات التلفزيونية وتضبط الحسابات بالحاسوب الالكتروني .

في الدار البيضاء

بين الرباط والدار البيضاء مائة كيلو متر قطعناها بسيارات مريحة لنزور معرضا للصناعات اليدوية التقليدية المتقنة والصناعات المغربية الحديثة المتقدمة ، كما فيه اجنحة اجنبية . وقد استقبلنا في المعرض امين العاصمة (يسمونه عامل العاصمة) وجرت لنا مقابلات اذاعية وصحفية .

ثم ذهبنا لتناول الغداء في دار واسعة تحيط بها حديقة كبيرة يملكها رئيس غرفة تجارة الدار البيضاء السيد عقيل بانجم ، وكان في الدار موسيقيون ومطربون ومطربات وسادت الغداء اجواء من السرور والمرح وألقيت كلمات عديدة من بينها كلمة القيتها شاكرا مضيفنا ومتحدثا عن شركة المقايضات ومنافعها ومردودها الحسن وحذرت من فشلها لانه يعود بسمعة سيئة على اتحاد الغرف العربية . وكانت الحفلة لا تقل في روعتها عن حفلة رئيس غرفة الرباط .

ضريح السلطان محمد الخامس

وقد زرنا في الرباط ضريح السلطان محمد الخامس وكان في استقبالنا عند المدخل امين العاصمة ولواء متقاعد في الجيش اخذ يحدثنا عن تاريخ الرباط المدينة وقال ان الرباط اتخذت مقرا لسكنى المسلمين الفارين من الاندلس الناجين من مذابح الاسبان الرهيبة التي عملت على تصفية المسلمين تصفية جسدية كاملة . وقال ان مسجد الرباط الكبير كان قد دمره الزلزال تدميرا كاملا لا تزال بعض آثاره ماثلة . أما الضريح فقد انشىء منذ تسع سنوات والى جانبه مسجد فخم حوى اثمن التحف واجمل الفسيفساء والنقوش العربية واشتغل فيه مائتا عامل من العمال المهرة اربع سنوات متتاليات وقد أوقف الملك الحسن الثاني للمسجد والضريح اوقافا عديدة .

شاهد على البطولة

وتبين لي من حديث اللواء المتقاعد انه تعلم في مصر واكمل علومه في المغرب وحارب في الجولان عام ١٩٧٣ الى جانب القوات السورية مع العميد الشهيد عمر الابرش . وقال انه كان مع العميد الابرش وبيده ظرف مختوم فيه خطة الهجوم فجمع الضباط والجنود وخاطبهم بأن يضعوا نصب اعينهم الشهادة أو النصر ، وبدات الحرب وبعد ثلاثة ايام كان العميد الابرش في عداد الشهداء الابطال رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

الاجتماع الختامي

واخيرا عقد الاجتماع الختامي بحضور وزير التجارة المغربي الذي اجلسني على المنصة الى جانبه ومعنا السيد محمد علي بدير وتليت التوصيات والمقررات والقى رئيس الغرفة المغربي كلمة الختام وتكلم السيد محمد علي بدير عن الوفود فشكر الملك الحسن الثاني وحكومته والغرف المغربية والشعب المغربي الشقيق على الحفاوة والتكريم .

وقبل ان ينتهي الاجتماع قدمنا هدية دمشق وهي قطعة اثرية من الفسيفساء كتب عليها : روى الحسن عن أبي الحسن عن جد الحسن أن احسن الحسن الخلق الحسن . . . ورجونا رئيس المؤتمر ان يقدمها الى جلالة الملك نيابة عنا .

فـــاس ومكنـــاس

وقبل السفر زرنـا فـاس في حين كانت تنعقد فيها قمة الملوك والرؤساء العرب وزرنـا مسجدها الكبير والتقينـا بعض الزملاء . ثم قصدنا الى ضواحيها حيث توجد منتجعات سياحية ومياه معدنية تعبأ للشرب وزرنـا بلدة ايفران التي ترتفع ١٦٠٠ متر عن سطح البحر وتناولنا الطعام فيها كما زرنا الشلالات الجميلة التي تنحدر الى واد جميل كله احراش .

ولا بد من التنويه هنـا بحفاوة السفير السوري السيد عصام النائب الذي عاتبنا لاننـا تأخرنا بزيارته ودعانا على عشاء ومنامة غير اننا كنا حاجزين للسفر فشكرناه واعتذرنا . وكذلك بلطف السيد الغرباوي مدير غرفة الرباط وانسه وكرمه .

* * *

الرحلة الرابعة عشرة ـ أيار ١٩٧٩

الـــى الانـــدلس

كانت رحلتنا الى المغرب قد وضعتني أمام امكان زيارةالاندلس لاول مرة ، فاخترت انــا وبعض رفاقي في مؤتمر المغرب أن نعود عن طريق اسبانيا . وكان التقى على هذه الرغبــة كل من السادة ثابت المهايني وتحسين الصفدي وثابت بلال ، فبدأنا الزيــارة من مدريد ، في رحلة بلا اجتماعات ولا ارتباطات ولا مواعيد .

المطــار أسلمنا بدقائق الى الطريق لان اسبانيا بلد أتقن السياحة فصارت مورده الاول والمورد الاغنى في العالم . من ساعة ونصف فقط كنــا في مطــار الرباط وهــا نحن في سيــارة سياحية فخمــة يقلنــا فيها مندوب مــع شركــة سياحية تعاقدنــا معهـــا مسبقـــا .

الطريق الى المدينة عريض محاط بالأبنيــة الضخمة . بالتداعي عادت الــى ذهني صورة الطريق من مطار دمشق الى المدينة فقلت لماذا لا تسمح الدولة بأن تبني فيلات لها سطوح من قرميد . على طرفي الطريق وبعد كاف منه فتعمر المنطقة وتصبح أجمل وتربح الدولة رسوما عالية لقاء السماح بالبناء ؟

قال لنــا دليلنا أن سكان مدريد أربعة ملايين . بلد ينتج الفاكهة ولكن لا تجد فيها من يبيــع الفاكهة للاستهلاك المحلي ، وهــذا فارق آخر بينهــم وبيننــا فنحن نأكــل ما ننتجــه وغيرنا يصدر أكثره . ويا ليت أننــا نكتفي باستهلاك منتوجنا بل نستورد فوقه هذا الشهر فاكهة ستنضج عندنا في الشهر القادم ، وندفع الثمن مرتفعا وعندما تنضج فاكهتنا نمنع تصديرها فتذهب هدرا . فهــل نحن محتاجون الــى بطيخ مــن السعودية يصل قبل بطيخنا بوقت قليل ؟

من مدريد ذهبنـــا الى طليطله التي تبعد سبعين كيلو مترا في طريق جميلة غارقة بالاشجار والخضرة من جانبيها ، وعلى الطريق استراحات لشرب القهــوة وسواهــا وفيها معروضات للبيع من مصنوعات البلد ومنها المصنوعات الجلدية ، ولاحظنــا ان مكاتب السياحة تتقاضى عمولة على ما يشتريه السائح .

تقع طليطله على هضبة عالية مغطاة بالخضرة ويحيط بها نهر كبير عليه جسر قديم وبوابة مثله بنتهما الايدي العربية . وزرنا مسجدا قديما تم تحويله الى كنيسة لا يرتادها الا من يأتي للسياحة ؛ وفي المسجد بئر قديمة كآبار دمشق . بل ان منازل طليطله وطرقاتها توحي اليك بأنك في دمشق كطلعة حمام المقدم ، وأرضها مرصوفة بالحجارة كما في حاراتنا القديمة ، والمدينة محاطة بسور بناه العرب ، وهناك قصر عربي صار مدرسة وكاتدرائية واسعة أقيمت على أنقاض مسجد وبناؤها فريد في العالم ، والمئذنة لا تزال ظاهرة للعيان وقد دفن في الكاتدرائية الكاردينال منديس الذي ساهم في اخراج العرب من اسبانيا .

دار كدور دمشق

ووقع نظرنا على دار قديمة تشبه دور دمشق ويسكنها الآن فنان اسمه (الكريكوا) ، وفيها لوحاته الفنية . بل حتى فرش الدار قديم . ان طليطله ما تزال محافظة على شكلها الاثري القديم والسائحون الذين يتجولون فيها يشبعون نهمهم الى الاطلاع على الآثار الرائعة .

تاجر يهودي فاصلناه وحاول أن يسرقنا

قلت ان للأدلاء السياحيين عمولة على مبيعاتهم وهذا طبيعي . وقد اخذنا دليلنا الى محل كبير في مدريد افهمنا فيما بعد ان صاحبه يهودي في محله تحف نحاسية مطعمة بالذهب والفضة ، اشترينا بعض الاشياء على أن يحسم لنا عشرين بالمئة ولكنه لم يحسم سوى عشرة ، ومن جهة اخرى تمكنت ان اجعله يقبل سعرا للدولار أعلى مما حاسب به غيرنا فتضايق مني وحاول سرقة سوارين مما اشتريت ليحقق ربحه ولكنني فوتت الفرصة عليه بالانتباه وعددت الاساور قبل أن يجعلها في صرة وبذلك اخذتها كاملة .

ثابت بلال آغا

وكان رفيقنا الحلبي ثابت بلال آغا قد قابلني وعرفته منذ أربع سنوات حين حضر من غرفة حلب ضمن لجنة مكلفة بوضع ضوابط كفالات الغرف التجارية . وقد لمست منه أثناء المؤتمر تصرفات حكيمة وهو في السفر رفيق طيب وهو من رفاق

ولدي الدكتور راتب وراتب يقدره حتى يرى انه جدير بتسنم المراكز العالية .

وبذلك ترون أن راتب لا يغيب عن ذهني في كل مناسبة وقد ذكرتني معاملة السيد ثابت بلال آغا بمعاملته لي .

الى غرناطة واشبيليا وقرطبة

ذهبنا الى غرناطة في رحلة مريحة ضمن الخضرة وأشجار الزيتون والحدائق والازهار والمناظر الجميلة من السدود والانهار والجبال المكللة بالثلوج ، ونزلنا في غرناطة في فندق جميل .

وفي قرطبة اقيم قصر عال فخم اريد من بنائه ان يطغى على قصر عربي موجود في هذه المنطقة العالية ولكن القصر العربي ظل أجمل وافخم . والقصر العربي مكوّن من ثلاثة اجنحة اولها للقضاء والفصل في الخصومات ، والثاني للامير يدير منه دفة الحكم والثالث للمعيشة والحريم وفي القصر ساحات واسعة وبحرات كالتي عندنا وبحرة القصر تشبه بحرة جامع التكية في دمشق ، وهناك نوافير يندفع منها الماء تشعر معها انك في دمر او الربوة حيث تنزل المياه من نهر يزيد . وفي القصر حمامات كحمامات دمشق فيها البراني والجواني والمساطب والبحرة والمغاطس وكل ذلك في نقوش جميلة وزينة باهرة وذوق رفيع وكتابات عربية وتفوق بجمالها اكثر الآثار الاسلامية التي شهدتها في العالم .

كل هذا انساني تعب الرحلة واشعرني بنشوة وفخار وذكرني بعظمة الاجداد وخدمتهم للحضارة الانسانية ، وفي نفس الوقت اثار في نفسي الحزن لما صرنا اليه الآن نتيجة الفرقة والتخلف والجهل . فهل صحيح أن التاريخ يجدد نفسه ؟ . .

وثارت في نفسي امنية هي ان اسجل خواطري في كتاب ، وها انا افعل ذلك الآن ، ولعل الله تعالى يسعف فأهيء كتابا آخر في تجارب عمري الباقية .

وخطر لي خاطر آخر هو ان اطلب من اولادي أن يتركوا جسرين من الحور من زرعنا في العدمل فلا يقطعوهما ويوصوا بذلك الاولاد والاحفاد لتبقى منا ذكرى حية يعرفون منها كم تعبنا حتى اسسنا هذه المزرعة .

التساهل الاخلاقي

وقد آلمني ما رأيت في اسبانيا من تفكك الاخلاق آكثر مما رأيت من ذلك في مدن اميركا وأوربا فالاولادالمراهقون يفعلون كل ما يحلو لهم على مرأى من الناس ولا يجدون حرجا في ذلك . بل هناك قانون يعطي الفتاة القاصر الحق بأن تدعي في حال الحمل على من كان معها وجاءت بالطفل منه أما اذا كانت فوق الثامنة عشرة فلا حق لها بذلك . وقال لي أحد الطلبة العرب أن وجود هذه المغريات السهلة سبب في عدم نجاح الكثيرين من الطلبة . وعلى كل حال فأنا أتكلم بمقاييسنا الاخلاقية لا بمقاييسهم هم .

اشبيليا

قال دليلنا أن سكان غرناطة مائة وخمسون الفا وفيها جامعة كبيرة طلابها سبعون الفا . وحين وصلنا الى اشبيلية كانت اطراف الطرقات مزروعةبالحمضيات فكانتمثل اشجار الزينة . فلماذا لا نزرع طرقاتنا بالاشجار المثمرة بدلا من اشجار الزينة ؟ اقترحت ذلك من سنوات طويلة عند زراعة الاشجار علىطريقالزبداني ولو سمعوا لي لكان عندنا ثروة منها الآن .

والآثار العربية في اشبيليا بينها قصر عربي حولوه الى قصر للشبيبة ومعرض وهو بشكل نصف دائرة وطوله ٣٥٠ مترا وللمدينة سور يحيط بها . ومن آثارها برج في احدى الساحات العامة اسمه برج الذهب أو برج عبد العزيز وتاريخه يرجع الى ١١٥٠ هجرية .

وطرقات اشبيلية ضيقة مشينا فيها على اقدامنا كما نفعل في حارات دمشق القديمة وبناؤها مماثل لما عندنا كنزلة حمام القرماني والزقاق الضيق ، وفي البيوت ساحات وبحرات ماء وقد رممت هذه البيوت وحولت الى اماكن اثرية يقصدها السائحون من كل ارجاء الدنيا .

وفي اشبيليا قصر محاط بسور عال عريض وعليه ابراج تفصلها مسافات كل منها ٣٠ مترا ويبدو القصر كأنما بني أمس ولا اثر للترميم فيه وهو يشبه قصر العظم بدمشق ولكن ساحته اكبر من ساحة قصر العظم وغرفه اوسع وسقوفه من خشب الارز وعليها نقوش عربية والجدران مزخرفة منقوشة وفي ساحة القصر بحرة واسعة

ونوافير انيقـة والنوافذ فيها زجاج ملون بارع الجمال وعليه آثار كتابةعربيةواضحة. وكان الى جانبه جامع جرى تحويله الى كنيسـة .

ولاحظت أن ازالة الطابع الاسلامي عـن آثـار الاندلس يجري على قدم وساق ، ولكن مـع المحافظة على الآثـار نفسها .

ويا ليت أننـا نحافظ على آثارنـا بمثل هذه الهمة والعناية .

قـرطبـة

من اشبيليا انطلقنا الى قرطبة التي تبعد مسافة ١٥٠ كم . في الطريق اليها مررت بقرية فيها كثير من المآذن تحولت الى أبراج كنائس وهي تقع في منطقة حارة على النهر الكبير وفيها سدود لطواحين المياه كالتي كانت عندنا .

يقع الفندق الانيق الذي نزلنا فيه في قرطبة في شارع ضيق كجميع طرقات قرطبة الداخلية التي تشبه طرقات دمشق . وقد زرنا جامع قرطبة الواقع على ضفة النهـر وهـو محاط بسور مرتفع يزيد عرضه على مترين والمئذنة قائمة في احد جوانبه وهي مربعة الشكل وضلع المربع ١٢ مترا وتستمر كذلك حتى ارتفاع ١٣ مترا ومن بعد ذلك تضيق المئذنة وتصبح ممشوقة وعالية جدا . وقـد حـاول الاسبانيون هـدم الآثار الاسلامية ولكن اهل قرطبة احتجوا لدى البابا الذي اوقف الهدم قبل أن يأتي على كل شيء ، ولكن جرى تحويل المساجد والمحاريب الى كنائس ومذابح وبعضها جرى مـن عهد ليس بعيدا بل من ١٨٠ سنة فقط .

وقد بني جامع قرطبة على ثلاث مراحل تبعا لزيادة عدد سكان المدينة . فعند الفتح العربي كان السكان ١٥٠ ألفا ثم ازدادوا الى مليون . وفي المسجـد احد عشر رواقـا وصحنه أكبر من صحن الجامع الاموي طولا وعرضا وقد تـم بناؤه في القرن التاسـع الميلادي وكان التوسع من الجهة الخلفية لان النهر يلاصق الجامع من الجهة الامامية . وعلى النهر أقيمت نواعير تشبه نواعير حماه او تلك التي على نهر يزيد في دمشق قرب جامع الشيخ محي الدين وذلك لرفع الماء من النهر . أما حرم الجامع اي القسم المسقوف منـه فمساحته ١٧٠٠٠ متر مربع كانت مزروعة بالاعمدة الرشيقة الجميلة ، وبقي منها حتى الآن ٨٦٥ عمودا . فالقسم الذي تهدم منها هو الذي يقع في القسم المهدوم مـن

الجامع الذي بنيت فوقه الكنيسة والقسم الباقي يقع ضمن القسم الذي حوّل تحويلا الى كنيسة . وقد حاول الاسبانيون احداث زخارف جديدة على الاعمدة الباقية لطمس معالم الاسلام وهيهات فنور الله لا يطفأ . ولا يسع الانسان عندما يترك الجامع الا ان يشعر بالدموع تتقاطر في عينيه .

لقد كانت الرحلة ممتعة وكان يمكن أن تكون أكثر امتاعا لو نزلنا في فنادق الدرجة الاولى أو الممتازة من حيث الراحة ، ولكن لم يتغير الامر بالنسبة لما يجب أن نراه وللشحنة العاطفية التي يحصل عليها زائر يهمه التاريخ ويحب هذا التاريخ .

وقد ودعنا اسبانيا ونحن نتمنى لو نقيم أكثر في ربوعنا ــ أقول ربوعنا لانها كذلك في التاريخ الحي الباقي ، اما الباقي فسياسة ... وانطلقنا الى روما محطتنا الاخيرة في درب الرجوع .

* * *

الرحلة الخامسة عشرة ـ أيلـول ١٩٨١
الـى الصومـال في أفريقيـا العربيـة

كانت مناسبة الرحلة مؤتمر اتحاد الغرف العربية ايضا حيث تقرر انعقاده في مقاديشو عاصمة الصومال . وكان وفد سورية يضم معي السيد عبد الرحمن العطار عضو غرفة تجارة دمشق وأمين اتحاد الغرف العربية السورية ، والسيدشفيق سكر رئيس غرفة صناعة دمشق وممثلها في المؤتمر .

انطلقنا من دمشق صباح ٣ أيلول ١٩٨١ على طائرة سعودية اقلعت بنا لنقيم يومين في السعودية لأداء العمرة وكنا في ذلك بضيافة غرفة تجارة جدة بدعوة من رئيسها الشيخ اسماعيل ابو داود الرجل الذي عمل على رفع شأن الغرف السعودية الىالمكانة اللائقة والمركز الممتاز .

ومن جدة انطلقنا مع الاخوة السعوديين الى مقاديشو حيث جرى استقبال رسمي وشعبي حافل برئاسة وكيل وزارة التجارة . وبعد ان التقينا وناقشنا جدول الاعمال وقصرناه على الضروري .

وقد اتيح لنا ان نقوم بجولات اقتصادية ونطلع على المشاريع الحيوية في البلاد ، وشاهدنا واقع الصومال القائم على وجود ثروة وارض خصبة تحتاج الى استثمار . يبلغ عدد السكان في الصومال خمسة عشر مليون نسمة وهم جميعا يدينون بالاسلام ويتكلمون لغة خاصة هي السواحلية وهي مزيج منالعربية واللغاتالمحلية . وقد اتجه الناس الآن الى تعلم اللغة العربية ، ولكن ما زالت تسود لغات اجنبية هي الايطالية في الجنوب الذي كانت ايطاليا تحتله ، والانكليزية في القسم الذي كان يخضع لبريطانيا ، والفرنسية في جيبوتي والصومال الفرنسي . وفي الصومال جامعة وعدة كليات في العاصمة اما في بقية المدن فالتعليم الثانوي هو اقصى ما يتاح .

والشعب الصومالي ودود كريم النفس واليد يحب الضيف . والطقس استوائي وخط الاستواء يمر في أحد الامكنة وتشير لافتة اليه . والحرارة تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ درجة في جميع الفصول .

ولما افتتح المؤتمر تنازل السيد عبد الكريم جعفر من السودان عن الرئاسة لرئيس غرفة مقاديشو السيد علي فارح . ولما اعلن امين سر الاتحاد السيد دجاني ان اجتماعا للمستثمرين العرب سيعقد في السعودية لان غرفة تجارة جدة استضافت هذا المؤتمر على أن تتم الاجتماعات في مدينة الطائف ، وطلب أن يكون مؤتمر اتحاد الغرف العربية في الطائف بدلا من اجتماعه في الخرطوم ليكون توافق بين اجتماع المستثمرين العرب واتحاد الغرف العربية . وهنا اعترض مندوب السودان قائلا ان الترتيبات اتخذت لعقد المؤتمر في الخرطوم ولا مجال لالغائها وتأجيل اجتماع الخرطوم الى العام القادم فتدخلت لحسم الموضوع وقلت انه يجتمع المؤتمر في الخرطوم وفي الوقت المحدد وتتخذ التوصيات بالنسبة للموضوعات المدرجة على جدول الاعمال على أن يتم التصديق عليها في اجتماع آخر يعقد في السعودية وفي مدينة الطائف حين ينعقد مؤتمر المستثمرين العرب . فقوبل اقتراحي بموافقة اجماعية وتخطى المؤتمر عقبة كان يمكن أن تؤدي الى خلافات . واثنت الوفود على مداخلتي واقتراحي النافع الذي حسم الخلاف كعادتي في محاولة راب الصدع وجمع الشمل وتوحيد الكلمة .

وعند مناقشة الامور المتعلقة بغرف التجارة العربية الاجنبية المشتركة اقترحت أن يخصص قسم من دخول هذه الغرف لا يقل عن الربع ليدفع الى الاتحاد العام للغرف العربية لان هذا الاتحاد العام هو الذي يضم هذه الغرف ويتحمل نفقات اقامتها التي لا تقل عن خمسين الف دولار لكل غرفة ، كما ان الاتحاد العام للغرف العربية هو الذي يخول الغرف المشتركة بالتوقيع على الوثائق وقوائم الواردات والنفقات ، ولكن الاقتراح لم يلق القبول ولو تحقق لكان للاتحاد دخل يدعم نشاطه ويمكنه من مراقبة فعالة على دخول الغرف العربية الاجنبية المشتركة التي لا يستفيد منها سوى رئيس اجنبي ومدير عام وامين عام عربي علما ان هذه الاموال يخرج معظمها من جيوب المستهلكين العرب . الا نه تم اخيرا أخذ مبالغ من الغرف الاجنبية بحجة وجود أجهزة لها في الاتحاد وكان افضل لو تم ذلك في حينه .

الجلسة الختامية

لا ريب في ان الصومال بلد غني وثرواته الكثيرة كامنة تحتاج الى استثمار ، وقد عبّر عن ذلك المسؤولون الصوماليون في الاجتماع الختامي ولا سيما وزير الزراعة

الذي اشار الى التربة والمراعي والثروة السمكية ووزير الصناعة الذي تحدث عن الفرص الكثيرة مثل زراعة قصب السكر والشوندر ، فوعد أعضاء المؤتمر بدراسة اي مشروع يمكن تنفيذه في الصومال كما شكروا الحكومة الصومالية والشعب الصومالي وغرفة التجارة على الحفاوة البالغة ، وانتهت الاجتماعات .

مدينة كسمايو

الى الجنوب من مقاديشو العاصمة وعلى شاطىء المحيط الهندي ايضا تقع مدينة كسمايو التي ذهبنا اليها على متن طائرة عسكرية فوجدنا استقبالا رسميا لائقا ثم طفنا على الاراضي الخصبة في جولة امتدت ١٥٠ كيلو مترا على طريق نصف معبد . وكان الطقس رائعا وشاهدنا على طول الطريق الاشجار والخضار والفاكهة ومزارع الموز والغابات والمراعي والاغنام والابقار والماعز والانهار وخيرات لا تحصى وكل ما تحتاج اليه الايدي المدعمة بالخبرة والمال لتعطي احسن عطاء .

ولكن الى جانب هذا كان هناك فقر مدقع يبدو على كثيرين من السكان فاللباس ازار يستر العورة فقط وقميص بسيط والبيوت من القش والحياة بدائية للغاية حتى المواشي يبدو عليها الضعف والهزال . مسكينة تلك البلاد التي قاست من الاستعمار وما زالت تقاسي بعد رحيله حتى يتم لها بناء اقتصادها وبناء ذاتها .

في معمل السكر ومزارعه ـ استقبالات شعبية

وقد زرنا معمل السكر الذي انس لينتج ٧٠ الف طن سنويا ولكنه لا ينتج سوى سوى ١٥ الف طن ، وقد تضرر من الطوفان الذي اوصل الماء الى ثلاثة امتار واتلف كثيرا من الآلات . وزرنا الاراضي التي تسقى بالمضخات ويمكن أن تكون سقايتها بسد على النهر ليحل محل المضخات بتمويل من المصارف العربية .

وزرنا مزارع الموز والمنكة واستقبلنا المزارعون بالاهازيج والرقص الشعبي وأكلنا عندهم من الخراف والفاكهة المحلية . وقد وقفت معهم أنا مشاركة لهم في مشاعرهم وكذلك شارك في هذا الرقص ـ الذي يشبه دبكتنا ـ طبيب الصحة الذي رافقنا .

وحين عدنا الى كسمايو شاهدنا في طريقنا غابة طبيعية فيها جميع أنواع الحيوانات

كالسبع والفيل والنمر والدب والذئب والثعلب وهي تعيش معا بطمأنينة وهي اليفة الا اذا هوجمت وتعرضت للأذى .

وزرنا بعض مصانع الجلود والاسماك واللحوم ، ومصنع اللحم يعلب يوميا لحم مائتي رأس من البقر وهو معمل كامل يصدر منتجاته الى المانيا واوربا ، ولكنه حين زرناه كان متوقفا بسبب الصيانة .

ولما عدنا الى مقاديشو دعانا مدير غرفة التجارة فيها الى عشاء في فندق جوبا وبعد العشاء كانت سهرة ممتعة فيها الرقص الشعبي والغناء والقى مدير الغرفة كلمة الوداع ورد عليها الشيخ عبد العزيز الصقر معربا عن عواطف الوفود وتمنياتها بأن تبرز الى الوجود اعمال عربيةمشتركة في الصومال تعم بخيرها الصومال والوطن العربي .

كلمتي في استقبال الرئيس لنا

وقد استقبلنا بعد ذلك السيد رئيس الجمهورية محمد سياد باري ورحب بنا ترحيبا حارا ثم أخذ يحدثنا عن الصومال باللغة السواحلية وينقل كلامه احد المترجمين . وقد صور وضع بلاده وما هي فيه من جهل وفقر ولذلك فاشتراكية الصومال لا تؤمم ولا تصادر ولا تطبق نظام الاصلاح الزراعي وانما تهتم برفع الدخل لجميع المواطنين وتعني بالتعليم . وقد تكلم بعده السيد عبد العزيز الصقر عن مشاهدات الوفد وشكر الصومال ورئيسها وحكومتها وشعبها ، وارتجلت انا كلمة مؤثرة عما شاهدته من تأخر واقترحت الاسراع في دراسة المشاريع التنموية لعرضها على الممولين والمستثمرين العرب الذين تتوفر لديهم الرغبة الصادقة لتوظيف اموالهم في الصومال العزيز . وقد كانت كلمة خارجة من القلب ورايت انها دخلت الى القلوب جميعا . وفي نهاية اللقاء قدمت للرئيس بعض الهدايا الدمشقية فتقبلها شاكرا .

الرحلة السادسة عشرة ـ ايلول ١٩٨١
الى كينيا ـ لاقامة غرفة تجارية عربية كينية مشتركة

كان من المقرر ان تذهب الوفود العربية من مقاديشو الى نيروبي عاصمة كينيا لعقد اتفاق مع غرفة تجارتها لاقامة غرفة مشتركة عربية كينية ، فانتقلنا الى نيروبي. ولكننا منذ المطار عوملنا معاملة غير لائقة ولا تتفق مع كوننا وفدا اقتصاديا يزور البلاد بناء على موعد مسبق ودعوة رسمية . فالاستقبال كان فاترا واخضعت الوفود لاجراءات تلقيح اجبارية ولم نجد سيارات توصلنا فاضطررنا الى استئجار سيارات لهذه الغاية ، ولما وصلنا الى الفندق فوجئنا ببرنامج مختصر لا يتعدى يوم الوصول ويوما آخر وهو لا يكفي لانجاز جدول الاعمال كما أن رئيس غرفة التجارة الكينية أعلن انه سيسافر فورا لارتباطه بمواعيد مسبقة ثم يعود بعد يومين ليوقع على الاتفاق . ولما سمعنا شروطهم التعجيزية صبرنا احتراما لكلمتنا وانتهت المفاوضات بتأسيس الغرفة وتعهدت دول الخليج بدفع المبلغ الذي يحتاج اليه ذلك التاسيس ، وتم التوقيع بعد تعنيف شديد وجهه وزير الدولة الكيني لشؤون رئاسة مجلس الوزراء الى رئيس غرفة تجارة كينيا الذي كان سلوكه عدوانيا ، وهذا التعنيف جعله يتنازل عن شرطه القائل بتعيين مدير تنفيذي كيني يلغي دور الامين العام العربي ووقعنا الاتفاق وفق الشروط المتعارف عليها والمماثلة لما تم مع اميركا وبلجيكا وغيرها . وقبل المغادرة قمنا بجولات سياحية واقتصادية واطلعنا على بعض أوجه النشاط وزرنا المناطق التي فيها اكثرية اسلامية وعربية وكان الاستقبال فيها على درجة من الحفاوة انستنا جفاء ما لقيناه في العاصمة .

غابات افريقية

على بعد ٤٥٠ كيلو مترا عن نيروبي اخذونا الى غابة ودخلنا الى غرف منيعة لا تستطيع الوحوش اقتحامها ومنها شاهدنا الوحوش تحيا حياتها الطبيعية تتنقل وتصطاد وتفترس على مراى منا وهذه الغابة يمنع الصيد فيها والحراس يمنعون الحيوانات من مغادرتها بواسطة بنادق تحوي مواد مخدرة تصيب الحيوان الهارب فيخمد وعندئذ يحمل في سيارة خاصة الى قلب الغابة .

نيروبي - مومباسا

يبلغ سكان نيروبي مليونا ونصف المليون - وتعتبر من ارقى وأجمل مدن العالم من حيث جمال الابنية وروعتها وتنظيم الشوارع والساحات والحدائق ، والطقس فيها جميل ، ولكن الامان مفقود . . . فلا يأمن الانسان أن يركب سيارة اجرة ما لم تكن من مكتب تاكسي معروف . وفي الفنادق يجب اغلاق الابواب من الداخل . وفي المصعد يوجد شرطي للحراسة ومراقبة الداخلين والخارجين .

وومباسا مدينة اكثرية سكانها من أصل عربي ويدينون بالاسلام ، وكان اصرارنا على تأسيس الفرفة المشتركة من اجلهم . وكدت لا اذهب بسبب تعبي ولكن الزملاء اصروا فرافقتهم الى مومباسا وهي المدينة الثانية في كينيا ، وسكانها مليون نسمة ، وتقع على شاطىء المحيط الهندي ولها ميناء تجاري قديم الى جانبه قلعة لحمايته والدفاع عن البلاد . ولما حطت طائرتنا خف حشد كبير من اهلها لاستقبالنا على راسهم عمدة المدينة والوجهاء والاعيان وعدد من التجار استقبلونا بحرارة . والمدينة غارقة بالاشجار والخضرة والورود ومناظرها ساحرة . ومع أن اهل المدينة من أصل عربي الا انهم لا يتكلمون العربية بل السواحلية وهي مزيج من العربية واللغات المحلية . طفنا ارجاء المدينة ولاحظنا فقر السكان . نزلنا في فندق كبير تملكه شركة عربية كينية ودعينا فيه الى تناول الغداء على مائدة عمدة المدينة ووجهائها والقى مضيفنا كلمة عن المدينة وعن كينيا وعلاقاتها الوثيقة بالوطن العربي وكان اللقاء وديا انسى الحضور عناء السفر . وكان بين المستقبلين سيدة عضو في غرفة التجارة الكينية وهي غير مسلمة وسيدة اخرى عضو في المجلس البلدي وهي مسلمة ، وهذه احضرت طعاما لنا طبخته في دارها تكريما للوفود وقد اهدتني كيلو غراما من الشاي الجيد واهديتها مدالية فيصلية .

وبعد استراحة في الفندق شربنا الشاي الفاخر وتبادلنا الاحاديث الودية ثم عدنا الى نيروبي ونحن نرى الفارق الجسيم بين الاستقبالين .

وحين كنا في مومباسا زرت مع الاخ اسماعيل ابو داود السفير السعودي وتعرفنا على استاذين من جامعة مكة المكرمة قدما الى كينيا منذ ثلاثة اشهر لفتح مدارس لتعليم اللغة العربية والشريعة الاسلامية لابناء المسلمين .

الارقـــام تتكلـــم عـــن كينيـــا

كينيـا بلـد افريقي غني تربته خصبة ومناخه جميل وأرضه مـلأى بكل انـواع المعادن ولذلك استهدفها المستعمرون ففي عام ١٥٩٢ ميلادية بنى البرتغاليون حصنا في مومباسا ولكن العمانيين حاصروا البرتغاليين عام ١٦٩٨ وطردوهم . ولكن البرتغاليين عـادوا في عام ١٧٢٨ لاحتلال مومباسا وحصن (يسوع) ولكن أهل البـلاد اجبروهم على التقهقر واعلن حاكم البلاد الاستقلال عام ١٧٤١ . ولكن بعد ست سنوات قتـل الحاكم فنهض شقيقه بعد مقتله واستولى على الحصن وخلص البلاد مرة ثانية واعلن الاستقلال . ثم صارت محمية بريطانية انتهت عام ١٩٢٦ .

وقد استخدم البريطانيون قلعة مومباسا المرتفعة جدا والتي لها طريق محفور في الجبل ، استخدموها سجنا للوطنيين طوال ٦٣ عاما . وقد تنازعها العرب والبرتغاليون وفي بعض سقوفها آيـات قرآنيـة .

وممن لفتوا نظري أثناء هذه الرحلة الشيـخ ناصر بن أحمـد الزرعـة من الوفـد السعودي ، وهو رجل مهيب في وجهه الشهامة والعزة والعراقـة والرجولـة والكرم وهو رئيس غرفة تجارة الحسا في المملكة العربيـة السعودية وقـد ربطتنـا بسرعـة أواصـر المـودة ولسوف أتحـدث عنـه في فصـل قادم عندما زرته في مجال عملـه المـوفق الكبـير .

* * *

الرحلة السابعة عشرة ـ تشرين الاول ١٩٨١

الى الصين ـ بلد الحضارة العريقة والنهضة الجبارة

كانت الرحلة لمشاركة وفد اتحاد الغرف العربية الذي يقصد الصين لتقوية الروابط بين الصين والوطن العربي . في هذه الرحلة صحبني ولدي الدكتور راتب وانسيد عبد الرحمن العطار أمين سر غرفة تجارة دمشق واتحاد الغرف العربية السورية ، بالاضافة الى مرافقة العديد من أعضاء الغرف العربية . وكان الانطلاق من دمشق الى بيروت بالسيارة ومنها الى البحرين حيث تتجمع الوفود وتعقد اجتماعا مصغرا للتنسيق وتبادل وجهات النظر . وكانت اقامتنا في البحرين ستكون ممتعة . تم تقلع الطائرة الانكليزية الى هونغ كونغ ـ فارق التوقيت بين البحرين وبينها ست ساعات ! ـ ومنها الى بكين حيث يتم استقبال حافل واقامة مريحة لتجرى المحادثات والجولات والمقابلات .

كانت قد وصلتني دعوات كثيرة في ذلك الوقت : واحدة لرومانيا لزيارتها بمناسبة معرض والاقامة اسبوعين مستصحبا ثلاثة أو اربعة أشخاص . ودعوة من الغرفة الاسلامية في جاكرتا عاصمة أندونيسيا . ودعوة من غرفة تجارة ازمير في تركيا . فالى أين اذهب وماذا أختار ؟ وتذكرت قول الشاعر :

تكاثرت الظبــاء على خراش   فمـا يـدري خراش مـا يصيد

ولكن ايثار المصلحة العامة دعاني لاختيار الصين فالدعوات الاخرى كانت شخصية ودعوة جاكرتا تأجلت بناء على طلبي . وفي الصين سيتم توقيع بروتوكول اقتصادي وتجاري مع البلاد العربية ولعل الله يهيء فرصا أخرى للزيارات الباقية .

الصـــــين

كان عدد الوفد ستة عشر يمثلون سبعة اقطار عربية . وخلال الاجتماع الذي انعقد في المنامة عاصمة البحرين حدثنا السيد الدجاني عن الصينيين وأخلاقهم وأوصى بالدقة والانتباه والحذر خلال التعامل مع هذا الشعب المهذب الذي يقدر الاخلاق العالية وذكر قصة أحد التجار الذي وضع يده على خد موظفة المصعد بقصد أو غير

قصد فرفعت الموظفة الامر الى رئيسها فكان ان رحلوا هذا الرجل الى بلاده ولكن شحنوا لهبضاعته وفاء لتقاليدهم التجارية . وقصة ثانية تقول ان الصينيين رحلوا الضيوف في مرة من المرات من مكان يخشى سقوطه بسبب زلزال تنبأت به مراصدهم وحملوا لهم ما اشتروه من سجاد وبضاعة على رؤوسهم على الرغم من المطر المنهمر بغزارة . وقال اخيرا ان الصينيين يضعون لوحات على المطاعم التي لا تقدم لحم الخنزير لمن لا يرغبون في هذا اللحم ويجدونه حراما .

واثناء توقفنا في البحرين دعانا السيد محمد علي بدير للفداء وبعده لزيارة شركة نعمل بمواد البناء ويملك قسما منها ولها مستودعات واسعة ، والشركة نصفها لرئيس غرفة تجارة البحرين والنصف موزع بين بدير وملص وهدهد وادلبي ومنكو وغيرهم وجميعهم من اصل سوري . واضيف بأن الطيارة حين حطت بنا في هونغ كونغ استقبلنا السيد فهد البغدادي الذي سبق أن ذكرته في زيارة هونغ كونغ السابقة ووالده السيد صياح سوري الاصل معروف بالاستقامة والوفاء والاخلاص .

في بكين

ولما وصلنا الى بكين كان الاستقبال حافلا ونقلونا بسيارات فخمة الى دار الصناعة التي تقع على شارع رئيسي وفيها فيلات ضيافة متوازية في كل منها ثلاث غرف أو اربع وهي ملأى بأسباب الراحة والاقامة فيها تكلف ستين الى تسعين ينا صينيا في الليلة والفيلات الاكبر تكلف ١٢٠ ـ ١٧٠ ينا . وقد اخذنا فيلا للوفد السوري وكان الطقس باردا وهطل الثلج ولم نكن محتاطين له فأبدلنا ملابسنا بسرعة .

كان اليوم الأول ١٩٨١/١٠/٢٣ مخصصا لمقابلتين وعشاء . واليوم التالي صباحه لمقابلات حرة مع رؤساء الشركات الصينية ثم زيارة للمدينة الامبراطورية ، وفي الثانية والنصف استقبال لتوقيع الاتفاق . وفي اليوم الثالث رحلة الى السور الصيني والقصر الصيني، واليوم الرابع اجتماعات رسمية وجولات حرة. وفي ١٠/٢٧ نفادر الصين.

معلومات

بلغ عدد سكان الصين الف مليون نسمة من الواجب تأمين المسكن والمأكل والملبس لهم ، لذلك طبقوا بصرامة نظام تحديد النسل ليقفوا في وجه الانفجار السكاني .

فالاسرة لهــا ان تنجب ولدا واحدا فقط وتتعاطى النساء حبوب منع الحمل حتى اذا مات الولد سمح لهن بانجاب بديل عنه ومن أجل دعم هــذا النظــام حصرت بطاقات التموين فلا يعطى الرجل المتزوج أكثر من ثلاث بطاقات لــه ولزوجه وولد واحــد . ومن أنجب أكثر عليه أن يتحمل هو مشكلة اطعامــه . ولكن علمت مؤخرا أن قضيــة انجــاب البنت بدلا مــن الصبي بدأت تحــدث مشاكــل كثــيرة مثل التخلص منهــا ولست أجزم . . .

وملاحظة اخرى وهــي ان الصينيين كمــا بدا مــن احاديثهم يكرهــون الروس . وثالثة هي أن البضــائع تباع للناس بأقل كثيرا مما تباع للسائح ولاحظنا وجــود نوعين من النقد واحد للمواطنين وآخر للاجانب والسواح .

بــكــــــين

مدينة بكين جميلة وغير مكتظة بالبنــاء والابنية العالية متباعدة والطرق واسعــة وفيها ثلاثةاتجاهاتللذهاب ومثلها للاياب والبيع يتم معظمه فيمحلاتكبيرةوالسيارات الصغيرة قليلة العدد ويستخدمون وسائل النقل الجماعية كالسيارات الكبــيرة ذات المقطورات والقطارات والدراجات النارية . واكثرية السكان من قصار القامــة ولكن بينهم عدد اقل من طوال القامة وهم متشــابهو الوجوه فينظرنا ولكن يقولون عنالشعوب الاخرى كشعبنا انه يصعب التفريق بين واحد وآخر ويقولون ان عيوننــا مائلــة . . . وفي المطاعم يستخدمون مائدة مستديرة تدور بأصنافها على الجلساء وطعامهم متعــدد الاصناف ولا يشربون المــاء وقد يستعيضون عنه بالخمر ، وهذا ما رأيته في الحفلات.

المدينــة المحرمــة والتحف الامبراطورية وسور الصين

كانت المدينة الامبراطورية اقيمت قبل ٥٠٠ عام لسكن الامبراطور وموظفيه ووزرائه وسميت محرمة لأن الشعب لا يدخلها . مساحتها ٧٢٠ دونما والداخل يدفع رسمــا عند البوابة ومنها تبدأ القصور المختلفة وآخرها قصر الامبراطور المخصص لاجتماعاته الخاصة ويليــه قصــور النســاء . وبــين القصور واحد مبني مــن الخشــب قطر العمود فيه يزيد على متر ونصف وبطول عشرة أمتار ويبدو القصر كأنه قطعة خشــب واحدة متشابكة بشكل فنيعجيب ولا يوجد فيه مسمار واحد حديدي . وفيهشاهدنا

مجلس الامبراطور وكرسيه ومجالسه مععائلته والمقربين ؛ والمتحف يقع في آخر القصر وفيه أبهاء خصص كل منها لنوع من التحف الثمينة والمجوهرات التي لا تقدر بثمن لما فيها من أحجار كريمة ولؤلؤ ومرجان ، وكذلك التيجان التي يضعها الامبراطور والامبراطورة . وعند المدخل يوجد حجر (جاد) يقال أن وزنه خمسة أطنان استغرق نحته ونقله وتركيبه في مكانه نحو ثمانية أعوام .

وفي مؤسسة التنمية استقبلنا الرئيس ونوابه الستة من الباب الخارجي ، وفي قاعة فخمة تم التوقيع على اتفاقية تجارية توثق العلاقات بين الصين والوطن العربي وجرى تبادل كلمات التهنئة والتمنيات واخذ الصور التذكارية .

وفي اليوم التالي تناولنا الافطار في السادسة والنصف صباحا ثم أخذونا الى سور الصين بسيارة كبيرة ورافقنا نائب رئيس مجلس التنمية . مررنا أولا بأراض زراعية وتوغلنا في الريف وكانت وسائط العمل الزراعي التي شاهدناها قديمة والطريق نفسها ضيقة لا تتسع لاكثر من سيارتين ولا تسمح بالتجاوز . ولما وصلنا الى السور وجدنا ساحات واسعة لوقوف السيارات ومحلات تجارية تبيع نفائس الصناعات اليدوية وبعض القطع الاثرية ولكن الجو كان باردا جداً حتى لم أستطع السير اكثر من مائة متر .

يقال أن بناء السور تم منذ تسعة قرون وعلى طول خمسة آلاف ميل واستغرق بناؤه خمسين عاما وهو بعرض اربعة امتار وارتفاع متر ونصف عن الارض والغاية من بنائه منع الجيوش من دخول البلاد وفيه ابراج للحراسة والمراقبة يختلف بعدها بحسب المنطقة .

ثم عدنا ادراجنا الى بكين من طريق آخر قادنا الى بقعة جميلة وحدائق واسعة وابنية ضخمة وبحيرة وهناك تناولنا طعام الغداء ومن بعده شكرناهم وعدنا الى الفندق .

وجرت مقابلة مع نائب وزير الخارجية الصينية تحدث فيها عن مواقفهم من العرب والقضية الفلسطينية وقال ان الشعبين العربي والصيني لهما ماض عريق وتراث حضاري والصين مهتمة الآن باستقلالها وقوت شعبها وتطويره ثقافيا ، وجرى كلام من الطرفين حول نفس المعاني الطيبة .

ثم جرت زيارة لنائب رئيس وزارة الصين في مقر رئاسة مجلس الوزراء فاستقبلنا على المدخل ودخلنا الى بهو كبير حيث أخذت الصور التذكارية مع نائب الرئيس ورئيس مجلس التنمية ومعاونيه الستة وكان الحديث في السياسة لا يخرج عما تقدم مع نائب وزير الخارجية وأجابهم عنا السيدان عبدالعزيز الصقر والدجاني ، كما القيت انا كلمة سرّ منها مضيفونا .

وبعد ذلك استقبلنا سفيرنا السيد زكريا الشريقي وهو شاب من اللاذقية ومعه السيدان محمد عودة وبطرس حنا وهما دمشقيان ، والسفارة السورية جميلة جدا ووجدنا كل حفاوة ولطف وكرم . ثم زرنا السفارة الكويتية لتناول طعام العشاء بدعوة من السفير بحضور جميع السفراء العرب والمفاوضين الصينيين وكانت مناسبة رائعة لاجتماع الجميع في جو من الالفة والمحبة .

وقبل أن نغادر الصين زرنا هيئة تخطيط الدولة حيث زودونا بقوانين معدة لتشجيع الاستثمار في الصين وهي مكتوبة بالعربية والصينية وقالوا أن القوانين قيد الدراسة والتعديل وطلبوا رأينا فيها .

دفعنا حسابنا في الفيلات واشترينا بعض الهدايا ومضينا الى المطار فوجدنا في وداعنا كبار المسؤولين في مؤسسة التنمية فسلمونا الصور التذكارية نسخة لكل عضو في الوفد واقلعت بنا الطائرة الى هانكشو حيث هبطت الطائرة ووجدنا من يستقبلنا مندوبا عن المؤسسة ثم اخذونا الى فندق فخم من الظاهر ولكن بسيط من الداخل قضينا فيه ليلتنا في السهر والحديث والنوم لأن الصينيين لا يعتنون بالملاهي ولا يسهرون . وهانكشو مدينة جميلة ومركز للحرير الطبيعي ويقصدها الكثيرون وقربها توجد بحيرة جميلة حولها الجبال أخذنا فيها مركبا تجولنا فيه ساعة وفي قلبها جزر وفي آخرها معبد صيني يصعد اليه بخمس وثمانين درجة وبعدها بناء من ثلاثة عشر طابقا من الخشب وهو المعبد .

ثم من هانكشو ذهبنا بالقطار الى شنغهاي وكان في وداعنا رسميون وقضينا ثلاث ساعات في عربة من الدرجة الاولى وشاهدنا خلال ذلك مناظر الريف الصيني وكانت رحلة مريحة .

وفي شنغهاي دخلنا معبدا وشاهدنا الصينيين الذين يصلون فيه والمعبد قديم بني منذ ١١٥٠ سنة وعلى جدرانه الخارجية نقوش وصور بحجوم مختلفة ومتى دخل الانسان اليه شاهد تمثالا ضخما من النحاس طوله خمسة امتار وعرضه ثلاثة امتار وخلفه عدة تماثيل من النحاس الاصفر يتجاوز عددها خمسة عشر تمثالا وفي صدر المعبد تماثيل متوسطة الحجم وصغيرة . في هذا المعبد يصلي الصينيون ويرتلون ويسجدون على الارض بعد الركوع وبعد كل ركعة يسجدون ثلاث مرات والجميع يرتدون لباسا موحدا من اجل الصلاة وهم غالبا نحيلون .

شجيرات الشاي ومعبد صغير

ومررنا بقطعة ارض مزروعة بالشاي ونباته يشبه نبات المرجان الذي نعرفه في دمشق وبحجم شجيراته الصغيرة . وبعد المزرعة معبد صغير فيه تمثال ضخم فخم لأحد ملوك الصين قتله الغزاة في هذا المكان وكان عمر الملك القتيل ٣٩ سنة وفي كل طرف من المعبد تمثالان مكبلان بالسلاسل . وكلما مر الصينيون امام التماثيل المكبلة بصقوا عليها لأنها تمثل الغزاة الذين قتلوا الملك صاحب التمثال الضخم ويقفون عنده معظمين يرددون الادعية والصلوات .

في شانغهاي

انها واحدة من مدن الصين الكبرى وسكانها يعدون عشرة ملايين . زرناها بالقطار واستقبلونا فيها استقبالا حافلا ، وانتقلنا الى المدينة بسيارة اعدت خصيصا للوفود ، وفيها حللنا ضيوفا بفيلات تشبه تلك التي نمنا فيها في بكين واجرة الغرفة فيها مائة ين صيني . وكان علينا أن نزور المعرض الصناعي ونقوم برحلة بحرية ونزور معمل القمصان الكبير ومعمل المطرزات وغيرها .

كان المعرض مساحته عشرة آلاف متر مربع شاهق الارتفاع طويل الممرات مزينا بنقوش جميلة جدا وبصور الميادين العامة . وكان بناؤه في عام ١٩٥٥ قبل انتصار الشيوعيين وشارك الروس في بنائه وتمويله . وكانت معروضاته اربعة آلاف صنف بما في ذلك الطائرات والسيارات والبواخر وغيرها من المعروضات والتحف وتماثيل الخشب والعاج والخزف والفضة والذهب وانواع المنسوجات الحريرية والقطنية والصوفية .

طفنا فيه واشترينا بعض الهدايا والتحف ، ثم ذهبنا للصلاة في جامع شانغهاي اذ كان اليوم يوم جمعة . ونسجل للصينيين حفاوتهم وعنايتهم بأدق تفاصيل الزيارة وما يرفه عنا وقد اخذونا الى المسجد فشاهدنا بين المصلين رجلا يعطي درسا دينيا ثم صعد الخطيب المنبر وهو من عشر درجات وبيده عصا تقليدا للخطباء ، وكانت الخطبة جيدة وباللغة العربية . وبعد ذلك أقيمت الصلاة ثم تبادلنا التحية مع المصلين الذين تشع وجوههم بالايمان . هذا المسجد بني عام ١٣٥٧ هـ وعلى بابه كتبت العبارة: (إن الدين عند الله الإسلام) . وفي شانغهاي عدة مساجد يؤمها المصلون .

اجتماع الكويت والخرطوم والطائف

وفي شانغهاي وعلى احدى الموائد ضمني والاخ أبا عصام محمد علي بدر وأبا حمد الشيخ عبد العزيز الصقر والاستاذ برهان الدجاني مجلس تذاكرنا فيه أمور اتحاد الغرف العربية والاجتماع في الكويت قبل الذهاب الى الخرطوم ثم الانتقال الى الطائف، مما سبقت الاشارة اليه في رحلة مقاديشو ، وقررنا المضي في ذلك على أن تكون زوجاتنا معنا .

ام راتب

وعلى ذكر زوجتي أم راتب كم تمنيت ان تكون معي في هذه الرحلة وهي بالفعل مرافقة ممتازة جديرة بالاعجاب والتقدير لمرافقتها لي في الاسفار وخلقها الكريم وتصرفاتها الحسنة وادبها الجم ولكن ما العمل اذا كان بقية الاعضاء لم يصطحب احد منهم زوجته ؟ هذا بالاضافة الى صعوبة رحلات العمل المتعبة والتي لا توافق صحتها فالسفر كما يقولون قطعة من العذاب لا سيما اذا كان بصحبة رجال أعمال يصلون الليل بالنهار . وهكذا كنت أفكر وانا أتمنى ان تكون معي .

شخصيات مرموقة في الوفد

هذا ويسرني ان اسجل الانسجام التام بين أعضاء الوفد وذلك بفضل حنكة ودراية وخلق بعض كبارنا كالشيخ عبد العزيز الصقر . ويحلو لي أن أسجل بعض الانطباعات عن هؤلاء وقد سجلت بعضها في باب الشخصيات الاقتصادية واضيف اليهم من اعضاء الوفد الى الصين :

السيد **عدنان قصار** وهو رئيس الوفد اللبناني رئيس غرفة تجارة بيروت وصناعتها ومن أثرياء العاصمة اللبنانية وكبار رجال المال والاعمال فيها مثقف ثقافة عالية وله مركز ممتاز في الاوساط الاجتماعية والحكومية . وصلاته بالصين الشعبية متينة وله فيها أشغال كثيرة ، وهو لا يجد غضاضة في استشارة غيره . ومن يتعامل معه يشعر انه يتعامل مع انسان يحمل قلبا طيبا وأخلاقا عالية . وقد كان والده قاضيا معروفا ثم سفيرا وكان يرغب في ان يدرس ولده الحقوق ليكون محاميا أو قاضيا غير انه فضل التجارة واخذ من والده اربعة آلاف ليرة لبنانية وبدأ عمله بهذا الراسمال البسيط مع الصين التي كانت خارجة من حرب أهلية فاصاب نجاحا لم يسبقه اليه احد . وفي هذا العام اشترى مصرف الصباغ في لبنان الذي كان أصله في دمشق تحت اسم (صباغ وسيوفي) فبانتهاء الحرب العالمية الاولى انفصل الصباغ واسس مصرفه في بيروت وبقي أنطون السيوفي في دمشق . . ومما يذكر أن السيد عدنان القصار شارك شقيقه الاصغر وخصه بالنصف من كل أعماله .

السيد خالد العيسى من الكويت وهو شاب متحمس أديب في تصرفاته وكلماته متمكن من دينه ودنياه حافظ الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة متفهما معانيها يحترم الصغير والكبير ويتفانى في خدمة الجميع ورفقته ممتعة .

والسيد **عصام السمان** وهو سوري الجنسية موظف في غرفة تجارة دولة عمان وهو من المثقفين المؤدبين لا يتكلم الا عند الضرورة ويفهم فهما عميقا كل ما يجري ويدور .

والسيد **زهير عصفور** وهو من اعضاء الوفد الاردني ، شاب المعي له مركزه التجاري الرفيع لدى الاوساط الاقتصادية وهو متزوج من ابنة المرحوم نسيب الحجار ، من صفاته أنه يسمع ويلاحظ كل شيء دون أن يوجه انتقادا لأحد .

والسيد **عبد الكريم جعفر** من الوفد السوداني وشقيقه السيد عبد القادر جعفر . ومن أعضاء الوفد السوداني ايضا السيد عبد الرحيم وهو صاحب مكتبة شاب اديب يحفظ الكثير من الشعر والتاريخ . والسيد عبدالكريم جعفر يتحدث كثيرا عن السودان ولا يكف عن ذكر ما يحتاج اليه من مشاريع وقروض ومساعدات ، وهو طيب القلب ذو خلق كريم .

والسيد **منصور طالب** عضو غرفة تجارة مسقط وهو شاب مهذب لا يتكلم الا عندما يجد للكلام ضرورة واذا تكلم فاق المتكلمين رجاحة فكر وطلاقة لسان .

والسيد **جاسم** نائب رئيس غرفة البحرين وهو يتصف بالهدوء والتأني بالحديث ويقصر الحديث على كل ما هو ضروري . يقدر الناس ، ومع انه على ابواب الستين من العمر فهو لا يتقدم عند الدخول على احد ممن هم أكبر منه سنا .

والحقيقة التي يجب ان تقال أن رفاق الرحلة كانوا نخبة خيّرة وممتازة وظهرت منهم صفات كريمة في رحلة شاقة وطويلة . ولا يسعني الا ان انهي حديثي عنهم بكلمة قالها أحد الشعراء ، وقد طبقوا الحكمة بحذافيرها :

احفظ لسانك لا تكن ثرثارا　　واذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما أن ندمت على سكوتي مرة　　إلا ندمت على الكلام مرارا

عود الى رحلة الصين

فلقد زرنا خلال الرحلة كثيرا من المعامل اليدوية كالتطريز والحفر والنقش والتماثيل والاحجار الكريمة وفيها آلاف من العمال يعملون بنشاط ودون توان وينتجون سلعا كمالية تجلب للصين الخير . واجر العامل رخيص للغاية ولباس الشعب موحد وهذا يوفر اموالا كثيرة . ولما انتقلنا بالطائرة من شنغهاي الى كانتون (اسمها الجديد كونجو) استقبلنا موظفون رسميون من مؤسسة التنمية وقد تناولنا طعام العشاء بدعوة من السيد عدنان قصار . ولفت نظرنا في هذه المدينة باعة التفاح الذين يعلقون سكينا يقشر بها الزبون التفاح . كما لفت نظرنا لافتات بالعربية كتب عليها (محل اسلامي للفطائر) . وزرنا معرضا كان في المدينة . . .

وبعد ظهر اليوم الاخير في الصين الشعبية كانت لنا جولة في مدينة كونجو اطلعنا فيها على معالمها وشاهدنا النهر الذي يخترقها وتمخر فيه المراكب الكبيرة والصغيرة، وشاهدنا طرقا مرتفعة وغابات متصلة مكتظة بالاشجار . يبلغ عدد سكان هذه المدينة اربعة ملايين اما المقاطعة فسكانها خمسة وخمسون مليونا .

وفي السادسة مساء زارنا في الفندق نائب مدير المعرض وهو مستشار بوزارة التجارة ومعه مدير التنمية وكبار الموظفين وصحبونا الى مطعم فخم قالوا انه اقدم المطاعم وبعد العشاء عدنا الى الفندق نجول في محلاته التجارية .

الى هونغ كونغ

ومن كونجو غادرنا ارض الصين الشعبية صباح ١٩٨١/١١/١ بالقطار الى هونغ كونغ وقد حملنا معنا أجمل الذكريات واستغرقت رحلتنا ثلاث ساعات لم نشاهد خلالها قطعة ارض غير مزروعة . ونزل من القطار الف وخمسمائة راكب وتمت معاملات الخروج في نصف ساعة وكان السيد فهد البغدادي في انتظارنا ، واقلتنا السيارات . وفي الطريق لاحظنا وجود البنايات الفخمة الشاهقة والى جانبها الاكواخ الخشبية البسيطة القميئة التي يلعب امامها أولاد شبه عراة حفاة الاقدام عليهم ملامح الضنك، وهذا ما جعل الناس يعتنقون الشيوعية ويكرهون الاستعمار الاوربي الذي يعمل على خلق التفاوت بين الناس ويبقى أكثرهم بين انياب الفاقة والمرض والتخلف والظلم .

رحلة العودة

وقبل مغادرتنا هونغ كونغ ناقشنا نقل اتحاد غرف التجارة والصناعة العربية الى بلد آخر غير لبنان ولكن الموضوع أجل لحساسيته في هذه الظروف .

وزرنا محلات السادة أولاد داود قطرميز وهم سوريون مقيمون في هونغ كونغ منذ عام ١٩٧٣ وقالوا انهم يعرفونني ولهم مركز ممتاز .

اجتماع في نيودلهي

ومن هونغ كونغ توجهنا الى نيودلهي فوصلنا ليلا وثم في اليوم التالي عقد الاجتماع المقرر مع الجانب الهندي والقى وزير التجارة الهندي كلمة قيّمة اجاب عليها السيد عبد الكريم جعفر . وفي المساء اقيمت حفلة ساهرة قدمت فيها فرقة هندية رقصا جميلا ، ومن بعد ذلك عدنا الى دمشق عن طريق الكويت والعود احمد . وبذلك انطوت صفحة من صفحات الذكريات ارجع اليها في ساعات الفراغ والهدوء فأستحضر الصور، وارجو ان تكونوا رايتم معي ما رايت ، فأنتم كنتم وما زلتم في عيوني ! . .

الرحلة الثامنة عشرة ـ كانون الثاني ١٩٨٣

الى دبي ، ومنطقة الاحساء في السعودية

كان ذهابي الى دبي لحضور اجتماع لجنة الغرف العربية المشتركة في دبي ، وكذلك فان الشيخ ناصر الزرعة كان قد دعاني الى زيارته في الهفوف من الاحساء أثناء وجودنا في كينيا . ووعدته بهذه الزيارة .

وكان رفيقي في هذه الرحلة ابني البار الحبيب الدكتور راتب وفقه الله هو واخوته وابناء اعمامه . وقد انطلقت بنا الطائرة في يوم الاحد الثاني من شهر كانون الثاني عام ١٩٨٣ الى الكويت ومنها الى دبي حيث كان في استقبالنا السيد نزار سردست نيابة عن الشيخ جمعه الماجد رئيس غرفة دبي . فقد كان انتظرنا في المطار لمدة طويلة وبسبب تأخر طائرتنا اضطر الى ان يذهب فيؤمن الامور الضرورية لعقد الاجتماع فكانت لفتة كريمة منه .

حين وصلنا الى الفندق كان هناك السادة محمد علي بدير وحمدي الطباع وامين الحسيني وغيرهم . ولما افتتح الشيخ جمعه الماجد الاجتماع بالترحيب نقل رئاسة الاجتماع اليّ من فوره قائلا : انني تمرست في المؤتمرات السورية السابقة بحل القضايا الشائكة بمرونة ، وقد قبلت تكليفه شاكرا وتم الاجتماع واتخذت فيه المقررات الضرورية .

ثم تركنا دبي الى المملكة العربية السعودية فوصلنا الى الرياض ومنها الى الظهران فالهفوف حيث نزلنا في احد الفنادق . وفي الصباح ارسل الشيخ ناصر سيارة فخمة اقلتنا الى داره العامرة حيث التقانا بحب العربي لاخيه وبالمودة . ومن هناك ذهبنا الى مزرعته .

الاحساء قديما وحديثا

كانت الاحساء قديما هي الساحل الذهبي للجزيرة العربية لكثرة معادنها وكونها منطقة الغوص لاستخراج اللؤلؤ ، وشاهدنا في طريقنا اليها الكثير من آبار البترول . وتعرف الهفوف احيانا باسم (البحرية) لكثرة مياهها الجوفية وهي الآن منطقة خصبة

زراعية وفيها أنتاج نباتي وحيواني يسد الكثير من احتياجات المملكة مع انها كذلك منطقة بترول ومعادن .

وجدير بالذكر ان منطقة الاحساء او المنطقة الشرقية واسعة وتتصل بحدودها مع العراق والخليج العربي من جهتي الشرق والجنوب كما تتصل بصحراء الدهناء من جهتي الشمال والغرب ، ويقدر عدد سكان المنطقة بنصف مليون نسمة وفيها خمس وسبعون قرية لا يتجاوز سكانها مجتمعين خمسة وسبعين ألفا لأن معظم السكان يعيشون في المدن الناشئة في المنطقة مثل الهفوف والخبر والدمام والظهران .

دار الزراعة

ولما زرنا (دار الزراعة) العائدة للشيخ ناصر وجدناها مكونة من عدد من الابنية الفخمة الانيقة ولها عدة مداخل وفيها (ديوانية) اي صالة كبيرة للضيوف وصالةطعام كبيرة وجناح كامل لنزول الضيوف فيه غرفة طعام لهم ، وهناك أخيرا جناح فخم مجهز احسن تجهيز للضيوف الممتازين . ويقيم الشيخ ناصر مع زوجتيه واولادهما في سكن واسع فخم ، واولاده ستة عشر حفظهم الله وحفظ والديهم .

وقد بنى الشيخ ناصر بناء كبيرا من ثمانية طوابق ومساحة كل منها ثلاثة آلاف متر مربع فيه مسجد كبير مكيف وله مئذنتان بارتفاع خمسين مترا وقبة ارتفاعها ستة وعشرون مترا وقطرها أكبر من قطر قبة الجامع الاموي بدمشق ، والى جانبها اربع قباب أصغر ، وحول المسجد حديقة واسعة منسقة . ويلحق بالمسجد مصلى للنساء ومكتبة وجناح خاص لحفاظ القرآن الكريم وآخر لسكن موظفي المسجد ، وكل هذا يشكل آية من آيات الجمال بارك الله يدي الشيخ ناصر وحفظه هو واصحاب الايادي الخيرة . . .

المزرعة

وشاهدنا المزرعةالنموذجية الحديثة التي تبعد عنالهفوف خمسةوعشرين كيلومترا فشاهدنا أنواع الماشية من غنم وإبل وخيول وانواع الدواجن والطيور وكل ذلك في تنسيق بديع . ويسقي المزرعة ماء غزير مدت منه أنابيب المياه لتسقي المزروعات

بالطرق الحديثة ، وكل طرقات المزرعة معبدة ومفروشة بالاسفلت ويشرف على المزرعة سوري من آل الخطيب . كما أن مدير مكتب الشيخ ناصر فلسطيني هو السيد عارف قاسم وكان فيما مضى يعمل في دمشق لدى شركة خليل مقدادي للمواد الزراعية .

عين دار الهجرة ورعاة بالسيارات !

ثم انتقلنا الى قرية تبعد أربعين كيلو مترا عن الهفوف اسمها عين دار الهجرة وفيها ايضا دار فخمة للشيخ ناصر من طابقين حولها حديقة غناء وفيها دار اخرى للرعاة والنواطير . وكان فيها ستون ناقة تحت الولادة واربعون ولدت وثلاثة جمال ذكور وكل الإبل أصيلة من نوع ممتاز وتساوي قيمة الناقة الاصيلة مائة الف ريال سعودي . ومن الطريف أن الراعي الذي يصحب الإبل والنوق يمتطي سيارة لمتابعتها . ولا تحلب النوق بل يترك حليبها لاولادها .

وقد مدت عند الظهيرة موائد عامرة بالخراف والارز والفاكهة وحليب النوق الناصع البياض الحلو الذي لا يحتاج الى سكر .

معامل ومنشآت حديثة وقصة معبرة

بعد ذلك شاهدنا معملين للاسمنت في المنطقة يملكهما الشيخ ناصر كل منهما ينتج ٣٥٠٠ طن يوميا ثم زرنا مرآبا يملكه الشيخ لتصليح السيارات مساحته ١٥٠٠٠ متر مربع فيه كل ما يلزم لتجديد السيارة بصورة كاملة وفيه ابنية لسكن العمال ولمستودعات القطع ومنظم على الطريقة الاميركية ويديره رجل يمني كان يعمل عند الشيخ ناصر ووالده يوم كانا لا يملكان من وسائل العيش الا فرنا للخبز منه كانت البداية في معترك التجارة والحياة .

وقالوا لنا أنه في احد الايام جاء أحد أشقاء الشيخ ناصر فوجد العامل — مدير الفرن الحالي — يصلي والفرن مشتعل ومعطل فغضب غضبا شديدا ونهر العامل وشتمه وطرده من العمل لانه أوقف العمل من أجل الصلاة . فلما علم الشيخ ناصر بذلك انسحب من الشركة التي كانت بينه وبين اخويه وأخذ العامل معه واستقل بالعمل ووفقه الله الى ما وصل اليه . وهو الآن من كبار المتعهدين في المملكة العربية السعودية

وعنده سبعة آلاف سيارة وسبعة مرائب كالذي وصفناه ومحل تجاري رئيسي في الولايات المتحدة الاميركية ، ولا ريب ان ما وصل اليه كان بسبب صفاته الحميدة وبركة عطفه على العامل الذي طردوه لانه أوقف العمل من اجل الصلاة . اما الأخ الذي طرد العامل فقد أفلس ولجأ الى اخيه فسدد عنه ديونه واعطاه دارا وخصص له راتبا متواضعا يكفيه بلا زيادة .

ولقد مرت بي قصص رجال كبار كثيرين وصفت حالهم وتقدمهم قبل أن أجتمع بالشيخ ناصر ، وسبق أن أشرت اليهم ومنهم السادة جمعة الماجد وسيف الفرير وسعيد النابوده والشيخ اسماعيل ابو داود وكذلك سعد المعجل الذي أقام معملا لاكياس النايلون حلت محل أكياس الخيش التي كانت تستورد من باكستان وبنغلادش، وغيرهم كثير ، وكلهم كان نجاحهم وتوفيقهم من الاستقامة أما الذين جمعوا ويجمعون ثرواتهم بالطرق الملتوية فلا يدوم لهم الثراء ويذهب الحرام وأهله .

* * *

خاتمة الرحلات والكتاب

ولقد كنت قبل تدوين هذه الرحلة قد عزمت على ان اتوقف عن الكتابة لضعف بصري مكتفيا بما سجلته من ذكريات وخواطر في رحلاتي ومذكراتي ورسائلي الى أولادي واولاد أشقائي وبعض من تربطني بهم وشائج القربى والمعرفة والصداقة ، ومكتفيا كذلك بما قدمته من دراسات وكلمات وبحوث في مجالات الاقتصاد والتجارة والخدمة الاجتماعية . وقد سجلت هذه الرحلة مع ذلك لاهميتها ، وها انا أقدمها مع سواها.

ان هذه الذكريات والخواطر التي اشتملت على الوصف والتسجيل والوقائع بما فيها من عبر والحوادث وما رافقها من افكار ، كل ذلك آمل أن يعود بالفائدة على القارىء . وأعتقد جازما أن اولادي واحفادي سيأخذون منها دروسا ومعلومات تفيدهم وتكون عونا لهم على السير في خضم هذه الحياة ، وتجعلهم يتسلحون بالعمل والجد والكفاح والصدق والامانة والحب ، وانهم سيستفيدون من التعليقات التي سجلتها في كتاباتي وذكرت فيها السبل التي تمكن الانسان من الوصول الى اهدافه السامية الشريفة بتفوق ونجاح نتيجة الصدق والامانة . كما ان الاحداث والمشاهد التي رايتها في اسفاري وسجلتها يمكن ان توضح الطريق الصحيح السليم في كيفية التعامل مع الناس .

وهذه المذكرات برمّتها ، ما كان منها في طفولتي وعلاقتي بأبويّ الكريمين رحمهما الله وبأهلي ، وما تعلق منها بالتعامل مع الناس ، ثم ما تبادلته من افكار مع الآخرين ومع أولادي عن طريق الرسائل ، ثم ما قدمته لوطني عن طريق الآراء والمذكرات والمقالات ، ثم ما رايته وتفاعلت معه اثناء الرحلات ، كل ذلك يضم الفائدة ولا يخلو من الطرافة والعبرة وستكون عونا للاجيال على التواصل فيما بينها وادراك كل جيل لما في قلب من سبقه .

ولذلك فبعد ان سجلتها يوما فيوما كنت خائفا ان يسبقني الزمان فلا استطيع نشرها وأنا على قيد الحياة ، ولكن الله تعالى كان رحيما بي رؤوفا بأبنائي وعائلتي ، فمدّ في عمري الى ان استطعت ان اراها تطبع لتكون خلاصة افكاري وعصارة تجاربي

مع الناس على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم تحت تصرف ابناء شعبي والاجيال القادمة : سجلا للعصر وامثولة للحياة الحرة الشريفة ومنارا لطريق الكفاح بما يصاحبه من مشقة ومن سرور .

ولقد كنت مرتاح الضمير والحمد لله لانني ما اردت الا الخير ولا سعيت الا للخير وكان هو هدفي وعنواني ومعيني ، والحمد لله اولا وآخرا ، والشكر لمن ساعدوني بالجهد على اخراج هذا الكتاب . . .

والاعتذار لمن فاتني الاشارة اليهم او وقع خطأ غير مقصود تجاههم بسبب طول العهد وحسن القصد .

((خاتمة أخرى))

عندما اوشكت على الفراغ من طباعة الكتاب في اوائل شهر آب ١٩٩٠ ، بدأت احداث خطيرة تهز العالم العربي وتعصف بالكثير من استقراره وأمنه ومؤسساته القائمة ، وقد يكون بين الآثار التي تركتها ما غيّر الصورة المعروفة من قبل والتي وصفتها في هذا الكتاب ، او في وجود واستقرار العديد من الشخصيات الاقتصادية العربية والمؤسسات المختلفة . انها مجموعة من المجهولات تضع المنطقة العربية والعالم بأسره على شفا أخطار ليس من الممكن ترقبها ، فليس لي والحالة هذه الا أن أضرع الى الله العلي القدير أن يلهم العرب الحكمة وأن يخرج بهم سالمين من الازمة وأن يصون الملايين من الهلاك والدمار ويجنب النخبة الممتازة من الاصدقاء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب كل اذى ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

في ١٦ آب ١٩٩٠

* * *

ملحق بالاسماء الكاملة لبعض الوفود الى البلاد الاجنبية

اعضـــاء الوفـود الـى الدول الاشتراكية

لاجتماعات عقـدت بـين ١٩٧٧/٩/٢٨ و ١٩٧٧/١٠/٧

السـادة : محمد التيجاني مدير عام غرفــة تجارة عمــان ، محمد عبــد الجليل عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة أبو ظبي ، جمال رشاد مساعد مدير غرفة تجارة وصناعة أبو ظبي ، بدر الدين الشلاح رئيس اتحـاد غرف التجارة السورية ، يوسف الاخوان رئيس غرفة تجارة وصناعــة حمص ، محمــد الوزان رئيس غرفــة تجــارة وصناعةاللاذقية ، عبد الكريم العطار رئيس غرفة تجارة البصرة ، عبد العزيز حمد الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت ، يوسف ابراهيم الغانم عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة الكويت ، سليمان العيبان عضو مجلس ادارة غرفة تجارة وصناعة الكويت ، عصام السمان غرفــة تجــارة وصناعــة الكويت ، عدنان القصــار رئيس غرفة تجــارة وصناعة بيروت ، ادمون جريصاتي عضــو مجلس ادارة غرفــة تجــارة وصناعة زحلة ، محمــد لمع مستشار غرفة تجارة وصناعة بيروت ، عبــد الله بن لامين نائبرئيس اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعــة الليبية ، عمر سعــد الحاسي عضو مجلس اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعــة الليبية ، علال بواويز رئيس غرفةتجارة جدة ، عبد العزيز النوالي رئيس غرفة تجارة تازة ، الياس غنطوس الامين العام المساعد لاتحاد الغرف العربية .

وقد شارك ايضا في الجانب العربي في اجتماع الفرفة التجارية العربية البولندية السيد عزت ابو الحسن السكرتير التجاري بالسفارة المصرية في وارسو ، كما حضــر الاجتماع التأسيسي للفرفة التجارية العربية البلغارية السيد عوني الناظر منـدوب مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في صوفيــا .

زيارة الولايات المتحدة الاميركية من ١٧ نيسان لغاية ٩ أيـار ١٩٧٨

(انظر التفاصيل في الرحلة العاشرة ص ٥٤٠)

اعضاء الوفد السوري السادة :

بدر الدين الشلاح والسيدة حرمه ، عادل الرفاعي والسيدة حرمه ، تيسير الفرا والسيدة حرمه ، توفيق سكر والسيدة حرمه ، عبد الرحمن العطـار ، ثابت المهايني والسيدةحرمه ،رشاد الشلاخ والسيدةحرمه ، الدكتور راتبالشلاح والسيدةحرمه، امين الدقاق والسيدة حرمه ، شفيق سكر ، محمد مهروسة والآنسة ابنته ، بشير الناصر والسيدة حرمه ، عبـد الفتاح جاموس ، قاسم نـور الدين ، منـير ذاكري ، علي فرواتي والسيدة حرمه ، حكمتقزاز والسيدة حرمه ، فايز ربيع ، محمد الوزان والسيدة حرمه ، صابر أبو سعده ، محمد زين الدين ، منهال العباس ، عادل رضوان، بمشاركة الدكتور جورج طعمه الوزير السابق ومندوب سورية في الامم المتحدة .

أعضاء الوفد الاردني السادة : محمد علي بدير وزوجته ، زهير عصفور وزوجته ، توفيقعوار وزوجته،رؤوفابو جبر وزوجته، فؤادقطانوزوجته، عصامبدير وزوجته انطون سوسه وزوجته ، علي غندور ، ممدوح أبو حسيان ، الدكتور جـواد عنـاني ، عبـد المهـدي المويـد .

وعن الكويت السادة : عبد العزيز صقر ، عبد الرزاق الخالد ، عبدالباقي النوري، نجيب المـلا ، علي رضوان ، خالد أبو السعود ، عبـد الله التريقي ، جورج طعمـه ، محمـد خوجـه ، حامد أحمد عبد اللطيف الحامد .

ومن مسقط السيدان : الشيخ احمد بن عمير ، فعيس الهشار .

ومن أبو ظبي السيد : سعيـد احمـد .

ليبيـا السادة : حسن حامـد مطر ، نوري عبـد الصامد ، مصبـاح العربي ، عيسى الزوش .

اتحاد المصارف العربية : السيد لبيد عبد عبد القادر عباس .

لبنــان السادة : عدنــان قصــار ، جورج عسيلي ، اندريــه تابوريــان ، نجيب الخطيب ، محمد زعتري ، وليــد نجــا ، جوزيف خوري ، جميل شماس ، نجاد ميبل بدارو ، اميــل بارودي .

المغرب السيد : علوي عزيز .

وعن اتحاد الغرف العربية السيدان : برهان الدجاني وزوجته ، الياس غنطوس.

ونلاحظ أن الرحلة كانت على نفقــة المشاركين فيها .

المشاركون في الوفد الى الهند ـ كانون الاول ١٩٧٨

(ملاحظــة : انظر التفاصيل ص ٥٤٨)

عن الاردن : السيدان سعيد معتوق وأمين الحسيني .

وعن الامارات العربية المتحدة : كل من السادة سيف الفرير ومحمد البخاش(دبي) وعبد الرحمن بوظاط وعبيد الشميصي (الشارقة) وراشد عبدالصمد (الامارات).

وعن تونس : الحبيب مجول . **وعن المملكة العربية السعودية** السادة الشيخ اسماعيل ابو داود (جده) وصالح احمد جمال (مكة) وسليمان الراشد (القصيم) .

وعن**العراق :** السيد عبد الحسين محمد جواد . **وعن عمان** السيد حامد الريامي . **وعن قطر** السيدان احمد محمد السويدي وعلي عبد الله دياب . **وعن الكويت** السيد سعود عبد العزيز الفونان . **وعن لبنان** السيد وليد نجا . **وعن ليبيا** السيدان عبد الله اسماعيل بيلامين ومحمد بيزيتون . **وعن مصر** السيد احمد نبيل البدره . **وعن الاتحاد** السيــد اليــاس غنطــوس .

الدورة الثامنة والاربعون لمجلس الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية

الرياض ٢٤ ــ ٢٥ مارس ١٩٧٩ (التفاصيل ص ٥٥٢)

الحضور : عن الاردن السيد محمد علي بدير . عن الامارات العربية المتحدة السادة سيف الغرير وسالم علي القيواني وعبد العزيز المليحي وراشد الكيتوب ونزار سردست . وعن البحرين السيد عيسى علي جمال وعن تونس السيد حبيب ماجول . وعن السعودية ــ الطائف ــ السيدان عواض سهو العتيبي . وعبد الرحمن فيصل المعمر . وعن الرياض السادة محمد عبد الرحمن الفريح ، وصالح عبد الله الحميدان ، وعبدالرحمن علي الجريسي ، وصالح عبدالله الطعيمي . وعن جدة السيدان اسماعيل ابو داود ، وهيب بن زقر . وعن الدمام السيد سعد المعجل . وعن مكة المكرمة السيدان فؤاد أمين حمدي ، وعبد الله بكر تونسي . وعن القصيم السيد سليمان الراشد الحميد . وعن المدينة المنورة السيدان عبد العزيز ساب وسعد صبر . وعن السودان السيدان علي ابراهيم مالك وعبد الكريم جعفر . وعن سورية السيدان بدر الدين الشلاح ومحمد شفيق سكر . وعن العراق السادة سعد عبد الهادي الرحيم وعبد القادر عبد اللطيف ومحمد صالح علي . وعن فلسطين السادة رفيق شاكر النتشة ومنير شفيق فراج وعبداللطيف عثمان . وعن قطر السيدان حسين علي كمال ومحمد عبد الله المحمود . وعن الكويت السادة عبد العزيز الصقر ويوسف الفليج ومحمد عبد المحسن الخرافي وعلي العمر وعصام محمد نديم السمان . وعن لبنان السادة عدنان قصار ونجيب محمود منلا ومحمد الزعتري والفرد سكاف ومحمد لمع. وعن مصر السيدان عزت غيضان ومحمد السيد . وعن موريتانيا السيد عبد الله محمد فال . وعن اليمن الديموقراطية السيد عبد الله سالم الخضر . وعن الامانة العامة السيدان برهان الدجاني والياس غنطوس .

الـى المغرب الاقصى ـ أيـار ١٩٧٩

(التفاصيل ص ٥٥٨)

عن الاردن السيدان محمد علي بدير وزهير عصفور . وعـن السعودية السيـد اسماعيل ابو داود . وعـن سورية الســادة بدر الدين الشـلاح وصائب النحـاس وعبد الرحمن العطار وتحسين الصفدي وعادل الرفاعي وثابت المهايني وعمر برادعي ومحمد شفيق سكر وتيسير الحفار وصياح ياسين وياسين البيطار ومحمد مهروسة وبشير الناصر وحكمت القزاز وعلي الفرواتي ويوسف الاخوان واديب العبد وسعيد الرفاعي وعبد السلام السبع وصبحي جود وعبد الكريم الخليلي ومحمد اوبري ونزار مملوك وثابت بـلال وخالد المصري وعياش حمش . وعن الكويت السيدان عبد العزيز الصقر والدكتـور محمـد الخجـا .

الرحلـــة الــــى الانـــدلس

شارك فيها السادة بدر الدين الشلاح وتحسين الصفدي وثابت المهايني وعمـر البرادعي وعبـد الكريـم الخليلي وثابـت بـلال آغـا وعبـد الســلام الســبع .

(التفاصيل ص ٥٦٢)

مقديشـــو ـ ايلـول (سبتمبر) ١٩٨١

الدورة الرابعة والخمسون لمجلس الاتحاد العام لغرف التجـارة والصنــاعة والزراعــة للبــلاد العربيــة

(التفاصيل ص ٥٦٩)

عن الاردن السيد امين الحسيني . عن الامارات العربية المتحدة السادة : سعيد احمـد العتيبة وعبد الرحمن عبد العاطي وسمير الدروبي . وعـن المملكة العربيـة السعودية السادة : الشيخ اسماعيل ابو داود والشيخ ناصر بن حمد الزرعة والشيخ عبد العزيز عبد الهادي القحطاني والسيد سعيد عبد الرحمن ابراهيم والسيد سالم سعيد السيود . وعن السودان السيد عبـد الكريم جعفر . وعـن سورية الســادة بدر الدين الشلاح وعبد الرحمن العطار ومحمد شفيق سكر . وعن الصومال الســادة علي فارج طهر ويعقوب احمد وابراهيم صالح ويوسف أدن ومحمد صلاد وعبـد الله

ديرية وعبدي برخدلي . وعن العراق السيدان فالح علي الصالح ومحمد حامد جبر عبد الرزاق . وعن عمان الشيخ احمد بن عمير الهنائي والسيد خميس الحشار . وعن فلسطين السيد صائب باميه . وعن الكويت السيدان عبد العزيز الصقر وماجد جمال الدين . وعن لبنان السيد رفيق النصولي . وعن مسقط الشيخ احمد ابن عمير والسيد خميس الحشار . وعن الاتحاد العام للغرف الخليجية السيد كاظم عبد الحميد المهيدي والسيد جلال بكداش . وعن الامانة العامة لاتحاد الغرف العربية السيدان برهان الدجاني والياس غنطوس .

كتاب جديد لتاريخ هذا البلد

بعد أن انتهيت من كتابة مذكراتي التي افرغت فيها مسجلة الذاكرة في الشؤون الانسانية والاقتصادية وسيرة بعض الرجال سواء منهم المرموقون والبسطاء الذين التقيتهم ، وجدت انني لم اكمل واجبي في المساهمة كما اريد بتسجيل تاريخ هذا البلد وقد كنت حذفت جانبا الكثير من الامور السياسية والاجتماعية والاحداث حتى لا يتضخم الكتاب وتعسر قراءته . ولما أوشكت على ارساله الى دار التجليد وجدت انني لم اوفِّ هذا البلد حقه ولم اردّ على رجاله الطيبين واخلاقه الاسلامية الاصيلة وما حواه من خيرات بما يستوجبه الشكر والوفاء وحسن المعاشرة من نقل الاخبار فعزمت على أن أبدأ كتابا ثانيا فيه جانب من التاريخ السياسي الذي لم يبق ممن عايشه إلا الأقلون ، وجانبا من التعليقات حول الافكار والمبادىء والممارسات ، وشد من عزمي علمي ان التاريخ لما يقرب من قرن كامل لا يتم إلا بأن يستوعب المؤرخ التجارب المختلفة لرجال مختلفين من امثالي ، ولذلك قد عزمت وتوكلت على الله وأرسلت الى المطبعة الصفحات الاولى التي ترونها في هذا الكتاب الجديد . . .

ولكم ان تطالبوني بالمضي قدماً وتشدوا عزيمتي ، ولكم أن تحسبوها ابتهالا الى الله عز وجل ليوسع لي في المهلة حتى انجز هذا الكتاب ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

والآن : مقدمة الكتاب الجديد

في الكتاب الذي انجزتم قراءته لم اسمح لنفسي بالخوض في السياسة والدخول في متاهاتها ، فلقد نشأت منذ البداية في جو صريح من الاخذ والعطاء والتعامل الصادق

وجهاً لوجه مع الناس على اساس الوفاء بالاتفاقات واحترام الوعود وتأمين الاستحقاقات في أوقاتها المحددة ، أما السياسة فهي نوع من بيع الاحلام وتغطية النوايا بالكلام المعسول وفرض مصالح الاقوياء على الشعوب الضعيفة بشتى الوسائل التي لا اثر فيها للصدق والاخلاق والنزاهة .

ولكنني كانسان عربي عاش مرحلة التحول الصعب في حياة الامة العربية من الوحدة السياسية في ظل الدولة العثمانية الى التمزق والتجزئة بفعل المخطط الاستعماري الغربي ـ لا بد لي من الاحساس بسلسلة الصدمات التي توالت على الوطن ، وكنا نعيش أسوأ حلقاتها ، ونلمس آثارها فيحياتنااليومية عبر الاضطرابات والاحداث . ونرى اصابع الاستعمار الغربي تلعب بمقدراتنا وتفرض علينا عدم الاستقرار وتحول بيننا وبين احراز أسباب القوة والوحدة ، بل انها كانت تدفعنا للتجزئة.

يعود التطلع الاوربي لاستعمار المشرق العربي الى الماضي البعيد ، والواقع أن الحروب الصليبية التي جرت في القرون الوسطى تحت قناع ديني لم تكن إلا غزواً همجياً قام به الاقطاعيون ورؤساء الكنيسة الكاثوليكية الاوربية لاغتصاب الارض والثروات ، وكانت اوربا آنذاك في حالة مزرية من البؤس والجوع والتخلف ، ولم يفعل الغزاة آنذاك شيئا غير اقامة امارات وممالك استعمارية سرعان ما ازالها الدفاع الاسلامي المجيد ومحا آثارها في العصر الايوبي بقيادة السلطان صلاح الدين الايوبي وشقيقه الملك العادل أبي بكر بن أيوب وقادتهما الابطال .

وفي القرن الثامن عشر تجددت أطماع الاستعمار الاوربي فقام نابليون بغزو مصر وحاول اقتحام عكا فأصيب بالفشل واضطر للانسحاب من المشرق العربي حيث لاقى اكثر هزائمه مرارة ، وبعد الحرب العالمية الاولى اقتسمت انكلترا وفرنسا في مؤتمر سان ريمو عام ۱۹۲۰ هذا الجزء الهام من الوطن العربي وقد نص اتفاق سايكس بيكو الذي كانت وقعته الدولتان الاستعماريتان قبل سنوات على منح سورية ولبنان لفرنسا ومنح العراق وفلسطين لانكلترا التي سبق أن تعهدت سراً باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

كانت انكلترا خلال الحرب العالمية الاولى تغرر بالشريف حسين وتتعهد بتوحيد

المشرق العربي تحت رايته ، فاطلق الرصاصة الاولى في مكة عام ١٩١٦ . وبدأ الثورة العربية ضد السلطة العثمانية اعتمادا على هذه الوعود الكاذبة التي نقلها الضابط المغامر لورانس والتي اعترف فيما بعد ـ في كتابه أعمدة الحكمة السبعة ـ بأنها كانت مجرد وعود جوفاء لا تتقيد بها لندن ، وأنه اضطر لخداع العرب تنفيذا لمهمته .

لقد تناسى القادة العرب آنذاك تاريخ الخداع الانكليزي للعرب ، وتجاهلوا تحت ضغط الظروف الصعبة نوايا الدول الغربية لاستعمار بلادهم واستلاب ثرواتها وقبلوا العمل المشترك مع الانكليز لانهاء التسلط العثماني على الاقطار العربية تلبية لنداء الشريف حسين الذي كان يجهل الصفقات المعقودة على حساب أمته . وعندما اتضحت الحقائق واصطدم عرب المشرق بالاحتلالالفرنسي لسورية ولبنان والاحتلال الانكليزي لفلسطين والعراق ـ لم يكن لدى الجماهير العربية من وسيلة للرد على هذا الخداع الرهيب غير الثورات المحلية .

وما كاد الملك فيصل الاول يستقر في دمشق ويباشر بتأسيس الدولة واقامة الوزارات والمؤسسات وقوى الأمن حتى فوجىء بدخول جيشالشرقالفرنسي بقيادة الجنرال هنري غورو الذي وجه اليه انذارا عاجلا يطلب منه تحت طائلة التهديد العسكري قبول الاحتلال الفرنسي وتداول النقد الورقي واقالة الحكومة العربية .

في تلك الايام من عام ١٩٢٠ كانت دمشق تغلي غضبا ، وكانتالجماهيرالمتظاهرة تنادي بالقتال ضد الاحتلال الفرنسي الذي انزل قواته في السواحل السورية ـ بما فيها بيروت ـ ولم يكن لبنان آنذاك إلا متصرفية صغيرة تقتصر على الجبل تتمتع باستقلال اداري فرضته لندن وباريس بالقوة ، ولكن الدولة العثمانية تجاهلته خلال الحرب العالمية الاولى ، وظلت بلاد الشام وحدة سياسية ـ في ظل الدولة العثمانية ـ تمتد من جبال طوروس في الشمال الى صحراء النقب ورمال سيناء في الجنوب ، وتشمل الاردن وفلسطين . وجاءت نتائج الحرب العالمية الاولى وهزيمة الدولة العثمانية التي كانت بدورها ترزح تحت حكم مجموعة عسكرية تحمل اسم (تركيا الفتاة) تسرب اليها نفوذ اليهود المتظاهرين بالاسلام ـ جاءت هذه النتائج لتمنح انكلترا وفرنسا الفرصة المنتظرة لتقسيم المشرق العربي وتحويل العرب الى دويلات وشراذم متفرقة ضعيفة .

كان شعورنا بالصدمة عميقا وطاحنا ، وقد تبددت آمالنا بالوحدة العربية المشرقية وقيام الدولة العربية الواحدة ، وذهب النير العثماني ليحل محله كابوس الاحتلال والتجزئة من قبل دولتين استعماريتين ترفضان وحدة العرب وتعملان لتفتيتهم واضعافهم وامتصاص ثرواتهم واستعداء بعضهم على البعض الآخر ليستهلكوا طاقاتهم في الاقتتال الداخلي والاستقواء بالدول الاجنبية التي تستنزفهم بشتى الاساليب ، ومنها القروض وبيع السلاح وشراء المواد الاولية والمحاصيل بثمن زهيد .

في ذلك المناخ الملتهب ، وعندما كانت دبابات جيش الشرق الفرنسي تزحف على طريق دمشق تنفيذا لانذار الجنرال غورو تنادت جموع دمشق للقتال تحت لواء الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع في أول حكومة عربية تمارس السلطة في بلاد الشام ، ولم يكن الشهيد العظمة كبير الامل بالانتصار العسكري ، فهو يدرك انه يواجه اقوى دولة عسكرية في العالم آنذاك ، ويقف في وجه مئات الدبابات الحديثة المزودة بأفتك القنابل وليس في حوزته غير مئات من الجنود والرجال قليلي التدريب مزودين ببنادق قديمة ، والواقع انها كانت عملية انتحارية في معركة غير متكافئة ، ولكنها اشعرت العالم كله بأن سورية قاومت الاحتلال منذ البداية واستشهد وزير دفاعها وهو يباشر القتال بنفسه ، وسجل التاريخ ان الاحتلال الفرنسي دخل الى دمشق على جثث الشهداء ، ولم يعرف فترة من الراحة خلال تواجده في سورية حتى اشرقت شمس الجلاء .

تلك موقعة ميسلون الشهيرة التي نحتفل بذكراها في يوم ٢٤ تموز من كل عام ، وتحيي فيه القوات المسلحة ذكرى الشهيد يوسف العظمة وزير الدفاع الاول الراقد بسلام في ضريحه هناك تحت هضاب ميسلون التي ارتوت بدمائه وشهدت تلك المعركة الرمزية الخالدة .

أما الشريف حسين فقد عومل من قبل الانكليز معاملة مهينة بعد خداعه بالوعود المضللة وانهاء دوره ، وآل أمره الى المنفى في قبرص ، وبلغ من هوانه هناك أن مالك الدار الذي يسكنها اقام عليه الدعوى مطالبا بالايجار ، ونودي في المحكمة من قبل الآذن (حسين بن عون) واشهر كمدعى عليه ، بينما كان ولده فيصل ملكا على العراق بعد رحيله عن سورية ، وولده عبد الله آنذاك اميرا على الاردن ، ولم يصدر اي احتجاج على هذه المعاملة الشائنة .

وهكذا طوى الانكليز صفحة الثورة العربية باحداث انظمةمختلفة تتفق معمخطط التجزئة ، واستبقوا فلسطين تحت الانتداب المباشر تمهيدا لايجاد مجال ومرتكزات لتنفيذ وعد بلفور باقامة وطن لليهود في فلسطين العربية التي كانت موطنا تاريخيا للعرب ، ولم يكن فيها إلا اعداد قليلة من اليهود الشرقيين .

وعندما ذاع أمر وعد بلفور كان صدمة صاعقة للعرب كشفت خطورة المخطط المبيت لتهويد القدس واغتصاب فلسطين عن طريق الاستعمار الاستيطاني ، وبعد ذلك بدأ تدفق الغرباء اليهود وقامت الوكالة اليهودية بشراء الاراضي العربية من الفلسطينيين واللبنانيين تحت ضغط الاغراء المالي والوساطة والرشوات في ظل الحراب الانكليزية .

هذه هي النكبات التي انقضى شبابنا في ظلها ، وهي تعصف بأمن الامة العربية وسلامتها وتتلاعب بمصير العرب ، وتورث نفوسنا القلق والتوتر ، وتبين فيما بعد انها مقدمات لكوارث مصيرية . وبينما كانت القبضة الصهيونية تشتد على عنق فلسطين تم من الجانب الآخر سلخ لواء الاسكندرون عن أمه سورية ، واقتطع جانب كبير من شمال الساحل السوري من اجمل واخصب بقاع الوطن ، وقسم الانتداب الفرنسي سورية نفسها الى دويلات صغيرة كتجربة لتجزئتها فيما بعد .

ولم يعد أمام السوريين لمواجهة هذا المخطط ووضع حد حاسم له إلا عن طريق الثورة والكفاح المسلح ، نشبت أول ثورة وبعدها ثورة هنانو ثم الثورة في عام ١٩٢٥ ابتداء من دمشق وغوطتها بقيادة الزعماء الذين شكلوا الكتلة الوطنية وفي مقدمتهم السادة : شكري القوتلي وفخري البارودي ونسيب البكري وفوزي البكري وعبدالرحمن الشهبندر وفوزي القاوقجي وسعيد العاص والشيخ محمد الاشمر وحسن الخراط وحسن المقبعة من قبر عاتكة ، وقاد الثورة من جبل العرب سلطان الاطرش الذي خاض على راس قوات المجاهدين معارك طاحنة مع الجيش الفرنسي وانزل به خسائر فادحة .

لم استطرد في هذا المجال لأروي تاريخا معروفا ، بل كنت اشرح الظروف العصيبة التي مررنا بها ، وكنت آنذاك بعيدا عن السياسة وأربابها ، ولكني عشت وترعرعت في هذا الجو المضطرب ، ولم يكن عملي التجاري في ظل والدي المرحوم الحاج سليم

الشلاح رجل الاعمال المستقيم النزيه ــ يشغلني عن الاوضاع العامة للوطن ــ او يعزلني نفسيا عن مجرى المواجهة اليومية بشتى اشكالها مع الاحتلال .

ولمست بنفسي كيف اثرت التجزئة الاستعمارية على المصالح الاقتصاديةالسورية والحقت بها اضرارا فاحشة ، والمثال يرد في دمشق نفسها التي كانت تصدر افضل انواع النسيج والفواكه المجففة الى فلسطين ومصر والحجاز والعراق والاناضول حينما كانت حركة النقل والمواصلات بين دمشق وهذه الاقطار العزيزة سهلة وميسورة لا يعوقها عائق ، وعندما فرض الاستعمار علينا التجزئة بعد الحرب العالمية الاولى اقيمت الحواجز السياسية والجمركية بين دمشق وهذه الاسواق واصبحت دمشق معزولة اقتصاديا وحل بها الضيق والبطالة والكساد وانعكس هذا كله على علاقاتنا التجارية ونشاطاتنا الانتاجية .

ولهذا كانت فترة الاحتلال الفرنسي لسورية التي تقارب خمسا وعشرين سنة مرحلة قاسية من حياتنا الاقتصادية عانت خلالها الفقر والضائقة ، ومما زاد المحنة قسوة اقدام فرنسا على سحب الذهب السوري عن طريق فرض التعامل والتعاقد بالنقد الورقي واجبار الناس على بيع ما لديهم من مدخرات ذهبية بأسعار بخسة .

وقد اتخذت المقاومة الوطنية للاحتلال اشكالا عديدة ، في مقدمتها الاضراب الشامل في عام ١٩٣٦ الذي استمر ٥٦ يوما بقيادة الكتلة الوطنية ، ولم يقم اي تاجر بفتح متجره طوال هذه المدة القياسية في تاريخ الاضرابات بالعالم كله ، رغم أن الجيش الفرنسي قام بتحطيم اقفال المحلات وحرّض على نهبها ، ومع ذلك لم يتوقف الاضراب حتى أعلنت فرنسا موافقتها على معاهدة تعترف بالاستقلال السوري ، وتعهد المفوض الفرنسي باقرارها ، ولكن الحكومة الفرنسية نكثت بالعهد ولم توقع على المعاهدة . فاستمر النضال الوطني حتى تحقق الجلاء في ١٧ نيسان من عام ١٩٤٦ .

الفهـرسـت

المقـدمـــات

الكتــاب الاول

البــاب الاول ـ ذكريــات

الفصـل الاول ـ نشـأتي

الفصـل الثـاني ـ بـين المـاضي والحـاضر

الفصل السابع ـ نشاطي في الحقول العامة

الفصل الثامن ـ الاقتصاد والمؤتمرات

شخصيات اقتصادية عربية

الفصل التاسع ـ السياسة ـ شخصيات عربية وعالمية

الفصل العاشر ـ الاسرة

الكتاب الثاني ـ الرسائل والرحلات

الكتاب الثالث ـ الرحـلات

الرحلـة الاولـى ـ ١٩٥٤

انكلترا ـ فرنسـا ـ بلجيكا ـ هولاندا ـ المانيا ـ سويسرا ـ ايطاليا

الرحلة الثانية ـ ١٩٦١ الى الولايات المتحدة وبريطانيا وأوربا

الرحلة الثالثة ـ الخليج العربي عام ١٩٧٢

الرحلة التاسعة ـ الى الحج

الرحلة العاشرة ـ الى الولايات المتحدة حول المقاطعة

الرحلة الحادية عشرة ـ الى الهند ١٩٧٧

الرحلة الثانية عشرة ـ الى السعودية ١٩٧٩

الرحلة الثالثة عشرة ـ الى المغرب ١٩٧٩

الرحلة الرابعة عشرة ـ الى الاندلس ١٩٧٩

الرحلة الخامسة عشرة ـ الى الصومال ١٩٨١

فهرست الاعلام

١ ـ ورد في هذا الكتاب ذكر عدد من الرؤساء والملوك والامراء يتقدمهم الرئيس حافظ الأسد وفي مواقع عديدة لا تحصى .

٢ ـ رتبت الاسماء حسب ابجدية الشهرة على حروف ، وفي ضمن الحرف حسب تقدم صفحات الكتاب وبالتدريج .

٣ ـ اذا وجد أمام الاسم الواحد اكثر من رقم فهذا يعني انه تكرر ذكره في الصفحات المقابلة للارقام المتعددة .

حرف البـاء

حرف البـاء

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف السين

حرف السين

حرف الشين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف القاف

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

الخطأ والصواب

عند مراجعة الكتاب بعد بذل الجهد لتصحيحه تبين انه بقيت أخطاء ليس من شأنها أن تقلب المعنى ولا هي تخفى على القارىء الكريم ، فالمرجو أن تتكرم يا قارئي بالتغاضي وباصلاح الخطأ ولك الشكر .

صُوَرٌ تِذْكَارِيَّة



السيد الرئيس القائد حافظ الأسد والحاج بدر الدين يتحدث إليه .



مع السيد الرئيس القائد حافظ الأسد .



رؤساء الوفود لمؤتمر الغرف العربية يتشرفون بزيارة سيادة الرئيس الرفيق القائد حافظ الأسد في قصر الرئاسة عام ١٩٧٧



سيادة الرئيس القائد الملهم حافظ الأسد يستقبل الحاج بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق ورؤساء الغرف السورية.



عام ١٩٨٩ سيادة رئيس الجمهورية يتفقد أعمال إعادة الفسيفساء بالجامع الأموي بعد احتراق المسجد منذ مئة عام



زيارة رئيس الجمهورية شكري بك القوتلي إلى محلنا بمعرض دمشق الدولي وقد ظهر إلى جانبه ولدنا سليم الشلاح عام ١٩٥٥ .



زيارة الوفد السوري وعدده /٧٨/ شخصية سورية إلى الاسكندرية والطلب إلى الرئيس شكري القوتلي العودة الى سوريا عام ١٩٥٥



تهنئة بالعيد عام ١٩٥٣ إلى العقيد أديب الشيشكلي. بدر الدين الشلاح ورشاد الشلاح وإبراهيم الحسامي بنادي الضباط



مع الرئيس عبد الناصر.



بدر الدين الشلاح يقبل الرئيس عبد الناصر بقصر القبة عام ١٩٥٨



عام ١٩٥٨ في قصر القبة بالقاهرة ، بمناسبة انعقاد مؤتمر الغرف التجارية .



جلالـة الملك حسـين يصـافـح الحاج بدر الدين الشلاح ويبدو بالصورة الأستاذ برهان الدجاني والشيخ اسماعيل أبو داود

والسـيد عدنان القصار عام ١٩٨٦



ـ الملك فيصـل يستقبـل الحـاج بدر الـدين الشـلاح والـسفير السـوري لدى المملكة الدكتور مدحت البيطار والأستاذ مصطفى حلاج وزير الاقتصاد والدكتور محمد العمادي وزير التخطيط عام ١٩٧٢ .



سمو الشيخ زايد بحديث وسلام مع الحاج بدر الدين الشلاح عام ١٩٧١ في أبو ظبي .



بدر الدين الشلاح يسلم على أنور السادات رئيس جمهورية مصر وبينهم وزير التجارة زكريا توفيق والرئيس حسني مبارك .



بدر الدين الشلاح يصافح الرئيس الحبيب بورقيبة في تونس عام ١٩٧٤



بدر الدين الشلاح يسلم على الرئيس بري رئيس جمهورية الصومال عام ٩٨١



مع الرئيس ضياء الحق في الباكستان ويظهر بينهما رئيس غرفة تجارة الباكستان عام ١٩٨٧



ـ الشيخ علي ابن الشيخ راشد النعيمي حاكم عجمان وعلى حانبيه أبناءه الشيخ محمد والشيخ أحمد .
وبالخلف أبناءه الشيخ عبد الله والشيخ الحسن والشيخ عبد العزيز وعمومهم أصحاب مراكز عالية بدولة الامارات



الحاج بدر الدين الشلاح في حديث ودي مع سمو الشيخ طحنون آل النهيان في الامارات ويبدو الزميل السيد سيف العزيز وبعض الزملاء عام ٩٧٣



الشيخ جابر الأحمد وزير التجارة الكويتي يتحدث في داره للحاج بدر الدين الشلاح وعبد العزي الصقر وحمه الماجد.



السيـد وزيـر الداخلية السعودي الأمير نايف عبد العزيز آل سعود يستقبل بدر الدين الشلاح في مقام وزارة الداخلية في الرياض، يتقبل الشكر له على دعوته إلى قضاء فريضة الحج عام ١٩٨٧



الحاج بدر الدين مع رئيس مجلس الوزراء الأستاذ صبري العسلي ومعه الشيخ يوسف ياسين وزير الخارجية السعودية أثناء حفلة عقد قرآن ولده في بلودان على كريمة الشيخ يوسف عام ١٩٥٧ .



الحاج بدر الدين الشلاح في طرابلس والاجتماع مع الرئيس كرامي يظهر في الصورة الدكتور سليم الشلاح والسيد تحسين الصفدي نائب رئيس غرفة تجارة دمشق والسيد برهان الأشقر عضو غرفة تجارة دمشق



مع سيادة الدكتور سليم الحص رئيس مجلس وزراء لبنان



مع السيد نائب رئيس وزراء الصين عام ٩٨١



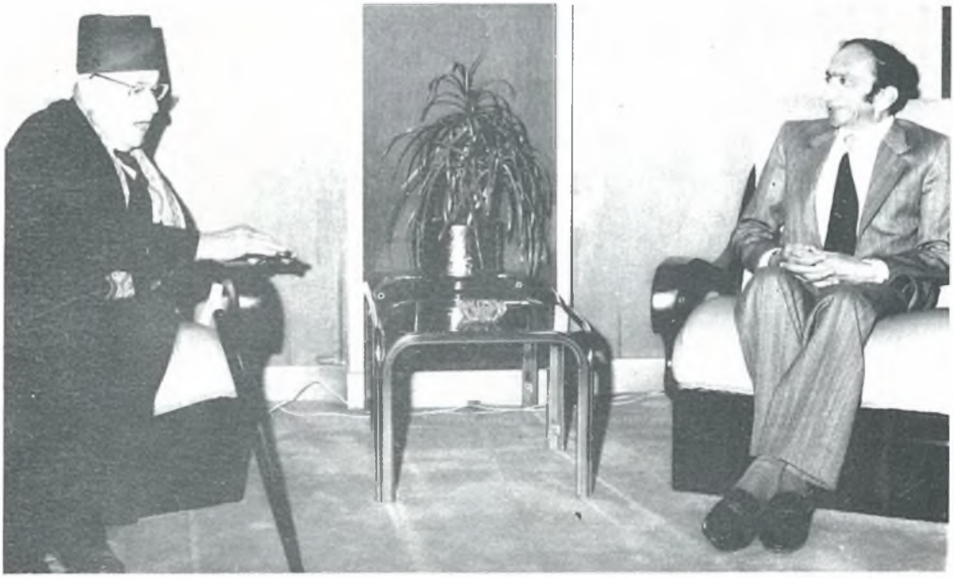
سيادة رئيس مجلس الوزراء عبد الرحمن خليفاوي يستقبل رئيس مؤتمر غرف التجارة العربية في مكتبه عام ١٩٧٧



حفلة سيادة رئيس مجلس الوزراء اللواء عبد الرحمن خليفاوي لمؤتمر الغرف العربية في نادي الضباط عام ١٩٧٧ ويظهر في الصورة السيد الشيخ عبد الستار السيد وزير الأوقاف والحاج بدر الدين الشلاح رئيس المؤتمر وعبد الكريم رئيس وفد السودان .



ـ السيد الرئيس اللواء عبد الرحمن خليفاوي والاقتصاديون العرب في دمشق عام ١٩٧٥ في الحفلة التي أقامتها الغرفة التجارية على شرف الاقتصاديون العرب وفي الصورة الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته والى جانبه من الشمال سيادة اللواء عبد الرحمن خليفاوي والدكتور هشام من الاردن ووزير الاقتصاد السوري الدكتور محمد العمادي والى يمينه الاستاذ أحمد قبلان وزير التموين والمهندس صبحي كحاله وزير سد الفرات والاستاذ



بدر الدين الشلاح مع رئيس الوزراء الدكتور عبد الرؤوف الكسم ١٩٨٦



بدر الدين الشلاح يتحدث مع سيادة رئيس مجلس الوزراء المهندس محمود الزعبي بحضور سيادة محمود قدور نائب رئيس الوزراء لشؤون الخدمات والدكتور سليم ياسين نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية عام ١٩٨٨ .



حفلة الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح لمؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٥٣ ، وداع السيد عبد الرحمن السحمراني رئيس غرفة تجارة بيروت .



- عندما بدأت لأقول كلمة الترحيب في الحفلة التي أقيمت في العدمل لمؤتمر الغرف التجارية وقد ظهر بعض المدعوين يصفقون عام ١٩٥٣ .





حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف عام ١٩٥٣ .



الأستاذ محمود أبو الفتح صاحب جريدة المصري يحضر حفلة الحاج بدر الدين الشلاح وشفيق الشلاح بالعدمل ١٩٥٣ .



السيد محمد بدررة وزير التجارة في تونس يغادر المزرعة ويودعه الحاج بدر الدين الشلاح عضو غرفة تجارة دمشق وحشد كبير من المدعويين بالحفلة التي أقيمت بالعدمل تكريماً لاعضاء المؤتمر عام ١٩٥٣ .



عام (١٩٥٥) حفلة أقـامتهـا الـسفـارة المصـريـة ويشـاهـد الحـاج بدر الدين الشلاح وهويناقش صلاح سالم لأجل السماح بدخول القمر الدين وحوله رئيس الوزراء السيد صبري العسلي والعقيد عدنان المالكي وبعض المسؤولين .



ـ في الحفلة التي أقامها بدر الدين وشفيق الشلاح بمزرعتهما بالعدمل عام ١٩٥٣ حضرها وزير المالية السوري الأستاذ محمد سعيد الزعيم وعلي نجيب السفير المصري وأبو سليمان الجيرودي المشهور بالفكاهة والنكتة .



القاهرة مؤتمر الغرف التجارية عام ١٩٥٧



الوفد الاقتصادي للمباحثات مع المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٢



مؤتمر الغرف التجارية بدمشق عام ١٩٧٧ .



ـ الخميس في ٩/ ٥/ ٧٤ أمام مقر اجتماع مؤتمر الغرف التجارية في تونس ويظهر منهم : في الصف الأول بدر الدين الشلاح ، صلاح الاكتع ، نزار نحلاوي ، ادوار صباغ ، من دمشق وعبد العزيز فنصة من حلب وعدنان قصار من بيروت ونجيب الملا من طرابلس وفي الصف الثاني تيسير الفرا من دمشق و من تونس الذي قال الى ادوار صباغ يا حبذا لو وجد ٤ أشخاص بكل البلاد العربية من وزن رئيسكم بدر الدين الشلاح ، ويبدو أيضاً صائب النحاس ومحمد سعيد البردان وعدنان نحلاوي ورشاد الشلاح من دمشق وعبد الحميد شحادة من حلب .



أعضاء غرفة التجارة مع السيد وزير التموين الأستاذ محمد غباش

ويبدو من اليمين السادة : ثابت المهايني ـ غسان قلاع ـ ادوار صباغ ـ د. يوسف كسيري معاون الوزير ـ ممدوح أبو هنده ـ محمد سعيد البردان ـ تحسين الصفدي ـ عدنان النحلاوي ـ محمد توفيق سكر ـ الحاج بدر الدين الشلاح ـ عبد اللطيف قطيط ـ عادل الرفاعي ـ تيسير الفرا ـ حامد سلطان .



أعضاء غرفة تجارة دمشق دوره عام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ومعهم سيادة وزير التموين الأستاذ أحمد قبلان .

الصف الأول : توفيق سكر ـ عدنان نحلاوي ـ عادل الرفاعي ـ السيد الوزير أحمد قبلان السيد بدر الدين الشلاح ـ السيد عماد صبري الدكتور مصطفى حسن .

الصف الثاني : السادة صائب النحاس ـ تحسين الصفدي ـ غسان قلاع ـ أمين شحادة ـ ممدوح أبو هنده ـ محمد سعيد بردان ـ ادوار صباغ ـ تيسير الفرا ـ صلاح الأكتع ـ مسلم قطرميز .



ـ العيد الوطني بتاريخ ٢٤ أيلول ١٩٨٨ بشيراتون دمشق ويظهر في الصورة الأستاذ ناصر قدور وزير الدولة للشؤون الخارجية والأستاذ محمد أمين أبو الشامات محافظ مدينة دمشق والحاج بدر الدين الشلاح وطارق الشلاح وزهير جنان .

مؤتمرات



حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بفندق الميريديان بدمشق والوفود المشاركة عام ١٩٧٧ .



حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بدمشق بفندق الميريديان ١٩٧٧ .



حفلة العـدمل لمؤتمر الغرف العربية في ١٥/٥/٧٧ ويظهر في الصورة السيد تيسر الفرا ـ سيادة الأستاذ أحمد قبلان وزير الزراعة ، السيد صائب النحاس الحاج بدر الدين الشلاح ، سيادة عيسى دوريش وزير النفط ، سيادة اللواء... التركماني .



ـ حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بدمشق في فندق الميريديان عام ١٩٧٧ ويظهر في الصورة العضوين الباقين على قيد الحياة من أعضاء الغرفة بدمشق عام ٩٥٣ وبجانبهما الاستاذ برهان الدجاني الأمين العام والسـيد عادل الرفاعي عضو غرفة تجارة دمشق .



رئيس مجلس الوزراء المهندس محمود الزعبي يلقي في مؤتمر الغرف عام ١٩٨٨ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته في افتتاح مؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



حفلة افتتاح مؤتمر الغرف التجارية العربية بدمشق بفندق الميريديان ١٩٧٧ ويبدو في الصورة الأخ السيد عدنان القصار رئيس غرفة تجارة وصناعة بيروت والسيد محمد الزعتري رئيس غرفة وصناعة صيدا والزملاء السادة الفريد سكان من زحله وجبريل بداور .



مؤتمر الغرف التجارية بدمشق والحاج بدر الدين الشلاح يودع السادة الضيوف أصحاب المعالي عيسى درويش - أحمد قبلان محمد غباش والسيد محمد سعيد البردان . عام ١٩٧٧ بعد انتهاء حفلة الغداء التي أقامها الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح في مزرعتها وحضرهاماينوف عن ٥٠٠ مدعو.



سيادة رئيس مجلس الوزراء والوزراء والرؤساء في افتتاح مؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



السادة الوزراء ورؤساء الوفود في افتتاح مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



السـادة الوزراء ورؤساء الوفود في افتتاح مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .





استقبال السيد رئيس مجلس الوزراء في حفلة مؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ ويبدو في الصورة سيدة الدكتور سليم ياسين
نائب رئيس مجلس الوزراء والدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة والأستاذ عبد المجيد الطرابلسي وزير الأوقاف .



بعض السادة المدعوين في مزرعة العدمل بمناسبة مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .
التي أقامها بدر الدين وشفيق الشلاح وحضرها ما ينوف عن ١٢٠٠ مدعو.



بعض السادة المدعوين في مزرعة العدمل بمناسبة مؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



على مائدة الطعام في حفلة العدمل لمؤتمر الغرف العربية بدمشق ١٩٨٨ .



الحاج بدر الدين الشلاح يودع أصحاب السيادة وزير النقل يوسف الأحمد ووزير الدولة ويبدو السيد محمد سعيد الخطيب، رئيس غرفة تجارة ريف دمشق وسيادة العميد رفيق غريب في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



عائلة الشلاح تودع الدكتور أحمد عمر يوسف وزير الكهرباء والدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد ويبدو في الصورة السيد لويس فارس عام ١٩٨٨ .



الحاج بدر الدين الشلاح وأخيه شفيق يود عون صاحب السعادة اللواء شفيق فياض في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف بدمشق عام ١٩٨٨ .



الدكتور موفق الشلاح يودع الاصدقاء السيد صائب النحاس والأستاذ حبيب دولو نكل رئيس الغرفة التجارية العربية الافرنسية في باريس والأخ السيد فير كيوان في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف عام ١٩٨٨ .



بدر الدين الشلاح يودع الدكتور عثمان العائدي ويبدو السيد فتي نظام في حفلة المزرعة لمؤتمر الغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .





الحاج بدر الدين الشلاح يودع أصحاب السعادة الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة التجارة والصناعة في الكويت ونائبه الشيخ يوسف الفليج في حفلة المرزعة عام ١٩٨٨ .



في وداع الأخوة الأكارم والأخ الأستاذ محمد علي بدير في حفلة المرزعة المغرف العربية بدمشق عام ١٩٨٨ .



عائلة الشـلاح يجلسـون مع الأخوة المدعوون الى حفلة العدمل ويبدو في الصورة السـيد الشيخ عبد الباسـط على أخينا في السـودان والسـادة بشير البيطار وأسامة الدقر من غرفة صناعة دمشق والحاج بدر الدين وشفيق ورشاد وماجد الشـلاح وأولاده الدكتور راتب والدكتور موفق وفائز وغياث ومحمد الشلاح .



الفرسان الدمشقيون يستقبلون ضيوف المؤتمر على الخيل .



في عجمان من اليمين الشيخ علي النعيمي وخلفه ولده وعبد العزيز النعيمي شقيقه ومن الشمال الشيخ عبد الله الخرجي وحمد محمد أبو شهاب رئيس اتحاد الغرف في الامارات



حفلة أقامها بدر الدين وشفيق الشلاح على شرف الشيخ يوسف ياسين وظهر بالصورة رئيس الوزارة الأستاذ صبري العسلي والشيخ معروف الدواليبي وعبد العزيز ابن زيد سفير السعودية ولطفي بك الحفار وأسعد هارون وأمين العاصمة الأستاذ بشير التضماني عام ١٩٥٧ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمة في حفلة وزير المالية الامبركي بتاريخ ٢١/ ٤/ ٩٨٨ ويبدو في الصورة الدكتور الشلاح يترجم خطاب الوالد .



ـ الحوار العربي الأوربي في بروكسل ٢٠ نيسان **١٩٨٣** ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح مع رؤساء الغرف العربية الأوربية المشتركة السيد أميل غي كولون، السيد رئيس الغرفة البلجيكية العربية الـ..ـد. دولونكل رئيس الغرفة العربية الفرنسية، السيد بومونت رئيس الغرفة العربية الانكليزية .



- وفد الصحافيين من الأمم المتحدة لحضور انتخابات مجلس الشعب بدمشق في دعوة عشاء بمزرعة العدل بدعوة من بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق ويظهر في وسط الصورة السيد باتريك سيل وخلفه الأمين العام لوزارة الدعاية والأنباء والأستاذ زهير جنان.



- المؤتمر العربي اليوناني بأثينا عام ١٩٨٥ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح وبجانبه على اليسار الدكتور جورج حورانيه وعلى يساره السيدة سهام دللو الموظفة بوزارة التخطيط وباقي أعضاء الوفد السوري.



في الحفلة التي اقيمت عام ١٩٥٧ بالعدمل على شرف معالي السيد يوسف ياسين وقد ظهر بها محمود رياض سفير الجمهورية المصرية والوزير أسعد هارون من اللاذقية ودولة لطفي بيك الحفار والأستاذ شكري الحامد محافظ دمشق .



حفلة على شرف الشيخ يوسف ياسين وظهر في الصورة رئيس الوزارة صبري العسلي - ولطفي الحفار والشيخ معروف الدواليبي وحامد الخوجه وزير الزراعة



الحاج بدر الدين الشلاح في اجتماع مع وزير التموين الأستاذ إحسان السقا في ١٩٨٨/٤/٢٢ .



بدر الدين الشلاح يتحدث مع السيد وزير الأوقاف الأستاذ عبد المجيد الطرابلسي وبجانبه الدكتور سليم الشلاح في ميتم الاسعاف الخيري



في الوسط السيد عبد الوهاب الأزرق مدير عام الجمارك ـ الصحفي ياسين الحمصي ـ أمين سر المحافظة محمود الجبان .



- الحاج بدر الدين والحاج شفيق الشلاح يهنئون جارهم العماد حسن التركماني بعيد الأضحى ١٩٩٠ .



- الحاج بدر الدين الشلاح في مزرعة الأستاذ فؤاد أبو سعدي ويظهر في الصورة جلوساً السيد فؤاد أبو سعدي والحاج أبو راتب، السيد أبو نايف، السيد صالح الشعراني، السيد أبو شاكر النحاس، السيد نجيب مجري ووقوفاً السيد عبد الرزاق الصباغ والدكتور راتب الشلاح، والسيد عادل أبو شعر، والحاج حكمت الجميلي، والحاج شفيق سكر، والسيد محمد جمعة بلاش والسيد عادل حسين.



ـ بعد فوز السيدة كوليت خوري ابنة الأستاذ سهيل الخوري وحفيده المرحوم فارس بيك الخوري الذي وصلت مرتبته لرئيس محكمة العدل الدولية ورئيس مجلس النواب ورئيس حكومة في عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٥٥ ويظهر في الصورة وجهاء الحي بعد أن فازت في انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٩٠ .





ـ مؤتمر الغرف التجارية في بيروت عام ١٩٦٠ ويظهر في الصف الأول السادة محمد القصص والحاج بدر الدين الشلاح وذكي هلال ومحمد بشير المصري وفي الصف الثاني: بشير رمضان ومسلم قطرميز ونصوح الصباغ وحامد سلطان وحسني الهبل.



الدكتور حمدي السقا وزير المالية والسيد مروان قدسي معاون الوزير والدكتور عبد الرزاق الصوفي .



مع وزير التجارة الخارجية في الهند عام ١٩٧٨ .



نائب وزير التجارة الصيني في بكين ومدير مؤسسة التنمية يستقبلون الوفد العربي عام ١٩٨١ . ويبدو في الصورة الأستاذ برهان الدجاني والسيد عبد الكريم حسين جعفر رئيس غرف السودان والشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرف الكويت والحاج بدر الدين الشلاح رئيس الغرف السورية والشيخ اسماعيل أبو داود رئيس الغرف الـ..عودية والسيد. عبد الرحيم المكاوي والأستاذ عدنان قصار والزميل صالح من البحرين والسيد زهير عصفور والأستاذ عبد الرحمن العطار والدكتور العمادي وعبد الكريم عدي وعبد الستار السيد ومحمد غباش وصبحي كحالة وأحمد عمر يوسف والأستاذ فهمي اليوسفي نائب رئيس مجا..س الوزراء لشؤون الخدمات .



ـ اجتماع اتحاد الغرف الإسلامية في فندق كونتيننتال بأبو ظبي بتاريخ ٦/١/١٩٨٩ في حفلة الافتتاح تحت رعاية صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل النهيان وقد ألقى كلمة الافتتاح السيد وزير الاقتصاد والتجارة الشيخ سيف الجزوان .



ـ الأردن ـ عمان وفد الغرف العربية بزيارة البحر الميت .



ـ الحاج بدر الدين الشلاح وصهره خلدون الرملي يتجولان في حديقة الشيخ عبد الله الخزرجي رئيس غرفة تجارة أم القوين بالامارات المتحدة بعد الحفلة التي أقيمت على شرفهما بتاريخ ١٩٨٩ .



قضاء فريضة الحج وزيادة قبر سيدنا حمزة بالمدينة المنورة ويظطهر في الصورة الحاج نزار سكر ، الحاج شفيف الشلاح ، الحاج الدكتور سليم الشلاح ، الحاج بدر الدين الشلاح الحاج محمد مروان الشلاح .



في صالـة مبنى وزارة الخارجية الصينية على مائدة غذاء أقامها وزير الخارجية للحاج بدر الدين الشلاح تكريماً لزيارته الى تايبيه وذلك في ١٤/ ١١/ ١٩٧٧.



الشيخ الدكتور سعيد رمضان البوطي والشيخ عبد الرزّاق الحلبي في دار الحاج بدر الدين أثناء حفلة عشاء في منزله لوزير الأوقاف في الاتحاد السوفييتي



صورة في حفلة بالعدمل عام ٩٥٧ ويظهر فيها عبد الرحمن الطباع وعبد الغني حمور وحسني الهبل ومنير المهايني .



حفلة بالعدمل لمؤتمر الغرف وقد ظهر السيد عبد الوهاب الأزرق مدير الجمارك العامة والسيد. محمد سعيد الهندي رئيس غرفة تجارة حلب والسيد محمد العايش رئيس المجلس النيابي السوري سابقاً وعبد القادر الأسود رئيس محكمة التميز عام ١٩٥٣ .



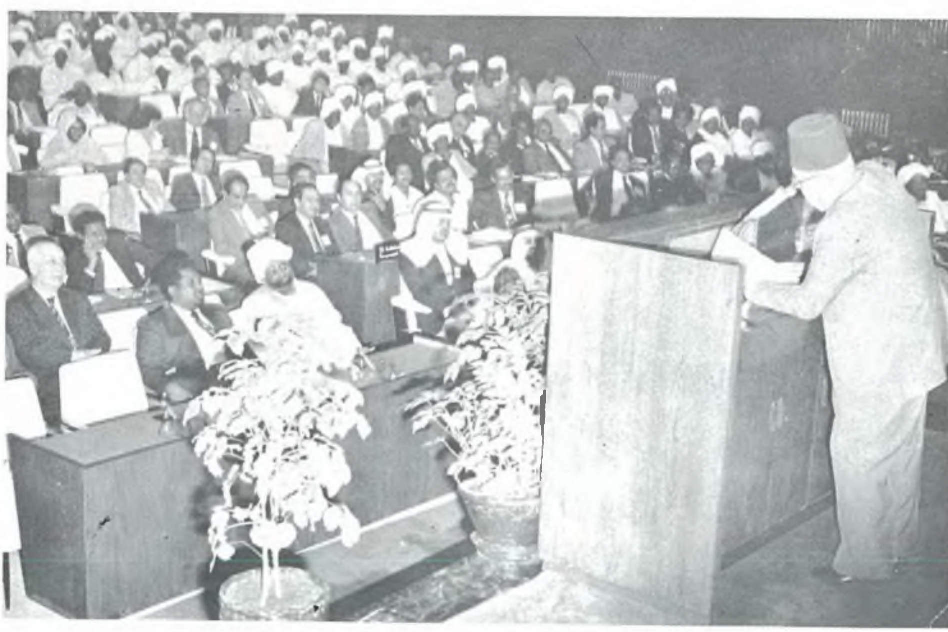
ـ مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية في الأردن ـ عمان ـ ١٩٨٤ ويظهر في الصورة: برهان دجاني أمين عام اتحاد الغرف العربية والسيد الحبيب ماجول من تونس والسيد محمد علي بدير رئيس اتحاد غرف التجارة في الأردن والسيد عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة الكويت والسيد حمدي الطباع رئيس غرفة عمان والحاج بدر الدين الشلاح رئيس غرفة تجارة دمشق ورئيس اتحاد الغرف السورية والسيد عدنان القصار رئيس غرفة تجارة بيروت والشيخ اسماعيل أبو داوود رئيس غرفة تجارة وصناعة جدة.



أعضاء الوفد السوري في مؤتمر الغرف التجارية العربية في ٢٣/١١/١٩٥٠ بالقاهرة على مدرج قصر عابدين.



الأعضاء السوريين في مؤتمر الغرف التجارية في القاهرة عام ١٩٥٤ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي خطاباً في السودان في مؤتمر الغرف التجارية العربية عام ١٩٨٤ .



الدكتور راتب الشلاح يلقي كلمة بواشنطن في الاجتماع الذي حضره وزير المالية نيابة عن الرئيس كارتر .



الوفد العربي عند زيارته الصومال مع اللجنة المستقبلة تحت شجرة الشيخ زايد آل النهيان والتي تتسع إلى أكثر من [illegible] تحت ظلها .



مؤتمر جنيف ١٩٨٥ السيد بدر الدين الشلاح وسيادة محمد بالخيل الوزير السعودي .



- حفلة وداع سفير المملكة السعودية عبد المحسن الزيد ويظهر في الصورة الوزراء السادة أحمد قبلان والأستاذ خالد المالكي د . سليم ياسين د . أحمد عمر يوسف والسيد ناصر قدور معاون وزير الخارجية والسيد السفير عبد العزيز زيد والحاج بدر الدين الشلاح .



المؤتمر العربي اليوناني في اثينا عام ١٩٨٥ ويظهر في الصورة السفير اللواء علي المدني والسيد عثمان العائدي والسيد صائب النحاس .



اجتماع اسطنبول للغرف الاسلامية في ٢٢ ايلول ١٩٨٦ الحاج بدر الدين الشلاح وعلى شماله رئيس اتحاد الغرف التركية مهمت يزار الذي أصبح الآن وزيراً بالحكومة التركية وعلى يساره سعادة الشيخ عبد العزيز رئيس غرفة تجارة الكويت .



ـ الحاج بدر الشلاح يلقي كلمة في اجتماع اتحاد الغرف التجارية في حماه عام ١٩٨٣ ، بحضور السيد الدكتور محمد حربا محافظ حماه الذي يتولى الآن منصب وزير الداخلية .



اجتماع مجلس الاتحاد للغرف التجارية السورية في مدينة حمص الثلاثاء ١٦/ ٤/ ١٩٨٥ .



ـ الحاج بدر الدين الشلاح بنيويورك بصحبه أبناءه الدكتور سليم ومحمد مروان وحضور الدكتور عبد الرحمن العطار أمين سر اتحاد غرفة التجارة السورية والسيد حمدي الطباع رئيس اتحاد غرفة التجارة الأردنية ورئيس غرفة التجارة العربية الأميركية ووزير مالية أميركا ورئيس الأمن القومي.



حفلة تكريم الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة الكويت وحضور جميع رؤساء الغرف التجارية العربية عام ١٩٨٥ .



ـ جلسة اتحاد الغرف الإسلامية بتاريخ ١٩٨٩/٢/٦ وقد ترأس الجلسة الشيخ اسماعيل أبو داوود ونائبه الحاج بدر الدين الشلاح .



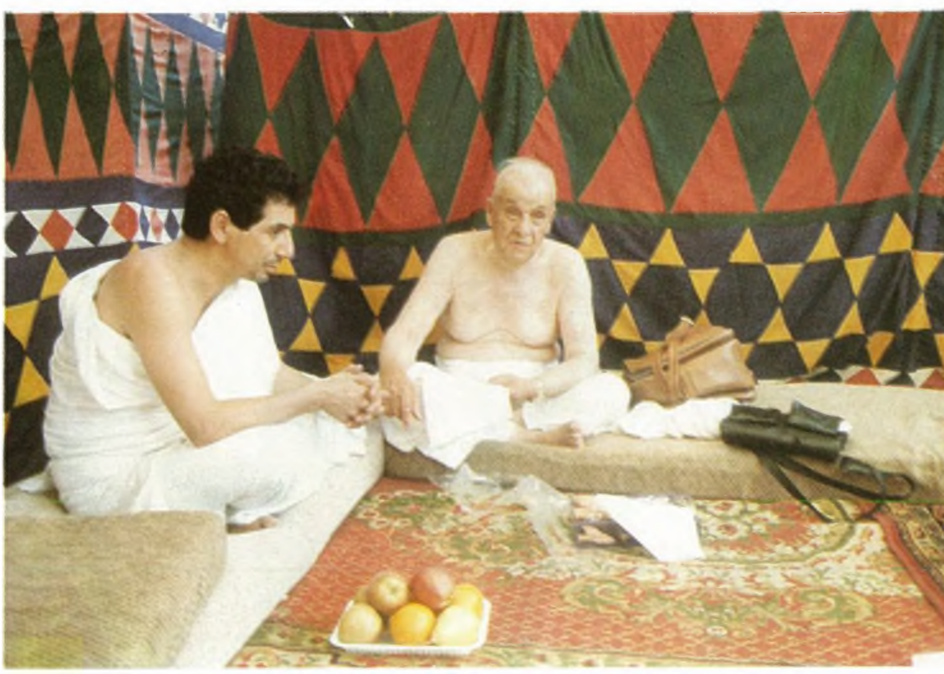
في كراتشي الباكـ..ـتان . أحد الاجتماعات وعلى المنصـه رئيس اتحاد غرف الباكستان والى جانبه من اليمن رئيس غرفة تجارة والى يساره الحاج بدر الدين الشلاح رئيس اتحاد الغرف السورية عام ١٩٧٨ .



ـ الشيخ عبد العزيز الصقر رئيس غرفة تجارة وصناعة الكويت يلقي كلمة الغرف العربية بافتتاح مؤتمر الغرف التجارية والصـ..ـناعية والزراعية للبلاد العربية في سوريا بفندق الشام ٢٧ / ٤ /٩٨٨ .



مؤتمر جنيف في ٢٧/ ١١/ ١٩٨٥ ويبدو في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح وسيادة محمد بالخليل الوزير السعودي وسيادة الدكتور أديب الداوودي .



الحاج بدر الدين الشلاح والسيد رئيس غرفة تجارة المغرب



- في اليونان من اليمين محمد السيد مدير الغرف العربية اليونانية ورئيس غرفة الصناعة لحلب محمد الأوبري والسيد صانب النحاس والحاج بدر الدين الشلاح والسيد محمد الحلواني في٢١/٣/١٩٨٥ .



- طبيب جلدية ووكيل وزارة التخطيط الصومالي رافقونا بزيارة خط الاستواء والثلاثة يرقصون مع الراقصات الذين استقبلونا بالرقص والطبول والزمور والاهازيج .

نشاط وطني واجتماعي



الوفد السّوري الذي أعاد الرئيس
السيد شكري القوتلي إلى وطنه ١٩٥٤



مجلس أوقاف دمشق : الحاج بدر الدين الشلاح والسيد محمد الخطيب مدير أوقاف دمشق والقاضي محمد علي الطيبي والمفتي الشيخ عبد الرزاق الحمصي والشيخ أحمد الدقر والسيد ياسين درويش من تربيه سبينه والسيد محمد المورهلي أبو منذر .



حفلة افتتاح جناح في مشفى المجتهد عام ١٩٥٦ .



- صورة عائلة بدر الدين وشفيق الشلاح مع السفير الصيني وزوجته وموظفي السفارة بدارنا في المهاجرين بتاريخ ٢٧/٢/٩٨٩ .



ـ السفير الصيني الحالي تشانغ تشن بدار السفارة بدعوة عشاء الحاج بدر الدين الشلاح مع أفراد عائلته .



ـ السفير الصيني وزوجته يقوم بزيارة الحاج بدر الدين الشلاح بمنزله ويقدم له هدية .



السويداء زيارة لدار المرحوم سلطان باشا الأطرش ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح ـ تحسين الصفدي ـ محمد مهروسه ـ العميد زيد نجل سلطان باشا الاطرش ـ حمدو اميغو من ادلب ـ اديب .



افتتاح مركز دار العجزه ويبدو في الصورة السيد المحافظ الأستاذ عدنان قولي وأمين فرع دمشق الدكتور علاء عابدين والسيد مدير دار الكرامة والأخوة الأعضاء .



حفلة أبو راتب بغوطة دمشق في ١٢/ ٥/ ٩٥٤ وفي الصورة المرحوم حسني تللو والمرحوم فخري البارودي والمرحوم محمود أبو الفتح وأخيه والحاج بدر الدين الشلاح .



حفل وداع المرحوم الشيخ خليفة المبارك سفير الامارات ١٩٨٠ .



- في زيارة السيد ريتشارد مورفي مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط في مكتبه بواشنطن عام ١٩٨٤ .



- الصحفي باتريك سيل مع الحاج بدر الدين الشلاح في حفلة الصحافيين للأمم المتحدة بمناسبة الانتخابات بدمشق .



- حفلة شاي بدار السفارة الافرنسية بدمشق ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح والحاج شفيق الشلاح وأولادهم وزوجات أبناءهم والسيد دانيال كونتونيه والملحق التجاري جان فرنسوا .



جورج مارديكيان في دار آل نظام عام ٩٦٢ .



مدير منطقة القامشلي العقيد نزار يوسف ومدير أوقاف محافظة الحسكة الأستاذ عبد الرحمن حافظ بتاريخ ٣/ ٤/ ٩٨٤ عند استقبال وفد مجلس اتحاد الغرف التجارية لسوريا .



ـ وزير الأوقاف الروسي والمفتي الروسي ووزير الأوقاف السوري الدكتور محمد الخطيب بدعوة الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح بدارهم ويظهر في الصورة الدكتور راتب الشلاح والسيد محمد خير السيروان .



- وسام ليجيون دونور الذي منحه رئيس الجمهورية الافرنسية ميتران ١٩٨٢ .



ـ الاربعاء في ٢١ ربيع الثاني ١٤٠٨ الموافق ٣٠ تشرين الثاني ١٩٨٨ في حفلة المولد النبوي الشريف بالاسعاف الخيري بحضور كبار تجار مدينة دمشق .



ـ الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته بمناسبة حفلة قراءة المولد النبوي الشريف بجمعية الاسعاف الخيري ويظهر في الصورة وزير الأوقاف بالصف الأمامي بدمشق ١٩٨٨ .



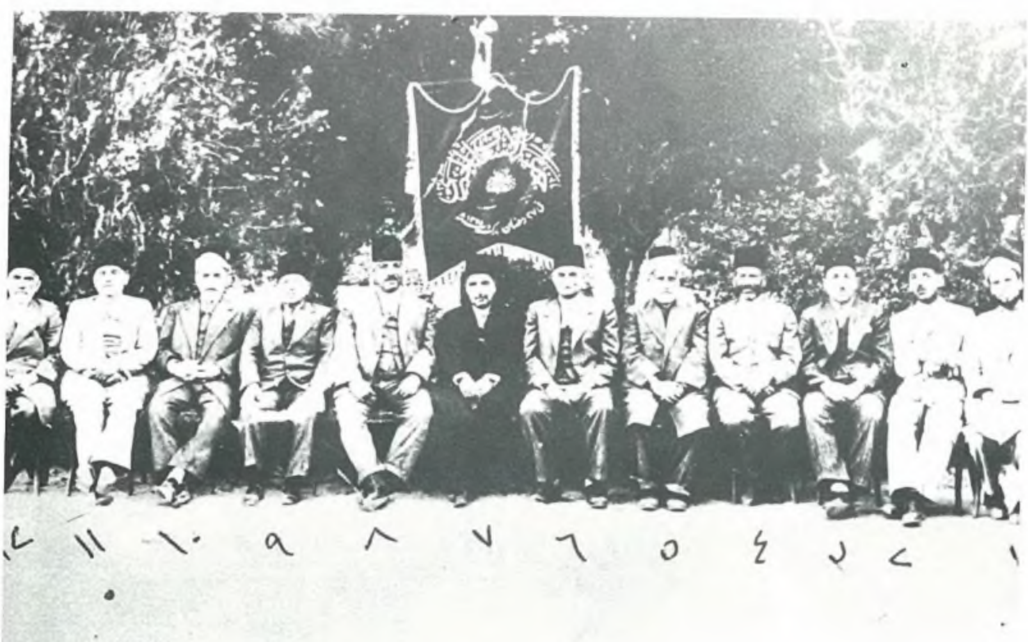
في الستينات من اليسار العميد أحمد بيلوني والحاج بدر الدين الشلاح الدكتور نظمي القباني والاستاذ عبد الرحمن الطباع السيد منير البديوي السيدوجيه عمار الحاج شفيق الشلاح السيد أكرم الطرابيشي الدكتور أحمد السواح الاستاذ رشاد الشلاح السيد. محمد أبو الخير بكداس السيد زكريا الجميلي السيد آقبيق السيد. نبيل قباني .



ـ مؤتمر الغرف التجارية بالقاهرة عام ١٩٥٤ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح والأستاذ محمد علي بدير من عمان والمرحومين محمد شاكر وبشير رمضان من غرفة تجارة دمشق وأكرم الطرابيشي وعلي الزعتري .



في الحجاز بمكة المكرمة عام ١٩٤٥ : بدر التيناوي - نصوح الطباع - صهرنا محمد عيد سكر - بدر الدين الشلاح .



في الثلاثينات : محمد الشلاح - محمد القصص - صلاح القدس - البغجاتي - الكزبري - توفيق الميداني - مصطفى القباني -

كمال الخياط - صبحي شبيب - سليم الشلاح - عثمان الشراباتي - مراد الزين .



حفلة غرفة التجارة في وداع الملحق الروسي السينوفونتوف عام ١٩٨٧ وفي الصورة أعضاء الغرف السورية .



السيد سفير الاتحاد السوفياتي يستقبل الحاج بدر الدين الشلاح ويبدو خلفه الزميل صائب النحاس ونجله د . راتب الشلاح عام ١٩٨٧ .



الحاج بدر الدين الشلاح عام ٩٥١ عندما كان رئيساً لمحفل إبراهيم الخليل .



المحفل الماسوني في حزيران ١٩٥٠ والموافق شعبان ١٣٦٩ في دمر .



الحاج بدر الدين الشلاح في لباس رئاسة المحفل .



محفل ابراهيم عام ١٩٥٢ .



الحاج بدر الدين الشلاح يلقي كلمته في حفلة نادي الشرق عام ١٩٧٩ ويبدو في الصورة السادة الوزراء



ـ دعوة غذاء يوم ٤/ ٦/ ٩٨٩ أقامها الوجيه صبحي سكر ، على شرف الوفد السوري لاجتماعه في الكويت وحضور الجلسة ٦٩ لمجلس الاتحاد العربي للغرف التجارية ويظهر في الصورة أمام باب منزله العامر السيد صبحي سكر صاحب الدعوة ، الحاج بدر الدين الشلاح السيد شفيق سكر والسيد الدكتور عبد الرحمن العطار ، السيد تيسير الفرا ـ



ـ زيارة الحاج بدر الدين الشلاح للسيد منصور الأطرش نجل المرحوم ـ.لطان باشا الأطرش ويظهر في الصورة الـ.يد. محمد مهروسة والسيد تحسين الصفدي .

مزرعـة العـدمل



الحاج بدر الدين الشلاح على جواده يجوب المزرعة.

العدمل عام ١٩٥٧



حفلة في عام ١٩٥٧ بالعدمل أقامها الحاج بدر الدين وشفيق الشلاح على شرف معالي السيد حسن الشربتلي ويظهر في الصورة فضيلة الاستاذ أبو اليسر عابدين والشيخ حسن حبنكه وبدر الدين الشلاح .



حفلة على شرف السيد حسن الشربتلي أقامها بدر الدين وشفيق الشلاح بالعدمل في عام ١٩٥٧ ويبدو فضيلة الشيخ المرحوم أحمد الحارون وفخري البارودي ومحمد الطباع ومحي الدين سكر .



الشباب الدمشقيون يلعبون لعبة الشيف المشهورة احتفالاً بالوفود .



ـ الحاج بدر الدين الشلاح وأخيه شفيق وأولادهم يودعون الضيوف وعلى رأسهم الدكتور محمد العمادي وزير الاقتصاد والدكتور أحمد عمر يوسف وزير الكهرباء .



ـ مؤتمر الغرف التجارية بدمشق عام ١٩٧٧ ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح يتحدث إلى المحافظ الأستاذ فاروق حموي الذي أقام حفل عشاء في منشية البلدية ويرى في الصورة نهاد تلاوي المذيعة بإذاعة دمشق والسيد ماجد محيي الدين والمرحوم خليل كريدي.



ـ في مؤتمر الغرف العربية حيث زارت الوفود مدينة حلب ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين الشلاح والصناعي صبري الشربجي من حلب وموفق العلاف وتظهر في الصورة أيضاً الممثلة ماجدة وهي تحضر فلمها بحلب.



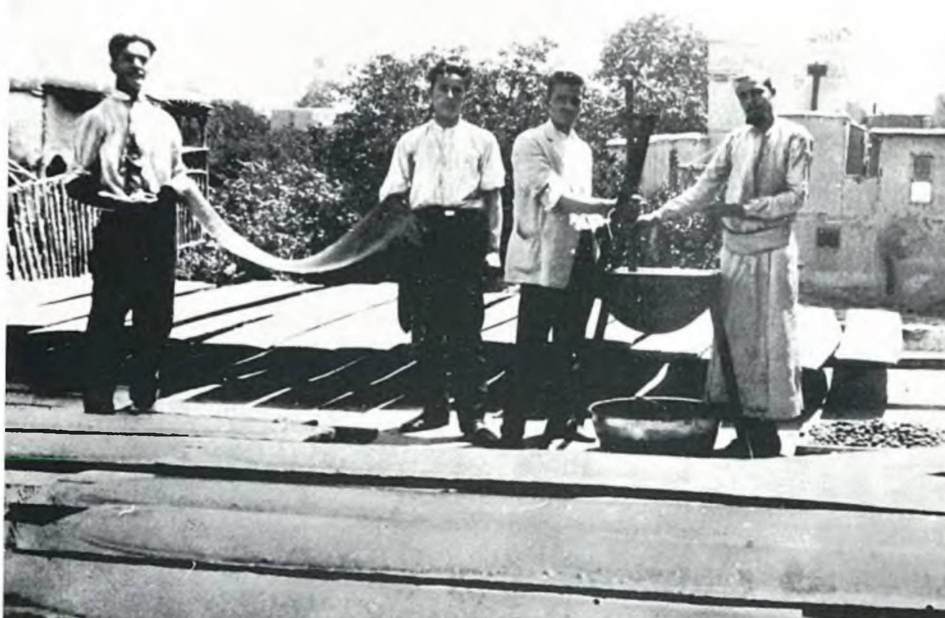
الحاج بدر الدين في مزرعة الزبداني عام ١٩٥٢



الفلاحة في مزرعة الزبداني عام ١٩٥٩



الحاج بدر الدين الشلاح يشرف على تراكتور اشتراها بدلاً عن الابقار عام ١٩٥١ .



الاخوة محمد وبدر الدين وأنور ورشاد الشلاح على سطح الوكالة الكائنة في خان الباشا عند البدء بتجربة تبخير المشمش في عام ١٩٢٨ .

الأسـرة





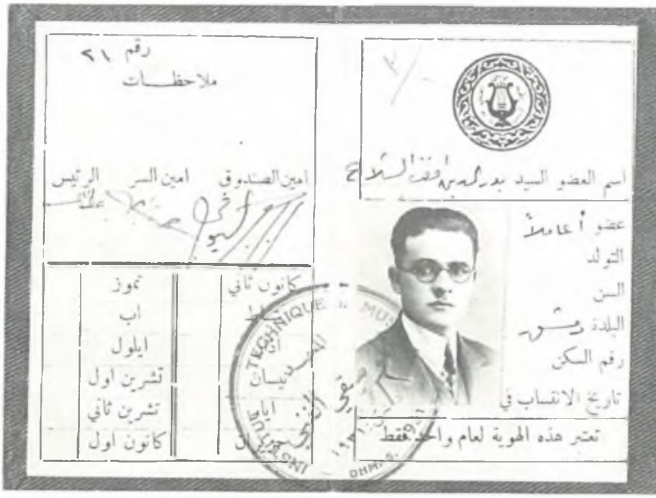
..ليم الشلاح وعلى يمينه ولده محمد الشلاح الذي أصبح بعدها الشيخ محمد الشلاح وبجانبه أنور الشلاح ثم رشاد الشلاح
وعلى شماله بدر الدين الشلاح ثم شفيق الشلاح



- سليم الشلاح وأولاده محمد بدر الدين وأنور وشفيق ورشاد لدى استلامهم جائزة وشهادات المعرض الزراعي بدمشق عام ١٩٢٧ يوم كان نصوح البخاري وزيراً للزراعة ورئيس الدولة أحمد نامي بيك .



علي الشويكي — سليم الشلاح — فهمي العوا — رشاد الشلاح



ـ هوية المعهد العربي الموسيقي عام ١٩٣٢ بتوقيع رئيس المعهد غالب بك النائلي رئيس مجلس الشورى .





صورة بدر الدين الشلاح وولديه راتب وسليم عام ١٩٤٥



الصف الأول . م غياث بن م مظهر . نبيل بن م عماد الدين . فراس بن عبد الإله . ياسر بن عبد الإله . م غياث بن محمد . مصون بن سالم
معاذ بن سالم . محمد بن أحمد . فادي وشادي بن نظمي . باسل بن أحمد . عبد الله بن محمد . م إياد بن زهير . باسم
"من اليمين إلى اليسار" ابن نزار . رشاد بن فايز . م رشيد بن غسان . كنان بن صلاح الدين . عبد الرحمن سيروان . م شفيق بن موفق
باسل سيروان . عمر بن أحمد راتب . أنس بن طارق . أحمد شفيق بن فهد . خالد بن م مروان . بشر بن محمد مروان
محمد بن موفق بن شفيق . رشاد بن زهير بن شفيق .

الصف الثاني . د . موفق بن شفيق . م نزار بن حسن . عبد الحفيظ بن شفيق . م نعمان بن حسن . بلال بن شفيق . طيب بن ابراهيم .
رشاد بن سليم . عميد الأسرة وشيخها الحاج "بدر الدين الشلاح" أبو راتب . الحاج شفيق بن سليم . د . أحمد راتب
ابن بدر الدين . د . مأمون بن م سعيد . رفيق بن شفيق . د . سليم بن بدر الدين . نبيل بن أنور . م مروان بن بدر الدين .

الصف الثالث . أحمد طارق بن شفيق . غياث بن رشاد . عماد بن صفوح . إياد بن مأمون . بشر بن مأمون . أمين بن طيب . م أيمن
ابن طيب . ممدوح بن طاهر . م عمر بن م سعيد . حمدي بن م توفيق . لؤي بن م امين . م امين بن طاهر . زهير بن م شفيق
م علي بن ياسين . ياسين بن م علي . راتب بن م علي . مصباح بن شفيق . عماد الدين بن محمد . مصطفى بن م شفيق
محمد بن م شفيق . شفيق بن محمد . غسان بن بدر الدين .

الصف الرابع . نظمي بن محمد . م مظهر بن زاهد . صبحي بن محمد . عبد الإله وصلاح الدين وم وليد بن منير . أديب سيروان . مجد
ابن نذير . انس بن م عمر . ايمن بن حمدي . عبد الله بن ياسين . م رضا بن ممدوح . عبد الباسط بن ياسين
م غياث وم منذر بن ممدوح . امين بن شفيق . فهد بن شفيق . مهند بن نذير . م سالم بن بشير . عبد الماجد بن محمد
م ياسر بن احمد . محمد بن عبد الماجد . احمد بن م سعيد . زكي بن م مروان . هيثم بن عبد الماجد .

الصف الخامس . محمد وحسان بن صبحي . صلاح بن مصطفى . م ثابت بن حمدي . منير بن عبد الإله . احمد هشام بن زاهد
م زياد بن محمد . عبد الماجد بن زاهد . نذير وم عماد الدين بن منير . م ياسين بن زاهد . ماجد بن محمد نزار
م خير وم أبو الفرج بن عبد الحفيظ . عبد اللطيف بن م ياسين . م رياض بن ممدوح . حسام الدين بن مصطفى . موفق بن
م شفيق بن توفيق . طارق بن عبد الحفيظ . م خير بن ياسين . م فايز بن م امين . بدر الدين بن مصطفى . م جمال بن زاهد
عبد الناصر بن منير . انس بن م ياسين . ابراهيم بن عبد الحفيظ . م امين بن م امين . م طاهر بن ممدوح



بدر الدين وشفيق الشلاح وأولادهم وأحفادهم في عام ١٩٥١



عائلة بدر الدين الشلاح بداره بالزبداني ١٩٨٦



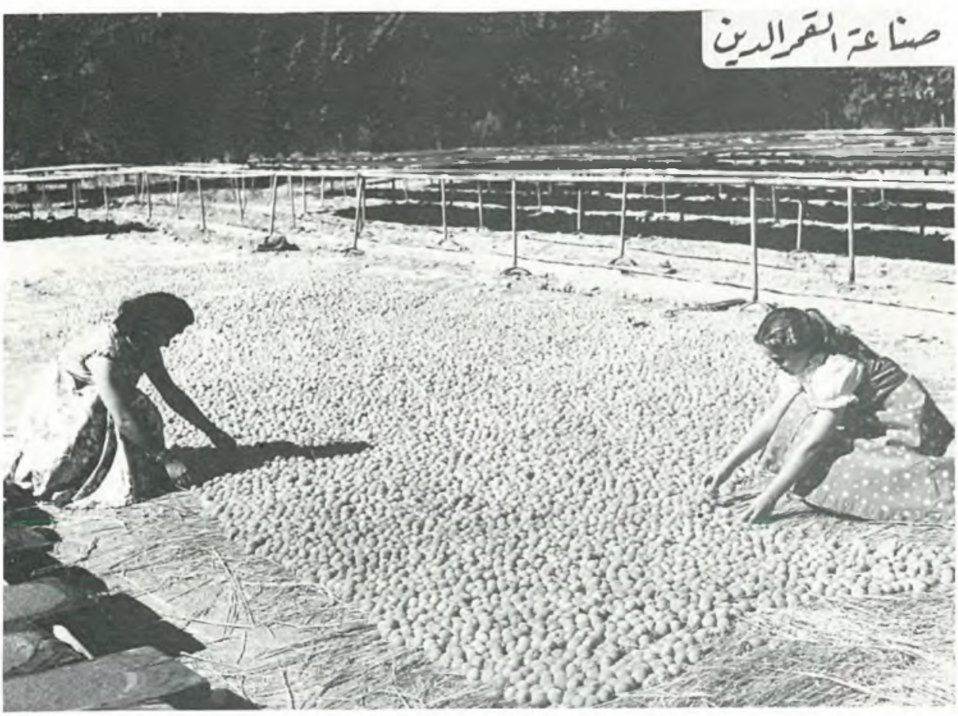
بدر الدين الشلاح وأولاده ١٩٨٦



شفيق الشلاح وأولاده



تجفيف القمر الدين عام ١٩٥٠



تجفيف الزبيب عام ١٩٤٩ في مزرعة العدمل



شحن العنب السوري الى الاسكندرية مرفأ بيروت على الباخرة شامبليون الى الاسكندرية عام ٩٣٢



فرز التفاح الامركي في مرفأ بيروت عام ٩٣٢



ـ السفير الصيني لين تشاونان في حفلة أقامها بدار السفارة للحاج بدر الدين الشلاح وأخيه الحاج شفيق الشلاح وعائلتهما ١٩٨٦ .



الحاج بدر الدين الشلاح وولديه الدكتور راتب الشلاح وغسان الشلاح ورئيس الورشة عام ١٩٨٨ بجانب شجرة حور قطرها ٢٢٠ سم وعمرها ٤٧ عاماً.



ـ مع تجار بيروت عام ١٩٣٢ ويظهر بالصورة عبد الشكور الحلواني والحاج عبد الرحمن العريسي وبدر الدين الشلاح ومحمد علي الحاج حمور عن الزبداني.



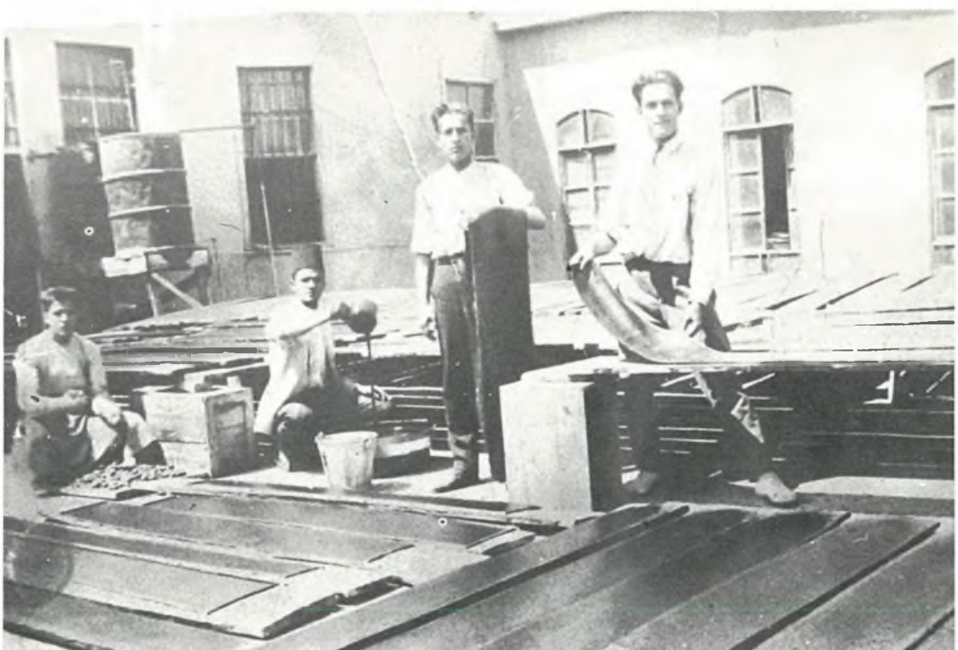
على شاطىء بيروت عام ١٩٢٦ تنزيل السكر الوارد لنا



حفلة أقامها السيد أنور الشلاح عام ٩٥٢ . ويظهر في الصورة أبو درويش سويد وسليم السيوفي وبدر الدين الشلاح وعثمان شحرور.



صنع النقوع كما كان عام ١٩٢٨



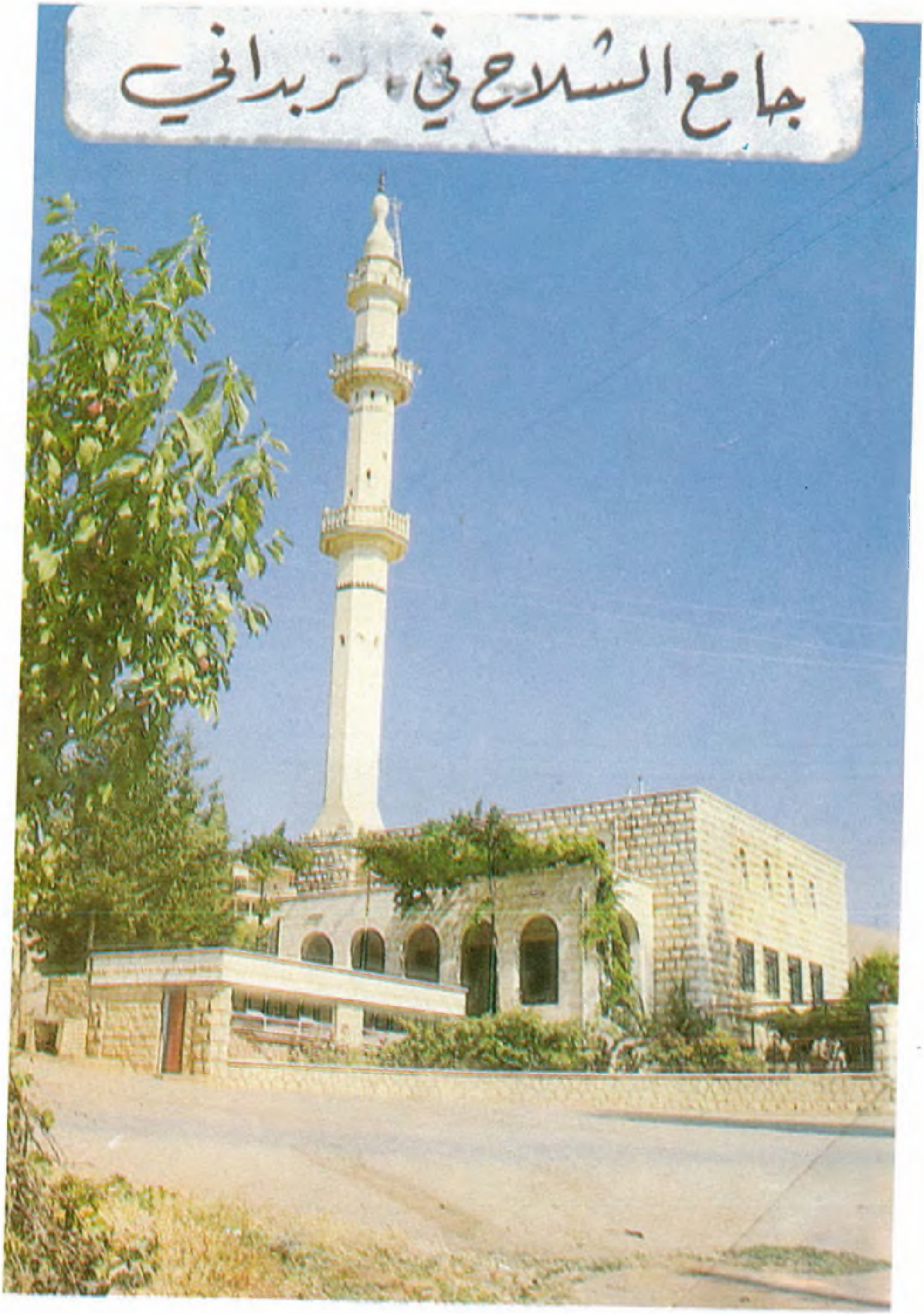
صنع القمر الدين على السطح عام ١٩٢٨



عام ١٩٢٦ على سيارة فيات مع السائق مشتراة من الوكيل خليل صيدح الذي كانت محلاته بسوق التبن



مع سلامة الأغواني في بلودان عام ١٩٢٩



جامع الشلاح في الزبداني عام ٩٩٦ .



- سيادة الرئيس كارتر داخلاً مزرعة الشلاح وأمامه الشرطة وخلفه سيارات الحرس في المدخل الذي على طرفيه أشجار السرو الباسقة .



- زيارة الرئيس الاميركي السابق جيمي كارتر الى مزرعة الشلاح بدمشق ويظهر في الصورة الحاج بدر الدين وشقيق الشلاح ويحيط بهما أفراد من عائلة الشلاح .



الرئيس كارتر خلال زيارته في دار صقر يوسف عديل بدر الدين الشلاح في مرج السلطان وشقيقة شفيق الشلاح



الرئيس كارتر يتقبل هدية قطعة بروكار لزوجته التي اعتذرت عن الدعوة بسبب انحراف صحتها ويظهر بالصورة ولده الدكتور راتب الشلاح وصهره خلدون الرملي وزوجته رمزية الشلاح وهي تتكلم مع الرئيس كارتر ورفيق وطارق الشلاح



الرئيس كارتر خلال زيارته للمزرعة والدكتور راتب الشلاح يشرح له عن المزرعة



الرئيس كارتر بزيارة مكسره البزر في مزرعة الشلاح بالعدمل .

عنـدمـا تذكر دمشق لا بد أن يذكر تجارها، وعندما يذكر تجار دمشق لا بد أن يذكر العم أبو راتب.

بدر الـدين الشـلاح (أبو راتب) شاب على أبـواب التسعين من العمـر، ممتلىء حيـويـة ونشاطاً، أنيق المظهر، لا تفارق الوردة الحمراء صدره ولا يغـادر الطـربـوش الأحمـر رأسـه. حاضـر الجـواب سريع البديهة، يصفه البعض بأنه أحد معالم مدينة دمشق ورمز من رموزها، ويعـبر البعض الآخـر عن دهشتـه وإعجـابـه ويتسـاءل: كيف استطاع هذا الرجل أن يحقق حضـوراً فعـالاً داخل المدينة وخارجها، وماهو سر استـحـواذه على احـترام ذوي الـشأن والمسؤوليـة من الـذين تسلمـوا سدة الحكم في سوريـة على مر السنـين بالـرغم من اختـلاف منطلقـاتهم وأفكـارهم، حتى أن النـاس ممن يعـرفـونـه أو لا يعـرفـونـه يحكـون عنه قصصاً وحكـايـات ويرددون مواقف له مليئة بالطرافة والحـزم والحكمـة بحيث اختلط الواقع في هذه القصص بالخيال؟

مجلة الشرق الأوسط
العدد ١٩٦ لعام ١٩٩٠